

 الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تأليف الزمخشري، محمود بن عمر -٥٣٨هـ. كتبه ابراهيم الزيدي، في القرن الثاني عشر الهجري تقديرا.

 ج ١، ٢، ٣ في ٣ مج (٢١١، ١٩٩، ٢١٨ق) ، ٤٥، ٤١ س، ٥ر٢٩x ٥ر١٩ سم.
نسخة جيدة، خطها نسخ بعضه جيد وبعضه حسن، بها خروم واسماء السور والآيات بالحمرة، طبع.
الاعلام ٨ : ٥٥ ، معجم المطبوعات ١ : ٩٧٤
١- التفسير، القرآن الكريم وعلومه أ- المؤلف ب- الناسخ ج- تاريخ النسخ د- تفسير الكشاف هـ- تفسير الزمخشري.

الثالث من الكشاف

سورة يوسف عليه السلام مكية وهي مائة وإحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب المبين تلك إشارة إلى
آيات السورة والكتاب المبين السورة أي تلك الآيات التي أنزلت إليك في هذه السورة آيات السورة
الظاهر أمرها في إعجاز العرب وتبكيتهم أو التي تبين لمن تدبرها أنها من عند الله لا من عند البشر أو
الواضحة التي لا تشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم أو قد أبين فيها ما سألت عنه اليهود من قصة
يوسف عليه السلام إنا أنزلناه أنزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه قرآنا عربيا
وسمي بعض القرآن قرآنا لأن القرآن اسم جنس يقع على كله وبعضه لعلكم تعقلون إرادة أن تفهموه
وتحيطوا بمعانيه ولا يلتبس عليكم ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته نحن نقص
عليك أحسن القصص القصص على وجهين يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص تقول قص الحديث
يقصه قصصا كقولك شله يشله شللا إذا طرده ويكون فعلا بمعنى مفعول كالنفض والحسب
ونحوه النبأ والخبر في معنى المنبأ به والمخبر به ويجوز أن يكون من تسمية المفعول بالمصدر
كالخلق والصيد. فإن أريد المصدر فمعناه نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص بما أوحينا إليك هذا
القرآن أي بإيحائنا إليك هذه السورة على أن يكون أحسن منصوبا بنصب المصدر لإضافته إليه
ويكون المقصوص محذوفا لأن قوله بما أوحينا إليك هذا القرآن مغن عنه ويجوز أن ينتصب هذا القرآن
بنقص كأنه قيل نحن نقتص عليك أحسن الاقتصاص هذا القرآن بإيحائنا إليك والمراد بأحسن
الاقتصاص أنه اقتص على أبدع طريقة وأعجب أسلوب ألا ترى أن هذا الحديث مقتص في كتب الأولين
وفي كتب التواريخ ولا ترى اقتصاصه في كتاب منها مقاربا لاقتصاصه في القرآن وإن أريد بالقصص
المقصوص فمعناه نحن نقص عليك أحسن ما يقص من الأحاديث وإنما كان أحسنه لما يتضمن من
العبر والنكت والحكم والعجائب التي ليست في غيرها والظاهر أنه أحسن ما يقتص في بابه كما يقال
في الرجل هو أعلم الناس وأفضلهم يراد في فنه فإن قلت مم اشتقاق القصص قلت
من قص أثره إذا اتبعه لأن الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا كما يقال تلا القرآن
إذا قرأه لأنه يتلو أي يتبع ما حفظ منه آية بعد آية وإن كنت من قبله لمن الغافلين إن مخففة من
الثقيلة واللام هي التي تفرق بينها وبين النافية والضمير في قبله راجع إلى قوله بما أوحينا والمعنى
وإن الشأن والحديث كنت من قبل إيحائنا إليك من الغافلين عنه أي من الجاهلين به ما كان لك
فيه علم قط ولا طرق سمعك طرف منه إذ قال يوسف بدل من أحسن القصص وهو من بدل الاشتمال
لأن الوقت مشتمل على القصص وهو المقصوص فإذا قص وقته فقد قص أو بإضمار اذكر ويوسف اسم عبراني
وقيل عربي وليس بصحيح لأنه لو كان عربيا لانصرف لخلوه عن سبب آخر سوى التعريف فإن قلت
فما تقول فيمن قرأ يوسف بكسر السين أو يوسف بفتحها هل يجوز على قراءته أن يقال هو عربي لأنه
على وزن المضارع المبني للفاعل أو المفعول من آسف يوسف وإنما منع الصرف للتعريف ووزن
الفعل قلت لا لأن القراءة المشهورة قامت بالشهادة على أن الكلمة أعجمية فلا تكون
عربية تارة وأعجمية أخرى ونحو يوسف يونس رويت فيه هذه اللغات الثلاث ولا يقال هو عربي
لأنه في اللغتين منها بوزن المضارع من آنس وأونس وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا قيل من الكريم فقولوا
الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم لأبيه يا أبت قرئ بالحركات الثلاث
فإن قلت ما هذه التاء قلت تاء تأنيث وقعت عوضا عن ياء الإضافة والدليل
على أنها تاء تأنيث قلبها هاء في الوقف فإن قلت كيف جاز إلحاق تاء التأنيث بالمذكر قلت
كما جاز نحو قولك حمامة ذكر وشاة ذكر ورجل ربعة وغلام يفعة فإن قلت فلم ساغ تعويض
تاء التأنيث من ياء الإضافة قلت لأن التأنيث والإضافة يتناسبان في أن كل واحد منهما زيادة
مضمومة إلى الاسم في آخره فإن قلت فما هذه الكسرة قلت هي الكسرة التي كانت
قبل الياء في قولك يا أبي فقد زحلقت إلى التاء لاقتضاء تاء التأنيث أن يكون ما قبلها مفتوحا فإن
قلت فما بال الكسرة لم تسقط بالفتحة التي اقتضتها التاء وتبقى التاء ساكنة قلت امتنع
ذلك فيها لأنها اسم والأسماء حقها التحريك لأصالتها في الإعراب وإنما جاز تسكين الياء وأصلها أن تحرك

تخفيفا

ابن الكريم

تخفيفا لأنها حرف لين وأما التاء فحرف صحيح نحو كاف الضمير فلزم تحريكها فإن قلت يشبه
الجمع بين التاء وبين هذه الكسرة الجمع بين العوض والمعوض منه لأنها في حكم الياء إذا قلت يا غلام فكما
لا يجوز يا أبتي لا يجوز يا أبت قلت الياء والكسرة عند تعوض لها فلا يجمع بين العوض والمعوض
منه إلا إذا جمع بين التاء والياء لا غير ألا ترى إلى قولهم يا أبتا مع كون الألف فيه بدلا من الياء كيف جاز
الجمع بينها وبين التاء ولم يعد ذلك جمعا بين العوض والمعوض منه فالكسرة أبعد من ذلك فإن
قلت فقد دلت الكسرة في يا غلام على الإضافة لأنها قرينة الياء ولصيقتها فإن دلت على مثل
ذلك في يا أبت فالتاء المعوضة لغو ووجودها كعدمها قلت بل حالها مع التاء كحالها مع الياء
إذا قلت يا أبي فإن قلت فما وجه من قرأ بفتح التاء وضمها قلت أما من فتح فقد حذف
الألف من يا أبتا واستبقى الفتحة قبلها كما فعل من حذف الياء من يا غلامي ويجوز أن يقال حركها
بحركة الياء المعوض منها في قولك يا أبي وأما من ضم فقد رأى اسما في آخره تاء تأنيث فأجراه مجرى الأسماء
المؤنثة بالتاء فقال يا أبت كما تقول يا ثبة من غير اعتبار لكونها عوضا من ياء الإضافة إني رأيت
أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين وقرئ إني رأيت بتحريك الياء وأحد عشر بسكون
العين تخفيفا لتوالي المتحركات فيما هو في حكم اسم واحد وكذلك إلى تسعة عشر إلا اثني عشر لئلا
يلتقي ساكنان ورأيت من الرؤيا لا من الرؤية لأن ما ذكره معلوم أنه منام لأن الشمس والقمر لو اجتمعا
مع الكواكب ساجدة ليوسف في حال اليقظة لكانت آية عظيمة ليعقوب عليه السلام ولما خفيت
عليه وعلى الناس فإن قلت ما أسماء تلك الكواكب قلت روى جابر أن يهوديا جاء
إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أخبرني عن النجوم التي رآهن يوسف فسكت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل فأخبره بذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لليهودي إن أخبرتك
هل تسلم قال نعم قال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح
والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال
اليهودي أي والله إنها لأسماؤها وقيل الشمس والقمر أبواه وقيل أبوه وخالته والكواكب إخوته
وعن وهب أن يوسف رأى وهو ابن سبع سنين أن إحدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة في الأرض
كهيئة الدائرة وإذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لأبيه فقال
إياك أن تذكر هذا لإخوتك ثم رأى وهو ابن ثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها
على أبيه فقال لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومصير إخوته إليه
أربعون سنة وقيل ثمانون فإن قلت لم أخر الشمس والقمر قلت أخرهما ليعطفهما
على الكواكب على طريق الاختصاص بيانا لفضلهما واستبدادهما بالمزية على غيرهما من الطوالع كما أخر
جبريل وميكائيل عن الملائكة ثم عطفهما عليها لذلك ويجوز أن تكون الواو بمعنى مع أي رأيت الكواكب
مع الشمس والقمر فإن قلت ما معنى تكرار رأيت قلت ليس بتكرار إنما هو كلام مستأنف
على تقدير سؤال وقع جوابا له كأن يعقوب عليه السلام قال له عند قوله إني رأيت أحد عشر كوكبا
كيف رأيتها سائلا عن حال رؤيتها فقال رأيتهم لي ساجدين فإن قلت لم أجريت مجرى العقلاء
في رأيتهم لي ساجدين قلت لأنه لما وصفها بما هو خاص بالعقلاء وهو السجود أجرى عليها حكمهم
كأنها عاقلة وهذا كثير شائع في كلامهم أن يلابس الشيء الشيء من بعض الوجوه فيعطى حكما من أحكامه
إظهارا لأثر الملابسة والمقاربة قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك عرف يعقوب عليه السلام
دلالة الرؤيا على أن يوسف يبلغه الله مبلغا من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين
كما فعل بآبائه فخاف عليه حسد الإخوة وبغيهم والرؤيا بمعنى الرؤية إلا أنها مختصة بما كان منها
في المنام دون اليقظة فرق بينهما بحرفي التأنيث كما قيل القربة والقربى وقرئ رؤياك بقلب
الهمزة واوا وسمع الكسائي رياك ورياك بالإدغام وضم الراء وكسرها وهي ضعيفة لأن الواو
في تقدير الهمزة فلا يقوى إدغامها كما لم يقو الإدغام في قولهم اتزر من الإزار واتجر من الأجر
فيكيدوا لك كيدا فيكيدوا منصوب بإضمار أن والمعنى إن قصصتها عليهم كادوك فإن قلت
هلا قيل فيكيدوك كما قيل فكيدوني قلت ضمن معنى فعل يتعدى باللام ليفيد معنى فعل الكيد

مع افادة معنى الفعل المضمن فيكون اوكد وابلغ في التخويف وذلك خو فيحتالوا لك الا ترى الى
تاكيده بالمصدر ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة لما فعل بادم وحوا ولقوله لاقعدن
لهم صراطك المستقيم فهو يحمل على الكيد والمكر وكل امر ليرطهم ويحمله ولا يومن ان يحملهم على مثله وكذلك
ومثل ذلك الاجتبا يجتبيك ربك يعني وكما اجتباك لمثل هذه الرويا العظيمة الدالة على شرف وعز
وكبر شان كذلك يجتبيك لامور عظام وقوله ويعلمك كلام مبتدا غير داخل في حكم التشبيه كانه قيل
وهو يعلمك من تاويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى ال يعقوب كما اتمها على ابويك من قبل ابرهيم واسحق
والاجتبا الاصطفا افتعال من جبيت الشي اذا حصلته لنفسك وجبيت الما في الحوض جمعته وتاويل الاحاديث
الرويا لان الرويا اما حديث نفس او ملك او شيطان وتاويلها عبارتها وتفسيرها وكان يوسف
اعبر الناس للرويا واصحهم عبارة لها ويجوز ان يراد بتاويل الاحاديث معاني كتب الله وسنن
الانبيا وما غمض واشتبه على الناس من اغراضها ومقاصدها يفسرها لهم ويشرحها ويدلهم على
مودعات حكمها وسميت احاديث لانه يحدث بها عن الله ورسله فيقال قال الله وقال الرسول
كذا وكذا الا ترى الى قوله فباي حديث بعده يومنون الله نزل احسن الحديث وهو اسم جمع
للحديث وليس بجمع احدوثة ومعنى اتمام النعمة عليهم انه وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الاخرة
بان جعلهم انبيا في الدنيا وملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات العلى في الجنة وقيل اتمها على ابرهيم
بالخلة والانجا من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحاق باخلاصه من الذبح وفدائه بذبح عظيم
وباخراج يعقوب والاسباط من صلبه وقيل علم يعقوب ان يوسف يكون نبيا واخوته انبيا
استدلالا بضوء الكواكب ولذلك قال وعلى ال يعقوب وقيل لما بلغت الرويا اخوة يوسف
حسدوه وقالوا ما رضي ان يسجد له اخوته حتى يسجد له ابواه وقيل كان يعقوب موثرا له بزيادة
المحبة والشفقة لصغره ولما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما راى الرويا ضاعف
له المحبة وكان يضمه كل ساعة الى صدره ولا يصبر عنه فتبالغ فيهم الحسد وقيل لما قص روياه
على يعقوب قال هذا امر مشتت يجمعه الله لك بعد دهر طويل وال يعقوب اهله وهم نسله وغيرهم
واصل ال اهل بدليل تصغيره على اهيل الا انه لا يستعمل الا فيمن له خطر يقال ال النبي وال الملك
ولا يقال ال الحايك ولا ال الحجام ولكن اهلهما واراد بالابوين الجد وابا الجد لانهما في حكم
الاب في الاصالة ومن ثم يقولون ابن فلان وان كان بينه وبين فلان عدة وابرهيم واسحق
عطف بيان لابويك ان ربك عليم يعلم من يحق له الاجتبا حكيم لا يتم نعمته الا على من يستحقها لقد
كان في يوسف واخوته اي في قصتهم وحديثهم ايات علامات ودلايل على قدرة الله وحكمته في كل
شي للسايلين لمن سال عن قصتهم وعرفها وقيل ايات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين
سالوه من اليهود عنها فاخبرهم بالصحة من غير سماع من احد ولا قراءة كتاب وقرئ اية وفي بعض المصاحف
عبرة وقيل انما قص الله على النبي صلى الله عليه وسلم خبر يوسف وبغي اخوته عليه لما راى من بغي قومه عليه ليتاسى
به وقيل اسماوهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وزبالون ويشجر ودينة ودان ونفتالي
وجاد واشر السبعة الاولون كانوا من ليا بنت خالة يعقوب والاربعة الاخرون من سريتين
زلفة وبلهة فلما توفيت ليا تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف عليهما السلام اذ قالوا ليوسف
اللام لام الابتدا وفيها تاكيد وتحقيق لمضمون الجملة ارادوا ان زيادة محبته لهما امر ثابت لا شبهة فيه واخوه
هو بنيامين احب الى ابينا منا وانما قالوا اخوه وهم جميعا اخوته لان امهما كانت واحدة وقيل احب
في الاثنين لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمونث اذا كان معه من ولا
بد من الفرق مع لام التعريف واذا اضيف جاز الامران والواو في ونحن عصبة واو الحال يعني انه يفضلهما
في المحبة علينا وهما اثنان صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة ونحن جماعة عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه
ونحن احق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما ان ابانا لفي ضلال مبين اي في ذهاب
عن طريق الصواب في ذلك والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا وقيل الى الاربعين سموا بذلك
لانهم جماعة تعصب بهم الامور ويستكفون النوايب وروى النزال بن سبرة عن علي رضي الله عنه
ونحن عصبة بالنصب وقيل معناه ونحن نجتمع عصبة وعن ابن الانباري هذا كما تقول العرب انما

ربك صح

العامري

العامري عمته اي يتعهد عمته اقتلوا يوسف من جملة ما حكي بعد قوله اذ قالوا كانهم اتفقوا على
ذلك الامر الا من قال لا تقتلوا يوسف وقيل الامر بالقتل شمعون وقيل دان والباقون كانوا راضين
فجعلوا امرين او اطرحوه ارضا ارضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها واخلائها من
الوصف ولابهامها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة يخل لكم وجه ابيكم يقبل عليكم بكليته
وحده لا يلتفت عنكم الى غيركم والمراد سلامة محبته لهم ممن يشاركهم فيها وينازعهم اياها فكان ذكر الوجه
لتصوير معنى اقباله عليهم لان الرجل اذا اقبل على الشي اقبل بوجهه ويجوز ان يراد بالوجه الذات كما قال
تعالى ويبقى وجه ربك وقيل يخل لكم يفرغ لكم من الشغل بيوسف وتكونوا من بعده من بعد يوسف
اي من بعد كفايته بالقتل او التغريب او يرجع الضمير الى مصدر اقتلوا او اطرحوا قوما صالحين تائبين
الى الله مما جنيتم عليه او يصلح ما بينكم وبين ابيكم بعذر تمهدونه او تصلح دنياكم وتنتظم اموركم بعده
بخلو وجه ابيكم وتكونوا اما مجزوم عطفا على يخل لكم واما منصوب باضمار ان والواو بمعنى مع كقوله
وتكتموا الحق قال قايل منهم لا تقتلوا يوسف هو يهوذا وكان احسنهم فيه رايا وهو الذي قال فلن
ابرح الارض حتى ياذن لي ابي قال لهم القتل عظيم والقوه في غيابة الجب في قعره وما غاب
منه عن عين الناظر واظلم من اسفله قال المنخل • وان انا يوما غيبتني غيابتي •
• فسيروا بسيري في العشيرة والاهل • اراد غيابة حفرته التي يدفن فيها وقرئ غيابات على الجمع وغيابات
بالتشديد وقرا الجحدري غيبة والجب البئر لم تطو لانه ارض تجب جبا لا غير يلتقطه ياخذه
بعض السيارة بعض الاقوام الذين يسيرون في الارض وقرئ تلتقطه بالتاء على المعنى لان بعض
السيارة سيارة لقوله كما شرقت صدر القناة من الدم ومنه ذهبت بعض اصابعه ان كنتم فاعلين
ان كنتم على ان تفعلوا ما يحصل به غرضكم فهذا هو الراي قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف
قرئ باظهار النونين وبالادغام باشمام وبغير اشمام وتيمنا بكسر التاء مع الادغام والمعنى
لم تخافنا عليه وانا له لناصحون ونحن نريد له الخير ونحبه ونشفق عليه وما وجدت منا في بابه ما يدل
على خلاف النصيحة والمقة وارادوا بذلك لما عزموا على كيد يوسف استنزاله عن رايه وعادته في حفظه
منهم وفيه دليل على انه احس منهم بما اوجب ان لا يامنهم عليه ارسله معنا غدا نرتع ونلعب وانا له
لحافظون نرتع نتسع في اكل الفواكه ونحوها واصل الرتعة الخصب والسعة وقرئ يرتع من
ارتعى يرتعي وقرئ يرتع ويلعب بالياء ويرتع من ارتع ماشيته وقرا العلاء بن سيابة يرتع
بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتدا فان قلت كيف استجاز لهم يعقوب عليه السلام
اللعب قلت كان لعبهم الاستباق والانتضال ليضروا انفسهم بما يحتاج اليه لقتال
العدو لا للهو بدليل قوله انا ذهبنا نستبق وانما سموه لعبا لانه في صورته قال اني ليحزنني ان
تذهبوا به واخاف ان ياكله الذيب وانتم عنه غافلون ليحزنني اللام لام الابتدا كقوله ان ربك
ليحكم بينهم ودخولها احد ما ذكره سيبويه من سببي المضارعة اعتذر اليهم بشيين احدهما
ان ذهابهم به ومفارقته اياه مما يحزنه لانه كان لا يصبر عنه ساعة والثاني خوفه عليه من عدوة
الذيب اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم او قل به اهتمامهم ولم تصدق بحفظه عنايتهم وقيل
راى في النوم ان الذيب قد شد على يوسف فكان يحذره فمن ثم قال ذلك فلقنهم العلة
وفي امثالهم البلا موكل بالمنطق وقرئ الذيب بالهمز على الاصل وبالتخفيف وقيل اشتقاقه
من تذاءبت الريح اذا اتت من كل جهة قالوا لئن اكله الذيب ونحن عصبة القسم محذوف تقديره
والله لئن اكله الذيب واللام موطئة للقسم وقوله انا اذا لخاسرون جواب للقسم مجزئ عن
جزاء الشرط والواو في ونحن عصبة واو الحال حلفوا له لئن كان ما خافه من خطفة الذيب اخاهم
من بينهم وحالهم انهم عشرة رجال بمثلهم تعصب الامور وتكفى الخطوب انهم اذا لقوم
خاسرون اي هالكون ضعفا وخورا وعجزا او مستحقون ان يهلكوا لانه لا غناء عندهم ولا
جدوى في حياتهم او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والدمار وان يقال خسرهم الله
ودمرهم حين اكل الذيب بعضهم وهم حاضرون وقيل ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا
اذا وخسرناها فان قلت قد اعتذر اليهم بعذرين فلم اجابوا عن احدهما دون الاخر قلت

سيارة صح

الطريق صح

هو الذي كان يغيظهم ويذيقهم لامرين فاعاروه آذانا صما ولم يعبأوا به فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب ان يجعلوه مفعول اجمعوا من قولك اجمع الامر وازمعه فاجمعوا امركم وفي غيابات الجب قيل هو بئر بيت المقدس وقيل بارض[2] مصر ومدين وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وجواب لما محذوف ومعناه فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روي انهم لما برزوا الى البرية اظهروا له العداوة[4] يهينونه ويضربونه وكلما استغاث بواحد منهم لم يغثه الا بالاهانة والضرب حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح يا ابتاه لو تعلم ما يصنع بابنك اولاد الاماء فقال يهوذا اما اعطيتموني موثقا ان لا تقتلوه فلما ارادوا القاءه في الجب تعلق بثيابهم فنزعوها من يديه فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به وانما نزعوه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم فقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تؤنسك ودلوه في البئر فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه فظن انها رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهوذا وكان يهوذا ياتيه بالطعام وروي ان ابراهيم عليه السلام حين القي في النار جرد عن ثيابه اتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة علقها في عنق يوسف فجاء جبريل فاخرجه والبسه اياه واوحينا اليه قيل اوحي اليه وهو في الصغر كما اوحي الى يحيى وعيسى عليهما السلام وقيل كان اذ ذاك مدركا وعن الحسن كان له سبع عشرة سنة لتنبئنهم بامرهم هذا اي لتحدثنهم بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو شانك وكبرياء سلطانك وبعد حالك عن اوهامهم ولطول العهد المبدل للهيئات والاشكال وذلك انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به والقيتموه في غيابة الجب وقلتم لابيكم اكله الذئب وبعتموه بثمن بخس ويجوز ان يتعلق وهم لا يشعرون بقوله واوحينا على انا آنسناه بالوحي وازلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون بذلك ويحسبون انه مرهق مستوحش لا انيس له وقرئ لننبئنهم بالنون على انه وعيد لهم وقوله وهم لا يشعرون متعلق باوحينا لا غير وجاءوا اباهم عشاء يبكون وعن الحسن عشيا على تصغير عشي[7] لقيته عشيا وعشيانا واصيلا واصيلانا ورواه ابن جني عشى بضم العين والقصر وقال عشوا من البكاء وروي ان امراة حاكمت الى شريح فبكت فقال له الشعبي يا ابا امية اما تراها تبكي فقال قد جاء اخوة يوسف يبكون وهم ظلمة ولا ينبغي لاحد ان يقضي الا بما امر ان يقضي به من السنة المرضية وروي انه لما سمع صوتهم فزع وقال ما لكم يا بني هل اصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فما لكم واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق اي نتسابق والافتعال والتفاعل يشتركان كالانتضال والتناضل والارتماء والترامي وغير ذلك والمعنى نتسابق في العدو او في الرمي وجاء في التفسير ننتضل وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا بمصدق لنا ولو كنا صادقين ولو كنا عندك من اهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وانت سيء الظن بنا غير واثق بقولنا وجاءوا على قميصه بدم كذب ذي كذب او وصف بالمصدر مبالغة كانه نفس الكذب وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته ونحوه فهن به جود وانتم به بخل وقرئ كذبا نصبا على الحال بمعنى جاءوا به كاذبين ويجوز ان يكون مفعولا له وقرات عائشة كدب بالدال غير المعجمة اي كدر وقيل طري وقال ابن جني اصله من الكدب وهو الفوف البياض الذي يخرج على اظفار الاحداث كانه دم قد اثر في قميصه روي انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم ان يمزقوه وروي ان يعقوب عليه السلام لما سمع بخبر يوسف صاح باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رايت ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه[9] وقيل كان في قميص يوسف عليه السلام ثلاث آيات كان دليلا ليعقوب على كذبهم والقاه على وجهه

[2] الاردن وقيل بين صح

[4] واخذوا

[7] يقال صح

[9] كما يوهم صح

فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف حين قد من دبر فان قلت على قميصه ما محله قلت محله النصب على الظرف كانه قيل وجاءوا فوق قميصه بدم كذب كما تقول جاء على جماله باحمال فان قلت هل يجوز ان يكون حالا متقدمة قلت لا لان حال المجرور لا يتقدم عليه قال بل سولت لكم انفسكم امرا سولت سهلت من السول وهو الاسترخاء اي سهلت لكم انفسكم امرا عظيما ارتكبتموه من يوسف وهونته في اعينكم استدل على فعلهم به بما كان يعرف من حسدهم وبسلامة القميص او اوحي اليه بانهم قصدوه فصبر جميل خبر او مبتدا لكونه موصوفا اي فامري صبر جميل او فصبر جميل امثل وفي قراءة ابي فصبرا جميلا والصبر الجميل جاء في الحديث المرفوع انه الذي لا شكوى فيه ومعناه لا شكوى فيه الى الخلق الا ترى الى قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله وقيل لا اعايشكم على كآبة الوجه بل اكون لكم كما كنت وقيل سقط حاجبا يعقوب على عينيه وكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله اليه يا يعقوب تشكوني قال يا رب خطيئة فاغفرها لي والله المستعان على ما تصفون اي استعينه على احتمال ما تصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه وجاءت سيارة رفقة تسير من قبل مدين الى مصر وذلك بعد ثلاثة ايام من القاء يوسف في الجب فاخطؤا الطريق فنزلوا قريبا منه وكان الجب في قفرة بعيدة من العمران لم يكن الا للرعاة وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين القي فيه يوسف عليه السلام فارسلوا واردهم فارسلوا رجلا يقال له مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الماء والوارد الذي يرد الماء ليستقي للقوم فادلى دلوه قال يا بشراي هذا غلام نادى البشرى كانه يقول تعالي فهذا من آونتك وقرئ يا بشراي على اضافتها الى نفسه وفي قراءة الحسن وغيره يا بشري بالياء مكان الالف جعلت الياء بمنزلة الكسرة قبل ياء الاضافة وهي لغة للعرب مشهورة سمعت اهل السروات يقولون في دعائهم يا سيدي وموليّ وعن نافع يا بشراي بالسكون وليس بالوجه لما فيه من التقاء الساكنين على غير حده الا ان يقصد الوقف قيل لما ادلى دلوه اي ارسلها في الجب تعلق يوسف بالحبل فلما خرج اذا هو بغلام احسن ما يكون فقال يا بشراي هذا غلام وقيل ذهب به فلما دنا من اصحابه صاح بذلك يبشرهم به واسروه بضاعة الضمير للوارد واصحابه اخفوه من الرفقة وقيل اخفوا امره ووجدانهم له في الجب وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وعن ابن عباس الضمير لاخوة يوسف وانهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد ابق فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه وبضاعة نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة والبضاعة ما بضع من المال للتجارة اي قطع والله عليم بما يعملون لم يخف عليه اسرارهم وهو وعيد لهم حيث استبضعوا ما ليس لهم او والله عليم بما يعمل اخوة يوسف بابيهم واخيهم من سوء الصنيع وشروه وباعوه بثمن بخس مبخوس ناقص عن القيمة نقصانا ظاهرا او زيف ناقص العيار دراهم لا دنانير معدودة قليلة تعد عدا ولا توزن وزنا لانهم كانوا لا يزنون الا ما بلغ الاوقية وهي الاربعون ويعدون ما دونها وقيل للقليلة معدودة لان الكثيرة يمتنع من عدها لكثرتها وعن ابن عباس كانت عشرين درهما وعن السدي اثنين وعشرين وكانوا فيه من الزاهدين ممن يرغب عما في يده فيبيعه بما طف من الثمن لانهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به لا يبالي بما باعه ولانه يخاف ان يعرض له مستحق ينتزعه من يده فيبيعه من اول مساوم باوكس الثمن ويجوز ان يكون معنى وشروه واشتروه يعني الرفقة من اخوته وكانوا فيه من الزاهدين لانهم اعتقدوا انه آبق فخافوا ان يخطروا بمالهم فيه وروي ان اخوته اتبعوهم يقولون استوثقوا منه لا يابق وفيه ليس من صلة الزاهدين لان الصلة لا تتقدم على الموصول الا تراك لا تقول وكانوا زيدا من الضاربين وانما هو بيان كانه قيل في اي شيء زهدوا فقال زهدوا فيه وقال الذي اشتراه من مصر قيل هو قطفير او اطفير وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق وقد آمن بيوسف ومات في حياة يوسف فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف الى الاسلام فابى واشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة واقام في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره ريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة واتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك في ايام فرعون موسى عاش اربعمائة سنة بدليل قوله ولقد جاءكم

يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف وقيل اشتراه العزيز بعشرين دينارا
وزوجي نعل وثوبين ابيضين وقيل ادخلوه السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه
مسكا وورقا وحريرا فابتاعه قطفير بذلك المبلغ لامراته اكرمي مثواه اجعلي منزله ومقامه عندنا
كريما اي حسنا مرضيا بدليل قوله تعالى انه ربي احسن مثواي والمراد تفقديه بالاحسان وتعهديه
بحسن الملكة حتى تكون نفسه طيبة في صحبتنا ساكنة في كنفنا ويقال للرجل كيف ابو مثواك
وام مثواك لمن ينزل به من رجل او امراة يراد هل تطيب نفسك بثوائك عنده وهل يراعي حق نزولك
به واللام في لامراته متعلقة بقال لا باشتراه عسى ان ينفعنا لعله اذا تدرب وراض الامور
وفهم مجاريها نستظهر به على ما نحن بسبيله فينفعنا فيه بكفايته وامانته او نتخذه ولدا
او نتبناه ونقيمه مقام الولد وكان قطفير عقيما لا يولد له وقد تفرس فيه الرشد فقال ذلك وقيل
افرس الناس ثلاثة العزيز حين تفرس في يوسف فقال لامراته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا والمراة
التي اتت موسى وقالت لابيها يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف عمر رضي الله عنهما وروي انه سأله
عن نفسه فاخبره بنسبه فعرفه وكذلك الاشارة الى ما تقدم من انجائه وعطف قلب العزيز عليه
والكاف منصوب تقديره ومثل ذلك الانجاء والعطف مكنا له اي كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز
كذلك مكنا ليوسف في الارض في ارض مصر وجعلناه ملكا يتصرف فيها بامره ونهيه ولنعلمه من
تاويل الاحاديث كان ذلك الانجاء والتمكين لان غرضنا ليس الا ما تحمد عاقبته من علم وعمل
والله غالب على امره اي على امر نفسه لا يمنع عما يشاء ولا ينازع ما يريد ويقضي او على امر يوسف
يدبره لا يكله الى غيره فقد اراد اخوته به ما ارادوا ولم يكن الا ما اراد الله ودبره ولكن اكثر الناس
لا يعلمون ان الامر كله بيد الله ولما بلغ اشده قيل في الاشد ثماني عشرة سنة وعشرون وثلاث
وثلاثون واربعون وقيل اقصاه ثنتان وستون آتيناه حكما حكمة وهو العلم بالعمل واجتناب
ما يجهل فيه وقيل حكما بين الناس وعلما يعني فقها وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه كان محسنا في عمله
متقيا في عنفوان امره وان الله آتاه الحكم والعلم جزاء على احسانه وعن الحسن من احسن عبادة ربه
في شبيبته آتاه الله الحكمة في اكتهاله وراودته التي هو في بيتها عن نفسه المراودة مفاعلة من راد
يرود اذا جاء وذهب كان المعنى خادعته عن نفسه اي فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء
الذي لا يريد ان يخرجه من يده يحتال ان يغلبه وياخذه منه وهي عبارة عن التمحل لمواقعته اياها وغلقت
الابواب قيل كانت سبعة وقالت هيت لك قرئ هيت بفتح الها وكسرها مع فتح التاء وبناؤه
كبناء اين وعيط وهيت كجير وهيت كحيث وهئت بمعنى تهيأت يقال هاء يهيء كجاء يجيء اذا تهيأ
وهيئت لك واللام صلة الفعل واما في الاصوات فللبيان كانه قيل لك اقول هذا كما تقول
هلم لك قال معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه ان الشان والحديث ربي سيدي ومالكي يريد
قطفير احسن مثواي حين قال لك اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخلفه في اهله سوء الخلافة فيه واخونه
فيهم انه لا يفلح الظالمون الذين يجازون الحسن بالسيء وقيل اراد الزناة قال عمرو بن ضابي

هممت ولم افعل وكدت وليتني   تركت على عثمان تبكي حلائله

ومنه قولك لا افعل ذلك ولا كيدا ولا هما اي ولا اكاد ان افعله كيدا ولا اهم بفعله هما حكاه سيبويه
ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بامر امضاه ولم ينكل عنه وقوله ولقد همت به معناه ولقد همت
بمخالطته وهم بها وهم بمخالطتها لولا ان راى برهان ربه جوابه محذوف تقديره لولا ان راى برهان
ربه لخالطها وحذف لان قوله وهم بها يدل عليه كقولك هممت بقتله لولا اني خفت الله معناه لولا
اني خفت الله لقتلته فان قلت كيف جاز على نبي الله ان يكون منه هم بالمعصية وقصد اليها
قلت المراد ان نفسه مالت الى المخالطة ونازعت اليها عن شهوة الشباب وقرمه ميلا يشبه
الهم به والقصد اليه وكما تقتضيه صورة تلك الحال التي تكاد تذهب بالعقول والعزائم وهو يكسر
ما به ويرده بالنظر في برهان الله المأخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم ولو لم يكن ذلك الشديد
المسمى هما لشدته لما كان صاحبه ممدوحا عند الله بالامتناع لان استعظام الصبر على الابتلاء
على حسب عظم الابتلاء وشدته ولو كان همه كهمها عن عزيمة لما مدحه الله بانه من عباده المخلصين

بعض

التجمل صح

لانهم ظالمون انفسهم وقيل اراد الله تعالى
لانه مسبب الاسباب ولقد همت به هم بالامر
اذا قصده وعزم عليه صح

ويجوز ان يريد بقوله وهم بها وشارف ان يهم بها كما يقول الرجل قتلته لو لم اخف الله يريد مشارفة
القتل ومشافهته كانه شرع فيه فان قلت قوله وهم بها داخل تحت حكم القسم في قوله
ولقد همت به ام هو خارج منه قلت الامران جائزان ومن حق القارئ اذا قدر خروجه من حكم
القسم وجعله كلاما برأسه ان يقف على قوله ولقد همت به ويبتدئ قوله وهم بها لولا ان راى برهان ربه
وفيه ايضا اشعار بالفرق بين الهمين فان قلت لم جعلت جواب لولا محذوفا يدل عليه هم بها
وهلا جعلته هو الجواب مقدما قلت لان لولا لا يتقدم عليها جوابها من قبل انه في حكم الشرط وللشرط
صدر الكلام وهو مع ما في حيزه من الجملتين مثل كلمة واحدة ولا يجوز تقديم بعض الكلمة على بعض
واما حذف بعضها اذا دل الدليل عليه فجائز فان قلت فلم جعلت لولا متعلقة بهم بها وحده
ولم تجعلها متعلقة بجملة قوله ولقد همت به وهم بها لان الهم لا يتعلق بالجواهر ولكن بالمعاني فلا
بد من تقدير المخالطة والمخالطة لا تكون الا من اثنين معا فكانه قيل ولقد هما بالمخالطة لولا ان منع
مانع احدهما قلت نعم ما قلت ولكن الله سبحانه جاء بالهمين على سبيل التفصيل حيث قال
ولقد همت به وهم بها فكان اغفاله العاطف له موجبا ان يكون التقدير ولقد همت بمخالطته وهم بمخالطتها
على ان المراد بالمخالطتين توصلها الى ما هو حظها من قضاء شهوتها منه وتوصله الى ما هو حظه من
قضاء شهوته منها لولا ان راى برهان ربه فترك التوصل الى حظه من الشهوة فلذلك كانت لولا حقيقة
بان تعلق بهم بها وحده وقد فسر هم يوسف بانه حل الهميان وجلس منها مجلس المجامع وبانه حل تكة
سراويله وقعد بين شعبها الاربع وهي مستلقية على قفاها وفسر البرهان بانه سمع صوتا اياك
واياها فلم يكترث له فسمعه ثانيا فلم يعمل به فسمع ثالثا اعرض عنها فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب
عاضا على انملته وقيل ضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من انامله وقيل كل ولد يعقوب له
اثنا عشر ولدا الا يوسف فانه ولد له احد عشر ولدا من اجل ما نقص من شهوته حين هم وقيل
صيح به يا يوسف لا تكن كالطائر كان له ريش فلما زنا قعد لا ريش له وقيل بدت كف فيما بينهما
ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم رأى فيها
ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم رأى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى
الله فلم ينجع فيه فقال الله لجبريل ادرك عبدي قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبريل وهو
يقول يا يوسف اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب في ديوان الانبياء وقيل رأى تمثال العزيز
وقيل قامت المراة الى صنم هناك فسترته فقالت استحيي ان يرانا فقال يوسف استحييت ممن
لا يسمع ولا يبصر ولا استحيي من السميع البصير العليم بذوات الصدور وهذا ونحوه مما يورده
اهل الحشو والجبر الذين دينهم بهت الله وانبيائه واهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم
ورواياتهم بحمد الله بسبيل ولو وجدت من يوسف عليه السلام ادنى زلة لنعيت عليه وذكرت
توبته واستغفاره كما نعيت على آدم زلته وعلى داود وعلى نوح وعلى ايوب وعلى ذي النون
عليهم السلام وذكرت توبتهم واستغفارهم كيف وقد اثني عليه وسمي مخلصا فعلم بالقطع
انه ثبت في ذلك المقام الدحض وانه جاهد نفسه مجاهدة اولي القوة والعزم ناظرا في
دليل التحريم ووجه القبح حتى استحق من الله الثناء فيما انزل من كتب الاولين ثم في القرآن
الذي هو حجة على سائر كتبه ومصداق لها ولم يقتصر الا على استيفاء قصته وضرب سورة
كاملة عليها ليجعل له لسان صدق في الآخرين كما جعله لجده الخليل ابراهيم عليه السلام وليقتدي
به الصالحون الى آخر الدهر في العفة وطيب الازار والتثبت في مواقف العثار فاخزى الله
اولئك في ايرادهم ما يؤدي الى ان يكون انزال الله السورة التي هي احسن القصص في القرآن العربي
المبين ليقتدي بنبي من انبياء الله في القعود بين شعب الزانية وفي حل تكته للوقوع عليها
وفي ان ينهاه ربه ثلاث كرات ويصاح به من عنده ثلاث صيحات بقوارع القرآن وبالتوبيخ
العظيم وبالوعيد الشديد وبالتشبيه بالطائر الذي سقط ريشه حين سفد غير انثاه
وهو جاثم في مربضه لا يتحلحل ولا ينتهي ولا ينتبه حتى يتداركه الله بجبريل وباجباره ولو ان
اوقح الزناة واشطرهم واحدهم حدقة واجلحهم وجها لقي بادنى ما لقي به نبي الله مما ذكروا لما بقي له

ان

عليه السلام صح

عرق ينبض ولا عضو يتحرك فيا له من مذهب ما افحشه ومن ضلال ما ابينه كذلك الكاف منصوب
المحل اي ذلك التثبيت ثبتناه او مرفوعه اي الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء من خيانة السيد
والفحشاء من الزنى انه من عبادنا المخلصين الذين اخلصوا دينهم لله وبالفتح الذين اخلصهم الله لطاعته
بان عصمهم ويجوز ان يريد بالسوء مقدمات الفاحشة من القبلة والنظر بشهوة ونحو ذلك وقوله
من عبادنا معناه بعض عبادنا اي هو مخلص من جملة المخلصين او هو ناشئ منهم لانه من ذرية ابراهيم
الذين قال فيهم انا اخلصناهم بخالصة واستبقا الباب وتسابقا الى الباب على حذف الجار وايصال الفعل
كقوله واختار موسى قومه او على تضمين استبقا معنى ابتدرا نفر منها يوسف فاسرع يريد الباب ليخرج
واسرعت وراءه لتمنعه الخروج فان قلت كيف وحد الباب وقد جمعه في قوله وغلقت الابواب قلت
اراد الباب البراني الذي هو المخرج من الدار والمخلص وروي كعب انه لما هرب يوسف جعل فراش القفل
يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب وقدت قميصه من دبر اجتذبته من خلفه فانقد اي انشق حين هرب
منها الى الباب وتبعته تمنعه والفيا سيدها وصادفا بعلها لدى الباب وهو قطفير تقول المراة
لبعلها سيدي وقيل انما لم يقل سيدهما لان ملك يوسف لم يصح فلم يكن سيدا له على الحقيقة قيل
الفياه مقبلا يريد ان يدخل وقيل جالسا مع ابن عم المراة قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان
يسجن او عذاب اليم لما اطلع منها زوجها على تلك الهيئة المريبة وهي مغتاظة على يوسف اذ لم يؤاتها
جاءت بحيلة جمعت فيها غرضيها وهما تبرئة ساحتها عند زوجها من الريبة والغضب على يوسف وتخويفه
طمعا في ان يؤاتيها خيفة منها ومن مكرها وكرها لما ايست من مؤاتاته طوعا الا ترى الى قولها ولئن لم
يفعل ما امره ليسجنن وما نافية اي ليس جزاؤه الا السجن ولا يجوز ان تكون استفهامية بمعنى اي
~~شيء جزاؤه الا السجن ولا يجوز ان تكون استفهامية بمعنى اي شيء جزاؤه الا السجن~~ كما تقول من في الدار
الا زيد فان قلت لم لم تصرح في قولها بذكر يوسف وانه اراد بها سوءا قلت قصدت
العموم وان كل من اراد باهلك سوءا فحقه ان يسجن او يعذب لان ذلك ابلغ فيما قصدت من تخويف يوسف
وقيل العذاب الاليم الضرب بالسياط قال هي راودتني عن نفسي لما اغرت به وعرضته للسجن
والعذاب وجب عليه الدفع عن نفسه فقال هي راودتني عن نفسي ولولا ذلك لكتم عليها وشهد
شاهد من اهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر
فكذبت وهو من الصادقين قيل كان الشاهد ابن عم لها وانما القى الله الشهادة على لسان من هو من اهلها
لتكون اوجب للحجة عليها واوثق لبراءة يوسف وانفى للتهمة عنه وقيل هو الذي كان جالسا مع زوجها
لدى الباب وقيل كان حكيما يرجع اليه الملك ويستشيره ويجوز ان يكون بعض اهلها كان في الدار
فبصر بها من حيث لا تشعر فاغضبه الله ليوسف بالشهادة له والقيام بالحق وقيل كان ابن خال لها
في المهد صبيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف
وصاحب جريج وعيسى عليه السلام فان قلت لم سمي قوله شهادة وما هو بلفظ الشهادة
قلت لما ادى مؤدى الشهادة في ان ثبت به قول يوسف وبطل قولها سمي شهادة
فان قلت الجملة الشرطية كيف جازت حكايتها بعد فعل الشهادة قلت لانها نوع
من القول او على ارادة القول كانه قيل وشهد شاهد فقال ان كان قميصه فان قلت
ان دل قد قميصه من دبر على انها كاذبة فانها هي التي تبعته واجتذبت ثوبه اليها فقدته فمن اين دل
قده من قبل على انها صادقة وانه كان تابعها قلت من وجهين احدهما انه اذا كان تابعها وهي
دافعته عن نفسها قدت قميصه من قدامه بالدفع والثاني ان يسرع خلفها ليلحقها فيتعثر في مقادم
قميصه فيشقه وقرئ من قبل ومن دبر على مذهب الغايات والمعنى من قبل القميص ومن دبره واما
التنكير فمعناه من جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر وعن ابن ابي اسحق انه قرا من قبل ومن
دبر بالفتح كانه جعلها علمين للجهتين فمنعهما الصرف للعلمية والتانيث وقرئا بسكون العين فان
قلت كيف جاز الجمع بين ان الذي هو للاستقبال وبين كان قلت لان المعنى ان
يعلم انه كان قميصه قد ونحوه قولك ان احسنت الي فقد احسنت اليك من قبل لمن يمتن عليك باحسان
تريد ان تمتن على امتنانه عليك فلما راى يعني قطفير قميصه قد من دبر وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها

من العار فقد صح

قال انه ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان هذا الامر وهو طمعها في يوسف من كيدكن ان كيدكن عظيم
الخطاب لها ولامثالها او لها ولامتها وانما استعظم كيد النساء لانه وان كان في الرجال الا ان النساء الطف كيدا وانفذ حيلة
ولهن في ذلك نيقة ورفق وبذلك يغلبن الرجال ومنه قوله ومن شر النفاثات في العقد والقصر
يات منهن معهن ما ليس مع غيرهن من البوائق وعن بعض العلماء انا اخاف من النساء اكثر مما اخاف من
الشيطان لان الله تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن عظيم يوسف حذف
منه حرف النداء لانه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله اعرض عن هذا الامر واكتمه
ولا تحدث به واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين من جملة القوم المتعمدين للذنب يقال خطئ اذا
اذنب متعمدا وانما قال من الخاطئين بلفظ التذكير تغليبا للذكور على الاناث وما كان العزيز الا رجلا
حليما وروي انه كان قليل الغيرة وقال نسوة وقال جماعة من النساء وكن خمسا امراة الساقي وامراة
الخباز وامراة صاحب الدواب وامراة صاحب السجن وامراة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المراة وتانيثه
غير حقيقي كتانيث اللمة ولذلك لم تلحق فعله تاء التانيث وفيه لغتان كسر النون وضمها في المدينة
في مصر امراة العزيز يريدن قطفير والعزيز الملك بلسان العرب تراود فتاها غلامها يقال فتاي
وفتاتي اي غلامي وجاريتي عن نفسه قد شغفها حبا خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل الى
الفؤاد والشغاف حجاب القلب وقيل جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب قال النابغة

وقد حال هم دون ذلك والج • مكان الشغاف تبتغيه الاصابع •

وقرئ شعفها بالعين من شعف البعير اذا هنأه فاحرقه بالقطران قال

كما شعف المهنوءة الرجل الطالي • وحبا نصب على التمييز انا لنراها في ضلال مبين في خطا وبعد
عن طريق الصواب فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وسوء قالتهن وقولهن امراة العزيز عشقت
عبدها الكنعاني ومقتها وسمي الاغتياب مكرا لانه في خفية وحال غيبة كما يخفي الماكر مكره وقيل
كانت استكتمتهن سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن دعتهن قيل دعت اربعين امراة منهن الخمس المذكورات
واعتدت لهن متكا ما يتكئن عليه من نمارق واتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فقصدت
بتلك الهيئة وهن قعود متكئات والسكاكين في ايديهن ان يدهشن ويبهتن عند رؤيته ويشغلن عن
نفوسهن فتقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها لان المتكئ اذا بهت لشيء وقعت يده على يده ولا يبعد
ان تقصد الجمع بين المكر به وبهن فتضع الخناجر في ايديهن ليقطعن ايديهن فتبكتهن بالحجة وتهول
يوسف من مكرها اذا خرج على اربعين نسوة مجتمعات في ايديهن الخناجر توهمه انهن يثبن عليه
وقيل متكا مجلس طعام لانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك
نهي ان ياكل الرجل متكئا واتتهن السكاكين ليعالجن بها ما ياكلن وقيل متكا طعاما من قولك اتكانا عند
فلان طعمنا على سبيل الكناية لان من دعوته ليطعم عندك اتخذت له تكاة يتكئ عليها قال جميل

فظللنا بنعمة واتكانا • وشربنا الحلال من قلله •

وعن مجاهد متكا طعاما يحز حزا كان المعنى يعتمد بالسكين لان القاطع يتكئ على المقطوع بالسكين وقرئ
متكا بغير همز وعن الحسن متكاء بالمد كانه مفتعال وذلك لاشباع فتحة الكاف كقوله بمنتزاح بمعنى
بمنتزح وينباع بمعنى ينبع وقرئ متكا وهو الاترج وانشد

فاهدت متكة لبني ابيها • تخب بها العثمثمة الوقاح •

وكانت اهدت اترجة على ناقة وكانها الاترجة التي ذكرها ابو داود في سننه انها شقت بنصفين
وحملا كالعدلين على جمل وقيل الزماورد وعن وهب اترجا وموزا وبطيخا وقيل عنبت لانه
ما يقطع من متك الشيء بمعنى بتكه اذا قطعه وقرا الاعرج متكا مفعلا من تكئ يتكا اذا اتكا
فلما راينه اكبرنه اعظمنه وهبن ذلك الحسن الرائع والجمال الفائق وقيل كان فضل يوسف على الناس
في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء وعن النبي صلى الله عليه وسلم مررت بيوسف الليلة
التي عرج بي الى السماء فقلت لجبريل من هذا فقال يوسف فقيل يا رسول الله كيف رايته قال كالقمر
ليلة البدر وقيل كان يوسف اذا سار في ازقة مصر يرى تلالؤ وجهه على الجدران كما يرى نور
الشمس من الماء عليها وقيل ما كان احد يستطيع وصف يوسف وقيل كان يشبه ادم يوم خلقه ربه

وقيل ورث الجمال من جدته سارة وقيل اكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت يقال اكبرت المراة اذا حاضت وحقيقته دخلت في الكبر لانها بالحيض تخرج من حد الصغر الى حد الكبر وكان ابي الطيب المتنبي اخذ من هذا التفسير قوله

خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت في الخدور العواتق

وقطعن ايديهن جرحنها كما تقول كنت اقطع اللحم فقطعت يدي تريد جرحتها وقلن حاش لله حاشا كلمة تفيد التنزيه في باب الاستثناء تقول اساء القوم حاشا زيد وقال

حاشا ابي ثوبان ان به ضنا عن الملحاة والشتم

وهي حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة فمعنى حاشا لله براءة الله وتنزيه الله وهي قراءة ابن مسعود على اضافة البراءة ومن قرا حاشا لله فنحو قولك سقيا لك كانه قال براءة ثم قال لله لبيان من يبرا وينزه والدليل على تنزيل حاشا منزلة المصدر قراءة ابي السمال حاشا لله بالتنوين وقراءة ابي عمرو حاش لله بحذف الالف الاخرة وقرا الاعمش حش لله بحذف الالف الاولى وقرئ حاش لله بسكون الشين على ان الفتحة اتبعت الالف في الاسقاط وهي ضعيفة لما فيها من التقاء الساكنين على غير حده وقرئ حاشا الاله فان قلت فلم جاز في حاشا لله ان لا ينون بعد اجرائه مجرى براءة لله قلت مراعاة لاصله الذي هو الحرفية الا ترى الى قولهم جلست من عن يمينه كيف تركوا عن غير معرب على اصله وعلى في قوله غدت من عليه منقلب الالف الى الياء مع الضمير والمعنى تنزيه الله تعالى من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله واما قوله حاش لله ما علمنا عليه من سوء فالتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم نفين عنه البشرية لغرابة جماله ومباعدة حسنه لما عليه محاسن الصور واثبتن له الملكية وبتتن بها الحكم وذلك لان الله عز وجل ركز في الطباع ان لا احسن من الملك كما ركز فيها ان لا اقبح من الشيطان ولذلك يشبه كل متناه في الحسن والقبح بهما وما ركز ذلك فيها الا لان الحقيقة كذلك كما ركز في الطباع ان لا ادخل في الشر من الشياطين ولا اجمع للخير من الملائكة الا ما عليه الفئة الخاسئة المجبرة من تفضيل الانسان على الملك وما هو الا من تعكيسهم للحقائق وجحودهم للعلوم الضرورية ومكابرتهم في كل باب واعمال ما على ليس هي اللغة القدمى الحجازية وبها ورد القران ومنها قوله تعالى ما هن امهاتهم ومن قرا على سليقته من بني تميم قرا بشر بالرفع وهي قراءة ابن مسعود وقرئ ما هذا بشرى اي ما هو بعبد مملوك لئيم ان هذا الا ملك كريم تقول هذا بشرى اي حاصل بشرى بمعنى هذا مشترى وتقول هذا لك بشرى ام بكري والقراءة هي الاولى لموافقتها المصحف ومطابقة بشر لملك قالت فذلكن الذي لمتنني فيه قالت فذلكن ولم تقل فهذا وهو حاضر رفعا لمنزلته في الحسن واستحقاق ان يحب ويفتتن به وربا بحاله واستبعادا لمحله ويجوز ان يكون اشارة الى المعنى بقولهن عشقت عبدها الكنعاني تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في انفسكن ثم لمتنني فيه تعني انكن لم تصورنه بحق صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني في الافتتان به ولقد راودته عن نفسه فاستعصم الاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كانه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها ونحوه استمسك واستوسع الفتق واستجمع الراي واستفحل الخطب وهذا بيان لما كان من يوسف عليه السلام لا مزيد عليه وبرهان لا شيء انور منه على انه بريء مما اضاف اليه اهل الحشو مما فسروا به الهم والبرهان ولئن لم يفعل ما امره ليسجنن وليكونا من الصاغرين فان قلت الضمير في امره راجع الى الموصول ام الى يوسف قلت بل الى الموصول والمعنى ما امر به فحذف الجار كما في قوله امرتك الخير ويجوز ان تجعل ما مصدرية فيرجع الى يوسف ومعناه ولئن لم يفعل امري اياه اي موجب امري ومقتضاه وقرئ وليكونن بالتشديد والتخفيف والتخفيف اولى لان النون كتبت في المصحف الفا على حكم الوقف وذلك لا يكون الا في الخفيفة قال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه وقرئ السجن بالفتح وقال يدعونني على اسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن تنصحن له وزين له مطاوعتها وقلن له اياك والقاء نفسك في السجن والصغار فالتجا الى ربه عند ذلك وقال رب نزول السجن احب الي من ركوب المعصية فان قلت نزول السجن مشقة على النفس شديدة وما دعونه اليه لذة عظيمة فكيف كانت المشقة احب اليه من اللذة قلت كانت احب اليه

وانزعنه نظرا في حسن الصبر على احتمالها لوجه الله وفي قبح المعصية وفي عاقبة كل واحدة منهما لا نظرا في مشتهى النفس ومكروهها والا تصرف عني كيدهن فزع منه الى الطاف الله وعصمته كعادة الانبياء والصالحين فيما عزم عليه ووطن عليه نفسه من الصبر لا ان يطلب منه الاجبار على التعفف والالجاء اليه اصب اليهن امل اليهن والصبوة الميل الى الهوى ومنها الصبا لان النفوس تصبو اليها لطيب نسيمها وروحها وقرئ اصب اليهن من الصبابة واكن من الجاهلين من الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو ومن لا يعلم سواء او من السفهاء لان الحكيم لا يفعل القبيح وانما ذكر الاستجابة ولم يتقدم الدعاء لان قوله والا تصرف عني فيه معنى طلب الصرف والدعاء باللطف فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع لدعوات الملتجئين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم من بعد ما راوا الايات بدا لهم فاعله مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه والمعنى بدا لهم بداء اي ظهر لهم راي ليسجننه والضمير في لهم للعزيز واهله من بعد ما راوا الايات وهي الشواهد على براءته وما كان ذلك الا باستنزال المراة لزوجها وفتلها منه في الذروة والغارب وكان مطواعة لها وجميلا ذلولا زمامه في يدها حتى انساه ذلك ما عاين من الايات وعمل برايها في سجنه والحاق الصغار به كما اوعدته به وذلك لما ايست من طاعته لها واطمعها في ان يذللة السجن ويسخره لها وفي قراءة الحسن لتسجننه بالتاء على الخطاب خاطب به بعضهم العزيز ومن يليه او العزيز وحده على وجه التعظيم حتى حين الى زمان كانها اقترحت ان يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه وفي قراءة ابن مسعود عتى حين وهي لغة هذيل وعن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا يقرا عتى حين فقال من اقراك قال ابن مسعود فكتب اليه ان الله عز وجل انزل هذا القران فجعله عربيا وانزله بلغة قريش فاقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل والسلام ودخل معه السجن مع يدل على الصحبة واستحداثها تقول خرجت مع الامير تريد مصاحبا له فيجب ان يكون دخولهما السجن مصاحبين له فتيان عبدان للملك خبازه وشرابيه رقي اليه انهما يسمانه فامر بهما الى السجن فادخلا السجن ساعة ادخل يوسف قال احدهما اني اراني يعني في المنام وهي حكاية حال ماضية اعصر خمرا يعني عنبا تسمية للعنب بما يؤول اليه وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب وفي قراءة ابن مسعود اعصر عنبا وقال الاخر اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير منه نبئنا بتاويله انا نراك من المحسنين من الذين يحسنون عبارة الرؤيا اي يجيدونها رايناه يقص عليه بعض اهل السجن رؤياه فيؤولها له فقالا له ذلك او من العلماء لانهما سمعاه يذكر للناس ما علما به انه عالم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بان تفرج عنا الغمة بتاويل ما رايناه ان كانت لك يد في تاويل الرؤيا روي انه كان اذا مرض رجل منهم قام عليه واذا ضاق اوسع له واذا احتاج جمع له وعن قتادة كان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا اصبروا تؤجروا ان لهذا لاجرا فقالوا بارك الله عليك ما احسن وجهك وما احسن خلقك لقد بورك لنا في جوارك فمن انت يا فتى فقال يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابراهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكني احسن جوارك فكن في اي بيوت السجن شئت وروي ان الفتيين قالا له انا لنحبك من حين رايناك فقال انشدكما بالله ان لا تحباني فوالله ما احبني احد قط الا دخل علي من حبه بلاء لقد احبتني عمتي فدخل علي من حبها بلاء ثم احبني ابي فدخل علي من حبه بلاء ثم احبتني زوجة صاحبي فدخل علي من حبها بلاء فلا تحباني بارك الله فيكما وعن الشعبي انهما تحالما له ليمتحناه فقال الشرابي اني اراني في بستان فاذا باصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطفتها وعصرتها في كاس الملك وسقيته وقال الخباز اني اراني وفوق راسي ثلاث سلال فيها انواع الاطعمة فاذا سباع الطير تنهش منها فان قلت الام يرجع الضمير في قوله نبئنا بتاويله قلت الى ما قصا عليه والضمير يجري مجرى اسم الاشارة في نحو كانه قيل نبئنا بتاويل ذلك قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله قبل ان ياتيكما لما استعبراه ووصفاه بالاحسان افترص ذلك فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو الاخبار بالغيب وانه ينبئهما بما يحمل اليهما من الطعام في السجن

اليوم صح

قبل ان يأتيهما ويصفه لهما ويقول يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت فتجدانه كما اخبرهما وجعل ذلك تخلصا
الى ان يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الايمان ويزينه لهما ويقبح اليهما الشرك بالله وهذه طريقة على كل
ذي علم ان يسلكها مع الجهال٧ الى ما هو اولى به واوجب عليه مما استفتي فيه ثم يفتيه بعد ذلك
وفيه ان العالم اذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه ان يقتبس
وينتفع به في الدين لم يكن من باب التزكية بتأويله ببيان ماهيته وكيفيته لان ذلك يشبه
تفسير المشكل والاعراب عن معناه ذلكما اشارة لهما الى التأويل اي ذلك التأويل والاخبار
بالمغيبات مما علمني ربي واوحى به الي ولم اقله عن تكهن وتنجم اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم
بالآخرة هم كافرون واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحاق ويعقوب اني تركت يجوز ان يكون الكلام
مبتدأ وان يكون تعليلا لما قبله اي علمني ذلك واوحى الي لاني رفضت ملة اولئك واتبعت ملة
الانبياء المذكورين وهي الملة الحنيفية واراد باولئك الذين لا يؤمنون اهل مصر ومن كان الفتيان
على دينهم وتكرير هم للدلالة على انهم خصوصا كافرون بالآخرة وان غيرهم كانوا قوما مؤمنين بها وهم
الذين على ملة ابراهيم ولتوكيد كفرهم بالجزاء تنبيها على ما هم عليه من الظلم والكبائر التي لا يرتكبها
الا من هو كافر بدار الجزاء ويجوز ان يكون فيه تعريض بما مني به من جهتهم حين اودعوه السجن بعد
ما رأوا الآيات الشاهدة على براءته وان ذلك ما لا يقدم عليه الا من هو شديد الكفر بالجزاء وذكر
آبائه ليريهما انه من بيت النبوة بعد ان عرفهما انه نبي يوحى اليه بما ذكر من اخباره بالغيوب ليقوي
رغبتهما في الاستماع اليه واتباع قوله ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله من شيء
اي شيء كان من ملك او جني او انسي فضلا ان نشرك به صنما لا يسمع ولا يبصر ثم قال ذلك
التوحيد من فضل الله علينا وعلى الناس المبعوث اليهم لا يشكرون فضل الله فيشركون ولا ينتبهون
وقيل ان ذلك من فضل الله علينا لانه نصب لنا الادلة التي ننظر فيها ونستدل بها وقد نصب مثل تلك
الادلة لسائر الناس من غير تفاوت ولكن اكثر الناس لا ينظرون ولا يستدلون اتباعا لاهوائهم
فيبقون كافرين غير شاكرين يا صاحبي السجن يريد يا صاحبي في السجن فاضافهما الى السجن كما تقول
يا سارق الليلة فكما ان الليلة مسروق فيها غير مسروقة فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب
وانما المصحوب غيره وهو يوسف عليه السلام ونحوه قولك لصاحبيك يا صاحبي الصدق فتضيفهما
الى الصدق ولا تريد انهما صحبا الصدق ولكن كما تقول رجلا صدق وسميتهما صاحبين لانهما صحباك
ويجوز ان يريد يا ساكني السجن كقوله اصحاب النار واصحاب الجنة أأرباب متفرقون يريد التفرق في
العدد والتكاثر خير ام الله الواحد القهار يقول ان تكون لكما ارباب شتى يستعبدكما هذا ويستعبدكما
هذا خير لكما ام ان يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك في الربوبية بل هو القهار الغالب
وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الاصنام ما تعبدون خطاب لهما ولمن على دينهما من
اهل مصر من دونه الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم يعني انكم سميتم ما لا يستحق الالهية آلهة ثم طفقتم
تعبدونها فكأنكم لا تعبدون الا اسماء فارغة لا مسميات تحتها ومعنى سميتموها سميتم بها يقال
سميته زيدا٣ ما انزل الله بها اي بتسميتها من سلطان من حجة ان الحكم في امر العبادة والدين الا لله
ثم بين ما حكم به فقال امر ان لا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم الثابت الذي دلت عليه البراهين
ولكن اكثر الناس لا يعلمون يا صاحبي السجن اما احدكما يريد الشرابي فيسقي ربه سيده خمرا وقرأ
عكرمة فيسقى ربه اي يسقى ما يروى به على البناء للمفعول واما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه
روي انه قال للاول ما رأيت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده واما القضبان الثلاثة
فانها ثلاثة ايام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقال للثاني ما رأيت من السلال ثلاثة
ايام ثم تخرج فتقتل قضي الامر الذي فيه تستفتيان قطع وتم ما تستفتيان فيه من امركما وشأنكما
فان قلت ما استفتيا في امر واحد بل في امرين مختلفين فما وجه التوحيد قلت
المراد بالامر ما اتهما به من سم الملك وما سجنا من اجله وظنا ان ما رأياه في معنى ما نزل بهما فكأنهما
كانا يستفتيانه في الامر الذي نزل بهما اعاقبته نجاة ام هلاك فقال لهما قضي الامر الذي فيه تستفتيان
اي ما يجر اليه من العاقبة وهي هلاك احدهما ونجاة الآخر وقيل جحدا وقالا ما رأينا شيئا على

٧ والفتية اذا استفتاه واحد منهم ان يقدم الهداية والارشاد والموعظة والنصيحة اولا ويدعوه صح قوله صح

اي على الرسل وعلى المرسل اليهم لانهم نبهوهم عليه وارشدوهم اليه ولكن اكثر الناس

٣ بزيد وسميته صح

ما روي انهما تحالما له فاخبرهما ان ذلك كان صدقنا او كذبنا وقال للذي ظن انه ناج منهما الظان هو يوسف
عليه السلام ان كان تأويله بطريق الاجتهاد وان كان بطريق الوحي فالظان هو الشرابي ويكون الظن بمعنى
اليقين اذكرني عند ربك صفني عند الملك بصفتي وقص عليه قصتي لعله يرحمني وينتاشني من هذه الورطة
فانساه الشيطان فانسى الشرابي ذكر ربه ان يذكره لربه وقيل فانسى يوسف ذكر الله حين وكل امره
الى غيره فلبث في السجن بضع سنين البضع ما بين الثلاث الى التسع واكثر الاقاويل على انه لبث فيه سبع
سنين فان قلت كيف يقدر الشيطان على الانساء قلت يوسوس الى العبد بما
يشغله عن الشيء من اسباب النسيان حتى يذهب ويزول عن قلبه ذكره واما الانساء ابتداء فلا يقدر عليه
الا الله عز وجل ما ننسخ من آية او ننسها فان قلت ما وجه اضافة الذكر الى ربه اذا اريد
به الملك وما هي باضافة المصدر الى الفاعل ولا الى المفعول قلت قد لابسه في قولك فانساه
الشيطان ذكر ربه او عند ربه فجازت اضافته اليه لان الاضافة تكون بادنى ملابسة او على تقدير
فانساه الشيطان ذكر اخبار ربه فحذف المضاف الذي هو الاخبار فان قلت لم انكر على
يوسف عليه السلام الاستعانة بغير الله في كشف ما كان فيه وقد قال عز وجل وتعاونوا على البر والتقوى
وقال حكاية عن عيسى عليه السلام من انصاري الى الله وفي الحديث الله في عون العبد ما دام العبد
في عون اخيه المسلم من فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه كربة من كرب الآخرة وعن عائشة رضي الله
عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأخذه النوم ليلة من الليالي وكان يطلب من يحرسه
حتى جاء سعد فسمعت غطيطه وهل ذلك الا مثل التداوي بالادوية والتقوي بالاشربة والاطعمة
وان كان ذلك لان الملك كان كافرا فلا خلاف في جواز ان يستعان بالكفار في دفع الظلم والغرق والحرق
ونحو ذلك من المضار قلت كما اصطفى الله الانبياء على خليقته فقد اصطفى لهم احسن
الامور وافضلها واولاها والاحسن والاولى بالنبي ان لا يكل امره اذا ابتلي ببلاء الا الى ربه
ولا يعتضد الا به خصوصا اذا كان المعتضد به كافرا لئلا يشمت به الكفار ويقولوا لو كان
هذا على الحق وكان له رب يغيثه لما استغاث بنا وعن الحسن انه كان يبكي اذا قرأها ويقول
نحن اذا نزل بنا امر فزعنا الى الناس وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات
خضر واخر يابسات لما دنا فرج يوسف رأى ملك مصر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته رأى سبع
بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان ورأى سبع سنبلات
خضر قد انعقد حبها وسبعا اخر يابسات قد استحصدت وادركت فالتوت اليابسات على الخضر
حتى غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها سمان جمع سمين وسمينة وكذلك رجال
ونسوة كرام فان قلت هل من فرق بين ايقاع سمان صفة للمميز وهو بقرات دون المميز
وهو سبع وان يقال سبع بقرات سمانا قلت اذا اوقعتها صفة لبقرات فقد قصدت الى
ان تميز السبع بنوع من البقرات وهي السمان منهن لا بجنسهن ولو وصفت بها السبع لقصدت
الى تمييز السبع بجنس البقرات لا بنوع منها ثم رجعت فوصفت المميز بالجنس بالسمن فان
قلت هلا قيل سبع عجاف على الاضافة قلت التمييز موضوع لبيان الجنس
والعجاف وصف لا يقع البيان به وحده فان قلت فقد يقولون ثلاثة فرسان وخمسة
اصحاب قلت الفارس والصاحب والراكب ونحوها صفات جرت مجرى الاسماء فاخذت
حكمها وجاز فيها ما لم يجز في غيرها الا تراك لا تقول عندي ثلاثة ضخام واربعة غلاظ فان
قلت ذاك مما يشكل وما نحن بسبيله لا اشكال فيه الا ترى انه لم يقل وبقرات سبع
عجاف لوقوع العلم بان المراد البقرات قلت ترك الاصل لا يجوز مع وقوع الاستغناء عما ليس
باصل وقد وقع الاستغناء بقولك سبع عجاف عما تقترحه من التمييز بالوصف والعجف الهزال الذي
ليس بعده والسبب في وقوع عجاف جمعا لعجفاء وافعل وفعلاء لا يجمعان على فعال حمله على سمان
لانه نقيضه ومن دأبهم حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض فان قلت هل
في الآية دليل على ان السنبلات اليابسة كانت سبعا كالخضر قلت الكلام مبني
على انصبابه الى هذا العدد في البقرات السمان والعجاف والسنابل الخضر فوجب ان يتناول معنى

الاخر السبع ويكون قوله واخر يابسات بمعنى وسبعا اخر فان قلت هل يجوز ان
يعطف قوله واخر يابسات على سنبلات خضر فيكون مجرور المحل قلت يودي الى تدافع
وهو ان عطفها على سنبلات خضر يقتضي ان تدخل في حكمها فيكون معها مميزا للسبع المذكورة
ولفظ الاخر يقتضي ان تكون غير السبع بيانه انك تقول عنده سبعة رجال قيام وقعود بالجر
فيصح لانك ميزت السبعة برجال موصوفين بالقيام والقعود على ان بعضهم قيام وبعضهم
قعود فلو قلت عنده سبعة رجال قيام واخرين قعود تدافع ففسد يا ايها الملا افتوني في رءياي
ان كنتم للرءيا تعبرون كانه اراد الاعيان من العلماء والحكما واللام في قوله للرءيا اما ان تكون للبيان
كقوله وكانوا فيه من الزاهدين واما ان تدخل لان العامل اذا تقدم عليه معموله لم يكن في قوته على
العمل فيه مثله اذا تاخر عنه فعضد بها كما يعضد بها اسم الفاعل اذا قلت هو عابر للرءيا
لانحطاطه عن الفعل في القوة ويجوز ان يكون للرءيا خبر كان كما تقول كان فلان لهذا الامر
اذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبر اخر او حال وان يضمن تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرءيا وحقيقة عبرت الرءيا ذكرت
عاقبتها واخر امرها كما تقول عبرت النهر اذا قطعته حتى تبلغ اخر عرضه وهو عبره ونحوه
اولت الرءيا اذا ذكرت مآلها وهو مرجعها وعبرت الرءيا بالتخفيف هو الذي اعتمده الاثبات
ورايتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر وقد عثرت على بيت انشده المبرد في
كتاب الكامل لبعض الاعراب رايت رءيا ثم عبرتها وكنت للاحلام عبارا قالوا اضغاث احلام وما
نحن بتاويل الاحلام بعالمين اضغاث الاحلام تخاليطها واباطيلها وما يكون منها من حديث نفس
او وسوسة شيطان واصل الاضغاث ما جمع من اخلاط النبات وحزم الواحد ضغث فاستعيرت
لذلك والاضافة بمعنى من اي اضغاث من احلام والمعنى هي اضغاث احلام فان قلت
ما هو الا حلم واحد فلم قالوا اضغاث احلام فجمعوا قلت هو كما تقول فلان يركب الخيل
ويلبس عمائم الخز لمن لا يركب الا فرسا واحدا وما له الا عمامة فردة تزيدا في الوصف فهؤلاء ايضا
تزيدوا في وصف الحلم بالبطلان فجعلوه اضغاث احلام ويجوز ان يكون قد قص عليهم مع هذه
الرءيا رءيا غيرها وما نحن بتاويل الاحلام يريدون بالاحلام المنامات الباطلة
خاصة فيقولون ليس لها عندنا تاويل فان التاويل انما هو للمنامات الصحيحة الصالحة واما
ان يعترفوا بقصور علمهم وانهم ليسوا في تاويل الاحلام بنحارير وقال الذي نجا منهما وادكر وقرئ
واذكر بالذال وهو الفصيح وعن الحسن واذكر بالذال والاصل تذكر اي تذكر الذي نجا من الفتيين
من القتل يوسف وما شاهد منه بعد امة بعد مدة طويلة وذلك انه حين استفتى الملك
في رءياه واعضل على الملا تاويلها تذكر الناجي يوسف وتاويله رءياه ورءيا صاحبه وطلبه اليه
ان يذكره عند الملك وقرا الاشهب العقيلي بعد امة بكسر الهمزة والامة النعمة قال عدي
ثم بعد الفلاح والملك والامـ ـة وارتهم هناك القبور
اي بعد ما انعم عليه بالنجاة وقرئ امه اي بعد نسيان يقال امه يامه امها اذا نسي ومن قرا بسكون
الميم فقد خطئ انا انبئكم بتاويله انا اخبركم به عمن عنده علمه وفي قراءة الحسن انا اتيكم بتاويله فارسلون
فابعثوني اليه لاسئله ومروني باستعباره وعن ابن عباس لم يكن السجن في المدينة يوسف ايها الصديق
افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات المعنى فارسلوه الى
يوسف فاتاه فقال يوسف ايها الصديق ايها البليغ في الصدق وانما قال له ذلك لانه ذاق احواله
وتعرف صدقه في تاويل رءياه ورءيا صاحبه حيث جاء كما اول ولذلك كلمه كلام محترز فقال
لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون لانه ليس على يقين من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم
فربما لم يعلموا ومعنى لعلهم يعلمون لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلصوك
من محنتك قال تزرعون سبع سنين تزرعون خبر في معنى الامر كقوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون
وانما يخرج الامر في صورة الخبر للمبالغة في ايجاب ايجاد المامور به فيجعل كانه يوجد فهو يخبر عنه
والدليل على كونه في معنى الامر قوله فذروه في سنبله دابا بسكون الهمزة وتحريكها وهما مصدرا

العجمه صح
بعد صح

داب في العمل وهو حال من المامورين اي دائبين اما على تدابون دابا واما على ايقاع المصدر حالا بمعنى ذوي
داب فما حصدتم فذروه في سنبله لئلا يتسوس الا قليلا مما تاكلون ثم ياتي من بعد ذلك سبع شداد
ياكلن من الاسناد المجازي جعل اكل اهلهن مسندا اليهن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون تحرزون
وتخبئون ثم ياتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس يغاث الناس من الغوث او من الغيث يقال
غيثت البلاد اذا امطرت ومنه قول الاعرابية غثنا ما شئنا وفيه يعصرون بالياء والتاء يعصرون العنب
والزيتون والسمسم وقيل يحلبون الضروع وقرئ يعصرون على البناء للمفعول من عصره اذا انجاه وهو
مطابق للاغاثة ويجوز ان يكون المبني للفاعل بمعنى ينجون كانه قيل فيه يغاث الناس وفيه يغيثون
اي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا وقيل يعصرون يمطرون من اعصرت السحابة وفيه وجهان
اما ان يضمن اعصرت معنى مطرت فيعدى تعديته واما ان يقال الاصل اعصرت عليهم فحذف الجار
واوصل الفعل تاول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات
بسنين مجدبة ثم بشرهم بعد الفراغ من تاويل الرءيا بان العام الثامن يجيء مباركا خصيبا كثير
الخير غزير النعم وذلك من جهة الوحي وعن قتادة زاده الله علم سنة فان قلت معلوم
ان السنين المجدبة اذا انتهت كان انتهاؤها بالخصب والا لم توصف بالانتهاء فلم قلت ان علم ذلك من
جهة الوحي قلت ذلك معلوم علما مطلقا لا مفصلا وقوله فيه يغاث الناس وفيه يعصرون
تفصيل لحال العام وذلك لا يعلم الا بالوحي وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك
فاسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن انما تانى وتثبت في اجابة الملك وقدم سؤال النسوة
ليظهر براءة ساحته عما قرف به وسجن فيه لئلا يتسلق به الحاسدون الى تقبيح امره عنده ويجعلوه
سلما الى حط منزلته لديه ولئلا يقولوا ما خلد في السجن سبع سنين الا لامر عظيم وجرم كبير حق به
ان يسجن ويعذب ويستكف شره وفيه دليل على ان الاجتهاد في نفي التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف
في مواقفها قال عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يقفن مواقف التهم ومنه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم للمار به في معتكفه وعنده بعض نسائه هي فلانة اتقاء للتهمة وعن
النبي صلى الله عليه وسلم لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف
والسمان ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترط ان يخرجوني ولقد عجبت منه حين اتاه الرسول
فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وبادرتهم الباب
ولما ابتغيت العذر انه كان لحليما ذا اناة وانما قال سل الملك عن شان النسوة ولم يقل سله ان
يفتش عن شانهن لان السؤال مما يهيج الانسان ويحركه للبحث عما سئل عنه فاراد ان يورد
عليه السؤال ليجد في التفتيش عن حقيقة القصة وقص الحديث حتى يتبين له براءته بيانا مكشوفا
يتميز فيه الحق من الباطل وقرئ النسوة بضم النون ومن كرمه وحسن ادبه انه لم يذكر سيدته
مع ما صنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر المقطعات ايديهن ان
ربي ان الله تعالى بكيدهن عليم اراد انه كيد عظيم لا يعلمه الا الله لبعد غوره او استشهد بعلم
الله على انهن كدنه وانه بريء مما قرف به او اراد الوعيد لهن اي عليم بكيدهن فمجازيهن عليه قال
ما خطبكن ما شانكن اذ راودتن يوسف عن نفسه هل وجدتن منه ميلا اليكن قلن حاش لله
ما علمنا عليه من سوء عن عفته وذهابه بنفسه عن شيء من الريبة ومن نزاهته عنها قالت امراة العزيز
الآن حصحص الحق اي ثبت واستقر وقرئ حصحص على البناء للمفعول وهو من حصحص البعير
اذا القى ثفناته للاناخة قال فحصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوءة ثم صمما
ولا مزيد على شهادتهن له بالبراءة والنزاهة واعترافهن على انفسهن بانه لم يتعلق بشيء مما قرفنه
به لانهن خصومه واذا اعترف الخصم بان صاحبه على الحق وهو على الباطل لم يبق لاحد مقال
وقالت المجبرة والحشوية نحن قد بقي لنا مقال ولا بد ان نندق في قروف من ثبتت نزاهته انا راودته
عن نفسه وانه لمن الصادقين ذلك ليعلم من كلام يوسف اي ذلك التثبت والتشمر
لظهور البراءة ليعلم العزيز اني لم اخنه بالغيب بظهر الغيب في حرمته ومحل بالغيب الحال من
الفاعل او المفعول على معنى وانا غائب عنه خفي عن عينه او وهو غائب عني خفي عن عيني ويجوز ان

اهلهن صح
انفسهم
حال
تعجبا صح

يكون ظرفا اي بمكان الغيب وهو الخفاء والاستتار وراء الابواب السبعة المغلقة وليعلم ان
الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده وكانه تعريض بامراته في خيانتها امانة زوجها وبه في خيانة
امانة الله حين ساعدها بعد ظهور الايات على حبسه ويجوز ان يكون تاكيدا لامانته وانه لو كان
خائنا لما هدى الله كيده ولا سدده ثم اراد ان يتواضع لله ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكيا وبحالها
في الامانة معجبا ومفتخرا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر وليبين ان
ما فيه من الامانة ليس به وحده وانما هو بتوفيق الله ولطفه وعصمته فقال وما ابرئ
نفسي من الزلل وما اشهد لها بالبراءة الكلية ولا ازكيها ولا تخلو الا ان يريد في هذه الحادثة
لما ذكرناه الهم الذي هو ميل النفس عن طريق الشهوة البشرية لا عن طريق القصد والعزم
وامان ويريد عموم الاحوال ان النفس لامارة بالسوء اراد الجنس اي ان هذا الجنس يامر بالسوء ويحمل
عليه بما فيه من الشهوات الا ما رحم ربي الا البعض الذي رحمه ربي بالعصمة كالملائكة ويجوز ان
يكون ما رحم في معنى الزمان الا وقت رحمة ربي يعني انها امارة في كل وقت واوان الا وقت
العصمة ويجوز ان يكون استثناء منقطعا اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة كقوله ولا هم
ينقذون الا رحمة وقيل معناه ولكن ليعلم الله اني لم اخنه لان المعصية خيانة وقيل هو من
كلام امراة العزيز اي ذلك الذي قلت ليعلم يوسف اني لم اخنه ولم اكذب عليه في حال الغيبة
وجئت بالصحيح والصدق فيما سئلت عنه وما ابرئ نفسي مع ذلك من الخيانة فاني قد خنته
حين قرفته وقلت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن واودعته السجن تريد الاعتذار
مما كان منها ان كل نفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي الا نفسا رحمها الله بالعصمة كنفس
يوسف ان ربي لغفور رحيم استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت فان قلت
كيف صح ان يجعل من كلام يوسف ولا دليل على ذلك قلت كفى بالمعنى دليلا قائدا
الى ان يجعل من كلامه ونحوه قوله قال الملا من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم
من ارضكم بسحره ثم قال فماذا تامرون وهو من كلام فرعون يخاطبهم ويستشيرهم وعن ابن
جريج هذا من تقديم القران وتاخيره ذهب الى ان ذلك ليعلم متصل بقوله فسله ما بال النسوة
اللاتي قطعن ايديهن ولقد لفقت المبطلة روايات مصنوعة فزعموا ان يوسف حين قال
ليعلم اني لم اخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت بها وقالت له امراة العزيز ولا حين حللت تكة
سراويلك يا يوسف وذلك لتهالكهم على بهت الله ورسله وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي
يقال استخلصه واستخصه اذا جعله خالصا لنفسه وخاصا به فلما كلمه وشاهد منه ما لم
يحتسب قال انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة امين مؤتمن على كل شيء روي
ان الرسول جاءه فقال اجب الملك فخرج من السجن ودعا لاهله اللهم اعطف عليهم قلوب الاخيار
ولا تعم عليهم الاخبار فهم اعلم الناس بالاخبار في الواقعات وكتب على باب السجن هذه منازل
البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن
ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسالك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك
وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان ابائي
وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه وقال ايها الصديق اني احب
ان اسمع رؤياي منك قال رايت سبع بقرات فوصف لونهن واحوالهن ومكان خروجهن ووصف
السنابل وما كان منها على الهيئة التي راها الملك لا يخرم منها حرفا وقال له من حقك ان تجمع الطعام
في الاهراء فياتيك الخلق من النواحي ويمتارون منك ويجتمع لك من الكنوز ما لم يجتمع لاحد قبلك
قال اجعلني على خزائن الارض ولني خزائن ارضك اني حفيظ عليم امين احفظ ما تستحفظنيه عالم
بوجوه التصرف وصف نفسه بالامانة والكفاية اللتين هما طلبة الملوك ممن يولونه وانما قال
ذلك ليتوصل الى امضاء احكام الله واقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لاجله تبعث
الانبياء الى العباد ولعلمه ان احدا غيره لا يقوم مقامه في ذلك فطلب التولية ابتغاء وجه الله لا لحب
الملك والدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض

لاستعمله من ساعته ولكن اخر ذلك سنة فان قلت كيف جاز ان يتولى عملا من يد كافر ويكون
تبعا له وتحت امره وطاعته قلت روى مجاهد انه قد اسلم وعن قتادة هو دليل على انه يجوز ان
يتولى الانسان عملا من يد سلطان جائر وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة البغاة ويرونه
واذا علم النبي او العالم انه لا سبيل الى الحكم بامر الله ودفع الظلم الا بتمكين الملك الكافر او الفاسق
فله ان يستظهر به وقيل كان الملك يصدر عن رايه ولا يعترض عليه في كل ما راى فكان في حكم التابع له
والمطيع وكذلك ومثل ذلك التمكين الظاهر مكنا ليوسف في الارض في ارض مصر روي انها كانت
اربعين فرسخا في اربعين يتبوا منها حيث يشاء قرئ بالنون والياء اي كل مكان اراد ان يتخذه
منزلا ومتبوا له لم يمنع منه لاستيلائه على جميعها ودخولها تحت ملكته وسلطانه روي ان الملك
توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا مكللا بالدر والياقوت وروي انه قال له
اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي ولا لباس ابائي
فقال قد وضعته اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك
امره اليه وعزل قطفير ثم مات بعد فزوجه الملك امراته فلما دخل عليها قال اليس هذا خيرا مما طلبت
فوجدها عذراء فولدت له ولدين افرائيم وميشا واقام العدل بمصر واحبته الرجال والنساء واسلم
على يديه الملك وكثير من الناس وباع من اهل مصر في سني القحط الطعام بالدنانير والدراهم
في السنة الاولى حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار
ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا والله ما راينا كاليوم ملكا اجل ولا اعظم منه فقال
للملك كيف رايت صنع الله بي فيما خولني فما ترى قال الراي رايك قال فاني اشهد الله واشهدك
اني اعتقت اهل مصر عن اخرهم ورددت عليهم املاكهم وكان لا يبيع من احد من الممتارين اكثر من حمل بعير
تقسيطا بين الناس واصاب ارض كنعان وبلاد الشام نحو ما اصاب مصر فارسل يعقوب بنيه ليمتاروا
واحتبس بنيامين نصيب برحمتنا بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم من نشاء
من اقتضت الحكمة ان نشاء له ذلك ولا نضيع اجر المحسنين ان ناجرهم في الدنيا ولاجر الاخرة خير
للذين امنوا وكانوا يتقون ولاجر الاخرة خير لهم قال سفيان بن عيينة المؤمن يثاب على حسناته
في الدنيا والاخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق وتلا هذه الاية
وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون لم يعرفوه لطول العهد ومفارقته اياهم في سن الحداثة
ولاعتقادهم انه قد هلك ولذهابه عن اوهامهم لقلة فكرهم فيه واهتمامهم بشانه ولبعد حاله
التي بلغها من الملك والسلطان عن حاله التي فارقوه عليها طريحا في البئر مشريا بدراهم معدودة
حتى لو تخيل لهم انه هو لكذبوا انفسهم وظنونهم ولان الملك مما يبدل الزي ويلبس صاحبه
من التهيب والاستعظام ما ينكر له المعروف وقيل راوه على زي فرعون عليه ثياب الحرير جالسا على
سرير في عنقه طوق من ذهب وعلى راسه تاج فما خطر ببالهم انه هو وقيل ما راوه الا من بعيد بينهم
وبينه مسافة وحجاب وما وقفوا الا حيث يقف طلاب الحوائج وانما عرفهم لانه فارقهم وهم
رجال وراى زيهم قريبا من زيهم اذ ذاك ولان همته كانت معقودة بهم وبمعرفتهم فكان
يتامل ويتفطن وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا له ولما جهزهم بجهازهم اي اصلحهم بعدتهم
وهي عدة السفر من الزاد وما يحتاج اليه المسافرون واوقر ركائبهم بما جاءوا له من الميرة وقرئ
بجهازهم بكسر الجيم قال ائتوني باخ لكم من ابيكم لا بد من مقدمة سبقت له معهم حتى اجتر القول
هذه المسالة الا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين روي انه لما راهم وكلموه بالعبرانية
قال لهم اخبروني من انتم وما شانكم فاني انكركم قالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا
الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا تنظرون عورة بلادي قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو
اب واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فهلك
منا واحد قال فكم انتم هاهنا قالوا عشرة قال فاين الاخ الحادي عشر قالوا هو عند ابيه
يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم انكم لستم عيونا وان الذي تقولون حق قالوا
انا ببلاد لا يعرفنا فيها احد فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم

وهو يحمل برسالة وهو يحمل رسالة ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا بينهم فاصابت القرعة شمعون
وكان احسنهم رايا في يوسف فخلفوه عنده وكان قد احسن انزالهم وضيافتهم فان لم تاتوني
به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون فيه وجهان احدهما ان يكون داخلا في حكم الجزاء مجزوما عطفا
على محل قوله فلا كيل لكم عندي كانه قيل فان لم تاتوني به تحرموا ولا تقربوا وان يكون بمعنى
النهي قالوا سنراود عنه اباه سنخادعه عنه وسنجتهد ونحتال حتى ننتزعه من يده وانا
لفاعلون وانا القادرون على ذلك لا نتعايا به او وانا لفاعلون ذلك لا محالة لا نفرط فيه ولا
نتوانى وقال لفتيته وقرئ لفتيانه وهما جمع فتى كاخوة واخوان في اخ وفعلة للقلة وفعلان
للكثرة اي لغلمانه الكيالين اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها
وحق التكرم باعطاء البدلين اذا انقلبوا الى اهلهم وفرغوا ظروفهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم
بذلك تدعوهم الى الرجوع الينا وكانت بضاعتهم النعال والادم وقيل تخوف ان لا يكون عند ابيه
من المتاع ما يرجعون به وقيل لم ير من الكرم ان ياخذ من ابيه واخوته ثمنا وقيل علم ان ديانتهم تحملهم
على رد البضاعة لا يستحلون امساكها فيرجعون لاجلها وقيل معنى لعلهم يرجعون
لعلهم يردونها فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل يريدون قول يوسف فان لم
تاتوني به فلا كيل لكم عندي لانهم اذا انذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل فارسل معنا اخانا
نكتل نرفع المانع من الكيل ونكتل من الطعام ما نحتاج اليه وقرئ يكتل بمعنى يكتل اخونا
فينضم اكتياله الى اكتيالنا او يكن سببا للاكتيال فان امتناعه بسببه وانا له لحافظون
قال هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل يريد انكم قلتم في يوسف وانا له لحافظون
كما تقولون في اخيه ثم خنتم بضمانكم فما يؤمنني من مثل ذلك ثم قال فالله خير حافظا
فتوكل على الله ودفعه اليهم وحافظا تمييز كقولك هو خيرهم رجلا ولله دره فارسا ويجوز ان
يكون حالا وقرئ حفظا وقرا الاعمش فالله خير حافظ وقرا ابو هريرة خير الحافظين وهو
ارحم الراحمين فارجو ان ينعم علي بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم
ردت اليهم وقرئ ردت الينا بالكسر على ان كسرة الدال المدغمة نقلت الى الراء كما قيل قيل وبيع
وحكى قطرب ضرب زيد على نقل كسرة الراء فيمن سكنها الى الضاد قالوا يا ابانا ما نبغي
للبغي اي ما نبغي في القول وما نتزيد فيما وصفنا لك من احسان الملك واكرامه وكانوا قالوا
له انا قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة لو كان رجلا من ال يعقوب ما اكرمنا كرامته
او ما نبتغي شيئا ما نفعل بناء الاحسان او على الاستفهام بمعنى اي شيء نطلب وراء هذا
وفي قراءة ابن مسعود ما تبغي بالتاء على مخاطبة يعقوب معناه اي شيء تطلب وراء هذا
من الاحسان او من الشاهد على صدقنا وقيل معناه ما نريد منك بضاعة اخرى وقوله
هذه بضاعتنا ردت الينا جملة مستانفة موضحة لقوله ما نبغي والجمل بعد معطوفة
عليها على معنى ان بضاعتنا ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا في رجوعنا الى الملك
ونحفظ اخانا فما يصيبه شيء مما تخافه ونزداد كيل بعير باستصحاب اخينا كيل بعير
وسق بعير زائدا على اوساق اباعرنا فاي شيء نبتغي وراء هذه المباغي التي نستصلح بها احوالنا
ونوسع ذات ايدينا وانما قالوا ونزداد كيل بعير لما ذكرنا انه كان لا يزيد للرجل على حمل
بعير للتقسيط فان قلت هذا اذا فسرت البغي بالطلب فاما اذا فسرته بالكذب
والتزيد في القول كانت الجملة الاولى وهي قوله هذه بضاعتنا ردت الينا بيانا لصدقهم
وانتفاء التزيد عن قيلهم فما تصنع بالجمل البواقي قلت اعطفها على قوله ما نبغي على معنى
لا نبغي فيما نقول ونمير اهلنا ونفعل كيت وكيت ويجوز ان يكون كلاما مبتدا كقولك
وينبغي ان نمير اهلنا كما تقول سعيت في حاجة فلان واجتهدت في تحصيل غرضه ويجب
ان اسعى وينبغي لي ان لا اقصر ويجوز ان يراد ما نبغي وما ننطق الا بالصواب فيما نشير
به عليك من تجهيزنا مع اخينا ثم قالوا هذه بضاعتنا نستظهر بها ونمير اهلنا ونفعل
ونصنع بيانا لانهم لا يبغون في رايهم وانهم مصيبون فيه وهو وجه حسن واضح ذلك كيل

يسير اي ذلك مكيل قليل لا يكفينا يعنون ما يكال لهم فارادوا ان يزدادوا اليه ما يكال لاخيهم
او يكون ذلك اشارة الى كيل بعير اي ذلك الكيل شيء قليل يجيبنا اليه الملك ولا يضايقنا فيه او سهل
عليه متيسر لا يتعاظمه ويجوز ان يكون من كلام يعقوب وان حمل بعير واحد شيء يسير لا يخاطر لمثله
بالولد كقوله ذلك ليعلم قال لن ارسله منافٍ لحالي وقد رايت منكم ما رايت ارساله معكم حتى تؤتون
موثقا من الله حتى تعطوني ما اتوثق به من عند الله اراد ان يحلفوا له بالله وانما جعل الحلف بالله
موثقا منه لان الحلف به مما تؤكد به العهود وتشدد وقد اذن الله في ذلك فهو اذن منه لتاتنني
به جواب اليمين لان المعنى حتى تحلفوا لتاتنني به الا ان يحاط بكم الا ان تغلبوا فلم تطيقوا الاتيان
به او الا ان تهلكوا فان قلت اخبرني عن حقيقة هذا الاستثناء ففيه اشكال قلت
ان يحاط بكم مفعول له والكلام المثبت الذي هو قوله لتاتنني به في تاويل النفي معناه لا تمتنعون
من الاتيان به الا للاحاطة بكم اي لا تمتنعون منه لعلة من العلل الا لعلة واحدة وهي ان يحاط
بكم فهو استثناء من اعم العام في المفعول له والاستثناء من اعم العام لا يكون الا في النفي وحده فلا
بد من تاويله بالنفي ونظيره من الاثبات المتاول بمعنى النفي قولهم اقسمت بالله لما فعلت والا فعلت
تريد ما اطلب منك الا الفعل فلما اتوه موثقهم قال الله على ما نقول من طلب الموثق واعطائه
وكيل رقيب مطلع وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وانما نهاهم ان يدخلوا
من باب واحد لانهم كانوا ذوي بهاء وشارة حسنة وقد اشتهرهم اهل مصر بالقربة عند الملك والتكرمة
الخاصة التي لم تكن لغيرهم فكانوا مظنة لطموح الابصار اليهم من بين الوفود وان يشار اليهم
بالاصابع ويقال هؤلاء اضياف الملك انظروا اليهم ما احسنهم من فتيان وما احقهم بالاكرام لامر
ما اكرمهم الملك وقربهم وفضلهم على الوافدين عليه فخاف لذلك ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا
لجمالهم وجلالة امرهم في الصدور فيصيبهم ما يسوءهم ولذلك لم يوصهم بالتفرق في الكرة
الاولى لانهم كانوا مجهولين مغمورين بين الناس فان قلت هل للاصابة بالعين ...... وجه
تصح عليه قلت يجوز ان يحدث الله عز وجل عند النظر الى الشيء والاعجاب به
نقصانا فيه وخللا من بعض الوجوه ويكون ذلك ابتلاء من الله وامتحانا لعباده ليتميز المحقون
من اهل الحشو فيقول المحقون هذا فعل الله ويقول الحشوي هذا فعل العين كما قال تعالى
وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الاية وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يعوذ الحسن
والحسين فيقول اعيذكما بكلمات الله التامة من كل هامة ومن كل عين لامة وما اغني عنكم من
الله من شيء يعني ان اراد الله بكم سوءا لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما اشرت به عليكم من التفرق وهو
مصيبكم لا محالة ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ثم قال ولما دخلوا من
حيث امرهم ابوهم اي متفرقين ما كان يغني عنهم من الله من شيء راي يعقوب ودخولهم متفرقين
شيئا قط حيث اصابهم ما ساءهم مع تفرقهم من اضافة السرقة اليهم وافتضاحهم بذلك واخذ
اخيهم بوجدان الصواع في رحله وتضاعف المصيبة على ابيهم الا حاجة في نفس يعقوب استثناء
منقطع على معنى ولكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهي شفقته عليهم واظهارها بما قاله لهم
ووصاهم به وانه لذو علم يعني قوله وما اغني عنكم وعلمه بان القدر لا يغني عنه الحذر لما علمناه
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولما دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين وروي انهم قالوا
له هذا اخونا قد جئناك به فقال لهم احسنتم واصبتم وستجدون ذلك عندي فانزلهم واكرمهم
ثم اضافهم واجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا
لاجلسني معه فقال يوسف بقي اخوكم وحيدا فاجلسه معه على مائدته وجعل يواكله وقال انتم
عشرة فلينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات يوسف يضمه اليه ويشم ريحه
حتى اصبح وساله عن ولده فقال لي عشرة بنين اشتققت اسماءهم من اسم اخ لي هلك فقال
له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا
راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه وقال له اني انا اخوك يوسف فلا تبتئس فلا
تحزن بما كانوا يعملون بنا فيما مضى فان الله قد احسن الينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما

اعلمك بمصر ان عباس تعرف اليه دعني وهب لما قال له انا اخوك بدل اخيك المفقود فلا تبتئس
بما كانت تلقى منهم من الحسد والاذى فقد امنتهم وروي انه قال له فانا لا افارقك قال قد علمت اغتمام
والدي بي فاذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا ان انسبك الى ما لا يجمل قال لا ابالي
فافعل ما بدا لك قال فاني ادس صاعي في رحلك ثم انادي عليك بانك سرقته ليتهيأ لي ردك
بعد تسريحك معهم قال افعل فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل اخيه السقاية مشربة يسقى
بها وهي الصواع قيل كان يسقى بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به وقيل كانت الدواب تسقى بها
ويكال بها وقيل كانت اناء مستطيلا يشبه المكوك وقيل هي المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه
تشرب به الاعاجم وقيل كانت من فضة مموهة بالذهب وقيل كانت من ذهب وقيل كانت مرصعة
بالجواهر ثم اذن مؤذن ثم نادى مناد يقال آذنه اعلمه واذن اكثر الاعلام ومنه المؤذن
لكثرة ذلك منه ايتها العير انكم لسارقون قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع
الملك روي انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى انطلقوا ثم امر بهم فادركوا وحبسوا ثم قيل لهم
ذلك والعير الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تذهب وتجيء وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر
حتى قيل لكل قافلة عير كانها جمع عير واصلها فعل كسقف وسقف فعل به ما فعل ببيض وغيد
والمراد اصحاب العير كقوله يا خيل الله اركبي وقرأ ابن مسعود وجعل السقاية على حذف
جواب لما كانه قيل فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية في رحل اخيه امهلهم حتى انطلقوا
ثم اذن مؤذن وقرأ ابو عبد الرحمن السلمي تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا وفي
صواع وصاع وصوع وصوع بفتح الصاد وضمها والعين معجمة وغير معجمة ولمن جاء به حمل بعير
وانا به زعيم يقوله المؤذن يريد وانا بحمل البعير كفيل اؤديه الى من جاء به واراد وسق بعير
من طعام جعلا لمن حصله قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب مما اضيف اليهم وانما قالوا لقد
علمتم فاستشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وامانتهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك
ولانهم دخلوا وافواه رواحلهم معكومة لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد من اهل السوق ولانهم
ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين وما كنا
نوصف قط بالسرقة وهي منافية لحالنا فما جزاؤه الضمير للصواع اي فما جزاء سرقته قالوا فما
جزاؤه ان كنتم كاذبين في جحودكم وادعائكم البراءة منه قالوا جزاؤه من وجد في رحله اي جزاء سرقته
اخذ من وجد في رحله وكان حكم السارق في آل يعقوب ان يسترق سنة فلذلك استفتوا في جزائه
وقولهم فهو جزاؤه تقرير للحكم اي فاخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير كقولك حق زيد
ان يكسى ويطعم وينعم عليه فذلك حقه اي فهو حقه لتقرر ما ذكرته من استحقاقه وتلزمه
ويجوز ان يكون جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هي خبره على اقامة الظاهر فيها مقام المضمر والاصل
جزاؤه من وجد في رحله فهو هو فوضع الجزاء موضع هو كما تقول لصاحبك من اخو زيد فتقول
لك اخوه من يقعد الى جنبه فهو هو يرجع الضمير الاول الى من والثاني الى الاخ ثم تقول فهو اخوه
مقيما للمظهر مقام المضمر ويحتمل ان يكون جزاؤه خبر مبتدأ محذوف اي المسؤول عنه جزاؤه ثم افتوا
بقولهم من وجد في رحله فهو جزاؤه كما يقول من يستفتى في جزاء صيد المحرم جزاء صيد المحرم ثم
يقول ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم كذلك نجزي الظالمين فبدأ باوعيتهم
قبل وعاء اخيه ثم استخرجها من وعاء اخيه قيل قال لهم من وكل بهم لا بد من تفتيش اوعيتكم
فانصرف بهم الى يوسف فبدأ بتفتيش اوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفي التهمة حتى بلغ وعاءه
فقال ما اظن هذا اخذ شيئا فقالوا والله لا نتركك حتى تنظر في رحله فانه اطيب لنفسك
وانفسنا فاستخرجوه منه وقرأ الحسن وعاء اخيه بضم الواو وهي لغة وقرأ سعيد بن جبير
اعاء اخيه بقلب الواو همزة فان قلت لم ذكر ضمير الصاع مرات ثم انثه قلت
قالوا رجع بالتانيث على السقاية او انث الصواع لانه يذكر ويؤنث ولعل يوسف كان يسميه
سقاية وعبيده صواعا فقد وقع فيما يتصل به من الكلام سقاية وفيما يتصل بهم منه صواعا
كذلك كدنا ليوسف مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف يعني علمناه اياه واوحينا به اليه

ما كان

ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك تفسير للكيد وبيان له لانه كان في دين ملك مصر وما كان يحكم
به في السارق ان يغرم مثلي ما اخذ لا ان يلزم ويستعبد الا ان يشاء الله اي ما كان ليأخذه الا
بمشيئة الله واذنه فيه نرفع درجات من نشاء في العلم كما رفعنا درجة يوسف فيه وقرئ يرفع بالياء
ودرجات بالتنوين وفوق كل ذي علم عليم فوقه ارفع درجة منه في علمه او وفوق العلماء كلهم
عليم هم دونه في العلم وهو الله عز وعلا فان قلت ما اذن الله فيه يجب ان يكون
حسنا فمن اي وجه حسن هذا الكيد وما هو الا بهتان وتسريق لمن لم يسرق وتكذيب لمن لم
يكذب وهو قوله انكم لسارقون فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قلت هو في صورة البهتان
وليس ببهتان في الحقيقة لان قوله انكم لسارقون تورية عما جرى مجرى السرقة من فعلهم بيوسف
وقيل كان ذلك القول من المؤذن لا من يوسف وقوله ان كنتم كاذبين فرض لانتفاء براءتهم وفرض
التكذيب لا يكون تكذيبا على انه لو صرح لهم بالتكذيب كما صرح لهم بالتسريق لكان له وجه لانهم
كانوا كاذبين في قولهم وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وهذا وحكم هذا الكيد حكم
الحيل الشرعية التي يتوصل بها الى مصالح ومنافع دينية كقوله تعالى لايوب عليه السلام
وخذ بيدك ضغثا ليتخلص من جلدها ولا يحنث وكقول ابراهيم هي اختي لتسلم من يد الكافر
وما الشرائع كلها الا مصالح وطرق الى التخلص من الوقوع في المفاسد وقد علم الله تعالى
في هذه الحيلة التي لقنها يوسف مصالح عظيمة فجعلها سلما وذريعة اليها فكانت حسنة جميلة
وانزاحت عنها وجوه القبح لما ذكرنا قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل ارادوا يوسف روي
انهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤسهم حياء واقبلوا عليه وقالوا له ما الذي
صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل ما يزال لنا منكم بلاء متى اخذت هذا الصاع
فقال بنو راحيل الذي لا يزال منكم عليهم البلاء ذهبتم باخي فاهلكتموه ووضع هذا الصاع
في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم واختلف فيما اضافوا الى يوسف من السرقة فقيل كان
اخذ في صباه صنما لجده الى امه فكسره والقاه بين الجيف في الطريق وقيل دخل كنيسة
فاخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه وقيل كانت في المنزل عناق او دجاجة
فاعطاها السائل وقيل كانت لابراهيم عليه السلام منطقة يتوارثها الاكابر فورثتها
اسحق ثم وقعت الى ابنته فكانت اكبر الاولاد فحضنت يوسف وهي عمته بعد وفاة امه وكانت
لا تصبر عنه فلما شب اراد يعقوب ان ينتزعه منها فعمدت الى المنطقة اضمار على شريطة
التفسير تفسيره قال انتم شر مكانا وانما انث لان قوله انتم شر مكانا جملة او كلمة على تسميتهم
الطائفة من الكلام كلمة كانه قيل فاسر الجملة او الكلمة التي هي قوله انتم شر مكانا والمعنى قال
في نفسه انتم شر مكانا لان قوله قال انتم شر مكانا بدل من اسرها وفي قراءة ابن مسعود فاسره
على التذكير يريد القول او الكلام ومعنى انتم شر مكانا انتم شر منزلة في السرق لانكم سارقون
بالصحة لسرقتكم اخاكم من ابيكم والله اعلم بما تصفون يعلم انه لم يصح لي ولا لاخي سرقة
وليس الامر كما تصفون قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا استعطفوه باذكارهم اياه حق
ابيهم يعقوب وانه شيخ كبير السن او كبير القدر وان بنيامين احب اليه منهم وكان له اخ
ولد له قد هلك وهو عليه ثكلان وانه مستأنس باخيه فخذ احدنا مكانه فخذه بدله على وجه
الاسترهان او الاستعباد انا نراك من المحسنين الينا فاتمم احسانك او من عادتك الاحسان
فاجر على عادتك ولا تغيرها قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون
هو كلام موجه ظاهره انه وجب على قضية فتواكم اخذ من وجد الصواع في رحله واستعباده فلو
اخذنا غيره كان هذا ظلما في مذهبكم فلم تطلبون ما عرفتم انه ظلم وباطنه ان الله امرني واوحى
الي باخذ بنيامين واحتباسه لمصلحة او لمصالح جمة علمها في ذلك فلو اخذت غير من امرني باخذه كنت
ظالما وعاملا على خلاف الوحي ومعنى معاذ الله نعوذ بالله معاذا من ان نأخذ فاضيف
المصدر الى المفعول به وحذف من واذا جواب لهم وجزاء لان المعنى ان اخذنا بدله ظلمنا
فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا استيأسوا يئسوا وزيادة السين والتاء فيه للمبالغة نحو

عليه السلام صح

[illegible]

فحزمتها على يوسف فقالت انه لي سلم افعل به
ما شئت فخلاه يعقوب عنده حتى
ماتت فاسرها يوسف في نفسه فاسرها

تناجيا استيئسوا منه خلصوا نجيا والنجي على معنيين يكون بمعنى المناجي كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله تعالى وقربناه نجيا وبمعنى المصدر الذي هو التناجي كما قيل النجوى بمعناه ومنه قيل قوم نجي كما قيل واذ هم نجوى تنزيلا للمصدر منزلة الاوصاف ويجوز ان يقال هم نجي كما قيل هم صديق لانه بزنة المصادر وجمع انجية قال . اني اذا ما القوم كانوا انجية . ومعنى خلصوا اعتزلوا وانفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم نجيا ذوي نجوى او فوجا نجيا اي مناجيا لمناجاة بعضهم بعضا واحسن منه انهم تمحضوا تناجيا لاستجماعهم لذلك وافاضتهم فيه بجد واهتمام كانهم في انفسهم صورة التناجي وحقيقته وكان تناجيهم في تدبير امرهم على اي صفة يذهبون وماذا يقولون لابيهم في شان اخيهم كقوم تعايوا بما دهمهم من الخطب الفادح فاحتاجوا الى التشاور قال كبيرهم في السن وهو روبيل وقيل رئيسهم وهو شمعون وقيل كبيرهم في العقل والراي وهو يهوذا الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف ما فرطتم في يوسف فيه وجوه ان تكون ما صلة اي ومن قبل هذا قصرتم في شان يوسف ولم تحفظوا عهد ابيكم وان تكون مصدرية على ان محل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه ووقع من قبل تفريطكم في يوسف او النصب عطفا على مفعول الم تعلموا وهو ان اباكم كانه قيل الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم من قبل في يوسف وان تكون موصولة بمعنى ومن قبل هذا ما فرطتموه اي قدمتموه في حق يوسف من الجناية العظيمة ومحله الرفع او النصب على الوجهين فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى ياذن لي ابي في الانصراف اليه او يحكم الله لي بالخروج منها او بالانتصاف ممن اخذ اخي او بخلاصه من يده بسبب من الاسباب وهو خير الحاكمين لانه لا يحكم ابدا الا بالحق والعدل ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق وقرئ سرق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه بالسرقة الا بما علمنا من سرقته وتيقناه لان الصواع استخرج من وعائه ولا شيء ابين من هذا وما كنا للغيب حافظين وما علمنا انه سيسرق حين اعطيناك الموثق او ما علمنا انك تصاب به كما اصبت بيوسف ومن قرا سرق فمعناه وما شهدنا الا بقدر ما علمنا من التسريق وما كنا للغيب للامر الخفي حافظين اسرق بالصحة ام دس الصاع في رحله ولم يشعر واسال القرية التي كنا فيها يعني مصر اي ارسل الى اهلها فسلهم عن كنه القصة والعير التي اقبلنا فيها واصحاب العير وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب عليه السلام وقيل من اهل صنعاء معناه وانا لصادقون قال بل سولت لكم انفسكم امرا اي فرجعوا الى ابيهم فقالوا له ما قال لهم اخوهم فقال بل سولت لكم انفسكم امرا اردتموه والا فما ادرى ذلك الرجل ان السارق يؤخذ بسرقته لولا فتواكم وتعليمكم فصبر جميل عسى الله ان ياتيني بهم جميعا بيوسف واخيه وروبيل او غيره انه هو العليم بحالي في الحزن والاسف الحكيم الذي لم يبتلني الا لحكمة ومصلحة وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة لما جاءوا به وقال يا اسفى على يوسف اضاف الاسف وهو اشد الحزن والحسرة الى نفسه والالف بدل من ياء الاضافة والتجانس بين لفظتي الاسف ويوسف مما يقع مطبوعا غير متعمل فيملح ويبدع ونحوه اثاقلتم الى الارض ارضيتم وهم ينهون عنه وينأون عنه يحسبون انهم يحسنون من سبا بنبا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وانما قال يا اسفى فان قلت كيف تاسف على يوسف دون اخيه ودون الثالث والرزء الاحدث اشد على النفس واظهر اثرا قلت هو دليل على تمادي اسفه على يوسف وانه لم يقع فائت عنده موقعه وان الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضا عنده طريا ولم تنسني وفي المصيبات بعده ولان الرزء في يوسف كان قاعدة مصيباته التي ترتبت عليها الرزايا في ولده فكان الاسف عليه اسفا على من لحق به وابيضت عيناه من الحزن اذا كثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين وقلبته الى بياض كدر قيل قد عمي بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا قرئ من الحزن ومن الحزن الحزن كان سبب البكاء الذي حدث منه البياض فكانه حدث من الحزن قيل ما جفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على الله من يعقوب وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل

٧ ولابن نقاء القرح للقرح اوجع

ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله ساعة قط فان قلت كيف جاز لنبي الله ان يبلغ به الجزع ذلك المبلغ قلت الانسان مجبول على ان لا يملك نفسه عند الشدائد من الحزن ولذلك حمد صبره وان يضبط نفسه حتى لا يخرج الى ما لا يحسن ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الله وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون وانما الجزع المذموم ما يقع من الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الصدور والوجوه وتمزيق الثياب وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله تبكي وقد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء وانما نهيتكم عن صوتين احمقين صوت عند الفرح وصوت عند الترح وعن الحسن رحمه الله انه بكى على ولد او غيره فقيل له في ذلك فقال ما رايت الله جعل الحزن عارا على يعقوب عليه السلام فهو كظيم مملوء من الغيظ على اولاده ولا يظهر ما يسوءهم فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه والكظم بفتح الظاء مخرج النفس يقال اخذ باكظامه قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف اراد لا تفتؤ فحذف حرف النفي لانه لا يلتبس بالاثبات لانه لو كان اثباتا لم يكن بد من اللام والنون ونحوه . فقلت يمين الله ابرح قاعدا . ومعنى لا تفتؤ لا تزال وعن مجاهد لا تفتر عن حبه كانه جعل الفتوء والفتور اخوين يقال ما فتئ يفعل قال اوس . فما فتئت خيل تثوب وتدعي . حتى تكون حرضا مشفيا على الهلاك مرضا واحرضه المرض ويستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه مصدر والصفة حرض بكسر الراء ونحوهما دنف ودنف وجاءت القراءة بهما جميعا وقرا الحسن حرضا بضمتين ونحوه في الصفات رجل جنب وغرب او تكون من الهالكين قال انما اشكو بثي وحزني الى الله البث اصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس اي ينشره ومنه باثه امره وابثه اياه ومعنى انما اشكو اني لا اشكو الى احد منكم ومن غيركم انما اشكو الى ربي داعيا له وملتجئا اليه فخلوني وشكايتي وهذا معنى توليه عنهم اي فتولى عنهم الى الله والشكاية اليه وقيل دخل على يعقوب جار له فقال يا يعقوب قد تهشمت وفنيت وما بلغت من السن ما بلغ ابوك فقال هشمني وافناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف فاوحى الله اليه يا يعقوب اتشكوني الى خلقي قال يا رب خطيئة اخطاتها فاغفر لي فغفر له وكان بعد ذلك اذا سئل قال انما اشكو بثي وحزني الى الله وروي انه اوحى الله الى يعقوب انما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه وان احب خلقي الي الانبياء ثم المساكين فاصنع طعاما وادع اليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت واعلم من الله ما لا تعلمون اي اعلم من صنعه ورحمته وحسن ظني به انه ياتيني بالفرج من حيث لا احتسب وروي انه راى ملك الموت في منامه فساله هل قبضت روح يوسف فقال لا والله هو حي فاطلبه وقرا الحسن وحزني بضمتين قتادة يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما وقرئ بالجيم كما قرئ بهما في الحجرات وهما تفعل من الاحساس وهو المعرفة فلما احس عيسى منهم الكفر ومن الجس وهو الطلب ومنه قالوا لمشاعر الانسان الحواس والجواس ولا تياسوا من روح الله من فرجه وتنفيسه وقرا الحسن وقتادة من روح الله بالضم اي من رحمته التي يحيا بها العباد انه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر الهزال من الشدة والجوع وجئنا ببضاعة مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من ازجيته اذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب قيل كانت من متاع الاعراب صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة فاوف لنا الكيل الذي هو حقنا وتصدق علينا وتفضل علينا بالمسامحة والاغماض عن رداءة البضاعة او زدنا على حقنا فسموا ما هو فضل وزيادة لا تلزمه صدقة لان الصدقات محظورة على الانبياء وقيل كانت تحل لغير نبينا عليه السلام وسئل ابن عيينة عن ذلك فقال الم تسمع وتصدق

الرب

حد

علينا ارادوا انها كانت حلالا لهم والظاهر انهم تمسكنوا له وطلبوا اليه ان يتصدق عليهم ومن ثم رق لهم
وملكته الرحمة عليهم فلم يتمالك ان عرفهم بنفسه وقوله ان الله يجزي المتصدقين شاهد لذلك لذكر
الله وجزائه والصدقة العطية التي تبتغى بها المثوبة من الله ومنه قول الحسن لمن سمعه يقول
اللهم تصدق علي ان الله لا يتصدق انما يتصدق الذي يبتغي الثواب اللهم اعطني او تفضل علي او ارحمني
قال هل علمتم اتاهم من جهة الدين وكان حليما موفقا فكلمهم مستفهما عن معرفة وجه القبح الذي يجب
ان يراعيه التائب فقال هل علمتم قبح ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون لا تعلمون قبحه فلذلك
اقدمتم عليه يعني هل علمتم قبحه فتبتم الى الله منه لان علم القبح يدعو الى الاستقباح والاستقباح
يجر الى التوبة فكان كلامه شفقة عليهم وتنصحا لهم في الدين لا معاتبة وتثريبا ايثارا لحق الله على
حق نفسه في ذلك المقام الذي ينفض فيه المكروب وينفث المصدور ويتشفى المغيظ المحنق
ويدرك ثاره الموتور فلله اخلاق الانبياء ما اوطاها واسجحها ولله حصى عقولهم ما اوزنها وارجحها
وقيل لم يرد نفي العلم عنهم لانهم كانوا علماء ولكنهم لما لم يعملوا بما يقتضيه العلم ولا يقدم عليه
الا جاهل سماهم جاهلين وقيل معناه اذ انتم صبيان في حد السفه والطيش قبل ان تبلغوا اوان
الحلم والرزانة وروي انهم لما قالوا مسنا واهلنا الضر وتضرعوا اليه اغرورقت عيناه ثم قال
هذا القول وقيل ادوا اليه كتاب يعقوب من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم
خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدي فشدت يداه ورجلاه
ورمي به في النار ليحرق فنجاه الله وجعلت النار بردا وسلاما واما ابي فوضع السكين على قفاه
ليقتل ففداه الله واما انا فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم
اتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان
اخاه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا
اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع
من ولدك والسلام فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ذلك وروي انه
لما قرأ الكتاب بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا فان قلت ما فعلهم
باخيه قلت تعريضهم اياه للغم بافراده عن اخيه لابيه وامه وجفاؤهم به حتى
كان لا يستطيع ان يكلم احدا منهم الا كلام الذليل للعزيز وايذاؤهم له بانواع الاذى قالوا ائنك
لانت يوسف قال انا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا قرئ انك على الاستفهام وانك
على الايجاب وفي قراءة ابي ائنك او انت يوسف على معنى ائنك يوسف او انت يوسف فحذف الاول لدلالة الثاني عليه — ٧ يوسف صح
وهذا كلام متعجب مستغرب فهو يكرر الاستثبات فان قلت — ٢ لما يسمع صح
لم عرفوه قلت رأوا في روائه وشمائله حين كلمهم بذلك ما شعروا به انه هو مع علمهم
بان ما خاطبهم به لا يصدر مثله الا عن حنيف مسلم من سنخ ابراهيم لا عن بعض اعزاء مصر
وقيل تبسم عند ذلك فعرفوه بثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم وقيل ما عرفوه حتى رفع التاج
عن راسه فنظروا الى علامة بقرنه كانت ليعقوب وسارة مثلها تشبه الشامة البيضاء فان
قلت قد سالوه عن نفسه فلم اجابهم عنها وعن اخيه على ان اخاه كان معلوما عندهم
قلت لانه كان في ذكر اخيه بيان لما سالوه عنه انه من يتق من خاف الله وعقابه ويصبر
عن المعاصي وعلى الطاعات فان الله لا يضيع اجر المحسنين فان الله لا يضيع اجرهم فوضع المحسنين
موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين قالوا تالله لقد آثرك الله علينا اي فضلك الله
علينا بالتقوى والصبر وسيرة المحسنين وان كنا لخاطئين وان شاننا وحالنا انا كنا خاطئين
متعمدين للاثم لم نتق ولم نصبر لا جرم ان الله اعزك بالملك واذلنا بالتمسكن بين يديك قال
لا تثريب عليكم اليوم لا تانيب عليكم ولا عتب واصل التثريب من الثرب الذي هو غاشية — ٢ وهو الشحم صح
الكرش ومعناه ازالة الثرب كما ان التجليد والتقريع ازالة الجلد والقرع لانه اذا ذهب كان
ذلك غاية الهزال والعجف الذي ليس بعده فضرب مثلا للتقريع الذي يمزق الاعراض ويذهب
بماء الوجوه فان قلت بم تعلق اليوم قلت بالتثريب او بالمقدر في عليكم من

معنى

معنى الاستقرار اي يغفر والمعنى لا اثربكم اليوم وهو اليوم الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره من
الايام ثم ابتدأ فقال يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم يقال غفر الله
لك ويغفر الله لك على لفظ الماضي والمضارع جميعا ومنه قول المشمت يهديكم الله ويصلح بالكم
او اليوم يغفر الله لكم بشارة بعاجل غفران الله لما تجدد من توبتهم وندمهم على خطيئتهم وروي — يومئذ صح
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ بعضادتي باب الكعبة يوم الفتح فقال لقريش ما ترونني
فاعلا بكم قالوا نظن خيرا اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت فقال اقول ما قال اخي يوسف لا تثريب
عليكم اليوم وروي ان ابا سفيان لما جاء ليسلم قال له العباس اذا اتيت الرسول فاتل عليه قال لا تثريب
عليكم ففعل فقال رسول الله غفر الله لك ولمن علمك وروي ان اخوته لما عرفوه ارسلوا اليه انك تدعونا
الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال يوسف ان اهل مصر وان ملكت
فيهم فانهم ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد
شرفت الان بكم وعظمت في العيون حيث علم الناس انكم اخوتي واني من حفدة ابراهيم اذهبوا بقميصي
هذا قيل هو القميص المتوارث الذي كان في تعويذ يوسف وكان من الجنة امره جبريل عليه السلام
ان يرسله اليه فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم الا عوفي فالقوه على وجه ابي يات بصيرا
يصر بصيرا كقولك جاء البناء محكما بمعنى صار ويشهد له فارتد بصيرا او يات الي وهو بصير وينصره قوله
واتوني باهلكم اجمعين اي ياتني ابي ويأتني آله جميعا وقيل يهوذا هو الحامل قال انا احزنته بحمل
القميص ملطوخا بالدم اليه فافرحه كما احزنته وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما
مسيرة ثمانين فرسخا ولما فصلت العير خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل
منه وجاوز حيطانه وقرأ ابن عباس فلما انفصل العير قال ابوهم لولده ومن حوله من قومه اني
لاجد ريح يوسف اوجده الله ريح القميص حين اقبل من مسيرة ثمان لولا ان تفندون التفنيد
النسبة الى الفند وهو الخرف وانكار العقل من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة لانها
لم تكن في شبيبتها ذات راي فتفند في كبرها والمعنى لولا تفنيدكم اياي لصدقتموني قالوا تالله
انك لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما في افراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره
ورجائك للقائه وكان عندهم انه قد مات فلما ان جاء البشير القاه على وجهه طرح البشير
القميص على وجه يعقوب عليه السلام او القاه يعقوب فارتد فرجع بصيرا يقال رده فارتد وارتده
اذا ارتجعه قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون يعني قوله اني لاجد ريح يوسف او قوله
ولا تياسوا من روح الله وقوله اني اعلم كلام مبتدأ لم يقع عليه القول ويجوز ان يقع عليه وتريد قوله
انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون وروي انه سال البشير كيف يوسف فقال
هو ملك مصر فقال ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال الان تمت النعمة
قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم
قيل اخر الاستغفار الى وقت السحر وقيل الى ليلة الجمعة ليتعمد به وقت الاجابة وقيل ليتعرف
حالهم في صدق التوبة واخلاصها وقيل اراد الدوام على الاستغفار لهم فقد روي انه كان يستغفر
لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة وقيل قام الى الصلاة في وقت السحر فلما فرغ رفع
يديه وقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما اتوا الى اخيهم
فاوحى اليه ان الله قد غفر لك ولهم اجمعين وروي انهم قالوا له وقد غلبتهم الكآبة ما يغني
عنا عفوكما ان لم يعف عنا ربنا فان لم يوح اليك بالعفو فلا قرت لنا عين ابدا فاستقبل
الشيخ القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين عشرين سنة — ٣
حتى بلغ جهدهم وظنوا انها الهلكة نزل جبريل فقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد — عليه السلام صح
مواثيقهم بعدك على النبوة وقد اختلف في استنبائهم فلما دخلوا على يوسف قيل وجه يوسف
الى ابيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز اليه بمن معه وخرج يوسف والملك في اربعة الاف من الجند — ٤
والعظماء واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب وهو يمشي متوكئا على يهوذا فنظر الى الخيل والناس — عليه السلام صح
فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا هذا ولدك فلما لقيه قال يعقوب السلام عليك يا مذهب

الاخوان وقيل ان يوسف قال له لما التقيا يا ابت بكيت علي حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيامة تجمعنا
فقال بلى ولكن خشيت ان تسلب دينك فيحال بيني وبينك وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر
وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامراة وخرجوا منها مع موسى عليه السلام والمقاتلون ستمائة الف
وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية الف الف ومائتي الف
اوى اليه ابويه ضمهما اليه واعتنقهما قال ابن اسحق كانت امه تحيا وقيل هما ابوه وخالته ماتت
امه فتزوجها وجعلها احد الابوين لان الرابة تدعى اما لقيامها مقام الام او لان الخالة ام كما ان العم اب
ومنه قوله واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق فان قلت ما معنى دخولهم عليه قبل
دخولهم مصر قلت كانه حين استقبلهم نزل لهم في مضرب او بيت ثم فدخلوا عليه وضم
اليه ابويه وقال اي ثم قال لهم ادخلوا مصر ان شاء الله امنين ورفع ابويه الى العرش اي ولما دخل مصر
وجلس في مجلسه مستويا على سريره واجتمعوا اليه اكرم ابويه فرفعهما على السرير وخروا له يعني
الاخوة الاحدى عشر والابوين سجدا ويجوز ان يكون قد خرج في قبة من قباب الملوك التي تحمل
على البغال فامر ان يرفع اليه ابواه فدخلا عليه القبة فاواهما اليه بالضم والاعتناق وقربهما منه
وقال بعد ذلك ادخلوا مصر فان قلت بم تعلقت المشية قلت بالدخول
مكيفا بالامن لان القصد الى اتصافهم بالامن في دخولهم فكانه قيل اسلموا وامنوا في دخولكم
ان شاء الله ونظيره قولك للغازي ارجع سالما غانما ان شاء الله فلا تعلق المشية بالرجوع مطلقا
ولكن مقيدا بالسلامة والغنيمة مكيفا بهما والتقدير ادخلوا مصر امنين ان شاء الله دخلتم امنين
ثم حذف الجزاء لدلالة الكلام ثم اعترض بالجملة الجزائية بين الحال وذي الحال ومن بدع التفاسير
ان قوله ان شاء الله من باب التقديم والتاخير وان موضعها ما بعد قوله سوف استغفر لكم ربي في
كلام يعقوب وما ادري ما اقول فيه وفي نظائره فان قلت كيف جاز لهم ان يسجدوا
لغير الله قلت كانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل
اليد ونحوها مما جرت عليه عادة الناس من افعال شهرت في التعظيم والتوقير وقيل ما كانت الا
انحناء دون تعفير الجباه وخرورهم سجدا ياباه وقيل معناه خروا لاجل يوسف سجدا لله شكرا
وهذا ايضا فيه نبوة وقال يا ابت هذا تاويل رءياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد احسن بي
يقال احسن اليه وبه وكذلك اساء اليه وبه قال اسيئي بنا او احسني لا ملومة اذ اخرجني من
السجن وجاء بكم من البدو من البادية لانهم كانوا اهل عمد واصحاب مواش ينتقلون في المياه
والمناجع من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي افسد بيننا واغرى واصله من نخس
الرائض الدابة وحمله على الجري يقال نزغه ونسغه اذا نخسه ان ربي لطيف لما يشاء لطيف
التدبير لاجله رفيق حتى يجيء على وجه الحكمة والصواب انه هو العليم الحكيم وروي ان يوسف اخذ بيد
يعقوب عليهما السلام فطاف به في خزائنه فادخله خزائن الورق والذهب وخزائن الحلي وخزائن الثياب
وخزائن السلاح وغير ذلك فلما ادخله خزانة القراطيس قال يا بني ما اعقك عندك هذه
القراطيس وما كتبت الي على ثمان مراحل قال امرني جبريل عليه السلام قال او ما تسئله قال انت
ابسط اليه مني فسله فقال جبريل الله امرني بذلك لقولك واخاف ان ياكله الذئب قال فهلا
خفتني وروي ان يعقوب اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم مات واوصى ان يدفنه بالشام الى
جنب ابيه اسحاق فمضى بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد الى مصر وعاش بعد ابيه ثلاثا وعشرين سنة
فلما تم امره وعلم انه لا يدوم له طلبت نفسه الملك الخالد فتاقت نفسه اليه فتمنى الموت
وقيل ما تمناه نبي قبله ولا بعده فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر وتشاحوا في دفنه
كل يحب ان يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال فراوا من الراي ان عملوا له صندوقا من مرمر وجعلوه
فيه ودفنوه في النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعا واحدا وولد
له افرائيم وميشا وولد لافرائيم نون ولنون يوشع فتى موسى ولقد توارثت الفراعنة
من العماليق بعده مصر ولم يزل بنو اسرائيل تحت ايديهم على بقايا دين يوسف وابائه الى ان
بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم رب قد اتيتني من الملك وعلمتني من تاويل الاحاديث من

يغط

الملك ومن تاويل الاحاديث للتبعيض لانه لم يؤت الا بعض ملك الدنيا او بعض ملك مصر وبعض
التاويل فاطر السموات والارض انت وليي انت الذي تتولاني بالنعمة في الدنيا والاخرة في الدارين
وتوصل الملك الفاني بالملك الباقي توفني مسلما طلب للوفاة على حال الاسلام ولان يختم له بالخير
والحسنى كما قال يعقوب لولده ولا تموتن الا وانتم مسلمون ويجوز ان يكون تمنيا للموت على ما قيل
والحقني بالصالحين من ابائي او على العموم وعن عمر بن عبد العزيز ان ميمون بن مهران بات عنده
فرآه كثير البكاء والمسئلة للموت فقال له صنع الله على يديك خيرا كثيرا احييت سننا وامت بدعا
وفي حياتك خير وراحة للمسلمين فقال افلا اكون كالعبد الصالح لما اقر الله عينه وجمع له امره قال
توفني مسلما والحقني بالصالحين فان قلت علام انتصب فاطر السموات قلت
على انه وصف لقوله رب كقولك اخا زيد حسن الوجه او على النداء ذلك اشارة الى ما سبق من نبا يوسف
والخطاب لرسول الله وهو مبتدا ومحله الابتداء وقوله من انباء الغيب نوحيه اليك خبران ويجوز ان يكون
اسما موصولا بمعنى الذي ومن انباء الغيب صلته ونوحيه الخبر والمعنى ان هذا النبا غيب لم
يحصل لك الا من جهة الوحي لانك لم تحضر بني يعقوب حين اجمعوا امرهم وهو القاؤهم اخاهم في البئر
كقوله واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون وهذا
تهكم بقريش وبمن كذبه لانه لم يخف على احد من المكذبين انه لم يكن من حملة هذا الحديث واشباهه ولا
لقي فيها احدا ولا سمع منه ولم يكن من علم قومه فاذا اخبر به وقص هذا القصص العجيب الذي اعجز
حملته ورواته لم تقع شبهة في انه ليس منه وانه من جهة الوحي فاذا انكروه تهكم بهم وقيل لهم
قد علمتم يا مكابرة انه لم يكن مشاهدا لمن مضى من القرون الخالية ونحوه وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا
الى موسى الامر وهم يمكرون بيوسف ويبغون له الغوائل وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين
يريد العموم كقوله ولكن اكثر الناس لا يؤمنون وعن ابن عباس اراد اهل مكة اي وما هم بمؤمنين
ولو حرصت وتهالكت على ايمانهم لتصميمهم على الكفر وعنادهم وما تسالهم عليه من اجر على ما تحدثهم
به وتذكرهم ان ينيلوك منفعة وجدوى كما يعطي حملة الاحاديث والاخبار ان هو الا ذكر عظة
من الله للعالمين عامة وحث على طلب النجاة على لسان رسول من رسله وكاين من اية من علامة ودلالة
على الخالق وعلى صفاته وتوحيده في السموات والارض يمرون عليها ويشاهدونها وهم عنها معرضون
وهم معرضون عنها لا يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على الابتداء ويمرون عليها خبره وقرا السدي
والارض بالنصب على ويطئون الارض يمرون عليها وفي مصحف عبد الله والارض يمشون عليها
برفع الارض والمراد ما يرون من اثار الامم الهالكة وغير ذلك من العبر وما يؤمن اكثرهم في
اقراره بالله وبانه خلقه وخلق السموات والارض الا وهم مشركون الا وهو مشرك بعبادة
الوثن وعن الحسن هم اهل الكتاب معهم شرك وايمان وعن ابن عباس هم الذين يشبهون الله
بخلقه افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله نقمة تغشاهم وقيل ما يغمرهم من العذاب ويجللهم
وقيل الصواعق او تاتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون قل هذه سبيلي هذه السبيل التي
هي الدعوة الى الايمان والتوحيد سبيلي والسبيل والطريق يذكران ويؤنثان ثم فسر سبيله بقوله
ادعو الى الله على بصيرة اي ادعو الى دينه مع حجة واضحة غير عمياء انا تاكيد للمستتر في ادعو
ومن اتبعني عطف عليه يريد ادعو اليها انا ويدعو اليها من اتبعني ويجوز ان يكون انا مبتدا وعلى
بصيرة خبرا مقدما ومن اتبعني عطفا على انا اخبارا مبتدا بانه ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على
هوى ويجوز ان يكون على بصيرة حالا من ادعو عاملة الرفع في انا ومن اتبعني وسبحان الله وما
انا من المشركين وانزهه من الشركاء وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم لا ملائكة لانهم
كانوا يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة وعن ابن عباس يريد ليست فيهم امراة وقيل في سجاح
المتنبئة ولم نرسل انبياء الله ذكرانا وقرئ نوحي اليهم بالنون من اهل القرى لانهم اعلم واحلم واهل
البوادي فيهم الجهل والجفاء والقسوة افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من
قبلهم ولدار الاخرة ولدار الساعة او الحال الاخرة خير للذين اتقوا الذين خافوا الله فلم يشركوا
به ولم يعصوه وقرئ افلا تعقلون بالتاء والياء حتى اذا استياس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم

نصرنا فنجي من نشاء حتى متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام كانه قيل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا فتراخى
نصرهم حتى اذا استيأسوا عن النصر وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون
او كذبهم رجاؤهم لقولهم رجاء صادق ورجاء كاذب والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار
النصر من الله وتأميله قد تطاولت عليهم وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا ان لا نصر لهم في الدنيا
جاءهم نصرنا فجاءة من غير احتساب وعن ابن عباس رضي الله عنهما وظنوا حين ضعفوا وغلبوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم
الله من النصر وقال كانوا بشرا وتلا قوله وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه فان صح هذا
عن ابن عباس فقد اراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس في القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس
على ما عليه البشرية واما الظن الذي هو ترجح احد الجائزين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين
فما بال رسل الله الذين هم اعرف الناس بربهم وانه متعال عن خلف الميعاد منزه عن كل قبيح وقيل
وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا اي اخلفوا او وظن المرسل اليهم انهم كذبوا من جهة الرسل
اي كذبتهم الرسل في انهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم فيه وقرئ كذبوا بالتشديد اي وظن الرسل
انهم قد كذبتهم قومهم فيما وعدوهم من العذاب والنصرة عليهم وقرأ مجاهد كذبوا بالتخفيف على
البناء للفاعل اي وظن الرسل انهم قد كذبوا فيما حدثوا به قومهم من النصرة اما على تأويل ابن عباس
واما على ان قومهم اذا لم يروا لموعدهم اثرا قالوا لهم انكم قد كذبتمونا فيكونون كاذبين عند قومهم
او وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا ولو قرئ بهذا مشددا لكان معناه وظن الرسل ان
قومهم كذبوهم في موعدهم وقرئ فننجي بالتخفيف والتشديد من انجاه ونجاه وفنجي على لفظ الماضي
المبني للمفعول وقرأ ابن محيصن فنجا والمراد بمن نشاء المؤمنون لانهم الذين يستأهلون ان
يشاء نجاتهم وقد بين ذلك بقوله ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين لقد كان في قصصهم عبرة لاولي
الالباب الضمير في قصصهم للرسل وينصره قراءة من قرأ في قصصهم بكسر القاف وقيل هو راجع الى يوسف
واخوته فان قلت فالى من يرجع الضمير في ما كان حديثا يفترى قلت الى القرآن
اي ما كان القرآن حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه اي قبله من الكتب السماوية وتفصيل
كل شيء يحتاج اليه في الدين لانه القانون الذي تستند اليه السنة والاجماع والقياس بعد ادلة
العقل وهدى ورحمة لقوم يؤمنون وانتصاب ما نصب بعد لكن للعطف على خبر كان وقرئ
كل ذلك بالرفع على ولكن هو تصديق الذي بين يديه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم
سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت
واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما وبالله العون والتوفيق

رضي الله عنهما صح

فيمن قرأ بالكسر صح

سورة الرعد مكية وهي خمس واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم المر تلك آيات الكتاب تلك اشارة
الى آيات السورة والمراد بالكتاب السورة اي تلك الآيات آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها
كما قال والذي انزل اليك من ربك الحق ولكن اكثر الناس لا يؤمنون والذي انزل اليك من القرآن
كله هو الحق الذي لا مزيد عليه لا هذه السورة وحدها وفي اسلوب هذا الكلام قول الانمارية
هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها تريد الكملة الله مبتدأ والذي خبر بدليل قوله وهو الذي
مد الارض ويجوز ان يكون صفة وقوله يدبر الامر يفصل الآيات خبر بعد خبر وينصره ما تقدمه من
ذكر الآيات رفع السموات بغير عمد ترونها كلام مستأنف استشهادا برؤيتهم لها كذلك وقيل هي
صفة لعمد وتعضده قراءة ابي ترونه وقرئ عمد بضمتين ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر
كل يجري لاجل مسمى يدبر الامر يدبر امر ملكوته وربوبيته يفصل الآيات ينزلها ويبينها مفصلة في
كتبه المنزلة لعلكم بلقاء ربكم توقنون لعلكم توقنون بالجزاء بان هذا المدبر والمفصل لا بد لكم
من الرجوع اليه وقرأ الحسن ندبر بالنون وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي وانهارا
ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين خلق فيها من جميع انواع الثمرات زوجين زوجين حين مدها
ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت وقيل اراد بالزوجين الاسود والابيض والحلو والحامض والصغير
والكبير وما اشبه ذلك من الاصناف المختلفة يغشي الليل النهار يلبسه مكانه فيصير الجو

ثم صح

١٥

ظلما بعد ما كان ابيض منيرا وقرئ يغشي بالتشديد ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون وفي الارض
قطع متجاورات بقاع مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة
وصلبة الى رخوة وصالحة للزرع لا للشجر الى اخرى على عكسها مع انتظامها جميعا في جنس الارضية
وذلك دليل على قادر مريد موقع لافعاله على وجه دون وجه وكذلك الكروم والزروع والنخيل النابتة
في هذه القطع مختلفة الانواع والاجناس وهي تسقى بماء واحد وتراها متغايرة الثمر في الاشكال
والالوان والطعوم والروائح متفاضلة فيها وفي بعض المصاحف قطعا متجاورات على وجعل
وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان وقرئ وجنات بالنصب للعطف على زوجين
او باضمار جعل على كل الثمرات وقرئ وزرع ونخيل بالجر عطفا على اعناب او جنات والصنوان جمع صنو وهي
النخلة لها رأسان واصلهما واحد وقرئ بالضم فالكسر لغة اهل الحجاز والضم لغة بني تميم
وقيس يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض تسقى بالياء والتاء ونفضل بالنون والياء على
البناء للفاعل والمفعول جميعا في الاكل بضم الكاف وسكونها ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون
وان تعجب يا محمد فعجب قولهم من قولهم في انكار البعث فقولهم عجيب حقيق بان يتعجب منه لان من
قدر على انشاء ما عدد عليك من الفطر العظيمة ولم يعي بخلقهن كانت الاعادة اهون شيء عليه وايسر
فكان انكارهم اعجوبة من الاعاجيب ائذا كنا ترابا ائنا لفي خلق جديد ائذا كنا الى آخر قولهم يجوز ان
يكون في محل الرفع بدلا من قولهم وان يكون منصوبا بالقول واذا نصب بما دل عليه قوله ائنا لفي خلق
جديد اولئك الذين كفروا بربهم اولئك الكاملون المتمادون في كفرهم واولئك الاغلال في اعناقهم
وصف بالاصرار كقوله انا جعلنا في اعناقهم اغلالا او نحوه • لهم عن الرشد اغلال واقياد •
او هو من جملة الوعيد واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة
بالنقمة قبل العافية والاحسان اليهم بالامهال وذلك انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم
بالعذاب استهزاء منهم بانذاره وقد خلت من قبلهم المثلات اي عقوبات امثالهم من المكذبين
فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزئوا والمثلة العقوبة بوزن السمرة والمثلة لما بين العقاب والمعاقب
عليه من المماثلة وجزاء سيئة سيئة مثلها ويقال امثلت الرجل من صاحبه واقصصته منه والمثال
القصاص وقرئ المثلات بضمتين لاتباع الفاء العين والمثلات بفتح الميم وسكون الثاء كما يقال السمرة
والمثلات بضم الميم وسكون الثاء تخفيف المثلات بضمتين والمثلات جمع مثلة كركبة وركبات
وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم اي مع ظلمهم انفسهم بالذنوب ومحله الحال بمعنى ظالمي
لانفسهم وفيه وجه ان يريد السيئات المكفرة لمجتنب الكبائر او الكبائر بشرط التوبة او يريد
بالمغفرة الستر والامهال وروي انها لما نزلت قال النبي صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه
ما هنأ احد العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد وان ربك لشديد العقاب ويقول
الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه لم يعتدوا بالآيات المنزلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا
فاقترحوا نحو آيات موسى وعيسى من انقلاب العصا حية واحياء الموتى فقيل لرسول الله انما
انت منذر انما انت رجل ارسلت منذرا مخوفا لهم من سوء العاقبة وناصحا كغيرك من الرسل وما عليك
الا الاتيان بما يصح به انك رسول منذر وصحة ذلك حاصلة باية آية كانت والآيات كلها
سواء في حصول صحة الدعوى بها لا تفاوت بينها والذي عنده كل شيء بمقدار يعطي كل نبي آية
على حسب ما اقتضاه علمه بالمصالح وتقديره لها ولكل قوم هاد من الانبياء يهديهم الى الدين
ويدعوهم الى الله بوجه من الهداية وباية خص بها ولم يجعل الانبياء شرعا واحدا في آيات مخصوصة
ووجه آخر وهو ان يكون المعنى انهم يجحدون كون ما انزل عليك آيات ويعاندون فلا يهمنك
ذلك انما انت منذر فما عليك الا ان تنذر لا ان تثبت الايمان في صدورهم ولست بقادر عليه
ولكل قوم هاد قادر على هدايتهم بالالجاء وهو الله تعالى ولقد دل بما اردفه من ذكر آيات علمه
وتقديره الاشياء على قضايا حكمته ان اعطاء كل منذر آيات خلاف آيات غيره امر مدبر بالعلم
النافذ مقدر بالحكمة الربانية ولو علم في اجابتهم الى مقترحهم خيرا ومصلحة لاجابهم اليه واما
على الوجه الثاني فقد دل به على ان من هذه قدرته وهذا علمه هو القادر وحده على هدايتهم

صدر البيت
كيف الرشاد وقد خلفت في نفر •

صلى الله عليه وسلم صح

العالم باي طريق يهربهم ولا سبيل الى ذلك لغير الله **الله يعلم** يحتمل ان يكون كلاما مستانفا وان يكون المعنى هو الله تفسيرا لهاد على الوجه الاخير ثم ابتدي فقيل يعلم ما تحمل كل انثى **ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد** ما في ما تحمل وما تغيض وما تزداد اما موصولة واما مصدرية فان كانت موصولة فالمعنى انه يعلم ما تحمله من الولد على اي حال هو من ذكورة وانوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك من الاحوال الحاضرة والمترقبة ويعلم ما تغيضه الارحام اي تنقصه يقال غاض الماء وغضته انا ومنه قوله تعالى وغيض الماء وما تزداد اي تاخذه زائدا تقول اخذت منه حقي وازددت منه كذا ومنه قوله تعالى وازدادوا تسعا ويقال زدته فزاد بنفسه وازداد ومما تنقصه الرحم وتزداده عدد الولد فانها تشتمل على واحد وقد تشتمل على اثنين وثلاثة واربعة ويروى ان شريكا كان رابع اربعة في بطن امه ومنه جسد الولد فانه يكون تاما ومخدجا ومنه مدة ولادته فانها تكون اقل من تسعة اشهر وازيد عليها الى سنتين عند ابي حنيفة رحمه الله والى اربع عند الشافعي رحمه والى خمس عند مالك وقيل ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان بقي في بطن امه اربع سنين ولذلك سمي هرما ومنه الدم فانه يقل ويكثر وان كانت مصدرية فالمعنى انه يعلم حمل كل انثى ويعلم غيض الارحام وازديادها لا يخفى عليه شيء من ذلك ومن اوقاته واحواله ويجوز ان يراد غيوض ما في الارحام وزيادته فاسند الفعل الى الارحام وهو لما فيها على ان الفعلين غير متعديين ويعضده قول الحسن رحمه الله الغيضوضة ان تضع لثمانية اشهر او اقل من ذلك والازدياد ان تزيد على تسعة اشهر وعنه الغيض الذي يكون سقطا لغير تمام والازدياد ما ولد لتمام **وكل شيء عنده بمقدار** بقدر وحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر **عالم الغيب والشهادة الكبير** العظيم الشان الذي كل شيء دونه **المتعال** المستعلي على كل شيء بقدرته والذي كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها **سواء منكم من اسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار** سارب ذاهب في سربه بالفتح اي في طريقه ووجهه يقال سرب في الارض سروبا والمعنى سواء عنده من استخفى اي طلب الخفاء في مختبأ بالليل في ظلمته ومن يضطرب في الطرقات ظاهرا بالنهار يبصره كل احد **فان قلت** كان حق العبارة ان يقال ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار حتى يتناول معنى الاستواء المستخفي والسارب والا فقد تناول واحدا هو مستخف وسارب **قلت** فيه وجهان احدهما ان قوله وسارب عطف على من هو مستخف لا على مستخف والثاني انه عطف على مستخف الا ان من في معنى الاثنين كقوله ٭ نكن مثل من يا ذئب يصطحبان ٭ كانه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والضمير في له مردود على من كانه قيل لمن اسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب **معقبات** جماعات من الملائكة تعتقب في حفظه وكلاءته والاصل معتقبات فادغمت التاء في القاف كقوله وجاء المعذرون بمعنى المعتذرون ويجوز معقبات بكسر العين ولم يقرا به او هو مفعلات من عقبه اذا جاء على عقبه كما يقال قفاه لان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه **من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله** هما صفتان جميعا وليس من امر الله بصلة الحفظ كانه قيل له معقبات من امر الله او يحفظونه من اجل امر الله اي من اجل ان الله امرهم بحفظه والدليل عليه قراءة علي وابن عباس وزيد بن علي وجعفر بن محمد وعكرمة يحفظونه بامر الله او يحفظونه من باس الله ونقمته اذا اذنب بدعائهم له ومسالتهم ربهم ان يمهله رجاء ان يتوب وينيب كقوله قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه وتقديره من امر الله اي من قضاياه ونوازله او على التهكم به وقرئ له معاقيب جمع معقب او معقبة والياء عوض من حذف احدى القافين في التكسير **ان الله لا يغير ما بقوم** من العافية والنعمة **حتى يغيروا ما بانفسهم** من الحال الجميلة بكثرة المعاصي **واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال** ممن يلي امرهم ويدفع عنهم **هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا** لا يصح ان يكونا مفعولا لهما لانهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل الا على تقدير حذف

المضاف اي ارادة خوف وطمع او على معنى اخافة واطماعا او على ذا خوف وذا طمع ومن الحال بمعنى اي خائفين وطامعين ومعنى الخوف والطمع ان وقوع الصواعق يخاف عند لمع البرق ويطمع في الغيث قال ابو الطيب ٭ فتى كالسحاب الجون تخشى وترتجى ٭ يرجى الحيا منها وتخشى الصواعق ٭ وقيل يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن في جرينه التمر والزبيب ومن له بيت يكف ومن البلاد ما لا ينتفع اهله بالمطر كاهل مصر ويطمع فيه من له فيه نفع ويحيا به **وينشئ السحاب الثقال** السحاب اسم الجنس والواحدة سحابة والثقال جمع ثقيلة لانك تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما تقول امراة كريمة ونساء كرام وهي الثقال بالماء **ويسبح الرعد بحمده** ويسبح سامعو الرعد من العباد الراجين للمطر حامدين له اي يضجون بسبحان الله والحمد لله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده وعن علي رضي الله عنه سبحان من سبحت له واذا اشتد الرعد قال رسول الله اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن ابن عباس ان اليهود سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد ما هو فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن خلق من خلق الله ليس بملك ومن بدع المتصوفة الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات افئدتهم والمطر بكاؤهم **والملائكة من خيفته** ويسبح الملائكة من هيبته واجلاله **ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء** من عباده ذكر علمه النافذ في كل شيء واستواء الظاهر والخفي عنده وما دل على قدرته الباهرة ووحدانيته ثم قال **وهم** يعني الذين كفروا وكذبوا رسول الله وانكروا اياته **يجادلون في الله** حيث ينكرون على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث واعادة الخلائق بقولهم من يحيي العظام وهي رميم ويردون الوحدانية باتخاذ الشركاء والانداد ويجعلونه بعض الاجسام المتوالدة بقولهم الملائكة بنات الله فهذا جدالهم بالباطل كقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق وقيل الواو للحال اي فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم وذلك ان اربد اخا لبيد بن ربيعة العامري قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله فرماه الله عامرا بغدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية وارسل على اربد صاعقة فقتلته اخبرني عن ربنا امن نحاس هو ام من حديد **وهو شديد المحال** المماحلة وهو شدة المماكرة والمكايدة ومنه تمحل لكذا اذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان اذا كاده وسعى به الى السلطان ومنه الحديث ولا تجعله علينا ماحلا مصدقا وقال الاعشى ٭ فرع نبع يهتش في غصن المجد غزير الندى شديد المحال ٭ والمعنى انه شديد الكيد والمكر لاعدائه ياتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون وقرا الاعرج بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول محالا اذا احتال ومنه احول من ذئب اي اشد حيلة ويجوز ان يكون المعنى شديد الفقار ويكون مثلا في القوة والقدرة كما جاء فساعد الله اشد وموساه احد لان الحيوان اذا اشتد محاله كان منعوتا بشدة القوة والاضطلاع بما يعجز عنه غيره الا ترى الى قولهم فقرته الفواقر وذلك ان الفقار عمود الظهر وقوامه **له دعوة الحق** فيها وجهان احدهما ان تضاف الدعوة الى الحق الذي هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة اليه في قولك كلمة الحق للدلالة على ان الدعوة ملابسة للحق ومختصة به وانها بمعزل من الباطل والمعنى ان الله سبحانه يدعى فيستجيب ويعطي الداعي سؤاله ان كان مصلحة له فكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقا بان يوجه اليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينفع ولا يجدي دعاؤه والثاني ان تضاف الى الحق الذي هو الله عز وجل على معنى دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب وعن الحسن الحق هو الله وكل دعاء اليه دعوة الحق **فان قلت** ما وجه اتصال هذين الوصفين بما قبله **قلت** اما على قصة اربد فظاهر لان اصابته بالصاعقة محال من الله ومكر به من حيث لم يشعر وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وعلى صاحبه بقوله اللهم اكفنيهما بما شئت فاجيب فيهما وكانت الدعوة دعوة حق واما على الاول فوعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله بحلول محاله بهم واجابة دعوة رسول الله ان دعا عليهم فيهم **والذين يدعون** والالهة الذين يدعوهم الكفار **من دونه** دون الله **لا يستجيبون لهم بشيء** من طلباتهم **الا كباسط كفيه** الا استجابة كاستجابة باسط كفيه اي كاستجابة الماء من بسط كفيه اليه يطلب منه

صلى الله عليه وسلم

الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه

العالم باي طريق يهديهم ولا سبيل الى ذلك لغير الله الله يعلم يحتمل ان يكون كلاما مستانفا وان
يكون المعنى هو الله تفسيرا لها على الوجه الاخير ثم ابتدى فقيل يعلم ما تحمل كل انثى ما تحمل كل انثى
وما تغيض الارحام وما تزداد ما في ما تحمل وما تغيض وما تزداد اما موصولة واما مصدرية
فان كانت موصولة فالمعنى انه يعلم ما تحمله من الولد على اي حال هو من ذكورة وانوثة وتمام وخداج
وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك من الاحوال الحاضرة والمترقبة ويعلم ما تغيضه الارحام
اي تنقصه يقال غاض الماء وغضته انا ومنه قوله تعالى وغيض الماء وما تزداد اي تأخذه
زائدا تقول اخذت منه حقي وازددت منه كذا ومنه قوله تعالى وازدادوا تسعا ويقال زدته
فزاد بنفسه وازداد ومما تنقصه الرحم وتزداده عدد الولد فانها تشتمل على واحد وقد
تشتمل على اثنين وثلاثة واربعة ويروى ان شريكا كان رابع اربعة في بطن امه ومنه جسد
الولد فانه يكون تاما ومخدجا ومنه مدة ولادته فانها تكون اقل من تسعة اشهر وازيد عليها
الى سنتين عند ابي حنيفة رحمه الله والى اربع عند الشافعي رحمه والى خمس عند مالك وقيل
ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان بقي في بطن امه اربع سنين ولذلك سمي هرما ومنه
الدم فانه يقل ويكثر وان كانت مصدرية فالمعنى انه يعلم حمل كل انثى ويعلم غيض الارحام وازدياده
لا يخفى عليه شيء من ذلك ومن اوقاته واحواله ويجوز ان يراد غيوض ما في الارحام وزيادته فاسند
الفعل الى الارحام وهو لما فيها على ان الفعلين غير متعديين ويعضده قول الحسن رحمه الله الغيضوضة
ان تضع لثمانية اشهر او اقل من ذلك والازدياد ان تزيد على تسعة اشهر وعنه الغيض الذي
يكون سقطا لغير تمام والازدياد ما ولد لتمام وكل شيء عنده بمقدار بقدر وحد لا يجاوزه ولا
ولا ينقص عنه كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر عالم الغيب والشهادة الكبير العظيم الشأن
الذي كل شيء دونه المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته والذي كبر عن صفات المخلوقين وتعالى
عنها سواء منكم من اسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار سارب ذاهب
في سربه بالفتح اي في طريقه ووجهه يقال سرب في الارض سروبا والمعنى سواء عنده من استخفى اي طلب
الخفاء مختبئا بالليل في ظلمته ومن يضطرب في الطرقات ظاهرا بالنهار يبصره كل احد فان
قلت كان حق العبارة ان يقال ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار
حتى يتناول معنى الاستواء المستخفي والسارب والا فقد تناول واحدا وهو مستخف وسارب
قلت فيه وجهان احدهما ان قوله وسارب عطف على من هو مستخف لا على مستخف والثاني
انه عطف على مستخف الا ان من في معنى الاثنين كقوله نكن مثل من يا ذئب يصطحبان
كانه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والضمير في له مردود على من كانه
قيل لمن اسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب معقبات جماعات من الملائكة تعتقب في
حفظه وكلاءته والاصل معتقبات فادغمت التاء في القاف كقوله وجاء المعذرون بمعنى المعتذرون
ويجوز معقبات بكسر العين ولم يقرا به او هو مفعلات من عقبه اذا جاء على عقبه كما يقال
قفاه لان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه من بين يديه ومن
خلفه يحفظونه من امر الله هما صفتان جميعا وليس من امر الله بصلة للحفظ كانه قيل له معقبات
من امر الله او يحفظونه من اجل امر الله اي من اجل ان الله امرهم بحفظه والدليل عليه قراءة علي
وابن عباس وزيد بن علي وجعفر بن محمد وعكرمة يحفظونه بامر الله او يحفظونه من باس
الله ونقمته اذا اذنب بدعائهم له ومسالتهم ربهم ان يمهله رجاء ان يتوب وينيب كقوله قل
من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه
في توهمه وتقديره من امر الله اي من قضاياه ونوازله او على التهكم به وقرئ له معاقيب جمع معقب
او معقبة والياء عوض من حذف احدى القافين في التكسير ان الله لا يغير ما بقوم من العافية
والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم من الحال الجميلة بكثرة المعاصي واذا اراد الله بقوم سوءا
فلا مرد له وما لهم من دونه من وال ممن يلي امرهم ويدفع عنهم هو الذي يريكم البرق خوفا
وطمعا لا يصح ان يكونا مفعولا لهما لانهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل الا على تقدير حذف

المضاف

المضاف اي ارادة خوف وطمع او على معنى اخافة واطماعا او على ذا خوف وذا طمع او من البرق يعني
اي خائفين وطامعين ومعنى الخوف والطمع ان وقوع الصواعق يخاف عند لمع البرق ويطمع في الغيث
قال ابو الطيب فتى كالسحاب الجون تخشى وترتجى يرجى الحيا منها وتخشى الصواعق
وقيل يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن في جرينه التمر والزبيب ومن له بيت يكف ومن البلاد
ما لا ينتفع اهله بالمطر كاهل مصر ويطمع فيه من له فيه نفع ويحيا به وينشئ السحاب الثقال السحاب
اسم الجنس والواحدة سحابة والثقال جمع ثقيلة لانك تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما تقول
امراة كريمة ونساء كرام وهي الثقال بالماء ويسبح الرعد بحمده ويسبح سامعو الرعد من العباد
الراجين للمطر حامدين له اي يضجون بسبحان الله والحمد لله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول
سبحان من يسبح الرعد بحمده وعن علي رضي الله عنه سبحان من سبحت له واذا اشتد الرعد قال رسول الله
اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن ابن عباس ان اليهود سالت
النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد ما هو فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق
بها السحاب وعن الحسن خلق من خلق الله ليس بملك ومن بدع المتصوفة الرعد صعقات الملائكة
والبرق زفرات افئدتهم والمطر بكاؤهم والملائكة من خيفته ويسبح الملائكة من هيبته واجلاله ويرسل
الصواعق فيصيب بها من يشاء من عباده ذكر علمه النافذ في كل شيء واستواء الظاهر والخفي عنده وما دل
على قدرته الباهرة ووحدانيته ثم قال وهم يعني الذين كفروا وكذبوا رسول الله وانكروا آياته يجادلون
في الله حيث ينكرون على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث واعادة الخلائق بقولهم من يحيي
العظام وهي رميم ويردون الوحدانية باتخاذ الشركاء والانداد ويجعلونه بعض الاجسام المتوالدة
بقولهم الملائكة بنات الله فهذا جدالهم بالباطل كقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق وقيل
الواو للحال اي فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم وذلك ان اربد اخا لبيد بن ربيعة العامري
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله فرمى الله عامرا
بغدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية وارسل على اربد صاعقة فقتلته اخبرني عن ربنا امن نحاس
هو ام من حديد وهو شديد المحال المماحلة وهو شدة المماكرة والمكايدة ومنه تمحل لكذا اذا تكلف
استعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان اذا كاده وسعى به الى السلطان ومنه الحديث ولا تجعله
علينا ماحلا مصدقا وقال الاعشى فرع نبع يهتز في غصن المجد غزير الندى شديد المحال
والمعنى انه شديد الكيد والمكر لاعدائه ياتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون وقرا الاعرج بفتح
الميم على انه مفعل من حال يحول محالا اذا احتال ومنه احول من ذئب اي اشد حيلة ويجوز ان
يكون المعنى شديد الفقار ويكون مثلا في القوة والقدرة كما جاء فساعد الله اشد وموساه
احد لان الحيوان اذا اشتد محاله كان منعوتا بشدة القوة والاضطلاع بما يعجز عنه غيره الا ترى
الى قولهم فقرته الفواقر وذلك ان الفقار عمود الظهر وقوامه له دعوة الحق فيها وجهان احدهما
ان تضاف الدعوة الى الحق الذي هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة اليه في قولك كلمة الحق للدلالة
على ان الدعوة ملابسة للحق ومختصة به وانها بمعزل من الباطل والمعنى ان الله سبحانه يدعى
فيستجيب ويعطي الداعي سؤاله ان كان مصلحة له فكانت دعوة ملابسة للحق لكونه
حقيقا بان يوجه اليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينفع ولا يجدي دعاؤه
والثاني ان تضاف الى الحق الذي هو الله عز وجل على معنى دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب
وعن الحسن الحق هو الله وكل دعاء اليه دعوة الحق فان قلت ما وجه اتصال هذين
الوصفين بما قبله قلت اما على قصة اربد فظاهر لان اصابته بالصاعقة محال من الله
ومكر به من حيث لم يشعر وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وعلى صاحبه بقوله اللهم
اكفنيهما بما شئت فاجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق واما على الاول فوعيد للكفرة على
مجادلتهم رسول الله بحلول محاله بهم واجابة دعوة رسول الله ان دعا عليهم فيهم والذين يدعون
والالهة الذين يدعوهم الكفار من دونه من دون الله لا يستجيبون لهم بشيء من طلباتهم الا
كباسط كفيه الا استجابة كاستجابة باسط كفيه الى الماء من بسط كفيه ليطلب منه

صلى الله عليه وسلم

لالالا يبلغ فاه وما هو ببالغه

ان يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته اليه ولا يقدر ان يجيب دعاءه ويبلغ
فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم وقيل شبهوا في قلة
جدوى دعائهم لآلهتهم بمن اراد ان يغرف الماء بيديه ليشربه فبسطهما ناشرا اصابعه فلم تلق
كفاه منه شيئا ولم يبلغ طلبته من شربه وقرئ تدعون بالتاء كباسط كفيه بالتنوين وما دعاء
الكافرين الا في ضلال الا في ضياع لا منفعة فيه لانهم ان دعوا الله لم يجبهم وان دعوا الآلهة بتع
لم تستطع اجابتهم ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها اي ينقادون لاحداث ما اراده
فيهم من افعاله شاؤوا او ابوا لا يقدرون ان يمتنعوا عليه وظلالهم بالغدو والآصال وتنقاد
له ظلالهم ايضا حيث تتصرف على مشيئته في الامتداد والتقلص والفيء والزوال وقرئ
بالغدو والايصال من آصلوا اذا دخلوا في الاصيل قل من رب السموات والارض قل الله حكاية
لاعترافهم وتأكيد له عليهم لانه اذا قال لهم من رب السموات والارض لم يكن لهم بد من ان يقولوا
الله كقوله قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله وهذا كما يقول المناظر
لصاحبه اهذا قولك فاذا قال هذا قولي قال هذا قولك فيحكي اقراره تقريرا له عليه واستيثاقا تا
منه ثم يقول له فيلزمك على هذا القول كيت وكيت ويجوز ان يكون تلقينا اي ان كعوا عن الجواب
فلقنهم فانهم يتلقنونه ولا يقدرون ان ينكروه قل أفاتخذتم من دونه اولياء ابعد
ان علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه اولياء فجعلتم ما كان يجب ان يكون سبب
التوحيد من علمكم واقراركم سبب الاشراك لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يستطيعون
لانفسهم ان ينفعوها او يدفعوا عنها ضررا فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد آثرتموهم على
الخالق الرازق المثيب المعاقب فما ابين ضلالتكم قل هل يستوي الاعمى والبصير وهل تستوي
الظلمات والنور ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم ام جعلوا بل جعلوا
ومعنى الهمزة الانكار وخلقوا صفة لشركاء يعني انهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل
خلق الله فتشابه عليهم خلق الله وخلقهم حتى يقولوا قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه
فاستحقوا العبادة فنتخذهم له شركاء ونعبدهم كما يعبد اذ لا فرق بين خالق وخالق ولكنهم
اتخذوا له شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخالق قل الله خالق كل شيء لا خالق
غير الله ولا يستقيم ان يكون له شريك في الخلق فلا يكون له شريك في العبادة وهو الواحد
المتوحد بالربوبية القهار لا يغالب وما عداه مربوب ومقهور انزل من السماء ماء فسالت اودية
بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله
كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض
كذلك يضرب الله الامثال هذا مثل ضربه الله للحق واهله والباطل وحزبه كما ضرب الاعمى
والبصير والظلمات والنور مثلا لهما فمثل الحق واهله بالماء الذي ينزله من السماء فتسيل
به اودية الناس فيحيون به وينفعهم انواع المنافع وبالفلز الذي ينتفعون به في صوغ
الحلى منه واتخاذ الاواني والآلات المختلفة ولو لم يكن الا الحديد الذي فيه البأس الشديد
لكفى به وان ذلك ماكث في الارض باق بقاء ظاهرا يثبت الماء في منافعه وتبقى آثاره في
العيون والآبار والحبوب والثمار التي تنبت به مما يدخر ويكنز وكذلك الجواهر تبقى ازمنة
متطاولة وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك زواله وانسلاخه عن المنفعة بزبد
السيل الذي يرمي به وبزبد الفلز الذي يطفو فوقه اذا اذيب فان قلت
لم نكرت الاودية قلت لان المطر لا يأتي الا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل
بعض اودية الارض دون بعض فان قلت فما معنى قوله بقدرها قلت
بمقدارها الذي عرف الله انه نافع للممطور عليهم غير ضار الا ترى الى قوله واما ما ينفع الناس لانه
ضرب المطر مثلا للحق فوجب ان يكون مطرا خالصا للنفع خاليا من المضرة ولا يكون كبعض
الامطار والسيول الجواحف فان قلت فما فائدة قوله ابتغاء حلية او متاع
قلت الفائدة فيه كالفائدة في قوله بقدرها لانه جمع الماء والفلز في النفع في قوله

خلق فعلوا ان يقدروا على ما يقدر عليه

واما ما

واما ما ينفع الناس لان المعنى واما ما ينفعهم من الماء والفلز فذكر وجه الانتفاع بما يوقد عليه منه
ويذاب وهو الحلية والمتاع وقوله ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع عبارة جامعة
لانواع الفلز مع اظهار الكبرياء في ذكره على وجه التهاون به كما هو هجيرى الملوك نحو ما جاء
في ذكر الآجر فاوقد لي يا هامان على الطين ومن لابتداء الغاية اي ومنه ينشأ زبد
مثل زبد الماء او للتبعيض بمعنى وبعضه زبد رابيا منتفخا مرتفعا على وجه السيل جفاء يجفؤه
السيل اي يرمي به وجفأت القدر بزبدها واجفأ السيل واجفل وفي قراءة رؤبة بن العجاج
جفالا وعن ابن حاتم لا يقرأ بقراءة رؤبة لانه كان يأكل الفار وقرئ يوقدون بالياء اي يوقده
الناس للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو ان لهم ما في الارض جميعا
ومثله معه لافتدوا به اولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد للذين استجابوا
اللام متعلقة بيضرب اي كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين استجابوا وللكافرين الذين
لم يستجيبوا اي هما مثلا الفريقين والحسنى صفة لمصدر استجابوا اي استجابوا الاستجابة
المستجيبين الحسنى وقوله لو ان لهم كلام مبتدأ في ذكر ما اعد لغير المستجيبين وقيل قد تم الكلام عند قوله
كذلك يضرب الله الامثال وما بعده كلام مستأنف والحسنى مبتدأ خبره للذين استجابوا
والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره لو مع ما في حيزه وسوء
الحساب المناقشة فيه وعن النخعي ان يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر منه شيء دخلت
همزة الانكار على الفاء في قوله أفمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى لانكار
ان تقع شبهة بعد ما ضرب من المثل في ان حال من علم ان ما انزل اليك من ربك الحق فاستجاب
بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والابريز
انما يتذكر اولوا الالباب اي الذين عملوا على قضيات عقولهم فنظروا واستبصروا الذين
يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق مبتدأ واولئك لهم عقبى الدار خبره كقوله
تعالى والذين ينقضون عهد الله اولئك لهم اللعنة ويجوز ان يكون صفة لاولي الالباب
والاول اوجه وعهد الله ما عقدوه على انفسهم من الشهادة بربوبيته واشهدهم على
انفسهم الست بربكم قالوا بلى ولا ينقضون الميثاق ولا ينقضون كل ما وثقوه على انفسهم
وقبلوه من الايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص
والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل من الارحام والقرابات ويدخل فيه وصل قرابة
رسول الله وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الايمان انما المؤمنون اخوة بالاحسان اليهم
على حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم والنصيحة لهم وطرح التفرقة
بين انفسهم وبينهم وافشاء السلام عليهم وعيادة مرضاهم وشهود جنائزهم ومنه مراعاة
حق الاصحاب والخدم والجيران والرفقاء في السفر وكل ما تعلق منهم بسبب حتى الهرة والدجاجة
وعن الفضيل بن عياض ان جماعة دخلوا عليه بمكة فقال من اين انتم قالوا من اهل خراسان قال اتقوا الله عليه
وكونوا من حيث شئتم واعلموا ان العبد لو احسن كل الاحسان وكانت له دجاجة فاساء اليها
لم يكن من المحسنين ويخشون ربهم اي يخشون وعيده كله ويخافون خصوصا سوء الحساب
فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم واقاموا الصلاة
وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية صبروا مطلق فيما يصبر عليه من المصائب في النفوس والاموال
ومشاق التكليف ابتغاء وجه الله لا ليقال ما اصبره واحمله للنوازل واوقره عند الزلازل
اربهم ولا لئلا يعاب بالجزع ولئلا يشمت به الاعداء كقوله وتجلدي للشامتين ولا لانه لا طائل
تحت الهلع ولا مرد فيه للفائت كقوله ما ان جزعت ولا هلعت ولا يرد بكاي زندا وكل عمل له
وجوه يعمل عليها فعلى المؤمن ان ينوي منها ما به كان حسنا عند الله والا لم يستحق به ثوابا
وكان فعلا كلا فعل مما رزقناهم من الحلال لان الحرام لا يكون رزقا ولا يسند الى الله
سرا وعلانية يتناول النوافل لانها في السر افضل والفرائض لوجوب المجاهرة بها نفيا للتهمة
ويدرؤون بالحسنة السيئة ويدفعونها عن ابن عباس يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم

من سيئ عرضهم وعن الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان
اذا اذنبوا تابوا وقيل اذا رأوا منكرا امروا بتغييره اولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا وهي
الجنة لانها التي اراد الله ان تكون عاقبة الدنيا ومرجع اهلها وجنات عدن بدل من عقبى الدار
يدخلونها ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام
عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وقرئ فنعم بفتح النون والاصل نعم فخفف بكسر النون
فنقل كسرة العين اليها ومن فتح فقد سكن العين ولم ينقل وقرئ يدخلونها على البناء للمفعول
وقرأ ابن ابي عبلة صلح بضم اللام والفتح افصح اعلم ان الانساب لا تنفع اذا تجردت عن الاعمال
الصالحة وآباؤهم جمع ابوي كل واحد منهم فكأنه قيل من ابائهم وامهاتهم سلام عليكم في موضع
الحال لان المعنى قائلين سلام عليكم فان قلت بم تعلق قوله بما صبرتم قلت
بمحذوف وتقديره هذا بما صبرتم يعنون هذا الثواب بسبب صبركم او بدل لما احتملتم من مشاق
الصبر ومتاعبه هذه الملاذ والنعم والمعنى لئن تعبتم في الدنيا لقد استرحتم الساعة كقوله
[illegible] وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان ياتي قبور الشهداء على راس كل حول
فيقول السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ويجوز ان يتعلق بسلام اي نسلم عليكم
ونكرمكم بصبركم والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه به من الاعتراف
والقبول ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك لهم اللعنة ولهم
سوء الدار يحتمل ان يراد سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار ويجوز ان يراد ... وهو
الذي يبسط رزق اهل مكة ويوسعه عليهم وفرحوا بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر واشر
لا فرح سرور بفضل الله وانعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الاخرة
وخفي عليهم ان نعيم الدنيا في جنب نعيم الاخرة ليس الا شيئا نزرا يتمتع به كعجالة الراكب
وهو ما يتعجله من تميرات او شربة سويق او نحو ذلك ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه
اية من ربه قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب فان قلت كيف طابق
قولهم لولا انزل عليه اية من ربه قوله ان الله يضل من يشاء قلت هو كلام يجري
مجرى التعجب من قولهم وذلك ان الايات الباهرة المتكاثرة التي اوتيها رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يؤتها نبي قبله ولو لم يكن الا القران وحده اية وراء كل اية فاذا جحدوها ولم يعتدوا بها وجعلوه
كان اية لم تنزل عليه قط كان موضعا للتعجب والاستنكار فكأنه قيل لهم ما اعظم عنادكم
وما اشد تصميمكم على كفركم ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم من التصميم وشدة الشكيمة
في الكفر فلا سبيل الى اهتدائهم وان انزلت كل اية ويهدي اليه من كان على خلاف صفتكم اناب
اقبل الى الحق وحقيقته دخل في نوبة الخير الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله بذكر رحمته
ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله
او تطمئن بذكر دلائله الدالة على وحدانيته او تطمئن بالقران لانه معجزة بينة تسكن القلوب
وتثبت اليقين فيها الا بذكر الله تطمئن القلوب الذين امنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن
مآب الذين امنوا مبتدأ وطوبى لهم خبره ويجوز ان يكون بدلا من القلوب على تقدير حذف المضاف
اي تطمئن القلوب قلوب الذين امنوا وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى ومعنى طوبى لك اصبت
خيرا وطيبا ومحلها النصب او الرفع كقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما لك وسلام لك والقراءة
في قوله وحسن مآب بالرفع والنصب تدلك على محلها واللام في لهم للبيان مثلها في سقيا لك
والواو في طوبى منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها كموقن وموسر وقرأ مكوزة الاعرابي طيبى لهم
فكسر الطاء لتسلم الياء كما قيل بيض ومعيشة كذلك ارسلناك مثل ذلك الارسال ارسلناك
يعني ارسلناك ارسالا له شأن وفضل على سائر الارسالات ثم فسر كيف ارسله فقال
في امة قد خلت من قبلها امم اي ارسلناك في امة قد تقدمتها امم كثيرة فهي اخر الامم وانت خاتم الانبياء
لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذي اوحينا اليك وهم يكفرون
وحال هؤلاء انهم يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة الذي وسعت رحمته كل شيء وما بهم من نعمة فمنه

بنو

او مسلمين صح

انه يراد بالدار جهنم وبسوئها عذابها
الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا
بالحيوة الدنيا وما الحيوة الدنيا في الاخرة
الا متاع اي انه وحده هو يبسط الرزق ويوسعه

فكيف يقابل بنعمتي في ارسال مثلك اليهم وانزال هذا القران المعجز المصدق لسائر الكتب عليهم قل هو
ربي الواحد المتعالي عن الشركاء لا اله الا هو عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب فيثيبني على
مصابرتكم ومجاهدتكم ولو ان قرانا جوابه محذوف كما تقول لغلامك لو اني قمت اليك وتترك
الجواب والمعنى ولو ان قرانا سيرت به الجبال عن مقارها وزعزعت عن مضاجعها او قطعت
به الارض حتى تتصدع وتتزايل قطعا او كلم به الموتى فتسمع وتجيب لكان هذا القران
لكونه غاية في التذكير ونهاية في الانذار والتخويف كما قال لو انزلنا هذا القران على جبل لرأيته
خاشعا متصدعا من خشية الله وهذا يعضده ما ضرب به قوله لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك
من ارادة تعظيم ما اوحي الى رسول الله من القران وقيل معناه ولو ان قرانا وقع به تسيير الجبال
وتقطيع الارض وتكليم الموتى وتنبيههم لما امنوا ولما تنبهوا عليه كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة
الاية وقيل ان ابا جهل بن هشام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم سير بقرانك الجبال عن مكة حتى
تتسع لنا فنتخذ فيها البساتين والقطائع كما سخرت لداود ان كنت نبيا كما تزعم فلست
باهون على الله من داود وسخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام ثم نرجع في يومنا
فقد شق علينا قطع المسافة البعيدة كما سخرت لسليمان او ابعث لنا به رجلين او ثلاثة ممن مات
من ابائنا منهم قصي بن كلاب فنزلت ومعنى تقطيع الارض على هذا قطعها بالسير وتجاوزها
وعن الفراء هو متعلق بما قبله والمعنى وهم يكفرون بالرحمن ولو ان قرانا سيرت به الجبال
وما بينهما اعتراض وليس ببعيد من السداد وقيل قطعت به الارض اي شققت فجعلت انهارا
وعيونا بل لله الامر جميعا على معنيين احدهما بل لله القدرة على كل شيء وهو قادر على الايات
التي اقترحوها الا ان علمه بان اظهارها مفسدة يصرفه والثاني بل لله ان يلجئهم الى الايمان
وهو قادر على الالجاء لولا انه بنى امر التكليف على الاختيار ويعضده قوله افلم ييأس الذين امنوا ان
لو يشاء الله يعني مشيئة الالجاء والقسر لهدى الناس جميعا ومعنى افلم ييأس افلم يعلم قيل
هي لغة قوم من النخع وقيل انما استعمل الياس بمعنى العلم لتضمنه معناه لان الياس عن الشيء عالم
بانه لا يكون كما استعمل الرجاء في معنى الخوف والنسيان في معنى الترك لتضمن ذلك قال سحيم بن وثيل
الرياحي • اقول لهم بالشعب اذ ييسرونني • الم تيأسوا اني ابن فارس زهدم •
ويدل عليه ان عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرأوا افلم يتبين وهو تفسير افلم ييأس
وقيل انما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوي السينات وهذا ونحوه مما لا يصدق في كتاب
الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتا بين دفتي
الامام وكان متقلبا في ايدي اولئك الاعلام المحتاطين في دين الله المهيمنين عليه لا يغفلون
عن جلائله ودقائقه خصوصا عن القانون الذي اليه المرجع والقاعدة التي عليها البناء وهذه
والله فرية ما فيها مرية ويجوز ان يتعلق ان لو يشاء بامنوا على ولم يقنط عن الايمان هؤلاء الكفرة
الذين امنوا بان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولهداهم ولا يزال الذين كفروا تصيبهم
بما صنعوا من كفرهم وسوء اعمالهم قارعة داهية تقرعهم بما يحل الله بهم من صنوف البلايا
والمصائب في نفوسهم واولادهم واموالهم او تحل القارعة قريبا من دارهم قريبا منهم فيفزعون
ويضطربون ويتطاير اليهم شرارها ويتعدى اليهم شرورها حتى يأتي وعد الله وهو موتهم
او القيامة ان الله لا يخلف الميعاد وقيل ولا يزال كفار مكة تصيبهم بما صنعوا في رسول
الله من العداوة والتكذيب قارعة لان رسول الله كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حول مكة
وتختطف منهم وتصيب من مواشيهم او تحل انت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك كما حل
بالحديبية حتى يأتي وعد الله وهو فتح مكة وكان الله قد وعده ذلك ولقد استهزئ برسل
من قبلك فامليت للذين كفروا ثم اخذتهم فكيف كان عقاب الاملاء الامهال وان يترك
ملاوة من الزمان في خفض وامن كالبهيمة يملى لها في المرعى وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم
الايات على رسول الله استهزاء به وتسلية له افمن هو قائم احتجاج عليهم في اشراكهم بالله يعني
افالله الذي هو قائم رقيب على كل نفس صالحة او طالحة بما كسبت يعلم خيره وشره ويعد لكل

في كل وقت صح

جزاءه لمن ليس كذلك ويجوز ان يقدر ما يقع خبرا للمبتدا ويعطف عليه وجعلوا لله وتمثيله فمن
هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له وهو الله الذي يستحق العبادة وحده شركاء قل سموهم
اي جعلتم له شركاء فسموهم له من هم ونبئوه باسمائهم ثم قال ام تنبئونه بما لا يعلم في الارض على ام
المنقطعة كقولك للرجل قل لي من زيد ام هو اقل من ان يعرف ومعناه بل اتنبئونه بشركاء لا يعلمهم
في الارض وهو العالم بما في السموات والارض فاذا لم يعلمهم علم انهم ليسوا بشيء يتعلق به العلم
والمراد نفي ان يكون له شركاء ونحوه قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض ام بظاهر من
القول بل اتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير ان يكون لذلك حقيقة كقوله ذلك قولهم بافواههم
ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها وهذا الاحتجاج واساليبه العجيبة التي ورد عليها مناد
على نفسه بلسان طلق ذلق انه ليس من كلام البشر لمن عرف وانصف من نفسه فتبارك الله احسن
الخالقين وقرئ اتنبئونه بالتخفيف بل زين للذين كفروا مكرهم كيدهم للاسلام وشركهم وصدوا
عن السبيل قرئ بالحركات الثلاث وقرا ابن ابي اسحق وصد بالتنوين ومن يضلل الله ومن
يخذله لعلمه انه لا يهتدي فما له من هاد فما له من احد يقدر على هدايته لهم عذاب في الحيوة الدنيا
وهو ما ينالهم من القتل والاسر وسائر المحن ولا يلحقهم الا عقوبة لهم على الكفر ولذلك سماه
عذابا ولعذاب الاخرة اشق وما لهم من الله من واق وما لهم من حافظ من عذابه او ما لهم من
جهته واقية من رحمته مثل الجنة التي وعد المتقون صفتها التي هي في غرابة المثل وارتفاعه بالابتداء
والخبر محذوف على مذهب سيبويه اي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقال غيره الخبر تجري من
تحتها الانهار كما تقول صفة زيد اسمر وقال الزجاج معناه مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار
على حذف الموصوف تمثيلا لما غاب عنا بما نشاهد وقرا علي رضي الله عنه امثال الجنة على
الجمع اي صفاتها اكلها دائم كقوله لا مقطوعة ولا ممنوعة وظلها دائم لا ينسخ كما ينسخ في
الدنيا بالشمس تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار والذين اتيناهم الكتاب
والذين اتيناهم الكتاب يريد من اسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب واصحابهما ومن اسلم من
النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران واثنان وثلاثون بارض الحبشة وثمانية بالشام
هؤلاء يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب يعني ومن احزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا
على رسول الله بالعداوة نحو كعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب اسقفي نجران
واشياعهما من ينكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الاقاصيص وبعض الاحكام والمعاني مما هو
ثابت في كتبهم غير محرف وكانوا ينكرون ما هو نعت الاسلام ونعت رسول الله وغير ذلك مما حرفوه
وبدلوه من الشرائع فان قلت كيف اتصل قوله قل انما امرت ان اعبد الله بما قبله
قلت هو جواب للمنكرين معناه انما امرت فيما انزل الي بان اعبد الله ولا اشرك به
فانكاركم له انكار لعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة الله
وان لا يشرك به قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك
به شيئا وقرا نافع في رواية ابي خليد ولا اشرك به بالرفع على الاستئناف كانه قال وانا
لا اشرك به ويجوز ان يكون في موضع الحال على معنى امرت ان اعبد الله غير مشرك به اليه ادعو
خصوصا لا ادعو الى غيره واليه لا الى غيره مآب مرجعي وانتم تقولون مثل ذلك فلا معنى لانكاركم
وكذلك انزلناه ومثل ذلك الانزال انزلناه مامورا فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة
اليه والى دينه والانذار بدار الجزاء حكما عربيا حكمة عربية مترجمة بلسان العرب وانتصابه
على الحال ولئن اتبعت اهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق كانوا يدعون
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى امور يوافقهم عليها منها ان يصلي الى قبلتهم بعد ما حوله الله عنها
فقيل لئن تابعتهم على دين ما هو الا اهواء وشبه بعد ثبوت العلم عندك بالبراهين والحجج القاطعة
خذلك الله فلا ينصرك ناصر واهلكك فلا يبقيك منه واق وهذا من باب الالهاب والتهييج والبعث
للسامعين على الثبات في الدين والتصلب فيه وان لا يزل زال عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة
والا فكان رسول الله من شدة الشكيمة بمكان ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا

وذرية وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله لكل اجل كتاب كانوا يعيبونه بالازواج والاولاد
كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق وكانوا يقترحون عليه الايات
وينكرون النسخ فقيل كان الرسل قبله بشرا مثله ذوي ازواج وذرية وما كان لهم ان ياتوا
بايات برايهم ولا ياتون بما يقترح عليهم والشرائع مصالح تختلف باختلاف الاحوال والاوقات
فلكل وقت حكم يكتب على العباد اي يفرض عليهم على ما يقتضيه استصلاحهم يمحو الله
ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت بدله ما يرى المصلحة في اثباته او يتركه غير منسوخ
وقيل يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة لانهم مامورون بكتبة كل قول
وفعل ويثبت غيره وقيل يمحو كفر التائبين ومعاصيهم بالتوبة ويثبت ايمانهم وطاعاتهم وقيل
يمحو بعض الخلائق ويثبت بعضا من الاناسي وسائر الحيوان والنبات والاشجار وصفاتها
واحوالها والكلام في نحو هذا واسع المجال وعنده ام الكتاب اصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ
لان كل كائن مكتوب فيه وقرئ ويثبت واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فانما عليك
البلاغ وعلينا الحساب وكيفما دارت الحال اريناك مصارعهم وما وعدناهم من انزال
العذاب عليهم او توفيناك قبل ذلك فما يجب عليك الا تبليغ الرسالة فحسب وعلينا لا عليك
حسابهم وجزاؤهم على اعمالهم فلا يهمنك اعراضهم ولا تستعجل بعذابهم اولم يروا انا ناتي
الارض ارض الكفر ننقصها من اطرافها بما نفتح على المسلمين من بلادهم فننقص دار الحرب
وتزيد في دار الاسلام وذلك من ايات النصرة والغلبة ونحوه افلا يرون انا ناتي الارض ننقصها من
اطرافها افهم الغالبون سنريهم اياتنا في الافاق والمعنى عليك بالبلاغ الذي حملته ولا تهتم
بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تاخره فان ذلك لما نعلم من
المصالح التي لا تعلمها ثم طيب نفسه ونفس عنها بما ذكر من طلوع تباشير الظفر وقرئ ننقصها
بالتشديد والله يحكم لا معقب لحكمه لا راد لحكمه والمعقب الذي يكر على الشيء فيبطله وحقيقته
الذي يعقبه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب
قال لبيد طلب المعقب حقه المظلوم والمعنى انه حكم للاسلام بالغلبة والاقبال وعلى الكفر بالادبار
والانتكاس وهو سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم في الاخرة بعد عذاب الدنيا فان
قلت ما محل قوله لا معقب لحكمه قلت هو جملة محلها النصب على الحال كانه قيل
والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاءني زيد لا عمامة على راسه ولا قلنسوة تريد حاسرا وقد مكر الذين
من قبلهم وصفهم بالمكر ثم جعل مكرهم كلا مكر بالاضافة الى مكره فقال فلله المكر جميعا ثم فسر
ذلك بقوله يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار لان من علم ما تكسب كل
نفس واعد لها جزاءها فهو المكر كله لانه ياتيهم من حيث لا يعلمون وهم في غفلة مما يراد بهم
وقرئ الكفار والكافرون والذين كفروا والكفر اي اهله والمراد بالكافر الجنس وقرا
جناح بن حبيش وسيعلم الكافر من اعلمه اي سيخبر ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى
بالله شهيدا بيني وبينكم لما اظهر من الادلة على رسالتي ومن عنده علم الكتاب والذي عنده
علم القران وما الف عليه من النظم المعجز الفائت لقوى البشر وقيل ومن هو من علماء اهل الكتاب
الذين اسلموا لانهم يشهدون بنعته في كتبهم وقيل هو الله عز وجل والكتاب اللوح المحفوظ
وعن الحسن لا والله ما يعني الا الله والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم
علم ما في اللوح الا هو شهيدا بيني وبينكم وتعضده قراءة من قرا ومن عنده علم الكتاب على من
الجارة اي ومن لدنه علم الكتاب لان علم من علمه من فضله ولطفه وقرئ ومن عنده علم الكتاب
على من الجارة وعلم على البناء للمفعول وقرئ ومن عنده علم الكتاب فان قلت
بم ارتفع علم الكتاب في القراءة التي وقع فيها عنده صلة قلت يرتفع العلم بالمقدر
في الظرف فيكون فاعلا لان الظرف اذا وقع صلة اوغل في شبه الفعل لاعتماده على الموصول
فعمل عمل الفعل كقولك مررت بالذي في الدار اخوه فاخوه فاعل كما تقول بالذي استقر في الدار اخوه
وهو في القراءة التي لم يقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالابتداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيمة
وبعث يوم القيمة من الموفين بعهد الله سورة ابراهيم عليه السلام مكية وهي احدى وخمسون اية
بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس
من الظلمات الى النور كتاب هو كتاب يعني السورة وقرئ ليخرج الناس والظلمات والنور استعارتان
للضلال والهدى باذن ربهم بتسهيله وتيسيره مستعار من الاذن الذي هو تسهيل للحجاب
وذلك ما يمنحهم من اللطف والتوفيق الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل
كقوله للذين استضعفوا لمن امن منهم ويجوز ان يكون على وجه الاستيناف كانه قيل الى اي نور فقيل
الى صراط العزيز الحميد وقوله الله عطف بيان للعزيز الحميد لانه جرى مجرى الاسماء الاعلام لغلبته
واختصاصه بالمعبود الذي تحق له العبادة كما غلب النجم في الثريا وقرئ بالرفع على هو الله الذي
له ما في السموات وما في الارض وويل للكافرين من عذاب شديد الويل نقيض الوأل وهو النجاة
اسم معنى كالهلاك الا انه لا يشتق منه فعل انما يقال ويلا له فينصب نصب المصادر ثم يرفع
رفعها لافادة معنى الثبات فيقال ويل له كقولك سلام عليك ولما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر
الى نور الايمان توعد الكافرين بالويل فان قلت ما وجه اتصال قوله من عذاب شديد
بالويل قلت لان المعنى انهم يولولون من عذاب شديد ويضجون منه ويقولون يا ويلاه
كقوله دعوا هنالك ثبورا الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة الذين يستحبون مبتدا
وخبره اولئك في ضلال بعيد ويجوز ان يكون مجرورا صفة للكافرين ومنصوبا على الذم او مرفوعا
على اعني الذين يستحبون او هم الذين يستحبون والاستحباب الايثار والاختيار وهو استفعال
من المحبة لان المؤثر على الشيء على غيره كانه يطلب من نفسه ان يكون احب اليها وافضل عندها
من الاخر ويصدون عن سبيل الله وقرأ الحسن ويصدون بضم الياء وكسر الصاد يقال اصده
عن كذا واصده قال اناس اصدوا الناس بالسيف عنهم والهمزة فيه داخلة على صد صدودا
لتنقله من غير التعدي الى التعدي واما صده فموضوع على التعدية كمنعه وليست بفصيحة كأوقفه
لان الفصحاء استغنوا بصده ووقفه عن تكلف التعدية بالهمزة ويبغونها عوجا ويطلبون
لسبيل الله زيغا واعوجاجا وان يدلوا الناس على انها سبيل ناكبة عن الحق غير مستوية والاصل
ويبغون لها فحذف الجار واوصل الفعل اولئك في ضلال بعيد اي ضلوا عن طريق الحق
ووقفوا دونه بمراحل فان قلت فما معنى وصف الضلال بالبعد قلت
هو من الاسناد المجازي والبعد في الحقيقة للضال لانه هو الذي يتباعد عن الطريق فوصف به
فعله كما تقول جد جده ويجوز ان يراد في ضلال ذي بعد او فيه بعد لان الضال قد يضل
عن الطريق مكانا قريبا وبعيدا وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم اي
ليفقهوا عنه ما يدعوهم اليه فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولوا لم نفهم ما خوطبنا به كما قال
ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته فان قلت لم يبعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى العرب وحدهم وانما بعث الى الناس جميعا قل يا ايها الناس اني
رسول الله اليكم جميعا بل الى الثقلين وهم على السنة مختلفة فان لم تكن للعرب حجة فلغيرهم
الحجة وان لم تكن لغيرهم الحجة فلو نزل بالعجمية لم تكن للعرب حجة ايضا قلت لا يخلو
اما ان ينزل بجميع الالسنة او بواحد منها فلا حاجة الى نزوله بجميع الالسنة لان الترجمة
تنوب عن ذلك وتكفي التطويل فبقي ان ينزل بلسان واحد فكان اولى الالسنة لسان قوم الرسول
لانهم اقرب اليه فاذا فهموا عنه وتبينوه وتنوقل عنهم وانتشر قامت التراجم ببيانه وتفهيمه
كما ترى الحال وتشاهدها من نيابة التراجم في كل امة من امم العجم مع ما في ذلك من اتفاق اهل البلاد
المتباعدة والاقطار المتنازحة والامم المختلفة والاجيال المتفاوتة على كتاب واحد واجتهادهم
في تعلم لفظه وتفهم معانيه وما يتشعب من ذلك من جلائل الفوائد وما يتكاثر في
اتعاب النفوس وكد القرائح فيه من القرب والطاعات المفضية الى جزيل الثواب ولانه ابعد
من التحريف والتبديل واسلم من التنازع والاختلاف ولانه لو نزل بالسنة الثقلين كلها

مع اختلافها وكثرتها وكان مستقلا بصفة الاعجاز في كل واحد منها وكلم الرسول العربي كل امة بلسانها
كما كلم امته التي هو منها يتلوه عليهم معجزا لكان ذلك امرا قريبا من الالجاء ومعنى بلسان قومه بلغة
قومه وقرئ بلسن قومه واللسن واللسان كالريش والرياش بمعنى اللغة وقرئ بلسن قومه
بضم اللام والسين مضمومة او ساكنة وهو جمع لسان كعماد وعمد وعمد على التخفيف وقيل الضمير
في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم ورووه عن الضحاك وان الكتب كلها نزلت بالعربية ثم اداها كل نبي
بلغة قومه وليس بصحيح لان قوله ليبين لهم ضمير القوم وهم العرب فيؤدي الى ان الله نزل
التورية من السماء بالعربية ليبين للعرب وهذا معنى فاسد فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء
كقوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن لان الله لا يضل الا من يعلم انه لن يؤمن ولا يهدي الا من يعلم انه يؤمن
والمراد بالاضلال التخلية ومنع الالطاف وبالهداية التوفيق واللطف فكان ذلك كناية عن الكفر والايمان
وهو العزيز فلا يغلب على مشيته الحكيم فلا يخذل الا اهل الخذلان ولا يلطف الا باهل اللطف
ولقد ارسلنا موسى باياتنا ان اخرج قومك من الظلمات الى النور ان اخرج بمعنى اي اخرج لان
الارسال فيه معنى القول كانه قيل ارسلناه وقلنا له اخرج ويجوز ان تكون ان الناصبة للفعل وانما
صلح ان توصل بفعل الامر لان الغرض وصلها بما تكون معه في تاويل المصدر وهو الفعل والامر وغيره
سواء في الفعلية والدليل على جواز ان تكون الناصبة للفعل قولهم اوعز اليه بان افعل فادخلوا عليها
حرف الجر وكذلك التقدير بان اخرج قومك وذكرهم بايام الله وانذرهم بوقائعه التي وقعت على الامم
قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ومنه ايام العرب لحروبها وملاحمها كيوم ذي قار ويوم الفجار ويوم
قضة وغيرها وهو الظاهر وعن ابن عباس نعماؤه وبلاؤه فاما نعماؤه فانه ظلل عليهم الغمام وانزل عليهم
المن والسلوى وفلق لهم البحر واما بلاؤه فاهلاك القرون ان في ذلك لايات لكل صبار شكور يصبر على بلاء
الله ويشكر نعماءه فاذا سمع بما انزل الله من البلاء على الامم او افاض عليهم من النعم تنبه على ما يجب عليه
من الصبر والشكر واعتبر وقيل اراد لكل مؤمن لان الصبر والشكر من سجاياهم تنبيها عليهم واذ قال
موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم ظرف للنعمة بمعنى الانعام اي انعامه عليكم ذلك الوقت
فان قلت هل يجوز ان ينتصب بعليكم قلت لا يخلو من ان يكون صلة للنعمة
بمعنى الانعام او غير صلة اذا اردت بالنعمة العطية فاذا كان صلة لم يعمل فيه واذا كان غير صلة بمعنى
اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم عمل فيه ويتبين الفرق بين الوجهين انك اذا قلت نعمة الله عليكم فان
جعلته صلة لم يكن كلاما حتى تقول فائضة او نحوها والا كان كلاما ويجوز ان يكون اذ بدلا من نعمة
الله اي اذكروا وقت انجائكم وهو من بدل الاشتمال من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون
ابناءكم ويستحيون نساءكم فان قلت في سورة البقرة يذبحون وفي الاعراف يقتلون
وههنا ويذبحون مع الواو فما الفرق قلت الفرق ان التذبيح حيث طرح الواو جعل
تفسيرا للعذاب وبيانا له وحيث اثبت جعل التذبيح لانه اوفى على جنس العذاب وزاد زيادة ظاهرة
كانه جنس اخر وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم فان قلت كيف كان فعل ال فرعون بلاء من ربهم
قلت تمكينهم وامهالهم حتى فعلوا ما فعلوا ابتلاء من الله ووجه اخر ان ذلك اشارة الى الانجاء
وهو بلاء عظيم والبلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعا قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال زهير
فابلاهما خير البلاء الذي يبلو واذ تاذن ربكم من جملة ما قال موسى لقومه وانتصابه للعطف
على قوله نعمة الله عليكم كانه قيل واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تاذن
ربكم ومعنى تاذن ربكم اذن ربكم ونظير تاذن واذن توعد واوعد وتفضل وافضل ولا بد في
تفعل من زيادة معنى ليس في افعل كانه قيل واذ اذن ربكم ايذانا بليغا تنتفي عنده الشكوك
وتنزاح الشبه والمعنى واذ تاذن ربكم فقال لئن شكرتم او اجرى تاذن مجرى قال لانه ضرب
من القول وفي قراءة ابن مسعود واذ قال ربكم اي لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء
وغيرها من النعم بالايمان الخالص والعمل الصالح لازيدنكم نعمة الى نعمة ولاضاعفن لكم ما اتيتكم
ولئن كفرتم وغمطتم ما انعمت به عليكم ان عذابي لشديد لمن كفر نعمتي وقال موسى ان تكفروا انتم
يا بني اسرائيل ومن في الارض جميعا والناس كلهم فانما ضررتم انفسكم وحرمتموها الخير الذي لا بد لكم

عليه
وهو
بالشر والخير فتنة

منه وانتم اليه محاويج فان الله غني عن شكركم حميد مستوجب للحمد بكثرة انعمه واياديه وان لم يحمده
الحامدون الم ياتكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة من
مبتدا وخبر وقعت اعتراضا او عطف الذين من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم الا الله اعتراض والمعنى
انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله وعن ابن عباس بين عدنان واسماعيل ثلاثون ابا لا يعرفون
وكان ابن مسعود اذا قرا هذه الاية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب وقد نفى الله علمها
عن العباد جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم فعضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل وقالوا
انا كفرنا بما ارسلتم به كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ او ضحكا واستهزاء كمن غلبه الضحك فوضع يده
على فيه او اشاروا بايديهم الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به اي هذا جوابنا لكم ليس
عندنا غيره اقناطا لهم من التصديق الا ترى الى قوله فردوا ايديهم في افواههم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم
به وهذا قول قوي او وضعوها على افواههم يقولون للانبياء اطبقوا افواهكم واسكتوا او ردوها في
افواه الانبياء يشيرون لهم الى السكوت او وضعوها على افواههم يسكتونهم ولا يذرونهم يتكلمون وقيل الايدي
جمع يد وهي النعمة بمعنى الايادي اي ردوا نعم الانبياء التي هي اجل النعم من مواعظهم ونصائحهم وما اوحي
اليهم من الشرائع والايات في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها في افواههم ورجعوها
الى حيث جاءت منه على طريق المثل وانا لفي شك مما تدعوننا اليه من الايمان بالله وقرئ تدعونا بادغام النون
مريب موقع في الريبة او ذي ريبة من اراب الرجل وهي قلق النفس وان لا تطمئن الى الامر قالت
رسلهم افي الله شك ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك فيه
وانه لا يحتمل الشك لظهور الادلة وشهادتها عليه فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم اي يدعوكم
الى الايمان ليغفر لكم او يدعوكم لاجل المغفرة كقولك دعوته لينصرني ودعوته لياكل معي وقال
دعوت لما نابني مسورا فلبى فلبي يدي مسور. فان قلت ما معنى التبعيض في قوله من ذنوبكم
قلت ما علمته جاء هكذا الا في خطاب الكافرين كقوله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا
اجيبوا داعي الله وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال في خطاب المؤمنين هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم
الى ان قال يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يقفك عليه الاستقراء وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولئلا يسوي
بين الفريقين في الميعاد وقيل اريد انه يغفر لهم ما بينهم وبين الله بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم
ونحوها ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت قد سماه وبين مقداره يبلغكموه ان امنتم والا عاجلكم بالهلاك
قبل ذلك الوقت قالوا ان انتم الا بشر مثلنا لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم
تخصون بالنبوة دوننا ولو ارسل الله الى البشر رسلا لجعلهم من جنس افضل منهم وهم الملائكة تريدون
ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا فاتونا بسلطان مبين بحجة بينة وقد جاءتهم رسلهم بالبينات والحجج
وانما ارادوا بالسلطان المبين اية قد اقترحوها تعنتا ولجاجا قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم تسليم
لقولهم وانهم بشر مثلهم يعنون انهم مثلهم في البشرية وحدها فاما ما وراء ذلك فما كانوا مثلهم
ولكنهم لم يذكروا فضلهم تواضعا منهم واقتصروا على قولهم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده بالنبوة
لانه قد علم انه لا يختصهم بتلك الكرامة الا وهم اهل لاختصاصهم بها لخصائص فيهم قد استاثروا بها
على ابناء جنسهم وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله ارادوا ان الاتيان بالاية التي
اقترحوها ليس الينا ولا في استطاعتنا وما هو الا امر يتعلق بمشيئة الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون
امر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا وامروها به كانهم قالوا ومن حقنا ان
نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وما يجري علينا منكم الا ترى الى قولهم وما لنا الا نتوكل
على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما اذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون ومعناه واي
عذر لنا في ان لا نتوكل عليه وقد هدانا وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل واحد منا
سبيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين فان قلت كيف كرر الامر بالتوكل قلت
الاول لاستحداث التوكل وقوله فليتوكل المتوكلون معناه فليثبت المتوكلون على ما استحدثوا من
توكلهم وقصدهم الى انفسهم على ما تقدم وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن
في ملتنا ليخرجنكم او لتعودن ليكونن احد الامرين لا محالة اما اخراجكم واما عودكم حالفين على ذلك فان

قلت كانهم كانوا على ملتهم حتى يعودوا فيها قلت معاذ الله ولكن العود بمعنى الصيرورة
وهو كثير في كلام العرب كثرة فاشية لا تكاد تسمعهم يستعملون صار ولكن عاد ما عرفت اراه عاد لا يكلمني
ما عاد لفلان مال او خاطبوا به كل رسول ومن امن به فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد فاوحى
اليهم ربهم لنهلكن الظالمين حكاية تقتضي اضمار القول او اجراء الايحاء مجرى القول لانه ضرب منه وقرا
ابو حيوة ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى وان لفظه لفظ الغيبة ونحوه قولك اقسم زيد ليخرجن
ولاخرجن الارض من بعدهم المراد بالارض ارض الظالمين وديارهم ونحوه واورثنا القوم الذين كانوا
يستضعفون مشارق الارض ومغاربها واورثكم ارضهم وديارهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من اذى
جاره ورثه الله داره ولقد عاينت هذا في مدة قريبة كان لي خال يظلمه عظيم القرية التي انا منها
ويؤذيني فيه فمات ذلك العظيم وملكني الله ضيعته فنظرت يوما الى ابناء خالي يترددون فيها ويدخلون
في دورها ويخرجون ويامرون وينهون فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثتهم به
وسجدنا شكرا لله ذلك اشارة الى ما قضى الله به من اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم اي ذلك
الامر حق لمن خاف مقامي موقفي وهو موقف الحساب لانه موقف الله يوقف فيه عباده يوم القيمة
او على اقحام المقام وخاف وعيد وقيل خاف قيامي عليه وحفظي لاعماله والمعنى ان ذلك حق للمتقين
كقوله والعاقبة للمتقين واستفتحوا واستنصروا الله على اعدائهم ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح
او استحكموا الله وسالوه القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله ربنا افتح بيننا وبين
قومنا بالحق وهو معطوف على اوحى اليهم وقرئ واستفتحوا بلفظ الامر وعطفه على لنهلكن اي اوحى
اليهم ربهم وقال لهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا وخاب كل جبار عنيد معناه فنصروا وظفروا وافلحوا
وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم وقيل واستفتح الرسل على الكفار ظنا منهم بانهم على الحق والرسل
على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه من ورائه جهنم من بين يديه قال
عسى الكرب الذي امسيت فيه يكون وراءه فرج قريب وهذا وصف حاله وهو في الدنيا لانه
مرصد لجهنم فكانها بين يديه وهو على شفيرها او وصف حاله في الاخرة حين يبعث ويوقف
ويسقى من ماء صديد فان قلت علام عطف ويسقى قلت على
محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد كانه اشد عذابها فخصص بالذكر
مع قوله ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت فان قلت ما وجه قوله من ماء صديد قلت
صديد عطف بيان لانه قال ويسقى من ماء فابهمه ابهاما ثم بينه بقوله صديد وهو ما يسيل من جلود
اهل النار يتجرعه يتكلف جرعه ولا يكاد يسيغه دخل كاد للمبالغة يعني ولا يقارب ان
يسيغه فكيف تكون الاساغة كقوله لم يكد يراها اي لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها ويأتيه
الموت من كل مكان وما هو بميت كان اسباب الموت واصنافه كلها قد تالبت عليه واحاطت به من
جميع الجهات تعظيما لما يصيبه من الالام وقيل من كل مكان من جسده حتى من ابهام رجله وقيل
من اصل كل شعرة ومن ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ اي في كل وقت يستقبله يتلقى عذابا
اشد مما قبله واغلظ وعن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها في الاجساد ويحتمل ان يكون
اهل مكة قد استفتحوا اي استمطروا والفتح المطر في سني القحط التي ارسلت عليهم بدعوة رسول
الله فلم يسقوا فذكر سبحانه ذلك وانه خيب رجاء كل جبار عنيد وانه يسقى في جهنم بدل سقياه ماء
اخر وهو صديد اهل النار واستفتحوا على هذا التفسير كلام مستانف منقطع عن حديث
الرسل واممهم وهو مبتدا محذوف الخبر عند سيبويه تقديره فيما يقص عليكم مثل الذين كفروا بربهم
والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة وقوله اعمالهم كرماد جملة مستانفة على تقدير سؤال
سائل يقول كيف مثلهم فقيل اعمالهم كرماد ويجوز ان يكون المعنى مثل اعمال الذين كفروا بربهم
او هذه الجملة خبر للمبتدا اي صفة الذين كفروا اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون
وماله مبذول او يكون اعمالهم بدلا من مثل الذين كفروا بربهم على تقدير مثل اعمالهم وكرماد الخبر
اشتدت به الريح وقرئ الرياح في يوم عاصف جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح او
الرياح كقولك يوم ماطر وليلة ساكرة وانما السكون لريحها وقرئ في يوم عاصف بالاضافة واعمال الكفرة المكارم

٦ على الرسل

وقدّ

التي كانت لهم من صلة الارحام وعتق الرقاب وفك الاسارى وعقر الابل للاضياف واغاثة الملهوفين
والاجارة وغير ذلك من صنائعهم شبهها في حبوطها وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير اساس
من معرفة الله والايمان به وكونها لوجهه برماد طيرته الريح العاصف لا يقدرون يوم القيمة
مما كسبوا من اعمالهم على شيء اي لا يرون له اثرا من ثواب كما لا يقدر من الرماد المطير في الريح على شيء
ذلك هو الضلال البعيد اشارة الى بعد ضلالهم عن طريق الحق او عن الثواب الم تر ان الله خلق
السموات والارض بالحق بالحكمة والغرض الصحيح والامر العظيم ولم يخلقها عبثا ولا شهوة وقرئ
خالق السموات والارض ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد اي هو قادر على ان يعدم الناس ويخلق خلقا
اخر على شكلهم او على خلاف شكلهم اعلاما منه باقتداره على اعدام الموجود واعادة المعدوم
يقدر على الشيء وجنس ضده وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر بل هو هين عليه يسير لانه قادر الذات
لا اختصاص له بمقدور دون مقدور فاذا خلص له الداعي الى شيء وانتفى الصارف تكون من غير
توقف كتحريكك اصبعك اذا دعاك اليه داع ولم يعترض دونه صارف وهذه الاية بيان لابعادهم في الضلال
وعظيم خطئهم في الكفر بالله لوضوح اياته الشاهدة له الدالة على قدرته الباهرة وحكمته البالغة
وانه هو الحقيق بان يعبد ويخاف عقابه ويرجى ثوابه في دار الجزاء وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين
استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم ويبرزون
يوم القيمة وانما جيء به بلفظ الماضي لان ما اخبر به عز وعلا لصدقه كانه قد كان ووجد ونحوه ونادى اصحاب الجنة
ونادى اصحاب النار ونظائر له ومعنى بروزهم لله والله تعالى لا يتوارى عنه شيء حتى يبرز له انهم كانوا
يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون ان ذلك خاف على الله فاذا كان يوم القيمة انكشفوا
لله عند انفسهم وعلموا ان الله لا يخفى عليه خافية او خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه
فان قلت لم كتب الضعفؤا بواو قبل الهمزة قلت كتب على لفظ من
يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو ونحوه علمؤا بني اسرائيل والضعفاء الاتباع والعوام والذين
استكبروا سادتهم وكبراؤهم الذين استتبعوهم واستغووهم وصدوهم عن الاستماع الى الانبياء
واتباعهم تبعا تابعين جمع تابع على تبع كقولهم خادم وخدم وغايب وغيب او ذوي تبع والتبع الاتباع
يقال تبعه تبعا فان قلت اي فرق بين من في من عذاب الله وبينه في من شيء
قلت الاولى للتبيين والثانية للتبعيض كانه قيل هل انتم مغنون عنا بعض الشيء
الذي هو عذاب الله ويجوز ان تكونا للتبعيض معا بمعنى هل انتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض
عذاب الله اي بعض بعض عذاب الله فان قلت فما معنى قوله لو هدانا الله لهديناكم قلت
الذي قال لهم الضعفاء كان توبيخا لهم وعتابا على استتباعهم واستغوائهم وقولهم فهل انتم مغنون
عنا من باب التبكيت لانهم قد علموا انهم لا يقدرون على الاغناء عنهم فاجابوهم معتذرين عما كان منهم
اليهم بان الله لو هداهم الى الايمان لهدوهم ولم يضلوهم اما موركين الذنب في ضلالهم واضلالهم على
الله كما حكى الله عنهم وقالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء يقولون
ذلك في الاخرة كما كانوا يقولونه في الدنيا ويدل عليه قوله حكاية عن المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا
فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء ويجوز ان يكون المعنى لو كنا من اهل اللطف
فلطف بنا ربنا واهتدينا لهديناكم الى الايمان وقيل معناه لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب
لهديناكم اي لاغنينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم طريق الهلكة سواء علينا اجزعنا
ام صبرنا ما لنا من محيص مستويان علينا الجزع والصبر والهمزة وام للتسوية ونحوه اصبروا او لا
تصبروا سواء عليكم وروي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون
تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا فان قلت كيف اتصل
قوله سواء علينا بما قبله قلت اتصاله به من حيث ان عتابهم لهم كان جزعا مما هم
فيه فقالوا لهم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا يريدون انفسهم واياهم لاجتماعهم في عقاب الضلالة
التي كانوا مجتمعين فيها يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة في الجزع كما لا فائدة في الصبر ولان
من ذلك الاطم ادلّنا قالوا لو هدانا الله طريق النجاة لاغنينا عنكم ابتغوا لا افتاط من النجاة فقالوا ما لنا من
ولجناكم

محيص

محيص اي منجى ومهرب جزعنا ام صبرنا ويجوز ان يكون من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا كانه قيل
قالوا جميعا سواء علينا كقوله ذلك ليعلم اني لم اخنه والمحيص يكون مصدرا كالمغيب والمشيب ومكانا
كالمبيت والمصيف يقال حاص عنه وجاض بمعنى واحد وقال الشيطان لما قضي الامر لما قطع الامر
وفرغ منه وهو الحساب وتصادر الفريقين ودخول احدهما الجنة ودخول الاخر النار وروي ان
الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا في الاشقياء من الجن والانس فيقول ذلك ان الله وعدكم وعد الحق وهو
البعث والجزاء على الاعمال فوفى لكم بما وعدكم ووعدتكم خلاف ذلك فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان
من تسلط وقهر فاقسركم على الكفر والمعاصي والجئكم اليها الا ان دعوتكم الا دعائي اياكم الى الضلالة
بوسوستي وتزييني وليس الدعاء من جنس السلطان ولكنه كقولك ما تحيتهم الا الضرب فاستجبتم
لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم حيث اغتررتم بي واطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم اذ دعاكم وهذا
دليل على ان الانسان هو الذي يختار الشقاوة والسعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله الا التمكين ولا من
الشيطان الا التزيين ولو كان الامر كما تزعم المجبرة لقال فلا تلوموني ولا انفسكم فان الله قضى عليكم الكفر
واجبركم عليه فان قلت قول الشيطان باطل لا يصح التعلق به قلت لو كان هذا
القول منه باطلا لبين الله بطلانه واظهر انكاره على انه لا طائل له في النطق بالباطل في ذلك المقام الا ترى
الى قوله ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم كيف اتى فيه بالحق والصدق وما كان لي عليكم من سلطان
وهو مثل قول الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين ما انا بمصرخكم
وما انتم بمصرخي اي لا ينجي بعضنا بعضا من عذاب الله ولا يغيثه والاصراخ الاغاثة وقرئ بمصرخي بكسر
الياء وهي ضعيفة واستشهدوا لها ببيت مجهول قال لها هل لك يا تافي قالت له ما انت بالمرضي
وكانه قدر ياء الاضافة ساكنة وقبلها ياء ساكنة فحركها بالكسر لما عليه اصل التقاء الساكنين ولكنه غير
صحيح لان ياء الاضافة لا تكون الا مفتوحة حيث قبلها الف في نحو عصاي فما بالها وقبلها ياء فان قلت
جرت الياء الاولى مجرى الحرف الصحيح لاجل الادغام فكانها ياء وقعت ساكنة بعد حرف صحيح ساكن فحركت
بالكسر على الاصل قلت هذا قياس حسن ولكن الاستعمال المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر
المتواتر تتضاءل اليه القياسات اني كفرت بما اشركتمون من قبل ما في بما اشركتموني مصدرية ومن قبل متعلق
باشركتموني يعني كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل هذا اليوم اي في الدنيا كقوله ويوم القيمة يكفرون
بشرككم ومعنى كفره باشراكهم اياه تبرؤه منه واستنكاره له كقوله انا برآء منكم ومما تعبدون
من دون الله كفرنا بكم وقيل من قبل يتعلق بكفرت وما موصولة اي كفرت من قبل حين ابيت السجود
لادم بالذي اشركتمونيه وهو الله عز وجل تقول شركت زيدا فاذا نقلت بالهمزة قلت اشركنيه
فلان اي جعلني له شريكا ونحو ما هذه ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومعنى اشراكهم الشيطان
بالله طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عبادة الاوثان وغيرها وهذا اخر قول ابليس عليه اللعنة وقوله
ان الظالمين لهم عذاب اليم قول الله عز وجل ويحتمل ان يكون من جملة قول ابليس وانما حكى الله
عز وجل ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون لطفا للسامعين في النظر لعاقبتهم والاستعداد لما لا بد لهم
من الوصول اليه وان يتصوروا في انفسهم ذلك المقام الذي يقول فيه الشيطان ما يقول فيخافوا
ويعملوا ما يخلصهم فيه وينجيهم وقرئ فلا يلوموني على طريقة الالتفات كقوله حتى اذا كنتم
في الفلك وجرين بهم وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار وقرا الحسن
وعمرو بن عبيد رحمهما الله وادخل الذين امنوا على فعل المتكلم بمعنى وادخل انا وهذا دليل
على انه من قول الله تعالى لا من قول ابليس خالدين فيها باذن ربهم متعلق بادخل اي ادخلتهم
الملائكة الجنة باذن الله وامره فان قلت فبم يتعلق في القراءة الاخرى وقولك
وادخلهم انا باذن ربهم كلام غير ملتئم قلت الوجه في هذه القراءة ان يتعلق قوله باذن
ربهم بما بعده اي تحيتهم فيها سلام باذن ربهم يعني ان الملائكة يحيونهم باذن ربهم الم تر
قرئ الم تر بسكون الراء كما قرئ من يتق وفيه ضعف كيف ضرب الله مثلا اعتمد مثلا ووضعه
وكلمة طيبة نصب بمضمر اي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك
شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس ويجوز ان ينتصب مثلا وكلمة بضرب اي ضرب كلمة طيبة

ولى

وفي قوله

بمعنى

مثلا بمعنى جعلها مثلا ثم قال كشجرة طيبة على انها خبر مبتدا محذوف بمعنى هي كشجرة طيبة اصلها
ثابت يعني في الارض ضارب بعروقه فيها وفرعها واعلاها وراسها في السما ويجوز ان يريد وفروعها
على الاكتفا بلفظ الجنس وقرا انس بن مالك كشجرة طيبة ثابت اصلها فان قلت اي
فرق بين القرائتين قلت قراة الجماعة اقوى معنى لان في قراة انس اجريت الصفة على الشجرة
واذا قلت مررت برجل ابوه قايم فهو اقوى معنى من مررت برجل قايم ابوه لان المخبر عنه انما هو الاب
لا رجل والكلمة الطيبة كلمة التوحيد وقيل كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار
والتوبة والدعوة وعن ابن عباس شهادة ان لا اله الا الله واما الشجرة فكل شجرة مثمرة طيبة الثمار
كالنخلة وشجرة التين والعنب والرمان وغير ذلك وعن ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ذات يوم ان الله ضرب مثل المومن شجرة فاخبروني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي وكنت
صبيا فوقع في قلبي انها النخلة فهبت رسول الله ان اقولها وانا اصغر القوم وروي فمنعني مكان
عمر واستحييت فقال لي عمر يا بني لو كنت قلتها لكانت احب الي من حمر النعم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا انها النخلة وعن ابن عباس شجرة في الجنة وقوله في السماء معناه في جهة العلو والصعود ولم
يرد المظلة كقولك في الجبل طويل في السما تريد ارتفاعه وشموخه توتي اكلها كل حين تعطي ثمرها في كل
وقت وقته الله لاثمارها باذن ربها بتيسير خالقها وتكوينه ويضرب الله الامثال للناس لعلهم
يتذكرون لان في ضرب الامثال زيادة افهام وتذكير وتصوير للمعاني ومثل كلمة خبيثة كشجرة
خبيثة اي صفتها كصفتها وقرى ومثل كلمة بالنصب عطفا على كلمة طيبة والكلمة الخبيثة كلمة الشرك
وقيل كل كلمة قبيحة واما الشجرة الخبيثة فكل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل والكشوث
ونحو ذلك وقوله اجتثت من فوق الارض في مقابلة قوله اصلها ثابت ومعنى اجتثت استوصلت
وحقيقة الاجتثاث اخذ الجثة كلها ما لها من قرار اي استقرار يقال قرار الشي قرارا كقولك
ثبت ثباتا شبه بها القول الذي لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت والذي لا يبقى انما يضمحل عن قرب
لبطلانه من قولهم الباطل لجلج وعن قتادة انه قيل لبعض العلما ما تقول في كلمة خبيثة فقال
ما اعلم لها في الارض مستقرا ولا في السما مصعدا الا ان تلزم عنق صاحبها حتى يوافي القيمة
يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة القول الثابت الذي
ثبت بالحجة والبرهان في قلب صاحبه وتمكن فيه فاعتقده واطمانت اليه نفسه وتثبيتهم به
في الدنيا انهم اذا فتنوا في دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين فتنهم اصحاب الاخدود والذين نشروا
بالمناشير ومشطت لحومهم بامشاط الحديد وكما ثبت جرجيس وشمسون وغيرهما وتثبيتهم
في الاخرة انهم اذا سيلوا عند تواقف الاشهاد عن معتقدهم ودينهم لم يتلعثموا ولم يبهتوا ولم
تحيرهم اهوال الحشر وقيل معناه الثبات عند سوال القبر عن البرا بن عازب رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المومن فقال ثم تعاد روحه في جسده فياتيه
ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني
الاسلام ونبيي محمد فينادي مناد من السما ان صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين امنوا
بالقول الثابت ويضل الله الظالمين الذين لم يتمسكوا بحجة في دينهم وانما اقتصروا على تقليد
كبارهم وشيوخهم كما قلد المشركون اباهم فقالوا انا وجدنا اباءنا على امة واضلالهم في الدنيا انهم
لا يثبتون في مواقف الفتن وتزل اقدامهم اول شي وهم في الاخرة اضل واذل ويفعل الله
ما يشا اي ما توجبه الحكمة لان مشية الله تابعة للحكمة من تثبيت المومنين وتاييدهم وعصمتهم
عند ثباتهم وعزمهم ومن اضلال الظالمين وخذلانهم والتخلية بينهم وبين شانهم عند زللهم
الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله اي شكر نعمة الله كفرا لان شكرها الذي وجب عليهم وضعوا
مكانه كفرا فكانهم غيروا الشكر الى الكفر وبدلوه تبديلا ونحوه وتجعلون رزقكم انكم تكذبون
اي شكر رزقكم حيث وضعتم التكذيب موضعه ووجه اخر وهو انهم بدلوا نفس النعمة كفرا على
انهم لما كفروها سلبوها فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر حاصلا لهم الكفر بدل النعمة وهم
اهل مكة اسكنهم الله حرمه وجعلهم قوام بيته واكرمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا نعمة الله

قوله

بر ابراهيم

بدلا ما لزمهم من الشكر العظيم واصابهم الله بالنعمة في الرخا والسعة لايلافهم الرحلتين فكفروا نعمته
فضربهم بالقحط سبع سنين فحصل لهم الكفر بدل النعمة وكذلك حين اسروا وقتلوا يوم بدر قد
ذهبت عنهم النعمة وبقي الكفر طوقا في اعناقهم وعن عمر رضي الله عنه هم الافجران من قريش بنو المغيرة
وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا حتى حين وقيل هم متنصرة العرب
جبلة بن الايهم واصحابه واحلوا قومهم ممن تابعهم على الكفر دار البوار دار الهلاك جهنم يصلونها
وبيس القرار عطف جهنم على دار البوار عطف بيان وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله قرى
ليضلوا بفتح اليا وضمها فان قلت الضلال والاضلال لم يكن غرضهم في اتخاذ الانداد
فما معنى اللام قلت لما كان الضلال والاضلال نتيجة اتخاذ الانداد كما كان الاكرام
في قولك جيتك لتكرمني نتيجة المجي دخلته اللام وان لم يكن غرضا على طريق التشبيه والتقريب
قل تمتعوا ايذان بانهم لانغماسهم في التمتع بالحاضر وانهم لا يعرفون غيره ولا يريدونه مامورون
به قد امرهم امر مطاع لا يسعهم ان يخالفوه ولا يملكون لانفسهم امرا دونه وهو امر الشهوة
والمعنى ان دمتم على ما انتم عليه من الامتثال لامر الشهوة فان مصيركم الى النار ويجوز ان
يراد الخذلان والتخلية ونحوه قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار قل لعبادي الذين امنوا
يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلال
المقول محذوف لان جواب قل يدل عليه وتقديره قل لعبادي الذين امنوا اقيموا الصلاة يقيموا الصلاة
وينفقوا وجوزوا ان يكون يقيموا وينفقوا بمعنى ليقيموا ولينفقوا ويكون هذا هو المقول قالوا
وانما جاز حذف اللام لان الامر الذي هو قل عوض منه ولو قيل يقيموا الصلاة وينفقوا
ابتدا بحذف اللام لم يجز فان قلت علام انتصب سرا وعلانية قلت
على الحال اي ذوي سر وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين او على الظرف اي وقتي سر وعلانية او على
المصدر اي انفاق سر وانفاق علانية والمعنى اخفا المتطوع به من الصدقات والاعلان بالواجب
والخلال المخالة فان قلت كيف طابق الامر بالانفاق وصف اليوم بانه لا بيع
فيه ولا خلال قلت من قبل ان الناس يخرجون اموالهم في عقود المعاوضات فيعطون
بدلا ليأخذوا مثله وفي المكارمات ومهاداة الاصدقا ليستجروا بهداياهم امثالها او خيرا منها
واما الانفاق لوجه الله خالصا كقوله وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغا وجه ربه الاعلى
فلا يفعله الا المومنون الخلص فبعثوا عليه ليأخذوا بدله في يوم لا بيع فيه ولا خلال اي
لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة ولا بما ينفقون فيه اموالهم من المعاوضات والمكارمات وانما
ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله تعالى وقرى لا بيع فيه ولا خلال بالرفع الله الذي خلق السموات
والارض وانزل من السما ما فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره
وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دايبين الله مبتدا والذي خلق خبره ومن الثمرات
بيان للرزق اي اخرج به رزقا هو ثمرات ويجوز ان يكون من الثمرات مفعول اخرج ورزقا
حالا من المفعول او نصبا على المصدر من اخرج لانه في معنى رزق بامره بقوله كن دايبين
يدابان في سيرهما وانارتهما ودرئهما الظلمات واصلاحهما ما يصلحانه من الارض والابدان والنبات
وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمعاشكم وسباتكم واتاكم من كل ما سالتموه من للتبعيض
اي اتاكم بعض جميع ما سالتموه نظرا في مصالحكم وقرى من كل بالتنوين وما سالتموه نفي ومحله
النصب على الحال اي اتاكم من جميع ذلك غير سايليه ويجوز ان تكون ما موصولة على واتاكم
من كل ذلك ما احتجتم اليه ولم تصلح احوالكم ومعايشكم الا به فكانكم سالتموه او طلبتموه
بلسان الحال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ولا تحصروها ولا تطيقوا عدها وبلوغ
اخرها هذا اذا ارادوا ان يعدوها على الاجمال واما التفصيل فلا يقدر عليه ولا يعلمه
الا الله ان الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها كفار شديد الكفران لها وقيل
ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع والانسان للجنس فيتناول الاخبار
بالظلم والكفران من يوجدان منه واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد يعني البلد الحرام زاده

وانفقوا

البلد امنا وكفاه كل باغ وظالم واجاب فيه دعوة خليله ابراهيم امنا ذا امن فان قلت
اي فرق بين قوله اجعل هذا بلدا امنا وبين قوله اجعل هذا البلد امنا قلت قد سال
في الاول ان يجعله من جملة البلاد التي يامن اهلها ولا يخافون وفي الثاني ان يخرجه من صفة
كان عليها من الخوف الى ضدها من الامن كانه قال هو بلد مخوف فاجعله امنا واجنبني وقرئ
واجنبني وفيه ثلاث لغات جنبه الشر وجنبه واجنبه فاهل الحجاز يقولون جنبني شره
بالتشديد واهل نجد جنبني واجنبني والمعنى ثبتنا وادمنا على اجتناب عبادتها وبني
اراد بنيه من صلبه ان نعبد الاصنام وسئل ابن عيينة كيف عبدت العرب الاصنام
فقال ما عبد احد من ولد اسماعيل صنما واحتج بقوله واجنبني وبني انما كانت انصاب حجارة
لكل قوم قالوا البيت حجر فحيثما نصبنا حجرا فهو بمنزلة البيت فكانوا يدورون بذلك الحجر ويسمونه
الدوار فاستحب ان يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت رب انهن اضللن كثيرا من الناس
فاعوذ بك ان تعصمني وبني من ذلك وانما جعلن مضلات لان الناس ضلوا بسببهن فكانهن
اضللنهم كما تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم اي افتتنوا بها واغتروا بسببها فمن تبعني على ملتي وكان
حنيفا مسلما مثلي فانه مني اي هو بعضي لفرط اختصاصه بي وملابسته لي وكذلك قوله عليه السلام
من غشنا فليس منا اي ليس من بعض المؤمنين على ان الغش ليس من افعالهم واوصافهم ومن عصاني
فانك غفور رحيم تغفر له ما سلف منه من عصياني اذا بدا له فيه واستحدث الطاعة لي وقيل
معناه ومن عصاني فيما دون الشرك ربنا اني اسكنت من ذريتي بعض اولادي وهم اسماعيل ومن ولد
منه بواد هو وادي مكة غير ذي زرع لا يكون فيه شيء من زرع قط كقوله قرانا عربيا غير ذي عوج بمعنى
لا يوجد فيه اعوجاج ما فيه الا الاستقامة لا غير عند بيتك المحرم قيل للبيت المحرم لان الله حرم
التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لمكانه او لانه لم يزل ممنعا عزيزا يهابه كل جبار كالشيء
المحرم الذي حقه ان يجتنب او لانه محترم عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها او لانه حرم على الطوفان
اي منع منه كما سمي عتيقا لانه اعتق منه فلم يستول عليه ربنا ليقيموا الصلاة اللام متعلقة
باسكنت اي ما اسكنتهم بهذا الوادي الخلاء البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا ليقيموا الصلاة عند
بيتك المحرم ويعمروه بذكرك وعبادتك وما تعمر به مساجدك ومتعبداتك متبركين بالبقعة
التي شرفتها على البقاع مستسعدين بجوارك الكريم متقربين اليك بالعكوف عند بيتك والطواف
به والركوع والسجود حوله مستنزلين الرحمة التي اثرت بها سكان حرمك فاجعل افئدة من الناس
افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ويدل عليه ما روي عن مجاهد لو قال افئدة الناس
لزحمتكم عليه فارس والروم وقيل لو لم يقل من لازدحموا عليه حتى الروم والترك والهند ويجوز
ان يكون من للابتداء كقولك القلب مني سقيم تريد قلبي فكانه قيل افئدة ناس وانما نكرت المضاف
اليه في هذا التمثيل لتنكير افئدة لانها في الاية نكرة ليتناول بعض الافئدة وقرئ افدة بوزن
عاقدة وفيه وجهان احدهما ان يكون من القلب كقولهم ادر في ادور والثاني ان يكون اسم
فاعلة من افدت الرحلة اذا عجلت اي جماعة او جماعات يرتحلون اليهم ويعجلون نحوهم وقرئ
افدة وفيه وجهان ان تطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه ان تخفف باخراجها بين بين
وان يكون من افد تهوي اليهم تسرع اليهم وتطير نحوهم شوقا ونزاعا ومن قوله
يهوي مخارمها هوي الاجدل وقرئ تهوى اليهم على البناء للمفعول من هوى اليه واهواه غيره
وتهوى اليهم من هوي يهوى اذا احب ضمن معنى تنزع فعدي تعديته وارزقهم من الثمرات
مع سكناهم واديا ما فيه شيء منها بان تجلب اليهم من البلاد لعلهم يشكرون النعمة في ان يرزقوا
انواع الثمرات حاضرة في واد يباب ليس فيه نجم ولا شجر ولا ماء لا جرم ان الله عز وجل اجاب
دعوته فجعله حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنه ثم فضله في وجود اصناف
الثمار فيه على كل ريف وعلى اخصب البلاد واكثرها ثمارا وفي اي بلد من بلاد الشرق والغرب
ترى الاعجوبة التي يريكها الله بواد غير ذي زرع وهي اجتماع البواكير والفواكه المختلفة
الازمان من الربيعية والخريفية والصيفية في يوم واحد وليس ذلك من اياته بعجيب متعنا الله

ان نعبد الاصنام صح

لا يكون

بسكنى

٢٩

عليه السلام

بسكنى حرمه ووفقنا لشكر نعمه وادام لنا التشرف بالدخول تحت دعوة ابرهيم ورزقنا
طرفا من سلامة ذلك القلب السليم ربنا النداء المكرر دليل التضرع واللجا الى الله انك تعلم
ما نخفي وما نعلن تعلم السر كما تعلم العلن علما لا تفاوت فيه لان غيب الغيوب لا يحتجب
عنك والمعنى انك اعلم باحوالنا وما يصلحنا وينفعنا منا وانت ارحم الراحمين بنا وانصح
لنا منا بانفسنا ولها فلا حاجة الى الدعاء والطلب وانما ندعوك اظهارا للعبودية لك
وتخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك وافتقارا الى ما عندك واستعجالا لنيل اياديك وولها
الى رحمتك وكما يتملق العبد بين يدي سيده رغبة في اصابة معروفه مع توفر السيد على حسن
الملكة وعن بعضهم انه رفع حاجته الى كريم فابطا عليه النجح فاراد ان يذكره فقال مثلك لا يذكر
استقصارا ولا توهما للغفلة عن حوائج السائلين ولكن ذا الحاجة لا تدعه حاجته ان لا
يتكلم فيها وقيل ما نخفي من الوجد لما وقع بيننا من الفرقة وما نعلن من البكاء والدعاء وقيل
ما نخفي من كابة الافتراق وما نعلن يريد ما جرى بينه وبين هاجر حين قالت له عند الوداع
الى من تكلنا قال الى الله اكلكم قالت الله امرك بهذا قال نعم قالت اذن لا نخشى تركتنا
الى كاف وما يخفى على الله من شيء من كلام الله عز وجل تصديقا لابراهيم عليه السلام
كقوله وكذلك يفعلون او من كلام ابراهيم يعني وما يخفى على الله الذي هو عالم الغيب من شيء
في الارض ولا في السماء في كل مكان ومن للاستغراق كانه قيل وما يخفى عليه شيء ما الحمد لله الذي
وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق على في قوله على الكبر بمعنى مع كقوله

اني على ما ترين من كبري اعلم من حيث تؤكل الكتف

وهو في موضع الحال معناه وهب لي وانا كبير في حال الكبر روي ان اسماعيل ولد له وهو ابن
تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة وقد روي
انه ولد له اسمعيل لاربع وستين واسحق لتسعين وعن سعيد بن جبير لم يولد لابراهيم
الا بعد مائة وسبع عشرة سنة وانما ذكر حال الكبر لان المنة بهبة الولد فيها اعظم من حيث
انها حال وقوع الياس من الولادة والظفر بالحاجة على عقب الياس من اجل النعم واحلاها
في نفس الظافر ولان الولادة في تلك السن العالية كانت اية لابراهيم ان ربي لسميع الدعاء
كان قد دعا ربه وسال الولد فقال رب هب لي من الصالحين فشكر لله ما اكرمه به من اجابته
فان قلت الله تعالى يسمع كل دعاء اجابه او لم يجبه قلت هو من قولك
سمع الملك كلام فلان اذا اعتد به وقبله ومنه سمع الله لمن حمده وفي الحديث ما اذن الله لشيء
كاذنه لنبي يتغنى بالقران فان قلت ما هذه الاضافة اضافة السميع الى الدعاء
قلت اضافة الصفة الى مفعولها واصله لسميع الدعاء وقد ذكر سيبويه فعيلا
في جملة ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولك هذا ضروب زيدا وضراب اخاه ومنحار
ابله وحذر امورا ورحيم اباه ويجوز ان يكون من اضافة فعيل الى فاعله ويجعل دعاء الله
سميعا على الاسناد المجازي والمراد سماع الله رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي
وبعض ذريتي عطفا على المنصوب في اجعلني وانما بعض لانه علم باعلام الله انه يكون في ذريته
كفار وذلك قوله لا ينال عهدي الظالمين ربنا وتقبل دعاء اي عبادتي واعتزلكم وما
تدعون من دون الله ربنا اغفر لي ولوالدي في قراءة ابي ولابوي وقرا سعيد بن جبير
ولوالدي على الافراد يعني اباه وقرا الحسن بن علي رضي الله عنهما ولولدي يعني اسمعيل
واسحق وقرئ لولدي بضم الواو والولد بمعنى الولد كالعدم والعدم وقيل جمع ولد كاسد
في اسد وفي بعض المصاحف ولذريتي فان قلت كيف جاز له ان يستغفر لابويه
وكانا كافرين قلت هو من مجوزات العقل لا يعلم امتناع جوازه الا بالتوقيف
وقيل اراد بوالديه ادم وحواء وقيل بشرط الاسلام وياباه قوله الا قول ابراهيم لابيه
لاستغفرن لك لانه لو شرط الاسلام لكان استغفارا صحيحا لا مقال فيه فكيف يستثنى
الاستغفار الصحيح من جملة ما يؤتسى فيه بابراهيم وللمؤمنين يوم يقوم الحساب اي يثبت

استغفارا صح

قولهم

وهو مستعار من قيام القائم على الرجل والدليل عليه قامت الحرب على ساقها ونحوه قولهم ترجلت
الشمس اذا اشرقت وثبت ضوؤها كانها قامت على رجل ويجوز ان يسند الى الحساب قيام اهله
اسنادا مجازيا او يكون مثل واسئل القرية وعن مجاهد قد استجاب الله لابراهيم دعوته فلم يعبد احد من
ولده صنما بعد دعوته وجعل البلد امنا ورزق اهله وجعله اماما وجعل في ذريته من يقيم الصلاة
واراه مناسكه وتاب عليه وعن ابن عباس انه قال كانت الطائف من ارض فلسطين فلما قال ابرهيم
ربنا اني اسكنت الاية دفعها الله فوضعها حيث وضعها رزقا للحرم فان قلت يتعالى
الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله وهو اعلم الناس به غافلا حتى قيل ولا تحسبن
الله غافلا عما يعمل الظالمون قلت ان كان خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ففيه وجهان احدهما التثبيت على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا كقوله ولا تكونن من المشركين
ولا تدع مع الله الها آخر كما جاء في الامر يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله والثاني ان المراد
بالنهي عن حسبانه غافلا الايذان بانه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شيء وانه معاقبهم
على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون عليم يريد الوعيد ويجوز
ان يراد ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب
على النقير والقطمير وان كان خطابا لغيره ممن يجوز ان يحسبه غافلا لجهله بصفاته فلا سؤال فيه
وعن ابن عيينة تسلية للمظلوم وتهديد للظالم فقيل له من قال هذا فغضب وقال انما قاله
من علمه انما يؤخرهم وقرئ نؤخرهم بالنون والياء ليوم تشخص فيه الابصار اي ابصارهم
لا تقر في اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين الى الداعي وقيل الاهطاع ان تقبل
ببصرك على المرئي تديم النظر اليه لا تطرف مقنعي رؤسهم رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم
لا يرجع اليهم ان يطرفوا بعيونهم اي لا يطرفون ولكن عيونهم مفتوحة ممدودة من غير تحريك
للاجفان او لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم وافئدتهم هواء الهواء الخلاء الذي
لم تشغله الاجرام فوصف به فقيل قلب فلان هواء اذا كان جبانا لا قوة في قلبه ولا جراءة
ويقال للاحمق ايضا قلبه هواء قال زهير من الظلمان جؤجؤه هواء
لان النعام مثل في الجبن والحمق وقال حسان فانت مجوف نخب هواء
وعن ابن جريج افئدتهم هواء صفر من الخير خاوية منه وقال ابو عبيدة جوف لا عقول لهم وانذر
الناس يوم يأتيهم العذاب يوم يأتيهم العذاب مفعول ثان لانذر وهو يوم القيمة ومعنى
فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا الى اجل قريب ردنا الى الدنيا وامهلنا الى امد وحد من
الزمان قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة دعوتك واتباع
رسلك او اريد باليوم يوم هلاكهم بالعذاب العاجل او يوم موتهم معذبين بشدة السكرات
ولقاء الملائكة بلا بشرى وانهم يسألون يومئذ ان يؤخرهم ربهم الى اجل قريب كقوله
لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق او لم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال على ارادة
القول وفيه وجهان ان يقولوا ذلك بطرا واشرا ولما استولى عليهم من عادة الجهل والسفه
وان يقولوه بلسان الحال حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وما لكم جواب القسم وانما جاء
بلفظ الخطاب لقوله اقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقيل ما لنا من زوال والمعنى اقسمتم
انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت والفناء وقيل لا تنتقلون الى دار اخرى يعني كفرهم بالبعث
كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم
يقال سكن الدار وسكن فيها ومنه قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم لان السكنى
من السكون الذي هو اللبث والاصل تعديه بفي كقولك قر في الدار وغني فيها واقام فيها
ولكنه لما نقل الى سكون خاص تصرف فيه فقيل سكن الدار كما قيل تبوأها واوطنها
ويجوز ان يكون سكنوا من السكون اي قروا فيها واطمأنوا طيبي النفوس سائرين سيرة من
قبلهم في الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقي الاولون من ايام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم
فيعتبروا ويرتدعوا وتبين لكم بالاخبار والمشاهدة كيف فعلنا بهم كيف اهلكناهم وانتقمنا

من الثمرات صح

رضي الله عنه

منهم وقرئ ونبين لكم بالنون وضربنا لكم الامثال اي صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهي في الغرابة كالامثال
المضروبة لكل ظالم وقد مكروا مكرهم اي مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم وعند الله مكرهم
لا يخلو اما ان يكون مضافا الى الفاعل كالاول على معنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم
عليه بمكر هو اعظم منه او يكون مضافا الى المفعول على معنى وعند الله مكرهم الذي يمكرهم به وهو
عذابهم الذي يستحقونه يأتيهم من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون وان كان مكرهم لتزول
منه الجبال وان عظم مكرهم وتبالغ في الشدة فضرب زوال الجبال منه مثلا لتفاقمه وشدته
اي وان كان مكرهم مسوى لازالة الجبال معدا لذلك وقد جعلت ان نافية واللام مؤكدة
لها كقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم والمعنى ومحال ان تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال مثل
لآيات الله وشرائعه لانها بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكنا وتنصره قراءة ابن مسعود وما كان
مكرهم وقرئ لتزول بلام الابتداء على وان كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقلع
من اماكنها وقرأ علي وعمر رضي الله عنهما وان كاد مكرهم فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله يعني
قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي فان قلت هلا قيل مخلف رسله
وعده ولم قدم المفعول الثاني على الاول قلت قدم الوعد ليعلم انه لا يخلف الوعد
اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليؤذن انه اذا لم يخلف وعده احدا وليس
من شأنه اخلاف المواعيد كيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته وقرئ مخلف وعده رسله
بجر الرسل ونصب الوعد وهذه في الضعف كمن قرأ قتل اولادهم شركائهم ان الله عزيز غالب لا يماكر
ذو انتقام لاوليائه من اعدائه يوم تبدل الارض انتصابه على البدل من يوم يأتيهم او على الظرف للانتقام
غير الارض والسموات والمعنى يوم تبدل هذه الارض التي تعرفونها ارضا اخرى غير هذه المعروفة
وكذلك السموات والتبديل التغيير وقد يكون في الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير ومنه بدلناهم
جلودا غيرها وبدلناهم بجنتيهم جنتين وفي الاوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها
وسويتها خاتما فنقلتها من شكل الى شكل ومنه قوله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات واختلف
في تبديل الارض والسموات فقيل تبدل اوصافها فتسير عن الارض جبالها وتفجر بحارها وتسوى
فلا يرى فيها عوج ولا امت وعن ابن عباس هي تلك الارض وانما تغير وانشد
وما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي كنت تعلم
وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا وقيل
تخلق بدلها ارض وسموات اخر وعن ابن مسعود وانس يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ
عليها احد خطيئة وعن علي رضي الله عنه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن الضحاك
ارضا من فضة بيضاء كالصحائف وقرئ يوم نبدل بالنون وبرزوا لله الواحد القهار فان
قلت كيف قال الواحد القهار قلت هو كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار لان الملك اذا كان لواحد غلاب لا يغالب ولا يعاز فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار
كان الامر في غاية الصعوبة والشدة وترى المجرمين يومئذ مقرنين قرن بعضهم مع بعض او مع
الشياطين او قرنت ايديهم الى ارجلهم مغللين وقوله في الاصفاد اما ان يتعلق بمقرنين
اي يقرنون في الاصفاد واما ان لا يتعلق به فيكون المعنى مقرنين مصفدين والاصفاد القيود
وقيل الاغلال وانشد لسلامة ابن جندل وزيد الخيل قد لاقى صفادا
يعض بساعد وبعظم ساق سرابيلهم من قطران فيه ثلاث لغات قطران وقطران
بفتح القاف وكسرها مع سكون الطاء وهو ما يتحلب من شجر يسمى الابهل فيطبخ فتهنأ
به الابل الجربى فيحرق الجرب بحره وحدته والجلد وقد تبلغ حرارته الجوف ومن شأنه ان يسرع
فيه اشتعال النار وقد يستسرج به وهو اسود اللون منتن الريح فتطلى به جلود اهل النار
حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل وهي القمص ليجتمع عليهم الاربع لذع القطران وحرقته واسراع
النار في جلودهم واللون الوحش ونتن الريح على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين
النارين وكل ما وعده الله او اوعد به في الآخرة فبينه وبين ما نشاهد من جنسه ما لا يقادر قدره

لاحد صح

قطران مع

فكانه ما عندنا منه الا الاسامي والمسميات ثمة، نبكرمه الواسع نعوذ به من سخطه ونساله التوفيق
فيما بحيا به عذابه وقرى من قطر آن والقطر النحاس او الصفر المذاب والآني المتناهي حره وتغشى
وجوههم النار كقوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم يسحبون في النار على وجوههم لان
الوجه اعز موضع في ظاهر البدن واشرفه كالقلب في باطنه ولذلك قال تطلع على الافئدة وقرى
وتغشى وجوههم بمعنى تتغشى اي يفعل بالمجرمين ما يفعل ليجزي الله كل نفس مجرمة
ما كسبت ان الله سريع الحساب او كل نفس مجرمة ومطيعة لانه اذا عاقب المجرمين لاجرامهم
علم انه يثيب المطيعين لطاعتهم هذا بلاغ للناس كفاية في التذكير والموعظة يعني بهذا ما وصفه
من قوله ولا تحسبن الى قوله سريع الحساب ولينذروا به معطوف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا روا
به بهذا البلاغ وقرى ولينذروا بفتح اليا من نذر به اذا علمه واستعد له وليعلموا انما هو
اله واحد لانهم اذا خافوا ما انذروا به دعتهم المخافة الى النظر حتى يتوصلوا الى التوحيد لان
الخشية ام الخير كله وليذكر اولوا الالباب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
ابراهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين
تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن
للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتابا واي قرآن مبين كانه قيل الكتاب الجامع
للكمال والغرابة في البيان ربما يود الذين كفروا قرى ربما وربتما بالتشديد وربما وربتما بالضم
والفتح مع التخفيف فان قلت لم دخلت على المضارع وقد ابوا دخولها
الا على الماضي قلت لان المترقب في اخبار الله عز وجل بمنزلة الماضي المقطوع به في
تحققه فكانه قيل ربما ود فان قلت متى تكون ودادتهم قلت عند الموت
او يوم القيمة اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين وقيل اذا راوا المسلمين يخرجون من النار وهذا
ايضا باب من الودادة فان قلت فما معنى التقليل قلت هو وارد على
مذهب العرب في قولهم لعلك ستندم على فعلك وربما ندم الانسان على ما فعل ولا يشكون
في تندمه ولا يقصدون تقليله ولكنهم ارادوا لو كان الندم مشكوكا فيه او كان قليلا لحق عليك
ان لا تفعل هذا الفعل لان العقلا يتحرزون من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون من المتيقن ومن
القليل منه كما من الكثير وكذلك المعنى في الآية لو كانوا مسلمين لو كانوا يودون الاسلام مرة
واحدة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه في كل ساعة لو كانوا مسلمين حكاية ودادتهم
وانما جي بها على لفظ الغيبة لانهم مخبر عنهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل حلف بالله لافعلن
ولو كنا مسلمين لكان حسنا سديدا وقيل تدهشهم اهوال ذلك اليوم فيبقون مبهوتين فان
حانت منهم افاقة في بعض الاوقات من سكرتهم تمنوا فلذلك قلل ذرهم يعني اقطع طمعك من
ارعوائهم ودعهم عن النهي عما هم عليه والصد عنه بالتذكرة والنصيحة وخلهم ياكلوا ويتمتعوا
بدنياهم وتنفيذ شهواتهم ويلههم الامل ويشغلهم املهم وتوقعهم لطول الاعمار واستقامة
الاحوال وان لا يلقوا في العاقبة الا خيرا فسوف يعلمون سوء صنيعهم والغرض الايذان
بانهم من اهل الخذلان وانهم لا يجي منهم الا ما هم فيه وانه لا زاجر لهم ولا واعظ الا معاينة
ما ينذرون به حين لا ينفعهم الوعظ ولا سبيل الى اتعاظهم قبل ذلك فامر رسوله بان يخليهم
وشانهم ولا يشتغل بما لا طائل تحته وان يبالغ في تخليتهم حتى يامرهم بما لا يزيدهم الا انهماكا في الغفلة
وفيه الزام للحجة ومبالغة في الانذار واعذار فيه وفيه تنبيه على ان ايثار التلذذ والتنعم
وما يودي اليه طول الامل ليس من اخلاق المؤمنين وعن بعضهم التمرغ
في الدنيا من اخلاق الهالكين وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم جملة واقعة صفة لقرية
والقياس ان لا يتوسط الواو بينهما كما في قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون وانما توسطت
لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال في الحال جاءني زيد عليه ثوب وجاءني وعليه ثوب كتاب معلوم مكتوب معلوم

وهو اجلها

وهو اجلها الذي كتب في اللوح وبين الا ترى الى قوله ما تسبق من امة اجلها في موضع كتابها وانث الامة اولا
ثم ذكرها آخرا حملا على اللفظ والمعنى وقال وما يستاخرون بحذف عنه لانه معلوم وقالوا يا ايها
الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون قرا الاعمش يا ايها الذي القي عليه الذكر وكان هذا النداء منهم على وجه
الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وكيف يقرون بنزول الذكر عليه وينسبونه الى
الجنون والتعكيس في كلامهم للاستهزاء والتهكم مذهب واسع وقد جاء في كتاب الله في مواضع منها فبشرهم
بعذاب اليم انك لانت الحليم الرشيد وقد يوجد كثيرا في كلام العجم والمعنى انك لتقول قول المجانين حين
تدعي ان الله نزل عليك الذكر لوما لو ركبت مع لا وما لمعنيين معنى امتناع الشي لوجود غيره ومعنى التحضيض واما
هل فلم تركب الا مع لا وحدها للتحضيض قال ابن مقبل لوما الحياء ولوما الدين عبتكما
ببعض ما فيكما اذ عبتما عوري والمعنى هلا تاتينا بالملائكة يشهدون بصدقك ويعضدونك
على انذارك كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او هلا تاتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك
ان كنت من الصادقين ان كنت صادقا كما كانت تاتي الامم المكذبة برسلها ما ننزل الملائكة قرى تنزل
بمعنى تتنزل وتنزل على البنا للمفعول ونزل وننزل الملائكة بالنون ونصب الملائكة الا بالحق الا تنزلا
ملتبسا بالحكمة والمصلحة ولا حكمة في ان تاتيكم عيانا وتشاهدونهم ويشهدون لكم بصدق النبي
صلى الله عليه وسلم لانكم حينئذ مصدقون عن اضطرار ومثله قوله عز وجل وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما الا بالحق وقيل الحق الوحي والعذاب وما كانوا اذا منظرين واذن جواب وجزا لانه
جواب لهم وجزا الشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما اخر عذابهم انا نحن نزلنا
الذكر رد لانكارهم واستهزائهم في قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر ولذلك قال انا نحن فاكد عليهم
انه هو المنزل على القطع والبتات وانه هو الذي بعث به جبريل الى محمد صلى الله عليه وسلم وبين يديه ومن خلفه رصد
حتى نزل وبلغ محفوظا من الشياطين وهو حافظه في كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل
بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها وانما استحفظها الربانيين والاحبار فاختلفوا فيما بينهم
بغيا فكان التحريف ولم يكل القرآن الى غير حفظه فان قلت فحين كان قوله انا
نحن نزلنا الذكر ردا لانكارهم واستهزائهم فكيف اتصل به قوله وانا له لحافظون قلت
قد جعل ذلك دليلا على انه منزل من عنده آية لانه لو كان من قول البشر او غير آية لتطرق عليه الزيادة
والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه وقيل الضمير في له لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله والله
يعصمك ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين في فرقهم وطوائفهم والشيعة الفرقة اذا
اتفقوا على مذهب وطريقة ومعنى ارسلنا فيهم نبانا فيهم وجعلناه رسولا فيما بينهم وما
ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون حكاية حال ماضية لان ما لا تدخل على مضارع الا وهو في معنى
الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال كذلك نسلكه يقال سلكت الخيط في الابرة واسلكته
اذا ادخلته فيها ونظمته وقرى نسلكه والضمير للذكر اي مثل ذلك السلك ونحوه نسلك الذكر
في قلوب المجرمين على معنى انه يلقيه في قلوبهم مكذبا مستهزأ به غير مقبول كما لو انزلت بلئيم حاجة
فلم يجبك اليها فقلت كذلك انزلها باللئام يعني مثل هذا الانزال انزلها بهم مردودة غير مقضية
ومحل قوله لا يومنون به النصب على الحال اي غير مؤمن به او هو بيان لقوله كذلك نسلكه وقد خلت
سنة الاولين طريقتهم التي سنها الله في اهلاكهم حين كذبوا رسلهم وبالذكر المنزل عليهم وهو
وعيد لاهل مكة على تكذيبهم ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون قرى يعرجون
بالضم والكسر لقالوا انما سكرت ابصارنا سكرت حيرت او حبست من الابصار من السكر او السكر
اي حارت كما يحار السكران والمعنى ان هولاء المشركين بلغ من غلوهم في العناد ان لو فتح لهم باب
من ابواب السما ويسر لهم معراج يصعدون فيه اليها وراوا من العيان ما راوا لقالوا هو شي نتخايله
لا حقيقة له ولقالوا قد سحرنا محمد بذلك وقيل الضمير للملائكة اي لو اريناهم الملائكة يصعدون
في السما عيانا لقالوا ذلك وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون
وقال انما ليدل على انهم يبتون القول بان ذلك ليس الا تسكيرا للابصار ولقد جعلنا في السما
بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين

وقرئ سكرت بالتخفيف اي حبست كما يحبس النهر من الجري وقرئ سكرت من السكر
بل نحن قوم مسحورون

ثم استثني في محل النصب على الاستثناء وعن ابن عباس انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى
منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد منعوا من السموات كلها شهاب مبين ظاهر للمبصرين والارض
مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شيء موزون موزون بوزن الحكمة وبقدر
بمقدار بمقتضيه لا يصلح فيه زيادة ولا نقصان او له وزن وقدر في ابواب النعمة والمنفعة وقيل
ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها وجعلنا لكم فيها معايش معايش
بياء صريحة بخلاف الشمائل والخبائث ونحوها فان تصريح الياء فيها خطأ والصواب الهمز على التشبيه
ومن لستم له برازقين عطف على معايش او على محل لكم كانه قيل وجعلنا لكم فيها معايش وجعلنا
لكم من لستم له برازقين او وجعلنا لكم معايش ولمن لستم له برازقين واراد بهم العيال والمماليك
والخدم الذين يحسبون انهم يرزقونهم ويخطئون فان الله هو الرزاق يرزقهم واياهم ويدخل فيه
الانعام والدواب وكل ما بتلك المثابة مما الله رازقه وقد سبق الى ظنهم انهم الرازقون ولا يجوز
ان يكون مجرورا عطفا على الضمير المجرور في لكم لانه لا يعطف على الضمير المجرور وان من شيء الا
عندنا خزائنه ذكر الخزائن تمثيل والمعنى وما من شيء ينتفع به العباد الا ونحن قادرون على ايجاده
وتكوينه والانعام به وما ننزله وما نعطيه الا بقدر معلوم الا بمقدار معلوم نعلم انه مصلحة
له فضرب الخزائن مثلا لاقتداره على كل مقدور وارسلنا الرياح لواقح لواقح فيه قولان احدهما
ان الريح لاقح اذا جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر كما قيل للتي لا تأتي بخير ريح عقيم والثاني ان اللواقح
بمعنى الملاقح كما قال ومختبط مما تطيح الطوائح يريد المطاوح جمع مطيحة وقرئ وارسلنا الريح على
تأويل الجنس فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين نفي عنهم
ما اثبته لنفسه في قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه كانه قال نحن الخازنون للماء على معنى نحن
القادرون على خلقه في السماء وانزاله منها وما انتم عليه بقادرين دلالة على عظيم قدرته واظهارا
لعجزهم وانا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون اي الباقون بعد هلاك الخلق كله وقيل
للباقي وارث استعارة من وارث الميت[2] ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين
ولقد علمنا من استقدم ولادة وموتا ومن تأخر من الاولين والآخرين او من خرج من اصلاب الرجال ومن
لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام وسبق الى الطاعة ومن تأخر وقيل المستقدمين
في صفوف الجماعة والمستأخرين وروي ان امرأة حسناء كانت في المصليات خلف رسول الله
صلى الله عليه وسلم فكان بعض القوم يستقدم لئلا ينظر اليها وبعض القوم يستأخر ليبصرها
فنزلت وان ربك هو يحشرهم اي هو وحده القادر على حشرهم والعالم بحصرهم مع افراط
كثرتهم وتباعد اطراف عددهم انه حكيم عليم باهر الحكمة واسع العلم يفعل كل ما يفعل على مقتضى
الحكمة والصواب وقد احاط علما بكل شيء ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمإ مسنون الصلصال الطين
اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ واذا طبخ فهو فخار قالوا اذا توهمت في صوته
مدا فهو صليل وان توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل اذا انتن
والحمأ الطين الاسود المتغير والمسنون المصور من سنة الوجه وقيل المصبوب المفرغ
اي افرغ صورة انسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذوبة في امثلتها وقيل المنتن من سننت
الحجر على الحجر اذا حككته به فالذي يسيل بينهما سنين ولا يكون الا منتنا من حمإ صفة
لصلصال اي خلقه من صلصال كائن من حمإ وحق مسنون بمعنى مصور ان يكون صفة لصلصال
كانه افرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غيره بعد ذلك
الى جوهر آخر والجان خلقناه من قبل من نار السموم والجان للجن كآدم للناس وقيل هو ابليس
الجن وعمرو بن عبيد رحمهما الله والجأن بالهمزة من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام
وقيل هذه السموم جزء من سبعين جزءا من سموم النار التي خلق الله منها الجان واذ قال ربك
واذكر وقت قوله للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فاذا سويته عدلت
خلقته واكملتها وهيأتها لنفخ الروح فيها ونفخت فيه من روحي واحييته وليس ثم نفخ
ولا منفوخ وانما هو تمثيل لتحصيل ما يحيا به فيه فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون

الا ابليس

[2] لانه يبقى بعد فنائه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في دعائه واجعله الوارث منا صح

صلصال صح

الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين واستثنى ابليس من الملائكة لانه كان بينهم مأمورا بالسجود فغلب
اسم الملائكة ثم استثني بعد التغليب كقولك رأيتهم الا هندا والا استثناء على تقدير قول قائل
يقول هلا سجد فقيل ابى ذلك واستكبر عنه وقيل معناه ولكن ابليس ابى قال يا ابليس ما لك
ان لا تكون حرف الجر مع ان محذوف تقديره ما لك في ان لا تكون مع الساجدين بمعنى اي غرض لك
في اباء السجود واي داع لك اليه قال لم اكن لاسجد اللام في لاسجد لتأكيد النفي والمعنى لا يصح
مني وينافي حالي ويستحيل ان اسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون قال فاخرج
منها فانك رجيم شيطان من الذين يرجمون بالشهب او مطرود من رحمة الله لانه يطرد ويرجم بالحجارة
ومعناه ملعون لان اللعن هو الطرد من الرحمة والابعاد منها والضمير في منها راجع الى الجنة او السماء او الى
جملة الملائكة وان عليك لعنتي الى يوم الدين ضرب يوم الدين حدا للعنة اما لانه ابعد غاية
يضربها الناس في كلامهم كقوله ما دامت السموات والارض في التأبيد واما ان يراد انك مذموم
مدعو عليك باللعن في السموات والارض الى يوم الدين من غير ان يعذب فاذا جاء ذلك اليوم عذبت
بما ينسى اللعن معه قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم
يوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم في معنى واحد ولكن خولف بين العبارات سلوكا
بالكلام طريقة البلاغة وقيل انما سأل الانظار الى اليوم الذي فيه يبعثون لئلا يموت لانه لا يموت
يوم البعث احد فلم يجب الى ذلك وانظر الى اخر ايام التكليف قال رب بما اغويتني الباء للقسم وما
مصدرية وجواب القسم لازينن لهم في الارض[7] ومعنى اغوائه اياه تسبيبه لغيه بان امره بالسجود
لآدم عليه السلام فافضى ذلك الى غيه وما الامر بالسجود الا حسن وتعريض للثواب بالتواضع
والخضوع لامر الله ولكن ابليس اختار الاباء والاستكبار فهلك والله تعالى بريء من غيه ومن ارادته
والرضا به ونحو قوله بما اغويتني لازينن قوله فبعزتك لاغوينهم في انه اقسام الا ان احدهما اقسام
بصفته والثاني اقسام بفعله وقد فرق الفقهاء بينهما ويجوز ان لا يكون قسما ويقدر قسم محذوف
ويكون المعنى بسبب تسبيبك لاغوائي اقسم لافعلن بهم نحو ما فعلت بي من التسبيب لاغوائهم
بان ازين لهم المعاصي واوسوس اليهم ما يكون سبب هلاكهم في الارض في الدنيا التي هي دار الغرور
كقوله تعالى اخلد الى الارض واتبع هواه او اراد اني اقدر على الاحتيال لآدم والتزيين له الاكل من
الشجرة وهو في السماء فانا على التزيين لاولاده في الارض اقدر او اراد لاجعلن مكان التزيين
عندهم الارض ولاوقعن تزييني فيها اي لازيننها في اعينهم ولاحدثنهم بان الزينة في الدنيا[7] وحدها
حتى يستحبوها على الآخرة ويطمئنوا اليها دونها ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي
ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين استثنى المخلصين لانه علم ان كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلون
منه قال هذا صراط علي مستقيم اي هذا طريق حق علي ان اراعيه وهو ان لا يكون لك سلطان
على عبادي الا من اختار اتباعك منهم لغوايته وقرئ علي وهو من علو الشرف والفضل
ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين وان جهنم لموعدهم اجمعين لموعدهم
الضمير للغاوين لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم وقيل ابواب النار اطباقها
وادراكها فاعلاها للموحدين والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس
للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وعن ابن عباس ان جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى
لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين
والهاوية للموحدين وقرئ جزء بالتخفيف والتثقيل وقرأ الزهري جز بالتشديد كانه حذف
الهمزة والقى حركتها على الزاي كقولك خب في خبء ثم وقف عليه بالتشديد كقولهم الرجل
ثم اجري الوصل مجرى الوقف ان المتقين في جنات وعيون المتقي على الاطلاق من يتقي ما يجب
اتقاؤه مما نهي عنه وعن ابن عباس اتقوا الكفر والفواحش ولهم ذنوب تكفرها الصلوات
وغيرها ادخلوها على ارادة القول وقرأ الحسن ادخلوها بسلام سالمين او مسلما عليكم
تسلم عليكم الملائكة آمنين ونزعنا ما في صدورهم من غل الغل الحقد الكامن في القلب
من انغل في جوفه وتغلغل اي ان كان لاحدهم في الدنيا غل على آخر نزع الله ذلك من قلوبهم

[7] والمعنى اقسم باغوائك اياي لازينن لهم صح

[7] في الدنيا صح

نفوسهم وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير رضي الله عنهم منهم وعن
الحرث الاعور كنت جالسا عنده اذ جاء ابن طلحة فقال له علي رضي الله عنهم مرحبا بك يا ابن اخي
اما والله اني لارجو ان اكون انا وابوك ممن قال الله تعالى فيهم ونزعنا ما في صدورهم من غل
فقال له قائل كلا والله اعدل من ان يجمعك وطلحة في مكان واحد فقال فلمن هذه الاية لا ام
لك وقيل معناه طهر الله قلوبهم من ان يتحاسدوا على الدرجات في الجنة ونزع منها كل غل والقى
فيها التواد والتحاب واخوانا نصب على الحال على سرر متقابلين كذلك وعن مجاهد تدور
بهم الاسرة حيثما داروا فيكونون في جميع احوالهم متقابلين لا يمسهم فيها نصب وما هم منها
بمخرجين لما اتم ذكر الوعد والوعيد اتبعه نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو
العذاب الاليم تقريرا لما ذكر وتمكينا له في النفوس وعن ابن عباس غفور لمن تاب وعذابه لمن
لم يتب وعطف ونبئهم عن ضيف ابراهيم على نبئ عبادي ليتخذوا ما احل من العذاب بقوم لوط
عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه من المجرمين ويتحققوا عنده ان عذابه هو العذاب الاليم
اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما اي نسلم عليك سلاما او سلمت سلاما قالوا انا منكم وجلون ٧
خائفون وكان خوفه لامتناعهم من الاكل وقيل لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت قالوا لا توجل وقرا دخلوا صح
الحسن لا توجل بضم التاء من اوجله يوجله اذا اخافه وقرئ لا تاجل ولا تواجل من واجله بمعنى
اوجله انا نبشرك بغلام عليم وقرئ نبشرك بفتح النون والتخفيف انا نبشرك استئناف
في معنى التعليل للنهي عن الوجل ارادوا انك بمثابة الامن المبشر فلا توجل قال ابشرتموني على
ان مسني الكبر يعني بشرتموني مع مس الكبر بان يولد لي اي ان الولادة امر عجيب مستنكر
في العادة مع الكبر فبم تبشرون هي ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كانه قال فباي اعجوبة
تبشروني او اراد انكم تبشروني بما هو غير متصور في العادة فباي شيء تبشروني يعني
لا تبشروني في الحقيقة بشيء لان البشارة بمثل هذا بشارة بغير شيء ويجوز ان لا تكون
صلة لبشر وتكون سؤالا عن الوجه والطريقة يعني باي طريقة تبشروني بالولد والبشارة
به لا طريقة لها في العادة وقوله قالوا بشرناك بالحق يحتمل ان تكون الباء فيه صلة اي بشرناك
باليقين الذي لا لبس فيه او بشرناك بطريقة هي حق وهي قول الله ووعده وانه قادر على ان يوجد
ولدا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وقرئ تبشرون بفتح النون وبكسرها على حذف
نون الجمع والاصل تبشرونني وتبشرون بادغام نون الجمع في نون العماد فلا تكن من القانطين
وقرئ من القنطين من قنط يقنط قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون وقرئ ومن يقنط بالحركات
الثلاث في النون اراد ومن يقنط من رحمة ربه الا المخطئون طريق الصواب او الا الكافرون
كقوله لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون يعني لم استنكر ذلك قنوطا من رحمته ولكن
استبعادا له في العادة التي اجراها الله قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم
مجرمين الا ال لوط فان قلت قوله تعالى الا ال لوط استثناء متصل ام منقطع
قلت لا يخلو من ان يكون استثناء من قوم فيكون منقطعا لان القوم موصوفين
بالاجرام فاختلف لذلك الجنسان وان يكون استثناء من الضمير في مجرمين فيكون متصلا كانه
قيل الى قوم قد اجرموا كلهم الا ال لوط وحدهم كما قال فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين فان
قلت فهل يختلف المعنى لاختلاف الاستثنائين قلت نعم وذلك
ان ال لوط مخرجون في المنقطع من حكم الارسال وعلى انهم ارسلوا الى القوم المجرمين خاصة ولم
يرسلوا الى ال لوط اصلا ومعنى ارسالهم الى القوم المجرمين كارسال الحجر او السهم الى المرمي
في انه في معنى التعذيب والاهلاك كانه قيل انا اهلكنا قوما مجرمين ولكن ال لوط انجيناهم
واما في المتصل فهم داخلون في حكم الارسال وعلى ان الملائكة ارسلوا اليهم جميعا ليهلكوا
هولاء وينجوا هولاء فلا يكون الارسال مخلصا بمعنى الاهلاك والتعذيب كما في الوجه
الاول فان قلت فقوله انا لمنجوهم اجمعين بم يتعلق على الوجهين
قلت اذا انقطع الاستثناء جرى مجرى خبر لكن في الاتصال بال لوط لان المعنى

لكن ال لوط منجون واذا اتصل كان كلاما مستانفا كان ابراهيم صلوات الله عليه قال لهم
فما حال ال لوط فقالوا انا لمنجوهم فان قلت فقوله الا امراته مم استثني وهل هو
استثناء من استثناء قلت استثني من الضمير المجرور في قوله لمنجوهم وليس من الاستثناء
من الاستثناء في شي لان الاستثناء من الاستثناء انما يكون فيما اتحد الحكم فيه وان يقال اهلكناهم
الا ال لوط الا امراته كما اتحد الحكم في قول المطلق انت طالق ثلاثا الا اثنتين الا واحدة وفي قول
المقر لفلان علي عشرة دراهم الا ثلاثة الا درهما فاما في الاية فقد اختلف الحكمان لان ال لوط
متعلق بارسلنا او بمجرمين والا امراته قد تعلق بمنجوهم فانى يكون استثناء من استثناء وقرئ
لمنجوهم بالتخفيف والتثقيل فان قلت لم جاز تعليق فعل التقدير في قوله
قدرنا انها لمن الغابرين والتعليق من خصائص افعال القلوب قلت لتضمن فعل
التقدير معنى العلم ولذلك فسر العلماء تقدير الله اعمال العباد بالعلم فان قلت
لم اسند الملائكة فعل التقدير وهو لله وحده الى انفسهم ولم يقولوا قدر الله قلت
لما لهم من القرب والاختصاص بالله الذي ليس لاحد غيرهم كما تقول خاصة الملك دبرنا كذا
وامرنا بكذا والمدبر والامر هو الملك لا هم وانما يظهرون بذلك اختصاصهم وانهم لا يتميزون
عنه وقرئ قدرنا بالتخفيف فلما جاء ال لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون اي تنكركم نفسي
وتنفر منكم فاخاف ان تطرقوني بشر بدليل قوله قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي
ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما فيه فرحك وسرورك وتشفيك من عدوك وهو
العذاب الذي كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون فيه ويكذبونك واتيناك بالحق باليقين من
عذابهم وانا لصادقون في الاخبار بنزوله بهم وقرئ فاسر بقطع الهمزة ووصلها من اسرى
وسرى وروى صاحب الاقليد فسر من السير باهلك بقطع من الليل واتبع ادبارهم
والقطع في اخر الليل قال • اقتحي الباب وانظري في النجوم • كم علينا من قطع ليل بهيم •
وقيل هو بعد ما يمضي شي صالح من الليل ولا يلتفت منكم احد فان قلت
ما معنى امره باتباع ادبارهم ونهيهم عن الالتفات قلت قد بعث الله الهلاك على قومه
ونجاه واهله اجابة لدعوته عليهم وخرج مهاجرا فلم يكن له بد من الاجتهاد في شكر الله وادامة ذكره
وتفريغ باله لذلك فامر بان يقدمهم لئلا يشتغل بمن خلفه قلبه وليكون مطلعا عليهم وعلى
احوالهم فلا تفرط منهم التفاتة احتشاما منه ولا غيرها من الهفوات في تلك الحال المهولة
المحذورة ولئلا يتخلف منهم احد لغرض له فيصيبه العذاب وليكون مسيره مسير الهارب
الذي يقدم سربه ويفوت به ونهوا عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب
فيرقوا لهم وليوطنوا انفسهم على المهاجرة ويطيبوها عن مساكنهم ويمضوا قدما غير
ملتفتين الى ما وراءهم كالذي يتحسر على مفارقة وطنه فلا يزال يلوي اليه اخادعه كما قال
• تلفت نحو الحي حتى وجدتني • وجعت من الاصغاء ليتا واخدعا •
او جعل النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني والتوقف لان من يلتفت
لا بد له في ذلك من ادنى وقفة وامضوا حيث تؤمرون قيل هو مصر وعدي وامضوا الى حيث
تعديته الى الظرف المبهم لان حيث مبهم في الامكنة وكذلك الضمير في تؤمرون وقضينا اليه
عدي قضينا بالى لانه ضمن معنى اوحينا كانه قيل واوحينا اليه مقضيا مبتوتا وفسر ذلك الامر
بقوله ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وفي ابهامه وتفسيره تفخيم للامر وتعظيم له وقرا
الاعمش ان بالكسر على الاستئناف كان قائلا قال اخبرنا عن ذلك الامر فقال ان دابر هؤلاء
وفي قراءة ابن مسعود وقلنا ان دابر هؤلاء ودابرهم اخرهم يعني يستاصلون عن اخرهم حتى
لا يبقى منهم احد وجاء اهل المدينة يستبشرون اهل سدوم التي ضرب بقاضيها المثل في الجور
مستبشرين بالملائكة قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون بفضيحة ضيفي لان من اسيء الى
ضيفه او جاره فقد اسيء اليه كما ان من اكرم من يتصل به فقد اكرمه واتقوا الله ولا تخزون
ولا تذلوني باذلال ضيفي من الخزي وهو الهوان او ولا تشوروا بي من الخزاية وهي الحياء قالوا او لم

انما صح
الا

ننهك عن العالمين عن ان تجير منهم احدا او تدفع عنهم او تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون
لكل احد وكان يقوم صلى الله عليه وسلم بالنهي عن المنكر والحجز بينهم وبين المتعرض له
فاوعدوه وقالوا له لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين وقيل عن ضيافة الناس
وانزالهم وكانوا نهوه ان يضيف احدا قط قال هؤلاء بناتي اشارة الى النساء لان كل امة
اولاد نبيها رجالهم بنوه ونساؤهم بناته فكانه قال لهم هؤلاء بناتي فانكحوهن وخلوا
بني فلا تتعرضوا لهم ان كنتم فاعلين شك في قبولهم لقوله كانه قال ان فعلتم ما اقول
لكم وما اظنكم تفعلون وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما احل الله دون ما حرم
لعمرك على ارادة القول اي قالت الملائكة للوط عليه السلام لعمرك انهم لفي سكرتهم اي
في غوايتهم التي اذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطا الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير به
عليهم من ترك البنين الى البنات يعمهون يتحيرون فكيف يقبلون قولك ويصغون الى نصيحتك
وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانه اقسم بحياته وما اقسم بحياة احد
قط كرامة له والعمر والعمر واحد لانهم حصروا القسم بالمفتوح لايثار الاخف فيه وذلك
لان الحلف كثير الدور على السنتهم ولذلك حذفوا الخبر وتقديره لعمرك مما اقسم به كما حذفوا
الفعل في قولك بالله وقرئ في سكرهم وفي سكراتهم فاخذتهم الصيحة صيحة جبريل مشرقين
داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل قيل
من طين عليه كتاب من السجل ودليله قوله تعالى حجارة من طين مسومة عند ربك اي معلمة بكتاب
ان في ذلك لايات للمتوسمين للمتفرسين المتاملين وحقيقة المتوسمين النظار المتثبتون في نظرهم
حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء يقال توسمت في فلان كذا اي عرفت وسمه فيه والضمير في عاليها
سافلها لقرى قوم لوط وانها ان هذه القرى يعني اثارها لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس
لم يندرس بعد وهم يبصرون تلك الاثار وهو تنبيه لقريش وانكم لتمرون عليهم مصبحين كقوله
ان في ذلك لاية للمؤمنين وان كان اصحاب الايكة قوم شعيب لظالمين فانتقمنا منهم وانهما
يعني قرى قوم لوط والايكة وقيل الضمير للايكة ومدين لان شعيبا عليه السلام كان مبعوثا
اليهما فلما ذكر الايكة دل بذكرها على مدين فجاء بضميرهما لبامام مبين لبطريق واضح والامام
اسم لما يؤتم به فسمي به الطريق ومطمر البناء واللوح الذي يكتب فيه لانها مما يؤتم به ولقد
كذب اصحاب الحجر ثمود والحجر واديهم وهو بين المدينة والشام المرسلين يعني
بتكذيبهم صالحا لان من كذب واحدا منهم فكانما كذبهم جميعا او اراد صالحا ومن معه من
المؤمنين كما قيل الخبيبون في ابن الزبير واصحابه وعن جابر قال مررنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم على الحجر فقال لنا لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا ان
يصيبكم مثل ما اصاب هؤلاء ثم زجر رسول الله صلى الله عليه وسلم راحلته فاسرع حتى
خلفها وراءه واتيناهم اياتنا فكانوا عنها معرضين وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا امنين
لوثاقة البيوت واستحكامها من ان تنهدم ويتداعى بنيانها ومن نقب اللصوص ومن الاعداء
وحوادث الدهر او امنين من عذاب الله يحسبون ان الجبال تحميهم منه فاخذتهم الصيحة
مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة والاموال والعدد
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة لا باطلا
ولا عبثا او بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال وان الساعة لاتية وان الله
ينتقم لك فيها من اعدائك ويجازيك واياهم على حسناتك وسيئاتهم فانه ما خلق السموات
والارض وما بينهما الا لذلك فاصفح الصفح الجميل فاعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم اعراضا
جميلا بحلم واغضاء وقيل هو منسوخ باية السيف ويجوز ان يراد به المخالقة فلا
يكون منسوخا ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وهو العليم بحالك وحالهم
فلا يخفى عليه ما يجري بينكم وهو يحكم بينكم او ان ربك هو الذي خلقكم وعلم ما هو الاصلح
لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح الى ان يكون السيف اصلح وفي مصحف ابي وعثمان رضي

الله عنهما

الله عنهما ان ربك هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق للتكثير لا غير كقولك قطع الثياب
وقطع الثوب والثياب ولقد اتيناك سبعا من المثاني سبع ايات وهي الفاتحة او سبع سور
وهي الطوال واختلف في السابعة فقيل الانفال وبراءة لانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل
بينهما باية التسمية وقيل سورة يونس وقيل هي الحواميم او سبع صحايف وهي الاسباع
والمثاني من التثنية وهي التكرير لان الفاتحة مما تكرر قراءتها في الصلاة وغيرها او من
الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله الواحدة مثناة او مثنية صفة للاية واما السور والاسباع
فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الثناء كانها
تثني على الله بافعاله العظمى وصفاته الحسنى ومن اما للبيان او للتبعيض اذا اردت
بالسبع الفاتحة او الطوال وللبيان اذا اردت الاسباع ويجوز ان يكون كتب الله كلها
مثاني لانها تثني عليه ولما فيها من المواعظ المكررة ويكون القران بعضها والقران العظيم
فان قلت كيف صح عطف القران العظيم على السبع وهل هو الا عطف الشيء
على نفسه قلت اذا عني بالسبع الفاتحة او الطوال فما وراءهن ينطلق عليه
اسم القران لانه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل الا ترى الى قوله بما اوحينا اليك هذا
القران يعني سورة يوسف واذا عنيت الاسباع فالمعنى ولقد اتيناك ما يقال له السبع
المثاني والقران العظيم اي الجامع لهذين النعتين وهو الثناء او التثنية والعظم لا تمدن
عينيك اي لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا
من الكفار فان قلت كيف وصل هذا بما قبله قلت يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم
قد اوتيت النعمة العظمى التي كل نعمة وان عظمت فهي اليها حقيرة ضئيلة وهي القران العظيم
فعليك ان تستغني به ولا تمدن عينيك الى متاع الدنيا ومنه الحديث ليس منا من لم يتغن بالقران
وحديث ابي بكر رضي الله عنه من اوتي القران فراى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد
صغر عظيما وعظم صغيرا وقيل وافت من بصرى واذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة
والنضير فيها انواع البز والطيب والجوهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه
الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل الله فقال لهم الله عز وعلا لقد اعطيتكم
سبع ايات هي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم يعني لا تتمن اموالهم ولا تحزن عليهم
انهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم الاسلام وينتعش بهم المؤمنون واخفض جناحك للمؤمنين
وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين وضعفائهم وطب نفسا عن ايمان الاغنياء والاقوياء
وقل لهم اني انا النذير المبين انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم فان
قلت بم تعلق قوله كما انزلنا على المقتسمين قلت فيه وجهان
احدهما ان يتعلق بقوله ولقد اتيناك اي انزلنا عليك مثل ما انزلنا على اهل الكتاب وهم
المقتسمون الذين جعلوا القران عضين حيث قالوا بعنادهم وعدوانهم بعضه حق موافق
للتورية والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه الى حق وباطل وعضوه وقيل
كانوا يستهزؤن به فيقول بعضهم سورة البقرة لي ويقول الاخر سورة ال عمران لي ويجوز
ان يراد بالقران ما يقرؤنه من كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم وبان اليهود اقرت ببعض التورية
وكذبت ببعض والنصارى اقرت ببعض الانجيل وكذبت ببعض وهذه تسلية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم عن صنيع قومه بالقران وتكذيبهم وقولهم سحر وشعر واساطير بان
غيرهم من الكفرة يفعلون بغيره من الكتب نحو فعلهم والثاني ان يتعلق بقوله وقل اني انا النذير
اي وانذر قريشا مثل ما انزلنا من العذاب على المقتسمين يعني اليهود وهو ما جرى على
قريظة والنضير جعل المتوقع بمنزلة الواقع وهو من الاعجاز لانه اخبار بما سيكون وقد كان
ويجوز ان يكون الذين جعلوا القران عضين منصوبا بالنذير اي انذر المعضين الذين
يجزؤن القران الى سحر وشعر واساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر
الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم فقعدوا في كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان برسول

الله يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الاخر كذاب والاخر شاعر فاهلكهم
الله يوم بدر وقبله بآفات كالوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن المطلب وغيرهم
او مثل ما انزلنا على الرهط الذين تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام والاقتسام
بمعنى التقاسم فان قلت اذا علقت قوله كما انزلنا بقوله ولقد آتيناك فما معنى
توسط لا تمدن الى آخره بينهما قلت لما كان ذلك تسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدد لمعنى التسلية من النهي عن الالتفات
الى دنياهم والتاسف على كفرهم ومن الامر بان يقبل بمجامعه على المومنين عضين اجزاء
جمع عضة واصلها عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء قال رؤبة
وليس دين الله بالمعضى وقيل هي فعلة من عضهته اذا بهته وعن عكرمة العضة السحر
بلسان قريش يقولون للساحرة عاضهة ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة
والمستعضهة نقصانها على الاول واو وعلى الثاني هاء لنسالنهم اجمعين عما كانوا
يعملون عبارة عن الوعيد وقيل يسالهم سوال تقريع وعن ابي العالية يسال العباد
عن خلتين عما كانوا يعبدون وماذا اجابوا المرسلين فاصدع بما تومر واعرض عن المشركين
انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون فاصدع بما تومر فاجهر
به واظهره يقال صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا كقولك صرح بها من الصديع وهو الفجر والصدع
في الزجاجة الابانة وقيل فاصدع فافرق بين الحق والباطل بما تومر والمعنى بما تومر به
من الشرائع فحذف الجار كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به ويجوز ان تكون ما مصدرية
اي بامرك مصدر من المبني للمفعول عن عروة بن الزبير في المستهزئين هم خمسة نفر ذوو اسنان
وشرف الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب
والحرث بن الطلاطلة وعن ابن عباس ماتوا كلهم قبل بدر قال جبريل عليه السلام لرسول
الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه نبل فلم
ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص بن وائل
فدخلت فيها شوكة فقال لدغت لدغت وانتفخت رجله حتى صارت كالرحي ومات واشار
الى عيني الاسود بن عبد المطلب فعمي واشار الى انف الحرث بن قيس فامتخط قيحا فمات
والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح راسه بالشجرة ويضرب وجهه
بالشوك حتى مات ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون من اقاويل الطاعنين فيك
وفي القرآن فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين فافزع فيما نابك الى الله والفزع الى الله
هو الذكر الدائم وكثرة السجود يكفك ويكشف عنك الغم واعبد ربك ودم على عبادة ربك
حتى ياتيك اليقين اي الموت اي ما دمت حيا فلا تخل بالعبادة وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحجر
كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم

سورة النحل مكية وهي مائة وثمان وعشرون آية غير ثلاث آيات في آخرها وتسمى سورة النعم

بسم الله الرحمن الرحيم كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام
الساعة او نزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا بالوعد فقيل لهم اتى امر الله الذي هو
بمنزلة الآتي الواقع وان كان منتظرا لقرب وقوعه فلا تستعجلوه روي انه لما نزلت اقتربت
الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى
ننظر ما هو كائن فلما تاخرت قالوا ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا
قربها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت اتى امر الله فوثب رسول
الله صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رووسهم فنزلت فلا تستعجلوه فاطمانوا وقرئ فلا تستعجلوه
بالتاء والياء سبحانه وتعالى عما يشركون تبرأ جل وعز عن ان يكون له شريك وان تكون آلهتهم
له شركاء او عن اشراكهم على ان ما موصولة او مصدرية فان قلت كيف اتصل هذا

اكفيكهم صح

باستعجالهم قلت لان استعجالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك وقرئ يشركون بالياء
والتاء ينزل قرئ بالتخفيف والتشديد وقرئ تنزل الملائكة اي تتنزل بالروح من امره بما يحيي
القلوب الميتة بالجهل من وحيه او بما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد على من يشاء من عباده ان
انذروا بدل من الروح اي ينزلهم بان انذروا وتقديره بان انذروا اي بان الشان اقول لكم انذروا
او تكون ان مفسرة لان تنزل الملائكة بالوحي فيه معنى القول ومعنى انذروا انه لا اله الا انا اعلموا
بان الامر ذلك من نذرت بكذا اذا علمته والمعنى يقول لهم اعلموا الناس قولي لا اله الا انا فاتقون ثم دل
على وحدانيته وانه لا اله الا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والارض وخلق الانسان وما يصلحه
وما لا بد له منه من خلق البهائم لاكله وركوبه وجر اثقاله وسائر حاجاته وخلق ما لا يعلمون من اصناف
خلائقه ومثله متعال عن ان يشرك به غيره فقال خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون
وقرئ يشركون بالياء والتاء خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين فيه معنيان احدهما فاذا هو
منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم مبين للحجة بعد ما كان نطفة من مني جمادا لا حس به ولا حركة
دلالة على قدرته والثاني فاذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم وصفا
للانسان بالافراط في الوقاحة والجهل والتمادي في كفران النعمة وقيل نزلت في ابي بن خلف الجمحي حين
جاء بالعظم الرميم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم والانعام
خلقها لكم الانعام الازواج الثمانية واكثر ما يقع على الابل وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر كقوله والقمر
قدرناه ويجوز ان يعطف على الانسان اي خلق الانسان والانعام ثم قال خلقها لكم اي ما خلقها الا
لكم ولمصالحكم يا جنس الانسان فيها دفء والدفء اسم ما يدفأ به كما ان الملء اسم ما يملأ به وهو
الدفاء من لباس معمول من صوف او وبر او شعر وقرئ دف بطرح الهمزة والقاء حركتها على الفاء ومنافع
هي نسلها ودرها وغير ذلك فان قلت تقديم الظرف في قوله ومنها تاكلون يؤذن بالاختصاص
وقد يؤكل من غيرها قلت الاكل منها هو الاصل الذي يعتمده الناس في معايشهم واما الاكل
من غيرها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتد به وكالجاري مجرى التفكه ويحتمل ان طعمتكم منها لانكم
تحرثون بالبقر فالحب والثمار التي تاكلونها منها وتكتسبون باكراء الابل وتبيعون نتاجها والبانها وجلودها
ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون من الله تعالى بالتجمل بها كما من بالانتفاع بها لانه من
اغراض اصحاب المواشي بل هو من معاظمها لان الرعيان اذا روحوها بالعشي وسرحوها بالغداة فزينت
باراحتها وتسريحها الافنية وتجاوب فيها الثغاء والرغاء آنست اهلها وفرحت اربابها واجلتهم في
عيون الناظرين اليها وكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس ونحوه لتركبوها وزينة يواري سوآتكم
وريشا فان قلت لم قدمت الاراحة على التسريح قلت لان الجمال
في الاراحة اظهر اذا اقبلت ملأى البطون حافلة الضروع ثم اوت الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرأ عكرمة
حينا تريحون وحينا تسرحون على ان تريحون وتسرحون وصف للحين والمعنى تريحون فيه وتسرحون
فيه كقوله تعالى يوما لا تجزي وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس وقرئ
بشق الانفس بكسر الشين وفتحها وقيل هما لغتان في معنى المشقة وبينهما فرق وهو ان المفتوح
مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذي هو الصدع واما الشق فالنصف كانه يذهب
نصف قوته لما يناله من الجهد فان قلت ما معنى قوله لم تكونوا بالغيه فانهم كانوا زمانا
يتحملون المشاق في بلوغه حتى حملت الابل اثقالهم قلت معناه وتحمل اثقالكم الى
بلد لم تكونوا بالغيه في التقدير لو لم تخلق الابل الا بجهد انفسكم لا انهم لم يكونوا بالغيه في الحقيقة
فان قلت كيف طابق قوله لم تكونوا بالغيه قوله وتحمل اثقالكم وهلا قيل لم تكونوا
حامليها اليه قلت طابقه من حيث ان معناه وتحمل اثقالكم الى بلد بعيد قد علمتم انكم لا
تبلغونه بانفسكم الا بجهد ومشقة فضلا ان تحملوا على ظهوركم اثقالكم ويجوز ان يكون المعنى لم تكونوا
بالغيه بها الا بشق الانفس وقيل اثقالكم اجرامكم وعن عكرمة البلد مكة ان ربكم لرؤوف رحيم حيث
رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام لتركبوها
وزينة اي وخلق هؤلاء للركوب والزينة وقد احتج على حرمة اكل لحومهن بان علل خلقها بالركوب والزينة

التفكه صح

ولم يذكر الاكل بعد ما ذكره في الانعام فان قلت لم انتصب وزينة قلت
لانه مفعول له وهو معطوف على محل لتركبوها فان قلت فهلا ورد المعطوف والمعطوف
عليه على سنن واحد قلت لان الركوب فعل المخاطبين واما الزينة فعل الزائن وهو
الخالق وقرئ لتركبوها وهي زينة وجمالا ويخلق ما لا تعلمون يجوز ان يريد به ما يخلق فينا ولنا
مما لا نعلم كنهه وتفاصيله ويمن علينا بذكره كما من بالاشياء المعلومة مع الدلالة على قدرته ويجوز ان يخبرنا
بان له من الخلائق ما لا علم لنا به ليزيدنا دلالة على اقتداره بالاخبار بذلك وان طوى عنا علمه لحكمة
له في طيه وقد حمل على ما خلق في الجنة والنار مما لم يبلغه وهم احد ولا خطر على قلبه وعلى الله قصد
السبيل المراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها القصد وقال ومنها جائر والقصد مصدر
بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يؤمه
السالك لا يعدل عنه ومعنى قوله وعلى الله قصد السبيل ان هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة
عليه كقوله ان علينا للهدى فان قلت لم غير اسلوب الكلام في قوله ومنها جائر
قلت ليعلم ما يجوز اضافته اليه من السبيلين وما لا يجوز ولو كان الامر كما تزعم المجبرة
لقيل وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها او وعليه الجائر وقرا عبد الله ومنكم جائر يعني ومنكم
جائر عن القصد بسوء اختياره والله بريء منه ولو شاء لهداكم اجمعين قسرا والجاء هو الذي انزل
من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر لكم متعلق بانزل او بشراب خبر له والشراب ما يشرب شجر
يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وفي حديث عكرمة لا تاكلوا ثمن الشجر فانه سحت يعني الكلا فيه
تسيمون من سامت الماشية اذا رعت فهي سائمة واسامها صاحبها وهو من السومة وهي العلامة لانها
تؤثر بالرعي علامات في الارض وقرئ نبت بالياء والنون لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب
ومن كل الثمرات فان قلت لم قيل ومن كل الثمرات قلت لان كل الثمرات
لا تكون الا في الجنة وانما انبت في الارض بعض من كلها للتذكرة ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون
ينظرون فيستدلون بها عليه وعلى قدرته وحكمته والاية الدلالة الواضحة وعن بعضهم ينبت
بالتشديد وقرا ابي بن كعب ينبت لكم الزرع والزيتون والنخيل والاعناب بالرفع وسخر لكم
الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات قرئت كلها بالنصب على وجعل النجوم مسخرات
او على ان معنى تسخيرها للناس تصييرها نافعة لهم حيث يسكنون بالليل ويبتغون من فضله
بالنهار ويعلمون عدد السنين والحساب بمسير الشمس والقمر ويهتدون بالنجوم فكانه قيل ونفعكم
بها في حال كونها مسخرات لما خلقن له بامره ويجوز ان يكون المعنى انه سخرها انواعا من التسخير
جمع مسخر بمعنى تسخير من قولك سخره الله مسخرا كقولك سرحه مسرحا كانه قيل وسخرها لكم
تسخيرات بامره وقرئ بنصب الليل والنهار وحدهما ورفع ما بعدهما على الابتداء والخبر وقرئ والنجوم
مسخرات بالرفع وما قبله بالنصب وقال ان في ذلك لايات لقوم يعقلون فجمع الاية وذكر
العقل لان الاثار العلوية اظهر دلالة على القدرة الباهرة وابين شهادة للكبرياء والعظمة وما ذرا
لكم في الارض مختلفا الوانه معطوف على الليل والنهار يعني ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر
وغير ذلك مختلف الهيئات والمناظر ان في ذلك لاية لقوم يذكرون وهو الذي سخر البحر
لتاكلوا منه لحما طريا هو السمك ووصفه بالطراوة لان الفساد يسرع اليه فيسارع الى اكله خيفة
الفساد عليه فان قلت ما بال الفقهاء قالوا اذا حلف الرجل لا ياكل لحما فاكل سمكا
لم يحنث والله تعالى سماه لحما كما ترى قلت مبنى الايمان على العادة وعادة الناس
اذا ذكر اللحم على الاطلاق ان لا يفهم منه السمك واذا قال الرجل لغلامه اشتر بهذه الدراهم
لحما فجاء بالسمك كان حقيقا بالانكار ومثاله ان الله تعالى سمى الكافر دابة في قوله ان شر الدواب
عند الله الذين كفروا فلو حلف حالف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث وتستخرجوا منه
حلية تلبسونها هو اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم لانهن من جملتهم ولانهن انما
يتزين بها من اجلهم فكانها زينتهم ولباسهم وترى الفلك مواخر فيه شواق للماء بحيزومها
وعن الفراء هو صوت جري الفلك بالرياح ولتبتغوا من فضله وابتغاء الفضل التجارة ولعلكم

تشكرون

٣١

تيل

تشكرون والقى في الارض رواسي ان تميد بكم كراهة ان تميد بكم وتضطرب والمائد الذي يدار به
اذا ركب البحر قيل خلق الله الارض فجعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت
وقد ارسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت وانهارا وجعل فيها انهارا لان القى فيه معنى جعل الا
ترى الى قوله الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وسبلا لعلكم تهتدون وعلامات هي معالم
الطرق وكل ما تستدل به السابلة من جبل ومنهل وغير ذلك وبالنجم هم يهتدون والمراد بالنجم الجنس
كقولك كثر الدرهم في ايدي الناس وعن السدي هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي وقرا
الحسن وبالنجم بضمتين وبضمة وسكون وهو جمع نجم كرهن ورهن والسكون تخفيف وقيل
حذف الواو من النجوم تخفيفا فان قلت وبالنجم هم يهتدون مخرج عن سنن الخطاب
مقدم فيه النجم مقحم فيه هم كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فمن المراد بهم قلت
كانه اراد قريشا كان لهم اهتداء بالنجوم في مسايرهم وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان
الشكر اوجب عليهم والاعتبار الزم لهم فخصصوا افمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون فان
قلت من لا يخلق اريد به الاصنام فلم جيء بمن الذي هو لاولي العلم قلت
فيه وجهان احدهما انهم سموها الهة وعبدوها فاجروها مجرى اولي العلم الا ترى الى قوله على اثره والذين
يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون والثاني المشاكلة بينه وبين من يخلق والثالث
ان يكون المعنى ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما لا علم عنده كقوله الهم ارجل
يمشون بها يعني ان الالهة حالهم منحطة عن حال من لهم ارجل وايد واذان وقلوب لان هؤلاء
احياء وهم اموات فكيف تصح لهم العبادة لا انها لو صحت لهم هذه الاعضاء لصح ان يعبدوا فان
قلت هو الزام للذين عبدوا الاوثان وسموها الهة تشبيها بالله فقد جعلوا غير الخالق مثل
الخالق وكان حق الالزام ان يقال لهم افمن لا يخلق كمن يخلق قلت حين جعلوا
غير الله مثل الله في تسميته باسمه والعبادة له وسووا بينه وبينه فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات
وشبيها بها فانكر عليهم ذلك بقوله افمن يخلق كمن لا يخلق وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم فضلا ان تطيقوا القيام بحقها من اداء الشكر اتبع ذلك ما عدد
من نعمه تنبيها على ان وراءها ما لا ينحصر ولا ينعد ان الله لغفور رحيم حيث يتجاوز عن تقصيركم
في اداء شكر النعمة ولا يقطعها عنكم لتفريطكم ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون
وما تعلنون من اعمالكم وهو وعيد والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون
اموات غير احياء اي والالهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله وقرئ بالتاء وقرئ يدعون على البناء
للمفعول نفى عنهم خصائص الالهية بنفي كونهم خالقين واحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث
واثبت لهم صفات الخلق بانهم مخلوقون وانهم اموات وانهم جاهلون بالبعث ومعنى اموات
غير احياء انهم لو كانوا الهة على الحقيقة لكانوا احياء غير اموات اي غير جائز عليها الموت كالحي الذي لا يموت
وامرهم على العكس من ذلك وما يشعرون ايان يبعثون والضمير في يبعثون للداعين اي لا يشعرون
متى تبعث عبدتهم وفيه تهكم بالمشركين وان الهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت
جزاء منهم على عبادتهم وفيه دلالة على انه لا بد من البعث وانه من لوازم التكليف ووجه اخر وهو ان
يكون المعنى ان الناس يخلقونهم بالنحت والتصوير وهم لا يقدرون على نحو ذلك فهم اعجز من
عبدتهم اموات جمادات لا حس فيها غير احياء يعني ان من الاموات ما يعقب موته حياة كالنطف التي
ينشئها الله حيوانا واجساد الحيوان التي تبعث بعد موتها واما الحجارة فاموات لا يعقب موتها
حياة وذلك اعرق في موتها وما يشعرون ايان يبعثون اي وما يعلم هؤلاء الالهة متى تبعث الاحياء
تهكما بحالها لان شعور الجماد محال فكيف بشعور ما لا يعلمه حي الا الحي القيوم سبحانه ووجه ثالث
وهو ان يراد بالذين تدعون الملائكة وكان ناس منهم يعبدونهم وانهم اموات اي لا بد لهم من الموت
غير احياء غير باقية حياتهم وما يشعرون ولا علم لهم بوقت بعثهم وقرئ ايان بكسر الهمزة الهكم اله
واحد فالذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون يعني انه قد ثبت بما تقدم من ابطال
ان تكون الالهية لغيره وانها له وحده لا شريك له فيها فكان من نتيجة ثبات الوحدانية ووضوح دليلها

خصوصا صح

يجوز ان يريد المستكبرين ٢ صح

استدراجهم على شركهم وان قلوبهم منكرة للوحدانية وهم مستكبرون عنها وعن الاقرار بها لا جرم حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون يعلم سرهم وعلانيتهم فيجازيهم وهو وعيد انه لا يحب المستكبرين عن التوحيد يعني المشركين ويجوز ان يعم كل مستكبر ويدخل هولا تحت عمومه واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين ماذا منصوب بانزل بمعنى اي شي انزل ربكم او مرفوع بالابتدا بمعنى اي شي انزله ربكم فاذا نصبت فمعنى اساطير الاولين ما يدعون نزوله اساطير الاولين واذا رفعته فالمعنى المنزل اساطير الاولين كقوله ماذا ينفقون قل العفو فيمن رفع فان قلت هو كلام متناقض لانه لا يكون منزل ربهم واساطير قلت هو على السخرية كقوله ان رسولكم وهو كلام بعضهم لبعض او قول المسلمين لهم وقيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سالهم وفود الحاج عما انزل على رسول الله عليه السلام قالوا احاديث الاولين واباطيلهم ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء ما يزرون اي قالوا ذلك اضلالا للناس وصدا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فحملوا اوزار ضلالهم كاملة وبعض اوزار من ضل بضلالهم وهو وزر الاضلال لان المضل والضال شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه على ضلاله فيتحاملان الوزر ومعنى اللام التعليل من غير ان يكون غرضا نحو قولك خرجت من البلد مخافة الشر بغير علم حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وانما وصف بالضلال واحتمال الوزر من اضلوه وان لم يعلم لانه كان عليه ان يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين المحق والمبطل قد مكر الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد القواعد اساطين البنا الذي تعمده وقيل الاساس وهذا تمثيل يعني انهم سووا منصوبات ليمكروا بها الله ورسوله فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتي البنيان من الاساطين بان ضعضعت فسقط عليهم السقف فهلكوا ونحوه من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا وقيل هو نمرود بن كنعان حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة الاف ذراع وقيل فرسخان فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ومعنى اتيان الله اتيان امره من القواعد من جهة القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون وقرئ فاتى الله بيتهم فخر عليهم السقف بضمتين ثم يوم القيمة يخزيهم يذلهم بعذاب الخزي ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته يعني هذا لهم في الدنيا ثم العذاب في الاخرة ويقول اين شركاي على الاضافة الى نفسه حكاية لاضافتهم ليوبخهم بها على طريق الاستهزا بهم الذين كنتم تشاقون فيهم تعادون وتخاصمون المومنين في شانهم ومعناهم وقرئ تشاقون بكسر النون بمعنى تشاقونني لان مشاقة المومنين كانها مشاقة لله قال الذين اوتوا العلم هم الانبياء والعلما من اممهم الذين كانوا يدعونهم الى الايمان ويعظونهم فلا يلتفتون اليهم وينكرون عليهم ويشاقونهم يقولون ذلك شماتة بهم وحكى الله ذلك من قولهم ليكون لطفا لمن سمعه وقيل هم الملايكة ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين الذين تتوفاهم الملايكة وقرئ يتوفاهم بالياء والتاء وقرئ الذين توفاهم بادغام التاء في التاء ظالمي انفسهم فالقوا السلم فسالموا واخبتوا وجاوا بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق والكبر وقالوا ما كنا نعمل من سوء وجحدوا ما وجد منهم من الكفر والعدوان فرد عليهم اولوا العلم ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وهذا ايضا من الشماتة وكذلك فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا انزل خيرا فان قلت لم نصب هذا ورفع الاول قلت فصلا بين جواب المقر وجواب الجاحد يعني ان هولا لما سيلوا لم يتلعثموا واطبقوا الجواب على السوال بينا مكشوفا مفعولا للانزال فقالوا خيرا اي انزل خيرا واولئك عدلوا بالجواب عن السوال فقالوا هو اساطير الاولين وليس من الانزال في شي وروي ان احيا العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبي عليه السلام فاذا جا الوافد كفه المقتسمون وامروه بالانصراف وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك فيقول انا شر وافد ان رجعت الى قومي دون ان استطلع امر محمد واراه فيلقى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبرونه بصدقه وانه نبي مبعوث فهم الذين قالوا

٢ الذين تتوفاهم الملائكة

على الموت صح

وقال

انهم صح

يهدي

جزاء وقوله للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الاخرة خير وما بعده بدل من خيرا حكاية لقول الذين اتقوا اي قالوا هذا القول فقدم عليه تسمية خيرا ثم حكاه ويجوز ان يكون كلاما مبتدا عدة للقائلين ويجعل قولهم من جملة احسانهم ويحمدوا عليه حسنة مكافاة في الدنيا باحسانهم ولهم في الاخرة ما هو خير منها كقوله فاتيهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة ولنعم دار المتقين دار الاخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره وجنات عدن خبر مبتدا محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاون كذلك يجزي الله المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي لانهم في مقابلة ظالمي انفسهم يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون قيل اذا اشرف العبد المومن على الموت جاءه ملك فقال السلام عليك يا ولي الله الله يقرا عليك السلام ويبشره بالجنة هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة قرئ بالياء والتاء يعني انتاتيهم لقبض الارواح او ياتي امر ربك العذاب المستاصل والقيامة كذلك اي مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون لانهم فعلوا ما استوجبوا به التدمير فاصابهم سيئات ما عملوا جزاء سيئات اعمالهم وهو كقوله جزاء سيئة سيئة مثلها وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء هذا من جملة ما عدد من اصناف كفرهم وعنادهم من شركهم بالله وانكار وحدانيته بعد قيام الحجج وانكار البعث واستعجاله استهزاء به وتكذيبهم الرسول وشقاقهم واستكبارهم عن قبول الحق يعني انهم اشركوا بالله وحرموا ما احل من البحيرة والسائبة وغيرهما ثم نسبوا فعلهم الى الله وقالوا لو شاء لم نفعل وهذا مذهب المجبرة بعينه كذلك فعل الذين من قبلهم اي اشركوا وحرموا حلال الله فلما نبهوا على قبح فعلهم وركوه على ربهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين الا ان يبلغوا الحق وان الله لا يشاء الشرك والمعاصي بالبيان والبرهان ويطلع على بطلان الشرك وقبحه وبراءة الله من افعال العباد وانهم فاعلوها بقصدهم وارادتهم واختيارهم والله عز وجل باعثهم على جميلها وموفقهم له وزاجرهم عن قبيحها وموعدهم عليه ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ولقد امد ابطال قدر السوء ومشيئة الشر بانه ما من امة الا وقد بعث فيهم رسولا يامرهم بالخير الذي هو الايمان وعبادة الله تعالى وباجتناب الشر الذي هو طاعة الطاغوت فمنهم من هدى الله اي لطف به لانه عرفه من اهل اللطف ومنهم من حقت عليه الضلالة اي ثبت عليه الخذلان والترك من اللطف لانه عرفه مصمما على الكفر لا ياتي منه خير فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين فانظروا ما فعلت بالمكذبين حتى لا يبقى لكم شبهة في اني لا اقدر الشر ولا اشاؤه حيث افعل ما افعل بالاشرار ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ايمانهم وعرفه انهم من قسم من حقت عليه الضلالة وانه لا يهدي من يضل اي لا يلطف بمن يخذل لانه عبث والله متعال عن العبث لانه من قبيل القبائح التي لا تجوز عليه فقال ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل وقرئ لا يهدي اي لا يقدر احد على هدايته وقد خذله الله وقوله وما لهم من ناصرين دليل على ان المراد بالاضلال الخذلان الذي هو نقيض النصرة ويجوز ان يكون لا يهدي بمعنى لا يهتدي يقال هداه الله فهدى وفي قراءة ابي فان الله لا هادي لمن يضل ولمن اضل وهي معاضدة لمن قرا لا يهدي على البناء للمفعول وفي قراءة عبد الله يهدي بادغام تاء يهتدي وهي معاضدة للاولى وقرئ يضل بالفتح وقرا النخعي ان تحرص بفتح الراء وهي لغية واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا واقسموا بالله معطوف على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهما كفرتان عظيمتان موصوفتان حقيقتان بان تحكيا وتدونا توريك ذنوبهم على مشيئة الله تعالى وانكارهم البعث مقسمين عليه وبلى اثبات لما بعد النفي اي بلى يبعثهم ووعدا مصدر موكد لما دل عليه بلى لان يبعث موعد من الله وبين ان الوفاء بهذا الوعد حق واجب عليه في الحكمة ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون او انه وعد واجب على الله تعالى لانهم يقولون لا يجب على الله شيء لا ثواب عامل ولا غيره من مواجب الحكمة ليبين لهم الذي يختلفون فيه متعلق بما دل عليه بلى اي يبعثهم ليبين لهم والضمير لمن يموت وهو عام للمومنين والكافرين والذي اختلفوا فيه هو الحق وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين

انهم لذ بوا في قولهم لو شا الله ما عبدنا من دونه من شي وفي قولهم لا يبعث الله من يموت وقيل يجوز ان يتعلق بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا اي بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه وانهم كانوا على الضلالة قبله مفترين على الله الكذب انما قولنا لشي اذا اردناه ان نقول له كن فيكون قولنا مبتدا وان نقول خبره وكن فيكون من كان التامة التي بمعنى الحدوث والوجود اي اذا اردنا وجود شي فليس الا ان نقول له احدث فهو يحدث عقيب ذلك لا يتوقف وهذا مثل لان مرادا لا يمتنع عليه وان وجوده عند ارادته غير متوقف كوجود المامور به عند امر الامر المطاع اذا ورد على المامور المطيع الممتثل ولا قول ثم والمعنى ان ايجاد كل مقدور على الله عز وجل بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من شق المقدورات وقرئ فيكون عطفا على نقول والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا هم رسول الله واصحابه ظلمهم اهل مكة ففروا بدينهم الى الله عز وجل منهم من هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة فجمع بين الهجرتين ومنهم من هاجر الى المدينة وقيل هم الذين كانوا يحبسون ويعذبون بعد هجرة رسول الله وكلما خرجوا تبعوهم فردوهم منهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعن صهيب انه قال لهم انا رجل كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما راه ابو بكر قال له ربح البيع يا صهيب وقال له عمر نعم الرجل صهيب لو لم يخف الله لم يعصه وهو ثنا عظيم يريد لو لم يخلق الله نارا لاطاعه فكيف وقد خافه في حقه ولوجهه لنبوئنهم في الدنيا حسنة صفة للمصدر اي لنبوئنهم تبوئة حسنة وفي قراءة علي لنثوينهم ومعناه اثواءة حسنة وقيل لننزلنهم في الدنيا منزلة حسنة وهي الغلبة على اهل مكة الذين ظلموهم وعلى العرب قاطبة وعلى اهل المشرق والمغرب وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ذخر لك في الاخرة اكثر وقيل لنبوئنهم مباءة حسنة وهي المدينة حيث اواهم اهلها ونصروهم ولاجر الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا ان الله يجمع لهولا المستضعفين في ايديهم الدنيا والاخرة لرغبوا في دينهم ويجوز ان يرجع الضمير الى المهاجرين اي لو كانوا يعلمون ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون اي هم الذين صبروا او اعني الذين صبروا وكلاهما مدح اي صبروا على العذاب وعلى مفارقة الوطن الذي هو حرم الله المحبوب في كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط رءوسهم وعلى المجاهدة وبذل الارواح في سبيل الله قالت قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا فقيل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم على السنة الملائكة فاسالوا اهل الذكر وهم اهل الكتاب ان كنتم لا تعلمون ليعلموكم ان الله لم يبعث الى الامم السالفة الا بشرا فان قلت بم تعلق قوله بالبينات والزبر قلت له متعلقات شتى فاما ان يتعلق بما ارسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء مع رجالا اي وما ارسلنا من قبلك الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط لان اصله ضربت زيدا بالسوط واما برجالا صفة له اي رجالا ملتبسين بالبينات واما بارسلنا مضمرا كانما قيل بم ارسلوا فقلت بالبينات فهو على كلامين والاول على كلام واحد واما بيوحى اي يوحى اليهم بالبينات واما بلا تعلمون على ان الشرط في معنى التبكيت والالزام كقول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني حقي وقوله فاسالوا اهل الذكر اعتراض على الوجوه المتقدمة فاهل الذكر اهل الكتاب وقيل للكتاب الذكر لانه موعظة وتنبيه للغافلين وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم يعني ما نزل الله اليهم في الذكر مما امروا به ونهوا عنه ووعدوا واوعدوا ولعلهم يتفكرون وارادة ان يصغوا الى تنبيهاته فيتنبهوا ويتاملوا افامن الذين مكروا السيئات اي المكرات السيئات وهم اهل مكة وما مكروا به رسول الله ان يخسف الله بهم الارض او ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون او ياخذهم في تقلبهم متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم واسباب دنياهم فما هم بمعجزين او ياخذهم على تخوف متخوفين وهو ان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فياخذهم بالعذاب وهم متخوفون متوقعون وهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون وقيل هو من قولك تخوفته وتخوفته اذا تنقصته قال زهير تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن اي ياخذهم على ان يتنقصهم شيئا بعد شي في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا وعن عمر رضي الله عنه انه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص قال فهل تعرف العرب ذلك في اشعارها

قال نعم قال شاعرنا وانشد البيت فقال عمر ايها الناس عليكم بديوانكم لا يضل قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم فان ربكم لرءوف رحيم حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم اولم يروا الى ما خلق الله من شي قرئ اولم يروا وتتفيؤا بالتاء والياء وما موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه من شي يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون واليمين بمعنى الايمان وسجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير في ظلاله لانه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شي له ظل وجمع بالواو لان الدخور من اوصاف العقلاء اولان في جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى اولم يروا الى ما خلق الله من الاجرام التي لها ظلال متفيئة عن ايمانها وشمائلها اي عن جانبي كل واحد منها وشقيه استعارة من يمين الانسان وشماله لجانبي الشي اي ترجع الظلال من جانب الى جانب منقادة لله غير ممتنعة عليه فيما سخرها الله له من التفيؤ والاجرام في انفسها داخرة صاغرة منقادة لافعال الله فيها لا تمتنع ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة من دابة يجوز ان يكون بيانا لما في السموات وما في الارض جميعا على ان في السموات خلقا لله يدبون فيها كما يدب الاناسي في الارض وان يكون بيانا لما في الارض وحده ويراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح وان يكون بيانا لما في الارض ويراد بما في السموات الملائكة وكرر ذكرهم فقال والملائكة على معنى والملائكة خصوصا من بين الساجدين لانهم اطوع الخلق واعبدهم ويجوز ان يراد بما في السموات ملائكتهن وبقوله والملائكة ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم فان قلت سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف سجود غيرهم فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد قلت المراد بسجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم وبسجود غيرهم انقياده لارادة الله تعالى وانها غير ممتنعة عليها وكلا السجودين يجمعهما معنى الانقياد فلم يختلفا فلذلك جاز ان يعبر عنهما بلفظ واحد فان قلت فهلا جي بمن دون ما تغليبا للعقلاء من الدواب على غيرهم قلت لانه لو جي بمن لم يكن فيه دليل على التغليب فكان متناولا للعقلاء خاصة فجي بما هو صالح للعقلاء وغيرهم ارادة العموم وهم لا يستكبرون يخافون ربهم يخافون يجوز ان يكون حالا من الضمير في لا يستكبرون اي لا يستكبرون خائفين وان يكون بيانا لنفي الاستكبار وتاكيدا له لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته من فوقهم ان علقته بيخافون فمعناه يخافونه ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم وان علقته بربهم حالا منه فمعناه يخافون ربهم عاليا لهم قاهرا كقوله وهو القاهر فوق عباده وانا فوقهم قاهرون وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون على الامر والنهي والوعد والوعيد كسائر المكلفين وانهم بين الخوف والرجاء ويفعلون ما يؤمرون وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فان قلت انما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندي رجال ثلاثة وافراس اربعة لان المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص واما رجل ورجلان فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلا حاجة الى ان يقال رجل واحد ورجلان اثنان فما وجه قوله الهين اثنين قلت الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص فاذا اريدت الدلالة على ان المعني به منهما والذي يساق اليه الحديث هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد اليه والعناية به الا ترى انك لو قلت انما هو اله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل انك تثبت الالهية لا الوحدانية فاياي فارهبون نقل الكلام عن الغيبة الى التكلم وجاز لان الغائب هو المتكلم وهو من طريقة الالتفات وهو ابلغ في الترهيب من قوله واياه فارهبوه ومن ان يجي ما قبله على لفظ المتكلم وله ما في السموات والارض وله الدين الطاعة واصبا حال عمل فيه الظرف والواصب الواجب الثابت لان كل نعمة منه فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه ويجوز ان يكون من الوصب اي وله الدين ذا كلفة ومشقة ولذلك سمي تكليفا او وله الجزاء دائما ثابتا سرمدا لا يزول يعني الثواب والعقاب افغير الله تتقون وما بكم من نعمة واي شي حل بكم او اتصل بكم من نعمة فمن الله فهو منه ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال الاعشى يصف راهبا

يراوح من صلوات المليك ۝ طورا سجودا وطورا جؤارا ۝ وقرئ تجرون

وفرس وفرسان فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلا حاجة الى ان يقال رجل واحد ورجلان

بطرح الهمزة والقاء حركتها على الجيم ثم اذا كشف الضر عنكم وقرأ قتادة كاشف الضر على فاعل بمعنى فعل وهو اقوى من كشف لان بناء المغالبة يدل على المبالغة فان قلت فما معنى قوله اذا فريق منكم بربهم يشركون قلت يجوز ان يكون الخطاب في قوله وما بكم من نعمة فمن الله عاما ويريد بالفريق فريق الكفرة وان يكون الخطاب للمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض كانه قال فاذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ليكفروا بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة فتمتعوا فسوف تعلمون تخلية ووعيد وقرئ فيمتعوا بالياء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا ويجوز ان يكون ليكفروا فيمتعوا امرا واردا في معنى الخذلان والتخلية واللام لام الامر ويجعلون لما لا يعلمون اي لآلهتهم نصيبا مما رزقناهم ومعنى لا يعلمونها انهم يسمونها آلهة ويعتقدون فيها انها تضر وتنفع وتشفع عند الله وليس كذلك وحقيقتها انها جماد لا يضر ولا ينفع فهم اذا جاهلون بها وقيل الضمير في لا يعلمون للآلهة اي لاشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر اجعلوا لها نصيبا في انعامهم وزروعهم ام لا وكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا اليهم تالله لتسألن وعيد عما كنتم تفترون من الافك في زعمكم انها آلهة وانها اهل للتقرب اليها ويجعلون لله البنات كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه لذاته من نسبة الولد اليه او تعجب من قولهم ولهم ما يشتهون يعني البنين ويجوز فيما يشتهون الرفع على الابتداء والنصب على ان يكون معطوفا على البنات اي وجعلوا لانفسهم ما يشتهون من الذكور واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا ظل بمعنى صار كما يستعمل بات واصبح وامسى بمعنى الصيرورة ويجوز ان يجيء ظل لان اكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره مغتما مربد الوجه من الكآبة والحياء من الناس وهو كظيم مملوء حنقا على المرأة يتوارى من القوم يستخفي منهم من سوء ما بشر به من اجل سوء المبشر به ومن اجل تعييرهم ويحدث نفسه وينظر ايمسكه ام يمسك ما بشر به على هون على هوان وذل ام يدسه في التراب ام يئده وقرئ ايمسكها على هون ام يدسها في التراب على التانيث وقرئ على هوان الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون الولد الذي هذا محله عندهم لله ويجعلون لانفسهم من هو على عكس هذا الوصف للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة الى الاولاد الذكور وكراهة الاناث ووأدهن خشية الاملاق واقرارهم على انفسهم بالشح البالغ ولله المثل الاعلى وهو الغنى عن العالمين والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو الجواد الكريم وهو العزيز الحكيم ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على الارض من دابة قط ولاهلكها كلها بشؤم ظلم الظالمين وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضي الله عنه كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم ومن دابة ظالمة وعن ابن عباس رضي الله عنهما من دابة من مشرك يدب عليها وقيل لو اهلك الاباء بكفرهم لم يكن الابناء ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ويجعلون لله ما يكرهون لانفسهم من البنات ومن شركاء في رياستهم ومن الاستخفاف برسلهم والتهاون برسالاتهم ويجعلون له ارذل اموالهم ولاصنامهم اكرمها وتصف السنتهم مع ذلك الكذب ان لهم الحسنى عند الله كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وعن بعضهم انه قال لرجل من ذوي اليسار كيف تكون يوم القيامة اذا قال الله تعالى هاتوا ما دفع الى السلاطين واعوانهم فيؤتى بالدواب والثياب وانواع الاموال الفاخرة واذا قال هاتوا ما دفع الي فيؤتى بالخرق والكسر وما لا يؤبه له اما تستحي من ذلك الموقف وقرأ هذه الآية وعن مجاهد ان لهم الحسنى هو قول قريش لنا البنون وان لهم الحسنى بدل من الكذب وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة لا جرم ان لهم النار وانهم مفرطون قرئ مفتوح الراء ومكسورها مخففا ومشددا فالمفتوح بمعنى مقدمون الى النار معجلون اليها من افرطت فلانا وفرطته في طلب الماء اذا قدمته وقيل منسيون متروكون من افرطت فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته والمكسور المخفف من الافراط في المعاصي

والمشدد

والمشدد من التفريط في الطاعات وما يلزمهم تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فهو وليهم اليوم حكاية الحال الماضية التي كان يزين لهم الشيطان اعمالهم فيها اي فهو وليهم في الدنيا ويجعل اليوم عبارة عن الدنيا ومعنى وليهم قرينهم وبئس القرين او يجعل فهو وليهم اليوم حكاية للحال الآتية وهي حال كونهم معذبين في النار اي فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه ويجوز ان يرجع الضمير الى مشركي قريش وانه زين للكفار قبلهم اعمالهم فهو ولي هؤلاء لانهم منهم ويجوز ان يكون على حذف المضاف اي فهو ولي امثالهم اليوم ولهم عذاب اليم وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون وهدى ورحمة معطوفان على محل لتبين الا انهما انتصبا على انهما مفعول لهما لانهما فعلا الذي انزل الكتاب ودخل اللام على لتبين لانه فعل المخاطب لا فعل المنزل وانما ينتصب مفعولا له ما كان فعل فاعل الفعل المعلل الذي اختلفوا فيه البعث لانه كان فيهم من يؤمن به ومنهم عبد المطلب واشياء من التحريم والتحليل والانكار والاقرار والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها ان في ذلك لآية لقوم يسمعون سماع انصاف وتدبر لان من لم يسمع بقلبه فكانه اصم لا يسمع وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه ذكر سيبويه الانعام في باب ما لا ينصرف في الاسماء المفردة الواردة على افعال كقولهم ثوب اكياش ولذلك رجع الضمير اليه مفردا واما في بطونها في سورة المؤمنين فلان معناه الجمع ويجوز ان يقال في الانعام وجهان احدهما ان يكون تكسير نعم كالاجبال في جبل وان يكون اسما مفردا مقتضيا لمعنى الجمع كنعم فاذا ذكر فكما يذكر نعم في قوله

في كل عام نعم تحوونه ... يلقحه قوم وتنتجونه

واذا انث ففيه وجهان انه تكسير نعم وانه في معنى الجمع وقرئ نسقيكم بالفتح والضم وهو الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما برزخ من قدرة الله تعالى لا يبغي احدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله قيل اذا اكلت البهيمة العلف فاستقر في كرشها طبخته فكان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما والكبد مسلطة على هذه الاصناف الثلاثة تقسمها فتجري الدم في العروق واللبن في الضروع وتبقى الفرث في الكرش فسبحان الله ما اعظم قدرته والطف حكمته لمن تفكر وتأمل وسئل شقيق عن الاخلاص فقال تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم سائغا سهل المرور في الحلق ويقال لم يغص احد باللبن قط وقرئ سيغا بالتشديد وسيغا بالتخفيف كهين ولين للشاربين فان قلت اي فرق بين من الاولى والثانية قلت الاولى للتبعيض لان اللبن بعض ما في بطونها كقولك اخذت من مال زيد ثوبا والثانية لابتداء الغاية لان بين الفرث والدم مكان الاسقاء الذي منه يبتدأ فهو صلة لنسقيكم كقوله سقيته من الحوض ويجوز ان يكون حالا من قوله لبنا مقدما عليه فيتعلق بمحذوف اي كائنا من بين فرث ودم الا ترى انه لو تأخر فقيل لبنا من بين فرث ودم كان صفة له وانما قدم لانه موضع العبرة فهو قمن بالتقديم وقد احتج بعض من يرى ان المني طاهر على من جعله نجسا لجريه في مسلك البول بهذه الآية وانه ليس بمستنكر ان يسلك مسلك البول وهو طاهر كما خرج اللبن من بين فرث ودم طاهرا فان قلت بم تعلق قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب قلت بمحذوف تقديره ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرها وحذف لدلالة نسقيكم قبله عليه وقوله تتخذون منه سكرا بيان وكشف عن كنه الاسقاء او يتعلق بتتخذون ومنه من تكرير الظرف للتوكيد كقولك زيد في الدار فيها ويجوز ان يكون تتخذون صفة موصوف محذوف كقوله بكفي كان من ارمى البشر تقديره ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا لانهم يأكلون بعضها ويتخذون من بعضها السكر فان قلت فالام يرجع الضمير في منه اذا جعلته ظرفا مكررا قلت الى المضاف المحذوف الذي هو العصير كما رجع في قوله او هم قائلون الى الاهل المحذوف والسكر الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا قال

وجاؤونا بهم سكر علينا ... فاجلى اليوم والسكران صاحي

في المنة وفيه وجهان احدهما ان تكون منسوخة وممن قال بنسخها الشعبي والنخعي والثاني ان يجمع
بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه
ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند ابي حنيفة رحمة الله عليه الى حد السكر ويحتج بهذه الاية وبقوله
عليه السلام الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب وباخبار جمة ولقد صنف ابو علي الجبائي عن كتابه شيخنا
في تحليل النبيذ فلما شيخ واخذت منه السن العالية قيل لو شربت منه ما تتقوى به فابى
فقيل له فقد صنفت في تحليله فقال تناولته الدعاة فسمج بالمروة وقيل السكر الطعم
وانشد جعلت اعراض الكرام سكرا اي تنقلت باعراضهم وقيل هو من الخمر وانه اذا ابترك
في اعراض الناس فكانه تخمر بها والرزق الحسن الخل والرب والتمر والزبيب وغير ذلك ويجوز
ان يجعل السكر رزقا حسنا كانه قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن ان في ذلك لاية
لقوم يعقلون واوحى ربك الى النحل الايحا الى النحل الهامها والقذف في قلوبها وتعليمها على وجه
هو اعلم به لا سبيل لاحد الى الوقوف عليه ولا فقيه في صنعتها ولطفها في تدبيرها واصابتها
فيما يصلحها دلايل بينة شاهدة على ان الله تعالى اودعها علما بذلك وفطنها كما اولي اولي العقول
عقولهم وقرا يحيى بن وثاب الى النحل بفتحتين وهو مذكر كالنحل وتانيثه على المعنى ان اتخذي
هي ان المفسرة لان الايحا فيه معنى القول من الجبال بيوتا قرئ بيوتا بكسر البا لاجل اليا ومن ٧ وهوما صح
الشجر ومما يعرشون وقرئ يعرشون بكسر الرا وضمها يرفعون من سقوف البيوت وقيل ما يبنون
للنحل في الجبال والشجر والبيوت من الاماكن التي تتعسل والضمير في يعرشون للناس فان
قلت ما معنى من في قوله ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون وهلا قيل
في الجبال وفي الشجر قلت اريد معنى البعضية وان لا تبنى بيوتها في كل شجر وكل جبل
وكل ما يعرشون ولا في كل مكان منها ثم كلي من كل الثمرات احاطة بالثمرات التي تجرسها اي تاكلها النحل
وتعتاد اكلها اي ابني البيوت ثم كلي كل ثمرة تشتهينها فاذا اكلتها فاسلكي سبل ربك اي الطرق
التي الهمك وافهمك في عمل العسل او فاسلكي ما اكلت في سبل ربك اي في مسالكه التي يحيل فيها
بقدرته النور المر عسلا من اجوافك ومنافذ ماكلك واذا اكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي
الى بيوتك راجعة سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها فقد بلغني انها ربما اجدب عليها ما حولها
فتسافر الى البلد البعيد في طلب النجعة او اراد بقوله ثم كلي ثم اقصدي اكل الثمرات فاسلكي
في طلبها في مظانها سبل ربك ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل لان الله تعالى ذللها لها ووطاها
وسهلها كقوله تعالى هو الله جعل لكم الارض ذلولا او من الضمير في فاسلكي اي وانت ذلل منقادة
لما امرت به غير ممتنعة يخرج من بطونها شراب يريد العسل لانه مما يشرب مختلف الوانه منه
ابيض واحمر واصفر واسود فيه شفاء للناس لانه من جملة الاشفية والادوية المشهورة النافعة
وقل معجون من المعاجين لم يذكر الاطبا فيه العسل وليس الغرض انه شفا لكل مريض كما ان كل دوا كذلك
وتنكيره اما لتعظيم الشفا الذي فيه او لان فيه بعض الشفا وكلاهما محتمل وعن النبي صلى الله عليه وسلم
ان رجلا جاء اليه فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه عسلا فذهب ثم رجع فقال قد سقيته اذهب صح
فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله فبرا
كانما انشط من عقال وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه العسل شفا من كل دا والقران
شفا لما في الصدور فعليكم بالشفائين القران والعسل ومن بدع تاويلات الرافضة ان المراد
بالنحل علي وقومه وعن بعضهم انه قال عند المهدي انما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم
فقال له رجل جعل الله شرابك وطعامك مما يخرج من بطونهم فضحك المهدي وحدث به المنصور
فاتخذوه اضحوكة من اضاحيكهم ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم
من يرد الى ارذل العمر الى اخسه واحقره وهو خمس وسبعون سنة عن علي وتسعون سنة عن
قتادة لانه لا عمر اسوا حالا من عمر الهرم لكيلا يعلم بعد علم شيا ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولة
في النسيان وان يعلم شيا ثم يسرع في نسيانه فلا يعلمه ان سئل عنه وقيل لئلا يعقل من بعد
عقله الاول شيا وقيل لئلا يعلم زيادة علم على علمه ان الله عليم قدير والله فضل بعضكم على

بعض

بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء اي جعلكم متفاوتين
في الرزق فرزقكم افضل مما رزق مماليككم وهم بشر مثلكم واخوانكم فكان ينبغي ان تردوا فضل
ما رزقتموه عليهم حتى تتساووا في الملبس والمطعم كما يحكى عن ابي ذر رضي الله عنه انه سمع رسول
يقول صح الله صلى الله عليه وسلم انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تطعمون فما رئي عبده
بعد ذلك الا ورداؤه رداؤه وازاره ازاره من غير تفاوت افبنعمة الله يجحدون فجعل ذلك من
جملة جحود النعمة وقيل هو مثل ضربه للذين جعلوا له شركا فقال لهم انتم لا تسوون بينكم
وبين عبيدكم فيما انعمت به عليكم ولا تجعلونهم فيه شركا فلا ترضون ذلك لانفسكم فكيف رضيتم
ان تجعلوا عبيدي لي شركا وقيل المعنى ان الموالي والمماليك انا رازقهم جميعا فهم في رزقي سواء
فلا يحسبن الموالي انهم يردون على مماليكهم من عندهم شيا من الرزق فانما ذلك رزقي اجريه اليهم على ايديهم
وقرئ يجحدون بالياء والتاء والله جعل لكم من انفسكم من جنسكم ازواجا وقيل هو خلق حواء
من ضلع ادم وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة وقيل هو خلق حوا والحفدة جمع حافد وهو
الذي يحفد اي يسرع في الطاعة والخدمة ومنه قول القانت واليك نسعى ونحفد وقال
حفد الولائد بينهن واسلمت باكفهن ازمة الاجمال
واختلف فيهم فقيل هم الاختان على البنات وقيل اولاد الاولاد وقيل اولاد المراة من الزوج
الاول وقيل المعنى وجعل لكم حفدة اي خدما يحفدون في مصالحكم ويعينونكم ويجوز ان
يراد بالحفدة البنون انفسهم كقوله سكرا ورزقا حسنا كانه قيل وجعل لكم منهن اولادا هم
بنون وهم حافدون اي جامعون بين الامرين ورزقكم من الطيبات يريد بعضها لان كل الطيبات
في الجنة وما طيبات الدنيا الا انموذج منها افبالباطل يؤمنون وهو ما يعتقدون
من منفعة الاصنام وبركتها وشفاعتها وما هو الا وهم باطل لم يتوصلوا اليه بدليل ولا امارة
الله صح فليس لهم ايمان الا به كانه شي معلوم مستيقن وبنعمة الله هم يكفرون ونعمة الله المشاهدة
المعاينة التي لا شبهة فيها لذي عقل وتمييز هم كافرون بها منكرون لها كما ينكرون المحال الذي
لا تتصوره العقول وقيل الباطل ما يسول لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرها
ونعمة الله ما احل لهم الرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق فان اردت المصدر نصبت
به شيا في قوله ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيا
كقوله او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما على لا يملك ان يرزق شيا وان اردت المرزوق كان شيا بدلا منه
بمعنى قليلا ويجوز ان يكون تاكيدا للا يملك اي لا يملك شيا من الملك ومن السموات والارض
صلة للرزق ان كان مصدرا بمعنى لا يرزق من السموات مطرا ولا من الارض نباتا او صفة
ان كان اسما لما يرزق والضمير في ولا يستطيعون لما لانه في معنى الالهة بعد ما قيل لا يملك
على اللفظ ويجوز ان يكون للكفار يعني ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون اولوا الالباب
من ذلك شيا فكيف بالجماد الذي لا حس به فان قلت ما معنى قوله ولا
يستطيعون بعد قوله لا يملك وهل هما الا شي واحد قلت ليس في لا يستطيعون
تقدير راجع وانما المعنى لا يملكون ان يرزقوا والاستطاعة منفية عنهم اصلا لانهم موات
الا ان يقدر الراجع ويراد بالجمع بين نفي الملك والاستطاعة التوكيد او يراد انهم لا يملكون
الرزق ولا يمكنهم ان يملكوه ولا يتاتى ذلك منهم ولا يستقيم فلا تضربوا لله الامثال
تمثيل للاشراك بالله والتشبيه به لان من يضرب الامثال مشبه حالا بحال وقصة بقصة
ان الله يعلم كنه ما تفعلون وعظمه وهو معاقبكم عليه بما يوازيه في العظم لان العقاب
على مقدار الاثم وانتم لا تعلمون كنهه وكنه عقابه فذلك هو الذي جركم اليه وجراكم
عليه وهو تعليل للنهي عن الشرك ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم كيف
يضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب فقال ضرب الله مثلا عبدا مملوكا
لا يقدر على شي ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون
الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون اي مثلكم في اشراككم بالله الاوثان مثل من سوى بين عبد مملوك عاجز

عن التصرف وبين حر مالك قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف يشاء فان قلت
لم قال مملوكا لا يقدر على شيء وكل عبد مملوك وغير قادر على التصرف قلت اما ذكر
المملوك فليميز عن الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا لانهما من عباد الله واما لا يقدر على شيء فليجعل
غير مكاتب ولا ماذون له لانهما يقدران على التصرف واختلفوا في العبد هل يصح له ملك والمذهب
الظاهر انه لا يصح له فان قلت من في قوله ومن رزقناه ما هي قلت
الظاهر انها موصوفة كانه قيل وحرا رزقناه ليطابق عبدا ولا يمتنع ان تكون موصولة فان
قلت لم قيل يستوون على الجمع قلت معناه لا يستوي الاحرار والعبيد
وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه الابكم الذي ولد اخرس فلا يفهم
ولا يفهم وهو كل على مولاه اي ثقل وعيال على من يلي امره ويعوله اينما يوجهه حيث ما يرسله ويصرفه
في مطلب حاجة او كفاية مهم لا يات بخير لم ينفع ولم يات بنجح هل يستوي هو ومن يامر بالعدل ومن هو
سليم الحواس نفاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو يامر الناس بالعدل والخير وهو في نفسه
على صراط مستقيم على سيرة صالحة ودين قويم وهذا مثل ثان ضربه لنفسه ولما يفيض على
عباده ويشملهم من اثار رحمته والطافه ونعمه الدينية والدنيوية وللاصنام التي لا تضر ولا
تنفع وقرئ اينما يوجه بمعنى اينما يتوجه من قولهم اينما اوجه الق سعدا يضرب لمن يلقاه الشر
سلك سعدا وقرا ابن مسعود اينما يوجه على البنا للمفعول ولله غيب السموات والارض
اي يختص به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم او اراد بغيب السموات والارض يوم القيامة
على ان علمه غائب عن اهل السموات والارض لم يطلع عليه احد منهم وما امر الساعة الا كلمح علمه صح
البصر او هو اقرب اي هو عند الله وان تراخى كما تقولون انتم في الشيء الذي تستقربونه هو
كلمح البصر او هو اقرب اذا بالغتم في استقرابه ونحوه قوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف
الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون اي هو عنده دان وهو عندكم بعيد
وقيل المعنى ان اقامة الساعة واماتة الاحيا واحيا الاموات من الاولين والاخرين تكون
في اقرب ساعة واوحاها ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على ان يقيم الساعة ويبعث الخلق لانه
بعض المقدورات ثم دل على قدرته بما بعده والله اخرجكم من بطون امهاتكم قرئ امهاتكم بضم
الهمزة وكسرها والهاء مزيدة في امات كما زيدت في اراق فقيل اهراق وشذت زيادتها في الواحدة
قال امهتي خندف والياس ابي لا تعلمون شيئا في موضع الحال ومعناه غير عالمين
شيئا من حق المنعم الذي خلقكم في البطون وسواكم وصوركم ثم اخرجكم من الضيق الى السعة وقوله
وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون معناه وما ركب فيكم هذه الاشياء
الا آلات لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته وا لقيام
بحقوقه والترقي الى ما يسعدكم والافئدة في فواد كالاغربة في غراب وهو من جموع القلة التي
جرت مجرى جموع الكثرة والقلة اذا لم يرد في السماع غيرها كما جاء شسوع في جمع شسع لا غير
فجرت ذلك المجرى الم يروا قرئ بالياء والتاء الى الطير مسخرات مذللات للطيران بما خلق
لها من الاجنحة والاسباب المواتية لذلك في جو السماء الجو الهواء المتباعد من الارض في سمت
العلو والسكاك ابعد منه واللوح مثله ما يمسكهن في قبضهن وبسطهن ووقوفهن الا الله
بقدرته ان في ذلك لايات لقوم يومنون والله جعل لكم من بيوتكم التي تسكنونها من الحجر
والمدر والاخبية وغيرها سكنا والسكن فعل بمعنى مفعول وهو ما يسكن اليه وينقطع اليه
من بيت او الف وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا هي القباب والابنية من الادم والانطاع
تستخفونها ترونها خفيفة المحمل في الضرب والنقض والنقل يوم ظعنكم ويوم اقامتكم اي
يوم ترحلون خف عليكم حملها ونقلها ويوم تنزلون وتقيمون في مكان لم يثقل عليكم ضربها او هي
خفيفة عليكم في اوقات السفر والحضر جميعا على ان اليوم بمعنى الوقت ومن اصوافها واوبارها
واشعارها اثاثا ومتاعا وشيئا ينتفع به الى حين الى ان تقضوا منه اوطاركم او الى ان يبلى
ويفنى او الى ان تموتوا وقرئ يوم ظعنكم بالسكون والله جعل لكم مما خلق من الشجر وسائر

المستظلات

٣٦

المستظلات ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا جمع كن وهو ما يستكن به من البيوت المنحوتة في الجبال
والغيران والكهوف وجعل لكم سرابيل هي القمصان والثياب من الصوف والكتان والقطن وغيرها
تقيكم الحر لم يذكر البرد لان الوقاية من الحر اهم عندهم وقلما يهمهم البرد لكونه يسيرا محتملا
وقيل ما يقي من الحر يقي من البرد فدل ذكر الحر على البرد وسرابيل تقيكم باسكم يريد الدروع والجواشن
والسربال عام يقع على ما كان من حديد وغيره كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون اي تنظرون
في نعمه الفائضة فتومنون به وتنقادون له وقرئ تسلمون من السلامة اي تشكرون فتسلمون
من العذاب او تسلم قلوبكم من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان تولوا
فانما عليك البلاغ المبين فان تولوا فلم يقبلوا منك فقد تمهد عذرك بعد ما اديت ما وجب
عليك من التبليغ فذكر سبب العذر وهو البلاغ ليدل على المسبب يعرفون نعمة الله التي
عددناها حيث يعترفون بها وانها من الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم هي من الله
ولكنها بشفاعة الهتنا وقيل انكارهم قولهم ورثناها من ابائنا وقيل قولهم لولا فلان
ما اصبت كذا لبعض نعم الله وانما لا يجوز التكلم بنحو هذا اذا لم يعتقد انها من الله تعالى
وانه اجراها على يد فلان وجعله سببا في نيلها واكثرهم الكافرون اي الجاحدون غير المعترفين
وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عنادا واكثرهم
الجاحدون المنكرون فان قلت ما معنى ثم قلت الدلالة
على ان انكارهم امر مستبعد بعد حصول المعرفة لان حق من عرف النعمة ان يعترف لا ان ينكر ويوم
نبعث من كل امة شهيدا نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والتصديق والكفر والتكذيب
ثم لا يوذن للذين كفروا في الاعتذار والمعنى لا حجة لهم فدل بترك الاذن على ان لا حجة لهم
ولا عذر وكذا عن الحسن رضي الله عنه ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون اي لا يقال
لهم ارضوا ربكم لان الاخرة ليست بدار عمل فان قلت فما معنى ثم هذه
قلت معناها انهم يمنون بعد شهادة الانبياء عليهم السلام بما هو اطم منها وهو
انهم يمنعون الكلام فلا يوذن لهم في القاء معذرة ولا ادلاء بحجة وانتصاب اليوم بمحذوف
تقديره واذكر يوم نبعث او يوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه واذا راى الذين ظلموا
العذاب وكذلك اذا راوا العذاب بغتهم وثقل عليهم فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون كقوله
بل تاتيهم بغتة فتبهتهم الاية واذا راى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين
كنا ندعوا من دونك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون ان ارادوا بالشركاء الهتهم فمعنى شركاؤنا
الهتنا التي دعوناها شركاء وان ارادوا الشياطين فلانهم شركاؤهم في الكفر وقرناؤهم في الغي
وندعوا بمعنى نعبد فان قلت لم قالوا انكم لكاذبون وكانوا يعبدونهم على الصحة
قلت لما كانوا غير راضين بعبادتهم فكان عبادتهم لم تكن عبادة والدليل عليه قول
الملائكة كانوا يعبدون الجن يعنون ان الجن كانوا راضين بعبادتهم لا نحن فهم المعبودون دوننا
او كذبوهم في تسميتهم شركاء والهة تنزيها لله تعالى من الشرك وان اريد بالشركاء الشياطين جاز
ان يكونوا كاذبين في قولهم انكم لكاذبون كما يقول الشيطان اني كفرت بما اشركتموني من قبل
والقوا الى الله يومئذ السلم والقوا يعني الذين ظلموا والقوا السلم الاستسلام لامر الله وحكمه
بعد الاباء والاستكبار في الدنيا وضل عنهم وبطل عنهم ما كانوا يفترون من ان لله شركاء وانهم
ينصرونهم ويشفعون لهم حتى كذبوهم وتبرؤا منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا
فوق العذاب الذي كفروا في انفسهم وحملوا غيرهم على الكفر يضاعف الله عقابهم كما ضاعفوا
كفرهم وقيل في زيادة عذابهم حيات امثال البخت وعقارب امثال البغال تلسع احداهن
اللسعة فيجد صاحبها حمتها اربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من
شدة برده الى النار بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين الناس بصدهم عن سبيل الله ويوم
نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم يعني نبيهم لانه كان يبعث انبياء الامم فيهم منهم
وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء على امتك ونزلنا عليك الكتاب تبيانا بيانا بليغا

لكل شي ونظر تبيانا تلقا في كسر اوله وقد جوز الزجاج فتحه في غير القران فان قلت
كيف كان القران تبيانا لكل شي قلت المعنى انه بين كل شي من امور الدين حيث
كان نصا على بعضها واحالة على السنة حيث امر فيه باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وطاعته وقيل وما ينطق عن الهوى وحثا على الاجماع في قوله تعالى ويتبع غير سبيل
المومنين وقد رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته باتباع اصحابه والاقتدا باثارهم
في قوله اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطوا طرق القياس
والاجتهاد وكانت السنة والاجماع والقياس مستندة الى تبيان الكتاب فمن ثم كان تبيانا
لكل شي وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ان الله يامر بالعدل والاحسان العدل هو
الواجب لان الله عز وجل عدل فيه على عباده فجعل ما فرضه عليهم واقعا تحت طاقتهم
والاحسان الندب وانما علق امره بهما جميعا لان الفرض لا بد من ان يقع فيه تفريط فيجبره
الندب ولذلك قال رسول الله عليه السلام لمن علمه الفرايض فقال والله لا ازيد فيها ولا
انقص افلح ان صدق فعقد الفلاح بشرط الصدق والسلامة من التفريط وقال
عليه السلام استقيموا ولن تحصوا فما ينبغي ان يترك ما يجبر كسر التفريط من النوافل
وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشا والفواحش ما جاوز حدود الله والمنكر ما تنكره
العقول والبغي طلب التطاول بالظلم يعظكم لعلكم تذكرون وحين اسقطت من الخطب
لعنة الملاعين على امير المومنين علي رضي الله عنه اقيمت هذه الاية مقامها ولعمري انها كانت
فاحشة ومنكرا وبغيا ضاعف الله لمن سنها غضبا ونكالا وخزيا اجابة لدعوة نبيه
وعاد من عاداه وكانت سبب اسلام عثمان بن مظعون رضي الله عنه واوفوا بعهد
الله اذا عاهدتم عهد الله هي البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله ولا تنقضوا الايمان ايمان البيعة بعد توكيدها بعد
توثيقها باسم الله تعالى واكد ووكد لغتان فصيحتان والاصل الواو والهمزة بدل
ان الله يعلم ما تفعلون ولا تكونوا في نقض الايمان كالتي نقضت غزلها من بعد قوة
انكاثا كالمراة التي غزلت غزلها بعد ان احكمته وابرمته فجعلته انكاثا جمع نكث
وهو ما ينكث فتله قيل هي ريطة بنت سعد بن تيم وكانت خرقا اتخذت مغزلا
قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها وكانت تغزل هي وجواريها
من الغداة الى الظهر ثم تامرهن فينقضن ما غزلن تتخذون ايمانكم دخلا بينكم تتخذون
حال ودخلا احد مفعولي تتخذ يعني ولا تنقضوا ايمانكم متخذيها دخلا بينكم مفسدة
ودغلا ان تكون امة بسبب ان تكون امة يعني جماعة قريش هي اربى هي ازيد
عددا واوفر مالا من امة من جماعة المومنين انما يبلوكم الله به الضمير لقوله ان تكون امة لانه
في معنى المصدر اي انما يختبركم بكونهم اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفا بعهد الله وما
عقدتم على انفسكم ووكدتم من ايمان البيعة لرسول الله ام تغترون بكثرة قريش وثروتهم
وقوتهم وقلة المومنين وفقرهم وضعفهم وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون
انذار وتحذير من مخالفة ملة الاسلام ولو شا الله لجعلكم امة واحدة حنيفة مسلمة
على طريقة الالجاء والاضطرار وهو قادر على ذلك ولكن يضل من يشا ويهدي من يشا
ولكن الحكمة اقتضت ان يضل من يشا وهو ان يخذل من علم انه يختار الكفر ويصمم
عليه ويهدي من يشا وهو ان يلطف بمن علم انه يختار الايمان يعني انه بنى الامر على
الاختيار وعلى ما يستحق به اللطف والخذلان والثواب والعقاب ولم يبنه على
الاجبار الذي لا يستحق به شي من ذلك وحققه بقوله ولتسالن عما كنتم تعملون
ولو كان هو المضطر الى الضلال والاهتدا لما اثبت لهم عملا يسالون عنه ولا تتخذوا
ايمانكم دخلا بينكم ثم كرر النهي عن اتخاذ الايمان دخلا بينهم تاكيدا عليهم واظهارا لعظم
ما يركب منه فتزل قدم بعد ثبوتها فتزل اقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها

[illegible]

وتزوف

وتذوقوا السو في الدنيا بما صددتم بصدودكم عن سبيل الله وخروجكم من الدين او بصدكم
غيركم لانهم لو نقضوا ايمان البيعة وارتدوا لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها ولكم عذاب
عظيم في الاخرة كان قوما ممن اسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم مما راوا من غلبة قريش
واستضعافهم المسلمين وايذايهم لهم ولما كانوا يعدونهم ان رجعوا من المواعيد ان ينقضوا
ما بايعوا عليه رسول الله عليه السلام فثبتهم الله ولا تشتروا ولا تستبدلوا بعهد الله
وبيعة رسول الله ثمنا قليلا عرضا من الدنيا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدونهم ويمنونهم
٧ ان كنتم تعلمون — ان رجعوا انما عند الله من اظهاركم وتغنيمكم ومن ثواب الاخرة خير لكم ما عندكم من اعراض
الدنيا ينفد وما عند الله من خزاين رحمته باق لا ينفد ولنجزين وقرى لنجزين بالنون
واليا الذين صبروا على اذى المشركين ومشاق الاسلام اجرهم باحسن ما كانوا يعملون
فان قلت لم وحدت القدم ونكرت قلت لاستعظام ان تزل قدم
واحدة عن طريق الحق بعد ان ثبتت عليه فكيف باقدام كثيرة فان قلت من
في قوله من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن متناول في نفسه للذكر والانثى فما معنى
تبيينه بهما قلت هو مبهم صالح على الاطلاق للنوعين الا انه اذا ذكر كان الظاهر
تناوله للذكور فقيل من ذكر او انثى على التبيين ليعم الموعد النوعين جميعا فلنحيينه حيوة طيبة
يعني في الدنيا وهي الظاهر لقوله ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وعده الله ثواب
الدنيا والاخرة كقوله فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة وذلك ان المومن مع العمل
الصالح موسرا كان او معسرا يعيش عيشا طيبا ان كان موسرا فلا مقال فيه وان كان
معسرا فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضى بقسمة الله تعالى واما الفاجر فامره
على العكس ان كان معسرا فلا اشكال في امره وان كان موسرا فالحرص لا يدعه ان يتهنا بعيشه
وعن ابن عباس رضي الله عنه الحيوة الطيبة الرزق الحلال وعن الحسن القناعة وعن
قتادة يعني في الجنة وقيل هو حلاوة الطاعة والتوفيق في قلبه لما ذكر العمل الصالح
ووعد عليه وصل به قوله فاذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم
ايذانا بان الاستعاذة من جملة الاعمال الصالحة التي يجزل الله عليها الثواب والمعنى فاذا
قرات القران فاستعذ كقوله اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وكقولك اذا اكلت
فسم الله تعالى فان قلت لم عبر عن ارادة الفعل بلفظ الفعل قلت
لان الفعل يوجد عند القصد والارادة بغير فاصل وعلى حسبه فكان منه بسبب قوي
وملابسة ظاهرة وعن ابن مسعود رضي الله عنه قرات على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لي يا ابن ام عبد قل اعوذ بالله
من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ انه ليس
له سلطان اي تسلط وولاية على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون على اولياء
الله تعالى يعني انهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريد منهم من اتباع خطواته
انما سلطانه على الذين يتولونه على من يتولاه ويطيعه والذين هم به مشركون
وغروره ووسوسته — الضمير يرجع الى ربهم ويجوز ان يرجع الى الشيطان على معنى بسببه واذا بدلنا اية مكان
اية تبديل الاية مكان الاية هو النسخ والله تعالى ينسخ الشرايع بالشرايع لانها
مصالح وما كان مصلحة امس يجوز ان يكون مفسدة اليوم وخلافه مصلحة والله
تعالى عالم بالمصالح والمفاسد فيثبت ما يشا وينسخ ما يشا بحكمته وهذا معنى
قوله والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر وجدوا مدخلا للطعن فطعنوا وذلك
لجهلهم وبعدهم عن العلم بالناسخ والمنسوخ وكانوا يقولون ان محمدا يسخر من اصحابه
يامرهم اليوم بامر وينهاهم عنه غدا فياتيهم بما هو اهون ولقد افتروا فقد كان ينسخ
الاشق بالاهون والاهون بالاشق والاهون بالاهون والاشق بالاشق لان الغرض المصلحة
لا الهوان والمشقة فان قلت هل في ذكر تبديل الاية بالاية دليل على ان

صلى الله عليه وسلم

القران انما ينسخ بمثله ولا يصح بغيره من السنة والاجماع والقياس قلت فيه
ان القران ينسخ بمثله وليس فيه نفي نسخه بغيره على ان السنة المكشوفة المتواترة مثل
القران في ايجاب العلم فنسخه بها كنسخه بمثله واما الاجماع والقياس والسنة غير
المقطوع بها فلا يصح نسخ القران بها في ينزل وينزله وما فيهما من التنزيل شيئا فشيئا
على حسب الحوادث والمصالح اشارة الى التبديل من باب المصالح كالتنزيل وان ترك النسخ
بمنزلة انزاله دفعة واحدة في خروجه عن الحكمة بل اكثرهم لا يعلمون قل نزله روح
القدس من ربك وروح القدس جبريل عليه السلام اضيف الى القدس وهو الطهر كما يقال
حاتم الجود وزيد الخير والمراد الروح المقدس وحاتم الجواد وزيد الخير والمقدس المطهر
من الماثم وقرئ بضم الدال وسكونها بالحق في موضع الحال اي نزله ملتبسا بالحكمة بمعنى
ان النسخ من جملة الحق ليثبت الذين امنوا ليبلوهم بالنسخ حتى اذا قالوا فيه هو الحق من ربنا
والحكمة حكم لهم بثبات القدم وصحة اليقين وطمانينة القلوب على ان الله تعالى حكيم فلا يفعل
الا ما هو حكمة وصواب وهدى وبشرى للمسلمين مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت
والتقدير تثبيتا لهم وارشادا وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد هذه الخصال لغيرهم
وقرئ ليثبت بالتخفيف ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر ارادوا بالبشر غلاما
كان لحويطب بن عبد العزى قد اسلم وحسن اسلامه اسمه عايش او يعيش وكان صاحب
كتب وقيل هو جبر غلام رومي كان لعامر ابن الحضرمي وقيل عبدان جبر ويسار وكانا يصنعان
السيوف بمكة ويقران التورية والانجيل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر وقف
عليهما يسمع ما يقران فقالوا يعلمانه فقيل لاحدهما فقال بل هو يعلمني وقيل هو سلمان
الفارسي رضي الله عنه لسان الذي يلحدون اليه اللسان اللغة ويقال لحد القبر
والحده وهو ملحد وملحود اذا امال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير
لكل امالة عن الاستقامة فقالوا فلان الحد في قوله والحد في دينه ومنه الملحد لانه امال
مذهبه عن الاديان كلها لم يمله عن دين الى دين والمعنى لسان الرجل الذي يميلون قولهم
عن الاستقامة اليه لسان اعجمي غير بين وهذا القران لسان عربي مبين ذو بيان
وفصاحة وبيان ردا لقولهم وابطالا لطعنهم وقرئ يلحدون بفتح الياء والحاء وفي قراءة تحسن
اللسان الذي يلحدون اليه بتعريف اللسان فان قلت الجملة التي هي
قوله لسان الذي يلحدون اليه اعجمي ما محلها قلت لا محل لها لانها مستانفة
جواب لقولهم ومثله قوله تعالى الله يعلم حيث يجعل رسالاته بعد قوله واذا جاءتهم اية قالوا
لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله ان الذين لا يؤمنون بايات الله اي يعلم الله منهم
انهم لا يؤمنون لا يهديهم الله لا يلطف بهم ولهم عذاب اليم لانهم من اهل الخذلان في الدنيا
والعذاب في الاخرة لا من اهل اللطف والثواب انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات
الله رد لقولهم انما انت مفتر يعني انما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لانه لا يترقب عقابا
عليه واولئك اشارة الى قريش هم الكاذبون اي هم الذين لا يؤمنون فهم الكاذبون
او الى الذين لا يؤمنون اي واولئك هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون في الكذب لان تكذيب ايات
الله اعظم الكذب او اولئك الذين عادتهم الكذب لا يبالون به في كل شيء لا يحجبهم عنه مروة ولا دين
او اولئك هم الكاذبون في قولهم انما انت مفتر من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه
مطمئن بالايمان من كفر بدل من الذين لا يؤمنون بايات الله على ان يجعل واولئك هم الكاذبون
اعتراضا بين البدل والمبدل منه والمعنى انما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه واستثنى
منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال ولكن من شرح بالكفر صدرا اي طاب
به نفسا واعتقده فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ويجوز ان يكون بدلا من المبتدا
الذي هو اولئك على ومن كفر بالله من بعد ايمانه هم الكاذبون او من الخبر الذي هو الكاذبون
على واولئك هم من كفر بالله من بعد ايمانه ويجوز ان ينتصب على الذم وقد يجوز ان يكون

من كفر بالله شرطا مبتدا ويحذف جوابه لان جواب من شرح دال عليه كانه قيل من كفر بالله فعليهم
غضب الا من اكره ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب روي ان ناسا من اهل مكة فتنوا وارتدوا
عن الاسلام بعد دخولهم فيه وكان فيهم من اكره فاجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للايمان
منهم عمار وابواه ياسر وسمية وصهيب وبلال وخباب وسالم عذبوا فاما سمية فقد ربطت بين
بعيرين ووجئ في قبلها بحربة وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتل ياسر وهما
اول قتيلين في الاسلام واما عمار فقد اعطاهم بلسانه ما ارادوا مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر
فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه فقال ما لك ان عادوا لك فعد
لهم بما قلت ومنهم جبر مولى الحضرمي اكرهه سيده ثم اسلم مولاه واسلم هو وحسن اسلامهما
وهاجرا فان قلت اي الفعلين افضل افعل عمار ام فعل ابويه قلت
بل فعل ابويه لان في ترك التقية والصبر على القتل اعزازا للاسلام وقد روي ان مسيلمة
اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد فقال رسول الله قال فما تقول في قال انت ايضا
فخلاه وقال للاخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انا اصم فاعاد عليه ثلاثا
فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما
الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له ذلك اشارة الى الوعيد وان الغضب والعذاب يلحقانهم بانهم
استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة فاستحقاقهم خذلان الله تعالى
بكفرهم وان الله لا يهدي القوم الكافرين اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم
واولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة الذين لا احد اغفل منهم لان الغفلة عن تدبر العواقب
هي غاية الغفلة ومنتهاها لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون ثم ان ربك للذين هاجروا
دلالة على تباعد حال هولاء من حال اولئك وهم عمار واصحابه ومعنى ان ربك لهم انه لهم لا عليهم
بمعنى انه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محميا منفوعا غير
مضرور من بعد ما فتنوا بالعذاب والاكراه على الكفر وقرئ فتنوا على البناء للفاعل اي بعد
ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي واشباهه ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها من بعد هذه
الافعال وهي الهجرة والجهاد والصبر لغفور رحيم يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها
وتوفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون فان قلت ما معنى النفس المضافة
الى النفس قلت يقال لعين الشيء وذاته نفسه وفي نقيضه غيره والنفس
الجملة كما هي فالنفس الاولى هي الجملة والثانية عينها وذاتها فكانه قيل يوم ياتي كل انسان
يجادل عن ذاته لا يهمه شان غيره كل يقول نفسي نفسي ومعنى المجادلة عنها الاعتذار
عنها كقوله هولاء اضلونا ما كنا مشركين ونحو ذلك وضرب الله مثلا قرية كانت امنة اي
جعل القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم انعم الله تعالى عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا وتولوا
فانزل الله نقمته فيجوز ان تراد قرية مقدرة على هذه الصفة وان تكون في قرى الاولين قرية
كانت هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها مطمئنة لا يزعجها خوف لان
الطمانينة مع الامن والانزعاج والقلق مع الخوف ياتيها رزقها رغدا واسعا من كل مكان فكفرت
بانعم الله والانعم جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبوس وابوس وفي
الحديث نادى منادي النبي صلى الله عليه وسلم بالموسم بمنى انها ايام طعم ونعم فلا تصوموا
فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون فان قلت الاذاقة واللباس
استعارتان فما وجه صحتهما والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة ايقاعها
عليه قلت اما الاذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد
وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البوس والضر واذاقه العذاب شبه ما يدرك
من اثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر والبشع واما اللباس فقد شبه به لاشتماله على
اللابس ما غشي الانسان والتبس به من بعض الحوادث واما ايقاع الاذاقة على

لباس الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكانه قيل فاذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف ولهم في نحو هذا طريقان لا بد من الاحاطة بهما فان الاستعارة لا يبعد الا من فقد احدهما ان ينظر وافيه الى المستعار له كما نظر اليه هاهنا ونحوه قول كثير

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا ، غلقت لضحكته رقاب المال

استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا صفة الرداء نظرا الى المستعار له والثاني ان ينظر وافيه الى المستعار كقوله

ينازعني ردائي عبد عمرو ، رويدك يا اخا عمرو بن بكر

لي الشطر الذي ملكت يميني ، ودونك فاعتجر منه بشطر

اراد بردائه سيفه ثم قال فاعتجر منه بشطر فنظر الى المستعار في لفظ الاعتجار ولو نظر اليه فيما نحن فيه لقيل فكساهم لباس الجوع والخوف ولقال كثير ضافي الرداء اذا تبسم ضاحكا ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون في حال التباسهم بالظلم كقوله الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم نعوذ بالله من مفاجاة النقمة والموت على الغفلة وقرئ والخوف عطفا على اللباس وعلى تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اصله ولباس الخوف وقرئ لباس الخوف والجوع لما وعظهم بما ذكر من حال القرية وما اوتيت من كفرها وسوء صنيعها وصل بذلك بالفاء في قوله فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله صدهم عن افعال الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة التي كانوا عليها بان امرهم باكل ما رزقهم الله من الحلال الطيب وشكر انعامه بذلك وقال ان كنتم اياه تعبدون يعني تطيعون او ان صح زعمكم انكم تعبدون الله بعبادة الآلهة لانها شفعاؤكم عنده ثم عدد محرمات الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم باهوائهم وجهالاتهم دون اتباع ما شرع الله على لسان انبيائه فقال انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب وانتصاب الكذب بلا تقولوا على ولا تقولوا لما تصفه السنتكم من البهائم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا من غير استناد ذلك الوصف الى وحي من الله او الى قياس مستند اليه واللام مثلها في قولك ولا تقولوا لما احل الله هو حرام وقوله هذا حلال وهذا حرام بدل من الكذب ويجوز ان يتعلق بتصف على ارادة القول اي ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام ولك ان تنصب الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية وتعلق هذا حلال وهذا حرام بلا تقولوا على ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اي لا تحرموا ولا تحللوا لاجل قول تنطق به السنتكم ويجول في افواهكم لا لاجل حجة وبينة ولكن قول ساذج ودعوى فارغة فان قلت ما معنى وصف السنتهم الكذب قلت هو من فصيح الكلام وبليغه جعل قولهم كانه عين الكذب ومحضه فاذا نطقت به السنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصورته بصورته كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر صفة لما المصدرية كانه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله تعالى بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الشتم او بمعنى الكلم الكواذب او هو جمع الكذاب من قولك كذب كذابا ذكره ابن جني واللام في لتفتروا على الله الكذب من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل متاع خبر مبتدا محذوف اي منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية منفعة قليلة وعقابها عظيم ولهم عذاب اليم وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل يعني في سورة الانعام وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة في موضع الحال اي عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه او غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم ثم تابوا

من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور رحيم ان ابراهيم كان امة فيه وجهان احدهما انه كان وحده امة من الامم لكماله في جميع صفات الخير كقوله

ليس على الله بمستنكر ، ان يجمع العالم في واحد

وعن مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار والثاني ان يكون امة بمعنى مأموم اي يؤمه الناس لياخذوا منه الخير او بمعنى مؤتم به كالرحلة والنخبة وما اشبه ذلك مما جاء من فعلة بمعنى مفعول فيكون مثل قوله اني جاعلك للناس اماما وروى الشعبي عن فروة بن نوفل الاشجعي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال ان معاذا كان امة قانتا لله فقلت غلطت انما هو ابراهيم عليه السلام فقال الامة الذي يعلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله وكان معاذ كذلك وعن عمر رضي الله عنه انه قال حين قيل له الا تستخلف قال لو كان ابو عبيدة حيا لاستخلفته ولو كان معاذ حيا لاستخلفته ولو كان سالم حيا لاستخلفته فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ابو عبيدة امين هذه الامة ومعاذ امة قانت لله ليس بينه وبين الله يوم القيامة الا المرسلون وسالم شديد الحب لله لو كان لا يخاف الله لم يعصه وهو ذلك المعنى اي كان اماما في الدين لان الائمة معلمو الخير قانتا لله حنيفا والقانت القائم بما امره الله والحنيف المائل الى ملة الاسلام غير الزائل عنه ونفى عنه الشرك تكذيبا لكفار قريش في زعمهم انهم على ملة ابيهم ابراهيم شاكرا لانعمه روي انه كان لا يتغدى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداءه فاذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا اليه ان بهم جذاما فقال الان وجبت مواكلتكم شكرا لله تعالى على انه عافاني وابتلاكم اجتباه اختصه واصطفاه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم الى ملة الاسلام وآتيناه في الدنيا حسنة عن قتادة هي تنويه الله بذكره حتى ليس من اهل دين الا وهم يتولونه وقيل الاموال والاولاد وقيل قول المصلي منا كما صليت على ابراهيم وانه في الآخرة لمن الصالحين لمن اهل الجنة ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا في ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلال محله والايذان بان اشرف ما اوتي خليل الله ابراهيم عليه السلام من الكرامة واجل ما اولي من النعمة اتباع رسول الله ملته من قبل انها دلت على تباعد هذا النعت في المرتبة من بين سائر النعوت التي اثنى الله عليه بها انما جعل السبت السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها والمعنى انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه واختلافهم فيه انهم احلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم ان يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة بعد ما حتم الله عليهم الصبر عن الصيد فيه وتعظيمه والمعنى في ذكر ذلك نحو المعنى في ضرب القرية التي كفرت بانعم الله مثلا وغير ذلك وهو الانذار من سخط الله على العصاة والمخالفين لاوامره والخالعين ربقة طاعته فان قلت فما معنى الحكم بينهم في قوله وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون اذا كانوا جميعا محلين او محرمين قلت معناه انه يجازيهم جزاء اختلاف فعلهم في كونهم محلين تارة ومحرمين اخرى ووجه آخر وهو ان موسى عليه السلام امرهم ان يجعلوا في الاسبوع يوما للعبادة وان يكون يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فهذا اختلافهم في السبت لان بعضهم اختاره وبعضهم اختار عليه الجمعة فاذن الله لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فاطاع امر الله الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون فيه واعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله دون اولئك وهو يحكم بينهم يوم القيامة فيجازي كل واحد من الفريقين بما يستوجبه ومعنى جعل السبت فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه وقرئ انما جعل السبت على البناء للفاعل وقرا عبد الله انا انزلنا السبت ادع الى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة الصحيحة وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة وهي التي لا يخفى عليهم انك تناصحهم بها وتقصد

ما ينفعهم فيها ويجوز ان يريد القرآن اي ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة وجادلهم بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين ان ربك هو اعلم بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل والنصيحة اليسيرة ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل وكانك تضرب منه في حديد بارد وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به سمي الفعل الاول باسم الثاني للمزاوجة والمعنى ان صنع بكم صنيع سوء من قتل او نحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه وقرئ وان عقبتم فعقبوا اي وان قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم روي ان المشركين مثلوا بالمسلمين يوم احد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم ما تركوا احدا غير ممثول به الا حنظلة بن الراهب فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة وقد مثل به وروي فرآه مبقور البطن فقال اما والذي احلف به لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما اراده ولا خلاف في تحريم المثلة وقد وردت الاخبار بالنهي عنها حتى بالكلب العقور ولئن صبرتم لهو خير للصابرين اما ان يرجع الضمير في لهو الى صبرهم وهو مصدر صبرتم ويراد بالصابرين المخاطبون اي ولئن صبرتم لصبركم خير لكم فوضع الصابرون موضع الضمير ثناء من الله عليهم بانهم صابرون على الشدائد او وصفهم بالصفة التي تحصل لهم اذا صبروا عن المعاقبة واما ان يرجع الى جنس الصبر وقد دل عليه صبرتم ويراد بالصابرين جنسهم كانه قيل وللصبر خير للصابرين ونحوه قوله عز وجل فمن عفا واصلح فاجره على الله وان تعفوا اقرب للتقوى ثم قال لرسوله واصبر انت فعزم عليه بالصبر وما صبرك الا بالله اي بتوفيقه وتثبيته وربطه على قلبك ولا تحزن عليهم اي على الكافرين كقوله فلا تاس على القوم الكافرين او على المؤمنين وما فعل بهم الكافرون ولا تك في ضيق مما يمكرون وقرئ ولا تكن في ضيق اي ولا يضيقن صدرك من مكرهم والضيق تخفيف الضيق اي في امر ضيق ويجوز ان يكون الضيق والضيق مصدران كالقيل والقول ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون اي هو ولي الذين اجتنبوا المعاصي وولي الذين هم محسنون في اعمالهم وعن هرم بن حيان انه قيل له حين احتضر اوص فقال انما الوصية من المال ولا مال لي واوصيكم بخواتيم سورة النحل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النحل لم يحاسبه الله تعالى بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلة كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية

سورة بني اسرائيل مكية الا خمس آيات وهي مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك اظهاره تقديره اسبح الله سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ من جميع القبائح التي يضيفها اليه اعداء الله تعالى واسرى وسرى لغتان وليلا نصب على الظرف فان قلت الاسراء لا يكون الا بالليل فما معنى ذكر الليل قلت اراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسراء وانه اسري به في بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة اربعين ليلة وذلك ان التنكير فيه قد دل على معنى البعضية وانه اسري به في بعض الليل ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة من الليل اي بعض الليل كقوله ومن الليل فتهجد به نافلة يعني الامر بالقيام في بعض الليل واختلف في المكان الذي اسري منه فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبريل عليه السلام بالبراق وقيل اسري به من دار ام هانئ بنت ابي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس الحرم كله مسجد وروي انه كان نائما في بيت ام هانئ بعد صلاة العشاء فاسري به ورجع من ليلته وقص القصة على ام هانئ وقال مثل لي النبيون فصليت بهم وقام ليخرج الى المسجد فتشبثت ام هانئ بثوبه فقال ما لك قالت اخشى ان يكذبك

قومك

قومك ان اخبرتهم قال وان كذبوني فخرج فجلس اليه ابو جهل فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث الاسراء فقال ابو جهل يا معشر بني كعب بن لؤي هلم فحدثهم فمن بين مصفق وواضع يده على راسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى رجال الى ابي بكر فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق وفيهم من سافر الى ثم فاستنعتوه المسجد فجلي له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد شرقت فقال آخر وهذه والله العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وقد عرج به الى السماء في تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس واخبر قريشا ايضا بما راى في السماء من العجائب وانه لقي الانبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى واختلفوا في وقت الاسراء فقيل كان قبل الهجرة بسنة وعن انس والحسن انه كان قبل البعث واختلفوا في انه كان في اليقظة ام في المنام فعن عائشة رضي الله عنها انها قالت والله ما فقد جسد رسول الله ولكن عرج بروحه انما عرج بروحه وكذا عن معاوية وعن الحسن انه كان في المنام رؤيا رآها واكثر الاقاويل بخلاف ذلك والمسجد الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد الذي باركنا حوله يريد بركات الدين والدنيا لانه متعبد الانبياء ووقت موسى عليه السلام ومهبط الوحي وهو محفوف بالانهار الجارية والاشجار المثمرة لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير وقرا الحسن ليريه بالياء ولقد تصرف الكلام على لفظ الغائب والمتكلم فقيل اسرى ثم باركنا ثم ليريه على قراءة الحسن ثم من آياتنا ثم انه هو وهي طريقة الالتفات التي هي من طرق البلاغة انه هو السميع لاقوال محمد صلى الله عليه وسلم البصير بافعاله العالم بتهذيبها وخلوصها فيكرمه ويقربه على حسب ذلك وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا قرئ بالياء على ليلا يتخذوا وبالتاء على اي لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل كذا من دوني وكيلا ربا تكلون اليه اموركم ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص وقيل على النداء فيمن قرا لا تتخذوا بالتاء على النهي يعني قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا يا ذرية من حملنا مع نوح وقد يجعل وكيلا ذرية من حملنا مفعولي تتخذوا اي لا تجعلوهم اربابا كقوله ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ومن ذرية المحمولين مع نوح عيسى وعزير وقرئ ذرية من حملنا بالرفع بدلا من واو تتخذوا وقرا زيد بن ثابت ذرية بكسر الذال وروي عنه انه قد فسرها بولد الولد انه كان عبدا شكورا ذكرهم الله النعمة في انجاء آبائهم من الغرق انه ان نوحا كان عبدا شكورا قيل كان اذا اكل قال الحمد لله الذي اطعمني ولو شاء اجاعني واذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني ولو شاء اظماني واذا اكتسى قال الحمد لله الذي كساني ولو شاء اعراني واذا احتذى قال الحمد لله الذي حذاني ولو شاء احفاني واذا قضى حاجته قال الحمد لله الذي اخرج عني اذاه في عافية ولو شاء حبسه وروي انه كان اذا اراد الافطار عرض طعامه على من آمن به فان وجده محتاجا آثره به فان قلت قوله انه كان عبدا شكورا ما وجه ملاءمته لما قبله قلت كانه قيل لا تتخذوا من دوني وكيلا ولا تشركوا بي لان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا وانتم ذرية من آمن به وحمل معه فاجعلوه اسوتكم كما جعله آباؤكم اسوتهم ويجوز ان يكون تعليلا للاختصاص والثناء عليهم بانهم اولاد المحمولين مع نوح عليه السلام فهم متصلون به فاستاهلوا لذلك الاختصاص ويجوز ان يقال ذلك عند ذكره على سبيل الاستطراد وقضينا الى بني اسرائيل واوحينا اليهم وحيا مقضيا اي مقطوعا مبتوتا بانهم يفسدون في الارض لا محالة ويعلون اي يتعظمون ويبغون في الكتاب في التوراة لتفسدن جواب قسم محذوف ويجوز ان يجري القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا له كانه قال واقسمنا لتفسدن على البناء للمفعول ولتفسدن بفتح التاء من فسد في الارض مرتين

وقرئ لتفسدن

اولاهما قتل زكريا وحبس ارميا عليهما السلام حين انذرهم سخط الله والاخرة قتل يحيى بن زكريا
وقصد قتل عيسى بن مريم ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا وقرئ
عبيد الناس لكن ما يقال عباد الله وعبيد الناس اولي باس شديد فجاسوا خلال الديار سنحاريب
وجنوده وقيل بخت نصر وعن ابن عباس جالوت قتلوا علماءهم واحرقوا التورية وخربوا المسجد
وسبوا منهم سبعين الفا فان قلت كيف جاز ان يبعث الله الكفرة على ذلك ويسلطهم عليه
قلت معناه خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم نمنعهم على ان الله عز وجل اسند بعث الكفرة الى
نفسه فهو كقوله وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا وكقول الداعي وخالف بين كلمتهم واسند
الجوس وهو التردد خلال الديار بالفساد اليهم فتخريب المسجد واحراق التورية من جملة الجوس
المسند اليهم وقرا طلحة فحاسوا بالحاء وقرئ فجوسوا وخلل الديار فان قلت ما وعد
اولاهما قلت معناه وعد عقاب اوليهما وكان وعدا مفعولا يعني وكان وعد العقاب وعدا
لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة عليهم على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم
عن الفساد والعلو قيل هي قتل بخت نصر واستنقاذ بني اسرائيل اسراهم واموالهم ورجوع
الملك اليهم وقيل هي قتل داود جالوت وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه
وقيل هو جمع نفر كالعبيد والمعيز ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها اي الاحسان
والاساءة كلاهما مختص بانفسكم لا يتعدى النفع والضرر الى غيركم وعن علي رضي الله عنه ما احسنت
الى احد ولا اسات اليه وتلاها فاذا جاء وعد الاخرة بعثناهم ليسوءوا وجوهكم حذف لدلالة ذكره
اولا عليه ومعنى ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها بادية اثار المساءة والكآبة فيها كقوله سيئت وجوه
الذين كفروا وقرئ ليسوء والضمير لله عز وجل او للوعد او للبعث ولنسوء بالنون وفي قراءة علي
رضي الله عنه لنسوءن وليسوءن وقرئ لنسوءن بالنون الخفيفة وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول
مرة اللام في ليدخلوا على هذا متعلق بمحذوف وهو وبعثناهم ليدخلوا ولنسوءن جواب اذا جاء وليتبروا
ما علوا تتبيرا ما علوا مفعول ليتبروا اي ليهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا عليه او بمعنى مدة علوهم
عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الثانية ان تبتم توبة اخرى وانزجرتم عن المعاصي وان عدتم مرة ثالثة
عدنا الى عقوبتكم وقد عادوا فاعاد الله عليهم النقمة بتسليط الاكاسرة وضرب الاتاوة عليهم وعن
الحسن رحمه الله عادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون
وعن قتادة ثم كان اخر ذلك ان بعث الله عليهم هذا الحي من العرب فهم منهم في عذاب الى يوم القيمة
وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا يقال للسجن محصر وحصير وعن الحسن بساطا كما يبسط الحصير
المرمول ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم للحالة التي هي اقوم الحالات واسدها او للملة او للطريقة
واينما قدرت لم تجد مع الاثبات ذوق البلاغة الذي تجده مع الحذف لما في ابهام الموصوف بحذفه
من فخامة تفقد مع ايضاحه وقرئ ويبشر بالتخفيف المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم
اجرا كبيرا وان الذين لا يؤمنون بالاخرة اعتدنا لهم عذابا اليما فان قلت كيف ذكر
المؤمنين الابرار والكفار ولم يذكر الفسقة قلت كان الناس حينئذ اما مؤمن تقي
واما مشرك وانما حدث اصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك فان قلت علام
عطف وان الذين لا يؤمنون قلت على ان لهم اجرا كبيرا على معنى انه بشر المؤمنين
ببشارتين اثنتين بثوابهم وبعقاب اعدائهم ويجوز ان يراد ويخبر بان الذين لا يؤمنون
معذبون ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير اي ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه
واهله وماله كما يدعو لهم بالخير كقوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير وكان الانسان
عجولا يتسرع الى طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله لا يتانى فيه تاني المتبصر وعن النبي صلى الله
عليه وسلم انه دفع الى سودة بنت زمعة اسيرا فاقبل يئن بالليل فقالت له ما لك تئن فشكا الم
القد فارخت من كتافه فلما نامت اخرج يده وهرب فلما اصبح النبي صلى الله عليه وسلم دعا به فاعلم
بشانه فقال اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها تتوقع الاجابة وان يقطع الله تعالى يديها فقال
النبي عليه السلام اني سالت الله ان يجعل لعنتي ودعائي على من لا يستحق من اهلي رحمة لاني بشر اغضب

بما كانوا يكسبون

كما يغضب

كما يغضب البشر فلترد سوءة بها ويجوز ان يريد بالانسان الكافر وانه يدعو بالعذاب استهزاء ويستعجل
به كما يدعو بالخير اذا مسته الشدة وكان الانسان عجولا يعني ان العذاب اتيه لا محالة فما هذا الاستعجال
وعن ابن عباس هو النضر بن الحارث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الاية فاجيب له فضربت
عنقه صبرا وجعلنا الليل والنهار ايتين فيه وجهان احدهما ان يراد ان الليل والنهار ايتان في انفسهما
فتكون الاضافة في اية الليل واية النهار للتبيين كاضافة العدد الى المعدود فمحونا اية الليل وجعلنا
اية النهار مبصرة اي فمحونا الاية التي هي الليل وجعلنا الاية التي هي النهار مبصرة والثاني ان يراد وجعلنا
نيري الليل والنهار ايتين يريد الشمس والقمر فمحونا اية الليل اي جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسه
مظلما لا يستبان فيه شيء كما لا يستبان ما في اللوح الممحو وجعلنا النهار مبصرا اي تبصر فيه الاشياء
وتستبان او فمحونا اية الليل التي هي القمر حيث لم نخلق له شعاعا كشعاع الشمس فترى به الاشياء
رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شيء لتبتغوا فضلا من ربكم لتتوصلوا ببياض
النهار الى استبانة اعمالكم والتصرف في معايشكم ولتعلموا باختلاف الجديدين عدد السنين
وجنس الحساب وما تحتاجون اليه منه ولولا ذلك لما علم احد حسبان الاوقات ولتعطلت الامور
وكل شيء مما تفتقرون اليه في دينكم ودنياكم فصلناه تفصيلا بيناه بيانا غير ملتبس فازحنا
عللكم وما تركنا لكم حجة علينا وكل انسان الزمناه طائره في عنقه وقد حققنا القول فيه في سورة
النمل وعن ابن عيينة هو من قولك طار له سهم اذا خرج يعني الزمناه ما طار له من عمله والمعنى ان
عمله لازم له لزوم القلادة او الغل لا يفك عنه ومنه مثل العرب تقلدها طوق الحمامة وقولهم
الموت في الرقاب وهذا ربقة في رقبته وعن الحسن يا ابن ادم بسطت لك صحيفة اذا بعثت قلدتها
في عنقك وقرئ في عنقه بسكون النون ونخرج قرئ بنخرج بالنون ويخرج بالياء والضمير لله تعالى ويخرج
على البناء للمفعول ويخرج من خرج والضمير للطائر اي يخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا
وانتصاب كتابا على الحال وقرئ يلقاه بالتشديد مبنيا للمفعول ويلقاه منشورا صفتان للكتاب
او يلقاه صفة ومنشورا حال من يلقاه اقرا كتابك على ارادة القول وعن قتادة يقرا ذلك اليوم
من لم يكن قارئا في الدنيا كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا بنفسك فاعل كفى وحسيبا تمييز وهو
بمعنى حاسب كضريب القداح بمعنى ضاربها وصريم بمعنى صارم ذكرهما سيبويه وعلى متعلق
به من قولك حسب عليه كذا ويجوز ان يكون بمعنى الكافي ووضع موضع الشهيد فعدي بعلى لان الشاهد
يكفي المدعي ما اهمه فان قلت لم ذكر حسيبا قلت لانه بمنزلة
الشهيد والقاضي والامير لان الغالب ان هذه الامور يتولاها الرجال فكانه قيل كفى بنفسك رجلا
حسيبا ويجوز ان يتاول النفس بالشخص كما يقال ثلاثة انفس وكان الحسن اذا قراها قال
يا ابن ادم انصفك والله من جعلك حسيب نفسك من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن
ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى اي كل نفس وازرة فانما تحمل
وزرها لا وزر نفس اخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وما صح منا صحة تدعو اليها الحكمة
ان نعذب قوما الا بعد ان نبعث اليهم رسولا فتلزمهم الحجة فان قلت الحجة لازمة
لهم قبل بعثة الرسل صلى الله عليهم وسلم لان معهم ادلة العقل التي بها يعرف الله وقد اغفلوا
النظر وهم متمكنون منه واستيجابهم العذاب لاغفالهم النظر فيما معهم وكفرهم لذلك
لا لاغفال الشرائع التي لا سبيل اليها الا بالتوقيف والعمل بها لا يصح الا بعد الايمان
قلت بعثة الرسول من جملة التنبيه على النظر والايقاظ من رقدة الغفلة لئلا
يقولوا كنا غافلين فلولا بعثت الينا رسولا ينبهنا على النظر في ادلة العقل واذا اردنا ان
نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا واذا اردنا واذا دنا وقت
اهلاك قوم ولم يبق من زمان امهالهم الا قليل امرناهم ففسقوا اي امرناهم بالفسق ففعلوا
والامر مجاز لان حقيقة امرهم بالفسق ان يقول لهم افسقوا وهذا لا يكون فبقي ان يكون مجازا
ووجه المجاز انه صب عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة الى المعاصي واتباع الشهوات فكانهم
مامورون بذلك لتسبب ايلاء النعمة فيه وانما خولهم اياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا

من الإحسان والبر كما خلقهم أصحاء أقوياء وأقدرهم على الخير والشر وطلب منهم إيثار الطاعة على المعصية
فآثروا الفسوق فلما فسقوا حق عليهم القول وهو كلمة العذاب فدمرهم فإن قلت هلا زعمت
أن معناه أمرناهم بالطاعة ففسقوا قلت لأن حذف ما لا دليل عليه غير جائز فكيف
بحذف ما الدليل قائم على نقيضه وذلك أن المأمور به إنما حذف لأن فسقوا يدل عليه وهو كلام
مستفيض يقال أمرته فقام وأمرته فقرأ لا يفهم منه إلا أن المأمور به قيام أو قراءة ولو ذهبت تقدر
غيره فقد رمت من مخاطبك علم الغيب ولا يلزم هذا قولهم أمرته فعصاني أو فلم يمتثل أمري لأن ذلك
مناف للأمر مناقض له ولا يكون ما يناقض الأمر مأمورا به فكان محالا أن يقصد أصلا حتى يجعل
دالا على المأمور به فكان المأمور به في هذا الكلام غير مدلول عليه ولا منوي لأن من يتكلم بهذا
الكلام فإنه لا ينوي لأمره مأمورا به وكأنه يقول كان مني أمر فلم تكن منه طاعة كما أن من يقول
فلان يعطي ويمنع ويأمر وينهى غير قاصد إلى مفعول فإن قلت هلا كان ثبوت
العلم بأن الله تعالى لا يأمر بالفحشاء وإنما يأمر بالقسط والخير دليلا على أن المراد أمرناهم بالخير
ففسقوا قلت لا يصح ذلك لأن قوله ففسقوا يدافعه فكأنك أظهرت شيئا وأنت
تدعي إضمار خلافه فكان صرف الأمر إلى المجاز هو الوجه ونظير أمر شاء في أن مفعوله استفاض فيه حذف
إلا ما يدل عليه تقول لو شاء لأحسن إليك ولو شاء لأساء إليك تريد لو شاء الإحسان ولو شاء
الإساءة فلو ذهبت تضمر خلاف ما أظهرت وقلت قد دلت حال من أسندت إليه المشيئة أنه من أهل الإحسان
أو من أهل الإساءة فاترك الظاهر المنطوق به وأضمر ما دل عليه حال صاحب المشيئة لم تكن على سداد
وقد فسر بعضهم أمرنا بكثرنا وجعل أمرته فأمر من باب فعلته ففعل كثبرته فثبر وفي الحديث خير المال
سكة مأبورة ومهرة مأمورة أي كثيرة النتاج وروي أن رجلا من المشركين قال لرسول الله صلى
الله عليه وسلم إني أرى أمرك هذا حقيرا فقال عليه السلام إنه سيأمر أي سيكثر وقرئ آمرنا
من أمر وأمره غيره وأمرنا بمعنى آمرنا أو من أمر إمارة وأمره الله أي جعلناهم أمراء وسلطناهم وكم
أهلكنا من القرون كم مفعول أهلكنا ومن القرون بيان لكم وتمييز له كما يميز العدد بالجنس
يعني عادا وثمود وقرونا بين ذلك كثيرا من بعد نوح ونبه بقوله وكفى بربك بذنوب
عباده خبيرا بصيرا على أن الذنوب هي أسباب الهلكة لا غير وأنه عالم بها فمعاقب عليها من كان
يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد من كانت العاجلة همه ولم يرد غيرها كالكفرة وأكثر
الفسقة تفضلنا عليه من منافعها بما نشاء لمن نريد فقيد الأمر تقييدين أحدهما تقييد المعجل
بمشيئته والثاني تقييد المعجل له بإرادته وهكذا الحال ترى كثيرا من هؤلاء يتمنون ما يتمنون
ولا يعطون إلا بعضا منه وكثيرا منهم يتمنون ذلك البعض وقد حرموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا
وفقر الآخرة وأما المؤمن التقي فقد اختار مراده وهو غنى الآخرة فما يبالي أوتي حظا من الدنيا
أو لم يؤت فإن أوتي فبها ولا فربما كان الفقر خيرا له وأعون على مراده وقوله لمن نريد بدل من له
وهو بدل البعض من الكل لأن الضمير يرجع إلى من وهو في معنى الكثرة وقرئ يشاء وقيل
الضمير لله تعالى فلا فرق إذن بين القراءتين في المعنى ويجوز أن يكون للعبد على أن
للعبد ما يشاء من الدنيا وأن ذلك لواحد من الدهماء يريد به الله ذلك وقيل هو من
يريد الدنيا بعمل الآخرة كالمنافق والمرائي والمهاجر للدنيا والمجاهد للغنيمة والذكر
كما قال عليه الصلاة والسلام فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله
ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه ثم جعلنا له جهنم يصلاها
مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها حقها من السعي
وكفاءها من الأعمال الصالحة وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا اشترط ثلاث شرائط
في كون السعي مشكورا إرادة الآخرة بأن يعقد بها همه ويتجافى عن دار الغرور والسعي فيما
كلف من الفعل والترك والإيمان الصحيح الثابت وعن بعض المتقدمين من لم تكن معه
ثلاث لم ينفعه عمله إيمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الآية وشكر الله
الثواب على الطاعة كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك كلا كل واحد من الفريقين والتنوين

عوض من المضاف إليه نمدهم نزيدهم من عطائنا ونجعل الآنف منهم مددا للسالف لا نقطعه فنرزق
المطيع والعاصي جميعا على وجه التفضل وما كان عطاء ربك في فضله محظورا أي ممنوعا لا يمنعه
من عاص لعصيانه انظر بعين الاعتبار كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات
كيف جعلناهم متفاوتين في التفضل وفي الآخرة التفاوت أكبر لأنها ثواب وأعواض وتفضل
وكلها متفاوتة وروي أن قوما من الأشراف فمن دونهم اجتمعوا بباب عمر رضي الله عنه فخرج الإذن
لبلال وصهيب فشق على أبي سفيان فقال سهيل بن عمرو إنما أتينا من قبلنا إنهم دعوا ودعينا
إلى الإسلام فأسرعوا وأبطأنا وهذا باب عمر فكيف التفاوت في الآخرة ولئن حسدتموهم
على باب عمر رضي الله عنه فلما أعد الله لهم في الجنة أكثر وقرئ وأكثر تفضيلا وعن بعضهم
أيها المباهي بالرفع منك في مجالس الدنيا أما ترغب في المباهاة بالرفع في مجالس الآخرة وهي
أكبر وأفضل لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد في جهنم مذموما مخذولا فتقعد من قولهم
شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة بمعنى صارت يعني فتصير جامعا على نفسك الذم وما
يتبعه من الهلاك من إلهك والخذلان والعجز عن النصرة ممن جعلته شريكا له وقضى ربك
وأمر أمرا مقطوعا به أن لا تعبدوا إلا إياه أن مفسرة ولا تعبدوا نهي أو بأن لا تعبدوا
وبالوالدين إحسانا وأحسنوا بالوالدين إحسانا أو بأن تحسنوا بالوالدين إحسانا وقرئ
وأوصى وعن ابن عباس ووصى وعن بعض ولد معاذ بن جبل وقضاء ربك ولا يجوز أن
يتعلق الباء في بالوالدين بالإحسان لأن المصدر لا يتقدم عليه صلته إما هي إن الشرطية زيدت
عليها ما تأكيدا لها ولذلك دخلت النون المؤكدة في الفعل ولو أفردت إن لم يصح دخولها لا تقول
إن تكرمن زيدا يكرمك ولكن إما تكرمنه يبلغن عندك الكبر أحدهما أحدهما فاعل يبلغن
وهو فيمن قرأ يبلغان بدل من ألف الضمير الراجع إلى الوالدين أو كلاهما عطف على أحدهما
فاعلا وبدلا فإن قلت لو قيل إما يبلغان كلاهما كان كلاهما توكيدا لا بدلا فما لك
زعمت أنه بدل قلت لأنه معطوف على ما لا يصح أن يكون توكيدا للاثنين فانتظم في حكمه
فوجب أن يكون مثله فإن قلت ما ضرك لو جعلته توكيدا مع كون المعطوف عليه
بدلا وعطفت التوكيد على البدل قلت لو أريد توكيد التثنية لقيل كلاهما فحسب فلما
قيل أحدهما أو كلاهما علم أن التوكيد غير مراد فكان بدلا مثل الأول فلا تقل لهما أف أف صوت
يدل على تضجر وقرئ أف بالحركات الثلاث منونا وغير منون الكسر على أصل البناء والفتح تخفيف
للضم والتشديد كثم والضم إتباع كمنذ فإن قلت ما معنى عندك قلت
هو أن يكبرا ويعجزا وكانا كلا على ولدهما لا كافل لهما غيره فهما عنده في بيته وكنفه وذلك أشق
عليه وأشد احتمالا وصبرا وربما تولى منهما ما كانا يتوليان منه في حال الطفولية فهو مأمور
بأن يستعمل معهما وطاءة الخلق ولين الجانب والاحتمال حتى لا يقول لهما إذا أضجره ما يستقذر
منهما أو يستثقل من مؤنهما أف فضلا عما يزيد عليه ولقد بالغ سبحانه في التوصية بهما
حيث افتتحها بأن شفع الإحسان إليهما بتوحيده ونظمهما في سلك القضاء بهما معا
ثم ضيق الأمر في مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر
ومقتضياته ومع أحوال لا يكاد يدخل صبر الإنسان معها في الاستطاعة ولا تنهرهما
ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك والنهي والنهر والنهم أخوات وقل لهما بدل التأفيف
والنهر قولا كريما كما يقتضيه حسن الأدب والنزول على المروءة وقيل هو أن يقول يا أبتاه جميلا
يا أماه كما قال إبراهيم عليه السلام لأبيه يا أبت مع كفره ولا يدعوهما بأسمائهما فإنه من
الجفاء وسوء الأدب وعادة الدعار قالوا ولا بأس به في غير وجهه كما قالت عائشة رضي الله
عنها نحلني أبو بكر كذا واخفض لهما جناح الذل وقرئ جناح الذل والذل بالضم والكسر
فإن قلت ما معنى قوله جناح الذل قلت فيه وجهان أحدهما
أن يكون المعنى واخفض لهما جناحك كما قال واخفض جناحك للمؤمنين فأضافه إلى
الذل أو الذل كما أضيف حاتم إلى الجود على معنى واخفض لهما جناحك الذليل أو الذلول

والثاني ان تجعل لذله او لذل له جناحا خفيضا كما جعل لبيد للشمال يدا وللقرة زماما مبالغة في التذلل والتواضع لهما من الرحمة من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم الى من كان افقر خلق الله اليهما بالامس ولا تكتف برحمتك عليهما التي لا بقاء لها وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا وادع الله بان يرحمهما رحمة الباقية واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك في صغرك وتربيتهما لك فان قلت الاسترحام لهما انما يصح اذا كانا مسلمين قلت اذا كانا كافرين فله ان يسترحم لهما بشرط الايمان وان يدعو الله لهما بالهداية والارشاد ومن الناس من قال كان الدعا للكفار جايزا ثم نسخ وسيل ابن عيينة عن الصدقة عن الميت فقال كل ذلك واصل اليه ولا شي انفع له من الاستغفار ولو كان شي افضل منه لامركم به في الابوين ولقد كرر الله سبحانه في كتابه الوصية بالوالدين وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما وروي يفعل البار ما شاء ان يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ما شاء فلن يدخل الجنة وروى سعيد بن المسيب ان البار لا يموت ميتة سوء وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك تريد موتهما وشكى رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اباه وانه ياخذ ماله فدعا به فاذا شيخ يتوكا على عصا فساله فقال انه كان ضعيفا وانا قوي وفقيرا وانا غني فكنت لا امنعه شيا من مالي واليوم انا ضعيف وهو قوي وانا فقير وهو غني ويبخل علي بماله فبكى عليه السلام وقال ما من حجر ولا مدر يسمع هذا الا بكى ثم قال للولد انت ومالك لابيك انت ومالك لابيك وشكى اليه اخر سوء خلق امه فقال لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة اشهر قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين ارضعتك حولين قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين اسهرت لك ليلها واظمات نهارها قال لقد جازيتها قال ما فعلت قال حججت بها على عاتقي قال ما جزيتها ولو طلقة وعن ابن عمر رضي الله عنه انه راى رجلا في الطواف يحمل امه ويقول

اني لها مطية لا تذعر ... اذا الركاب نفرت لا تنفر
ما حملت وارضعتني اكثر ... الله ربي ذو الجلال الاكبر

تظنني جزيتها يا ابن عمر قال لا ولو زفرة واحدة وعنه صلى الله عليه وسلم اياكم وعقوق الوالدين فان الجنة توجد ريحها من مسيرة الف عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلا ان الكبريا لله رب العالمين وقال الفقها لا يذهب بابيه الى البيعة واذا بعث اليه منها ليحمله فعل ولا يناوله الخمر وياخذ الاناء منه اذا شربها وعن ابي يوسف رحمه الله اذا امره ان يوقد تحت قدره وفيها لحم الخنزير اوقد وعن حذيفة انه استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل ابيه وهو في صف المشركين فقال دعه يليه غيرك وسيل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين فقال ان لا تقوم الى خدمتهما عن كسل وسيل بعضهم فقال لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر شزرا اليهما ولا يريا منك مخالفة في ظاهر ولا باطن وان تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما اذا ماتا وتقوم بخدمة اودائهما من بعدهما فعن النبي صلى الله عليه وسلم ان من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه ربكم اعلم بما في نفوسكم بما في ضمايركم من قصد البر الى الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير ان تكونوا صالحين قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم في حال الغضب وعند حرج الصدر وما لا يخلو منه البشر او لحمية الاسلام هنة تؤدي الى اذاهما ثم انبتم الى الله واستغفرتم منها فانه كان للاوابين غفورا فان الله غفور للتوابين وعن سعيد بن جبير هي في البادرة تكون من الرجل الى ابيه لا يريد بذلك الا الخير وعن سعيد بن المسيب الاواب الرجل كلما اذنب بادر الى التوبة ويجوز ان يكون هذا عاما لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها ويندرج تحته الجاني على ابويه التائب من جنايته لوروده على اثره وآت ذا القربى حقه وصى بغير الوالدين من الاقارب بعد التوصية بهما وان يؤتوا حقهم وحقهم اذا كان

التائب

محارم كالابوين والولد وفقرا عاجزين عن الكسب وكان الرجل موسرا ان ينفق عليهم عند ابي حنيفة رحمه الله والشافعي رحمه الله لا يرى النفقة الا على الولد والوالدين فحسب وان كانوا مياسير او لم يكونوا محارم كابنا العم فحقهم صلتهم بالمودة والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة على السرا والضرا والمعاضدة ونحو ذلك والمسكين وابن السبيل يعني وات هولا حقهم من الزكوة وهذا دليل على ان المراد بما يولي ذوي القرابة من حق هو تعهدهم بالمال وقيل اراد بذي القربى اقربا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تبذر تبذيرا التبذير تفريق المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف وكانت الجاهلية تنحر ابلها وتتياسر عليها وتبذر اموالها في الفخر والسمعة وتذكر ذلك في اشعارها فامر الله تعالى بالنفقة في وجوهها مما يقرب منه ويزلف وعن عبد الله هو انفاق المال في غير حقه وعن مجاهد رضي الله عنه لو انفق مدا في باطل كان تبذيرا وقد انفق بعضهم نفقة في خير فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير وعن عبد الله بن عمرو مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسعد وهو يتوضا فقال ما هذا السرف يا سعد قال او في الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين امثالهم في الشرارة وهي غاية المذمة لانه لا شر من الشيطان او هم اخوانهم واصدقاؤهم لانهم يطيعونهم فيما يامرونهم به من الاسراف او هم قرناؤهم في النار على سبيل الوعيد وكان الشيطان لربه كفورا فما ينبغي ان يطاع فانه لا يدعو الا الى مثل فعله وقرا الحسن رضي الله عنه اخوان الشيطان واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها وان اعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حيا من الرد فقل لهم قولا ميسورا ولا تتركهم غير مجابين اذا سالوك وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سيل شيا وليس عنده اعرض عن السايل وسكت حيا وقوله ابتغاء رحمة من ربك اما ان يتعلق بجواب الشرط مقدما عليه اي فقل لهم قولا سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا رحمة لهم وتطييبا لقلوبهم ابتغاء رحمة من ربك اي ابتغ رحمة الله التي ترجوها برحمتك عليهم واما ان يتعلق بالشرط وان اعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجو ان يفتح لك فسمى الرزق رحمة فردهم ردا جميلا فوضع الابتغا موضع الفقد لان فاقد الرزق مبتغ له فكان الفقد سبب الابتغا والابتغا مسببا عنه فوضع المسبب موضع السبب ويجوز ان يكون معنى واما تعرضن عنهم وان لم تنفعهم ولم ترفع خصاصتهم لعدم الاستطاعة ولا يريد بالاعراض بالوجه كناية بالاعراض عن ذلك لان من ابى ان يعطي اعرض بوجهه يقال يسر الامر وعسر مثل سعد الرجل ونحس فهو مفعول وقيل معناه فقل لهم رزقنا الله واياكم من فضله على انه دعا لهم بيسر فقرهم عليهم كان معناه قولا ذا ميسور وهو اليسر اي دعاء فيه يسر ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط هذا تمثيل لمنع الشحيح واعطا المسرف وامر بالاقتصاد الذي هو بين الاسراف والتقتير فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله لان المسرف غير مرضي عنه وعند الناس يقول المحتاج اعطى فلانا وحرمني ويقول المستغني ما يحسن تدبير امر المعيشة وعند نفسك اذا احتجت فندمت على ما فعلت محسورا منقطعا بك لا شي عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وحسره بالمسالة وعن جابر رضي الله عنه بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة يظهر فعد الينا فذهب الى امه فقالت له قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه فاعطاه وقعد عريانا واذن بلال رضي الله عنه وانتظروا فلم يخرج للصلاة وقيل اعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وعيينة بن حصن فجاء عباس بن مرداس وانشا يقول

جالس

اتجعل نهبي ونهب العبيد ... بين عيينة والاقرع
وما كان حصن ولا حابس ... يفوقان جدي في مجمع
وما كنت دون امرئ منهما ... ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال يا ابا بكر اقطع لسانه عني اعطه مائة من الابل فنزلت ثم سلي رسول الله صلى الله عليه وسلم
عما كان يرهقه من الاضاقة بان ذلك ليس لهوان منك عليه ولا لبخل به عليك ولكن لان مشيئته
في بسط الارزاق وقدرها تابعة للحكمة والمصلحة فقال ان ربك يبسط الرزق لمن
يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا ويجوز ان يريد ان القبض والبسط انما هما في امر
الله الذي تخزائنه لا يفنى فاما العبيد فعليهم ان يقتصدوا ويحتمل انه عز وجل بسط لعباده او
قبض فانه يراعي وسط الحالين لا يبلغ بالمبسوط له غاية مراده ولا بالمقبوض عليه اقصى مكروهه
فاستنوا بسنته ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطئا
كبيرا قتلهم اولادهم هو وادهم بناتهم كانوا يئدونهن خشية الفاقة وهي الاملاق فنهاهم الله تعالى
وضمن لهم ارزاقهم قرئ خشية بكسر الخاء وقرئ خطأ وهو الاثم يقال خطئ خطأ كأثم اثما
وخطأ وهو ضد الصواب اسم من اخطأ وقيل هو الخطا كالحذر والحذر وخطاء بالكسر والمد
وخطا بالفتح والمد وخطا بالفتح والسكون وعن الحسن خطاء بالفتح وحذف الهمزة كالخب وعن
ابي رجاء بكسر الخاء غير مهموز ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة قبيحة زائدة على حد القبح وساء
سبيلا وبئس طريقا طريقه وهو ان تغصب على غيرك امرأته او اخته او بنته من غير سبب
والسبب ممكن وهو الصهر الذي شرعه الله ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق الا باحدى
ثلاث الا بان تكفر او تقتل مؤمنا عمدا او تزني بعد احصان ومن قتل مظلوما غير راكب
واحدة منهن فقد جعلنا لوليه الذي بينه وبينه قرابة توجب المطالبة بدمه فان لم يكن ولي
فالسلطان وليه سلطانا تسلطا على القاتل في الاقتصاص منه او حجة يثبت بها عليه فلا
يسرف في القتل الضمير للولي اي فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية
كان اذا قتل منهم واحد قتلوا به جماعة حتى قال مهلهل حين قتل بجير بن الحارث بن عباد
بؤ بشسع نعل كليب وقال كل قتيل في كليب غرة حتى ينال القتل آل مرة وكانوا يقتلون
غير القاتل اذا لم يكن بواء وقيل الاسراف المثلة وقرأ ابو مسلم صاحب الدولة فلا يسرف
بالرفع على انه خبر في معنى الامر وفيه مبالغة ليست في الامر وعن مجاهد ان الضمير للقاتل
الاول وقرئ فلا تسرف على خطاب الولي او قاتل المظلوم وفي قراءة ابي رضي الله عنه فلا
تسرفوا رده على ولا تقتلوا انه كان منصورا الضمير اما للولي يعني حسبه ان الله قد نصره
بان اوجب له القصاص فلا يستزد على ذلك وبان الله قد نصره بمعونة السلطان وباظهار المؤمنين
على استيفاء الحق فلا يبغ ما وراء حقه واما للمظلوم لان الله ناصره حيث اوجب القصاص بقتله
وينصره في الآخرة بالثواب واما للذي يقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله فانه منصور بايجاب
القصاص على المسرف ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن بالخصلة او الطريقة التي هي احسن
وهي حفظه عليه وتثميره حتى يبلغ اشده واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا اي مطلوبا
يطلب من العاهد ان لا يضيعه ويفي به ويجوز ان يكون تخييلا كانه يقال للعهد لم نكثت
وهلا وفي بك تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت ويجوز ان يراد ان صاحب
العهد كان مسؤولا واوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم قرئ بالقسطاس بالضم
والكسر وهو القرسطون وقيل كل ميزان صغر او كبر من موازين الدراهم وغيرها ذلك خير واحسن
تاويلا واحسن عاقبة وهو تفعيل من آل اذا رجع وهو ما يؤول اليه ولا تقف ولا تتبع ما ليس لك به
علم وقرئ ولا تقف يقال قفا اثره وقافه ومنه القافة يعني ولا تكن في اتباعك ما لا علم
لك به من قول او فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري انه يوصله الى مقصده فهو ضال والمراد النهي عن
ان يقول الرجل ما لا يعلم وان يعمل بما لا يعلم ويدخل فيه النهي عن التقليد دخولا ظاهرا لانه
اتباع لما لا يعلم صحته من فساده وعن ابن الحنفية شهادة الزور وعن الحسن لا تقف اخاك المسلم
اذا مر بك فتقول هذا يفعل كذا ورايته يفعل وسمعته ولم تره ولم تسمع وقيل القفو شبيه
بالعضيهة ومنه الحديث من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى
ياتي بالمخرج وانشد ومثل الدمى شم العرانين ساكن بهن الحياء لا يشعن التقافيا

ولا ارى

وقال الكميت

ولا ارمي البريء بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان قفينا

وقد استدل به مبطل الاجتهاد ولم يصح
لان ذلك نوع من العلم فقد اقام الشرع غالب الظن مقام العلم وامر بالعمل به ان السمع والبصر والفؤاد
كل اولئك اشارة الى السمع والبصر والفؤاد كقوله والعيش بعد اولئك الايام وعنه في موضع
الرفع بالفاعلية اي كل واحد منها كان عنه مسؤولا كان مسؤولا عنه فمسؤول مسند الى الجار والمجرور
كالمغضوب في قوله غير المغضوب عليهم يقال للانسان لم سمعت ما لم يحل لك سماعه ولم نظرت
الى ما لم يحل لك النظر اليه ولم عزمت على ما لم يحل لك العزم عليه وقرئ والفواد بفتح الفاء والواو
وقلب الهمزة واوا بعد الضمة في الفؤاد ثم استصحب القلب مع الفتح ولا تمش في الارض
مرحا حال اي ذا مرح وقرئ مرحا وفضل الاخفش المصدر على اسم الفاعل لما فيه من
التاكيد انك لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطأتك وقرئ لن تخرق
بضم الراء ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال كل ذلك كان سيئه عند ربك
مكروها قرئ سيئة وسيئه على اضافة سيء الى ضمير كل وسيئا في بعض المصاحف وسيئات
وفي قراءة ابي بكر الصديق رضي الله عنه كان شانه فان قلت كيف قيل سيئة مع
قوله مكروها قلت السيئة في حكم الاسماء بمنزلة الذنب والاثم زال عنه حكم
الصفات فلا اعتبار بتانيثه ولا فرق بين من قرأ سيئة وبين من قرأ سيئا الا ترى انك تقول
الزنى سيئة كما تقول السرقة سيئة فلا تفرق بين اسنادها الى مذكر ومؤنث فان قلت
فان في تلك الخصال بعضها سيء وبعضها حسن ولذلك قرأ من قرأ سيئه بالاضافة فما وجه من
قرأ سيئة قلت كل ذلك احاطة بما نهي عنه خاصة لا بجميع الخصال المعدودة ذلك
اشارة الى ما تقدم من قوله لا تجعل مع الله الها آخر الى هذه الغاية مما اوحى اليك ربك
من الحكمة وسماه حكمة لانه كلام محكم لا مدخل فيه للفساد بوجه وعن ابن عباس هذه
الثماني عشرة آية كانت في الواح موسى اولها لا تجعل مع الله الها آخر قال الله تعالى
وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا وهي عشر آيات في التوراة ولا تجعل
مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا ولقد جعل الله عز وجل فاتحتها وخاتمتها النهي عن
الشرك لان التوحيد رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه حكمه وعلومه وان بذ فيها
الحكماء وحك بيافوخه السماء وما اغنت عن الفلاسفة اسفار الحكم وهم عن دين الله اضل من
النعم افاصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا افاصفاكم ربكم خطاب للذين قالوا
الملائكة بنات الله والهمزة للانكار يعني افخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بافضل الاولاد
وهم البنون لم يجعل فيهم نصيبا لنفسه واتخذ ادونهم وهي البنات وهذا خلاف
الحكمة وما عليه معقولكم وعادتكم فان العبيد لا يؤثرون باجود الاشياء واصفاها من الشوب
ويكون اردأها وادونها للسادات انكم لتقولون قولا عظيما باضافتكم اليه الاولاد وهي
خاصة بالاجسام ثم بانكم تفضلون عليه انفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بان تجعلوا
الملائكة وهم اعلى خلق الله واشرفهم دون خلق الله وهم الاناث ولقد صرفنا في هذا القران
يجوز ان يريد بهذا القران ابطال اضافتهم الى الله البنات لانه مما صرفه وكرره والمعنى
ولقد صرفنا القول في هذا المعنى واوقعنا التصريف فيه وجعلناه مكانا للتكرير ويجوز
ان يشير بهذا القران الى التنزيل ويريد ولقد صرفناه يعني هذا المعنى في مواضع من
التنزيل فترك الضمير لانه معلوم وقرئ صرفنا بالتخفيف وكذلك ليذكروا قرئ مشددا
ومخففا اي كررناه ليتعظوا ويعتبروا ويطمئنوا الى ما يحتج به عليهم وما يزيدهم الا نفورا عن
الحق وقلة طمأنينة اليه وعن سفيان رضي الله عنه كان اذا قرأها قال زادني لك خضوعا
ما زاد اعداءك نفورا قل لو كان معه آلهة كما تقولون قرئ كما يقولون بالتاء والياء واذن دالة
على ان ما بعدها وهو لابتغوا جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو ومعنى لابتغوا الى ذي
العرش سبيلا لطلبوا الى من له الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع
بعض كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل لتقربوا اليه كقوله اولئك الذين يدعون

يبتغون الى ربهم الوسيلة سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا علوا في معنى تعاليا والمراد البراءة
من ذلك والنزاهة ومعنى وصف العلو بالكبر المبالغة في معنى البراءة والبعد مما وصفوه به تسبح
له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم المراد انها
تسبح له بلسان الحال حيث تدل على الصانع وعلى قدرته وحكمته فكانها تنطق بذلك وكانها تنزه الله
مما لا يجوز عليه من الشركاء وغيرها فان قلت فما تصنع بقوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم
وهذا التسبيح مفقوه معلوم قلت الخطاب للمشركين وهم وان كانوا اذا سئلوا عن
خالق السموات والارض قالوا الله الا انهم لما جعلوا معه الهة مع اقرارهم فكانهم لم ينظروا
ولم يقروا لان نتيجة النظر الصحيح والاقرار الثابت خلاف ما كانوا عليه فاذن لم يفقهوا التسبيح
ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق فان قلت من فيهن يسبحون على الحقيقة وهم الملائكة
والثقلان وقد عطفوا على السموات والارض فما وجهه قلت التسبيح المجازي
حاصل في الجميع فوجب الحمل عليه والا كانت الكلمة الواحدة في حالة واحدة محمولة على الحقيقة والمجاز
انه كان حليما غفورا حين لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء نظركم وجهلكم بالتسبيح وشرككم
واذا قرأت القران جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا ذا ستر كقولهم
سيل مفعم ذو افعام وقيل هو حجاب لا يرى فهو مستور ويجوز ان يراد انه حجاب من دونه حجاب
او حجب فهو مستور بغيره او حجاب يستر ان يبصر فكيف يبصر المحتجب به وهذه حكاية لما كانوا
يقولونه وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب كانه قال واذا
قرأت القران جعلنا على زعمهم وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا ان يفقهوه
كراهة ان يفقهوه او لان قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة فيه معنى المنع من الفقه فكانه قيل ومنعناهم
ان يفقهوه واذا ذكرت ربك في القران وحده ولوا على ادبارهم نفورا يقال وحد يحد وحدا وحدة
نحو وعد يعد وعدا وعدة ووحده من باب رجع عوده على بدئه وافعله جهدك وطاقتك في انه
مصدر ساد مسد الحال اصله يحد وحده بمعنى واحدا وحده والنفور مصدر بمعنى التولية
او جمع نافر كقاعد وقعود اي يحبون ان تذكر معه الهتهم لانهم مشركون فاذا سمعوا بالتوحيد
نفروا نحن اعلم بما يستمعون به من الهزء بك وبالقران ومن اللغو كان يقوم عن يمينه اذا قرأ رجلان
من عبد الدار ورجلان منهم عن يساره فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار
وبه في موضع الحال كما تقول يستمعون بالهزء اي هازئين واذ يستمعون اليك نصب
باعلم اي اعلم وقت استماعهم بما به يستمعون وبما يتناجون به اذ هم ذوو نجوى
اذ يقول الظالمون بدل من اذ هم ان تتبعون الا رجلا مسحورا سحر فجن وقيل هو من السحر وهو
الرئة اي هو بشر مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون
فضلوا في جميع ذلك ضلال من يطلب في التيه طريقا يسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير في امره
لا يدري ما يصنع كما قال فلا يستطيعون سبيلا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون
خلقا جديدا قل كونوا حجارة او حديدا لما قالوا ائذا كنا عظاما قيل لهم كونوا حجارة او حديدا فرد قوله
كونوا على قولهم كنا كانه قيل كونوا حجارة او حديدا ولا تكونوا عظاما فانه يقدر على احيائكم والمعنى
انكم تستبعدون ان يجدد الله خلقكم ويرده الى حال الحياة والى رطوبة الحي وغضاضته بعد
ما كنتم عظاما يابسة مع ان العظام بعض اجزاء الحي بل هي عمود خلقه الذي يبنى عليه سائره
فليس ببدع ان يردها الله بقدرته الى الحالة الاولى ولكن لو كنتم ابعد شيء من الحياة ورطوبة
الحي ومن جنس ما ركب منه البشر وهو ان تكونوا حجارة يابسة او حديدا مع ان طباعها الجسا
والصلابة لكان قادرا على ان يردكم الى حال الحياة او خلقا مما يكبر في صدوركم يعني او خلقا مما
يكبر عندكم عن قبول الحياة ويعظم في زعمكم على الخالق احياؤه فانه يحييه وقيل ما يكبر
الموت وقيل السموات والارض فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة فسينغضون
اليك رؤوسهم فيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا
يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده الدعاء والاستجابة كلاهما مجاز والمعنى يوم يبعثكم فتنبعثون

مطاوعين منقادين لا تمتنعون وقوله بحمده حال منهم اي حامدين وهي مبالغة في انقيادهم للبعث كقولك لمن
تأمره بركوب ما يشق عليه فيتأبى ويمتنع ستركبه وانت حامد شاكر تعني انك تحمل عليه وتقسر قسرا
حتى انك تلين لين المسمح الراغب فيه الحامد عليه وعن سعيد بن جبير ينفضون التراب عن رؤوسهم
ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك وتظنون ان لبثتم الا قليلا وترون الهول فعند ذلك تستقصرون
مدة لبثكم في الدنيا وتحسبونها يوما او بعض يوم وعن قتادة رحمه الله تحاقرت الدنيا في انفسهم حين
عاينوا الاخرة وقل لعبادي وقل للمؤمنين يقولوا للمشركين الكلمة التي هي احسن والين ولا يخا يشتموهم
كقوله وجادلهم بالتي هي احسن وفسر التي هي احسن بقوله ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ
يعذبكم يعني يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم انكم من اهل النار وانكم معذبون
وما اشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر وقوله ان الشيطان ينزغ بينهم اعتراض بمعنى يلقي
بينهم الفساد ويغري بعضهم على بعض ليقع بينهم المشارة والمشاقة ان الشيطان كان للانسان
عدوا مبينا ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم وما ارسلناك عليهم وكيلا اي ربا موكولا
اليك امرهم تقسرهم على الاسلام وتجبرهم عليه وانما ارسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك
بالمداراة والاحتمال وترك المحاقة والمكاشفة وذلك قبل نزول اية السيف وقيل نزلت في عمر
رضي الله عنه شتمه رجل فامره الله بالعفو وقيل افرط ايذاء المشركين للمسلمين فشكوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل الكلمة التي هي احسن ان يقولوا يهديكم الله يرحمكم الله وقرأ طلحة
ينزغ بالكسر وهما لغتان نحو يعرشون ويعرشون هو رد على اهل مكة في انكارهم واستبعادهم
ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه كصهيب وبلال وخباب وغيرهم دون ان
يكون ذلك في بعض اكابرهم وصناديدهم يعني وربك اعلم بمن في السموات والارض وباحوالهم
وبمقاديرهم وبما يستاهل كل واحد منهم وقوله ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض اشارة الى
تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله واتينا داود زبورا دلالة على وجه تفضيله وهو
انه خاتم الانبياء وان امته خير الامم لان ذلك مكتوب في زبور داود قال الله تعالى ولقد كتبنا
في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون وهم محمد وامته فان قلت
هلا عرف الزبور كما عرف في قوله ولقد كتبنا في الزبور قلت يجوز ان يكون الزبور
وزبور كالعباس وعباس والفضل وفضل وان يريد واتينا داود بعض الزبر وهي الكتب وان
يريد ما ذكر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الزبور فسمى ذلك زبورا لانه بعض الزبور كما سمي
بعض القران قرانا قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا هم الملائكة
وقيل عيسى بن مريم وعزير وقيل نفر من الجن عبدهم ناس من العرب ثم اسلم الجن ولم يشعروا اي
ادعوهم فهم لا يستطيعون ان يكشفوا عنكم الضر من مرض او فقر او عذاب ولا ان يحولوه من
واحد الى اخر او يبدلوه اولئك مبتدأ والذين يدعون صفته ويبتغون خبره يعني ان الهتهم
اولئك يبتغون الى ربهم الوسيلة وهي القربة الى الله عز وجل ايهم بدل من واو يبتغون
واي موصولة اي يبتغي من هو اقرب منهم وازلف الوسيلة الى الله فكيف بغير الاقرب او
ضمن يبتغون معنى يحرصون فكانه قيل يحرصون ايهم يكون اقرب الى الله تعالى وذلك بالطاعة
وازدياد الخير والصلاح ويرجون رحمته ويخافون عذابه كما غيرهم من عباد الله فكيف يزعمون
انهم الهة ان عذاب ربك كان محذورا كان حقيقا بان يحذره كل احد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا
عن غيرهم وان من قرية الا نحن مهلكوها بالموت والاستئصال قبل يوم القيامة او معذبوها بالقتل
وانواع العذاب عذابا شديدا وقيل الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة وعن مقاتل وجدت
في كتب الضحاك بن مزاحم في تفسيرها اما مكة فيخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة
بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف واما خراسان فعذابها ضروب ثم ذكرها
بلدا بلدا كان ذلك في الكتاب في اللوح المحفوظ مسطورا وما منعنا ان نرسل بالايات استعير
المنع لترك ارسال الايات من اجل صارف الحكمة وان الاولى منصوبة والثانية مرفوعة تقديره وما منعنا
ارسال الايات الا ان كذب بها الاولون والمراد الايات التي اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبا ومن احياء الموتى

وغير ذلك وعادة الله في الامم ان من اقترح منهم آية فاجيب اليها ثم لم يومن ان يعاجل بعذاب الاستيصال
فالمعنى وما صرفنا عن ارسال ما يقترحونه من الايات الا ان كذب بها الاولون الذين هم امثالهم من
المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك وقالوا هذا سحر مبين كما يقولون
في غيرها واستوجبوا العذاب المستاصل وقد عزمنا ان نوخر امر من بعثت اليهم الى يوم القيمة وآتينا
ثمود الناقة ثم ذكر من تلك الايات التي اقترحها الاولون ثم كذبوا بها لما ارسلت فاهلكوا واحدة وهي
ناقة صالح لان اثار هلاكهم في بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم مبصرة
بينة وقرئ مبصرة بفتح الميم فظلموا بها فكفروا بها وما نرسل بالايات ان اراد بها الايات المقترحة
فالمعنى لا نرسلها الا تخويفا من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له فان لم يخافوا
وقع عليهم وان اراد غيرها فالمعنى وما نرسل ما نرسل من الايات كايات القران وغيرها الا
تخويفا وانذارا بعذاب الاخرة واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس واذ قلنا لك ان ربك احاط
بالناس واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بقريش يعني بشرناك بوقعة بدر وبالنصرة عليهم
وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون وغير ذلك فجعله
كان قد كان ووجد فقال احاط بالناس على عادته في اخباره وما جعلنا الرويا التي اريناك
الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القران ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا وحين تزاحف
الفريقان يوم بدر ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش مع ابي بكر رضي الله عنه كان يدعو
ويقول اللهم اني اسالك عهدك ووعدك ثم خرج وعليه الدرع يحرض الناس ويقول سيهزم الجمع
ويولون الدبر ولعل الله تعالى اراه مصارعهم في منامه فقد كان يقول حين ورد ماء بدر والله لكاني
انظر الى مصارع القوم وهو يومي الى الارض ويقول هذا مصرع فلان فتسامعت قريش بما اوحي تقول هذا مصرع فلان صح
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من امر بدر وما ارى في منامه من مصارعهم فكانوا يضحكون
ويسخرون ويستعجلون به استهزاء وحين سمعوا بقوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم
جعلوها سخرية وقالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر وما
قدروا الله حق قدره من قال ذلك وما انكروا ان يجعل الله الشجرة من جنس لا تاكله
النار فهذا وبر السمندل وهو دويبة ببلاد الترك تتخذ منه مناديل اذا اتسخت طرحت
في النار فذهب الوسخ وبقي المنديل سالما لا تعمل فيه النار وترى النعامة تبتلع الجمر وقطع
الحديد المحمى كالجمر باحماء النار فلا تضرها ثم اقرب من ذلك انه خلق في كل شجرة نارا فلا تحرقها
فما انكروا ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها والمعنى ان الايات انما نرسل بها تخويفا للعباد وهولاء
قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر فما كان ما اريناك منه في منامك بعد الوحي اليك
الا فتنة لهم حيث اتخذوه سخريا وخوفوا بعذاب الاخرة وبشجرة الزقوم فما اثر فيهم ثم قال
ونخوفهم اي نخوفهم بمخاوف الدنيا والاخرة فما يزيدهم التخويف الا طغيانا كبيرا فكيف
يخاف قوم هذه حالهم بارسال ما يقترحون من الايات وقيل الرويا هي الاسراء وبه تعلق
من يقول كان الاسراء في المنام ومن قال كان في اليقظة فسر الرويا بالرؤية وقيل
انما سماها رويا على قول المكذبين حيث قالوا له لعلها رويا رايتها وخيال خيل اليك استبعادا
منهم كما سمى اشياء باساميها عند الكفرة نحو قوله فراغ الى الهتهم اين شركاي ذق انك انت
العزيز الكريم وقيل هي رؤياه انه سيدخل مكة وقيل راى في المنام ان ولد الحكم يتداولون
منبره كما يتداول الصبيان الكرة فان قلت اين لعنت شجرة الزقوم
قلت لعنت حيث لعن طاعموها من الكفرة والظلمة لان الشجرة لا ذنب لها حتى
تلعن على الحقيقة وانما لعنت وصفت صحابها على المجاز وقيل وصفها الله باللعن لان اللعن
الابعاد من الرحمة وهي في اصل الجحيم في ابعد مكان من الرحمة وقيل تقول العرب لكل طعام
مكروه ضار ملعون وسالت بعضهم فقال نعم الطعام الملعون القشب الممحوق وعن
ابن عباس رضي الله عنهما هي الكشوث التي تلتوي بالشجر يجعل في الشراب وقيل هي
الشيطان وقيل ابو جهل وقرئ والشجرة الملعونة بالرفع على انها مبتدا محذوف الخبر كانه

بن

قيل والشجرة الملعونة في القران كذلك واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس قال
ءاسجد لمن خلقت طينا طينا حال اما من الموصول والعامل فيه اسجد على ءاسجد له وهو طين
اي اصله طين او من الراجع اليه من الصلة على ءاسجد لمن كان في وقت خلقه طينا قال ارايتك
هذا الذي كرمت علي ارايتك الكاف للخطاب وهذا مفعول به والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته
علي اي فضلته لم كرمته علي وانا خير منه فاختصر الكلام بحذف ذلك ثم ابتدا فقال لئن اخرتن
الى يوم القيمة واللام موطئة للقسم المحذوف لاحتنكن ذريته الا قليلا لاستاصلنهم بالاغواء
من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا وهو من الحنك ومنه ما ذكر سيبويه من قولهم احنك
الشاتين اي اكلهما فان قلت من اين علم ان ذلك يتسهل له وهو من الغيب قلت
اما ان سمعه من الملائكة وقد اخبرهم الله به او خرجه من قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك
الدماء او نظر اليه فتوسم في مخايله انه خلق شهواني وقيل قال ذلك لما علمت وسوسته في ادم
والظاهر انه قال ذلك قبل اكل ادم من الشجرة اذهب ليس من الذهاب الذي هو نقيض المجي قال
وانما معناه امض لشانك الذي اخترته خذلانا وتخلية وعقبه بذكر ما جره سوء اختياره في قوله سو
فمن تبعك منهم فان جهنم جزاوكم جزاء موفورا كما قال موسى عليه السلام للسامري فاذهب فان لك
في الحيوة ان تقول لا مساس فان قلت اما كان من حق الضمير في جزاوكم ان يكون
على لفظ الغيبة ليرجع الى من تبعك قلت بلى ولكن التقدير فان جهنم جزاوهم
وجزاوك ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل جزاوكم ويجوز ان يكون للتابعين على طريق الالتفات
وانتصب جزاء موفورا بما في فان جهنم جزاوكم من معنى تجازون او باضمار تجازون او على
الحال لان الجزاء موصوف بالموفور والموفور الموفر فر لصاحبك عرضه فرة واستفزز من يقال
استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد استفزه
استخفه والفز الخفيف واجلب من الجلبة وهو الصياح والخيل الخيالة ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل ونظيره الركب والصحب وقرئ ورجلك على ان فعلا بمعنى
فاعل نحو تعب وتاعب ومعناه وجمعك الرجل وتضم جيمه ايضا فيكون مثل حدث وحدث
وندس وندس واخوات لهما يقال رجل رجل اي راجل وقرئ ورجالك ورجالك فان
قلت ما معنى استفزاز ابليس بصوته واجلابه بخيله ورجله قلت
هو كلام ورد مورد التمثيل مثلت حاله في تسلطه على من يغويه بمغوار اوقع على قوم فصوت
بهم صوتا يستفزهم من اماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم واجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة
حتى استاصلهم وقيل بصوته بدعائه الى الشر وخيله ورجله كل راكب وماش من اهل العيث
وقيل يجوز ان يكون لابليس خيل ورجال واما المشاركة في الاموال والاولاد فكل معصية
يحملهم عليها في بابهما كالربا والمكاسب المحرمة والبحيرة والسائبة والانفاق في الفسوق
والاسراف ومنع الزكوة والتوصل الى الاولاد بالسبب الحرام ودعوى ولد بغير سبب والتسمية
بعبد العزى وعبد الحرث والتهويد والتنصير والحمل على الحرف الذميمة والاعمال المحظورة
وغير ذلك وعدهم المواعيد الكاذبة من شفاعة الالهة والكرامة على الله بالانساب
الشريفة وتسويف التوبة ومغفرة الذنوب بدونها والاتكال على الرحمة وشفاعة الرسول
في الكباير والخروج من النار بعد ان يصيروا حمما وايثار العاجل على الاجل وما يعدهم الشيطان
الا غرورا ان عبادي يريد الصالحين ليس لك عليهم سلطان اي لا تقدر ان تغويهم
وكفى بربك وكيلا لهم يتوكلون به في الاستعاذة منك ونحوه قوله الا عبادك منهم المخلصين
فان قلت كيف جاز ان يامر الله تعالى ابليس ان يتسلط على عباده مغويا
مضلا داعيا الى الشر صادا عن الخير قلت هو من الاوامر الواردة على سبيل
الخذلان والتخلية كما قال تعالى للعصاة اعملوا ما شئتم ربكم الذي يزجي يجري ويسير
لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيما واذا مسكم الضر والضر خوف الغرق
في البحر ضل من تدعون الا اياه ذهب عن اوهامكم وخواطركم كل من تدعونه في حوادثكم الا اياه

وحده فإنكم لا تذكرون سواه ولا تدعونه في ذلك الوقت ولا تعتقدون رحمة رجائكم ولا تخطرون
ببالكم أن غيره يقدر على إغاثتكم أو لو يهتدي لإنقاذكم أحد غيره من سائر المدعوين ويجوز أن يراد
ضل من تدعون من الآلهة عن إغاثتكم ولكن الله وحده هو الذي ترجونه وهو على الاستثناء المنقطع
فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر الهمزة للإنكار
والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فأمنتم فحملكم ذلك على الإعراض فإن قلت
بم انتصب جانب البر قلت بيخسف مفعولا به كالأرض في قوله فخسفنا به
وبداره الأرض وبكم حال والمعنى أن يخسف جانب البر أي يقلبه وأنتم عليه فإن قلت
فما معنى ذكر الجانب قلت معناه أن الجوانب والجهات كلها في قدرته سواء وله
في كل جانب برا كان أو بحرا سبب مرصد من أسباب الهلكة ليس جانب البحر وحده مختصا
بذلك بل إن كان الغرق في جانب البحر ففي جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لأنه تغييب
تحت التراب كما أن الغرق تغييب تحت الماء فالبحر والبر عنده سيان يقدر في البر على نحو
ما يقدر عليه في البحر فعلى العاقل أن يستوي خوفه من الله في جميع الجوانب وحيث كان
أو يرسل عليكم حاصبا وهي الريح التي تحصب أي ترمي بالحصباء يعني وإن لم يصبكم
بالهلاك من تحتكم بالخسف أصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء يرجمكم بها
فيكون أشد عليكم من الغرق في البحر ثم لا تجدون لكم وكيلا من يتوكل بصرف ذلك عنكم
أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح أم أمنتم أن يقوي
دواعيكم ويوفر حوائجكم إلى أن ترجعوا فتركبوا البحر الذي نجاكم منه فأعرضتم فينتقم منكم
بأن يرسل عليكم قاصفا وهي الريح التي لها قصيف وهو الصوت الشديد كأنها تتقصف
أي تتكسر وقيل التي لا تمر بشيء إلا قصفته فيغرقكم وقرئ بالتاء أي الريح وبالنون وكذلك قرأت
نخسف ونرسل ونعيدكم بالياء والنون بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم به علينا تبيعا التبيع
المطالب من قوله فاتباع بالمعروف أي مطالبة قال الشماخ * كما لاذ الغريم من التبيع *
يقال فلان على فلان تبيع بحقه أي مسيطر عليه مطالب له بحقه والمعنى أنا نفعل
بهم ما نفعل ثم لا تجد أحدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا للثأر من جهتنا وهذا
نحو قوله ولا يخاف عقباها بما كفرتم بكفرانكم النعمة بإعراضكم حين نجاكم ولقد
كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات قيل في تكرمة ابن آدم
كرمه الله بالعقل والنطق والتمييز والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير
أمر المعاش والمعاد وقيل بتسليطهم على ما في الأرض وتسخيره لهم وقيل كل شيء يأكل
بفيه إلا ابن آدم وعن الرشيد أنه أحضر طعاما فدعا بالملاعق وعنده أبو يوسف رحمة
الله عليه فقال له جاء في تفسير جدك ابن عباس رضي الله عنه قوله تعالى ولقد كرمنا
بني آدم جعلنا لهم أصابع يأكلون بها فأحضرت الملاعق فردها وأكل بأصابعه وفضلناهم
على كثير ممن خلقنا هو ما سوى الملائكة وحسب بني آدم تفضيلا أن ترفع عليهم الملائكة
وهم هم ومنزلتهم عند الله منزلتهم والعجب من المجبرة كيف عكسوا في كل شيء وكابروا حتى
جسرتهم عادة المكابرة على العظيمة التي هي تفضيل الإنسان صلوات الله عليهم على الملك
وذلك بعدما سمعوا تفخيم الله تعالى أمرهم وتكثيره مع التعظيم ذكرهم وعلموا أين أسكنهم
وأنى قربهم وكيف نزلهم من أنبيائه منزلة أنبيائه من أممهم ثم جرهم فرط التعصب عليهم
إلى أن لفقوا أقوالا وأخبارا منها قالت الملائكة ربنا إنك أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون
منها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فأعطناه في الآخرة فقال وعزتي وجلالي لا أجعل ذرية
من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان ورووا عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال المؤمن أكرم
على الله من الملائكة الذين عنده ومن ارتكابهم أنهم فسروا كثيرا بمعنى جميع في هذه الآية
وخذلوا حتى سلبوا الذوق فلم يحسوا ببشاعة قولهم وفضلناهم على جميع ممن خلقنا
على أن معنى قولهم على جميع من خلقنا أشجى لحلوقهم وأقذى لعيونهم ولكنهم لا يشعرون فانظر

إلى تمحلهم وتشبثهم بالتأويلات البعيدة في عداوة الملأ الأعلى كأن جبريل عليه السلام غاظهم حين أهلك مدائن لوط
فتلك السخيمة لا تنحل عن قلوبهم يوم ندعو كل أناس قرئ يدعو بالياء والنون ويدعى كل أناس
على البناء للمفعول وقرأ الحسن يدعو على قلب الألف واوا في لغة من يقول أفعو في أفعى
بإضمار اذكر ويجوز أن يقال إنها علامة الجمع كما في وأسروا النجوى الذين ظلموا والرفع مقدر كما في
يدعى ولم يؤت بالنون قلة مبالاة بها لأنها غير ضمير ليست إلا علامة بإمامهم بمن ائتموا به من نبي أو
مقدم في الدين أو كتاب أو دين فيقال يا أتباع فلان يا أهل دين كذا أو كتاب كذا وقيل بكتاب أعمالهم
فيقال يا أصحاب كتاب الخير ويا أصحاب كتاب الشر وفي قراءة الحسن رحمه الله بكتابهم ومن
بدع التفاسير أن الإمام جمع أم وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم وأن الحكمة بالرعاية في الأمهات
دون الآباء رعاية حق عيسى بن مريم وإظهار شرف الحسن والحسين رضي الله عنهما وأن لا يفتضح
أولاد الزنى وليت شعري أيهما أبدع أصحة لفظه أم بهاء حكمته فمن أوتي من هؤلاء المدعوين كتابه
بيمينه فأولئك يقرؤون كتابهم قيل أولئك لأن من أوتي في معنى الجمع فإن قلت
لم خص أصحاب اليمين بقراءة كتابهم كأن أصحاب الشمال لا يقرؤون كتابهم قلت
بلى ولكنهم إذا اطلعوا على ما في كتابهم أخذهم ما يأخذ المطالب بالنداء على جناياته والاعتراف بمساويه
أمام التنكيل به والانتقام منه من الحياء والخجل والانخزال وحبسة اللسان والتتعتع والعجز
عن إقامة حروف الكلام والذهاب عن تسوية القول فكأن قراءتهم كلا قراءة وأما أصحاب اليمين
فأمرهم على عكس ذلك لا جرم أنهم يقرؤون كتابهم أحسن قراءة وأبينها ولا يقنعون بقراءتهم
وحدهم حتى يقول القارئ لأهل المحشر هاؤم اقرؤوا كتابيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون
من ثوابهم أدنى شيء كقوله ولا يظلمون شيئا فلا يخاف ظلما ولا هضما ومن كان في هذه أعمى
معناه ومن كان في الدنيا أعمى فهو في الآخرة أعمى كذلك وأضل سبيلا من الأعمى والأعمى مستعار
ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدي إلى طريق النجاة أما في الدنيا فلفقد النظر
وأما في الآخرة فإنه لا ينفع الاهتداء إليه وقد جوزوا أن يكون الثاني بمعنى التفضيل ومن ثم قرأ أبو
عمرو الأول ممالا والثاني مفخما لأن أفعل التفضيل تمامه بمن فكانت ألفه في حكم الواقعة في وسط
الكلام كقولك أعمالكم وأما في الأول فلم يتعلق به شيء فكانت ألفه واقعة في الطرف معرضة للإمالة
روي أن ثقيفا قالت للنبي صلى الله عليه وسلم لا ندخل في أمرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على
العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو
موضوع عنا وأن تمتعنا باللات سنة ولا نكسرها بأيدينا عند رأس الحول وأن تمنع من قصد
وادينا وج فعضد شجره فإذا سألتك العرب لم فعلت ذلك فقل إن الله أمرني وجاؤوا بكتابهم
فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لثقيف لا يعشرون ولا يحشرون
فقالوا ولا يجبون فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للكاتب اكتب ولا يجبون والكاتب
ينظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فسل سيفه وقال
أسعرتم قلب نبينا يا معشر ثقيف أسعر الله قلوبكم نارا فقالوا لسنا نكلمك إنما نكلم محمدا
فنزلت وروي أن قريشا قالوا له اجعل آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة حتى نؤمن
بك فنزلت وإن كادوا ليفتنونك إن مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية
والمعنى أن الشأن قاربوا أن يفتنوك أي يخدعوك فاتنين عن الذي أوحينا إليك من أوامرنا
ونواهينا ووعدنا ووعيدنا لتفتري علينا غيره لتتقول علينا ما لم نقل يعني ما أرادوه عليه من
تبديل الوعد وعيدا والوعيد وعدا وما اقترحته ثقيف من أن يضيف إلى الله ما لم ينزل عليه
وإذا لاتخذوك أي ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا ولكنت لهم وليا ولخرجت من ولايتي
ولولا أن ثبتناك ولولا تثبيتنا لك وعصمتنا لقد كدت تركن إليهم لقاربت أن تميل إلى خدعهم
ومكرهم شيئا قليلا وهذا تهييج من الله له وفضل تثبيت وفي ذلك لطف للمؤمنين إذا
لو قاربت تركن إليهم أدنى ركنة لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات أي لأذقناك عذاب
الآخرة وعذاب القبر مضاعفين ثم لا تجد لك علينا نصيرا فإن قلت كيف حقيقة

هذا الكلام قلت اصله لاذقناك عذاب الحيوة وعذاب الممات لان العذاب عذابان عذاب
في الممات وهو عذاب القبر وعذاب في حيوة الاخرة وهو عذاب النار والضعف يوصف به نحو قوله فآتهم
عذابا ضعفا من النار بمعنى مضاعفا فكان اصل الكلام لاذقناك عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا
ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم اضيفت الصفة
اضافة الموصوف فقيل ضعف الحيوة وضعف الممات كما لو قيل لاذقناك اليم الحيوة واليم الممات
ويجوز ان يراد بضعف الحيوة عذاب الحيوة الدنيا وبضعف الممات ما يعقب الموت من عذاب القبر
وعذاب النار والمعنى لضاعفنا لك العذاب المعجل للعصاة في الحيوة الدنيا وما نؤخره لما
بعد الموت وفي ذكر الكيدودة وتقليلها مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في
الدارين دليل بين على ان القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شان فاعله وارتفاع منزلته ومن
ثم استعظم مشايخ العدل والتوحيد نسبة المجبرة القبائح الى الله عز وجل تعالى عن ذلك علوا كبيرا
وفيه دليل على ان ادنى مداهنة للغواة مضادة لله وخروج عن ولايته وسبب موجب لغضبه
ونكاله فعلى المؤمن اذا تلا هذه الاية ان يجثو عندها ويتدبرها فهي جديرة بالتدبر وبان
يستشعر الناظر فيها الخشية وازدياد التصلب في دين الله تعالى وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انها لما نزلت كان يقول اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين وان كادوا وان كاد اهل مكة ليستفزونك
ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم من الارض من ارض مكة ليخرجوك منها واذا لا يلبثون لا يبقون
خلفك بعد اخراجك الا زمانا قليلا فان الله مهلكهم وكان كما قال فقد اهلكوا ببدر بعد
اخراجه بقليل وقيل معناه ولو اخرجوك لاستوصلوا عن بكرة ابيهم ولم يخرجوه بل هاجر بامر
ربه وقيل من ارض العرب وقيل من ارض المدينة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر
حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم فاجتمعوا اليه وقالوا يا ابا القاسم ان الانبياء انما بعثوا بالشام
وهي بلاد مقدسة وكانت مهاجر ابراهيم عليه السلام فلو خرجت الى الشام لآمنا بك واتبعناك
وقد علمنا انه لا يمنعك من الخروج الا خوف الروم فان كنت رسول الله فالله مانعك منهم فعسكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم على اميال من المدينة وقيل بذي الحليفة حتى يجتمع اليه اصحابه
ويراه الناس عازما على الخروج الى الشام لحرصه على دخول الناس في دين الله فنزلت فرجع
فرجع وقرئ لا يلبثون وفي قراءة ابي لا يلبثوا على اعمال اذن فان قلت ما
وجه القراءتين قلت اما الشائعة فقد عطف فيها الفعل على الفعل وهو مرفوع
لوقوعه خبر كاد والفعل في خبر كاد واقع موقع الاسم واما قراءة ابي ففيها الجملة براسها التي
هي اذن لا يلبثوا عطف على جملة قوله ان كادوا ليستفزونك وقرئ خلافك قال الشاعر

عفت الديار خلافهم فكانما ٭ بسط الشواطب بينهن حصيرا

اي بعدهم سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا يعني ان كل قوم اخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم
فسنة الله ان يهلكهم ولا تجد لسنتنا تحويلا ونصب نصب المصدر المؤكد اي سن الله
ذلك سنة اقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل دلوك الشمس غروبها وقيل زوالها
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم اتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلى بي الظهر
واشتقاقه من الدلك لان الانسان يدلك عينه عند النظر اليها فان كان الدلوك الزوال
فالاية جامعة للصلوات الخمس وان كان الغروب فقد خرجت منها الظهر والعصر والغسق
الظلمة وهو وقت صلاة العشاء وقرآن الفجر صلاة الفجر سميت قرآنا وهو القراءة ليس
بركن ان قرآن الفجر كان مشهودا تشهده ملائكة الليل والنهار ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء
فهو في اخر ديوان الليل واول ديوان النهار او يشهده الكثير من المصلين في العادة ومن
حقه ان يكون مشهودا بالجماعة الكثيرة ويجوز ان يكون وقرآن الفجر حثا على طول القراءة في
صلاة الفجر لكونها مكثورا عليها ليسمع الناس القرآن فيكثر الثواب ولذلك كانت الفجر
اطول الصلوات قراءة ومن الليل وعليك بعض الليل فتهجد به والتهجد ترك الهجود للصلاة
ونحوه التاثم والتحرج ويقال ايضا في النوم تهجد نافلة لك عبادة زائدة على الصلوات

٢ لاركن كما سميت ركوعا وسجودا وقنوتا
وهي حجة على ابن علية والاصم في زعمهما ان القراءة
صح

الخمس

الخمس ووضع نافلة موضع تهجدا لان التهجد عبادة زائدة فكان التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد
والمعنى ان التهجد زيد لك على الصلوات المفروضة فريضة عليك خاصة دون غيرك لانه تطوع لهم عسى
ان يبعثك ربك مقاما محمودا نصب على الظرف اي عسى ان يبعثك يوم القيمة فيقيمك مقاما محمودا
او ضمن يبعثك معنى يقيمك ويجوز ان يكون حالا بمعنى ان يبعثك ذا مقام محمود ومعنى المقام المحمود المقام
الذي يحمده القائم فيه وكل من رآه وعرفه وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد من انواع الكرامات وقيل المراد
الشفاعة وهي نوع واحد مما يتناوله وعن ابن عباس مقاما يحمدك فيه الاولون والاخرون وتشرف فيه
على جميع الخلائق تسال فتعطى وتشفع فتشفع ليس احد الا تحت لوائك وعن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم وهو المقام الذي اشفع فيه لامتي وعن حذيفة يجمع الناس في صعيد فلا تتكلم نفس
فاول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك
بين يديك وبك واليك لا ملجا ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فهذا
قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق
قرئ مدخل ومخرج بالضم والفتح بمعنى المصدر ومعنى الفتح ادخلني فادخل مدخل صدق اي ادخلني القبر
مدخل صدق ادخالا مرضيا على طهارة وطيب من السيئات واخرجني منه عند البعث اخراجا مرضيا ملقى
بالكرامة امنا من السخط يدل عليه ذكره على اثر ذكر البعث وقيل نزلت حين امر بالهجرة يريد ادخال
المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها بالفتح واخراجه منها امنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه
منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من عظيم الامر وهو النبوة واخراجه منه مؤديا لما كلفه من غير تفريط
وقيل الطاعة وقيل هو عام في كل ما يدخل فيه ويلابسه من امر ومكان واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا
حجة تنصرني على من خالفني او ملكا وعزا قويا ناصرا للاسلام على الكفر مظهرا له عليه فاجيبت دعوته
بقوله والله يعصمك من الناس الا ان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض
ووعده لينزعن ملك فارس والروم فيجعله له وعنه صلى الله عليه وسلم انه استعمل عتاب بن اسيد
على اهل مكة وقال انطلق فقد استعملتك على اهل الله فكان شديدا على المريب لينا على المؤمن وقال
لا والله لا اعلم متخلفا يتخلف عن الصلوة في جماعة الا ضربت عنقه فانه لا يتخلف عن الصلاة الا
منافق فقال اهل مكة يا رسول الله لقد استعملت على اهل الله عتاب بن اسيد اعرابيا جافيا فقال
صلى الله عليه وسلم اني رايت فيما يرى النائم كان عتاب بن اسيد اتى باب الجنة فاخذ بحلقة الباب فقلقلها
قلقالا شديدا حتى فتح له فدخلها فاعز الله به الاسلام لنصرته المسلمين على من يريد ظلمهم فذلك
السلطان النصير وقل جاء الحق كان حول البيت ثلاثمائة وستون صنما صنم كل قوم بحيالهم
وعن ابن عباس كانت لقبائل العرب اصنام يحجون اليها وينحرون لها فشكا البيت الى الله تعالى فقال
اي رب حتى متى تعبد هذه الاصنام حولي دونك فاوحى الله تعالى الى البيت اني ساحدث لك نوبة
جديدة فاملاك خدودا سجدا يدفون اليك دفيف النسور ويحنون اليك حنين الطير الى بيضها
لهم عجيج حولك بالتلبية ولما نزلت هذه الاية يوم الفتح قال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
خذ مخصرتك ثم القها فجعل ياتي صنما صنما وهو ينكت بالمخصرة في عينه ويقول جاء الحق وزهق
الباطل فينكب الصنم لوجهه حتى القاها جميعا وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر
فقال يا علي ارم به فحمله رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد فرمى به فكسره فجعل اهل مكة
يتعجبون ويقولون ما راينا رجلا اسحر من محمد ونكاية البيت والوحي اليه تمثيل وتخييل وزهق
الباطل وذهب وهلك من قولهم زهقت نفسه اذا خرجت والحق الاسلام والباطل الشرك
ان الباطل كان زهوقا كان مضمحلا غير ثابت في كل وقت وننزل قرئ بالتخفيف والتشديد
من القرآن من للتبيين كقوله من الاوثان او للتبعيض ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد
الظالمين الا خسارا اي كل شيء نزل من القرآن فهو شفاء للمؤمنين يزدادون به ايمانا ويستصلحون
به دينهم فموقعه منهم موقع الشفاء من المرضى وعن النبي صلى الله عليه وسلم من لم يستشف
بالقرآن فلا شفاه الله ولا يزداد به الكافرون الا خسارا اي نقصانا لتكذيبهم به وكفرهم كقوله
فزادتهم رجسا الى رجسهم واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله كانه

٢ وقيل ادخاله مكة صح

مستغن عنه مستبد بنفسه ونأى بجانبه تأكيد للإعراض عن الشيء أن يوليه عرض وجهه والنأي
بالجانب أن يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره وأراد الاستكبار لأن ذلك من عادة المستكبرين وإذا مسه
الشر من فقر أو مرض أو نازلة من النوازل كان يئوسا شديد اليأس من روح الله إنه لا ييأس من
روح الله إلا القوم الكافرون وقرئ وناء بجانبه بتقديم اللام على العين كقولهم راء في رأى ويجوز
أن يكون من ناء بمعنى نهض قل كل أي كل أحد يعمل على شاكلته أي على مذهبه وطريقته التي
تشاكل حاله في الهدى والضلالة من قولهم طريق ذو شواكل وهي الطرق التي تتشعب منه
والدليل عليه قوله فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا أي أسد مذهبا وطريقة ويسألونك
عن الروح الأكثر على أنه الروح الذي في الحيوان سألوه عن حقيقته فأخبر أنه من أمر الله أي مما
استأثر بعلمه وعن أبي بريدة لقد مضى النبي عليه السلام وما يعلم الروح وقيل هو خلق عظيم روحاني
أعظم من الملك وقيل هو جبريل عليه السلام وقيل القرآن قل الروح من أمر ربي من وحيه وكلامه
ليس من كلام البشر بعثت اليهود إلى قريش أن سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين
وعن الروح فإن أجاب عنها أو سكت فليس بنبي وإن أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي
فبين لهم القصتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم في التوراة فندموا على سؤالهم وما أوتيتم من العلم
إلا قليلا الخطاب عام روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون
بهذا الخطاب أم أنت معنا فيه فقال بل نحن وأنتم لم نؤت من العلم إلا قليلا فقالوا
ما أعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزل ولو
أن ما في الأرض من شجرة أقلام وليس ما قالوه بلازم لأن القلة والكثرة تدوران مع الإضافة
فيوصف الشيء بالقلة مضافا إلى ما فوقه وبالكثرة مضافا إلى ما تحته فالحكمة التي أوتيها العبد
خير كثير في نفسها إلا أنها إذا أضيفت إلى علم الله تعالى فهي قليلة وقيل هو خطاب لليهود
خاصة لأنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم قد أوتينا التوراة وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا فقيل لهم إن علم التوراة قليل في جنب علم الله تعالى ولئن شئنا
لنذهبن بالذي أوحينا إليك لنذهبن جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط واللام الداخلة
على إن موطئة للقسم والمعنى إن شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن الصدور والمصاحف فلم
نترك له أثرا وبقيت كما كنت لا تدري ما الكتاب ثم لا تجد لك به علينا وكيلا ثم لا تجد
لك بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده وإعادته محفوظا مسطورا إلا رحمة من ربك
إن فضله كان عليك كبيرا إلا أن يرحمك ربك فيرده عليك كأن رحمته تتوكل عليه بالرد أو يكون
على الاستثناء المنقطع بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله ببقاء
القرآن محفوظا بعد المنة العظيمة في تنزيله وتحفيظه فعلى كل ذي علم أن لا يغفل عن هاتين
المنتين والقيام بشكرهما وهي امتنان الله عليه بحفظ العلم ورسوخه في صدره ومنته عليه
في بقاء المحفوظ وعن ابن مسعود أن أول ما تفقدون من دينكم الأمانة وآخر ما تفقدون
الصلاة وليصلين قوم ولا دين لهم وإن هذا القرآن تصبحون يوما وما فيكم منه شيء فقال
رجل كيف ذلك وقد أثبتناه في قلوبنا وأثبتناه في مصاحفنا نعلمه أبناءنا ويعلمه أبناؤنا
أبناءهم فقال يسرى عليه ليلا فيصبح الناس منه فقراء ترفع المصاحف وينزع ما في القلوب
قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله لا يأتون جواب
قسم محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز أن يكون جوابا للشرط كقوله لا غائب مالي ولا حرم
لأن الشرط وقع ماضيا أي لو تظاهروا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في بلاغته وحسن نظمه
وتأليفه وفيهم العرب العاربة أرباب البيان لعجزوا عن الإتيان بمثله ولو كان بعضهم
لبعض ظهيرا والعجب من النوابت ومن زعمهم أن القرآن قديم مع اعترافهم بأنه معجز وإنما يكون
العجز حيث تكون القدرة فيقال الله تعالى قادر على خلق الأجسام والعباد عاجزون عنه
وأما المحال الذي لا مجال للقدرة فيه ولا مدخل لها فيه كثاني القديم فلا يقال للفاعل قد عجز
عنه ولا هو معجز ولو قيل ذلك لجاز وصف الله تعالى بالعجز لأنه لا يوصف بالقدرة على المحال إلا

أن يكابروا فيقولوا هو قادر على المحال فإن رأس ما لهم المكابرة وقلب الحقائق ولقد صرفنا ولقد رددنا
وكررنا للناس في هذا القرآن من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه فأبى أكثر الناس
إلا كفورا والكفور الجحود فإن قلت كيف جاز فأبى أكثر الناس إلا كفورا ولم يجز
ضربت إلا زيدا قلت لأن أبى متأول بالنفي كأنه قيل فلم يرضوا إلا كفورا وقالوا لن
نؤمن لك حتى تفجر لنا لما تبين إعجاز القرآن وانضمت إليه المعجزات الأخر والبينات ولزمتهم الحجة وغلبوا
أخذوا يتعللون باقتراح الآيات فعل المبهوت المحجوج المتحير في أمره فقالوا لن نؤمن لك حتى
وحتى تفجر تفجر وقرئ تفجر بالتخفيف من الأرض يعنون أرض مكة ينبوعا عينا غزيرة من شأنها
أن تنبع بالماء لا تنقطع يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء أو تكون لك جنة من نخيل وعنب
فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا كما زعمت يعنون قول
الله إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء وقرئ كسفا بسكون السين جمع كسفة
كسدرة وسدر وبفتحه أو تأتي بالله والملائكة قبيلا كفيلا بما تقول شاهدا بصحته والمعنى
أو تأتي بالله قبيلا وبالملائكة قبيلا كقوله كنت منه ووالدي بريا وإني وقيار بها لغريب
أو مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا أو جماعة حال من الملائكة
أو يكون لك بيت من زخرف من ذهب أو ترقى في السماء في معارج السماء فحذف المضاف كما يقال رقي
في السلم وفي الدرجة ولن نؤمن لرقيك ولن نؤمن لأجل رقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه كتابا
من السماء فيه تصديقك عن ابن عباس قال عبد الله بن أبي أمية لن نؤمن لك حتى تتخذ إلى السماء سلما
ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها ثم تأتي معك بصك منشور معه أربعة من الملائكة يشهدون
لك أنك كما تقول وما كانوا يقصدون بهذه الاقتراحات إلا العناد واللجاج ولو جاءتهم كل آية لقالوا
هذا سحر كما قال تعالى ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه
يعرجون وحين أنكروا الآية الباقية التي هي القرآن وسائر الآيات وليست بدون ما اقترحوه
بل هي أعظم لم يكن إلى تبصرهم سبيل قل سبحان ربي وقرئ قال سبحان ربي أي قال الرسول
وسبحان ربي تعجب من اقتراحاتهم عليه هل كنت إلا بشرا رسولا كسائر الرسل بشرا مثلهم وكان
الرسل لا يأتون قومهم إلا بما يظهره الله عليهم من الآيات فليس أمر الآيات إلي إنما هو إلى الله فما بالكم
تتخيرونها علي وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا
أن الأولى نصب مفعول ثان لمنع والثانية رفع فاعل له والهدى الوحي أي وما منعهم الإيمان
بالقرآن وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم إلا شبهة تلجلجت في صدورهم وهي إنكارهم أن يرسل الله
البشر والهمزة في أبعث الله للإنكار وما أنكروه فخلافه هو المنكر عند الله تعالى لأن قضية حكمته
أن لا يرسل ملك الوحي إلا إلى أمثاله أو إلى الأنبياء عليهم السلام ثم قرر ذلك بأنه لو كان في الأرض
ملائكة يمشون على أقدامهم كما يمشي الإنس ولا يطيرون بأجنحتهم إلى السماء فيسمعوا من
أهلها ويعلموا ما يجب علمه فقال قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين
ساكنين في الأرض قارين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا يعلمهم الخير ويهديهم المراشد وأما
الإنس فما هم بهذه المثابة إنما يبعث الملك إلى مختار منهم للنبوة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم
وإرشادهم فإن قلت هل يجوز أن يكون بشرا وملكا منصوبين على الحال
من رسولا قلت وجه حسن والمعنى له أجوب قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم
على أني بلغت ما أرسلت به إليكم وأنكم كذبتم وعاندتم إنه كان بعباده المنذرين والمنذرين
خبيرا بصيرا خبيرا عالما بأحوالهم فهو مجازيهم وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ووعيد للكفرة وشهيدا حال أو تمييز ومن يهد الله ومن يوفقه ويلطف به فهو المهتد لأنه
لا يلطف إلا بمن عرف أن اللطف ينفع فيه ومن يضلل الله ومن يخذل فلن تجد لهم أولياء
أنصارا من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم كقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم
وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال إن الذي أمشاهم على أقدامهم
قادر على أن يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون

بالحق ويتصامون عن استماعه فهم في الاخرة كذلك لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ
مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى ويجوز ان
يحشروا مؤفي الحواس من الموقف الى النار بعد الحساب فقد اخبر عنهم في موضع اخر انهم
يقرؤن ويتكلمون مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا كلما اكلت جلودهم ولحومهم وافنتها
فسكن لهبها بدلوا غيرها فرجعت ملتهبة مستعرة كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جعل الله
تعالى جزاءهم ان سلط النار على اجزائهم تأكلها وتفنيها ثم يعيدها لا يزالون على الافناء والاعادة
ليزيد ذلك في تحسرهم على تكذيبهم البعث ولانه ادخل في الانتقام من الجاحدين وقد دل
على ذلك بقوله ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا اءذا كنا عظاما ورفاتا اءنا لمبعوثون
خلقا جديدا اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم وجعل
لهم اجلا لا ريب فيه فابى الظالمون الا كفورا فان قلت علام عطف قوله
وجعل لهم اجلا قلت على قوله اولم يروا لان المعنى قد علموا بدليل العقل ان من
قدر على خلق السموات فهو قادر على خلق امثالهم من الانس لانهم ليسوا باشد خلقا منهن كما
قال أانتم اشد خلقا ام السماء وجعل لهم اجلا لا ريب فيه وهو الموت او القيامة فابوا
مع وضوح الدليل الا جحودا قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق
لو حقها ان تدخل على الافعال دون الاسماء فلا بد من فعل بعدها في لو انتم تملكون وتقديره
لو تملكون تملكون فاضمر تملك اضمارا على شريطة التفسير وابدل من الضمير المتصل الذي هو
الواو ضمير منفصل وهو انتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ فانتم فاعل الفعل المضمر وتملكون
تفسيره وهذا هو الوجه الذي يقتضيه علم الاعراب فاما ما يقتضيه علم البيان فهو ان انتم تملكون
فيه دلالة على الاختصاص وان الناس هم المختصون بالشح المتبالغ ونحوه قول حاتم لو ذات سوار لطمتني
وقول المتلمس ولو غير اخوالي ارادوا نقيصتي وذلك لان الفعل الاول لما سقط لاجل المفسر
برز الكلام في صورة المبتدا والخبر ورحمة الله رزقه وسائر نعمه على خلقه ولقد بلغ هذا
الوصف بالشح الغاية التي لا يبلغها الوهم وقيل هو لاهل مكة الذين اقترحوا ما اقترحوا
من الينبوع والانهار وغيرها وانهم لو ملكوا خزائن الارزاق لبخلوا بها وكان الانسان قتورا
ضيقا بخيلا فان قلت هل يقدر لامسكتم مفعول قلت لا لان
معناه لبخلتم من قولك للبخيل ممسك ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات عن ابن عباس
هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذي نتقه على
بني اسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور وعن
عمر بن عبد العزيز انه سال محمد بن كعب فذكر اللسان يعني حل العقدة من لسان موسى عليه
السلام والطمس فقال له عمر كيف يكون الفقيه الا هكذا اخرج يا غلام ذلك الجراب فاخرجه
فنفضه فاذا بيض مكسور نصفين وجوز مكسور وفوم وحمص وعدس كلها حجارة وعن صفوان
ابن عسال ان بعض اليهود سال رسول الله عليه السلام عن ذلك فقال اوحى الله الى موسى ان قل
لبني اسرائيل لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق
ولا تسحروا ولا تاكلوا الربوا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا المحصنة ولا
تفروا من الزحف وانتم يا يهود خاصة لا تعدوا في السبت فاسال بني اسرائيل فقلنا له سل بني
اسرائيل اي سلهم من فرعون وقل له ارسل معي بني اسرائيل او سلهم عن ايمانهم وعن حال دينهم
او سلهم ان يعاضدوك وتكون قلوبهم وايديهم معك وتدل عليه قراءة رسول الله صلى الله عليه
وسلم فسال بني اسرائيل على لفظ الماضي بغير همز وهي لغة قريش وقيل فسل يا رسول الله المؤمنين
من بني اسرائيل وهم عبد الله بن سلام واصحابه عن الايات لتزداد يقينا وطمانينة قلب لان الادلة
اذا تظاهرت كان ذلك اقوى واثبت كقول ابراهيم عليه السلام ولكن ليطمئن قلبي فان قلت
بم تعلق اذ جاءهم قلت اما على الوجه الاول فبالقول المحذوف اي فقلنا له سلهم حين
جاءهم او بسال في القراءة الثانية واما على الاخر فباتينا او باضمار اذكر او يخبروك معنى اذ جاءهم اذ جاء

والارض

باهم

سحرت

باهم فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا سحرت فخولط عقلك قال لقد علمت يا فرعون ما انزل هؤلاء
الايات الا رب السموات والارض الا الله عز وجل بصائر بينات مكشوفات ولكنك معاند مكابر
ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقرئ علمت بالضم على معنى اني لست بمسحور كما
وصفتني بل انا عالم بصحة الامر وان هذه الايات منزلها رب السموات والارض ثم قارع ظنه بظنه
فقال واني لاظنك يا فرعون مثبورا كانه قال ان ظننتني مسحورا فانا اظنك مثبورا هالكا وظني اصح
من ظنك لان له امارة ظاهرة وهي انكارك ما عرفت صحته ومكابرتك لايات الله بعد وضوحها واما ظنك
فكذب بحت لان قولك مع علمك بصحة امري اني لاظنك مسحورا قول كذاب وقال الفراء مثبورا مصروفا
عن الخير مطبوعا على قلبك من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما منعك وصرفك وقرا ابي بن كعب وان اخالك
يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام الفارقة فاراد ان يستفزهم من الارض فاغرقناه ومن معه جميعا
فاراد فرعون ان يستخف موسى وقومه من ارض مصر ويخرجهم منها او ينفيهم عن ظهر الارض بالقتل والاستئصال
فحاق به مكره بان استفزه الله باغراقه مع قبطه وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض التي اراد
فرعون ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الاخرة يعني قيام الساعة جئنا بكم لفيفا جمعا مختلطين اياكم واياهم
ثم نحكم بينكم ونميز بين سعدائكم واشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل
وما انزلنا القران الا بالحكمة المقتضية لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية
الى كل خير وما انزلناه من السماء الا بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا
بهم من تخليط الشياطين وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا وما ارسلناك الا لتبشرهم بالجنة وتنذرهم
من النار ليس اليك وراء ذلك شيء من اكراه على الدين ونحو ذلك وقرانا منصوب بفعل يفسره فرقناه
وقرا ابي فرقناه بالتشديد اي جعلناه نزل مفرقا منجما وعن ابن عباس انه قراه مشددا وقال لم
ينزل في يومين او ثلاثة بل كان بين اوله واخره عشرون سنة يعني ان فرق بالتخفيف يدل على فصل
متقارب لتقراه على الناس على مكث بالفتح والضم على مهل وتؤدة وتثبت ونزلناه تنزيلا
على حسب الحوادث قل امنوا به او لا تؤمنوا ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون
للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا قل امنوا به او لا تؤمنوا امر بالاعراض عنهم واحتقارهم والازدراء رآ
بشانهم وان لا يكترث بهم وبايمانهم وبامتناعهم عنه وانهم ان لم يدخلوا في الايمان ولم يصدقوا
بالقران وهم اهل جاهلية وشرك فان خيرا منهم وافضل وهم العلماء الذين قرؤا الكتب وعلموا ما الوحي
وما الشرائع قد امنوا به وصدقوه وثبت عندهم انه النبي العربي الموعود في كتبهم فاذا تلي عليهم
خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما لامره ولانجازه ما وعد في الكتب المنزلة وبشر به من بعثة
محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القران عليه وهو المراد بالوعد في قوله ان كان وعد
ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا اي يزيدهم القران لين قلب ورطوبة
عين فان قلت ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل لماذا قلت يجوز
ان يكون تعليلا لقوله امنوا به او لا تؤمنوا وان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله
وتطييب نفسه كانه قيل تسل عن ايمان الجهلة بايمان العلماء وعلى الاول ان لم تؤمنوا به لقد
امن به من هو خير منكم فان قلت ما معنى الخرور للذقن قلت السقوط
على الوجه وانما ذكر الذقن وهو مجتمع اللحيين لان الساجد اول ما يلقى به الارض من وجهه الذقن
فان قلت حرف الاستعلاء ظاهر المعنى اذا قلت خر على وجهه وعلى ذقنه فما معنى
اللام في خر لذقنه ولوجهه قال فخر صريعا لليدين وللفم قلت معناه
جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به لان اللام للاختصاص فان قلت لم كرر
يخرون للاذقان قلت لاختلاف الحالين وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين وخرورهم
في حال كونهم باكين قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن عن ابن عباس رضي الله عنه سمعه ابو جهل يقول
يا الله يا رحمن فقال انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها اخر وقيل ان اهل الكتاب قالوا
انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثر الله في التوراة هذا الاسم فنزلت والدعاء بمعنى التسمية
لا بمعنى النداء وهو يتعدى الى مفعولين تقول دعوته زيدا ثم يترك احدهما استغناء عنه فيقال

دعوت زيدا والله والرحمن المراد بهما الاسم لا المسمى واو للتخيير يعني ادعوا الله وادعوا الرحمن
سموا بهذا الاسم او بهذا واذكروا اما هذا واما هذا والتنوين في اياما تدعوا عوض من المضاف اليه
وما صلة للابهام المؤكد لما في اي اي اي هذين الاسمين سميتم وذكرتم فله الاسماء الحسنى
والضمير في فله ليس براجع الى احد الاسمين المذكورين ولكن الى مسماهما وهو ذاته عز وجل لان
التسمية للذات لا للاسم والمعنى اياما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الاسماء
لانها مستقلة بمعاني التحميد والتقديس والتعظيم ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها بصلاتك
بقراءة صلاتك على حذف المضاف لانه لا يلبس من قبل ان الجهر والمخافتة صفتان تعتقبان
على الصوت لا غير والصلاة افعال واذكار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بقراءته
فاذا سمعها المشركون لغوا وسبوا فامر بان يخفض من صوته والمعنى لا تجهر حتى تسمع المشركين
ولا تخافت حتى لا تسمع من خلفك وابتغ بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا وروي ان ابا بكر
رضي الله عنه كان يخفي صوته بالقراءة في صلاته ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وكان عمر رضي
الله عنه يرفع صوته ويقول ازجر الشيطان واوقظ الوسنان فامر ابا بكر ان يرفع قليلا
وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك
سبيلا بان تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار وقيل بصلاتك بدعائك وذهب
قوم الى ان الاية منسوخة بقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وابتغاء السبيل مثل لانتحاء الوجه
الوسط في القراءة وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل
ناصر من الذل ومانع له منه لاعتزازه به او لم يوال احدا من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته وكبره تكبيرا
فان قلت كيف لاق وصفه بنفي الولد والشريك والذل بكلمة التحميد قلت
لان من هذا وصفه هو الذي يقدر على ايلاء كل نعمة فهو الذي يستحق جنس الحمد وكان عليه السلام
اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الاية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية

التحميد خ

سورة الكهف مكية وهي مائة واحدى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب
لقن الله عباده وفقههم كيف يثنون عليه ويحمدونه على اجزل نعمائه عليهم وهي نعمة الاسلام وما
انزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم ولم يجعل
له عوجا قيما ولم يجعل له شيئا من العوج قط والعوج في المعاني كالعوج في الاعيان والمراد نفي
الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شيء منه من الحكمة والاصابة فيه فان
قلت بم انتصب قيما قلت الاحسن ان ينتصب بمضمر ولا يجعل
حالا من الكتاب لان قوله ولم يجعل معطوف على انزل فهو داخل في حيز الصلة فجاعله حالا من
الكتاب فاصل بين الحال وذي الحال ببعض الصلة وتقديره ولم يجعل له عوجا جعله قيما لانه
اذا نفى عنه العوج فقد اثبت له الاستقامة فان قلت ما فائدة الجمع بين
نفي العوج واثبات الاستقامة وفي احدهما غنى عن الاخر قلت فائدته التاكيد
فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من ادنى عوج عند السبر والتصفح وقيل
قيما على سائر الكتب مصدقا لها شاهدا بصحتها وقيل قيما بمصالح العباد وما لا بد لهم
منه من الشرائع وقرئ قيما انذر متعد الى مفعولين كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا
فاقتصر على احدهما واصله لينذر الذين كفروا باسا شديدا والباس من قوله بعذاب بئيس
وقد بؤس العذاب وبؤس الرجل باسا وباسة من لدنه صادرا من عنده وقرئ من لدنه بسكون
الدال مع اشمام الضمة وكسر النون ويبشر بالتخفيف والتثقيل المؤمنين الذين
يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا فان قلت لم اقتصر
على مفعول انذر قلت قد جعل المنذر به هو الغرض المسوق اليه فوجب
الاقتصار عليه والدليل عليه تكرير الانذار في قوله وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا استغناء

بالمنذرين

بالمنذرين عن ذكر المنذر به كما ذكر المبشر به في قوله ان لهم اجرا حسنا استغناء بتقدم ذكره والاجر الحسن
الجنة ما لهم به من علم اي بالولد او باتخاذه يعني ان قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل
مفرط وتقليد للاباء وقد اشتملته اباؤهم من الشيطان وتسويله فان قلت اتخاذ
الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم قلت معناه ما لهم به من علم
لانه ليس مما يعلم لاستحالته وانتفاء العلم بالشيء اما للجهل بالطريق الموصل اليه واما لانه في نفسه
محال لا يستقيم تعلق العلم به قرئ كبرت كلمة بالنصب على التمييز والرفع على الفاعلية والنصب
اقوى وابلغ وفيه معنى التعجب كانه قيل ما اكبرها كلمة وتخرج من افواههم صفة للكلمة
تفيد استعظاما لاجترائهم على النطق بها واخراجها من افواههم فان كثيرا مما يوسوسه الشيطان
في قلوب الناس ويحدثون به انفسهم من المنكرات لا يتمالكون ان يتفوهوا به ويطلقوا به
السنتهم بل يكظمون عليه تشورا من اظهاره فكيف بمثل هذا المنكر وقرئ كبرت بسكون الباء مع
اشمام الضمة فان قلت الى م يرجع الضمير في كبرت قلت
الى قولهم اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك
على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث شبههم واياه حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الوجد
والاسف على توليهم برجل فارقه احبته واعزته فهو يتساقط حسرات على اثارهم ويبخع نفسه
وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم وقرئ باخع نفسك على الاصل وعلى الاضافة اي قاتلها ومهلكها
وهو للاستقبال فيمن قرا ان لم يؤمنوا وللمضي فيمن قرا ان لم يؤمنوا بمعنى لان لم يؤمنوا بهذا
الحديث بالقران اسفا مفعول له اي لفرط الحزن ويجوز ان يكون حالا والاسف المبالغة في
الحزن والغضب ويجوز ان يكون حالا يقال رجل اسف واسيف انا جعلنا ما على الارض
زينة لها يعني ما يصلح ان يكون زينة لها ولاهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها
لنبلوهم ايهم احسن عملا وحسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها ثم زهد في الميل اليها
بقوله وانا لجاعلون ما عليها من هذه الزينة صعيدا جرزا يعني مثل ارض بيضاء لا نبات
فيها بعد ان كانت خضراء معشبة في ازالة بهجته واماطة حسنه وابطال ما به كان زينة من
اماتة الحيوان وتجفيف النبات والاشجار ونحو ذلك ذكر من الايات الكلية تزيين الارض
بما خلق فوقها من الاجناس التي لا حصر لها وازالة ذلك كله كان لم يكن ثم قال ام حسبت ان اصحاب
الكهف والرقيم يعني ان ذلك اعظم من قصة اصحاب الكهف وابقاء حياتهم مدة طويلة والكهف
الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم كلبهم قال امية بن ابي الصلت وليس بها الا الرقيم مجاورا
وصيدهم والقوم في الكهف همد وقيل هو لوح من رصاص رقمت فيه اسماؤهم جعل على باب
الكهف وقيل ان الناس رقموا حديثهم نقرا في الجبل وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف
وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل مكانهم بين غضبان وايلة دون فلسطين كانوا من
اياتنا عجبا كانوا اية عجبا من اياتنا وصفا بالمصدر او على ذات عجب اذ اوى الفتية
الى الكهف فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة اي رحمة من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق
والامن من الاعداء وهيئ لنا من امرنا الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا حتى نكون بسببه
راشدين مهتدين او اجعل امرنا رشدا كله كقولك رايت منك اسدا فضربنا على اذانهم
في الكهف اي ضربنا عليها حجابا من ان تسمع يعني انمناهم انامة ثقيلة لا تنبههم فيها الاصوات
كما ترى المستثقل في نومه يصاح به فلا يسمع ولا يستنبه فحذف المفعول الذي هو
الحجاب كما يقال بنى على امراته يريدون بنى عليها القبة سنين عددا ذوات عدد فيحتمل
ان يريد الكثرة وان يريد القلة لان الكثير قليل عنده كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار
وقال الزجاج رحمه الله اذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتج ان يعد واذا كثر احتاج الى ان
يعد ثم بعثناهم لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا اي يتضمن معنى الاستفهام فعلق عنه
لنعلم فلم يعمل فيه وقرئ ليعلم وهو معلق عنه ايضا لان ارتفاعه بالابتداء لا بالاسناد يعلم
اليه وفاعل يعلم مضمون الجملة كما انه مفعول نعلم اي الحزبين المختلفين منهم في مدة لبثهم

خ فيه

لانهم لما انبعثوا اختلفوا في ذلك وذلك قوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم
قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم اعلم بما لبثتم هم الذين علموا ان لبثهم قد تطاول
او اي الحزبين المختلفين منهم احصى فعل ماض اي ايهم ضبط امدا لاوقات لبثهم
فان قلت فما تقول فيمن جعله من افعل للتفضيل قلت ليس
بالوجه السديد وذلك ان بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس ونحو اعدى من الجرب وافلس من ابن
المذلق شاذ والقياس على الشاذ في غير القرآن ممتنع فكيف به ولان امدا لا يخلو اما ان ينتصب بافعل
فافعل لا يعمل واما ان ينتصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى فان زعمت اني انصبه باضمار فعل يدل عليه
احصى كما اضمر في قوله ، واضرب منا بالسيوف القوانسا ، على نضرب القوانس فقد ابعدت المتناول وهو
قريب حيث ابيت ان يكون احصى فعلا ثم رجعت مضطرا الى تقديره واضماره فان قلت
كيف جعل الله تعالى العلم باحصائهم المدة غرضا في الضرب على اذانهم قلت الله عز النعم
وجل لم يزل عالما بذلك وانما اراد ما تعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا ايمانا واعتبارا ويكون
لطفا لمؤمني زمانهم واية بينة لكفاره نحن نقص عليك نباهم بالحق انهم فتية امنوا بربهم وزدناهم
هدى بالتوفيق والتثبيت وربطنا على قلوبهم وقويناهم بالصبر على هجر الاوطان والنعيم والفرار
بالدين الى بعض الغيران وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالاسلام اذ قاموا بين يدي
الجبار دقيانوس من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم فقالوا ربنا رب السموات والارض
لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا قولا ذا شطط وهو الافراط في الظلم والابعاد فيه من
شط اذا بعد ومنه شطط في السوم وفي غيره هؤلاء مبتدا وقومنا عطف بيان واتخذوا خبر وهو اخبار
في معنى انكار من دونه الهة لولا ياتون عليهم هلا ياتون على عبادتهم فحذف المضاف بسلطان
بين وهو تبكيت لان الاتيان بالسلطان على عبادة الاوثان محال وهو دليل على فساد التقليد وانه
لا بد في الدين من حجة حتى يصح ويثبت فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشرك اليه
واذ اعتزلتموهم خطاب من بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم وما يعبدون
نصب عطف على الضمير يعني واذ اعتزلتموهم واعتزلتم معبوديهم الا الله يجوز ان يكون استثناء
متصلا على ما روي انهم كانوا يقرون بالخالق ويشركون به كما اهل مكة وان يكون منقطعا وقيل معه
هو كلام معترض اخبار من الله تعالى عن الفتية انهم لم يعبدوا غير الله فاووا الى الكهف ينشر
لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من امركم مرفقا قرئ بفتح الميم وكسرها وهو ما يرتفق به اي ينتفع اما
ان يقولوا ذلك ثقة بفضل الله تعالى وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم واما
ان يخبرهم به نبي في عصرهم واما ان يكون بعضهم نبيا وترى الشمس اذا طلعت تزاور
تزاور واصله تتزاور فخفف بادغام التاء في الزاي او حذفها وقد قرئ بهما وقرئ تزور وتزوار
بوزن تحمر وتحمار وكلها من الزور وهو الميل ومنه زاره اذا مال اليه والزور الميل عن الصدق
ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين واذا غربت تقرضهم تقطعهم ذات من معنى القطيعة والصرم
الشمال اي لا تقربهم ، الى ظعن يقرضن اقواز مشرف ، شمالا وعن ايمانهن الفوارس ، قال ذو الرمة ح
وهم في فجوة منه في متسع من الكهف والمعنى انهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس في طلوعها
ولا في غروبها مع انهم في مكان واسع منفتح معرض لاصابة الشمس لولا ان الله يحجبها عنهم وقيل
في متسع من غارهم ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار ذلك
من ايات الله اي ما صنعه الله بهم من ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة اية من اياته
يعني ان ما كان في ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وقيل باب
الكهف شمالي مستقبل لبنات نعش فهم في مقناة ابدا ومعنى ذلك من ايات الله ان
شانهم وحديثهم من ايات الله من يهد الله فهو المهتد ثناء عليهم بانهم جاهدوا في سبيل
الله واسلموا له وجوههم فلطف بهم واعانهم وارشدهم الى نيل تلك الكرامة السنية والا خصاص
بالاية العظيمة وان كل من سلك طريقة المهتدين الراشدين فهو الذي اصاب الفلاح واهتدى
الى السعادة ومن يضلل الله فلن تجد له وليا مرشدا ومن تعرض للخذلان فلن تجد من يليه

ويرشده بعد خذلان الله تعالى وتحسبهم ايقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال
وتحسبهم بكسر السين وفتحها خطاب لكل احد والايقاظ جمع يقظ كانكاد في نكد قيل عيونهم
مفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك ايقاظا وقيل لكثرة تقلبهم وقيل لهم تقلبتان
في السنة وقيل تقلبة واحدة في يوم عاشوراء وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله عز وجل
وقرئ وتقلبهم على المصدر منصوبا وانتصابه بفعل مضمر يدل عليه وتحسبهم ايقاظا
كانه قيل وترى وتشاهد وتقلبهم وقرا جعفر الصادق وكالبهم اي وصاحب كلبهم
باسط ذراعيه بالوصيد حكاية حال ماضية لان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان في معنى المضي
واضافته اذا اضيف حقيقية معرفة كغلام زيد الا اذا نويت حكاية الحال الماضية والوصيد صيد
الفناء وقيل العتبة وقيل الباب وانشد
، بارض فضاء لا يسد وصيدها ، علي ومعروفي بها غير منكر ،
لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا وقرئ ولملئت بتشديد اللام للمبالغة وقرئ
بتخفيف الهمزة وقلبها ياء ورعبا بالتخفيف والتثقيل وهو الخوف الذي يرعب الصدر اي
يملؤه وذلك لما البسهم الله من الهيبة وقيل لطول اظفارهم وشعورهم وعظم اجرامهم
وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء
فنظرنا اليهم فقال ابن عباس رضي الله عنه ليس لك ذلك قد منع الله تعالى من هو خير منك
فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فقال معاوية لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث ناسا
وقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله تعالى ريحا فاحرقتهم وقرئ لو عليهم ريحا
اطلعت بضم الواو وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم وكذلك بعثناهم
وكما انمناهم تلك النومة كذلك بعثناهم اذكارا بقدرته على الانامة والبعث جميعا ليسال
بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة
الله تعالى ويزدادوا يقينا ويشكروا ما انعم به عليهم وكرموا به قالوا لبثنا يوما او بعض يوم
جواب مبني على غالب الظن وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب وانه لا يكون يكون
كذبا وان جاز ان يكون خطا قالوا ربكم اعلم بما لبثتم انكار عليهم من بعضهم وان الله اعلم
بمدة لبثهم كان هؤلاء قد علموا بالادلة او بالهام من الله ان المدة متطاولة وان مقدارها
مبهم لا يعلمه الا الله وروي انهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا
انهم في يومهم فلما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا ذلك فابعثوا احدكم
بورقكم هذه الى المدينة فان قلت كيف وصلوا قولهم فابعثوا بتذكر
حديث المدة قلت كانهم قالوا ربكم اعلم بذلك لا طريق لكم الى علمه فخذوا في
شيء اخر مما يهمكم والورق الفضة مضروبة كانت او غير مضروبة ومنه الحديث ان عرفجة اصيب انفه
يوم الكلاب فاتخذ انفا من ورق فانتن عليه فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يتخذ انفا من ذهب وقرئ بورقكم بسكون الراء والواو مفتوحة او مكسورة وقرا
ابن كثير بورقكم بكسر الراء وادغام القاف في الكاف وعن ابن محيصن رضي الله عنه
انه كسر الواو واسكن الراء وادغم وهذا غير جائز لالتقاء الساكنين لا على حده وقيل
المدينة طرسوس قالوا وتزودهم ما كان معهم من الورق عند فرارهم دليل على ان حمل
النفقة وما يصلح للمسافر هو راي المتوكلين على الله دون المتكلين على الاتفاقات وعلى
ما في اوعية القوم من النفقات ومنه قول عائشة رضي الله عنها لمن سالها عن محرم يشد
عليه هميانه اوثق عليك نفقتك وما حكي عن بعض صعاليك العلماء انه كان شديد الحنين
الى ان يرزق حج بيت الله الحرام ويقول من ذلك وكانت مياسير اهل بلده كلما عزم فيهم
فوج على حج اتوه ليسالوه ان يحجوا به والحوا عليه فيعتذر اليهم ويحمد اليهم بذلك
فاذا انفضوا عنه قال لمن عنده ما لهذا السفر الا شيئان شد الهميان والتوكل
على الرحمن فلينظر ايها اي اهلها فحذف الاهل كما في قوله واسال القرية ازكى طعاما احل

وليتلطف وليتكلف اللطف والنيقة فيما يباشره من امر المبايعة
حتى لا يغبن او في امر التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا يعني ولا يفعلن ما يودي
عن قصد منه الى الشعور بنا فسمى ذلك اشعارا منه بهم لانه سبب فيه الضمير في انهم
راجع الى الاهل المقدر في ايها انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم يقتلوكم اخبث القتلة وهي الرجم
وكانت عادتهم او يعيدوكم في ملتهم او يدخلوكم في ملتهم بالاكراه العنيف ويصيروكم اليها والعود
في معنى الصيرورة اكثر شيء في كلامهم يقولون ما عدت افعل كذا يريدون ابتدا الفعل
ولن تفلحوا اذا ابدا ان دخلتم في دينهم وكذلك اعثرنا عليهم وكما انمناهم وبعثناهم لما في
ذلك من الحكمة اطلعنا عليهم ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم ان وعد الله حق وهو البعث
لان حالهم في نومهم وانتباههم بعدها كحال من يموت ثم يبعث وان الساعة لا ريب
فيها اذ يتنازعون بينهم امرهم اذ يتنازعون متعلق باعثرنا اي اعثرناهم عليهم حين يتنازعون
بينهم امر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث فكان بعضهم يقول تبعث الارواح دون الاجساد
وبعضهم يقول تبعث الاجساد مع الارواح ليرتفع الخلاف وليتبين ان الاجساد تبعث حية
حساسة فيها ارواحها كما كانت قبل الموت فقالوا حين توفى الله اصحاب الكهف ابنوا عليهم
بنيانا اي على باب كهفهم لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها كما حفظت
تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحظيرة ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم من
المسلمين وملكهم وكانوا اولى بهم بالبنا عليهم لنتخذن عليهم لنتخذن على باب الكهف
مسجدا يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم وقيل اذ يتنازعون بينهم امرهم اي يتذاكر الناس
بينهم امر اصحاب الكهف ويتكلمون في قصتهم وما اظهر الله من الاية فيهم او يتنازعون بينهم
تدبير امرهم حين توفوا كيف يخفون مكانهم وكيف يسدون الطريق اليهم فقالوا ابنوا على باب
كهفهم بنيانا روي ان اهل الانجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الاصنام
واكرهوا على عبادتهم وممن شدد في ذلك دقيانوس فاراد فتية من اشراف قومه على الشرك
وتوعدهم بالقتل فابوا الا الثبات على الايمان والتصلب فيه ثم هربوا الى الكهف ومروا بكلب
فتبعهم فطردوه فانطقه الله تعالى فقال ما تريدون مني انا احب احباء الله فناموا وانا
احرسكم وقيل مروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا الكهف فكانوا يعبدون الله فيه
ثم ضرب الله على اذانهم وقيل ان يبعثهم الله ملك مدينتهم رجل صالح مومن وقد اختلف
اهل مملكته في البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته واغلق بابه ولبس مسحا وجلس
على رماد وسال ربه ان يبين لهم الحق فالقى الله تعالى في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد
به فم الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياع الطعام واخرج الورق
وكان من ضرب دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فانطلق
الملك واهل المدينة معه وابصروهم وحمدوا الله على البعث ثم قالت الفتية للملك نستودعك
الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم وتوفى الله انفسهم فالقى
الملك عليهم ثيابه وامر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب فراهم في المنام كارهين للذهب فجعلها
من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا ربهم اعلم بهم من كلام المتنازعين كانهم تذاكروا
امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا الى
حقيقة ذلك قالوا ربهم اعلم بهم او هو من كلام الله عز وجل رد لقول الخائضين في حديثهم
من اولئك المتنازعين او من الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اهل الكتاب سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب
ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل سيقولون
الضمير لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب والمومنين
سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فاخر الجواب الى ان يوحى اليه فيهم فنزلت اخبارا
بما سيجري بينهم من اختلافهم في عددهم وان المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم

بالتعلق

عن الرؤية الدالة

قال ابن

قال ابن عباس رضي الله عنه انا من اولئك القليل وروي ان السيد والعاقب واصحابهما من اهل
نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم
كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فحقق الله قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لسان جبريل وعن علي رضي الله عنه سبعة نفر اسماؤهم
يمليخا ومكسلمينا وهولا اصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش
وكان يستشير هولا الستة في امره والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس
واسم مدينتهم افسوس واسم كلبهم قطمير فان قلت لم جاء بسين الاستقبال
في الاول دون الاخرين قلت فيه وجهان ان تدخل الاخرين في حكم السين كما تقول
قد انعم واكرم تريد معنى التوقع في الفعلين جميعا وان تريد بيفعل معنى الاستقبال الذي هو
صالح له رجما بالغيب رميا بالخبر الخفي واتيانا به كقوله ويقذفون بالغيب اي ياتون به او وضع
الرجم موضع الظن فكانه قيل ظنا بالغيب لانهم اكثروا ان يقولوا رجم بالظن مكان قولهم
ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين الا ترى الى قول زهير وما هو عنها بالحديث المرجم
اي المظنون وقرئ ثلث رابعهم بادغام الثاء في تاء التانيث وثلاثة خبر مبتدا محذوف اي هم
ثلاثة وكذلك خمسة وسبعة ورابعهم كلبهم جملة من مبتدا وخبر واقعة صفة لثلاثة وكذلك
سادسهم كلبهم وثامنهم كلبهم فان قلت فما هذه الواو الداخلة على الجملة
الثالثة ولم دخلت عليها دون الاوليين قلت هي الواو التي تدخل على الجملة
الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة كقولك جاءني رجل ومعه اخر ومررت
بزيد وفي يده سيف ومنه قوله عز وعلا وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم وفايدتها توكيد
لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت مستقر وهذه الواو هي التي
اذنت بان الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم وطمانينة نفس ولم يرجموا بالظن
كما رجم غيرهم والدليل عليه ان الله تعالى اتبع القولين الاولين قوله رجما بالغيب واتبع القول
الثالث قوله ما يعلمهم الا قليل وقال ابن عباس رضي الله عنه حين وقعت الواو انقطعت
العدة اي لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت اليها وثبت انهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع
والثبات وقيل الا قليل من اهل الكتاب والضمير في سيقولون على هذا لاهل الكتاب
خاصة اي سيقول اهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك الا في قليل منهم واكثرهم
على ظن وتخمين فلا تمار فيهم فلا تجادل اهل الكتاب في شان اصحاب الكهف الا مراء
ظاهرا الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما اوحى الله اليك فحسب ولا تزيد من
غير تجهيل لهم ولا تعنيف بهم في الرد عليهم كما قال وجادلهم بالتي هي احسن ولا تستفت
فيهم منهم احدا ولا تسال احدا منهم عن قصتهم سوال متعنت له حتى يقول شيئا فترده عليه
وتزيف ما عنده لان ذلك خلاف ما وصيت به من المداراة والمجاملة ولا سوال مسترشد
لان الله قد ارشدك بان اوحى اليك قصتهم ولا تقولن لشيء ولا تقولن لاجل شيء تعزم عليه
اني فاعل ذلك الشيء غدا اي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة الا ان يشاء الله
متعلق بالنهي لا بقوله اني فاعل لانه لو قال اني فاعل كذا الا ان يشاء الله كان معناه الا ان
تعترض مشية الله دون فعله وذلك مما لا مدخل فيه للنهي وتعلقه بالنهي على وجهين
احدهما ولا تقولن ذلك القول الا ان يشاء الله ان تقوله بان ياذن لك فيه والثاني ولا تقولنه
الا بان يشاء الله اي الا بمشيته وهو في موضع الحال يعني الا ملتبسا بمشية الله قائلا ان
شاء الله وفيه وجه ثالث وهو ان يكون ان شاء الله في معنى كلمة تابيد كانه قيل ولا تقولنه
ابدا ونحوه قوله وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله لان عودهم في ملتهم
مما لن يشاء الله وهذا نهي تاديب من الله لنبيه عليه السلام حين قالت اليهود لقريش
سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف وذي القرنين فسالوه فقال ايتوني غدا اخبركم
ولم يستثن فابطا عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش واذكر ربك اذا نسيت

٧
فجرى ذكر اصحاب الكهف فقال السيد
كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم
وكان يعقوبيا صح
٦
ومكسلمينا صح

في نحو قولك

لفظ

واذكر ربك اي مشيئة ربك وقل ان شاء الله اذا فرط منك نسيان لذلك والمعنى اذا نسيت كلمة
الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر وعن ابن عباس رضي الله عنه ولو بعد سنة ما لم تحنث
وعن سعيد بن جبير ولو بعد يوم او اسبوع او شهر او سنة وعن طاوس هو على ثنياه ما دام
في مجلسه وعن الحسن نحوه وعن عطاء يستثني على مقدار حلب ناقة غزيرة وعن عامة الفقهاء
انه لا اثر له في الاحكام ما لم يكن موصولا ويحكى انه بلغ المنصور ان ابا حنيفة خالف ابن عباس
رضي الله عنه في الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال له ابو حنيفة رحمة الله عليه هذا
يرجع عليك انك تأخذ البيعة بالايمان افترضى ان يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك
فاستحسن كلامه ورضي عنه ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا
نسيت كلمة الاستثناء تشديدا في البعث على الاهتمام بها وقيل واذكر ربك اذا تركت بعض ما امرك به
وقيل واذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل على اداء الصلاة المنسية عند ذكرها — ٧ وقيل
وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا هذا اشارة الى نبأ اصحاب الكهف ومعناه
لعل الله يؤتيني من البينات والحجج على اني نبي صادق ما هو اعظم في الدلالة واقرب رشدا من نبأ
اصحاب الكهف وقد فعل ذلك حيث اتاه من قصص الانبياء والاخبار بالغيوب ما هو اعظم من ذلك وادل
والظاهر ان يكون المعنى اذا نسيت شيئا فاذكر ربك وذكر ربك عند نسيانه ان تقول عسى ربي
ان يهديني لشيء اخر بدل هذا المنسي اقرب منه رشدا وادنى خيرا ومنفعة ولعل النسيان كان خيرة
كقوله او ننسها نأت بخير منها ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين يريد لبثهم فيه احياء مضروبا على
اذانهم هذه المدة وهو بيان لما اجمل في قوله فضربنا على اذانهم في الكهف سنين عددا ومعنى قوله
قل الله اعلم بما لبثوا انه اعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم والحق ما اخبرك به وعن قتادة رحمه الله
انه حكاية لكلام اهل الكتاب وقل الله اعلم رد عليهم وفي حرف عبد الله وقالوا لبثوا وسنين
عطف بيان لثلاثمائة وقرئ ثلاثمائة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز
كقوله تعالى بالاخسرين اعمالا وهو القياس لان الذي يقع له تمييز اجمع والاستحسان ان يقع
التمييز بالواحد لان الغرض انما هو الجنس وذلك يحصل بالواحد وفي قراءة ابي ثلاثمائة سنة
وازدادوا تسعا تسع سنين لان ما قبله يدل عليه ثم ذكر اختصاصه بما غاب في السموات — ٧ وقرأ الحسن تسعا بالفتح
والارض وخفي فيها من احوال اهلها ومن غيرها وانه هو وحده العالم به فقال قل الله اعلم بما
لبثوا له غيب السموات والارض ابصر به واسمع وجاء بما دل على التعجب من ادراكه للمسموعات
والمبصرات للدلالة على ان امره في الادراك خارج عن حد ما عليه ادراك السامعين والمبصرين
لانه يدرك الطف الاشياء واصغرها كما يدرك اكبرها حجما واكثفها جرما ويدرك البواطن كما يدرك
الظواهر ما لهم الضمير لاهل السموات والارض من دونه من ولي من متول لامورهم
ولا يشرك في حكمه في قضائه احدا منهم وقرأ الحسن ولا تشرك بالتاء والجزم على النهي كانوا يقولون
لرسول الله ائت بقرآن غير هذا او بدله فقيل له واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك اي من القرآن لا مبدل
لكلماته اي ولا تسمع لما يهذون به من طلب التبديل فلا مبدل لكلمات ربك اي لا يقدر احد على تبديلها
وتغييرها انما يقدر على ذلك هو وحده واذا بدلنا اية مكان اية ولن تجد من دونه ملتحدا
ملجأ تعدل اليه ان هممت بذلك قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم نح هؤلاء
الموالي الذين كان ريحهم ريح الضأن لنجالسك فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون
ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه واحبسها معهم وثبتها قال ابو ذؤيب

فصبرت عارفة لذلك حرة ترسو اذا نفس الجبان تطلع

بالغداة والعشي دائبين على الدعاء في كل وقت وقيل المراد صلاة الفجر والعصر وقرئ بالغدوة
وبالغداة اجود لان غدوة علم في اكثر الاستعمال وادخال اللام على تأويل التنكير كما قال
والزيد زيد المعارك ونحوه قليل في كلامهم يقال عداه اذا جاوزه ومنه قولهم عدا طوره وجاءني
القوم عدا زيدا وانما عدي بعن لتضمين عدا معنى نبا وعلا في قولك نبت عنه عينه وعلت
عنه عينه اذا اقتحمته ولم تعلق به فان قلت اي غرض في هذا التضمين وهلا

٦ وهم صهيب وعمار وخباب وغيرهم من فقراء المسلمين حتى نجالسك كما قال قوم نوح انؤمن لك واتبعك

ولا تعد عيناك عنهم

٥٣

قيل ولا تعدهم عيناك او ولا تعل عيناك عنهم قلت الغرض فيه اعطاء مجموع
معنيين وذلك اقوى من اعطاء معنى فذ الا ترى كيف رجع المعنى الى قولك ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين
الى غيرهم ونحوه قوله ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم اي ولا تضموها اليها اكلين لها وقرئ ولا تعد
عينيك ولا تعد عينيك من اعداه وعداه نقلا بالهمزة وتثقيل الحشو ومنه قوله فعد عما ترى اذ لا — ارتجاع المؤمنين
له لان معناه فعد همك عما ترى نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يزدري بفقراء المسلمين
وان تنبو عينه عن رثاثة زيهم طموحا الى زي الاغنياء وحسن شارتهم تريد زينة الحيوة
الدنيا في موضع الحال ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر بالخذلان او وجدناه
غافلا عنه كقولك اجبنته وافحمته وابخلته اذا وجدته كذلك ومن اغفل ابله اذا تركها بغير سمة لم
نسمه بالذكر ولم نجعلهم من الذين كتبنا في قلوبهم الايمان وقد ابطل الله تعالى توهم المجبرة
بقوله واتبع هويه وقرئ اغفلنا قلبه باسناد الفعل الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين
من اغفلته اذا وجدته غافلا وكان امره فرطا متقدما للحق والصواب نابذا له وراء ظهره من قولهم
فرس فرط متقدم للخيل وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر الحق خبر مبتدأ محذوف
والمعنى جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق الا اختياركم لانفسكم ما شئتم من الاخذ في طريق النجاة
او في طريق الهلاك وجيء بلفظ الامر والتخيير لانه لما مكن من اختيار ايهما شاء فكانه مخير مأمور بان
يتخير ما شاء من النجدين انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها شبه ما يحيط بهم
من النار بالسرادق وهي الحجرة التي تكون حول الفسطاط وبيت مسردق ذو سرادق وقيل
هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار وقيل حائط من نار يطيف بهم وان يستغيثوا
يغاثوا بماء كالمهل كقوله فاعتبوا بالصيلم وفيه تهكم والمهل ما اذيب من جواهر الارض وقيل
دردي الزيت يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب انشوى الوجه من حرارته عن النبي عليه السلام
هو كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه بئس الشراب ذلك وساءت النار
مرتفقا متكأ من المرفق وهذا لمشاكلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ولا
اتكاء الا ان يكون من قوله اني ارقت فبت الليل مرتفقا كان عيني فيها الصاب مذبوح ان الذين
امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الا
نهار يحلون فيها من اساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها على
الارائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا اولئك الخبر وانا لا نضيع اعتراض ولك ان تجعل
انا لا نضيع واولئك خبرين معا او تجعل اولئك كلاما مستأنفا بيانا للاجر المبهم فان قلت
اذا جعلت انا لا نضيع خبرا فاين الضمير الراجع منه الى المبتدأ قلت من احسن عملا
والذين امنوا وعملوا الصالحات ينتظمهما معنى واحد فقام من احسن مقام الضمير او اردت من احسن
عملا منهم فكان كقولك السمن منوان بدرهم من الاولى للابتداء والثانية للتبيين وتنكير اساور لابهام
امر حسنها وجمع بين السندس وهو ما رق من الديباج وبين الاستبرق وهو الغليظ منه جمعا
بين النوعين وخص الاتكاء لانه هيئة المنعمين والملوك على اسرتهم واضرب لهم مثلا رجلين
اي ومثل حال المؤمنين والكافرين بحال رجلين وكانا اخوين في بني اسرائيل احدهما كافر اسمه قطروس
والاخر مؤمن واسمه يهوذا وقيل هما المذكوران في سورة والصافات في قوله قال قائل منهم
اني كان لي قرين ورثا من ابيهما ثمانية الاف دينار فتشاطراها فاشترى الكافر ارضا بالف
فقال المؤمن اللهم ان اخي اشترى ارضا بالف دينار وانا اشتري منك ارضا في الجنة بالف
دينار وانا اشتري منك ارضا في الجنة بالف فتصدق به ثم بنى اخوه دارا بالف فقال اللهم
اني اشتري منك دارا في الجنة بالف فتصدق به ثم تزوج اخوه امرأة بالف فقال اللهم اني جعلت
الفا صداقا للحور فتصدق به ثم اشترى اخوه خدما ومتاعا بالف فقال اللهم اني اشتريت منك
الولدان المخلدين بالف فتصدق به ثم اصابته حاجة فجلس لاخيه على طريقه فمر به في حشمه
فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله وقيل هما مثل لاخوين من بني مخزوم مؤمن وهو
ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد وكان زوج ام سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكافر وهو

الاسود بن عبد الاسد جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب بساتين من كروم وحففناهما بنخل
وجعلنا النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يوثره الدهاقين في كرومهم ان يجعلوها موزرة بالاشجار
المثمرة يقال حفوه اذا اطافوا به وحففته بهم اي جعلتهم حافين حوله وهو متعد الى مفعول واحد
فتزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيه وغشيته به وجعلنا بينهما زرعا جعلناها ارضا جامعة للاقوات
والفواكه ووصف العمارة بانها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينها مع الشكل
الحسن والترتيب الانيق ونعتهما بوفاء الثمار وتمامها لاكل منهما من غير نقص ثم بما هو اصل الخير ومادته من
امر الشرب فجعله افضل ما يسقى به وهو السيح بالنهر الجاري فيها كلتا الجنتين آتت اكلها ولم تظلم منه شيئا
وفجرنا خلالهما نهرا وكان له ثمر الاكل الثمر وقرئ بضم الثاء ولم تظلم ولم تنقص وآتت حمل على اللفظ
لان كلتا لفظه لفظ مفرد ولو قيل آتتا على المعنى لجاز وقرئ وفجرنا على التخفيف وقرأ عبد الله
كل الجنتين آتى اكله برد الضمير على كل وكان له ثمر اي انواع من المال من ثمر ماله اذا كثره وعن مجاهد رحمه الله
الذهب والفضة اي كانت له الى الجنتين الموصوفتين الاموال الكثيرة من الذهب والفضة وغيرهما
فكان وافر اليسار من كل وجه متمكنا من عمارة الارض كيف شاء فقال لصاحبه وهو يحاوره انا
اكثر منك مالا واعز نفرا يعني انصارا وحشما وقيل اولادا ذكورا لانهم ينفرون معه دون الاناث
يحاوره يراجعه الكلام من حار يحور اذا رجع وسألته فما احار كلمة ودخل جنته يعني قطروس اخذ
بيد المسلم يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويعجبه منهما ويفاخره بما ملك من المال دونه
فان قلت فلم افرد الجنة بعد التثنية قلت معناه ودخل
ما هو جنته ما له جنة غيرها يعني انه لا نصيب له في الجنة التي وعد المؤمنون فما ملكه في الدنيا
هو جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدا منهما وهو ظالم لنفسه وهو معجب بما اوتي مفتخر به
كافر لنعمة ربه معرض بذلك نفسه لسخط الله تعالى وهو افحش الظلم قال ما اظن ان تبيد هذه
ابدا وما اظن الساعة قائمة اخبار عن نفسه بالشك في بيدودة جنته لطول امله واستيلاء الحرص
عليه وتمادي غفلته واغتراره بالمهلة واطراحه النظر في عواقب امثاله وترى اكثر الاغنياء
المسلمين وان لم يطلقوا بنحو هذا السنتهم فان السنة احوالهم ناطقة به منادية عليه ولئن
رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا اقساما منه على انه ان رد الى ربه على سبيل الفرض والتقدير
وكما يزعم صاحبه ليجدن في الآخرة خيرا من جنته في الدنيا تطمعا وتمنيا على الله وادعاء لكرامته
عليه ومكانته عنده وانه ما اولاه الجنتين الا لاستحقاقه واستيهاله وان معه هذا الاستحقاق
اين توجه كقوله ان لي عنده للحسنى لاوتين مالا وولدا وقرئ خيرا منهما ردا على الجنتين منقلبا
مرجعا وعاقبة وانتصابه على التمييز اي منقلب تلك خير من منقلب هذه لانها فانية وتلك باقية
قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب اي خلق اصلك لان خلق اصله سبب في خلقه
فكان خلقه خلقا له ثم من نطفة ثم سواك رجلا سواك عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ
الرجال جعله كافرا بالله جاحدا لانعمه لشكه في البعث كما يكون المكذب بالرسول كافرا لكنا هو الله
ربي اصله لكن انا فحذفت الهمزة والقيت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان وكان الادغام ونحوه
قول القائل وترمينني بالطرف اي انت مذنب وتقلينني لكن اياك لا اقلي
اي لكن انا لا اقليك وهو ضمير الشان والشان الله ربي الجملة خبر انا والراجع منها اليه وقرأ
ابن عامر رحمه الله باثبات الف انا في الوصل والوقف جميعا وحسن ذلك وقوع الالف عوضا
من حذف الهمزة وغيره لا يثبتها الا في الوقف وعن ابي عمرو رحمه الله انه وقف بالهاء لكنه وقرئ
لكن هو الله ربي بسكون النون وطرح انا وقرأ ابي بن كعب رضي الله عنه لكن انا على
الاصل وفي قراءة عبد الله لكن انا لا اله الا هو ربي ولا اشرك بربي احدا فان
قلت هو استدراك لماذا قلت لقوله اكفرت قال لاخيه
انت كافر بالله لكني مؤمن موحد كما تقول زيد غائب لكن عمرا حاضر ولولا اذ دخلت جنتك قلت
ما شاء الله يجوز ان تكون ما موصولة مرفوعة المحل على انها خبر مبتدأ محذوف تقديره الامر ما شاء الله
او شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف بمعنى اي شيء شاء الله كان ونظيرها في حذف الجواب

لو في قوله ولو ان قرآنا سيرت به الجبال والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر الى ما رزقك الله منها
الامر ما شاء الله اعترافا بانها وكل خير فيها انما حصل بمشيئة الله تعالى وفضله وان امرها بيده ان شاء
تركها عامرة وان شاء خربها وقلت لا قوة الا بالله اقرارا بان ما قويت به على عمارتها وتدبير امرها انما هو بمعونته
وتاييده اذ لا يقوى احد في بدنه ولا في ملك يده الا بالله وعن عروة بن الزبير رضي الله عنه انه كان يثلم
حائطه ايام الرطب فيدخل من شاء وكان اذا دخله ردد هذه الاية حتى يخرج ان ترن انا اقل منك
مالا وولدا من قرأ اقل بالنصب فقد جعل انا فصلا ومن رفع جعله مبتدأ واقل خبره والجملة مفعولا ثانيا
لترن وفي قوله وولدا نصرة لمن فسر النفر بالاولاد في قوله واعز نفرا والمعنى ان ترني افقر منك فانا
اتوقع من صنع الله تعالى ان يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لايماني جنة خيرا من جنتك ويسلبك
لكفرك نعمته ويخرب بستانك لقوله فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا
والحسبان مصدر كالغفران والبطلان بمعنى الحساب اي مقدارا قدره الله وحسبه وهو الحكم بتخريبها
وقال الزجاج رحمه الله عذاب حسبان وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك وقيل حسبانا مرامي الواحد
حسبانة وهي الصواعق من السماء فتصبح صعيدا زلقا ارضا بيضاء يزلق عليها لملاستها او يصبح ماؤها
غورا فلن تستطيع له طلبا زلقا وغورا كلاهما وصف بالمصدر واحيط بثمره عبارة عن اهلاكه
واصله من احاط به العدو لانه اذا احاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل في كل اهلاك ومنه قوله
تعالى الا ان يحاط بكم ومثله قولهم اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا عليهم فاصبح
يقلب كفيه تقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر لان النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن كما كني عن ذلك
بعض الكف والسقوط في اليد ولانه في معنى الندم عدي تعديته بعلى كانه قيل فاصبح يندم على ما انفق
فيها اي انفق في عمارتها وهي خاوية على عروشها يعني ان كرومها المعرشة سقطت عروشها على الارض وسقطت
فوقها الكروم وقيل ارسل الله عليها نارا فاكلتها ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا تذكر موعظة اخيه فعلم
انه اتي من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه ويجوز ان يكون توبة من الشرك
وندما على ما كان منه ودخولا في الايمان ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله قرئ ولم يكن بالتاء والياء وحمل
ينصرونه على المعنى دون اللفظ كقوله فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة فان قلت
ما معنى قوله ينصرونه من دون الله قلت معناه يقدرون على نصرته من دون الله اي هو وحده
القادر على نصرته لا يقدر احد غيره ان ينصره الا انه لم ينصره لصارف وهو استيجابه ان يخذل وما كان
منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا الولاية
بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك وقد قرئ بهما والمعنى هنالك اي في ذلك المقام وتلك الحال
النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها احد سواه تقريرا لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه من دون
الله او هنالك السلطان والملك لله لا يغلب ولا يمتنع منه او في مثل تلك الحال الشديدة يتولى
الله تعالى ويؤمن به كل مضطر يعني ان قوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا كلمة الجئ اليها فقالها جزعا
مما دهاه من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها ويجوز ان يكون المعنى هنالك الولاية لله ينصر فيها اولياءه المؤمنين
على الكفرة وينتقم لهم ويشفي صدورهم من اعدائهم يعني انه نصر بما فعل بالكافر اخاه المؤمن وصدق قوله
عسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير
عقبا اي لاوليائه وقيل هنالك اشارة الى الاخرة اي في تلك الدار الولاية لله كقوله لمن الملك
اليوم وقرئ الحق بالرفع والجر صفة للولاية ولله وقرأ عمرو بن عبيد بالنصب على التاكيد كقولك
هذا عبد الله الحق لا الباطل وهي قراءة حسنة فصيحة وكان عمرو بن عبيد رحمه الله من افصح الناس وانصحهم
وقرئ عقبا بضم القاف وسكونها وعقبى على فعلى وكلها بمعنى العاقبة واضرب لهم مثل الحياة الدنيا
كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فالتف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا وقيل
نجع في النبات الماء فاختلط به حتى روي ورف رفيفا وكان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط بنبات الارض
ووجه صحته ان كل مختلطين موصوف كل واحد منهما بصفة صاحبه فاصبح هشيما تذروه الرياح الهشيم
ما تهشم وتحطم الواحدة هشيمة وقرئ تذريه الريح وعن ابن عباس تذريه الرياح من اذرى شبه حال
الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون اخضر وارفا ثم يهيج فتطيره

الرواج كان لم يكن وكان الله على كل شيء من الانشاء والافناء مقتدرا المال والبنون زينة الحيوة الدنيا
والباقيات الصالحات اعمال الخيرات التي تبقى ثمرتها للانسان وتفنى عنه كل ما تطمح اليه نفسه من
حظوظ الدنيا وقيل هي الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وعن
قتادة رحمه الله كل ما اريد به وجه الله خير عند ربك ثوابا اي ما يتعلق بها من الثواب وخير املا وما يتعلق
به من الامل لان صاحبها يأمل في الدنيا ثواب الله ويصيبه في الاخرة ويوم نسير الجبال وترى الارض
بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا قرئ تسير من سيرت ونسير من سيرنا وتسير من سارت
اي تسير في الجو او يذهب بها بان يجعل هباء منبثا وقرئ وترى الارض على البناء للمفعول بارزة ليس
عليها ما يسترها مما كان عليها وحشرناهم وجمعناهم الى الموقف وقرئ فلم نغادر بالنون والياء
يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر ترك الوفاء والغدير ما غادره السيل وشبهت
حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان في قوله وعرضوا على ربك صفا مصطفين
ظاهرين يرى جماعتهم كما يرى كل واحد لا يحجب احد احدا لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة اي قلنا
لهم لقد جئتمونا وهذا المضمر هو عامل النصب في يوم نسير ويجوز ان ينتصب باضمار اذكر والمعنى
لقد بعثناكم كما انشأناكم اول مرة وقيل جئتمونا عراة لا شيء معكم كما خلقناكم اولا كقوله ولقد
جئتمونا فرادى فان قلت لم جيء بحشرناهم ماضيا بعد نسير وترى قلت
للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الاهوال والعظائم كانه قيل
وحشرناهم قبل ذلك بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا وقتا لانجاز ما وعدتم على السنة الانبياء
من البعث والنشور ووضع الكتاب للجنس وهو صحف الاعمال فترى المجرمين مشفقين مما فيه
ويقولون يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي هلكوها خاصة من بين الهلكات مال هذا الكتاب
لا يغادر صغيرة ولا كبيرة هنة صغيرة ولا كبيرة وهي عبارة عن الاحاطة الا احصاها يعني لا يترك
شيئا من المعاصي الا احصاه اي احصيها كلها كما تقول ما اعطاني قليلا ولا كثيرا لان الاشياء اما صغار
واما كبار ويجوز ان يريد وما كان عندهم صغائر وكبائر وقيل لم يجتنبوا الكبائر فكتبت عليهم الصغائر
وهي المناقشة وعن ابن عباس رضي الله عنه الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وعن سعيد بن جبير
الصغيرة المسيس والكبيرة الزنى وعن الفضيل كان اذا قرأها قال ضجوا والله من
الصغائر قبل الكبائر الا احصاها الا ضبطها وحصرها ووجدوا ما عملوا حاضرا في الصحف عتيدا
او جزاء ما عملوا ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يعمل او يزيد في عقاب المستحق او يعذبه بغير جرم
كما يزعم من ظلم الله في تعذيب اطفال المشركين بذنوب آبائهم واذ قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه والفاء للتسبيب ايضا جعل كونه
من الجن سببا في فسقه يعني انه لو كان ملكا كسائر من سجد لآدم لم يفسق عن امر الله تعالى لان
الملائكة معصومون البتة لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والانس كما قال لا يسبقونه بالقول
وهم بامره يعملون وهذا الكلام المعترض تعمد من الله تعالى لصيانة الملائكة عن وقوع شبهة
في عصمتهم فما ابعد البون بين ما تعمده الله وبين قول من ضاده فزعم انه كان ملكا ورئيسا على
الملائكة فعصى فلعن ومسخ شيطانا ثم وركه على ابن عباس رضي الله عنه ومعنى
فسق عن امر ربه خرج عما امره به ربه من السجود قال فواسقا عن قصدها جوائرا وقيل
فاسقا كافرا بسبب امر ربه الذي هو قوله اسجدوا لآدم افتتخذونه الهمزة للانكار والتعجب
كانه قيل اعقيب ما وجد منه تتخذونه وذريته اولياء من دوني وتستبدلونهم بي وهم
لكم عدو بئس للظالمين بدلا بئس البدل من الله ابليس لمن استبدله فاطاعه بدل طاعته
ما اشهدتهم وقرئ ما اشهدناهم يعني انكم اتخذتموهم شركاء لي في العبادة وانما كانوا يكونون
شركاء فيها لو كانوا شركاء في الالهية فنفى مشاركتهم في الالهية بقوله ما اشهدتهم خلق السموات
والارض لاعتضد بهم في خلقها ولا خلق انفسهم اي ولا اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله ولا
تقتلوا انفسكم وما كنت متخذ المضلين عضدا يعني وما كنت متخذهم عضدا اي اعوانا
فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم بالاضلال فاذا لم يكونوا عضدا لي في الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة وقرئ

٣
كلام مستأنف جار مجرى التعليل بعد
استثناء ابليس من الساجدين كان
قائلا قال ما له لم يسجد فقيل كان من الجن
صح

وما كنت بالفتح الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغي لك ان
تعتز بهم وقرأ علي رضي الله عنه متخذا المضلين بالتنوين على الاصل وقرأ الحسن عضدا بسكون الضاد ونقل
ضمتها الى العين وقرئ عضدا بفتح العين وسكون الضاد وعضدا بضمتين وعضدا بفتحتين جمع عاضد كخادم
وخدم وراصد ورصد من عضده اذا قواه واعانه ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم
فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا قرئ يقول بالياء والنون واضافة الشركاء اليه على زعمهم توبيخا
لهم واراد الجن والموبق المهلك من وبق يبق وبوقا ووبق يوبق وبقا اذا هلك واوبقه غيره ويجوز ان
يكون مصدرا كالمورد والموعد يعني وجعلنا بينهم واديا من اودية جهنم هو مكان الهلاك والعذاب
الشديد مشتركا يهلكون فيه جميعا وعن الحسن موبقا عداوة والمعنى عداوة هي في شدتها هلاك
كقوله لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وقال الفراء البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا
يوم القيامة ويجوز ان يريد الملائكة وعزيرا وعيسى ومريم وبالموبق البرزخ البعيد اي وجعلنا
بينهم امدا بعيدا تهلك فيه الاشواط لفرط بعده لانهم في قعر جهنم وهم في اعلى الجنان ورأى
المجرمون النار فظنوا فايقنوا انهم مواقعوها مخالطوها واقعون فيها ولم يجدوا عنها مصرفا معدلا
قال ازهير هل عن شعبة من مصرف ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان اكثر
شيء جدلا اكثر الاشياء التي يتأتى منها الجدل ان فصلتها واحدا بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل
وانتصاب جدلا على التمييز يعني ان جدل الانسان اكثر من جدل كل شيء ونحوه فاذا هو خصيم مبين وما
منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم الا ان تأتيهم سنة الاولين او يأتيهم العذاب قبلا
ان الاولى نصب والثانية رفع وقبلها مضاف محذوف تقديره وما منع الناس الايمان والاستغفار الا
انتظار ان تأتيهم سنة الاولين وهي الاهلاك او انتظار ان يأتيهم العذاب يعني عذاب الآخرة قبلا عيانا
وقرئ قبلا انواعا جمع قبيل وقبلا بفتحتين مستقبلا وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ويجادل
الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق ليزيلوا ويبطلوا من ادحاض القدم وهو ازلاقها وازالتها
عن موطئها واتخذوا آياتي وما انذروا يجوز ان تكون ما موصولة ويكون الراجع من الصلة محذوفا
اي وما انذروه من العقاب او مصدرية بمعنى وانذارهم هزوا وقرئ هزءا بالسكون اي اتخذوها موضع
استهزاء وجدالهم قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة وما اشبه ذلك
ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه بالقرآن ولذلك رجع اليها الضمير مذكرا في قوله ان يفقهوه فاعرض عنها
فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر ونسي ما قدمت يداه ونسي عاقبة ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي
غير متفكر فيها ولا ناظر في ان المحسن والمسيء لا بد لهما من جزاء انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه
وفي آذانهم وقرا ثم علل اعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم وجمع بعد الافراد حملا على لفظ
من ومعناه وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا فلا يكون منهم اهتداء البتة كانه محال منهم لشدة
تصميمهم ابدا مدة التكليف كلها واذن جزاء وجواب فدل على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول بمعنى انهم
جعلوا ما يجب ان يكون سبب وجود الاهتداء سببا في انتفائه وعلى انه جواب للرسول عن تقدير قوله
ما لي لا ادعوهم حرصا على اسلامهم فقيل وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا وربك الغفور البليغ
المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة ثم استشهد على ذلك بترك مؤاخذة اهل مكة عاجلا من غير امهال
مع افراطهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم
العذاب بل لهم موعد وهو يوم بدر لن يجدوا من دونه موئلا منجى ولا ملجأ يقال وأل اذا نجا
ووأل اذا لجأ اليه وتلك القرى اهلكناهم يريد قرى الاولين من ثمود وقوم لوط وغيرهم اشار
لهم اليها ليعتبروا وتلك مبتدأ والقرى صفة لان اسماء الاشارة توصف باسماء الاجناس واهلكناهم هم
خبر ويجوز ان يكون تلك القرى نصبا باضمار اهلكنا على شريطة التفسير والمعنى وتلك اصحاب
القرى اهلكناهم لما ظلموا مثل ظلم اهل مكة وجعلنا لمهلكهم موعدا وضربنا لاهلاكهم وقتا
معلوما لا يتأخرون عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر والمهلك الاهلاك ووقته وقرئ لمهلكهم
بفتح الميم واللام مفتوحة ومكسورة اي لهلاكهم او وقت هلاكهم والموعد وقت او مصدر
واذ قال موسى لفتاه لعبده وفي الحديث ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي وقيل

هو يوشع بن نون وإنما قيل فتاه لأنه كان يخدمه ويتبعه وقيل كان يأخذ منه العلم لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين
فإن قلت لا أبرح إن كان بمعنى لا أزول من برح المكان فقد دل على الإقامة لا على
السفر وإن كان بمعنى لا أزال فلا بد من الخبر قلت هو بمعنى لا أزال وقد حذف
الخبر لأن الحال والكلام معا يدلان عليه أما الحال فلأنها كانت حال سفر وأما الكلام فلأن قوله
حتى أبلغ مجمع البحرين غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له فلا بد أن يكون المعنى لا أبرح أسير حتى أبلغ
مجمع ووجه آخر وهو أن يكون المعنى لا يبرح مسيري حتى أبلغ على أن حتى أبلغ هو الخبر فلما حذف
المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وهو ضمير المتكلم فانقلب الفعل عن لفظ الغائب إلى لفظ المتكلم البحرين
وهو وجه لطيف ويجوز أن يكون المعنى لا أبرح ما أنا عليه بمعنى ألزم المسير والطلب ولا أتركه
ولا أفارقه حتى أبلغ كما تقول لا أبرح المكان ومجمع البحرين المكان الذي وعد فيه موسى عليه السلام
لقاء الخضر وهو ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل أفريقية ومن
بدع التفاسير أن البحرين موسى والخضر عليهما السلام لأنهما كانا بحرين في العلم وقرئ مجمع بكسر الميم
وهو في الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع من يطلع أو أمضي حقبا أو أسير زمانا طويلا
والحقب ثمانون سنة وروي أنه لما ظهر موسى عليه السلام على مصر مع بني إسرائيل واستقروا بها بعد
هلاك القبط أمره الله تعالى أن يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا فذكر نعمة الله وقال موسى
إن الله اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا له قد علمنا هذا فأي الناس أعلم قال أنا فعتب الله عليه حين لم يرد
العلم إلى الله تعالى فأوحى إليه بل أعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر وكان
الخضر في أيام أفريدون قبل موسى وكان على مقدمة ذي القرنين الأكبر وبقي إلى أيام موسى
عليه السلام وقيل إن موسى سأل ربه أي عبادك أحب إليك قال الذي يذكرني ولا ينساني
قال فأي عبادك أقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فأي عبادك أعلم قال الذي
يبتغي علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى فقال إن كان
في عبادك من هو أعلم مني فادللني عليه قال أعلم منك الخضر قال أين أطلبه قال على الساحل عند الصخرة
قال يا رب كيف لي به قال تأخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه إذا فقدت
الحوت فأخبرني فذهبا يمشيان فرقد موسى عليه السلام فاضطرب الحوت ووقع في البحر فلما جاء
وقت الغداء طلب موسى عليه السلام الحوت فأخبره فتاه بوقوعه في البحر فأتيا الصخرة فإذا
رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى فقال وأنى بأرضنا السلام فعرفه نفسه فقال يا موسى
أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا فلما ركبا السفينة جاء عصفور
فوقع على حرفها فنقر في الماء فقال ما ينقص علمي وعلمك من علم الله مقدار ما أخذ هذا العصفور
من البحر فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما أي نسيا تفقد أمره وما يكون منه مما جعل أمارة
على الظفر بالطلبة وقيل نسي يوشع أن يقدمه ونسي موسى أن يأمره فيه بشيء وقيل كان الحوت
سمكة مملوحة وقيل إن يوشع حمل الحوت والخبز في المكتل فنزلا ليلة على شاطئ عين تسمى عين
الحيوة ونام موسى فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت وروي أنهما أكلا منها وقيل
توضأ يوشع من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش ووقع في الماء فاتخذ سبيله في البحر سربا
أمسك الله جرية الماء على الحوت فصار عليه مثل الطاق وحصل منه في مثل السرب معجزة لموسى
أو للخضر عليهما السلام فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا فلما جاوزا الموعد وهي الصخرة
لنسيان موسى تفقد أمر الحوت وما كان منه ونسيان يوشع أن يذكر لموسى ما رأى من حيوته ووقوعه في البحر وقيل
سارا بعد مجاوزة الصخرة الليلة والغد إلى الظهر وألقي على موسى النصب والجوع حين جاوز الموعد ولم ينصب
ولا جاع قبل ذلك فتذكر الحوت وطلبه وقوله لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا إشارة إلى مسيرهما وراء الصخرة
فإن قلت كيف نسي يوشع ذلك ومثله لا ينسى لكونه أمارة لهما على الطلبة التي تناهضا
من أجلها ولكونه معجزتين ثنتين وهما حيوة السمكة المملوحة المأكول منها وقيل ما كانت إلا شق سمكة وقيام
الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب منه ثم كيف استمر به النسيان حتى خلفا الموعد وسارا مسيرة ليلة
إلى ظهر الغد وحتى طلب موسى عليه السلام الحوت قلت قد شغله الشيطان بوساوسه فذهب بفكره

كل مذهب

كل مذهب حتى اعتراه النسيان وانضم إلى ذلك أنه ضري بمشاهدة أمثاله عند موسى من العجائب واستأنس
بأخواته فأعان الإلف على قلة الاهتمام قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت أرأيت بمعنى
أخبرني فإن قلت ما وجه التئام هذا الكلام فإن كل واحد من أرأيت وإذ أوينا
وفإني نسيت الحوت لا متعلق له قلت لما طلب موسى الحوت ذكر يوشع ما رأى منه
وما اعتراه من نسيانه إلى تلك الغاية فدهش وطفق يسأل موسى عن سبب ذلك كأنه قال أرأيت ما دهاني
إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت فحذف ذلك وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت وما أنسانيه
إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا أن أذكره بدل من الهاء في أنسانيه أي وما أنساني
ذكره إلا الشيطان وفي قراءة عبد الله أن أذكركه وعجبا ثاني مفعولي اتخذ مثل سربا يعني واتخذ سبيله
عجبا وهو كونه شبيه السرب أو قال عجبا في آخر كلامه تعجبا من حاله في رؤية تلك العجيبة ونسيانه
لها أو مما رأى من المعجزتين وقوله وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره اعتراض بين المعطوف عليه وقيل
إن عجبا حكاية لتعجب موسى وليس بذاك قال ذلك ما كنا نبغي ذلك إشارة إلى اتخاذه سبيلا أي ذلك
الذي كنا نطلب لأنه أمارة للظفر بالطلبة من لقاء الخضر وقرئ نبغ بغير ياء في الوصل وإثباتها أحسن وهي
قراءة أبي عمرو وأما الوقف فالأكثر فيه طرح الياء اتباعا لخط المصحف فارتدا على آثارهما فرجعا
مقتصين ٢ في أدراجهما قصصا يقصان قصصا أي يتبعان آثارهما اتباعا أو فارتدا مقتصين فوجدا عبدا من عبادنا
آتيناه رحمة من عندنا هي الوحي والنبوة وعلمناه من لدنا علما مما يختص بنا من العلم وهو الإخبار
عن الغيوب قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا قرئ بفتحتين وبضمة وسكون
أي علما ذا رشد أرشد به في ديني فإن قلت أما دلت حاجته إلى التعلم من آخر في عهده
أنه كما قيل موسى بن ميشا لا موسى بن عمران لأن النبي يجب أن يكون أعلم أهل زمانه وإمامهم
المرجوع إليه في أبواب الدين قلت لا غضاضة بالنبي في أخذ العلم من نبي مثله وإنما
يغض منه أن يأخذه ممن دونه وعن سعيد بن جبير أنه قال لابن عباس إن نوفا ابن امرأة كعب يزعم أن الخضر
ليس بصاحب موسى بن عمران وأن موسى هو موسى بن ميشا فقال كذب عدو الله قال إنك لن تستطيع
معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا نفى استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد كأنها مما لا يصح ولا يستقيم
وعلل ذلك بأنه يتولى أمورا هي في ظاهرها مناكير والرجل الصالح فكيف إذا كان نبيا لا يتمالك أن يشمئز
ويمتعض ويجزع إذا رأى ذلك ويأخذ في الإنكار وخبرا تمييز أي لم يحط به خبرك أو لأن لم تحط به بمعنى لم
تخبره فنصبه نصب المصدر قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا ولا أعصي في محل النصب عطف
على صابرا أي ستجدني صابرا وغير عاص أو لا في محل عطفا على ستجدني رجا موسى عليه السلام لحرصه
على العلم وازدياده أن يستطيع معه صبرا بعد إفصاح الخضر عن حقيقة الأمر فوعده الصبر معلقا بمشيئة
الله علما منه بشدة الأمر وصعوبته وأن الحمية التي تأخذ الصالح عند مشاهدة الفساد شيء لا يطاق
هذا مع علمه أن النبي المعصوم الذي أمره الله بالمسافرة إليه واتباعه واقتباس العلم منه بريء من أن
يباشر ما فيه غميزة في الدين وأنه لا بد لما يستسمج ظاهره من باطن حسن جميل فكيف إذا لم يعلم
قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا قرئ فلا تسألني بالنون الثقيلة
غبي يعني فمن شرط اتباعك لي أنك إذا رأيت مني شيئا وقد علمت أنه صحيح إلا أنه خفي عليك وجه صحته
فحميت وأنكرت في نفسك أن لا تفاتحني بالسؤال ولا تراجعني فيه حتى أكون أنا الفاتح عليك
وهذا من أدب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها
قال أخرقتها لتغرق أهلها فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركبا قال أهلها هما من اللصوص
وأمروهما بالخروج فقال صاحب السفينة أرى وجوه الأنبياء وقيل عرفوا الخضر فحملوهما بغير نول فلما
قال ٧ لججوا أخذ الخضر الفأس فخرق السفينة بأن قلع لوحين من ألواحها مما يلي الماء فجعل موسى يسد الخرق بثيابه
ويقول أخرقتها لتغرق أهلها وقرئ لتغرق بالتشديد وليغرق أهلها من غرق وأهلها مرفوع لقد جئت
شيئا إمرا أتيت شيئا عظيما من أمر الأمر إذا عظم قال الإمر الداهية دهياء إذا إمرا قال ألم أقل
إنك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت بالذي نسيته أو بشيء نسيته أو بنسياني
أراد أنه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي أو أخرج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان

يوهمه انه قد نسي ليبسط عذره في الانكار وهو من معاريض الكلام التي يتقي بها الكذب مع التوصل الي الغرض
كقول ابرهيم عليه السلام هذه اختي واني سقيم او اراد بالنسيان الترك اي لا تواخذني بما تركت من
وصيتك اول مرة ولا ترهقني من امري عسرا يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه اي ولا تغشني
عسرا من امري وهو اتباعه اياه يعني ولا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالاغضا وترك المناقشة
وقري عسرا بضمتين فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قيل كان قتله فتل عنقه وقيل ضرب براسه
الحايط وعن سعيد بن جبير اضجعه ثم ذبحه بالسكين فان قلت لم قيل حتى اذا ركبا في
السفينة خرقها بغير فا وحتى اذا لقيا غلاما فقتله بالفا قلت جعل خرقها جزا للشرط
وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه والجزا قال اقتلت نفسا زاكية فان قلت لم خولف
بينهما قلت لان خرق السفينة لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقا الغلام وقري زاكية وزكية وهي
الطاهرة من الذنوب اما لانها طاهرة عنده لانه لم يرها قد اذنبت واما لانها صغيرة لم تبلغ الحنث بغير نفس
يعني لم تقتل نفسا فيقتص منها وعن ابن عباس رضي الله عنه ان نجدة الحروري كتب اليه كيف جاز قتله وقد نهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه صاحب موسى فلك ان عالم
تقتل لقد جيت شيا نكرا وقري بضمتين وهو المنكر وقيل النكر اقل من الامر لان قتل نفس واحدة
اهون من اغراق اهل السفينة وقيل معناه جيت شيا انكر من الاول لان ذاك كان خرقا يمكن تداركه بالسد
وهذا لا سبيل الي تداركه قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا فان قلت ما معنى زيادة لك
قلت زيادة المكافحة بالعتاب علي رفض الوصية والوسم بقلة الصبر عند الكرة الثانية قال ان سالتك عن شي
بعدها بعد هذه الكرة او المسالة فلا تصاحبني اي فلا تقاربني وان طلبت صحبتك فلا تتابعني
علي ذلك وقري فلا تصحبني فلا تكن صاحبي وقري فلا تصحبني اي فلا تصحبني اياك ولا تجعلني
صاحبك قد بلغت من لدني عذرا قد اعذرت وقري لدني بتخفيف النون ولدني بسكون الدال وكسر
النون كقولهم في عضد عضد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى استحيي فقال ذلك وقال
رحمة الله علينا وعلي اخي موسى لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب فانطلقا حتى اذا اتيا اهل
قرية هي انطاكية وقيل الابلة وهي ابعد ارض الله من السما استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما وقري
يضيفوهما يقال ضافه اذا كان له ضيفا وحقيقته مال اليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاره من الازورار
واضافه وضيفه انزله وجعله ضيفه وعن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا اهل قرية لياما وقيل شر القرى
التي لا يضاف الضيف فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض استعيرت الارادة
للمداناة والمشارفة كما استعير الهم والعزم لذلك قال الراعي في مهمه قلقت به هاماتها
قلق الفووس اذا اردن نصولا وقال يريد الرمح صدر ابي برا ويعدل عن دما بني عقيل
وقال حسان ان دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان وسمعت من يقول عزم السراج
ان يطفا وطلب ان يطفا واذا كان القول والنطق والشكاية والصدق والكذب والسكوت والتمرد
والابا والعزة والطواعية وغير ذلك مستعارة للجماد ولما لا يعقل فما بال الارادة قال
اذ قالت الانساع للبطن الحق تقول سني للنواة طني لا ينطق اللهو حتى ينطق العود وشكا الي جملي ونحمحم
فان يك ظني صادقا وهو صادقي ولما سكت عن موسى الغضب تمرد مارد وعز الابلق ولبعضهم
يابى علي اجفانه اغفاوه هم اذا انقاد الهموم تمردا والذي نعمرها مس البطون وان تمس ظهورها
قالتا اتينا طايعين ولقد بلغني ان بعض المحرفين لكلام الله ممن لا يعلم كان يجعل الضمير للخضر لانه كان
فيه من آفة الجهل وسقم الفهم اراه اعلى الكلام طبقة ادناه منزلة فتمحل ليرده الي ما هو عنده
اصح وافصح وعنده ان ما كان ابعد من المجاز كان ادخل في الاعجاز وانقض اذا اسرع سقوطه
من انقضاض الطاير وهو انفعل مطاوع قضضته وقيل افعل من النقض كاحمر من الحمرة وقري
ان ينقض من النقض وان ينقاص من انقاصت السن اذا انشقت طولا قال ذو الرمة منقاص
ومنكثب بالصاد غير معجمة فاقامه قال لو شيت لتخذت عليه اجرا قيل اقامه بيده وقيل
مسحه بيده فقام واستوى وقيل اقامه بعمود عمده به وقيل نقضه وبناه وقيل
كان طول الجدار في السما مائة ذراع كانت الحال حال اضطرار وافتقار الي المطعم وقد لزتهما الحاجة الي

اخرك

اخر كسب المرء وهو المسالة فلم يجدا مواسيا فلما اقام الجدار لم يتمالك موسى عليه السلام لما راي من الحرمان
ومساس الحاجة ان قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا وطلبت علي عملك جعلا حتى ننتعش ونستدفع به الضرورة شئت
وقري لتخذت والتاء في تخذ اصل كما في تبع واتخذ افتعل منه كاتبع من تبع وليس من الاخذ في شي قال
هذا فراق بيني وبينك سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا فان قلت هذا اشارة الي
ماذا قلت قد تصور فراق بينهما عند حلول ميعاده علي ما قال موسى عليه السلام ان سالتك عن
شي بعدها فلا تصاحبني فاشار اليه وجعله مبتدا واخبر عنه كما تقول هذا اخوك فلا يكون هذا اشارة الي غير الاخ ويجوز
ان يكون اشارة الي السوال الثالث اي هذا الاعتراض سبب الفراق والاصل هذا فراق بيني وبينك وقد قرا به
ابن ابي عبلة فاضيف المصدر الي الظرف كما يضاف الي المفعول به اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر
فاردت ان اعيبها قيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر وكان وراءهم ملك ياخذ
كل سفينة غصبا وراءهم امامهم كقوله تعالى ومن ورائهم برزخ وقيل خلفهم وكان طريقهم في رجوعهم عليه وما كان
عندهم خبره فاعلم الله به الخضر وهو جلندي فان قلت قوله فاردت ان اعيبها مسبب عن خوف الغصب
عليها فكان حقه ان يتاخر عن السبب فلم قدم عليه قلت النية به التاخير وانما قدم للعناية ولان
خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن مع كونها للمساكين فكان بمنزلة قولك زيد ظني مقيم وقيل في قراءة
ابي وعبد الله كل سفينة صالحة واما الغلام فكان ابواه مومنين وقرا الجحدري وكان ابواه مومنان علي ان كان
فيه ضمير الشان فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا فخشينا ان يغشي الوالدين المومنين طغيانا عليهما وكفرا
لنعمتهما بعقوقه وسو صنيعه ويلحق بهما شرا وبلا او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مومنان
وطاغ كافر او يعديهما بدايه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه ويطغيا ويكفرا بعد الايمان وانما خشي الخضر
عليه السلام منه ذلك لان الله تعالى اعلمه بحاله واطلعه علي سر امره وامره اياه بقتله كاخترامه لمفسدة عرفها في
حياته وفي قراءة ابي فخاف ربك والمعنى فكره ربك كراهة من خاف سو عاقبة الامر فغيره ويجوز ان يكون
قوله فخشينا حكاية لقول الله تعالى بمعنى فكرهنا كقوله لاهب لك فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة
واقرب رحما وقري يبدلهما بالتشديد والزكوة الطهارة والنقاوة من الذنوب والرحم الرحمة والعطف وروي
انه ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله علي يديه امة من الامم وقيل ولدت سبعين
نبيا وقيل ابدلهما ابنا مومنا مثلهما واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما
وقيل اسما الغلامين اصرم وصريم والغلام المقتول اسمه الحيسور واختلف في الكنز فقيل مال مدفون من
ذهب وفضة وقيل لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يومن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يومن بالرزق
كيف يتعب وعجبت لمن يومن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يومن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف
الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمين اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم والظاهر
لاطلاقه انه مال وعن قتادة احل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم واحلت
لنا اراد قوله والذين يكنزون الذهب والفضة الاية وكان ابوهما صالحا اعتداد بصلاح ابيهما
وحفظ لحقه فيهما وعن جعفر بن محمد كان بين الغلامين وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة اباء وعن الصادق
الحسن بن علي رضي الله عنهما انه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما بم حفظ الله مال الغلامين
قال بصلاح ابيهما قال فابي وجدي خير منه فقال قد انبانا الله انكم قوم خصمون فاراد ربك ان
يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك رحمة مفعول له او مصدر منصوب باراد ربك لانه
في معنى رحمهما وما فعلته وما فعلت ما رايت عن امري عن اجتهادي ورايي وانما فعلته بامر الله ذلك
تاويل ما لم تسطع عليه صبرا ويسالونك عن ذي القرنين ذو القرنين هو الاسكندر الذي ملك
الدنيا قيل ملكها مومنان ذو القرنين وسليمان وكافران نمروذ وبخت نصر وكان بعد نمروذ واختلف
فيه فقيل كان عبدا صالحا ملكه الله الارض واعطاه العلم والحكمة والبسه الهيبة وسخر له النور
والظلمة فاذا سرى يهديه النور من امامه وتحوطه الظلمة من ورايه وقيل نبيا وقيل ملكا من الملايكة
وعن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اغفر ما رضيتم ان تتسموا باسما الانبيا حتى تسميتم اللهم
باسما الملايكة وعن علي رضي الله عنه سخر له السحاب ومد له الاسباب وبسط له النور وسيل عنه فقال احبه الله
فاحبه وساله ابن الكوا ما ذو القرنين املك ام نبي فقال ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا ضرب علي

وذيلهم مثله

قرنه الايمن في طاعة الله فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الايسر فمات فبعثه الله فسمي ذا القرنين وقيل كان
يدعوهم الى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم سمي ذا القرنين لانه طاف قرني الدنيا
اي جانبيها شرقها وغربها وقيل كان له قرنان اي ضفيرتان وقيل انقرض في وقته قرنان من الناس وعن وهب لانه
ملك الروم وفارس وروي الروم والترك وعنه كانت صفحتا راسه من نحاس وقيل كان لتاجه قرنان وقيل
كان على راسه ما يشبه القرنين ويجوز ان يلقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا لانه ينطح اقرانه
وكان من الروم ولد عجوز ليس لها ولد غيره والسائلون هم اليهود سالوه على جهة الامتحان وقيل سأله ابو جهل
واشياعه قل سأتلوا عليكم منه ذكرا والخطاب في عليكم لاحد الفريقين انا مكنا له في الارض واتيناه من
كل شيء اي من اسباب كل شيء اراده من اغراضه ومقاصده في ملكه سببا طريقا موصلا اليه والسبب ما يتوصل به
الى المقصود من علم او قدرة او آلة فاتبع سببا حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة اي فاراد
بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه حتى بلغ وكذلك اراد المشرق فاتبع سببا واراد بلوغ السدين فاتبع سببا
وقرئ فاتبع قرئ حمئة من حمئت البئر اذا صارت فيها الحمأة وحامية بمعنى حارة وعن ابي ذر رضي الله عنه
كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمل فرأى الشمس حين غابت فقال أتدري يا ابا ذر اين تغرب
هذه قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تغرب في عين حامية وهي قراءة ابن مسعود وطلحة وابن عمر وبحر
رضي الله عنهم وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما حمئة وكان ابن عباس عند معاوية فقرأ معاوية حامية
فقال ابن عباس حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو كيف تقرأ قال كما يقرأ امير المؤمنين ثم وجه الى كعب
الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التوراة وروي في ثاط اي في حمأة
فوافق قول ابن عباس وكان ثمة رجل فانشد قول تبع فرأى مغيب الشمس عند مآبها في عين ذي خلب وثاط حرمد
اي في عين ماء ذي طين وحمأ اسود ولا تنافي بين الحمئة والحامية فجائز ان تكون العين جامعة للوصفين
جميعا ووجد عندها قوما قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا كانوا كفرة
فخيره الله تعالى بين ان يعذبهم بالقتل وان يدعوهم الى الاسلام فاختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم قال اما
من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا اي فقال اما من دعوته فابى الا البقاء على الظلم
العظيم الذي هو الشرك فذلك هو المعذب في الدارين واما من آمن وعمل صالحا واما من آمن وعمل بما يقتضيه الايمان
فله جزاء الحسنى ويعمل غيره في القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل فله جزاء الحسنى
فله ان يجازي المثوبة الحسنى او فله جزاء الفعلة الحسنى التي هي كلمة الشهادة وقرئ فله جزاء الحسنى اي فله
الفعلة الحسنى جزاء كان يطبخ من كفر في القدور وهو العذاب النكر ومن آمن اعطاه وكساه وسنقول
له من امرنا يسرا اي لا نامره بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكاة والخراج وغير ذلك وتقديره ذا يسر
كقوله قولا ميسورا وقرئ يسرا بضمتين وقرئ مطلع بفتح اللام وهو مصدر والمعنى بلغ مكان مطلع
الشمس كقوله كان مجر الراسيات ذيولها يريد كان آثار مجر الراسيات وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم
من دونها سترا قيل هم الزنج والستر الابنية وعن كعب ارضهم لا تمسك الابنية وبها اسراب فاذا طلعت
الشمس دخلوها فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسألت
عن هؤلاء فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا احدهم يفرش اذنه ويلبس الاخرى ومعي صاحب
يعرف لسانهم فقالوا له جئتنا ننظر كيف تطلع الشمس قال فبينا نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة
فغشي علي ثم افقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذا هي فوق الماء كهيئة الزيت
فادخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج
لهم وقيل الستر اللباس وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس اكثر من جميع اهل الارض
كذلك اي امر ذي القرنين كذلك اي كما وصفناه تعظيما لامره وقد احطنا بما لديه من الجنود والآلات والاسباب
الملك خبرا تكثيرا لذلك وقيل لم نجعل لهم من دونها سترا مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الجبال
والحصون والابنية والاكنان من كل جنس والثياب من كل صنف وقيل بلغ مطلع الشمس مثل ذلك اي كما بلغ
مغربها وقيل تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم يعني انهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل
حكمهم في تعذيبه لمن بقي منهم على الكفر واحسانه الى من آمن منهم ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين بين
الجبلين وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما قرئ بالضم والفتح وقيل ما كان من خلق الله تعالى فهو مضموم وما كان

وعن قتادة مع

ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ مطلع الشمس

الشمس مع

من عمل العباد فهو مفتوح لان السد بالضم فعل بمعنى مفعول اي هو مما فعله الله تعالى وخلقه والسد بالفتح مصدر
حدث يحدثه الناس وانتصب بين على انه مفعول به مبلوغ كما انجر على الاضافة في قوله هذا فراق بيني وبينك
وكما ارتفع في قوله لقد تقطع بينكم لانه من الظروف التي تستعمل اسماء وظروفا وهذا المكان في منقطع ارض الترك
مما يلي المشرق وجد من دونهما قوما هم الترك لا يكادون يفقهون قولا لا يكادون يفهمونه الا بجهد ومشقة
من اشارة ونحوها كما يفهم البكم وقرئ يفقهون اي لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لان لغتهم غريبة مجهولة
قالوا يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج ياجوج وماجوج اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقرئا مهموزين وقرأ
رؤبة آجوج وماجوج وهما من ولد يافث وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل والديلم مفسدون في الارض
قيل كانوا ياكلون الناس وقيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون شيئا اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وكانوا
يلقون منهم قتلا واذى شديدا وعن النبي صلى الله عليه وسلم في صفتهم لا يموت احدهم حتى ينظر الى الف ذكر
من صلبه كلهم قد حمل السلاح وقيل هم على صنفين طوال مفرطو الطول وقصار مفرطو القصر فهل نجعل لك
خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا قرئ خرجا وخراجا اي جعلا نخرجه من اموالنا ونظيرهما النول والنوال وقرئ
سدا وسدا بالفتح والضم قال ما مكني فيه ربي خير ما جعلني فيه مكينا من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لي من الخراج
فلا حاجة لي اليه كما قال سليمان عليه السلام فما آتاني الله خير مما آتاكم قرئ بالادغام وبفكه فاعينوني بقوة بفعلة
وصناع يحسنون البناء والعمل وبالآلات اجعل بينكم وبينهم ردما حاجزا حصينا موثقا والردم اكبر من السد من قولهم
ثوب مردم رقاع فوق رقاع قيل حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد
بينهما الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما ثم وضع المنافيخ حتى اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب
على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ آتوني زبر الحديد
حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال آتوني افرغ عليه قطرا وقرئ سوى وسووي
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا اخبره به فقال كيف رايته قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال
قد رايته والصدفان بفتحتين جانبا الجبلين لانهما يتصادفان اي يتقابلان وقرئ الصدفين بضمتين والصدفين
بضمة وسكون والصدفين بفتحة وضمة والقطر النحاس المذاب لانه يقطر وقطرا منصوب بافرغ وتقديره آتوني
قطرا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وقرئ قال ائتوني اي جيئوني فما اسطاعوا بحذف
التاء للخفة لان التاء قريبة المخرج من الطاء وقرئ فما اصطاعوا بقلب السين صادا واما من قرأ بادغام التاء في الطاء
فملاق بين ساكنين على غير الحد ان يظهروه ان يعلوه وما استطاعوا له نقبا اي لا حيلة لهم فيه من صعود
لارتفاعه وانملاسه ولا نقب لصلابته وثخانته قال هذا اشارة الى السد رحمة من ربي اي هذا السد نعمة
من الله ورحمة على عباده او هذا الاقدار والتمكين من تسويته فاذا جاء وعد ربي يعني فاذا دنا مجيء يوم القيامة
وشارف ان ياتي جعله جعل السد دكا اي مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض وكل ما انبسط بعد ارتفاعه فقد
اندك ومنه الجمل الادك المنبسط السنام وقرئ دكاء بالمد اي ارضا مستوية وكان وعد ربي حقا آخر حكاية
ذي القرنين وتركنا وجعلنا بعضهم بعض الخلق يومئذ يموج في بعض اي يضطربون ويختلطون انسهم وجنهم
حيارى ويجوز ان يكون الضمير لياجوج وماجوج وانهم يموجون حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين في البلاد وروي
ياتون البحر فيشربون ماءه وياكلون دوابه ثم ياكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون
ان ياتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله تعالى نغفا في اقفائهم فيدخل في آذانهم فيموتون ونفخ في الصور
فجمعناهم جمعا وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا وبرزناها لهم فراوها وشاهدوها الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري
عن آياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتعظيم او عن القرآن وتامل معانيه وتبصرها ونحوه صم بكم عمي وكانوا لا يستطيعون سمعا
يعني وكانوا صما عنه الا انه ابلغ لان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كانهم اصميت اسماعهم فلا استطاعة
بهم للسمع افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني اولياء هم الملائكة يعني انهم لا يكونون لهم اولياء كما
حكى عنهم سبحانك انت ولينا من دونهم وقرأ ابن مسعود افظن الذين كفروا وقراءة علي رضي الله عنه افحسب الذين
كفروا اي افكافيهم ومحسبهم ان يتخذوهم اولياء على الابتداء والخبر او على الفعل والفاعل لان اسم الفاعل اذا اعتمد
على الهمزة ساوى الفعل في العمل كقولك اقائم الزيدان والمعنى ان ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما
حسبوا وهي قراءة محكمة جيدة انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا النزل ما يقام للنزيل وهو الضيف ونحوه
بشرهم بعذاب اليم قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا

اولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم ضل سعيهم ضاع وبطل وهم الرهبان عن
علي رضي الله عنه كقوله عاملة ناصبة وعن مجاهد رحمه الله اهل الكتاب وعن علي رضي الله عنه ان ابن
الكوا سأله عنهم فقال منهم اهل حروراء وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه يأتي ناس باعمال
يوم القيمة هي عندهم في العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيئا فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا
فنزدري بهم ولا يكون لهم عندنا وزن ومقدار وقيل لا نقيم لهم ميزان لان الميزان انما يوضع لاهل
الحسنات والسيئات الموحدين وقرئ فلا يقيم بالياء **فان قلت** الذين ضل سعيهم في اي
محل هو **قلت** الاوجه ان يكون في محل الرفع على هم الذين ضل سعيهم لانه جواب عن السؤال
ويجوز ان يكون نصبا على الذم او جرا على البدل ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا اياتي ورسلي
هزوا جهنم عطف بيان لقوله جزاؤهم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين
فيها لا يبغون عنها حولا الحول التحول يقال حال من مكانه حولا كقوله عادني حبها عودا يعني لا مزيد
عليها حتى تنازعهم انفسهم الى جمع لاغراضهم واما نيهم وهذه غاية الوصف لان الانسان في الدنيا
في اي نعيم كان فهو طامح الطرف الى ارفع منه ويجوز ان يراد نفي التحول وتاكيد الخلود قل لو
كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا المداد اسم لما
تمد به الدواة من الحبر وما يمد به السراج من السليط ويقال السماء مداد الارض والمعنى لو كتبت
كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مدادا لها والمراد بالبحر الجنس لنفد البحر قبل ان تنفد الكلمات
ولو جئنا بمثل البحر مدادا لنفد ايضا والكلمات غير نافدة ومددا تمييز كقولك لي مثله رجلا والمدد
مثل المداد وهو ما يمد به وعن ابن عباس رضي الله عنه بمثله مدادا وقرأ الاعرج مددا بكسر الميم
جمع مدة وهو ما يستمده الكاتب فيكتب به وقرئ ينفد بالياء وقيل قال حيي بن اخطب في
كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم تقرؤون وما اوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت
يعني ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة في بحر كلمات الله قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد
فمن كان يرجو لقاء ربه فمن كان يأمل حسن لقاء ربه وان يلقاه لقاء رضى وقبول وقد فسرنا
اللقاء او فمن كان يخاف سوء لقائه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا والمراد بالنهي
عن الاشراك بالعبادة ان لا يرائي بعمله وان لا يبتغي به الا وجه الله خالصا لا يخلط به غيره وقيل
نزلت في جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني اعمل العمل لله فاذا اطلع عليه
سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه وروي انه قال لك اجران اجر السر واجر العلانية وذلك
اذا قصد ان يقتدى به وعنه صلى الله عليه وسلم اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر
قال الرياء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف من اخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه
ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ عند مضجعه
قل انما انا بشر مثلكم الى اخره كان له في مضجعه نورا يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة
يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور
حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ والحمد لله رب العالمين والصلاة على رسوله محمد وآله اجمعين

والنعم عام

سورة مريم مكية كلها وهي ثمان وتسعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص قرأ بفتح الهاء وكسر
الياء حمزة وبكسرهما عاصم وبضمهما الحسن ذكر رحمة ربك وقرأ الحسن ذكر رحمة ربك اي
هذا المتلو من القرآن ذكر رحمة ربك وقرئ ذكر على الامر عبده زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا
راعى سنة الله في اخفاء دعوته لان الجهر والاخفاء سيان عند الله فكان الاخفاء اولى لانه
ابعد من الرياء وادخل في الاخلاص وعن الحسن نداء لا رياء فيه او اخفاه لئلا يلام على طلب الولد
في ابان الكبرة والشيخوخة او اسره من مواليه الذين خافهم او خفت صوته لضعفه وهرمه
كما جاء في صفة الشيخ صوته خفات وسمعه تارات واختلف في سن زكريا عليه السلام فقيل
ستون وخمس وستون وسبعون وخمس وسبعون وخمس وثمانون قال رب اني
وهن العظم مني قرئ وهن بالحركات الثلاث وانما ذكر العظم لانه عمود البدن وبه قوامه

وهو اصل

ون قطف

وهو اصل بنائه فاذا وهن تداعى وسقطت قوته ولانه اشد ما فيه واصلبه فاذا وهن كان ما وراءه
اوهن ووحده لان الواحد هو الدال على معنى الجنسية وقصده الى ان هذا الجنس الذي هو العمود
والقوام واشد ما تركب منه الجسد قد اصابه الوهن ولو جمع لكان قصدا الى معنى اخر وهو انه لم يهن
منه بعض عظامه ولكن كلها واشتعل الرأس شيبا ادغم السين في الشين عن ابي عمرو شبه
الشيب بشواظ النار في بياضه وانارته وانتشاره في الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل ماخذ باشتعال
النار ثم اخرجه مخرج الاستعارة ثم اسند الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس واخرج الشيب
مميزا ولم يضف الرأس اكتفاء بعلم المخاطب انه رأس زكريا فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة
ولم اكن بدعائك رب شقيا توسل الى الله بما سلف له معه من الاستجابة وعن بعضهم ان محتاجا
سأله وقال انا الذي احسنت الي وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل بنا الينا وقضى حاجته واني خفت الموالي
كانوا موالية وهم عصبته اخوته وبنو عمه شرار بني اسرائيل فخافهم على الدين ان يغيروه ويبدلوه وان لا
يحسنوا الخلافة على امته فطلب عقبا من صلبه صالحا يقتدى به في احياء الدين ويرتسم مراسمه فيه
من ورائي بعد موتي وقرأ ابن كثير من وراي بالقصر وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لفساد المعنى
ولكن بمحذوف او بمعنى الولاية في الموالي اي خفت فعل الموالي وهو تبديلهم وسوء خلافتهم
من ورائي او خفت الذين يلون الامر من ورائي وقرأ عثمان ومحمد بن علي وعلي بن الحسين رضي الله عنهم
خفت الموالي من ورائي وهذا على معنيين احدهما ان يكون وراءي بمعنى خلفي وبعدي فيتعلق الظرف
بالموالي اي قلوا وعجزوا عن اقامة امر الدين فسأل ربه تقويتهم ومظاهرتهم بولي يرزقه والثاني
ان يكون بمعنى قدامي فيتعلق بخفت ويريد انهم خفوا قدامه ودرجوا ولم يبق منهم من به تقوٍّ واعتضاد
وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا من لدن تاكيد لكونه وليا مرضيا بكونه مضافا الى الله
وصادرا من عنده والا فهب لي ولدا كاف او اراد اخترعه منك بلا سبب لاني وامرأتي لا نصلح
للولادة يرثني ويرث من آل يعقوب يرثني ويرث الجزم جواب الدعاء والرفع صفة ونحوه ردءا
يصدقني وعن ابن عباس والجحدري يرثني وارث آل يعقوب وعن الجحدري اويرث على تصغير
وارث وقال غليم صغير وعن علي رضي الله عنه وجماعة وارث من آل يعقوب اي يرثني به وارث
ويسمى التجريد في علم البيان والمراد بالارث ارث الشرع والعلم لان الانبياء لا تورث المال وقيل يرثني الحبورة وكان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك يقال ورثته وورثت
منه لغتان وقيل من للتبعيض لا للتعدية لان آل يعقوب لم يكونوا كلهم انبياء ولا علماء وكان
زكريا عليه السلام من نسل يعقوب بن اسحاق وقيل هو يعقوب بن ماثان اخو زكريا وقيل
يعقوب هذا وعمران ابو مريم اخوان من نسل سليمان بن داود عليه السلام واجعله رب رضيا
يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا لم يسم احد بيحيى قبله وهذا
شاهد على ان الاسامي الشنع جديرة بالاثرة واياها كانت العرب تنتحي في التسمية لكونها انبه وانوه وانزه عن النبز حتى قال
القائل في مدح قوم
سنع الاسامي مسبلي ازر ... حمر تمس الارض بالهدب
وقال رؤبة للنسابة
البكري وقد سأله عن نسبه انا ابن العجاج فقال قصرت وعرفت وقيل مثلا وشبيها عن مجاهد
كقوله تعالى هل تعلم له سميا وانما قيل للمثل سمي لان كل متشاكلين يسمى كل واحد منهما باسم المثل
والشبيه والشكل والنظير فكل واحد منهما سمي لصاحبه ونحو يحيى في اسمائهم يعمر ويعيش
ان كانت التسمية عربية وقد سموا بيموت ايضا وهو يموت بن المزرع قالوا لم يكن له مثل في انه لم
يعص ولم يهم بمعصية قط وانه ولد بين شيخ فان وعجوز عاقر وانه كان حصورا اي كانت على صفة
العقر قال رب انى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا اي حين انا شاب
وكهل فاردت الولد لاختلال احد السببين افحين اختل السببان جميعا ارزقه **فان
قلت** لم طلب اولا وهو وامرأته على صفة العتي والعقر فلما اسعف بطلبته
استبعد واستعجب **قلت** ليجاب بما اجيب به فيزداد الموقنون ايقانا ويرتدع
المبطلون والا فمعتقد زكريا اولا وآخرا كان على منهاج واحد في ان الله تعالى غني عن الاسباب
اي بلغت عتيا وهو اليبس والجساوة في المفاصل والعظام كالعود القاحل يقال عتا

العود وعسا انه اجل الكبر والطعن في السن العالية او بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى
عتيا وقرا ابن وثاب وحمزة والكسائي بكسر العين وكذلك صليا وابن مسعود بفتحهما فيهما وقرا ابي
ومجاهد عسيا قال كذلك الكاف رفع اي الامر كذلك تصديق له ثم ابتدا قال ربك او نصب
بقال وذلك اشارة الى مبهم يفسره هو علي هين ونحوه وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هولاء
مقطوع مصبحين وقرا الحسن وهو علي هين ولا يخرج هذا الا على الوجه الاول اي الامر كما قلت وهو
على ذلك يهون علي ووجه اخر وهو ان يشار بذلك الى ما تقدم من وعد الله لا الى قول زكريا وقال
محذوف في كلتي القراتين اي قال هو علي هين وان شدد لم تحوه لان الله تعالى
هو المخاطب والمعنى انه قال ذلك ووعده وقوله الحق وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا
لان المعدوم ليس بشي او شيئا يعتد به كقولهم عجبت من لا شي وقوله اذا راي غير شي ظنه رجلا
وقرا الاخفش والكسائي وابن وثاب خلقناك قال رب اجعل لي اية قال ايتك ان لا تكلم الناس ثلاث
ليال سويا اي اجعل لي علامة اعلم بها وقوع ما بشرت به قال علامتك ان لا تقدر على الكلام فلا تطيقه
وانت سليم الجوارح سوي الخلق ما بك خرس ولا بكم ودل ذكر الليالي هنا والايام في ال عمران على ان
المنع من الكلام استمر به ثلاثة ايام ولياليهن فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم اوحى اشار
عن مجاهد ويشهد له الا رمزا وعن ابن عباس كتب لهم على الارض ان سبحوا بكرة وعشيا صلوا
او صلوا على الظاهر وان هي المفسرة يا يحيى خذ الكتاب بقوة واتيناه الحكم صبيا اي خذ التورية
بجد واستظهار بالتوفيق والتاييد الحكم الحكمة ومنه واحكم كحكم فتاة الحي يعني الحكم حكما كحلم
وهو الفهم للتورية والفقه في الدين عن ابن عباس وقيل دعاه الصبيان الى اللعب وهو صبي
فقال ما للعب خلقنا عن الضحاك وعن معمر العقل وقيل النبوة لان الله احكم عقله في صباه واوحى
اليه وحنانا من لدنا وزكوة وكان تقيا وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا وسلام عليه يوم ولد ويوم
يموت ويوم يبعث حيا حنانا ورحمة لابويه وغيرهما وتعطفا وشفقة وانشد سيبويه

وقالت حنان ما اتى بك ها هنا اذو نسب ام انت بالحي عارف

وقيل حنانا من الله عليه وحن في معنى ارتاح واشتاق ثم استعمل في العطف والرافة وقيل لله حنان
كما قيل رحيم على سبيل الاستعارة والزكاة الطهارة وقيل الصدقة اي يتعطف على الناس
ويتصدق عليهم سلم الله عليه في هذه الاحوال قال ابن عيينة انها اوحش المواطن واذكر
في الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فارسلنا اليها روحنا
فتمثل لها بشرا سويا اذ بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها وفيه ان المقصود
بذكر مريم ذكر وقتها هذا لوقوع هذه القصة العجيبة فيه والانتباذ الاعتزال والانفراد تخلت
للعبادة في مكان مما يلي شرقي بيت المقدس او من دارها معتزلة عن الناس وقيل قعدت في مشرقة
للاغتسال عن الحيض محتجبة بحائط او بشي يسترها وكان موضعها المسجد فاذا حاضت تحولت الى
بيت خالتها فاذا طهرت عادت الى المسجد فبينما هي في مغتسلها اتاها الملك في صورة ادمي شاب امرد
وضي الوجه جعد الشعر سويا سوي الخلق لم ينقص من الصورة الادمية شيئا او حسن الصورة
مستوي الخلق وانما مثل لها في صورة الانسان لتستانس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها في
الصورة الملكية لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه ودل على عفافها وورعها انها تعوذت بالله
من تلك الصورة الجميلة الفائقة الحسن وكان تمثيله على تلك الصفة ابتلاء لها وسبرا لعفتها
وقيل كانت في بيت زوج اختها زكريا ولها محراب على حدة تسكنه وكان زكريا اذا خرج اغلق عليها
فتمنت ان تجد خلوة في الجبل لتفلي راسها فانفجر السقف لها فخرجت وجلست في المشرقة
وراء الجبل فاتاها الملك وقيل قام بين يديها في صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس
وقيل ان النصارى اتخذت المشرق قبلة لانتباذ مريم مكانا شرقيا والروح جبريل لان
الدين يحيى به وبوحيه او سماه الله روحه على المجاز محبة له وتقريبا كما تقول لحبيبك
انت روحي وقرا ابو حيوة روحنا بالفتح لانه سبب لما فيه روح العباد واصابة الروح عند
الله الذي هو عدة المقربين في قوله فاما ان كان من المقربين فروح وريحان او لانه من المقربين

وهم الموعودون بالروح اي مقربنا وذا روحنا قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ارادت
ان كان يرجى منك ان تتقي الله وتخشاه وتحتفل بالاستعاذة به فاني عائذة به منك كقوله تعالى بقية
الله خير لكم ان كنتم مومنين قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا اي انما انا رسول من استعذت
به لاهب لك لاكون سببا في هبة الغلام بالنفخ في الدرع وفي بعض المصاحف انما انا رسول
ربك امرني ان اهب لك او هي حكاية لقول الله عز وجل قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني
بشر ولم اك بغيا جعل المس عبارة عن النكاح الحلال لانه كناية عنه كقوله من قبل ان تمسوهن
او لامستم النساء والزنى ليس كذلك انما يقال فيه فجر بها وخبث بها وما اشبه ذلك وليس
بقمن ان تراعى فيه الكنايات والاداب والبغي الفاجرة التي تبغي الرجال وهي فعول
عند المبرد بغوي فادغمت الواو في الياء وقال ابن جني في كتاب التمام هي فعيل ولو كانت
فعولا لقيل بغو كما قيل فلان نهو عن المنكر قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله اية للناس
ورحمة منا ولنجعله تعليل معلله محذوف اي ولنجعله اية للناس فعلنا ذلك او هو معطوف
على تعليل مضمر اي لنبين به قدرتنا ولنجعله اية ونحوه وخلق الله السموات والارض بالحق
ولتجزى كل نفس بما كسبت وقوله وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه وكان امرا مقضيا
مقدرا مسطورا في اللوح لا بد لك من جريه عليك وكان امرا حقيقا بان يكون ويقضى لكونه اية ورحمة
والمراد بالاية العبرة والبرهان على قدرة الله وبالرحمة الشرائع والالطاف وما كان سببا في قوة
الاعتقاد والتوصل الى الطاعة والعمل الصالح فهو جدير بالتكوين فحملته عن ابن عباس رضي الله عنه
فاطمانت الى قوله فدنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة الى بطنها فحملت قيل كانت مدة
الحمل ستة اشهر وعن عطاء وابي العالية والضحاك سبعة اشهر وقيل ثمانية ولم يعش مولود
وضع لثمانية الا عيسى وقيل ثلاث ساعات وقيل حملته في ساعة وصور في ساعة و صنعته
في ساعة حين زالت الشمس من يومها وعن ابن عباس كانت مدة الحمل ساعة واحدة كما حملته نبذته
وقيل حملته وهي بنت ثلاث عشرة سنة وقيل بنت عشر وقد كانت حاضت حيضتين
قبل ان تحمل وقالوا ما من مولود الا يستهل غيره فانتبذت به اي اعتزلت وهو في بطنها كقوله
تدوس بنا الجماجم والتريبا اي تدوس الجماجم ونحن على ظهورها ونحوه قوله تنبت بالدهن
اي تنبت ودهنها فيها الجار والمجرور في موضع الحال مكانا قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل
وقيل اقصى الدار وقيل كانت سميت لابن عم لها اسمه يوسف فلما قيل حملت من الزنا
خاف عليها قتل الملك فهرب بها فلما كان ببعض الطريق حدثته نفسه بان يقتلها فاتاه
جبريل وقال انه من روح القدس فلا تقتلها فتركها فاجاءها المخاض اجاء منقول من جاء الا ان
استعماله قد تغير بعد النقل الى معنى الالجاء الا تراك لا تقول جئت المكان واجاءنيه
زيد كما تقول بلغته وابلغنيه ونظيره اتى حيث لم يستعمل الا في الاعطاء ولم تقل اتيت
المكان واتانيه فلان وقرا ابن كثير في رواية المخاض بالكسر يقال مخضت الحامل مخاضا ومخاضا
وهو تمخض الولد في بطنها الى جذع النخلة لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة
وكان جذع نخلة يابسة في الصحراء ليس لها راس ولا ثمر ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف
لا يخلو اما ان يكون من تعريف الاسماء الغالبة كتعريف النجم والصعق كان تلك الصحراء كان فيها
جذع نخلة متعالم عند الناس فاذا قيل جذع النخلة فهم منه ذلك دون غيره من جذوع النخل
واما ان يكون تعريف الجنس اي جذع هذه الشجرة خاصة كان الله تعالى انما ارشدها الى النخلة
ليطعمها منه الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها ولان النخلة اقل شي صبرا على البرد
وثمارها انما هي من جمارها فلموافقتها لها مع جمع الايات فيها اختارها لها والجاها اليها قالت
يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا قرئ مت بالضم والكسر يقال مات يموت ومات يمات
النسي ما من حقه ان يطرح وينسى كخرقة الطامث ونحوها كالذبح اسم ما من شانه ان
يذبح في قوله وفديناه بذبح عظيم وعن يونس العرب اذا ارتحلوا عن الدار قالوا انظروا
انساءكم اي الشي اليسير نحو العصي والقدح والشظاظ تمنت لو كانت شيئا تافها لا يوبه له

نسيا وحقه ان ينسى في العادة وقد نسي وطرح فوجد فيه النسيان الذي هو حقه وذلك
لما لحقها من فرط الحياء والتشوير من الناس على حكم العادة البشرية لا كراهة لحكم الله او لشدة التكليف
عليها اذا بهتوها وهي عارفة ببراءة الساحة وبضد ما قرفت به من اختصاص الله اياها بغاية
الاجلال والاكرام لانه مقام دحض قلما تثبت عليه الاقدام ان تعرف اغتباطك بامر عظيم وفضل
باهر تستحق به المدح وتستوجب التعظيم ثم تراه عند الناس لجهلهم به عيبا يعاب به ويعنف
بسببه او لخوفها عند الناس ان يعصوا الله بسببها وقرا ابن وثاب والاعمش وحمزة نسيا
بالفتح قال الفراء هما لغتان كالوتر والوتر والجسر والجسر ويجوز ان يكون مسمى بالمصدر
كالحمل وقرا محمد بن كعب القرظي نسأ بالهمز وهو الحليب المخلوط بالماء ينسؤه اهله لقلته
ونزارته وقرا الاعمش منسيا بالكسر على الاتباع كالمغيرة والمنخر فناداها من تحتها هو جبريل
عليه السلام الا تحزني قيل كان يقبل الولد كالقابلة وقيل هو عيسى عليه السلام
وهي قراءة عاصم وابي عمرو وقيل تحتها اسفل من مكانها كقوله تجري من تحتها الانهار وقيل
كان اسفل منها تحت الاكمة فصاح بها الا تحزني وقرا نافع وحمزة والكسائي وحفص من تحتها
وفي ناداها ضمير الملك وعيسى عليه السلام وعن قتادة الضمير في تحتها للنخلة وقرا زر
وعلقمة فخاطبها من تحتها قد جعل ربك تحتك سريا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن السري فقال هو الجدول قال لبيد • فتوسطا عرض السري فصدعا • مسجورة متجاورا قلامها •
وقيل هو من السرو والمراد عيسى عليه السلام وعن الحسن وكان والله عبدا سريا وهزي
اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فان قلت ما كان حزنها
لفقد الشراب والطعام حتى تسلى بالسري والرطب قلت لم تقع التسلية
بهما من حيث انهما طعام وشراب ولكن من حيث انهما معجزتان تريان الناس انها من اهل العصمة
والبعد من الريبة وان مثلها مما قرفوها به بمعزل وان لها امورا الاهية خارجة عن العادات خارقة
لما الفوا واعتادوا وحتى يتبين لهم ان ولادها من غير فحل ليس ببدع من شانها تساقط فيه
تسع قراءات تساقط بادغام التاء وتتساقط باظهار التاءين وتساقط بطرح الثانية
ويساقط بالياء وادغام التاء وتساقط وتسقط ويسقط وتسقط ويسقط
التاء للنخلة والياء للجذع ورطبا تمييز ومفعول على حسب القراءة وعن المبرد جواز
انتصابه بهزي كقوله • يجرح في عراقيبها نصلي • قالوا التمر للنفساء عادة من ذلك
الوقت وكذلك التحنيك وقالوا كان من العجوة وقالوا ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض خير
من العسل وقيل اذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب عن طلحة بن سليمان جنيا
بكسر الجيم للاتباع اي جمعنا لك في السري والرطب فائدتين احدهما الاكل والشرب والثانية
سلوة الصدر لكونهما معجزتين وهو معنى قوله فكلي واشربي وقري عينا اي وطيبي
نفسا ولا تغتمي وارفضي عنك ما اهمك واحزنك فاما ترين وقرئ بالكسر لغة نجد
ترئن بالهمز ابن الرومي عن ابي عمرو وهذا من لغة من يقول لبات بالحج وحلات السويق
وذلك لتآخ بين الهمز وحرف اللين في الابدال من البشر احدا فقولي اني نذرت
للرحمن صوما صمتا وفي مصحف عبد الله صمتا وعن انس بن مالك مثله وقيل صياما الا انهم
كانوا لا يتكلمون في صيامهم وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم الصمت لانه
نسخ في امته امرها الله بان تنذر الصوم لئلا تشرع مع البشر المتهمين لها في الكلام
لمعنيين احدهما ان عيسى عليه السلام يكفيها الكلام بما يبرئ به ساحتها والثاني كراهة مجادلة
السفهاء ومناقلتهم وفيه ان السكوت عن السفيه واجب ومن اذل الناس سفيه لم يجد
مسافها قيل اخبرتهم بانها نذرت الصوم بالاشارة وقيل سوغ لها ذلك بالنطق فلن
اكلم اليوم انسيا اي اكلم الملائكة دون الانس فاتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد
جئت شيئا فريا الفري البديع وهو من فري الجلد يا اخت هارون هارون كان اخاها من
ابيها من امثل بني اسرائيل وقيل هو اخو موسى عليهما السلام وعن النبي صلى الله عليه وسلم

علي

رقة

وليس بذاك والباء في بجذع صلة
للتاكيد كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم
الى التهلكة او على معنى افعلي الهز به

انما عنوا هارون النبي وكانت مريم من اعقابه في طبقة الاخوة وبينها وبينه الف سنة واكثر وقيل
السدي كان من ولده وانما قيل اخت هارون كما يقال يا اخا همدان اي يا واحدا منهم وقيل رجل صالح
او طالح في زمانها شبهوها به اي كنت عندنا مثله في الصلاح او شتموها به ولم ترد اخوة النسب
ذكر ان هارون الصالح تبع جنازته اربعون الفا كلهم يسمى هارون تبركا به وباسمه فقالوا
كنا نشبهك بهارون هذا ما كان ابوك امرا سوء وقرا عمر بن لجا التيمي ما كان اباك امرؤ
سوء وما كانت امك بغيا وقيل احتمل يوسف النجار مريم وابنها الى غار فلبثوا فيه اربعين
يوما حتى تعلت من نفاسها ثم جاءت تحمله فكلمها عيسى في الطريق فقال يا اماه ابشري اني
عبد الله ومسيحه فلما دخلت به على قومها وهم اهل بيت صالحون تباكوا وقالوا ذلك وقيل
هموا برجمها حتى تكلم عيسى فتركوها فاشارت اليه اي هو الذي يجيبكم اذا ناطقتموه وقيل
كان المستنطق لعيسى زكريا عليهما السلام وعن السدي لما اشارت اليه غضبوا وقالوا
لسخريتها بنا اشد علينا من زناها وروي انه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع واقبل
عليهم بوجهه واتكا على يساره واشار بسبابته وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ
مبلغا يتكلم فيه الصبيان قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا كان لايقاع مضمون الجملة
في زمان ماض مبهم يصلح لقريبه وبعيده وهو هاهنا لقريبه خاصة والدال عليه معنى
الكلام وانه مسوق للتعجب ووجه اخر ان يكون نكلم حكاية حال ماضية اي كيف
عهد قبل عيسى ان يكلم الناس صبيا في المهد فيما سلف من الزمان حتى نكلم هذا قال اني عبد الله
آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما كنت واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا
وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا انطقه الله تعالى اولا بانه عبد الله ردا لقول النصارى
والكتاب هو الانجيل واختلفوا في نبوته فقيل اعطيها في طفولته اكمل الله عقله واستنبأه
طفلا نظرا في ظاهر الاية وقيل معناه ان ذلك سبق في قضائه او جعل الاتي لا محالة
كانه وجد مباركا اينما كنت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نفاعا حيث كنت وقيل
معلما للخير وقرئ وبرا عن ابي نهيك جعل ذاته برا لفرط بره او نصبه بفعل في معنى
اوصاني وهو كلفني لان اوصاني بالصلاة وكلفنيها واحد والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت
ويوم ابعث حيا قيل ادخل لام التعريف لتعرفه بالذكر قبله كقولك جاءنا رجل وكان من فعل
الرجل كذا والمعنى وذلك السلام الموجه الى يحيى في المواطن الثلاثة موجه الي والصحيح
ان يكون هذا التعريف تعريضا باللعنة على متهمي مريم عليها السلام واعدائها من اليهود وتحقيقه
ان اللام للجنس فاذا قال وجنس السلام علي خاصة فقد عرض بان ضده عليكم ونظيره
قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى يعني ان العذاب على من كذب وتولى وكان
المقام مقام مناكرة وعناد فهو مئنة لنحو هذا التعريض ذلك عيسى ابن مريم قول الحق
وقرا عاصم وابن عامر قول الحق بالنصب وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال الحق وقال
الله وعن الحسن قول الحق بضم القاف وكذلك في الانعام قوله الحق والقول والقال
والقول في معنى واحد كالرهب والرهب وارتفاعه على انه خبر بعد خبر او بدل او خبر
مبتدا محذوف واما انتصابه فعلى المدح ان فسر بكلمة الله وعلى انه مصدر مؤكد لمضمون
الجملة ان اريد قول الثبات والصدق كقولك هو عبد الله الحق لا الباطل وانما
قيل لعيسى كلمة الله وقول الحق لانه لم يولد الا بكلمة الله وحدها وهي قوله كن من غير
اب تسمية للمسبب باسم السبب كما سمي العشب بالسماء والشحم بالندى ويحتمل
اذا اريد بقول الحق عيسى ان يكون الحق اسم الله عز وجل وان يكون بمعنى الثبات والصدق
ويعضده قوله الذي فيه يمترون اي امره حق يقين وهم فيه شاكون يمترون يشكون
والمرية الشك او يتمارون يتلاحون قالت اليهود ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله
وثالث ثلاثة وقرا علي بن ابي طالب رضي الله عنه تمترون على الخطاب وعن ابي بن كعب
قول الحق الذي كان الناس فيه يمترون ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له

والرهب

حقاء

كن فيكون كذب النصارى وبكتهم بالدلالة على انتفاء الولد عنه وانه مما لا يتأتى ولا يتصور في العقول
وليس بمقدور عليه اذ معنى المحال انه غير مستقيم ان تكون ذاته كذات من ينشأ منه الولد ثم بين
احالة ذلك بان من اذا اراد شيئا من الاجناس كلها اوجده بكن كان منزها من شبه الحيوان الوالد
والقول هاهنا مجاز ومعناه ان ارادته للشيء يتبعها كونه لا محالة من غير توقف فشبه ذلك
بامر الآمر المطاع اذا ورد على المامور الممتثل وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط
مستقيم قرا المدنيون وابو عمرو بفتح ان ومعناه ولانه ربي وربكم فاعبدوه كقوله وان
المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا والاسناد وابو عبيد بالكسر على الابتداء وفي حرف
ابي ان الله بالكسر بغير واو وبان الله اي بسبب ذلك فاعبدوه فاختلف الاحزاب من بينهم
الاحزاب اليهود والنصارى عن الكلبي وقيل النصارى لتحزبهم ثلاث فرق نسطورية ويعقوبية
وملكانية وعن الحسن الذين تحزبوا على الانبياء لما قص عليهم قصة عيسى اختلفوا فيه من
بين الناس فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم اي من شهودهم هول الحساب والجزاء
في يوم القيمة او من مكان الشهود فيه وهو الموقف او من وقت الشهود او من شهادة
ذلك اليوم عليهم وان تشهد عليهم الملائكة والانبياء والسنتهم وايديهم وارجلهم بالكفر
وسوء الاعمال او من مكان الشهادة او وقتها وقيل هو ما قالوا وشهدوا به في عيسى
وامه اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا لا يوصف الله بالتعجب وانما المراد ان اسماعهم وابصارهم
يومئذ جدير بان يتعجب منهما بعد ما كانوا صما عميا في الدنيا وقيل معناه التهديد بما
سيسمعون وسيبصرون مما يسوءهم ويصدع قلوبهم لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين
اوقع الظاهر اعني الظالمون موقع الضمير اشعارا بان لا ظلم اشد من ظلمهم حيث اغفلوا الاستماع
والنظر حين يجدي عليهم ويسعدهم والمراد بالضلال المبين اغفال النظر والاستماع
وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار وعن
النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عنه فقال حين يذبح الكبش والفريقان ينظران واذ بدل
من يوم الحسرة او منصوب بالحسرة وهم في غفلة متعلق بقوله في ضلال مبين عن الحسن وانذرهم
اعتراض او هو متعلق بانذرهم اي وانذرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين انا
نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون يحتمل انه يميتهم ويخرب ديارهم وانه يفني اجسادهم ويفني
الارض ويذهب بها واذكر في الكتاب ابرهيم انه كان صديقا نبيا الصديق من ابنية المبالغة ونظيره
الضحيك والنطيق والمراد فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله واياته وكتبه ورسله
وكان الرجحان والغلبة في هذا التصديق للكتب والرسل اي كان مصدقا لجميع الانبياء وكتبهم وكان
نبيا في نفسه كقوله تعالى بل جاء بالحق وصدق المرسلين او كان بليغا في الصدق لان ملاك امر النبوة
الصدق ومصدق الله باياته ومعجزاته حري ان يكون كذلك وهذه الجملة وقعت اعتراضا بين
المبدل منه وبدله اعني ابرهيم واذ قال لابيه نحو قولك رايت زيدا ونعم الرجل اخاك ويجوز ان
يتعلق اذ بكان او بصديقا نبيا اي كان جامعا لخصائص الصديقين والانبياء حين خاطب
اباه تلك المخاطبات والمراد بذكر الرسول اياه وقصته في الكتاب ان يتلو ذلك على الناس ويبلغه
اياهم كقوله واتل عليهم نبا ابرهيم والا فالله عز وجل هو ذاكره ومورده في تنزيله يا ابت لم تعبد
ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم ياتك فاتبعني
اهدك صراطا سويا يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا يا ابت اني اخاف
ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا التاء في يا ابت عوض من ياء الاضافة ولا يقال
يا ابتي لئلا يجمع بين العوض والمعوض منه وقيل يا ابتا لكون الالف بدلا من الياء وشبه سيبويه
ذلك باينق وتعويض الياء فيه عن الواو الساقطة انظر حين اراد ان ينصح اباه ويعظه
فيما كان متورطا فيه من الخطا العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصى فيه امر العقل وانسلخ
عن قضية التمييز ومن الغباوة الذي ليس بعدها كيف رتب الكلام معه في احسن اتساق غباوة
وساقه ارشق مساق مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والادب الجميل والخلق

الحسن منتصحا في ذلك بنصيحة ربه جل وعلا حدث ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اوحى الله تعالى الى ابرهيم عليه السلام انك خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار
فان كلمتي سبقت لمن حسن خلقه اظله تحت عرشي واسكنه حظيرة القدس وادنيه من جواري وذلك انه
طلب منه اولا العلة في خطئه طلب منبه على تماديه موقظ لافراطه وتناهيه لان المعبود لو كان
حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على الثواب والعقاب نافعا ضارا الا انه بعض الخلق لاستخف
عقل من اهله للعبادة ووصفه بالربوبية ولسجل عليه بالغي المبين والظلم العظيم وان كان اشرف
الخلق واعلاهم منزلة كالملائكة والنبيين قال الله تعالى ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين
اربابا ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون وذلك ان العبادة هي غاية التعظيم فلا تحق الا لمن له غاية الانعام
وهو الخالق الرازق المحيي المميت المثيب المعاقب الذي منه اصول النعم وفروعها فاذا وجهت
الى غيره وتعالى علوا كبيرا ان تكون هذه الصفة لغيره لم يكن الا ظلما وعتوا وغيا وكفرا وجحودا وخروجا
عن الصحيح النير الى الفاسد المظلم فما ظنك بمن وجه عبادته الى جماد ليس به حس ولا شعور فلا
يسمع يا عابده ذكرك له وثناءك عليه ولا يرى هيئات خضوعك وخشوعك له فضلا ان يغني
عنك بان تستدفعه بلاء فيدفعه او تسنح لك حاجة فيكفيها ثم ثنى بدعوته الى الحق مترفقا به متلطفا
فلم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال ان معي طائفة من العلم وشيئا منه
ليس معك وذلك علم الدلالة على الطريق السوي فلا تستنكف وهب اني واياك في مسير وعندي
معرفة بالهداية دونك فاتبعني انجك من ان تضل وتتيه ثم ثلث بتثبيطه ونهيه عما كان عليه
بان الشيطان الذي استعصى على ربك الرحمن الذي جميع ما عندك من النعم من عنده وهو عدو لك
الذي لا يريد بك الا كل هلاك وخزي ونكال وعدو ابيك آدم وابناء جنسك كلهم هو الذي
ورطك في هذه الضلالة وامرك بها وزينها لك فانت ان حققت النظر عابد الشيطان الا ان ابرهيم
عليه السلام لامعانه في الاخلاص ولارتقاء همته في الربانية لم يذكر من جنايتي الشيطان الا التي
تختص منها برب العزة من عصيانه واستكباره ولم يلتفت الى ذكر معاداته لادم وذريته كان النظر
في عظم ما ارتكب من ذلك غمر فكره واطبق على ذهنه ثم ربع بتخويفه سوء العاقبة وما يجره ما هو
فيه من التبعة والوبال ولم يخل ذلك من حسن الادب حيث لم يصرح بان العقاب لاحق له وان
العذاب لاصق به ولكنه قال اخاف ان يمسك عذاب فذكر الخوف والمس ونكر العذاب وجعل ولاية الشيطان
ودخوله في جملة اشياعه واوليائه اكبر من العذاب وذلك ان رضوان الله اكبر من الثواب نفسه
وسماه الله المشهود له بالفوز العظيم حيث قال ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم
فكذلك ولاية الشيطان التي هي معارضة رضوان الله اكبر من العذاب نفسه واعظم وصدر
كل نصيحة من النصائح الاربع بقوله يا ابت توسلا اليه واستعطافا ما في ما لا يسمع وما لم ياتك
يجوز ان تكون موصولة وموصوفة والمفعول في لا يسمع ولا يبصر منسي غير منوي كقولك
ليس به استماع ولا ابصار وشيئا يحتمل وجهين احدهما ان يكون في موضع المصدر اي شيئا
من الغناء ويجوز ان يقدر نحوه مع الفعلين السابقين والثاني ان يكون مفعولا به من قولهم
من العلم ما لم ياتك صح
اغن عني وجهك قد جاءني فيه تجدد العلم عنده قال اراغب انت عن الهتي يا ابرهيم لما اطلعه
على سماجة صورة امره وهدم مذهبه بالحجج القاطعة وناصحه المناصحة العجيبة مع تلك الملاطفات
اقبل عليه الشيخ بفظاظة الكفر وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت بيا بني وقدم
الخبر على المبتدا في قوله اراغب انت عن الهتي لانه كان اهم عنده وهو عنده اعنى وفيه ضرب من
التعجب والانكار لرغبته عن الهته وان الهته ما ينبغي ان يرغب عنها احد وفي هذا سلوان
وثلج الصدر لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى من مثل ذلك من كفار قومه لئن لم
تنته لارجمنك لارمينك بلساني يريد الشتم والذم ومنه الرجيم المرمي باللعن او لاقتلنك
من رجم الزاني او لاطردنك رميا بالحجارة واصل الرجم الرمي بالرجام واهجرني مليا زمانا طويلا
من الملاوة او مليا بالذهاب عني والهجران قبل ان اثخنك بالضرب حتى لا تقدر ان تبرح يقال
فلان ملي بكذا اذا كان مطيقا له مضطلعا به فان قلت علام عطف واهجرني مليا

قلت على معطوف عليه محذوف يدل عليه لارجمنك اي فاحذرني واهجرني لان لارجمنك
تهديد وتقريع قال سلام عليك سلام توديع ومتاركة كقوله لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام
عليكم لا نبتغي الجاهلين وكقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وهذا دليل على جواز متاركة
المنصوح والحال هذه ويجوز ان يكون قد دعا له بالسلامة استمالة له الا ترى انه وعده بالاستغفار
ساستغفر لك ربي فان قلت كيف جاز له ان يستغفر للكافر وان يعده ذلك
قلت قالوا اراد اشتراط التوبة عن الكفر كما ترد الاوامر والنواهي الشرعية على الكفار
والمراد اشتراط الايمان وكما يؤمر المحدث والفقير بالصلوة والزكوة ويراد اشتراط الوضوء والنصاب
وقالوا انما استغفر له بقوله واغفر لابي انه كان من الضالين لانه وعده ان يؤمن واستشهدوا
بقوله وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه ولقائل ان يقول الذي يمنع
من الاستغفار للكافر انما هو السمع فاما القضية العقلية فلا تاباه فيجوز ان يكون الوعد بالاستغفار
والوفاء به قبل ورود السمع بناء على قضية العقل والذي يدل على صحته قوله تعالى
الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك فلو كان شارطا للايمان لم يكن مستنكرا ومستثنى
عما وجبت فيه الاسوة واما عن موعدة وعدها اياه فالواعد هو ابراهيم لا آزر اي ما قال
واغفر لابي الا عن قوله لاستغفرن لك وتشهد له قراءة حماد الراوية وعدها اباه والله
اعلم انه كان بي حفيا الحفي البليغ في البر والالطاف حفي به وتحفى به واعتزلكم وما تدعون
من دون الله وادعوا ربي عسى الا اكون بدعاء ربي شقيا اراد بالاعتزال المهاجرة الى الشام
والمراد بالدعاء العبادة لانه منها ومن وسائطها ومنه قوله عليه السلام الدعاء هو العبادة ويدل
عليه قوله فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله ويجوز ان يراد الدعاء الذي حكاه الله في سورة
الشعراء عرض بشقاوتهم بدعاء الهتهم في قوله عسى الا اكون بدعاء ربي شقيا مع
التواضع لله في كلمة عسى وما فيه من هضم النفس ووهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا
نبيا ما خسر على الله احد ترك الكفار الفسقة لوجهه فعوضه اولادا مؤمنين انبياء ووهبنا
لهم من رحمتنا هي النبوة عن الحسن وعن الكلبي المال والولد وتكون عامة في كل خير ديني
ودنياوي اوتوه وجعلنا لهم لسان صدق عليا لسان الصدق الثناء الحسن وعبر باللسان
عما يوجد باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهي العطية قال اني اتتني لسان لا اسر بها
يريد الرسالة ولسان العرب لغتهم وكلامهم استجاب الله دعوته واجعل لي لسان صدق
في الاخرين فصيره قدوة حتى ادعاه اهل الاديان كلهم وقال عز وجل ملة ابيكم ابراهيم
وملة ابراهيم حنيفا ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا واعطى ذلك ذريته فاعلى
ذكرهم واثنى عليهم كما اعلى ذكره واثنى عليه واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا
نبيا المخلص بالكسر الذي اخلص العبادة عن الشرك والرياء او اخلص نفسه واسلم وجهه لله
وبالفتح الذي اخلصه الله الرسول الذي معه كتاب من الانبياء والنبي الذي ينبئ عن الله عز
وجل وان لم يكن معه كتاب كيوشع وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا الايمن من اليمين
اي من ناحيته اليمنى او من اليمن صفة للطور او للجانب شبهه بمن قربه بعض العظماء للمناجاة حيث كلمه
بغير واسطة ملك وعن ابي العالية قربه حتى سمع صرير القلم الذي كتبت به التورية ووهبنا له
من رحمتنا من اجل رحمتنا له وترافنا عليه اخاه هارون نبيا وهبنا له هارون او بعض رحمتنا
كما في قوله ووهبنا لهم من رحمتنا واخاه على هذا الوجه بدل وهارون عطف بيان كقولك رايت
رجلا اخاك زيدا وكان هارون اكبر من موسى عليهما السلام فوقعت الهبة على معاضدته ومؤازرته
كذا عن ابن عباس واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا ذكر اسمعيل بصدق
الوعد وان كان موجودا في غيره من الانبياء تشريفا له واكراما كالتلقيب نحو الحليم والاواه والصديق
ولانه المشهور المتواصف من خصاله عن ابن عباس انه وعد صاحبا له ان ينتظره في مكان
فانتظره سنة وناهيك انه وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى حيث قال ستجدني ان شاء الله من
الصابرين وكان يامر اهله بالصلوة والزكاة وكان عند ربه مرضيا كان يبدأ باهله في الامر بالصلاح

والعبادة

والعبادة ليجعلهم قدوة لمن وراءهم ولانهم اولى من سائر الناس وانذر عشيرتك الاقربين وامر اهلك
بالصلاة قوا انفسكم واهليكم نارا الا ترى انهم احق بالتصدق عليهم فالاحسان الديني اولى
وقيل اهله امته كلهم من القرابة وغيرهم لان امم النبيين في عداد اهاليهم وفيه ان من حق
الصالح ان لا يألو نصحا للاجانب فضلا عن الاقارب المتصلين به وان يحظيهم بالفوائد
الدينية ولا يفرط في ذلك واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا قيل سمي ادريس
لكثرة دراسته كتاب الله وكان اسمه اخنوخ وهو غير صحيح لانه لو كان افعيلا من الدرس لم يكن فيه
الا سبب واحد وهو العلمية وكان منصرفا فامتناعه من الصرف دليل العجمة وكذلك ابليس اعجمي
وليس من الابلاس كما يزعمون ولا يعقوب من العقب ولا اسرائيل باسرال كما زعم ابن السكيت ومن
لم يحقق ولم يتدرب بالصناعة كثرت منه امثال هذه الهنات ويجوز ان يكون معنى ادريس
في تلك اللغة قريبا من ذلك فحسبه الراوي مشتقا من الدرس ورفعناه مكانا عليا المكان العلي
شرف النبوة والزلفى عند الله وقد انزل الله تعالى عليه ثلاثين صحيفة وهو اول من خط بالقلم ونظر
في علم النجوم والحساب واول من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلود وعن انس بن مالك
رفعه انه رفع الى السماء الرابعة وعن ابن عباس الى السماء السادسة وعن الحسن الى الجنة لا شيء
اعلى من الجنة وعن النابغة الجعدي انه لما انشد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعر الذي اخره
• بلغنا السما مجدنا وسناءنا • وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا •
قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اين يا ابا ليلى قال الى الجنة اولئك الذين انعم الله عليهم
من النبيين من ذرية ادم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل اولئك اشارة
الى المذكورين في السورة من لدن زكريا الى ادريس ومن في من النبيين للبيان مثلها في قوله في اخر
سورة الفتح وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما لان جميع الانبياء
منعم عليهم ومن الثانية للتبعيض وكان ادريس من ذرية ادم لقربه منه لانه جد ابي نوح وابراهيم
من ذرية من حمل مع نوح لانه من ولد سام بن نوح واسماعيل من ذرية ابراهيم وموسى وهرون
وزكريا ويحيى من ذرية اسرائيل وكذلك عيسى لان مريم من ذريته وممن هدينا واجتبينا يحتمل
العطف على من الاولى والثانية ان جعلت الذين خبرا لاولئك كان اذا تتلى عليهم ايات الرحمن
خروا سجدا وبكيا اذا تتلى كلاما مستانفا وان جعلته صفة له كان خبرا قرا شبل بن عباد المكي
يتلى بالتذكير لان التانيث غير حقيقي مع وجود الفاصل البكي جمع باك كالسجود والقعود
في جمع ساجد وقاعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتلوا القران وابكوا فان لم تبكوا
فتباكوا وعن صالح المري قرات القران على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي
يا صالح هذه القراءة فاين البكاء وعن ابن عباس اذا قراتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود
حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم فليبك قلبه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان القران
نزل بحزن فاذا قراتموه فتحازنوا وقالوا يدعو في سجدة التلاوة بما يليق باياتها فان قرا
اية تنزيل السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك
ان اكون من المستكبرين عن امرك وان قرا سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين اليك
الخاشعين لك وان قرا هذه قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهتدين الساجدين
لك الباكين عند تلاوة اياتك فخلف من بعدهم خلف خلفه اذا عقبه ثم قيل في عقب الخير
خلف بالفتح وفي عقب السوء خلف بالسكون كما قالوا وعد في ضمان الخير ووعيد
في ضمان الشر عن ابن عباس هم اليهود اضاعوا الصلوة تركوا الصلاة المفروضة وشربوا الخمر
واستحلوا نكاح الاخت من الاب وعن ابراهيم ومجاهد اضاعوها بالتاخير وينصر الاول
قوله الا من تاب وامن يعني الكفار وعن علي رضي الله عنه في قوله واتبعوا الشهوات من
بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور وعن قتادة هو في هذه الامة وقرا ابن مسعود
والحسن والضحاك الصلوات بالجمع فسوف يلقون غيا كل شر عند العرب غي وكل خير رشاد
قال • فمن يلق خيرا يحمد الناس امره • ومن يغو لا يعدم على الغي لائما •

وعن الزجاج جزاء غي كقوله يلق اثاما اي مجازاة اثام او غيا عن طريق الجنة وقيل غي واد في جهنم
تستعيذ منه اوديتها وروي الاخفش يلقون الا من تاب وامن وعمل صالحا فاولئك يدخلون
الجنة قرئ يدخلون ويدخلون ولا يظلمون شيئا اي لا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم ولا يمنعونه
بل يضاعف لهم بيانا لان تقدم الكفر لا يضرهم اذا تابوا من قولك ما ظلمك ان تفعل كذا بمعنى
ما منعك ولا يظلمون البتة اي شيئا من الظلم جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب
لما كانت الجنة مشتملة على جنات عدن ابدلت منها كقولك ابصرت دارك القاعة العلالي
وعدن معرفة علم بمعنى العدن وهو الاقامة كما جعلوا فينة وسحر وامس فيمن لم يصرفه
اعلاما لمعاني الفينة والسحر والامس فجرى مجرى العدن لذلك وهو علم لارض الجنة لكونها
مكان اقامة ولولا ذلك لما ساغ الابدال لان النكرة لا تبدل من المعرفة الا موصوفة ولما ساغ
وصفها بالتي وقرئ جنات عدن وجنة عدن بالرفع على الابتداء اي وعدها وهي غائبة عنهم
غير حاضرة او هم غائبون عنها لا يشاهدونها او بتصديق الغيب والايمان به انه كان وعده مأتيا
قيل مأتيا مفعول بمعنى فاعل والوجه ان الوعد هو الجنة وهم يأتونها او هو من قولك اتى
اليه احسانا اي كان وعده مفعولا منجزا لا يسمعون فيها لغوا اللغو فضول الكلام وما لا
طائل تحته وفيه تنبيه ظاهر على وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله عنه الدار
التي لا تكليف فيها وما احسن قوله واذا مروا باللغو مروا كراما واذا سمعوا اللغو اعرضوا
عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين نعوذ بالله من اللغو
والجهل والخوض فيما لا يعنينا الا سلاما اي ان كان تسليم بعضهم على بعض وتسليم الملائكة
عليهم لغوا فلا يسمعون الا ذلك فهو من وادي قوله ، ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب ، او لا يسمعون فيها الا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة
على الاستثناء المنقطع او لان معنى السلام هو الدعاء بالسلامة ودار السلام هي دار السلامة
واهلها عن الدعاء بالسلامة اغنياء فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من
فائدة الاكرام ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ومن الناس من يأكل الوجبة ومنهم من يأكل متى
وجد وهي عادة المنهومين ومنهم من يتغدى ويتعشى وهي العادة الوسطى المحمودة ولا
يكون ثم ليل ولا نهار ولكن على التقدير ولان المتنعم عند العرب من وجد غداء وعشاء وقيل
اراد دوام الرزق ودروره كما تقول انا عند فلان صباحا ومساء تريد الديمومة ولا تقصد
الوقتين المعلومين تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا نورث وقرئ نورث استعارة
اي نبقي عليه الجنة كما نبقي على الوارث مال المورث ولان الاتقياء يلقون ربهم يوم القيامة وقد انقضت
اعمالهم وثمرتها باقية وهي الجنة فاذا ادخلهم الجنة فقد اورثهم من تقواهم كما يورث الوارث
المال من المتوفى وقيل اورثوا من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار لو اطاعوا وما نتنزل الا بامر
ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما نتنزل حكاية قول جبريل عليه السلام حين استبطأه
رسول الله صلى الله عليه وسلم روي انه احتبس اربعين يوما وقيل خمسة عشر وذلك
حين سئل عن قصة اصحاب الكهف وذي القرنين والروح ولم يدر كيف يجيب ورجا ان
يوحى اليه فيه فشق ذلك عليه مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه فلما نزل
جبريل قال له النبي صلى الله عليه وسلم ابطأت حتى ساء ظني واشتقت اليك قال اني
كنت اشوق اليك ولكني عبد مأمور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست وانزل الله
هذه الاية وسورة والضحى والتنزل على معنيين معنى النزول على مهل ومعنى النزول على
الاطلاق كقوله ، فلست لانسي ولكن لملأك تنزل من جو السماء يصوب ، لانه مطاوع نزل
ونزل يكون بمعنى انزل وبمعنى التدريج واللائق بهذا الموضع هو النزول على مهل والمراد ان نزولنا
في الاحايين وقتا غب وقت ليس الا بامر الله وعلى ما يراه صوابا وحكمة وله ما قدامنا وما
خلفنا من الجهات والاماكن وما نحن فيها فلا نتمالك ان ننتقل من جهة الى جهة ومكان الى مكان
الا بامر المليك ومشيئته وهو الحافظ العالم بكل حركة وسكون وما يحدث ويتجدد من الاحوال

٦ وبكرة وعشيا

٧ الوارث

لا يجوز

٦٤

لا يجوز عليه الغفلة والنسيان فانى لنا ان نتقلب في ملكوته الا اذا رأى ذلك مصلحة وحكمة واطلق
لنا الاذن فيه وقيل ما سلف من امر الدنيا وما يستقبل من امر الاخرة وما بين ذلك ما بين
النفختين وهو اربعون سنة وقيل ما مضى من اعمارنا وما غبر منها والحال التي نحن فيها وقيل
ما قبل وجودنا وما بعد فنائنا وقيل الارض التي بين ايدينا اذا نزلنا والسماء التي وراءنا
وما بين السماء والارض والمعنى انه المحيط بكل شيء لا تخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة
فكيف نقدم على فعل نحدثه الا صادرا عما توجبه حكمته ويأمرنا به ويأذن لنا فيه وقيل
معنى وما كان ربك نسيا وما كان تاركا لك كقوله ما ودعك ربك وما قلى اي ما كان امتناع
النزول الا لامتناع الامر به واما احتباس الوحي فلم يكن عن ترك الله لك وتوديعه اياك ولكن
لتوقفه على المصلحة وقيل هي حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة اي وما ننزل الجنة
الا بان من الله علينا بثواب اعمالنا وامرنا بدخولها وهو المالك لرقاب الامور كلها السالفة والمترقبة
والحاضرة اللاطف في اعمال الخير والموفق لها والمجازي عليها ثم قال الله تعالى تقريرا لقولهم
وما كان ربك نسيا لاعمال العاملين غافلا عما يجب ان يثابوا به وكيف يجوز النسيان و ا لغفلة
على ذي ملكوت السموات والارض وما بينهما ثم قال لرسوله صلى الله عليه وسلم
حين عرفه على هذه الصفة فاقبل على العمل واعبده يثبك كما اثاب غيرك من المتقين وفيه
الاعجوج وما نتنزل بالياء على الحكاية عن جبريل والضمير للوحي وعن ابن مسعود الا بقول
ربك يجب ان يكون الخلاف في النسي مثله في النسي رب السموات والارض وما بينهما
بدل من ربك ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف اي هو رب السموات والارض فاعبده واصطبر
لعبادته فاعبده كقوله وقائلة خولان فانكح فتاتهم وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون
وما كان ربك نسيا من كلام المتقين وما بعده من كلام رب العزة فان قلت
هلا عدي اصطبر بعلى التي هي صلته كقوله واصطبر عليها قلت لان العبادة جعلت
بمنزلة القرن في قولك للمحارب اصطبر لقرنك اي اثبت له فيما يورد عليك من شداته
اريد ان العبادة تورد عليك شدائد ومشاق فاثبت لها ولا تهن ولا يضق صدرك عن القاء
عداتك من اهل الكتاب اليك الاغاليط وعن احتباس الوحي عليك مدة وشماتة المشركين بك
هل تعلم له سميا اي لم يسم شيء بالله قط وكانوا يقولون لاصنامهم الهة والعزى اله واما
الذي عوض فيه الالف واللام من الهمزة فمخصوص به المعبود الحق غير مشارك فيه وعن ابن
عباس لا يسمى احد الرحمن غيره ووجه اخر هل تعلم له سميا يسمى باسمه على الحق دون
الباطل لان التسمية على الباطل في كونها غير معتد بها كلا تسمية وقيل مثلا وشبيها
اي اذا صح ان لا معبود يوجه اليه العبادة الا هو وحده لم يكن بد من عبادته والاصطبار
على مشاقها وتكاليفها يحتمل ان يراد بالانسان الجنس باسره وان يراد بعض الجنس وهم
الكفرة فان قلت لم جازت ارادة الاناسي كلهم وكلهم غير قائلين لذلك
قلت لما كانت هذه المقالة موجودة فيمن هو من جنسهم صح اسناده الى
جميعهم كما يقولون بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل رجل منهم قال الفرزدق
، فسيف بني عبس وقد ضربوا به ، نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد ،
فقد اسند الضرب الى بني عبس مع قوله نبا بيدي ورقاء وهو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي
فان قلت بم انتصب اذا وانتصابه باخرج ممتنع لاجل اللام لا تقول
اليوم لزيد قائم قلت بفعل مضمر يدل عليه المذكور فان قلت
لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي معنى الحال فكيف جامعت حرف الاستقبال
قلت لم تجامعها الا مخلصة للتوكيد كما اخلصت الهمزة في يا الله للتعويض واضمحل
عنها معنى التعريف وما في اذا ما للتوكيد ايضا وكأنهم قالوا احقا انا سنخرج احياء حين تمكن
فينا الموت والهلاك على وجه الاستنكار والاستبعاد والمراد الخروج من الارض او من حال الفناء
او هو من قولهم خرج فلان عالما وخرج شجاعا اذا كان نادرا في ذلك يريد سأخرج حيا نادرا

لغفلة

مصطبر

٧ ويقول الانسان أإذا ما مت لسوف اخرج حيا

على سبيل الهزء وقرأ الحسن وابو حيوة لسوف اخرج وعن طلحة بن مصرف لساخرج كقراءة ابن
مسعود ولسيعطيك وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار من قبل ان ما بعد الموت هو وقت
كون الحيوة منكرة ومنه جاء انكارهم فهو كقولك للمسيء الى المحسن احين تمت عليك نعمة
فلان اسأت اليه اولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل الواو عطفت لا يذكر على يقول
ووسطت همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف يعني ايقول ذاك ولا يتذكر
حال النشأة الاولى حتى لا ينكر الاخرى فان تلك اغرب واعجب وادل على قدرة الخالق
حيث اخرج الجواهر والاعراض من العدم الى الوجود ثم اوقع التأليف مشحونا بضروب
الحكم التي تحار الفطن فيها من غير حذو على مثال واقتداء بمؤلف ولكن اختراعا وابداعا من
عند قادر جلت قدرته ودقت حكمته واما الثانية فقد تقدمت نظيرتها وعادت لها
كالمثال المحتذى عليه وليس فيها الا تأليف الاجزاء الموجودة الباقية وتركيبها وردها الى
ما كانت عليه مجموعة بعد التفكيك والتفريق وقوله ولم يك شيئا دليل على هذا
المعنى وكذلك قوله وهو اهون عليه على ان رب العزة سواء عليه النشأتان لا يتفاوت
في قدرته الصعب والسهل ولا يحتاج الى احتذاء على مثال ولا استعانة بحكيم ولا نظر
في مقياس ولكن يواجه جاحد البعث بذلك دفعا في نحر معاندته وكشفا عن صفحة
جهله القراء كلهم على لا يذكر بالتشديد الا نافعا وابن عامر وعاصما فقد خففوا وفي
حرف ابي يتذكر من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه فوربك لنحشرنهم والشياطين
ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا في اقسام الله تعالى باسمه تقدست اسماؤه مضافا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تفخيم لشأن رسول الله ورفع منه كما رفع
من شأن السماء والارض في قوله فورب السماء والارض انه لحق والواو في والشياطين يجوز
ان تكون للعطف وبمعنى مع وهي بمعنى مع اوقع والمعنى انهم يحشرون مع قرنائهم من
الشياطين الذين اغووهم يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة فان قلت
هذا اذا اريد بالانسان الكفرة خاصة فان اريد الاناسي على العموم فكيف يستقيم
حشرهم مع الشياطين قلت اذا حشر جميع الناس حشرا واحدا
وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا مع الشياطين كما حشروا مع الكفرة
فان قلت هلا عزل السعداء عن الاشقياء في الحشر كما عزلوا عنهم
في الجزاء قلت لم يفرق بينهم وبينهم في المحشر واحضروا حيث تجاثوا
حول جهنم واوردوا معهم النار ليشاهد السعداء الاحوال التي نجاهم الله منها وخلصهم
فيزدادوا بذلك غبطة الى غبطة وسرورا الى سرور وليشمتوا باعداء الله واعدائهم
فتزداد مساءتهم وحسرتهم وما يغيظهم من سعادة اولياء الله وشماتتهم بهم فان
قلت ما معنى احضارهم جثيا قلت اما اذا فسر الانسان
بالخصوص فالمعنى انهم يقبلون من المحشر الى شاطئ جهنم عتلا على حالهم التي كانوا عليها
في الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة على اقدامهم وذلك ان اهل الموقف وصفوا بالجثو
قال الله تعالى وترى كل امة جاثية على العادة المعهودة في مواقف المقاولات والمناقلات
من تجاثي اهلها على الركب لما في ذلك من الاستيفاز والقلق واطلاق الحبى وخلاف
الطمأنينة او لما يدهمهم من شدة الامر التي لا يطيقون معها القيام على ارجلهم فيحبون
على ركبهم حبوا وان فسر بالعموم فالمعنى انهم يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم
على ان جثيا حال مقدرة كما كانوا في الموقف متجاثين لانه من توابع التواقف للحساب قبل
التوصل الى الثواب والعقاب ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا
ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا المراد بالشيعة وهي فعلة كفرقة وفتية الطائفة
التي شاعت اي تبعت غاويا من الغواة قال الله تعالى ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا
اي نمتاز من كل طائفة من طوائف الغي والفساد اعصاهم فاعصاهم واعتاهم فاعتاهم
فاذا

اي تبعت

٦٥

اجتمعوا طرحناهم في النار على الترتيب نقدم اولاهم بالعذاب فاولاهم او اراد بالذين هم اولى بها صليا
المنتزعين كما هم كانه قال ثم لنحن اعلم بتصلية هؤلاء وهم اولى بالصلي من بين سائر الصالين
ودركاتهم اسفل وعذابهم اشد ويجوز ان يريد باشدهم عتيا رؤساء الشيع وائمتهم لتضاعف
جرمهم بكونهم ضلالا ومضلين قال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم
عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم واختلف
في اعراب ايهم فعن الخليل انه مرتفع على الحكاية تقديره لننزعن الذين يقال فيهم ايهم اشد وسيبويه
على انه مبني على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلته حتى لو جيء به لاعرب وقيل ايهم هو
اشد ويجوز ان يكون النزع واقعا على من كل شيعة كقوله ووهبنا لهم من رحمتنا اي لننزعن بعض كل
شيعة فكأن قائلا قال من هم فقيل ايهم اشد عتيا وايهم اشد بالنصب عن طلحة بن مصرف
وعن معاذ بن مسلم الهراء استاذ الفراء فان قلت بم يتعلق على فان تعلقهما
بالمصدر لا سبيل اليه قلت هما للبيان لا للصلة او يتعلقان بافعل اي عتوهم
اشد على الرحمن وصليهم اولى بالنار كقولك هو اشد على خصمه وهو اولى بكذا وان منكم الا واردها
التفات الى الانسان يعضده قراءة ابن عباس وعكرمة وان منهم او خطاب للناس من غير التفات
الى المذكورين فان اريد الجنس كله فمعنى الورود دخولهم فيها وهي خامدة فيعبرها المؤمنون وتنهار
بغيرهم وعن ابن عباس يردونها كانها اهالة وروي دواية وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه انه سأل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض
اليس وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة وعنه رضي الله عنه
انه سئل عن هذه الاية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول
لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى ان للنار
ضجيجا من بردها واما قوله تعالى اولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وعن ابن مسعود والحسن
وقتادة هو الجواز على الصراط لان الصراط ممدود عليها وعن ابن عباس رضي الله عنهما قد يرد الشيء
الشيء ولم يدخله كقوله ولما ورد ماء مدين ووردت القافلة البلد وان لم تدخله ولكن قربت
منه وعن مجاهد ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده في الدنيا لقوله عليه الصلاة والسلام
الحمى من فيح جهنم وفي الحديث الحمى حظ كل مؤمن من النار ويجوز ان يراد بالورود جثوهم حولها
وان اريد الكفار خاصة فالمعنى بين ثم ننجي الذين اتقوا الحتم مصدر حتم الامر اذا اوجبه
فسمي به الموجب كقولهم خلق الله وضرب الامير اي كان ورودهم واجبا على الله اوجبه
على نفسه وقضى به وعزم على ان لا يكون غيره ثم ننجي الذين اتقوا قرئ ننجي وننجي وينجي
على ما لم يسم فاعله ان اريد الجنس باسره فهو ظاهر وان اريد الكفرة وحدهم فمعنى ثم ننجي الذين
اتقوا ان المتقين يساقون الى الجنة عقيب ورود الكفار لا انهم يواردونهم ثم يتخلصون
وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس والجحدري وابن ابي ليلى ثم ننجي بفتح الثاء اي هناك
ونذر الظالمين فيها جثيا دليل على ان المراد بالورود الجثو حولها وان المؤمنين يفارقون الكفرة
بعد تجاثيهم وتبقى الكفرة في مكانهم جاثين واذا تتلى عليهم آياتنا بينات مرتلات الالفاظ
ملخصات المعاني مبينات المقاصد اما محكمات واما متشابهات قد تبعها البيان بالمحكمات
او بتبيين الرسول قولا او فعلا او ظاهرات الاعجاز تحدى بها فلم يقدر على معارضتها او حججا
وبراهين والوجه ان تكون حالا مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا لان آيات الله لا تكون الا واضحة
وحججا قال الذين كفروا للذين آمنوا يحتمل انهم يناطقون المؤمنين بذلك ويواجهونهم به
وانهم يفوهون به لاجلهم وفي معناهم كقوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان
خيرا ما سبقونا اليه اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا وقرئ مقاما بالضم وهو موضع الاقامة
والمنزل والباقون بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان والموضع والندي المجلس ومجتمع
القوم وحيث ينتدون والمعنى انهم اذا سمعوا الآيات وهم جهلة لا يعلمون الا ظاهرا من الحياة
الدنيا وذلك مبلغهم من العلم قالوا اي الفريقين من المؤمنين بالآيات والجاحدين لها اوفر حظا من الدنيا

والباء
كان على ربك حتما مقضيا
وقوله ..... الى الجنة
كثير

حتى يجعل ذلك عيارا على الفضل والنقص والرفعة والضعة ويروى انهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنون
ويتطيبون ويتزينون بالزين الفاخر ثم يدعون مفتخرين على فقراء المسلمين انهم اكرم على الله منهم
وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا كم مفعول اهلكنا ومن تبيين لابهامها اي كثيرا من
القرون اهلكنا وكل اهل عصر قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم وهم احسن في محل النصب صفة
لكم الا ترى انك لو تركت هم لم يكن لك بد من نصب احسن على الوصفية الاثاث متاع البيت وقيل
هو ما جد من الفرش والخرثي ما لبس منها وانشد الحسن بن علي الطوسي
تقادم العهد من ام الوليد بنا دهرا وصار اثاث البيت خرثيا
قرئ على خمسة اوجه رئيا وهو المنظر والهيئة فعل بمعنى مفعول من رايت وريا على
القلب كقولهم راء في رأى وريا على قلب الهمزة ياء والادغام او من الري الذي هو النعمة
والترفه من قولهم ريان من النعيم وريا على حذف الهمزة راسا ووجهه ان يخفف
المقلوب وهو رييا بحذف همزته والقاء حركتها على الياء الساكنة وزيا واشتقاقه من
الزي وهو الجمع لان الزي محاسن مجموعة والمعنى احسن من هؤلاء قل من كان في الضلالة
فليمدد له الرحمن مدا اي مد له الرحمن اي امهله واملى له في العمر فاخرج على لفظ الامر
ايذانا بوجوب ذلك وانه مفعول لا محالة كالمامور به الممتثل لتقطع معاذير الضال ويقال له
يوم القيامة اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر او كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما او من كان
في الضلالة فليمدد له الرحمن بمعنى الدعاء بان يمهله الله وينفس في مدة حياته حتى اذا راوا
ما يوعدون اما العذاب واما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا في هذه
الاية وجهان احدهما ان تكون متصلة بالاية التي هي رابعتها والايتان اعتراض بينهما اي
قالوا اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا حتى اذا راوا ما يوعدون اي لا يبرحون يقولون
هذا القول ويتولعون به لا يتكافون عنه الى ان يشاهدوا الموعود رأي عين اما العذاب
في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واظهار الله دينه على
الدين كله على ايديهم واما يوم القيامة وهو ما ينالهم من الخزي والنكال فحينئذ
يعلمون عند المعاينة ان الامر على عكس ما قدروه وانهم شر مكانا واضعف جندا
لا خير مقاما واحسن نديا وان المؤمنين على خلاف صفتهم والثاني ان تتصل بما يليها
والمعنى ان الذين في الضلالة ممدود لهم في ضلالتهم والخذلان لاصق بهم لعلم الله
بهم وبان الالطاف لا تنفع فيهم وليسوا من اهلها والمراد بالضلالة ما دعاهم من جهلهم
وغلوهم في كفرهم الى القول الذي قالوه لا ينفكون عن ضلالتهم الى ان يعاينوا نصرة
الله المؤمنين او يشاهدوا الساعة ومقدماتها فان قلت حتى هذه
ما هي قلت هي التي تحكى بعدها الجمل الا ترى الجملة الشرطية واقعة
بعدها وهي قوله اذا راوا ما يوعدون فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا
في مقابلة خير مقاما واحسن نديا لان مقامهم هو مكانهم ومسكنهم والندي المجلس الجامع
لوجوه قومهم واعوانهم وانصارهم والجند هم الانصار والاعوان ويزيد الله الذين
اهتدوا هدى يزيد معطوف على موضع فليمدد لانه واقع موقع الخبر تقديره من كان في
الضلالة مد او يمد له الرحمن ويزيد اي يزيد في ضلال الضال بخذلانه ويزيد المهتدين
هداية بتوفيقه والباقيات الصالحات اعمال الاخرة كلها وقيل الصلوات الخمس
وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خير عند ربك ثوابا وخير مردا
اي مرجعا وعاقبة او منفعة من قولهم ليس لهذا الامر مرد وهل يرد بكائي زندا فان
قلت كيف قيل خير ثوابا كان لمفاخرات ثوابا حتى يجعل ثواب الصالحات
خيرا منه قلت كانه قيل ثوابهم النار على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم
وقوله شجعاء جرتها الذميل تلوكه اصلا اذا راح المطي غراثا وقوله
تحية بينهم ضرب وجيع ثم بنى عليه خير ثوابا وفيه ضرب من التهكم الذي هو اغيظ

للعبد

للمتهدد من ان يقال له عقابك النار فان قلت فما وجه التفضيل في الخير كان
لمفاخريهم شركا فيه قلت هذا من وجيز كلامهم يقولون الصيف احر من الشتاء اي ابلغ
في حره من الشتاء في برده افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا لما كانت مشاهدة
الاشياء ورؤيتها طريقا الى الاحاطة بها علما وصحة الخبر عنها استعملوا ارايت في معنى اخبر
والفاء جاءت لافادة معناها الذي هو التعقيب كانه قال اخبر ايضا بقصة هذا الكافر واذكر
حديثه عقيب حديث اولئك اطلع الغيب من قولهم اطلع الجبل اذا ارتقى الى اعلاه وطلع
الثنية قال جرير لاقيت مطلع الجبال وعورا ويقولون مر مطلعا لذلك الامر اي عاليا
له مالكا له ولاختيار هذه الكلمة شان يقول او قد بلغ من عظمة شانه ان ارتقى الى علم الغيب
الذي توحد به الواحد القهار ام اتخذ عند الرحمن عهدا المعنى ان ما ادعى ان يؤتاه
وتالى عليه لا يتوصل اليه الا باحد هذين الطريقين اما علم الغيب واما عهد من عالم الغيب
فبايهما توصل الى ذلك قرا حمزة والكسائي ولدا وهو جمع ولد كاسد في اسد او بمعنى الولد
كالعرب في العرب وعن يحيى بن يعمر ولدا بالكسر وقيل في العهد كلمة الشهادة وعن قتادة
هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو بذلك ما يقول وعن الكلبي هل عهد الله اليه ان يؤتيه
ذلك عن الحسن رحمه الله نزلت في الوليد بن المغيرة والمشهور انها في العاص بن وائل قال
خباب بن الارت كان لي عليه دين فاقتضيته فقال لا والله حتى تكفر بمحمد قلت لا والله
لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين تبعث قال فاني اذا مت بعثت قلت نعم قال
اذا بعثت جئتني وسيكون لي ثم مال وولد فاعطيك وقيل صاغ له خباب حليا فاقتضاه
الاجر فقال انكم تزعمون انكم تبعثون وان في الجنة ذهبا وفضة وحريرا فانا اقضيك
ثم فاني اوتى مالا وولدا حينئذ كلا ردع وتنبيه على الخطا اي هو مخطئ فيما يصوره
لنفسه ويتمناه فليرتدع عنه فان قلت كيف قيل سنكتب ما يقول
سنكتب بسين التسويف وهو كما قاله كتب من غير تاخير قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا
لديه رقيب عتيد قلت فيه وجهان احدهما سنظهر له ونعلمه انا كتبنا
قوله على طريقة قوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي تبين وعلم بالانتساب اني لست
بابن لئيمة والثاني ان المتوعد يقول للجاني سوف انتقم منك يعني انه لا يخل
بالانتصار وان تطاول به الزمان واستاخر فجردها هنا لمعنى الوعيد ونمد له من العذاب
مدا اي نطول له من العذاب ما يستاهله ونعذبه بالنوع الذي يعذب به الكفار المستهزئون
او نزيده من العذاب ونضاعف له من المدد يقال مده وامده بمعنى ويدل عليه قراءة علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه ونمد بالضم واكد ذلك بالمصدر وذلك من فرط غضب الله
نعوذ به من التعرض لما يستوجب به غضبه ونرثه ما يقول اي نزوي عنه ما زعم
انه يناله في الاخرة ونعطيه من يستحقه والمعنى مسمى ما يقول ومعنى ما يقول
وهو المال والولد يقال يقول الرجل انا املك كذا فتقول له ولي فوق ما تقول ويحتمل انه قد تمنى وطمع ان يؤتيه الله في الدنيا مالا وولدا وبلغت به اشعبيته ان تالى على ذلك في قوله لاوتين لانه جواب
قسم مضمر ومن يتال على الله يكذبه فيقول الله عز وجل هب انا اعطيناه ما اشتهاه
اما نرثه منه في العاقبة ويأتينا فردا غدا بلا مال ولا ولد كقوله عز وجل ولقد جئتمونا
فرادى الاية فما يجدي عليه تمنيه وتاليه ويحتمل ان هذا القول انما يقوله ما دام حيا
فاذا قبضناه حلنا بينه وبين ان يقوله ويأتينا رافضا له منفردا عنه غير قائل له اولا
ننسى قوله هذا ولا نلغيه بل نثبته في صحيفته لنضرب به وجهه في الموقف ونعيره
به ويأتينا على فقره ومسكنته فردا من المال والولد لم نوله سؤله ولم نؤته متمناه
فيجتمع عليه الخطبان تبعة قوله ووباله وفقد المطموع فيه فردا على الوجه الاول حال
مقدرة نحو فادخلوها خالدين لانه وغيره سواء في اتيانه فردا حين ياتي ثم يتفاوتون
بعد ذلك واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا اي ليتعززوا بالهتهم حيث يكونون
لهم عند الله شفعاء وانصارا ينقذونهم من العذاب كلا ردع لهم وانكار لتعززهم

بالآلهة وقرا ابن نهيك كلا سيكفرون بعبادتهم اي سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم كقولك
زيدا مررت بغلامه وفي محتسب ابن جني كلا بفتح الكاف والتنوين وزعم ان معناه كل هذا
الاعتقاد والراي كلا ولقائل ان يقول ان صحت هذه الرواية فهي كلا التي للردع قلب الواقف
عليها الفها نونا كما في قواريرا والضمير في سيكفرون للآلهة اي سيجحدون عبادتهم وينكرونها
ويقولون والله ما عبدتمونا وانتم كاذبون قال الله تعالى واذا راى الذين اشركوا شركاءهم
قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون
او للمشركين اي ينكرون لسوء العاقبة ان يكونوا قد عبدوها قال الله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا
ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ويكونون عليهم ضدا في مقابلة لهم عزا والمراد ضد العز
وهو الذل والهوان اي يكونون عليهم ضدا لما قصدوه وارادوه كانه قيل ويكونون عليهم
ذلا لا لهم عزا او يكونون عليهم عونا والضد العون يقال من اضدادكم اي اعوانكم وكان
العون سمي ضدا لانه يضاد عدوك وينافيه باعانته لك عليه فان قلت
لم وحد قلت وحد توحيد قوله عليه السلام وهم يد على من سواهم لاتفاق
كلمتهم وانهم كشيء واحد لفرط تضامهم وتوافقهم ومعنى كون الآلهة عونا عليهم انهم وقود
النار وحصب جهنم ولانهم عذبوا بسبب عبادتها وان رجعت الواو في سيكفرون ويكونون
الى المشركين فان المعنى ويكونون عليهم اي اعداءهم ضدا اي كفرة بهم بعد ان كانوا يعبدونها
الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا والاز والهز والاستفزاز اخوات ومعناها
التهييج وشدة الازعاج اي تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوساوس والتسويلات
والمعنى خلينا بينهم وبينهم ولم نمنعهم ولو شئنا لمنعناهم قسرا والمراد تعجيب رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعد الآيات التي ذكر فيها العتاة والمردة من الكفار واقاويلهم وملاحتهم
ومعاندتهم للرسل واستهزاءهم بالدين من تماديهم في الغي وافراطهم في العناد وتصميمهم
على الكفر واجتماعهم على دفع الحق بعد وضوحه وانتفاء الشك عنه وانهماكهم لذلك
في اتباع الشياطين وما تسول لهم فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا عجلت عليه بكذا اذا
استعجلته منه اي لا تعجل عليهم بان يهلكوا ويبيدوا حتى تستريح انت والمسلمون من شرورهم
وتطهر الارض بقطع دابرهم فليس بينك وبين ما تطلب من هلاكهم الا ايام محصورة
وانفاس معدودة كانها في سرعة تقضيها الساعة التي تعد فيها لو عدت ونحوه قوله تعالى
ولا تستعجل لهم كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة وعن ابن عباس انه كان
اذا قراها بكى وقال آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق اهلك آخر العدد
دخول قبرك وعن ابن السماك انه كان عند المامون فقراها فقال اذا كانت الانفاس
بالعدد ولم يكن لها مدد فما اسرع ما تنفد يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق
المجرمين الى جهنم وردا نصب يوم بمضمر اي يوم نحشر ونسوق نفعل بالفريقين
ما لا يحيط به الوصف او اذكر يوم نحشر ويجوز ان ينتصب بلا يملكون ذكر المتقين
بلفظ التبجيل وهو انهم يجمعون الى ربهم الذي غمرهم برحمته وخصهم برضوانه
وكرامته كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين للكرامة عندهم وعن علي رضي الله عنه
ما يحشرون والله على ارجلهم ولكنهم على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سروجها
ياقوت وذكر الكافرين بانهم يساقون الى النار باهانة واستخفاف كانهم نعم عطاش
تساق الى الماء والورد العطاش لان من يرد الماء لا يرده الا لعطش وحقيقة الورد
المسير الى الماء قال ردي ردي ورد قطاة صما كدرية اعجبها برد الماء فسمي به
الواردون وقرا الحسن يحشر المتقون ويساق المجرمون لا يملكون الشفاعة الا من
اتخذ عند الرحمن عهدا الواو في يملكون ان جعل ضميرا فهو للعباد ودل عليه ذكر المتقين
والمجرمين لانهم على هذه القسمة ويجوز ان تكون علامة للجمع كالتي في اكلوني
البراغيث والفاعل من اتخذ لانه في معنى الجمع ومحل من اتخذ رفع على البدل وعلى الفاعلية

ويجوز ان ينتصب على تقدير حذف المضاف اي الا شفاعة من اتخذ والمراد لا يملكون ان يشفع لهم
واتخاذ العهد الاستظهار بالايمان والعمل وعن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لاصحابه ذات يوم ايعجز احدكم ان يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف
ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة
اني اعهد اليك باني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك
وانك ان تكلني الى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير واني لا اثق الا برحمتك فاجعل لي عندك
عهدا توفينيه يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع
تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى مناد اين الذين لهم عند الرحمن عهد فيدخلون
الجنة وقيل كلمة الشهادة او يكون من عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به اي لا يشفع الا
المامور بالشفاعة الماذون له فيها وتعضده مواضع في التنزيل وكم من ملك في السموات لا تغني
شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن
له يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد
جئتم شيئا ادا قرئ ادا بالكسر والفتح قال ابن خالويه الاد والاد العجب وقيل العظيم
المنكر والادة الشدة وادني الامر واداني اثقلني وعظم علي ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق
الارض وتخر الجبال هدا تكاد قراءة الكسائي ونافع بالياء وقرئ ينفطرن الانفطار من فطره اذا
شقه والتفطر من فطره اذا شققه وكرر الفعل فيه وقرا ابن مسعود ينصدعن اي تهد هدا
او مهدودة او مفعول له اي لانها تهد فان قلت ما معنى انفطار السموات
وانشقاق الارض وخرور الجبال ومن اين تؤثر هذه الكلمة في الجمادات قلت اين
فيه وجهان احدهما ان الله سبحانه يقول كدت افعل هذا بالسموات والارض والجبال عند وجود
هذه الكلمة غضبا مني على من تفوه بها لولا حلمي ووقاري واني لا اعجل بالعقوبة كما قال ان
الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما
غفورا والثاني ان يكون استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لاثرها في الدين
وهدمها لاركانه وقواعده وان مثال ذلك الاثر في المحسوسات ان يصيب هذه الاجرام العظيمة
التي هي قوام العالم ما تنفطر منه وتنشق وتخر وفي قوله لقد جئتم وما فيه من المخاطبة
بعد الغيبة وهو الذي يسمى الالتفات في علم البلاغة زيادة تسجيل عليهم بالجراءة
على الله والتعرض لسخطه وتنبيه على عظم ما قالوا ان دعوا للرحمن ولدا في ان دعوا
ثلاثة اوجه ان يكون مجرورا بدلا من الهاء في منه كقوله على حالة لو ان في القوم حاتما
على جوده لضن بالماء حاتم ومنصوبا بتقدير سقوط اللام وافضاء الفعل اي هدا لان
دعوا علل الخرور بالهد والهد بدعاء الولد للرحمن ومرفوعا بانه فاعل هدا اي هدها دعاء
الولد للرحمن وفي اختصاص الرحمن وتكريره مرات من الفائدة انه هو الرحمن وحده لا يستحق
هذا الاسم غيره من قبل ان اصول النعم وفروعها منه خلق العالمين وخلق لهم جميع ما معهم
كما قال بعضهم فلينكشف عن بصرك غطاؤه فانت وجميع ما عندك عطاؤه فمن اضاف
اليه ولدا فقد جعله كبعض خلقه واخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن هو من دعا بمعنى سمى
المتعدي الى مفعولين فاقتصر على احدهما الذي هو الثاني طلبا للعموم والاحاطة بكل ما ادعي
له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ما في قوله عليه السلام من ادعى الى غير
مواليه وقول الشاعر انا بني نهشل لا ندعي لاب اي لا ننتسب اليه وما ينبغي للرحمن ان
يتخذ ولدا انبغى مطاوع بغى اذا طلب اي ما يتاتى له اتخاذ الولد وما ينطلب لو طلب مثلا
لانه محال غير داخل تحت الصحة اما الولادة المعروفة فلا مقال في استحالتها واما التبني
فلا يكون الا فيما هو من جنس المتبنى وليس للقديم سبحانه جنس تعالى عما يقول الظالمون
علوا كبيرا ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا من موصوفة لانها وقعت بعد
كل نكرة وقوعها بعد رب في قوله رب من انضجت غيظا صدره وقرا ابن مسعود وابو حيوة

ان الرحمن على اصله قبل الاضافة لقد احصاهم الاحصا الحصر والضبط يعني حصرهم بعلمه
وعدهم عدا الذين اعتقدوا في الملايكة وعيسى وعزير انهم اولاد الله كانوا بين كفرين احدهما
القول بان الرحمن يصح ان يكون والدا والثاني اشراك الذين زعموهم لله اولادا في عبادته كما يخدم
الناس ابنا الملوك خدمتهم لابايهم فهدم الله الكفر الاول فيما تقدم من الايات ثم عقبه بهدم الكفر
الاخر والمعنى ما من معبود لهم في السموات والارض من الملايكة ومن الناس الا وهو ياتي الرحمن
اي ياوي اليه ويلتجي الى ربوبيته عبدا منقادا مطيعا خاشعا خاشيا راجيا كما يفعل العبيد
وكما يجب عليهم لا يدعي لنفسه ما يدعيه له هولا الضلال ونحوه قوله تعالى اوليك الذين يدعون
يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون ويخافون عذابه وكلهم متقلبون في ملكوته
مقهورون بقهره وهو مهيمن عليهم محيط بهم وبجمل امورهم وتفاصيلها وكيفيتهم وكميتهم لا يفوته
شي من احوالهم وكلهم اتيه يوم القيمة فردا وكل واحد منهم باتيه يوم القيمة منفردا ليس
معه من هولا المشركين احد وهم برآ منهم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن
ودا قرا جناح بن حبيش ودا بالكسر والمعنى سيحدث لهم في القلوب مودة ويزرعها
لهم فيها من غير تودد منهم ولا تعرض للاسباب التي تكتسب بها الناس مودات القلوب من قرابة
او صداقة او اصطناع معروف او غير ذلك وانما هو اختراع منه ابتدا اختصاصا منه لاوليايه بكرامة
خاصة كما قذف في قلوب اعدايهم الرعب والهيبة اعظاما لهم واجلالا لمكانهم والسين اما
لان السورة مكية وكان المومنون حينيذ ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله ذلك اذا جا
الاسلام واما ان يكون ذلك يوم القيمة يحببهم الى خلقه بما يعرض من حسناتهم وينشر
من ديوان اعمالهم وروي ان النبي صلى الله عليه قال لعلي رضي الله عنه يا علي قل اللهم
اجعل لي عندك عهدا واجعل لي في صدور المومنين مودة فانزل الله هذه الاية وعن ابن عباس
يحبهم الله ويحببهم الى خلقه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يا جبريل
قد احببت فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في اهل السما ان الله قد احب فلانا
فاحبوه فيحبه اهل السما ثم يضع له المحبة في الارض وعن قتادة ما اقبل العبد الى الله
الا اقبل الله بقلوب العباد اليه فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما
لدا هذه خاتمة السورة ومقطعها فكانه قال بلغ هذا المنزل او بشر به وانذر فانما انزلناه
بلسانك اي بلغتك وهو اللسان العربي المبين وسهلناه وفصلناه لتبشر به وتنذر واللد
الشداد الخصومة بالباطل الاخذون في كل لديد اي في كل شق من المرا والجدال لفرط لجاجهم
يريد اهل مكة وقوله وكم اهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا
تخويف لهم وانذار وقرى تحس من حسه اذا شعر به ومنه الحواس والمحسوسات وقرى تحس
تسمع مضارع اسمعت والركز الصوت الخفي ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز
المال المدفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة مريم اعطي عشر حسنات بعدد
من كذب زكريا وصدق به ويحيى وعيسى ومريم وابراهيم واسحق ويعقوب وموسى
وهارون واسمعيل وادريس وعشر حسنات بعدد من دعا الله في الدنيا وبعدد من لم يدع الله

سورة طه مكية وهي مايه وثلاثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم طه ابو عمرو فخم الطا
لاستعلايها وامال الها وفخمها ابن كثير وابن عامر على الاصل والباقون اما لوهما وعن الحسن
طه وفسر بانه امر بالوطء وان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم في تهجده
على احدى رجليه فامر ان يطا الارض بقدميه معا وان الاصل طا فقلبت همزتها الفا
او قلبت في يطا فيمن قال لا هناك المرتع ثم بني عليه الامر والها للسكت ويجوز ان
يكتفي بشطري الاسمين وهما الدالان بلفظهما على المسميين والله اعلم بصحة ما يقال
ان طاها في لغة عك في معنى يا رجل ولعل عكا تصرفوا في يا هذا كانهم في لغتهم
قالبون اليا طا فقالوا باطا واختصروا هذا فاقتصروا على ها واثر الصنعة

توجب الود

اهل

وابع

ظاهر

ظاهر لا يخفى في البيت المستشهد به ان السفاهة طاها في خلايقكم لا قدس الله اخلاق الملاعين
والاقوال الثلاثة في الفواتح اعني التي قدمتها في اول الكاشف عن حقايق التنزيل هي التي يعول
عليها الالبا المتقنون ما انزلنا عليك القران لتشقى ان جعلت طه تعديدا لاسما الحروف
على الوجه السابق ذكره فهو ابتدا كلام وان جعلتها اسما للسورة احتملت ان تكون خبرا عنها
وهي في موضع المبتدا والقران ظاهر وقع موقع الضمير لانها قران وان يكون جوابا لها وهي قسم
وقري ما نزل عليك القران لتشقى لتتعب بفرط تاسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على ان
لا يومنوا كقوله لعلك باخع نفسك والشقا يجي في معنى التعب ومنه المثل اشقى من رايض
مهر واشقى من رايض مهرين اي ما عليك الا ان تبلغ وتذكر ولم يكتب عليك ان يومنوا لا محالة
بعد ان لم تفرط في ادا الرسالة والموعظة الحسنة وقيل ان ابا جهل والنضر بن الحارث
قالا له انك شقي لانك تركت دين ابايك فاريد رد ذلك بان دين الاسلام وهذا القران
هو السلم الى نيل كل فوز والسبب في درك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها
وروي انه صلى الله عليه وسلم صلى بالليل حتى اسمغدت قدماه فقال له جبريل ابق
على نفسك فان لها عليك حقا اي ما انزلناه لتنهك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة
الفادحة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة الا تذكرة وكل واحد من لتشقى وتذكرة علة للفعل
الا ان الاول وجب مجيه مع اللام لانه ليس لفاعل الفعل المعلل ففاتته شريطة
الانتصاب على المفعولية والثاني جاز قطع اللام عنه ونصبه لاجتماع الشرايط فان
قلت اما يجوز ان تقول ما انزلنا عليك القران ان تشقى كقوله ان
تحبط اعمالكم قلت بلى ولكنها نصبة طارية كالنصبة في واختار موسى قومه
واما النصبة في تذكرة فهي كالتي في ضربت زيدا لانه احد المفاعيل الخمسة التي هي اصول وقوانين
لغيرها فان قلت هل يجوز ان تكون تذكرة بدلا من محل لتشقى
قلت لا لاختلاف الجنسين ولكنها نصب على الاستثنا المنقطع
الذي الا فيه بمعنى لكن ويحتمل ان يكون المعنى انا انزلنا عليك القران لتحتمل متاعب
التبليغ ومقاولة العتاة من اعدا الاسلام ومقاتلتهم وغير ذلك من انواع المشاق
وتكاليف النبوة وما انزلنا عليك هذا المتعب الشاق الا ليكون تذكرة وان نصب
تنزيل مضمرا وان ينصب بانزلنا لان معنى ما انزلناه الا تذكرة انزلناه تذكرة
وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون تذكرة حالا ومفعولا له لمن يخشى لمن يول امره الى
الخشية ولمن يعلم الله منه انه يبدل بالكفر ايمانا وبالقسوة خشية تنزيلا ممن خلق
الارض والسموات العلى في نصب تنزيلا وجوه ان يكون بدلا من تذكرة اذا جعل حالا
لا اذا كان مفعولا له لان الشي لا يعلل بنفسه ومنه وان ينصب على المدح والاختصاص
وان ينصب بيخشى مفعولا به اي انزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله وهو معنى حسن
واعراب بين وقري تنزيل بالرفع على خبر مبتدا محذوف ما بعد تنزيلا الى قوله الاسما
الحسنى تعظيم وتفخيم لشان المنزل لنسبته الى من هذه صفاته وافعاله ولا
يخلو من ان يكون متعلقه اما تنزيلا نفسه فيقع صلة له واما محذوفا فيقع صفة له
فان قلت ما فايدة النقلة من لفظ المتكلم الى لفظ الغايب قلت
غير واحدة منها عادة الافتنان في الكلام وما يعطيه من الحسن والروعة ومنها ان هذه
الصفات انما تسردت مع لفظ الغيبة ومنها انه قال اولا انزلنا ففخم بالاسناد الى ضمير
الواحد المطاع ثم ثنى بالنسبة الى المختص بصفات العظمة والتمجيد فضوعفت الفخامة
من طريقين ويجوز ان يكون انزلنا حكاية لكلام جبريل والملايكة النازلين معه ووصف
السموات بالعلى دلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها في علوها وبعد مرتقاها
الرحمن على العرش استوى قرى الرحمن مجرورا صفة لمن خلق والرفع احسن لانه اما ان
يكون رفعا على المدح على تقدير هو الرحمن واما ان يكون مبتدا مشارا بلامه الى من خلق

و

وان نصب تنزيل مضمرا وان ينصب بانزلنا لان
معنى ما انزلناه الا تذكرة انزلناه تذكرة صح

فان قلت الجملة التي هي على العرش استوى ما محلها اذا جررت الرحمن او رفعته على المدح قلت اذا جررت فهي خبر مبتدا محذوف لا غير وان رفعت جاز ان تكون كذلك وان تكون مع الرحمن خبرين للمبتدا لما كان الاستوا على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا استوى فلان على العرش يريدون ملك وان لم يقعد على السرير البتة وقالوه ايضا لشهرته في ذلك المعنى ومساواته ملك في مؤداه وان كان اشرح وابسط وادل على صورة الامر ونحوه قولك يد فلان مبسوطة ويد فلان مغلولة بمعنى انه جواد او بخيل لا فرق بين العبارتين الا فيما قلت حتى ان من لم يبسط يده قط بالنوال او لم تكن له يد راسا قيل فيه يده مبسوطة لمساواته عندهم قولهم هو جواد ومنه قوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة اي هو بخيل بل يداه مبسوطتان اي هو جواد من غير تصور يد ولا غل ولا بسط والتفسير بالنعمة والتمحل للتثنية من ضيق العطن والمسافرة من علم البيان مسيرة اعوام له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى ما تحت الثرى ما تحت سبع الارضين عن محمد بن كعب وعن السدي هو الصخرة التي تحت الارض السابعة اي يعلم ما اسررته الى غيرك واخفى من ذلك وهو ما اخطرته ببالك او ما اسررته في نفسك واخفى منه وهو ما ستسره فيها وعن بعضهم ان اخفى فعل يعني انه يعلم اسرار العباد واخفى عنهم ما يعلمه هو كقوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وليس بذاك فان قلت كيف طابق الجزاء الشرط قلت معناه وان تجهر بذكر الله من دعاء او غيره فاعلم انه غني عن جهرك فاما ان يكون نهيا عن الجهر كقوله واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول واما تعليما للعباد ان الجهر ليس لاسماع الله وانما هو لغرض آخر الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى الحسنى تانيث الاحسن وصفت بها الاسما لان حكمها حكم المؤنث كقولك الجماعة الحسنى ومثلها مآرب اخرى ومن آياتنا الكبرى والذي فضلت به اسماؤه في الحسن سائر الاسماء دلالتها على معاني التقديس والتعظيم والتمجيد والربوبية والافعال التي هي النهاية في الحسن وهل اتاك حديث موسى قفاه بقصة موسى عليه السلام ليتاسى به في تحمل اعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود اذ راى نارا ويجوز ان ينتصب اذ ظرفا للحديث لانه حدث او لمضمر اي حين راى نارا كان كيت وكيت او مفعولا لاذكر استاذن موسى شعيبا عليهما السلام في الخروج الى امه وخرج باهله فولد له في الطريق ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ما عنده وقدح فصلد زنده فراى النار عند ذلك قيل كانت ليلة جمعة فقال لاهله امكثوا اقيموا في مكانكم اني آنست نارا الايناس الابصار البين الذي لا شبهة فيه ومنه انسان العين لانه يتبين به الشي والانس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم وقيل هو ابصار ما يونس به لما وجد منه الايناس وكان مقطوعا متيقنا حققه لهم بكلمة ان ليوطن انفسهم ولما كان الاتيان بقبس ووجود الهدى مترقبين متوقعين بنى الامر فيهما على الرجا والطمع لعلي آتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى ولم يقطع فيقول اني آتيكم لئلا يعد ما ليس بمستيقن الوفا به القبس النار المقتبسة في راس عود او فتيلة او غيرهما ومنه قيل المقبسة لما يقتبس فيه من سعفة او نحوها هدى اي قوما يهدونني او ينفعونني بهداهم في ابواب الدين عن مجاهد وقتادة وذلك لان افكار الابرار مغمورة بالهمة الدينية في جميع احوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والمعنى ذوي هدى او اذا وجد الهداة فقد وجد الهدى ومعنى الاستعلاء في على النار ان اهل النار يستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب من زيد او لان المصطلين بها والمستمتعين اذا تكنفوها قياما وقعودا كانوا مشرفين عليها ومنه

قول الاعشى

فلما اتيها نودي يموسى اني انا ربك

قول الاعشى وبات على النار الندى والمحلق قرا ابو عمرو وابن كثير اني بالفتح اي نودي باني انا ربك وكسر الباقون اي نودي فقيل يا موسى او لان الندا ضرب من القول فعومل معاملته تكرير الضمير في اني انا ربك لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روي انه لما نودي يا موسى قال من المتكلم فقال الله عز وجل اني انا ربك وان ابليس وسوس اليه لعلك تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله باني اسمعه من جميع جهاتي الست واسمعه بجميع اعضائي وروي انه حين انتهى راى شجرة خضرا من اسفلها الى اعلاها كانها نار بيضا تتقد وسمع تسبيح الملائكة وراى نورا عظيما فخاف وبهت فالقيت عليه السكينة ثم نودي وكانت الشجرة عوسجة وروي كلما دنا او بعد لم يختلف ما كان يسمع من الصوت وعن ابن اسحاق لما دنا استاخرت عنه فلما راى ذلك رجع واوجس في نفسه خيفة فلما اراد الرجعة دنت منه ثم كلم فاخلع نعليك قيل امر بخلع النعلين لانهما كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ عن السدي وقتادة وقيل ليباشر الوادي بقدميه متبركا به وقيل لان الحفوة تواضع لله ومن ثم طاف السلف بالكعبة حافين ومنهم من استعظم دخول المسجد بنعليه وكان اذا ندر منه الدخول متنعلا تصدق والقرآن يدل على ان ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها وتشريف لقدسها وروي انه خلع نعليه والقاهما من ورا الوادي انك بالواد المقدس طوى طوى بالضم والكسر منصرف وغير منصرف بتاويل المكان والبقعة وقيل طوى مرتين نحو ثنى اي نودي نداين او قدس الوادي كرة بعد كرة وانا اخترتك اصطفيتك للنبوة وقرا حمزة وانا اخترناك فاستمع لما يوحى للذي يوحى او للوحي تعلق اللام باستمع او باخترتك انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلاة لذكري لتذكرني فان ذكري ان اعبد ويصلى لي او لتذكرني فيها لاشتمال الصلاة على الاذكار عن مجاهد او لاني ذكرتها في الكتب وامرت بها او لان اذكرك بالمدح والثنا واجعل لك لسان صدق او لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري او لاخلاص ذكري وطلب وجهي لا ترائي بها ولا تقصد بها غرضا آخر او لتكون لي ذاكرا غير ناس فعل المخلصين في جعلهم ذكر ربهم على بال منهم وتوكيل هممهم وافكارهم به كما قال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله او لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلاة لقوله ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا واللام مثلها في قولك جئتك لوقت كذا وكان ذلك لست ليال خلون وقوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي وقد حمل على ذكر الصلاة بعد نسيانها من قوله عليه السلام من نام عن صلاة او نسيها فليصلها اذا ذكرها وكان حق العبارة ان يقال لذكرها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكرها ومن يتمحل له يقول اذا ذكر الصلاة فقد ذكر الله او بتقدير حذف المضاف اي لذكر صلاتي او لان الذكر والنسيان من الله عز وجل في الحقيقة وقرا رسول الله صلى الله عليه وسلم للذكرى ان الساعة آتية اكاد اخفيها اي اكاد اخفيها فلا اقول هي آتية لفرط ارادتي اخفاها ولولا ما في الاخبار باتيانها مع تعمية وقتها من اللطف لما اخبرت به وقيل معناه اكاد اخفيها من نفسي ولا دليل في الكلام على هذا المحذوف ومحذوف لا دليل عليه مطرح والذي غرهم منه ان في مصحف ابي اكاد اخفيها من نفسي وفي بعض المصاحف اكاد اخفيها من نفسي فكيف اظهركم عليها وعن ابي الدردا وسعيد بن جبير اخفيها بالفتح من خفاه اذا اظهره اي قرب اظهارها كقوله اقتربت الساعة وقد جا في بعض اللغات اخفاه بمعنى خفاه وبه فسر بيت امرئ القيس ۝ فان تدفنوا الدا لا نخفه ۝ وان تبعثوا الحرب لا نقعد ۝ فاكاد اخفيها محتمل للمعنيين لتجزى كل نفس بما تسعى لتجزى متعلق بآتية بما تسعى بسعيها فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى اي لا يصدنك عن تصديقها والضمير للقيامة ويجوز ان يكون للصلاة فان قلت العبارة لنهي من لا يؤمن عن صد موسى عليه السلام والمقصود نهي موسى عن التكذيب بالبعث او امره بالتصديق فكيف صلحت هذه العبارة لادا هذا المقصود قلت فيه وجهان احدها

ان صدا الكافرين عن التصديق بها سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب والثاني
ان صدا الكافرين مسبب عن رخاوة الرجل في الدين ولين شكيمته فذكر المسبب ليدل على السبب
كقولهم لا ارينك ههنا المراد نهيه عن مشاهدته والكون بحضرته وذلك سبب رؤيته اياه
فكان ذكر المسبب دليلا على السبب كانه قيل فكن شديد الشكيمة صليب المعجم حتى لا يتلوح
منك لمن يكفر بالبعث انه يطمع في صدك عما انت عليه يعني ان من لا يؤمن بالاخرة هم الجم الغفير
اذ لا شيء اطم على الكفرة ولا هم اشد نكيرا له من البعث فلا يهولنك وفور دهمائهم وعظم سوادهم
ولا تجعل الكثرة مزلة قدمك واعلم انهم وان كثروا تلك الكثرة فقدوتهم فيما هم فيه هو الهوى
واتباعه لا البرهان وتدبره وفي هذا حث عظيم على العمل بالدليل وزجر بليغ عن التقليد
وانذار بان الهلاك والردى مع التقليد واهله وما تلك بيمينك يا موسى تلك بيمينك
كقوله وهذا بعلي شيخا في انتصاب الحال بمعنى الاشارة ويجوز ان تكون تلك اسما موصولا
صلته بيمينك انما سأله ليريه عظم ما يخترعه عز وجل في الخشبة اليابسة من قلبها حية
نضناضة وليقرر في نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب اليه وينبهه
على قدرته الباهرة ونظيره ان يريك الزراد زبرة من حديد ويقول لك ما هي فتقول زبرة
حديد ثم يريك بعد ايام لبوسا مسردا فيقول لك هي تلك الزبرة صيرتها الى ما ترى من
عجيب الصنعة وانيق السرد قال هي عصاي قرأ ابن ابي اسحق عصي على لغة هذيل ومثله
يا بشري اراد وكسرها قبل ياء المتكلم فلم يقدر واعليه فقلبوا الالف الى اخت الكسرة وقرأ
الحسن عصاي بكسر الياء لالتقاء الساكنين وهو مثل قراءة حمزة بمصرخي وعن ابي اسحق
سكون الياء اتوكأ عليها اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت على راس القطيع وعند
الطفرة واهش بها على غنمي هش الورق خبطه اي اخبطه على رؤس غنمي تأكله وعن لقمان
ابن عاد اكلت حقا وابن لبون وجذع وهبة نخب وسيلا دفع والحمد لله من عز سبع
سمعته من غير واحد من العرب ونخب واد قريب من الطائف كثير السدر وفي قراءة النخعي
اهش وكلاهما من هش الخبز يهش اذا كان ينكسر لهشاشته وعن عكرمة اهس
بالسين اي انحي عليها زاجرا لها والهس زجر الغنم ولي فيها مآرب اخرى ذكر على التفصيل
والاجمال المنافع المتعلقة بالعصا كانه احس بما يعقب هذا السؤال من امر عظيم يحدثه
الله فقال ما هي الا عصا لا تنفع الا منافع بنات جنسها وكما تنفع العيدان ليكون جوابه
مطابقا للغرض الذي فهمه من فحوى كلام ربه ويجوز ان يريد عز وجل ان يعدد المرافق
الكثيرة التي علقها بالعصا ويستكثرها ويستعظمها ثم يريه على عقب ذلك الاية العظيمة كانه
يقول له اين انت عن هذه المنفعة العظمى والمأربة الكبرى المنسية عندها كل منفعة
ومأربة كنت تعتد بها وتحتفل بشأنها وقالوا انما سأله ليبسط منه ويقلل هيبته
وقالوا انما اجمل موسى ليسأله عن تلك المآرب فيزيد في اكرامه وقالوا انقطع لسانه
بالهيبة فاجمل وقالوا اسم العصا نبعة وقيل في المآرب كانت ذات شعبتين ومحجن
فاذا طال الغصن حناه بالمحجن واذا طلب كسره لواه بالشعبتين واذا سار القاها على
عاتقه فعلق بها ادواته من القوس والكنانة والحلاب وغيرها واذا كان في البرية ركزها
وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل واذا قصر رشاؤه وصله
بها وكان يقاتل السباع بها عن غنمه وقيل كان فيها من المعجزات انه كان يستقي بها فتطول
بطول البئر وتصير شعبتاها دلوا وتكونان شمعتين بالليل واذا ظهر عدو حاربت
عنه واذا اشتهى ثمرة ركزها فاورقت واثمرت وكان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت
تماشيه ويركزها فينبع الماء فاذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام قال القها يا موسى
فالقاها فاذا هي حية تسعى السعي المشي بسرعة وخفة حركة فان قلت
كيف ذكرت بالفاظ مختلفة بالحية والجان والثعبان قلت اما الحية فاسم
جنس يقع على الذكر والانثى والصغير والكبير واما الثعبان والجان فبينهما تناف

لان

له

غ

لان الثعبان العظيم من الحيات والجان الدقيق وفي ذلك وجهان احدهما انها كانت وقت
انقلابها حية تنقلب حية صفراء دقيقة ثم تتورم ويتزايد جرمها حتى تصير ثعبانا فاريد
بالجان اول حالها وبالثعبان مآلها والثاني انها كانت في شخص الثعبان وسرعة حركة
الجان والدليل عليه قوله فلما رآها تهتز كانها جان وقيل كان لها عرف كعرف الفرس وقيل
كان بين لحييها اربعون ذراعا قال خذها ولا تخف لما رأى ذلك الامر العجيب الهائل ملكه من
الفزع والنفار ما يملك البشر عند الاهوال والمخاوف وعن ابن عباس انقلبت ثعبانا ذكرا يبتلع
الصخر والشجر فلما رآه يبتلع كل شيء خاف ونفر وعن بعضهم انما خافها لانه عرف ما لقي
ادم منها وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمأنينة نفسه ان ادخل يده
في فمها واخذ بلحييها سنعيدها سيرتها الاولى السيرة من السير كالركبة من الركوب يقال
سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها فنقلت الى معنى المذهب والطريقة وقيل سير
الاولين ويجوز ان ينتصب على الظرف اي سنعيدها في طريقتها الاولى اي في حال ما كانت
عصا وان يكون اعاد منقولا من عاده بمعنى عاد اليه ومنه بيت زهير
وعادك ان تلاقيها عداء فيتعدى الى مفعولين ووجه ثالث حسن وهو ان يكون سنعيدها
مستقلا بنفسه غير متعلق بسيرتها بمعنى انها انشئت اول ما انشئت عصا ثم ذهبت
وبطلت بالقلب حية فسنعيدها بعد الذهاب كما انشأناها اولا ونصب سيرتها بفعل
مضمر اي تسير سيرتها الاولى يعني سنعيدها سائرة سيرتها الاولى يعني حيث كنت
تتوكأ عليها ولك فيها المآرب التي عرفتها واضمم يدك الى جناحك قيل لكل ناحيتين جناحان
كجناحي العسكر لمجنبتيه وجناحا الانسان جنباه والاصل المستعار منه جناحا الطائر
سميا جناحين لانه يجنحهما عند الطيران والمراد الى جنبك تحت العضد دل على ذلك
قوله تخرج بيضاء من غير سوء السوء الرداءة والقبح في كل شيء فكني به عن البرص كما كني عن العورة
بالسوأة وكان جذيمة صاحب الزباء ابرص فكنوا عنه بالابرش والبرص ابغض شيء الى العرب
وبهم عنه نفرة عظيمة واسماعهم لاسمه مجاجة فكان جديرا بان يكنى عنه ولا ترى احسن
ولا الطف ولا احز للمفاصل من كنايات القرآن وادابه يروى انه كان ادم فاخرج يده من
مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس يغشى البصر اية اخرى بيضاء واية حالان معا
ومن غير سوء من صلة البيضاء كما تقول ابيضت من غير سوء وفي نصب اية وجه اخر وهو ان
يكون باضمار نحو خذ ودونك وما اشبه ذلك حذف لدلالة الكلام وقد تعلق بهذا
المحذوف لنريك اي خذ هذه الاية ايضا بعد قلب العصا حية لنريك بهاتين الايتين
من اياتنا بعض اياتنا الكبرى او لنريك بهما الكبرى من اياتنا او لنريك من اياتنا الكبرى فعلنا
ذلك اذهب الى فرعون انه طغى قال رب اشرح لي صدري لما امر بالذهاب الى فرعون الطاغي
عرف انه كلف امرا عظيما وخطبا جسيما يحتاج معه الى احتمال ما لا يحتمله الا ذو جاش رابط
وصدر فسيح فاستوهب ربه ان يشرح صدره ويفسح قلبه ويجعله حليما حمولا يستقبل
ما عسى يرد عليه من الشدائد التي يذهب معها صبر الصابر بجميل الصبر وحسن الثبات وان
يسهل عليه في الجملة امره الذي هو خلافة الله في ارضه وما يصحبها من مزاولة معاظم
الشؤون ومقاساة جلائل الخطوب فان قلت لي في قوله اشرح لي صدري
ويسر لي امري ما جدواه والكلام بدونه مستتب قلت قد ابهم الكلام اولا فقيل
اشرح لي ويسر لي فعلم ان ثم مشروحا وميسرا ثم بين ورفع الابهام بذكرهما فكان اكد
لطلب الشرح والتيسير لصدره وامره من ان يقول اشرح صدري ويسر امري على الايضاح
الساذج لانه تكرير للمعنى الواحد من طريقي الاجمال والتفصيل واحلل عقدة من لساني يفقهوا
قولي عن ابن عباس كان في لسانه رتة لما روي من حديث الجمرة ويروى ان يده احترقت
وان فرعون اجتهد في علاجها فلم تبرأ ولما دعاه قال الى اي رب تدعوني قال الى الذي
ابرأ يدي وقد عجزت عنها وعن بعضهم انما لم تبرأ يده لئلا يدخلها مع فرعون في قصعة واحدة

فتنعقد بينهما حرمة المواكلة واختلف في زوال العقدة بكمالها فقيل بقي بعضها لقوله واخي هرون
هو افصح مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين وكان في لسان الحسين بن علي رضي الله عنهما رتة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثها من عمه موسى وقيل زالت لقوله تعالى قد اوتيت
سؤلك يا موسى وفي تنكير العقدة وان لم يقل واحلل عقدة لساني انه طلب حل بعضها ارادة
ان يفهم عنه فهما جيدا ولم يطلب الفصاحة الكاملة ومن لساني صفة للعقدة كانه قيل عقدة
من عقد لساني واجعل لي وزيرا من اهلي الوزير من الوزر لانه يتحمل عن الملك اوزاره ومؤنته
او من الوزر لان الملك يعتصم برأيه ويلتجي اليه في اموره او من الموازرة وهي المعاونة عن الاصمعي قال
وكان القياس ازيرا فقلبت الهمزة الى الواو ووجه قلبها ان فعيلا جاء في معنى مفاعل مجيئا صالحا كقولهم
عشير وجليس وقعيد وخليل وصديق ونديم فلما قلبت في اخيه قلبت فيه وحمل الشيء على نظيره
ليس بعزيز ونظرا الى يوازر واخواته والى الموازرة هرون اخي وزيرا وهرون مفعولا قوله
اجعل قدم ثانيهما على اولهما عناية بامر الوزارة او لي وزيرا مفعولاه وهرون عطف بيان للوزير
واخي في الوجهين بدل من هرون وان جعل عطف بيان اخر جاز وحسن اشدد به ازري
واشركه في امري قرءا جميعا اشدد واشركه على الدعاء وابن عامر وحده اشدد واشركه
على الجواب وفي مصحف ابن مسعود واخي واشدد وعن ابي بن كعب اشركه في امري واشدد به
ازري ويجوز فيمن قرا على لفظ الامر ان يجعل اخي مرفوعا على الابتداء واشدد به خبره
ويوقف على هرون الازر القوة وازر قواه اي اجعله شريكي في الرسالة حتى نتعاون
على عبادتك وذكرك فان التعاون لانه مهيج الرغبات يتزايد به الخير ويتكاثر كي نسبحك
كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا اي عالما باحوالنا وبان التعاضد مما يصلحنا وان
هرون نعم المعين والشاد لعضدي بانه اكبر مني سنا وافصح لسانا قال قد اوتيت سؤلك
يا موسى السؤل الطلبة فعل بمعنى مفعول كقولك خبز بمعنى مخبوز واكل بمعنى ماكول
ولقد مننا عليك مرة اخرى اذ اوحينا الى امك ما يوحى الوحي الى ام موسى اما ان يكون على
لسان نبي في وقتها كقوله واذ اوحيت الى الحواريين او يبعث اليها ملكا لا على وجه النبوة كما بعث
الى مريم او يريها ذلك في المنام فتنتبه عليه او يلهمها كقوله واوحى ربك الى النحل اي اوحينا
اليها امرا لا سبيل الى التوصل اليه ولا الى العلم به الا بالوحي وفيه مصلحة دينية فوجب
ان يوحى ولا يخل به اي هو مما يوحى لا محالة وهو امر عظيم مثله يحق بان يوحى ان اقذفيه
في التابوت ان هي المفسرة لان الوحي بمعنى القول القذف مستعمل في معنى الالقاء والوضع
ومنه قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي قال
غلام رماه الله بالحسن يافعا ... اي حصل فيه الحسن ووضعه فيه والضمائر كلها راجعة الى موسى
ورجوع بعضها اليه وبعضها الى التابوت فيه هجنة لما يؤدي فاقذفيه في اليم فليلقه اليم
بالساحل ياخذه عدو لي وعدو له اليه من تنافر النظم فان قلت المقذوف
في البحر هو التابوت وكذلك الملقى الى الساحل قلت ما ضرك لو قلت المقذوف
والملقى هو موسى في جوف التابوت حتى لا تفرق الضمائر فيتنافر عليك النظم الذي هو
ام اعجاز القران والقانون الذي وقع عليه التحدي ومراعاته اهم ما يجب على المفسر
لما كانت مشيئة الله وارادته ان لا تخطى جرية ماء اليم الوصول به الى الساحل والقاءه
اليه سلك في ذلك سبيل المجاز وجعل اليم كانه ذو تمييز امر بذلك ليطيع الامر ويمتثل
رسمه فقيل فليلقه اليم بالساحل روي انها جعلت في التابوت قطنا محلوجا فوضعته فيه
وجصصته وقيرته ثم القته في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر كبير
فبينا هو جالس على راس بركة مع اسية اذا بالتابوت فامر به فاخرج ففتح فاذا صبي
اصبح الناس وجها فاحبه عدو الله حبا شديدا لا يتمالك ان يصبر عنه وظاهر اللفظ
على ان البحر القاه بساحله وهو شاطئه لان الماء يسحله اي يقشره وقذف به ثمة فالتقط
من الساحل الا ان يكون قد القاه اليم بموضع من الساحل فيه فوهة نهر فرعون ثم اداه النهر الى

خ فتنبه

بخ

حبب

حببت اليك والقيت عليك محبة مني لا يخلو اما ان يتعلق بالقيت فيكون المعنى على اني احببتك
ومن احبه الله احبته القلوب واما ان يتعلق بمحذوف هو صفة لمحبة اي محبة حاصلة او
واقعة مني قد ركزتها انا في القلوب وزرعتها فيها فلذلك احبك فرعون وكل من ابصرك
روي انه كانت على وجهه مسحة جمال وفي عينيه ملاحة لا يكاد يصبر عنه من راه ولتصنع
على عيني لتربى ويحسن اليك وانا راعيك وراقبك كما يراعي الرجل الشيء بعينه اذا
اعتنى به وتقول للصانع اصنع هذا على عيني انظر اليك لئلا تخالف به عن مرادي وبغيتي
ولتصنع معطوف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك وترام ونحوه او حذف معلله اي
ولتصنع فعلت ذلك وقرئ ولتصنع ولتصنع بكسر اللام وسكونها على الامر وقرئ
ولتصنع بفتح التاء والنصب اي وليكون عملك وتصرفك على عين مني اذ تمشي اختك
فتقول هل ادلكم على من يكفله فرجعناك الى امك كي تقر عينها ولا تحزن العامل في اذ تمشي
القيت او تصنع ويجوز ان يكون بدلا من اذ اوحينا فان قلت كيف يصح
البدل والوقتان مختلفان متباعدان قلت كما يصح وان اتسع الوقت
وتباعد طرفاه ان يقول لك الرجل لقيت فلانا سنة كذا فتقول وانا لقيته اذ ذاك
وربما لقيه هو في اولها وانت في اخرها روي ان اخته واسمها مريم جاءت متعرفة خبره فصا دفتهم
يطلبون له مرضعة يقبل ثديها وذلك انه كان لا يقبل ثدي امراة فقالت هل ادلكم
فجاءت بالام فقبل ثديها وروي ان اسية استوهبته من فرعون وتبنته وهي التي
اشفقت عليه وطلبت له المراضع وقتلت نفسا فنجيناك من الغم هي نفس القبطي الذي
استغاثه عليه الاسرائيلي قتله وهو ابن اثنتي عشرة سنة اغتم بسبب القتل خوفا
من عقاب الله ومن اقتصاص فرعون فغفر الله له باستغفاره حين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي
ونجاه من فرعون ان اخذته مغافصة حين هاجر به الى مدين وفتناك فتونا يجوز ان يكون
مصدرا على فعول في المتعدي كالثبور والشكور والكفور وجمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد
بتاء التانيث كحجوز وبدور في حجزة وبدرة اي فتناك ضروبا من الفتن سال سعيد بن جبير
ابن عباس عنه فقال خلصناك من فتنة بعد فتنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان
فهذه فتنة يا ابن جبير والقته امه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا واجر نفسه
عشر سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة
فهذه فتنة يا ابن جبير والفتنة المحنة وكل ما يشق على الانسان وكل ما يبتلي الله به
عباده فتنة قال ونبلوكم بالشر والخير فتنة فلبثت سنين في اهل مدين ثم جئت
على قدر يا موسى واصطنعتك لنفسي مدين على ثماني مراحل من مصر وعن وهب انه
لبث عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة منها مهر ابنته وقضى اوفى الاجلين اي سبق
في قضائي وقدري ان اكلمك واستنبئك في وقت بعينه قد وقته لذلك فما جئت الا على
ذلك القدر غير مستقدم ولا مستاخر وقيل على مقدار من الزمان يوحي فيه الى الانبياء
وهو راس اربعين سنة هذا تمثيل لما خوله من منزلة التقريب والتكريم والتكليم
مثل حاله بحال من يراه بعض الملوك لجوامع خصال فيه وخصائص اهلا لئلا يكون احد
اقرب منزلة منه اليه ولا الطف محلا لديه فيصطنعه بالكرامة والاثرة ويستخلصه
لنفسه ولا يبصر ولا يسمع الا بعينيه واذنيه ولا يامن على مكنون سره الا سواء ضميره
اذهب انت واخوك باياتي ولا تنيا في ذكري الونى الفتور والتقصير وقرئ تنيا
بكسر حرف المضارعة للاتباع اي لا تنسياني ولا ازال منكما على ذكر حيثما تقلبتما
واتخذا ذكري جناحا تطيران به مستمدين بذلك العون والتاييد مني معتقدين
ان امرا من الامور لا يتمشى لاحد الا بذكري ويجوز ان يريد بالذكر تبليغ الرسالة فان
الذكر يقع على سائر العبادات وتبليغ الرسالة من اجلها واعظمها فكان جديرا بان يطلق
عليه اسم الذكر روي ان الله تعالى اوحى الى هرون وهو بمصر ان يتلقى موسى وقيل

محنة

٢

سمع بمقبله وقيل الهم ذلك اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا فرئ لينا بالتخفيف
والقول اللين نحو قوله هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى لان ظاهره الاستفهام
والمشورة وعرض ما فيه الفوز وقيل عده شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع منه الا
بالموت وان تبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته وقيل لا تجبهاه بما يكره والطفا له
في القول لما له من حق تربية موسى ولما ثبت له من مثل حق الابوة وقيل كنياه وهو من
ذوي الكنى الثلاث ابو العباس وابو الوليد وابو مرة لعله يتذكر او يخشى والترجي
لهما اي اذهبا على رجائكما وباشرا الامر مباشرة من يرجو ويطمع ان يثمر عمله ولا يخيب سعيه
فهو يجتهد بطوقه ويحتشد باقصى وسعه وجدوى ارسالهما اليه مع العلم بانه لن يؤمن
الزام الحجة وقطع المعذرة ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت
الينا رسولا فنتبع اياتك اي يتذكر ويتامل فيبذل النصفة من نفسه والاذعان للحق
او يخشى ان يكون الامر كما تصفان فيجره انكاره الى الهلكة قالا ربنا اننا
نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى فرط سبق وتقدم ومنه الفارط الذي يتقدم الواردة
وفرس فرط يسبق الخيل اي نخاف ان يعجل علينا بالعقوبة ويبادرنا بها وقرئ يفرط من
افرطه غيره اذا حمله على العجلة خافا ان يحمله حامل على المعاجلة بالعقاب من شيطان
او من جبروته واستكباره وادعائه الربوبية او من حبه الرياسة او من قومه القبط المتمردين
الذين حكى عنهم رب العزة قال الملأ من قومه وقال الملأ من قومه وقرئ يفرط من الافراط
في الاذية اي نخاف ان يحول بيننا وبين تبليغ الرسالة بالمعاجلة او يجاوز الحد في معاقبتنا
ان لم يعاجل بناء على ما عرفا وجربا من شرارته وعتوه او ان يطغى بالتخطي الى ان يقول فيك
ما لا ينبغي لجراءته عليك وقساوة قلبه وفي المجيء به هكذا على الاطلاق وعلى سبيل
الرمز باب من حسن الادب وتحاش عن التفوه بالعظيمة قال لا تخافا انني
معكما اي حافظكما وناصركما اسمع وارى ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فافعل
ما يوجبه حفظي ونصرتي لكما فجاز ان يقدر اقوالكم وافعالكم وجاز ان لا يقدر شي
وكانه قيل انا حافظ لكما وناصر سامع ومبصر واذا كان الحافظ والناصر كذلك تم
الحفظ وصحت النصرة وذهبت المبالاة بالعدو فاتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل
معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم كانت بنو اسرائيل في مملكة فرعون والقبط يعذبونهم
بتكليف الاعمال الصعبة من الحفر والبناء ونقل الحجارة والسخرة في كل شيء مع قتل
الولدان واستخدام النساء قد جئناك باية من ربك جملة جارية من الجملة الاولى
وهي انا رسولا ربك مجرى البيان والتفسير لان دعوى الرسالة لا تثبت الا ببينتها
التي هي المجيء بالاية انما وحد قوله باية ولو بين ومعه ايتان لان المراد في هذا الموضع
تثبيت الدعوى ببرهانها فكانه قال قد جئناك بمعجزة وبرهان وحجة على ما ادعيناه
من الرسالة وكذلك قد جئتكم ببينة من ربكم فات باية ان كنت من الصادقين او لو
جئتك بشيء مبين والسلام على من اتبع الهدى وسلام الملائكة الذين هم خزنة
الجنة على المهتدين وتوبيخ خزنة النار والعذاب على المكذبين انا قد اوحي الينا ان
العذاب على من كذب وتولى قال فمن ربكما يا موسى خاطب الاثنين ووجه النداء الى احدهما
وهو موسى لانه الاصل في النبوة وهارون وزيره وتابعه ويحتمل ان يحمله خبثه ودعارته
على استدعاء كلام موسى دون كلام اخيه لما عرف من فصاحة هارون والرتة في لسان
موسى ويدل عليه قوله ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين قال ربنا
الذي اعطى كل شيء خلقه خلقه اول مفعولي اعطى اي اعطى خليقته كل شيء يحتاجون
اليه ويرتفقون به او ثانيهما اي اعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة
به كما اعطى العين الهيئة التي تطابق الابصار والاذن الشكل الذي يوافق الاستماع
وكذلك الانف واليد والرجل واللسان كل واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة غير ناب

عنه

العظيم مع

عنه او اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة حيث جعل الحصان والحجر زوجين والبعير
والناقة والرجل والمراة فلم يزاوج منها شيئا غير جنسه وما هو على خلاف خلقه وقرئ خلقه
صفة للمضاف او للمضاف اليه اي كل شيء خلقه الله لم يخله من عطائه وانعامه ثم هدى
اي عرف كيف يرتفق بما اعطي وكيف يتوصل اليه ولله در هذا الجواب ما اخصره وما اجمعه
وما ابينه لمن القى الذهن ونظر بعين الانصاف فكان طالبا للحق قال فما بال القرون
الاولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ساله عن حال من تقدم وخلا من
القرون وعن شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد فاجابه بان هذا سؤال عن الغيب وقد استاثر
الله به لا يعلمه الا هو وما انا الا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرني به علام الغيوب وعلم احوال
القرون مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ لا يجوز على الله ان يخطئ شيئا او ينساه يقال
ضللت الشيء اذا اخطاته في مكانه فلم تهتد له كقولك ضللت الطريق والمنزل وقرئ يضل
من اضله اذا اضاعه وعن ابن عباس لا يترك من كفر به حتى ينتقم منه ولا يترك من وحده حتى
يجازيه ويجوز ان يكون فرعون قد نازعه في احاطة الله بكل شيء وتبينه لكل معلوم فتعنت
وقال ما تقول في سوالف القرون وتمادي كثرتهم وتباعد اطراف عددهم كيف احاط
بهم وباجزائهم وجواهرهم فاجاب بان كل كائن محيط به علمه وهو مثبت عنده في كتاب
ولا يجوز عليه الخطا والنسيان كما يجوز عليك ايها العبد الذليل والبشر الضئيل
اي لا يضل كما تضل ولا ينسى كما تنسى يا مدعي الربوبية بالجهل والوقاحة الذي
جعل مرفوع صفة لربي او خبر مبتدا محذوف او منصوب على المدح وهذا من مظانه
ومجازه لكم الارض مهدا قراءة اهل الكوفة اي مهدها مهدا او يتمهدونها فهي كالمهد
وهي ما يمهد للصبي وسلك لكم فيها سبلا سلك من قوله ما سلككم في سقر سلكناه
نسلكه في قلوب المجرمين اي جعل لكم فيها سبلا ووسطها بين الجبال والاودية والبراري
وانزل من السماء ماء فاخرجنا به انتقل فيه من لفظ الغيبة الى لفظ المتكلم المطاع لما ذكرت
من الافتنان والايذان بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لامره وتذعن الاجناس المتفاوتة
لمشيئته لا يمتنع شيء على ارادته ومثله قوله تعالى وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا
به نبات كل شيء الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها امن
خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة وفيه تخصيص
ايضا بانا نحن نقدر على مثل هذا ولا يدخل تحت قدرة احد ازواجا اصنافا من نبات
سميت بذلك لانها مزدوجة مقترنة بعضها مع بعض شتى صفة للازواج جمع شتيت
كمريض ومرضى ويجوز ان يكون صفة للنبات والنبات مصدر سمي به النابت كما سمي
بالنبت واستوى فيه الواحد والجمع يعني انها شتى مختلفة النفع والطعم واللون
والرائحة والشكل بعضها يصلح للناس وبعضها يصلح للبهائم فالواو نعمته ان الارزاق انما
تحصل بعمل الانعام وقد جعل الله علفها مما يفضل عن حاجتهم ولا يقدرون على كله
كلوا وارعوا انعامكم ان في ذلك لايات لاولي النهى اي قائلين كلوا وارعوا انعامكم حال من ضمير
في فاخرجنا والمعنى اخرجنا اصناف النبات اذنين في الانتفاع بها مبيحين ان تاكلوا بعضها
وتعلفوا بعضها منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى اراد بخلقهم من الارض
خلق اصلهم وهو ادم عليه السلام منها وقيل ان الملك لينطلق فياخذ من تربة المكان
الذي يدفن فيه فيبددها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة معا واراد باخراجهم
منها انه يولف اجزاءهم المتفرقة المختلطة بالتراب ويردهم كما كانوا احياء ويخرجهم الى المحشر يوم
يخرجون من الاجداث سراعا عدد الله عليهم ما علق بالارض من مرافقهم حيث جعلها
لهم فراشا ومهادا يتقلبون عليها وسوى لهم فيها مسالك يترددون فيها كيف شاؤوا
وانبت فيها اصناف النبات التي منها اقواتهم وعلوفات بهائمهم وهي اصلهم الذي منه
تفرعوا وامهم التي منها ولدوا ثم هي كفاتهم اذا ماتوا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم

ارزاق العباد

تمسحوا بالارض فانها لكم برة ولقد اريناه اياتنا كلها فكذب وابى ارينا[ه] بصرناه او عرفناه صحتها
وتيقناه بها وانما كذب لظلمه كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقوله لقد
علمت ما انزل هولاء الا رب السموات والارض بصائر وفي قوله اياتنا كلها وجهان احدهما ان
يحذي بهذا التعريف الاضافي حذو التعريف باللام لو قيل الايات كلها يعني انها كانت
لا تعطي الا تعريف العهد والاشارة الى الايات المعلومة التي هي تسع الايات المختصة بموسى
عليه السلام العصا واليد وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع والدم ونتق الجبل
والثاني ان يكون موسى عليه السلام قد اراه اياته وعدد عليه ما اوتيه غيره من الانبياء اياتهم
ومعجزاتهم وهو نبي صادق لا فرق بين ما يخبر عنه وبين ما يشاهد به فكذبها جميعا وابى ان
يقبل شيا منها وقيل فكذب الايات وابى قبول الحق قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك
يا موسى فلناتينك بسحر مثله يلوح من جيب قوله اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى
ان فرايصه كانت ترعد خوفا مما جاء به موسى عليه السلام لعلمه وايقانه انه على الحق وان
المحق لو اراد قود الجبال لانقادت له وان مثله لا يخذل ولا يقل ناصره وانه غالبه على ملكه
لا محالة وقوله بسحرك تعلل وتحير والا فكيف يخفى عليه ان ساحرا لا يقدر ان يخرج ملكا
من ارضه ويغلبه على ملكه بالسحر فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا انت
مكانا سوى لا يخلو الموعد في قوله فاجعل بيننا وبينك موعدا من ان يجعل زمانا او مكانا
او مصدرا فان جعلته زمانا نظرا الى ان قوله موعدكم يوم الزينة مطابق له لزمك شيان
ان تجعل الزمان مخلفا وان يعضل عليك ناصب مكانا وان جعلته مكانا لقوله مكانا سوى
لزمك ايضا ان توقع الاخلاف على المكان وان لا يطابق قوله موعدكم يوم الزينة وقراءة الحسن
غير مطابقة له مكانا وزمانا جميعا لانه قرا يوم الزينة بالنصب فبقي ان يجعل مصدرا بمعنى الوعد
ويقدر مضاف محذوف اي مكان موعد ويجعل الضمير في نخلفه للموعد ومكانا بدل من المكان
المحذوف قال موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى فان قلت فكيف
طابقه قوله موعدكم يوم الزينة ولا بد من ان تجعله زمانا والسوال واقع عن المكان لا عن
الزمان قلت هو مطابق معنى وان لم يطابق لفظا لانه لا بد لهم من ان يجتمعوا
يوم الزينة في مكان بعينه مشتهر باجتماعهم فيه في ذلك اليوم فبذكر الزمان علم المكان واما
قراءة الحسن فالموعد فيها مصدر لا غير والمعنى انجاز وعدكم يوم الزينة وطابق هذا ايضا
من طريق المعنى ويجوز ان لا يقدر مضاف محذوف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك وعدا
لا نخلفه فان قلت فبم ينتصب مكانا قلت بالمصدر
او بفعل يدل عليه المصدر فان قلت فكيف يطابقه الجواب
قلت اما على قراءة الحسن فظاهر واما على قراءة العامة فعلى تقدير وعدكم
وعد يوم الزينة ويجوز على قراءة الحسن ان يكون موعدكم مبتدا بمعنى الوقت وضحى خبره على نية
التعريف فيه لانه ضحى ذلك اليوم بعينه وقيل في يوم الزينة يوم عاشورا ويوم النيروز
ويوم عيد كان لهم في كل عام ويوم كانوا يتخذون فيه سوقا ويتزينون ذلك اليوم
قرئ نخلفه بالرفع على الوصف للموعد وبالجزم على جواب الامر وقرئ سوى وسوى
بالكسر والضم ومنونا وغير منون ومعناه منصفا بيننا وبينك عن مجاهد وهو من الاستواء
لان المسافة من الوسط الى الطرفين مستوية لا تفاوت فيها ومن لم ينون فوجهه ان يجري الوصل
مجرى الوقف قرئ وان يحشر بالتاء والياء يريد وان تحشر يا فرعون وان يحشر اليوم
ويجوز ان يكون فيه ضمير فرعون ذكره بلفظ الغيبة اما على العادة التي يخاطب بها الملوك
او خاطب القوم بقوله موعدكم وجعل يحشر لفرعون ومحل ان يحشر الرفع او الجر عطفا
على اليوم او الزينة وانما واعدهم ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله وظهور دينه وكبت الكافر
وزهوق الباطل على رؤوس الاشهاد وفي المجمع الغاص لتقوى رغبة من رغب في اتباع الحق
ويكل حد المبطلين واشياعهم ويكثر المحدث بذلك الامر العلم في كل بدو وحضر ويشيع في جميع

اهل الوبر والمدر فتولى فرعون فجمع كيده ثم اتى قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى
اي لا تدعوا اياته ومعجزاته سحرا فيسحتكم والسحت لغة اهل الحجاز والاسحات
لغة اهل نجد وبني تميم ومنه قول الفرزدق الا مسحتا او مجلف في بيت لا تزال الركب
تصطك في تسوية اعرابه فتنازعوا امرهم بينهم واسروا النجوى قالوا ان هذان لساحران
يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما عن ابن عباس ان نجواهم ان غلبنا موسى اتبعناه وعن
قتادة ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السما فله امر وعن وهب لما قال ويلكم الاية قالوا
ما هذا بقول ساحر والظاهر انهم تشاوروا في السر وتجاذبوا اهداب القول ثم قالوا ان
هذان لساحران فكانت نجواهم في تلفيق هذا الكلام وتزويره خوفا من غلبتهما وتثبيطا للناس
عن اتباعهما قرا ابو عمرو ان هذين لساحران على الجهة الظاهرة المكشوفة وابن كثير وحفص ان
هذان لساحران على قولك ان زيد لمنطلق واللام هي الفارقة بين ان النافية والمخففة من الثقيلة
وقرا ابي ان ذان الا ساحران وقرا ابن مسعود ان هذان ساحران بفتح ان وبغير لام بدل من النجوى
وقيل في القراءة المشهورة ان هذان لساحران هي لغة بلحرث بن كعب جعلوا الاسم المثنى نحو
الاسما التي اخرها الف كعصي وسعدي فلم يقلبوها ياء في الجر والنصب وقال بعضهم
ان بمعنى نعم وساحران خبر مبتدا محذوف واللام داخلة على الجملة تقديره لهما ساحران وقد اعجب
به ابو اسحق ويذهبا بطريقتكم المثلى سموا مذهبهم الطريقة المثلى والسنة الفضلى وكل حزب
بما لديهم فرحون وقيل اراد اهل طريقتكم المثلى وهم بنو اسرائيل لقول موسى ارسل معنا
بني اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه الناس واشرافهم الذين هم قدوة لغيرهم يقال هم طريقة
قومهم ويقال للواحد ايضا هو طريقة قومه فاجمعوا كيدكم يعضده قوله فجمع كيده وقرئ
فاجمعوا كيدكم اي ازمعوه واجعلوه مجمعا عليه حتى لا تختلفوا ولا يتخلف عنه واحد منكم كالمسالة
المجمع عليها ثم ائتوا صفا امروا بان ياتوا صفا لانه اهيب في صدور الرائين وروي انهم
كانوا سبعين الفا مع كل واحد منهم حبل وعصا وقد اقبلوا اقبالة واحدة وعن ابي عبيدة
انه فسر الصف بالمصلى لان الناس يجتمعون فيه لعيدهم وصلاتهم مصطفين ووجه
صحته ان يقع علما لمصلى بعينه فامروا بان ياتوه او يراد ايتوا مصلى من المصليات وقد
افلح اليوم من استعلى اعتراض يعني وقد فاز من غلب قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون
اول من القى قال بل القوا ان مع ما بعده اما منصوب بفعل مضمر او مرفوع بانه خبر مبتدا
محذوف معناه اختر احد الامرين او الامر القاؤك او القاؤنا وهذا التخيير منهم استعمال
ادب حسن وتواضع له وخفض جناح وتنبيه على اعطائهم النصفة من انفسهم وكان الله
عز وجل الهمهم ذلك وعلم موسى عليه السلام اختيار القائهم اولا مع ما فيه من مقابلة
ادب بادب حتى يبرزوا ما معهم من مكايد السحر ويستنفدوا اقصى طوقهم ومجهودهم فاذا
فعلوا اظهر الله سلطانه وقذف بالحق على الباطل فدمغه وسلط المعجزة على السحر فمحقته
وكانت اية نيرة للناظرين وعبرة بينة للمعتبرين فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم
انها تسعى يقال في اذا هذه اذا المفاجاة والتحقيق فيها انها اذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة
ناصبا لها وجملة تضاف اليها خصت في بعض المواضع بان يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو
فعل المفاجاة والجملة ابتدائية لا غير فتقدير قوله تعالى فاذا حبالهم وعصيهم ففاجا موسى
وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم وهذا تمثيل والمعنى على مفاجاته حبالهم وعصيهم
مخيلة اليه السعي وقرئ عصيهم بالضم وهو الاصل والكسر اتباع ونحوه دلي ودلي وقسي
وقسي وقرئ تخيل على اسناده الى ضمير الحبال والعصي مخيلة سعيها وتخيل بمعنى
تتخيل وطريقه طريق تخيل ونخيل على ان الله هو المخيل للمحنة والابتلاء يروى
انهم لطخوها بالزيبق فلما ضربت عليه الشمس اضطربت واهتزت فخيلت ذلك فاوجس
في نفسه خيفة موسى اضمر في نفسه شيا من الخوف وكذلك توجس الصوت تسمع نبأة
يسيرة منه وكان ذلك لطبع الجبلة البشرية وانه لا يكاد يمكن الخلو من مثله وقيل خاف ان

وبيته
ومن جوده الفياض في الناس لم يدع
من المال الا مسحتا او مجلف
نسخة

كما قال

ذلك

اذا

بالضم

ولذلك قوله انها تسعى من الضمير بدل الاشتمال
كقولك اعجبني زيد كرمه وتخيل على كون الحبال
والعصي

يخالج الناس شك فلا يتبعوه قلنا لا تخف انك انت الاعلى فيه تقرير لغلبته وقهره وتوكيد
بالاستيناف وبكلمة التشديد وبتكرير الضمير وبلام التعريف وبلفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة
وبالتفضيل وقوله والق ما في يمينك ولم يقل عصاك جاز ان يكون تصغيرا لها اي لا تبال بكثرة
حبالهم وعصيهم والق العويد الفرد الصغير الجرم الذي في يمينك تلقف ما صنعوا اي فانه
بقدرة الله تعالى يتلقفها على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها وجاز ان يكون تعظيما لها اي لا
تحتفل بهذه الاجرام الكبيرة الكثيرة فان في يمينك شيئا اعظم منها كلها وهذه على كثرتها
اقل شيء وانزره عنده فالقه يتلقفها باذن الله ويمحقها وقرئ تلقف بالرفع على الاستيناف او على
الحال اي القها متلقفة وقرئ تلقف بالتخفيف صنعوا ها هنا بمعنى زوروا وافتعلوا
كقوله تعالى تلقف ما يأفكون انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث اتى قرئ كيد ساحر بالرفع
والنصب فمن رفع فعلى ان ما موصولة ومن نصب فعلى انها كافة وقرئ كيد سحر بمعنى ذي
سحر او ذوي سحر او هم لتوغلهم في سحرهم كأنهم السحر بعينه وبذاته او بين الكيد لانه يكون
سحرا وغير سحر كما تبين المائة بدرهم ونحوه علم فقه وعلم نحو فان قلت
لم وحد ساحر ولم يجمع قلت لان القصد في هذا الكلام الى معنى الجنسية لا الى
معنى العدد فلو جمع لتخيل ان المقصود هو العدد الا ترى الى قوله ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس
فان قلت فلم نكر اولا وعرف ثانيا قلت انما نكر من اجل
تنكير المضاف لا من اجل تنكيره في نفسه كقول العجاج في سعي دنيا طالما قد مدت
وفي حديث عمر رضي الله عنه لا في امر دنيا ولا امر آخرة المراد تنكير الامر كأنه قيل انما صنعوا
كيد سحري وفي سعي دنيوي وامر دنيوي وآخري حت الى كقولهم حت سيروانه سلك نحو وابيما
كان فالقي السحرة سجدا قالوا امنا برب هارون وموسى سبحان الله ما اعجب امرهم قد القوا
حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم القوا رؤوسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما اعظم
الفرق بين الالقائين وروي انهم لم يرفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنار ورأوا ثواب اهلها
وعن عكرمة لما خروا سجدا اراهم الله في سجودهم منازلهم التي يصيرون اليها في الجنة
قال فرعون امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر لكبيركم لعظيمكم يريد انه اسحرهم
واعلاهم درجة في صناعتهم او لمعلمكم من قول اهل مكة للمعلم امرني كبيري وقال لي كبيري
كذا يريدون معلمهم واستاذهم في القرآن وفي كل شيء فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف
ولاصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى قرئ لاقطعن ولاصلبن بالتخفيف
والقطع من خلاف ان تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لان كل واحد من العضوين خالف
الآخر بان هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك شمال ومن لابتداء الغاية لان القطع
مبتدي وناشئ من مخالفة العضو العضو لا من وفاقه اياه ومحل الجار والمجرور النصب
على الحال اي لاقطعنها مختلفات لانها اذا خالف بعضها بعضا فقد اتصفت بالاختلاف شبه
تمكن المصلوب في الجذع بتمكن الشيء الموعى في وعائه فلذلك قيل في جذوع النخل اينا
يريد نفسه لعنه الله وموسى عليه السلام بدليل قوله امنتم له واللام مع الايمان
في كتاب الله لغير الله كقوله يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين وفيه نفاجة باقتداره وقهره
وما الفه وضري به من تعذيب الناس بانواع العذاب وتوضيع لموسى عليه السلام
واستضعاف له مع الهزء به لان موسى لم يكن قط من التعذيب في شيء قالوا لن نؤثرك
على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا عطف على ما جاءنا او قسم فاقض ما انت قاض انما تقضي
هذه الحياة الدنيا وقرئ تقضى هذه الحياة الدنيا ووجهها ان الحياة في القراءة المشهورة
منتصبة على الظرف فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به كقولك في صمت يوم الجمعة
صيم يوم الجمعة روي ان السحرة بعني رؤوسهم كانوا اثنين وسبعين الاثنان من القبط
والسائر من بني اسرائيل فكان فرعون اكرههم على تعلم السحر وروي انهم قالوا لفرعون
ارنا موسى نائما فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر الساحر اذا نام بطل سحره

فابى

ح

تلقف ٧

اوله
يوم ترى النفوس ما اعدت
لذوي صح

بالتخفيف

دون السحر صح

ففعل ٧

فابى الا ان يعارضوه انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه من السحر والله خير وابقى انه من يأت
ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات
العلى جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى تزكى تطهر من ادناس الذنوب
وعن ابن عباس قال لا اله الا الله قيل في هذه الآيات الثلاث هي حكاية قولهم وقيل خبر من الله
لا على وجه الحكاية ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر فاجعل لهم
من قولهم ضرب له في ماله سهما وضرب اللبن عمله يبسا اليبس مصدر وصف به يقال يبس يبسا
ويبسا ونحوهما العدم والعدم ومن ثم وصف به المؤنث فقيل شاتنا يبس وناقتنا
يبس اذا جف لبنها وقرئ يبسا ويابسا ولا يخلو اليبس من ان يكون مخففا عن اليبس او صفة
على فعل او جمع يابس كصاحب وصحب وصف به الواحد تأكيدا كقوله ومعا جياعا جعله لفرط
جوعه كجماعة جياع لا تخاف دركا ولا تخشى لا تخاف حال من الضمير في فاضرب وقرئ لا تخف
على الجواب وقرأ ابو حيوة دركا بالسكون والدرك والدرك اسمان من الادراك اي لا يدركك فرعون
وجنوده ولا يلحقونك في ولا تخشى اذا قرئ ولا تخف ثلاثة اوجه ان يستأنف كانه قيل
وانت لا تخشى اي ومن شأنك انك آمن واذ لا يكون الالف المنقلبة عن الياء هي لام الفعل
ولكن زائدة للاطلاق من اجل الفاصلة كقوله فاضلونا السبيلا وتظنون بالله الظنونا
وان يكون مثل قوله كان لم ترى قبلي اسيرا يمانيا فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم
ما غشيهم من باب الاختصار ومن جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة اي غشيهم
ما لا يعلم كنهه الا الله وقرئ فغشاهم من اليم ما غشاهم والتغشية التغطية وفاعل غشاه
اما الله سبحانه او ما غشاهم او فرعون لانه الذي ورط جنوده وتسبب لهلاكهم واضل فرعون
قومه وما هدى تهكم به في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد يا بني اسرائيل قد انجيناكم من
عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى يا بني اسرائيل خطاب لهم بعد
انجائهم من البحر واهلاك آل فرعون وقيل هو للذين كانوا منهم في عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم من الله عليهم بما فعل بآبائهم والوجه هو الاول اي قلنا يا بني اسرائيل وحذف
القول كثير في القرآن وقرئ انجيتكم الى رزقتكم وعلى لفظ الوعد والمواعدة وقرئ الايمن
بالجر على الجوار نحو جحر ضب خرب ذكرهم النعمة في نجاتهم وهلاك عدوهم وفيما واعد
موسى عليه السلام من المناجاة بجانب الطور وكتب التوراة في الالواح وانما عدى
المواعدة اليهم لانها لابستهم واتصلت بهم حيث كانت لنبيهم ونقبائهم واليهم رجعت منافعها
التي قام بها دينهم وشرعهم وفيما افاض عليهم من سائر نعمه وارزاقه طغيانهم في النعمة
ان يتعدوا حدود الله فيها بان يكفروها ويشغلهم اللهو والتنعم عن القيام بشكرها وان
ينفقوها في المعاصي وان يزووا حقوق الفقراء فيها وان يسرفوا في انفاقها وان يبطروا
فيها ويأشروا كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه
غضبي فقد هوى قرئ فيحل وعن عبد الله لا يحلن ومن يحلل المكسور في معنى الوجوب
من حل الدين يحل اذا وجب اداؤه ومنه قوله تعالى حتى يبلغ الهدي محله والمضموم
في معنى النزول وغضب الله عقوباته ولذلك وصف بالنزول هوى هلك واصله
ان يسقط من جبل فيهلك قالت هوى من رأس مرقبة ففتت تحتها كبده ويقولون
هوت امه او سقط سقوطا لا نهوض بعده واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى
الاهتداء هو الاستقامة والثبات على الهدى المذكور وهو التوبة والايمان والعمل الصالح
ونحوه قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وكلمة التراخي دلت على تباين
المنزلتين دلالتها على تباين الوقتين في جاءني زيد ثم عمرو اعني ان منزلة الاستقامة
على الخير مباينة لمنزلة الخير نفسه لانها اعلى منها وافضل وما اعجلك عن قومك
اي شيء عجل بك عنهم على سبيل الانكار وكان قد مضى مع النقباء الى الطور على الموعد
المضروب ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه وتنجز ما وعد به بناء على اجتهاده وظنه ان

التي

قوله ٧

الى ٢ خ

فيها

وتبكروا ٧

ح

ذلك اقرب الى رضاك وزل عنه انه عز وجل ما وقت افعاله الا نظرا الى دواعي الحكمة وعلما
بالمصالح المتعلقة بكل وقت فالمراد بالقوم النقباء وليس لقوله جوز ان يراد جميع قومه وان
يكونوا قد فارقهم قبل الميعاد وجه صحيح يأباه قوله قال هم اولاء على اثري وعن ابي عمرو
على اثري بالكسر وعن عيسى بن عمر اثري بالضم وعنه ايضا اولى بالقصر والاثر افصح
من الاثر واما الاثر فمسموع في فرند السيف مدون في الاصول يقال اثر السيف واثره
بمعنى الاثر غريب **فان قلت** ما اعجلك سؤال عن سبب العجلة فكان الذي
ينطبق عليه من الجواب ان يقال طلب زيادة رضاك او الشوق الى كلامك وتنجز موعدك وقوله هم
اولاء على اثري كما ترى غير منطبق عليه **قلت** قد تضمن ما واجهه به رب
العزة شيئين احدهما انكار العجلة في نفسها والثاني السؤال عن سبب المستنكر والحامل
عليه فكان اهم الامرين الى موسى بسط العذر وتمهيد العلة في نفس ما انكر عليه فاعتل
بانه لم يوجد مني الا تقدم يسير ومثله لا يعتد به في العادة ولا يحتفل به وليس بيني وبين
من سبقته الا مسافة قريبة يتقدم بمثلها الوفد راسهم ومقدمهم ثم عقبه بجواب السؤال
عن السبب فقال وعجلت اليك رب لترضى ولقائل ان يقول حار لما ورد عليه من التهيب لعتاب
الله فاذهله ذلك عن الجواب المنطبق المرتب على حدود الكلام قال فانا قد فتنا قومك من
بعدك اراد بالقوم المفتونين الذين خلفهم مع هارون وكانوا ستمائة الف ما نجا من عبادة العجل
منهم الا اثنا عشر الفا **فان قلت** في القصة انهم اقاموا بعد مفارقته
عشرين ليلة وحسبوها اربعين مع ايامها وقالوا قد اكملنا العدة ثم كان امر العجل بعد ذلك
فكيف التوفيق بين هذا وبين قوله تعالى لموسى عند مقدمه انا قد فتنا قومك
قلت قد اخبر الله تعالى عن الفتنة المترقبة بلفظ الموجودة الكائنة على
عادته او افترص السامري غيبته فعزم على اضلالهم غب انطلاقه واخذ في تدبير ذلك
فكان بدء الفتنة موجودا واضلهم السامري قرئ واضلهم السامري اي هو اشدهم
ضلالا لانه ضال مضل وهو منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة
وقيل السامرة قوم من اليهود يخالفونهم في بعض دينهم وقيل كان من اهل باجرما
وقيل كان علجا من كرمان واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا قد اظهر الاسلام
وكان من قوم يعبدون البقر فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا الاسف الشديد الغضب
ومنه قوله عليه السلام في موت الفجاءة رحمة للمؤمن واخذة اسف للكافر وقيل الحزين
فان قلت متى رجع الى قومه **قلت** بعدما استوفى
الاربعين ذا القعدة وعشر ذي الحجة وعدهم الله سبحانه ان يعطيهم
التوراة التي فيها هدى ونور ولا وعد احسن من ذلك واجمل حكي لنا انها كانت الف سورة
كل سورة الف اية يحمل اسفارها سبعون جملا قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا
افطال عليكم العهد الزمان يريد مدة مفارقته لهم يقال طال عهدي بك اي طال زماني
بسبب مفارقتك ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم فاخلفتم موعدي وعدوه ان
يقيموا على امره وما تركهم عليه من الايمان فاخلفوا موعده بعبادتهم العجل قالوا ما اخلفنا
موعدك بملكنا قرئ بالحركات الثلاث اي ما اخلفنا موعدك بان ملكنا امرنا اي لو ملكنا
امرنا وخلينا وراينا لما اخلفناه ولكن غلبنا من جهة السامري وكيده ولكنا حملنا اوزارا من
زينة القوم اي حملنا احمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم او ارادوا بالاوزار انها اثام
وتبعات لانهم كانوا معهم في حكم المستأمنين في دار الحرب وليس للمستأمن ان ياخذ
مال الحربي على ان الغنائم لم تكن تحل حينئذ فقذفناها في نار السامري التي
اوقدها في الحفرة وامرنا ان نطرح فيها الحلي وقرئ حملنا فكذلك القى السامري اراهم
انه يلقي حليا في يده مثل ما القوا وانما القى التربة التي اخذها من موطئ حيزوم فرس
جبريل اوحى اليه وليه الشيطان انها اذا خالطت مواتا صار حيوانا فاخرج لهم السامري

الى كلامك

من الحفرة عجلا جسدا خلقه الله من الحلي التي سبكتها النار لها خوار يخور كما تخور العجاجيل **فان
قلت** كيف اثرت تلك التربة في احياء الموات **قلت** اما يمتنع ان يؤثر
الله سبحانه روح القدس بهذه الكرامة الخاصة كما اثره بغيرها من الكرامات وهي ان يباشر
فرسه بحافره تربة اذا لاقت تلك التربة جمادا انشاه الله ان شاء عند مباشرته حيوانا الا
ترى كيف انشا المسيح من غير اب عند نفخه في الدرع **فان قلت** فلم خلق الله
العجل من الحلي حتى صار فتنة لبني اسرائيل وضلالا **قلت** ليس باول
محنة محن الله بها عباده ليثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة
ويضل الله الظالمين ومن عجب من خلق العجل فليكن من خلق ابليس اعجب والمراد بقوله
انا فتنا قومك هو خلق العجل للامتحان اي امتحناهم بخلق العجل وحملهم السامري على
الضلال واوقعهم فيه حين قال لهم هذا الهكم واله موسى فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسي
اي فنسي موسى ان يطلبه هاهنا وذهب يطلبه عند الطور او فنسي السامري اي
ترك ما كان عليه من الايمان الظاهر افلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا
يرجع من رفعه فعلى ان مخففة من الثقيلة ومن نصب فعلى انها الناصبة للافعال ولقد قال
لهم هارون من قبل من قبل ان يقول لهم السامري ما قال كانهم اول ما وقعت
عليه ابصارهم حين طلع من الحفرة افتتنوا به واستحسنوه للعبادة فقبل ان ينطق السامري
بادرهم هارون عليه السلام بقوله يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا امري
قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى قال يا هارون ما منعك اذ رايتهم ضلوا ان
لا تتبعني افعصيت امري لا مزيدة والمعنى ما منعك ان تتبعني في الغضب لله وشدة الزجر
على الكفر والمعاصي وهلا قاتلت من كفر بمن امن وما لك لم تباشر الامر كما كنت اباشره انا
لو كنت شاهدا او ما لك لم تلحقني قال يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي ولا براسي قرئ بلحيتي بفتح اللام
لغة اهل الحجاز كان موسى عليه السلام رجلا حديدا مجبولا على الحدة والخشونة والتصلب
في كل شيء شديد الغضب لله ولدينه فلم يتمالك حين راى قومه يعبدون عجلا من دون الله
بعد ما راوا من الايات العظام ان القى الواح التوراة لما غلب ذهنه من الدهشة العظيمة
غضبا لله واستنكافا وحمية وعنف باخيه وخليفته على قومه فاقبل عليه اقبال العدو المكاشف
قابضا على شعر راسه وكان افرع وعلى شعر وجهه يجره اليه اني خشيت ان تقول فرقت
بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي اي لو قاتلت بعضهم ببعض لتفرقوا وتفانوا فاستانيت بك
ان تكون انت المتدارك بنفسك المتلافي برايك وخشيت عتابك على اطراح ما وصيتني به
من ضم النشر وحفظ الدهماء ولم يكن لي بد من رقبة وصيتك والعمل على موجبها
قال فما خطبك يا سامري الخطب مصدر خطب الامر اذا طلبه فاذا قيل لمن يفعل شيئا
ما خطبك فمعناه ما طلبك له قال بصرت بما لم يبصروا به قرئ بصرت بما لم تبصروا به بالكسر
والمعنى علمت ما لم تعلموه وفطنت بما لم تفطنوا له فقبضت قبضة من اثر الرسول قرا الحسن
قبضة بضم القاف وهي اسم المقبوض كالغرفة والمضغة واما القبضة فالمرة من القبض واطلاقها
على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الامير وقرا ايضا فقبصت قبصة بالصاد المهملة
الضاد بجميع الكف والصاد باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم الخاء بجميع الفم والقاف
بمقدمه قرا ابن مسعود من اثر فرس الرسول **فان قلت** لم سماه الرسول دون
جبريل وروح القدس **قلت** حين حل ميعاد الذهاب الى الطور ارسل الله الى موسى
جبريل عليهما السلام راكب حيزوم فرس الحياة ليذهب به فابصره السامري فقال ان لهذا
شانا فقبض قبضة من تربة موطئه فلما ساله موسى عن قصته قال قبضت من اثر فرس المرسل
اليك يوم حلول الميعاد ولعله لم يعلم انه جبريل عوقب في الدنيا بعقوبة لا شيء اطم منها واوحش
وذلك انه منع من مخالطة الناس منعا كليا وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته
وكل ما يعايش به الناس بعضهم بعضا واذا اتفق ان يماس احدا رجلا او امراة حم الماس

احياء

قد

العدو

قبضه

فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي قال فاذهب فان لك في الحيوة ان تقول لا مساس

والممسوس فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لامساس وعاد في الناس اوحش من القاتل اللاجي الى
الحرم ومن الوحشي النافر في البرية ويقال ان قومه باق فيهم ذلك الى اليوم وقرئ لامساس بوزن
فجار ونحو قولهم في الظباء ان وردت الماء فلا عباب وان فقدته فلا اباب وهي اعلام للمسة
والعبة والابة وهي المرة من الاب وهو الطلب وان لك موعدا لن تخلفه اي لن يخلفك الله
موعده الذي وعدك على الشرك والفساد في الارض ينجزه لك في الاخرة بعد ما عاقبك بذلك
في الدنيا فانت ممن خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين وقرئ لن تخلفه وهذا من
اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا قال الاعشى * اثوى وقصر ليله ليزودا * فمضى واخلف من قتيلة موعدا *
وعن ابن مسعود نخلفه بالنون اي لن يخلفه الله كانه حكى قوله عز وجل كما مر في لاهب لك وانظر
الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا قرئ ظلت وظلت والاصل ظللت فحذفوا اللام الاولى ونقلوا
حركتها الى الظاء ومنهم من لم ينقل لنحرقنه ولنحرقنه وفي حرف ابن مسعود لنذبحنه ثم لنحرقنه القراتان
من الاحراق وذكر ابو علي الفارسي في لنحرقنه انه يجوز ان يكون من حرق مبالغة في حرق اذا
برد بالمبرد وعليه القراءة الثالثة وهي قراءة علي بن ابي طالب رضي الله عنه ثم لننسفنه
في اليم نسفا لننسفنه بكسر السين وضمها وهذه عقوبة ثالثة وهي ابطال ما افتتن وفتن
واهدار سعيه وهدم مكره ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين انما الهكم الله الذي لا اله
الا هو وسع كل شيء علما قرا طلحة الله الذي لا اله الا هو الرحمن رب العرش وسع كل شيء علما
وعن مجاهد وقتادة وسّع ووجهه ان وسع متعد الى مفعول واحد وهو كل شيء واما علما
فانتصابه على التمييز وهو في المعنى فاعل فلما ثقل نقل الى التعدية الى مفعولين فنصبهما معا
على المفعولية لان المميز فاعل في المعنى كما تقول في خاف زيد عمرا خوفت زيدا عمرا فترد
بالنقل ما كان فاعلا مفعولا كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق وقد اتيناك من لدنا ذكرا
من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيمة وزرا خالدين فيه وساء لهم يوم القيمة حملا
الكاف في كذلك منصوب المحل وهذا موعد من الله عز وجل
لرسوله اي مثل ذلك الاقتصاص ونحو ما اقتصصنا عليك قصة موسى وفرعون نقص عليك
من سائر اخبار الامم وقصصهم واحوالهم تكثيرا لبيناتك وزيادة في معجزاتك وليعتبر
السامع ويزداد المستبصر في دينه بصيرة وتتاكد الحجة على من عاند وكابر وان هذا الذكر
الذي اتيناك يعني القران مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار الحقيقة بالتفكر والاعتبار
لذكر عظيم وقران كريم فيه النجاة والسعادة لمن اقبل عليه ومن اعرض عنه فقد هلك وشقي
يريد بالوزر العقوبة الثقيلة الباهظة سماها وزرا تشبيها في ثقلها على المعاقب وصعوبة
احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره ويلقي عليه بهره او لانها جزاء الوزر وهو الاثم
وقرئ يحمل جمع خالدين على المعنى لان من مطلق متناول لغير معرض واحد وتوحيد الضمير في اعرض
وما بعده للحمل على اللفظ ونحوه قوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين
فيها ابدا في ذلك الوزر او في احتماله ساء في حكم بئس والضمير الذي يجب ان يكون مبهما يفسره
حملا والمخصوص بالذم محذوف لدلالة الوزر السابق عليه تقديره ساء حملا وزرهم كما حذف
في قوله نعم العبد انه اواب اي ايوب الذي هو المخصوص بالمدح ومنه قوله تعالى وساءت
مصيرا اي ساءت مصيرا جهنم فان قلت اللام في لهم ما هي وبم يتعلق
قلت هي للبيان كما في هيت لك فان قلت ما انكرت ان يكون
في ساء ضمير الوزر قلت لا يصح ان يكون في ساء وحكمه حكم بئس ضمير شيء بعينه غير
مبهم فان قلت فلا يكن ساء الذي حكمه حكم بئس ولكن ساء الذي منه قوله
تعالى سيئت وجوه الذين كفروا بمعنى اهم واحزن قلت كفاك صادا عنه
ان يؤول كلام الله الى قولك واحزن الوزر لهم يوم القيمة حملا وذلك بعد ان تخرج عن عهدة
هذه اللام وعهدة هذا المنصوب ويوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا
اسند النفخ الى الامر به فيمن قرا ننفخ بالنون ولان الملائكة المقربين واسرافيل منهم بالمنزلة التي

هم بها من رب العزة صح ان يسند ما يتولونه الى ذاته وقرئ ينفخ بلفظ
ما لم يسم فاعله وينفخ ويحشر بالياء المفتوحة على الغيبة والضمير لله تعالى او لاسرافيل عليه
السلام واما يحشر المجرمون فلم يقرا به الا الحسن وقرئ في الصور بفتح الواو جمع صورة
وفي الصور قولان احدهما انه بمعنى الصور وهذه القراءة تدل عليه والثاني انه القرن وقيل
في الزرق قولان احدهما ان الزرقة ابغض شيء من الوان العيون الى العرب لان الروم اعداؤهم
وهم زرق العيون ولذلك قالوا في صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين
والثاني ان المراد العمى لان حدقة من يذهب نور بصره تزرق يتخافتون بينهم ان لبثتم الا
عشرا نحن اعلم بما يقولون اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما يتخافتون لما يملا صدورهم
من الرعب والهول يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا اما لما يعاينون من الشدائد التي تذكرهم
ايام النعمة والسرور فيتاسفون عليها ويصفونها بالقصر لان ايام السرور قصار واما لانها
ذهبت عنهم وتقضت والذاهب وان طالت مدته قصير بالانتهاء ومنه توقيع عبد الله بن
المعتز تحت اطال الله بقاءك كفى بالانتهاء قصرا واما لاستطالتهم الاخرة وانها ابد سرمد
يستقصر اليها عمر الدنيا ويتقالّ لبث اهلها فيها بالقياس الى لبثهم في الاخرة وقد استرجح الله
قول من يكون اشد تقالا منهم في قوله اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما ونحوه قوله تعالى
قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فاسال العادين وقيل
المراد لبثهم في القبور ويعضده قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير
ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب
الله الى يوم البعث ويسالونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا ينسفها
يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها كما يذرى الطعام فيذرها قاعا صفصفا لا ترى
فيها عوجا ولا امتا اي فيذر مقارها ومراكزها او يجعل الضمير للارض وان لم يجر لها ذكر
كقوله ما ترك على ظهرها من دابة فان قلت قد فرقوا بين العوج والعوج
فقالوا العوج بالكسر في المعاني والعوج بالفتح في الاعيان والارض عين فكيف صح فيها المكسور
العين قلت اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديع في وصف الارض بالاستواء
والملاسة ونفي الاعوجاج عنها على ابلغ ما يكون وذلك انك لو عمدت الى قطعة ارض فسويتها
وبالغت في التسوية على عينك وعيون البصراء من الفلاحة واتفقتم على انه لم يبق فيها اعوجاج
قط ثم استطلعت راي المهندس فيها وامرته ان يعرض استواءها على المقاييس الهندسية
لعثر فيها على عوج في غير موضع لا يدرك ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس الهندسي
فنفى الله عز وجل ذلك العوج الذي دق ولطف عن الادراك اللهم الا بالقياس الذي يعرفه
صاحب التقدير والهندسة وذلك الاعوجاج لما لم يدرك الا بالقياس دون الاحساس لحق
بالمعاني فقيل فيه عوج بالكسر الامت النتو اليسير يقال مد حبله حتى ما فيه امت
اضاف اليوم الى وقت نسف الجبال في قوله يومئذ يتبعون الداعي اي يوم اذ نسفت
ويجوز ان يكون بدلا بعد بدل من يوم القيمة والمراد الداعي الى المحشر قالوا هو اسرافيل
قائما على صخرة بيت المقدس يدعو الناس فيقبلون من كل اوب الى صوبه لا يعدلون لا عوج
له اي لا يعوج له مدعو بل يستوون اليه من غير انحراف متبعين لصوته وخشعت الاصوات
للرحمن اي خفضت الاصوات من شدة الفزع وخفتت فلا تسمع الا همسا وهو الركز
الخفي ومنه الحروف المهموسة وقيل هو من همس الابل وهو صوت اخفافها اذا مشت
اي لا تسمع الا خفق الاقدام ونقلها الى المحشر يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن
له الرحمن ورضي له قولا من يصلح ان يكون مرفوعا ومنصوبا فالرفع على البدل من الشفاعة
بتقدير حذف المضاف اي لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرحمن والنصب على
المفعولية ومعنى اذن له ورضي له لاجله اي اذن للشافع ورضي قوله لاجله ونحو
هذه اللام اللام في قوله وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه يعلم

ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما اي يعلم ما تقدمهم من الاحوال وما يستقبلونه
ولا يحيطون بمعلوماته علما وعنت الوجوه للحي القيوم المراد بالوجوه وجوه العصاة وانهم اذا
عاينوا يوم القيمة الخيبة والشقوة وسوء الحساب صارت وجوههم عانية اي ذليلة
خاشعة مثل وجوه العناة وهم الاسارى ونحوه قوله فلما راوه زلفة سيئت وجوه
الذين كفروا ووجوه يومئذ باسرة وقوله وقد خاب من حمل ظلما وما بعده اعتراض كقوله
خابوا وخسروا وكل من ظلم فهو خائب خاسر ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف
ظلما ولا هضما الظلم ان ياخذ من صاحبه فوق حقه والهضم ان يكسر من حق حقه فلا
يوفيه له كصفة المطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ويسترجحون واذا كالوهم او وزنوهم
يخسرون اي فلا يخاف جزاء ظلم ولا هضم لانه لم يظلم ولم يهضم وقرئ فلا يخف
على النهي وكذلك انزلناه قرانا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون او يحدث لهم
ذكرا وكذلك عطف على كذلك نقص اي ومثل ذلك الانزال وكما انزلنا عليك هؤلاء الايات
المتضمنة للوعيد انزلنا القران كله على هذه الوتيرة مكررين فيه ايات الوعيد ليكونوا
بحيث يراد منهم ترك المعاصي او فعل الخير والطاعة والذكر كما ذكرنا يطلق على الطاعة
والعبادة وقرئ نحدث وتحدث بالنون والتاء اي تحدث انت وسكن بعضهم الثاء
للتخفيف كما في فاليوم اشرب غير مستحقب فتعالى الله الملك الحق استعظام له ولما
يصرف عليه عباده من اوامره ونواهيه ووعده ووعيده والادارة بين ثوابه وعقابه
على حسب اعمالهم وغير ذلك مما يجري عليه امر ملكوته ولما ذكر القران وانزاله قال
على سبيل الاستطراد ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدني
علما واذا لقنك جبريل ما يوحي اليك من القران فتان عليك ريثما يسمعك ويفهمك ثم
اقبل عليه بالتحفظ بعد ذلك ولا تكن قراءتك مساوقة لقراءته ونحوه قوله تعالى
لا تحرك به لسانك لتعجل به وقيل معناه لا تبلغ ما كان مجملا حتى ياتيك البيان
وقرئ حتى نقضي اليك وحيه وقوله رب زدني علما متضمن للتواضع لله والشكر له عندما
علم من ترتيب التعلم اي علمتني يا رب لطيفة في باب التعلم وادبا جميلا ما كان
عندي فزدني علما الى علم فان لك في كل شيء حكمة وعلما وقيل ما امر الله رسوله
بطلب الزيادة في شيء الا في العلم ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما
يقال في اوامر الملوك ووصاياهم تقدم الملك الى فلان واوعز اليه وعزم عليه وعهد
اليه عطف الله سبحانه قصة ادم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون والمعنى
واقسم قسما لقد امرنا اباهم ادم ووصيناه ان لا يقرب الشجرة وتوعدناه بالدخول في جملة
الظالمين ان قربها وذلك من قبل وجودهم ومن قبل ان نتوعدهم فخالف الى ما نهي عنه وتوعد
في ارتكابه مخالفتهم ولم يلتفت الى الوعيد كما لا يلتفتون كانه يقول ان اساس امر بني ادم
على ذلك وعرقهم راسخ فيه فان قلت ما المراد بالنسيان قلت
يجوز ان يراد النسيان الذي هو نقيض الذكر وانه لم يعن بالوصية العناية الصادقة
ولم يستوثق منها بعقد القلب عليها وضبط النفس حتى تولد من ذلك النسيان
وان يراد الترك وانه ترك ما وصي به من الاحتراس عن الشجرة واكل ثمرتها وقرئ فنسي
اي نساه الشيطان والعزم التصميم والمضي على ترك الاكل وان يتصلب في ذلك
تصلبا يوئس الشيطان من التسويل له والوجود يجوز ان يكون بمعنى العلم ومفعولاه
له عزما وان يكون نقيض العدم كانه قال وعدمنا له عزما واذ قلنا للملائكة
اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس اذ منصوب بمضمر اي واذكر وقت ما جرى عليه
من معاداة ابليس ووسوسته اليه وتزيينه له الاكل من الشجرة وطاعته له بعد ما تقدمت
معه النصيحة والموعظة البليغة والتحذير من كيده حتى تبين لك انه لم يكن من اولي
العزم والثبات فان قلت ابليس كان جنيا بدليل قوله كان من الجن

اتما من الله والاواغل صح

ففسق

ففسق عن امر ربه فمن اين تناوله الامر وهو للملائكة خاصة قلت كان في صحبتهم
وكان يعبد الله تعالى عبادتهم فلما امروا بالسجود لادم والتواضع له كرامة له كان الجني الذي
معهم اجدر بان يتواضع كما لو قام لمقبل على المجلس علية اهله وسراتهم كان القيام على واحد
بينهم هو دونهم في المنزلة اوجب حتى ان لم يقم عنف وقيل له قد قام فلان وفلان فمن
انت حتى تترفع عن القيام فان قلت فكيف صح استثناؤه وهو جني عن الملائكة
قلت عمل على حكم التغليب في اطلاق اسم الملائكة عليهم وعليه فاخرج الاستثناء
على ذلك كقولك خرجوا الا فلانة لامراة بين الرجال ابى جملة مستانفة كانه جواب قائل قال
لم لم يسجد والوجه ان لا يقدر له مفعول وهو السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا وان
يكون معناه اظهر الاباء وتوقف وتثبط فقلنا يا ادم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا
يخرجنكما من الجنة فتشقى فلا يكونن سببا لاخراجكما وانما اسند الى ادم وحده
فعل الشقاء دونها بعد اشراكهما في الخروج لان في ضمن شقاء الرجل وهو قيم اهله واميرهم
شقاءهم كما ان في ضمن سعادته سعادتهم فاختصر الكلام باسناده اليه دونها مع المحافظة على
الفاصلة او اريد بالشقاء التعب في طلب القوت وذلك معصوب براس الرجل وهو راجع
اليه وروي انه اهبط الى ادم ثور احمر وكان يحرث عليه ويمسح العرق عن جبينه ان لك
ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمؤ فيها ولا تضحى قرئ وانك بالكسر والفتح ووجه
الفتح العطف على ان لا تجوع فان قلت ان لا تدخل على ان فلا
يقال ان ان زيدا منطلق والواو نائبة عن ان وقائمة مقامها فلم دخلت عليها قلت
الواو لم توضع لتكون ابدا نائبة عن ان انما هي نائبة عن كل عامل فلما لم تكن حرفا موضوعا
للتحقيق خاصة كان لم يمتنع اجتماعهما كما امتنع اجتماع ان وان الشبع والري والكسوة
والكن هي الاقطاب التي يدور عليها كفاف الانسان فذكره استجماعها له في الجنة وانه مكفي
لا يحتاج الى كفاية كاف ولا الى كسب كاسب كما يحتاج الى ذلك اهل الدنيا وذكرها بلفظ
النفي لنقائضها التي هي الجوع والعري والظمأ والضحو ليطرق سمعه باسامي اصناف
الشقوة التي حذره منها حتى يتحامى السبب الموقع فيها كراهة لها فوسوس اليه الشيطان
فان قلت كيف عدي وسوس تارة باللام في قوله فوسوس لهما الشيطان
واخرى بالى قلت وسوسة الشيطان كولولة الثكلى ووعوعة الذئب ووقوقة
الدجاجة في انها حكايات للاصوات وحكمها حكم صوت واجرس ومنه وسوس المبرسم
وهو موسوس بالكسر والفتح لحن وانشد ابن الاعرابي وسوس يدعو مخلصا رب الفلق
فاذا قلت وسوس له فمعناه لاجله كقوله اجرس لها يا ابن ابي كباش ومعنى وسوس
اليه انهى اليه الوسوسة كقولك حدث اليه واسر اليه قال يا ادم هل ادلك على شجرة
الخلد اضاف الشجرة الى الخلد وهو الخلود لان من اكل منها خلد بزعمه كما قيل لحيزوم
فرس الموت لان من باشره من حي وملك لا يبلى دليل على قراءة الحسن بن علي وابن عباس رضي
الله عنهم الا ان تكونا ملكين بالكسر فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما
من ورق الجنة وطفق يفعل مثل جعل يفعل واخذ وانشا وحكمها حكم كاد في وقوع
الخبر فعلا مضارعا وبينها وبينه مسافة قصيرة وهي للشروع في اول الامر وكاد لمشارفته
والدنو منه وقرئ يخصفان للتكثير والتكرير من خصف النعل وهو ان يخرز
عليها الخصاف اي يلزقان الورق بسواتهما للتستر وهو ورق التين وقيل كان مدورا
فصار على هذا الشكل من تحت اصابعهما وقيل كان لباسهما الظفر فلما اصابا الخطيئة
نزع عنهما وتركت هذه البقايا في اطراف الاصابع وعصى ادم ربه فغوى عن ابن عباس
لا شبهة في ان ادم عليه السلام لم يمتثل ما رسم الله له وتخطى فيه ساحة الطاعة
وذلك هو العصيان ولما عصى خرج فعله من ان يكون رشدا وخيرا فكان غيا لا محالة لان
الغي خلاف الرشد ولكن قوله وعصى ادم ربه فغوى بهذا الاطلاق وبهذا التصريح وحيث

لم يفعل وزل او اخطا وما اشبه ذلك مما يعبر به عن الزلات والفرطات فيه لطف بالمكلفين
ومزجرة بليغة وموعظة كافية فكانه قيل لهم انظروا واعتبروا كيف نعيت على النبي المعصوم
حبيب الله الذي لا يجوز عليه الا اقتراف الصغيرة غير المنفرة زلته بهذه الغلظة وبهذا اللفظ
الشنيع فلا تتهاونوا بما يفرط منكم من السيئات والصغائر فضلا ان تجسروا على التورط في
الكبائر وعن بعضهم فغوى فبشم من كثرة الاكل وهذا وان صح على لغة من يقلب اليا
المكسور ما قبلها الفا فيقول في فني وبقي فنى وبقى وهم بنو طي تفسير خبيث فان
قلت ما معنى ثم اجتباه ربه قلت ثم قبله بعد التوبة وقربه
اليه من جبى الي كذا فاجتبيته ونظيره جليت على العروس فاجتليتها واصل الكلمة الجمع ويقولون
اجتبت الفرس نفسها اذا اجتمعت نفسها راجعة بعد النفار فتاب عليه وهدى اي وفقه
لحفظ التوبة وغيره من اسباب العصمة والتقوى قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو
فاما ياتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى لما كان ادم وحواء عليهما السلام
اصلي البشر والسببين اللذين منهما نشأوا وتفرعوا جعلا كانهما البشر في انفسهما فخوطبا
مخاطبتهم فقيل فاما ياتينكم على لفظ الجماعة ونظيره اسنادهم الفعل الى السبب وهو في الحقيقة
للمسبب هدى كتاب وشريعة وعن ابن عباس رضي الله عنه لمن اتبع القران ان لا يضل في الدنيا
ولا يشقى في الاخرة ثم تلا قوله فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى والمعنى ان الشقاء في الاخرة
هو عقاب من ضل في الدنيا عن طريق الدين فمن اتبع كتاب الله وامتثل اوامره وانتهى عن
نواهيه نجا من الضلال ومن عقابه ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا الضنك مصدر
يستوي في الوصف به المذكر والمونث وقرئ ضنكى على فعلى ومعنى ذلك ان مع الدين التسليم
والقناعة والتوكل على الله وعلى قسمته فصاحبه ينفق ما رزقه بسماح وسهولة فيعيش
عيشا رافغا كما قال عز وجل فلنحيينه حياة طيبة والمعرض عن الدين مستول عليه الحرص
الذي لا يزال يطمح به الى الازدياد من الدنيا مسلط عليه الشح الذي يقبض يده عن الانفاق فعيشه
ضنك وحاله مظلمة كما قال بعض المتصوفة لا يعرض احد عن ذكر ربه الا اظلم عليه وقته
وتشوش عليه رزقه ومن الكفرة من ضرب الله عليه الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله
لذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله وقال ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما انزل
اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقال ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا
لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وقال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم
مدرارا وقال وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا وعن الحسن هو الضريع
والزقوم في النار وعن ابي سعيد الخدري عذاب القبر ونحشره يوم القيمة اعمى وقرئ
ونحشره بالجزم عطفا على محل فان له معيشة ضنكا لانه جواب الشرط وقرئ ونحشره
بسكون الهاء على لفظ الوقف وهذا مثل قوله ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا
وبكما وصما وكما فسر الزرق بالعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك
اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى اي مثل ذلك فعلت انت ثم فسر بان اياتنا اتتك
واضحة مستنيرة فلم تنظر اليها بعين المعتبر ولم تتبصر وتركتها وعميت عنها فكذلك
اليوم نتركك على عماك ولا نزيل غطاءه عن عينيك وكذلك نجزي من اسرف ولم يؤمن
بايات ربه ولعذاب الاخرة اشد وابقى لما توعد المعرض عن ذكره بعقوبتين المعيشة
الضنك في الدنيا وحشره اعمى في الاخرة ختم ايات الوعيد بقوله ولعذاب الاخرة
اشد وابقى كانه قال وللحشر على العمى الذي لا يزول ابدا اشد من ضيق العيش
المنقضي او اراد ولتركنا اياه في العمى اشد وابقى من تركه لاياتنا افلم يهد لهم كم
اهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لايات لاولي النهى فاعل لم يهد
الجملة بعده يريد الم يهد لهم هذا بمعناه ومضمونه ونظيره قوله وتركنا عليه في الاخرين
سلام على نوح في العالمين اي تركنا عليه هذا الكلام ويجوز ان يكون فيه ضمير يمشون

ومنه قوله تعالى لولا اجتبيتها قالوا لولا اجتبيتها

لكنه قال الله تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة

الله او الرسول ويدل عليه القراءة بالنون وقرى

في مساكنهم ويعاينون اثار هلاكهم ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما الكلمة السابقة
هي العدة بتاخير جزائهم الى الاخرة يقول لولا هذه العدة لكان مثل اهلاكنا عادا وثمود لازما
لهولاء الكفرة واللزام اما مصدر لازم وصف به واما فعال بمعنى مفعل اي ملزم كانه
اله اللزوم لفرط لزومه كما قالوا لزاز خصم واجل مسمى لا يخلو من ان يكون معطوفا على
كلمة او على الضمير في كان اي لكان الاخذ العاجل فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع
الشمس وقبل غروبها ومن اناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى واجل مسمى لازمين له
كما كانا لازمين لعاد وثمود ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ العاجل بحمد ربك في موضع
الحال اي وانت حامد لربك على ان وفقك للتسبيح واعانك عليه والمراد بالتسبيح الصلاة او على
ظاهره قدم الفعل على الاوقات اولا والاوقات على الفعل اخرا فكانه قال صل لله قبل طلوع
الشمس يعني الفجر وقبل غروبها يعني الظهر والعصر لانهما واقعتان في النصف الاخير من النهار
بين زوال الشمس وغروبها وتعمد اناء الليل واطراف النهار مختصا لها بصلاتك وذلك
ان افضل الذكر ما كان بالليل لاجتماع القلب وهدوء الرجل والخلو بالرب وقال الله تعالى
ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا وقال امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما
ولان الليل وقت السكون والراحة فاذا صرف الى العبادة كانت على النفس اشد واشق وللبدن
انصب واتعب فكانت ادخل في معنى التكليف وافضل عند الله وقد تناول التسبيح في اناء
الليل صلاة العتمة وفي اطراف النهار صلاة المغرب وصلاة الفجر على التكرار ارادة
الاختصاص كما اختصت في قوله حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى عند بعض المفسرين
فان قلت ما وجه قوله واطراف النهار على الجمع وانما هما طرفان كما قال
طرفي النهار قلت الوجه امن الالباس وفي التثنية زيادة بيان ونظير
مجيء الامرين في الاية مجيئهما في قوله ظهراهما مثل ظهور الترسين وقرئ واطراف النهار
عطفا على اناء الليل ولعل للمخاطب اي اذكر الله في هذه الاوقات طمعا ورجاء ان تنال
عند الله ما به ترضى نفسك ويسر قلبك وقرئ ترضى اي يرضيك ربك ولا تمدن عينيك
اي نظر عينيك ومد النظر تطويله وان لا يكاد يرده استحسانا للمنظور اليه واعجابا به
وتمنيا ان يكون له كما فعل نظارة قارون حين قالوا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه
لذو حظ عظيم حتى واجههم اولوا العلم والايمان بويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا
وفيه ان النظر غير الممدود معفو عنه وذلك مثل نظر من باده الشيء بالنظر ثم غض الطرف
ولما كان النظر الى الزخارف كالمركوز في الطباع وان من ابصر منها شيئا احب ان يمد اليه نظره ويملا
منه عينيه قيل ولا تمدن عينيك اي لا تفعل ما انت معتاد له وضار به ولقد شدد
العلماء من اهل التقوى في وجوب غض البصر عن ابنية الظلمة وعدد الفسقة في اللباس
والمراكب وغير ذلك لانهم انما اتخذوا هذه الاشياء لعيون النظارة فالناظر اليها
محصل لغرضهم وكالمغري لهم على اتخاذها الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من
الكفرة ويجوز ان ينتصب حالا من هذا الضمير والفعل واقع على منهم كانه قال الى الذي متعنا
به وهو اصناف بعضهم وناسا منهم زهرة الحيوة الدنيا فان قلت
علام انتصب زهرة قلت على احد اربعة اوجه على الذم وهو النصب على الاختصاص
وعلى تضمين متعنا معنى اعطينا وخولنا وكونه مفعولا ثانيا له وعلى ابداله من محل الجار والمجرور
وعلى ابداله من ازواجا على تقدير ذوي زهرة فان قلت ما معنى الزهرة فيمن
حرك قلت معنى الزهرة بعينه وهو الزينة والبهجة كما جاء في الجهرة جهرة وقرئ ارنا الله
جهرة وان تكون جمع زاهر وصفا لهم بانهم زاهروا هذه الدنيا لصفاء الوانهم مما يلهون
ويتنعمون وتهلل وجوههم وبهاء زيهم وشارتهم بخلاف ما عليه المؤمنون والصلحاء
من شحوب الالوان والتقشف في الثياب لنفتنهم فيه لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب
لوجود الكفران منهم او لنعذبهم في الاخرة بسببه ورزق ربك خير وابقى هو ما ادخر له

واجل مسمى

لازمين

لازمين لهم كما كانا لعاد وثمود ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ العاجل

في موضع

الجهرة

من ثواب الآخرة الذي هو خير منه في نفسه وأدوم، أو ما رزقه من نعمة الإسلام والنبوة، أو لأن
أموالهم الغالب عليها الغصب والسرقة والحرمة من بعض الوجوه، والحلال خير وأبقى لأن الله لا ينسب
إلى نفسه إلا ما حل وطاب دون ما حرم وخبث، والحرام لا يسمى رزقا. وعن عبد الله بن
قسيط عن رافع قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يهودي وقال: قل له
يقول لك رسول الله أقرضني إلى رجب، فقال: والله لا أقرضته إلا برهن، فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم: إني لأمين في السماء، وإني لأمين في الأرض، احمل إليه درعي
الحديد، فنزلت: ولا تمدن عينيك. وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا
نحن نرزقك والعاقبة للتقوى. أي وأقبل أنت مع أهلك على عبادة الله والصلاة واستعينوا
بها على خصاصتكم، ولا تهتم بأمر الرزق والمعيشة، فإن رزقك مكفي من عندنا ونحن رازقوك
ولا نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك، ففرغ بالك لأمر الآخرة. وفي معناه قول الناس: من
كان في عمل الله كان الله في عمله. وعن عروة بن الزبير أنه كان إذا رأى ما عند السلاطين
قرأ: ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم الآية، ثم ينادي: الصلاة الصلاة
رحمكم الله. وعن بكر بن عبد الله المزني: كان إذا أصابت أهله خصاصة قال: قوموا فصلوا،
بهذا أمر الله رسوله، ثم يتلو هذه الآية. وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم
بينة ما في الصحف الأولى. اقترحوا على عادتهم في التعنت آية على النبوة، فقيل لهم:
أولم تأتكم آية هي أم الآيات وأعظمها في باب الإعجاز، يعني القرآن، من قبل أن القرآن
برهان ما في سائر الكتب المنزلة ودليل صحته لأنه معجزة، وتلك ليست بمعجزات،
فهي مفتقرة إلى شهادته على صحة ما فيها افتقار المحتج عليه إلى شهادة الحجة. وقرئ
الصحف بالتخفيف. ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله. ذكر الضمير الراجع إلى البينة
لأنها في معنى البرهان والدليل. لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك
من قبل أن نذل ونخزى. وقرئ نذل ونخزى على لفظ ما لم يسم فاعله. قل كل أي
كل واحد منا ومنكم متربص للعاقبة ولما يؤول إليه أمرنا وأمركم. فتربصوا فستعلمون
من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى. وقرئ السواء بمعنى الوسط والجيد، والمستوي،
والسوء، والسوأى، والسوي تصغير السوء. وقرئ فتمتعوا فسوف تعلمون. قال أبو رافع:
حفظته من رسول الله صلى الله عليه وسلم. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:
من قرأ سورة طه أعطي يوم القيامة ثواب المهاجرين والأنصار. وقال: لا يقرأ أهل الجنة من القرآن إلا طه ويس

سورة الأنبياء وهي مائة واثنتا عشرة آية وقف

بسم الله الرحمن الرحيم. اقترب للناس حسابهم
هذه اللام لا تخلو من أن تكون صلة لاقترب، أو تأكيدا لإضافة الحساب إليهم، كقولك:
أزف للحي رحيلهم، الأصل: أزف رحيل الحي، ثم أزف للحي الرحيل، ثم أزف للحي رحيلهم،
ونحوه ما أورده سيبويه في باب ما يثنى فيه المستقر توكيدا: عليك زيد حريص عليك،
وفيك زيد راغب فيك، ومنه قولهم: لا أبا لك، لأن اللام مؤكدة لمعنى الإضافة،
وهذا الوجه أغرب من الأول، والمراد اقتراب الساعة، وإذا اقتربت الساعة فقد اقترب
ما يكون فيها من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك، ونحوه: واقترب الوعد الحق.
فإن قلت: كيف وصف بالاقتراب وقد عدت دون هذا القول أكثر من
خمسمائة عام؟ قلت: هو مقترب عند الله، والدليل عليه قوله عز وعلا: ويستعجلونك
بالعذاب وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون، ولأن كل آت وإن طالت أوقات
استقباله وترقبه قريب، إنما البعيد هو الذي وجد وانقرض، ولأن ما بقي في الدنيا
أقصر وأقل مما سلف منها، بدليل انبعاث خاتم النبيين الموعود مبعثه في آخر الزمان،
وقال عليه السلام: بعثت في نسم الساعة. وفي خطبة بعض المتقدمين: ولت الدنيا
حذاء، ولم يبق إلا صبابة كصبابة الإناء. وإذا كانت بقية الشيء وإن كثرت في نفسها

عام
ولن يخلف الله وعده

قليلة



٢ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون

قليلة بالإضافة إلى معظمه كانت خليقة بأن توصف بالقلة وقصر الذرع. وعن ابن عباس أن
المراد بالناس المشركون، وهذا من إطلاق اسم الجنس على بعضه للدليل القائم، وهو ما يتلوه من
صفات المشركين. وهم في غفلة معرضون. وصفهم بالغفلة مع الإعراض على معنى أنهم غافلون عن
حسابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم، ولا يتفطنون لما ترجع إليه خاتمة أمرهم، مع اقتضاء
عقولهم أنه لا بد من جزاء المحسن والمسيء، وإذا قرعت لهم العصا ونبهوا عن سنة الغفلة
وفطنوا لذلك بما يتلى عليهم من الآيات والنذر أعرضوا وسدوا أسماعهم ونفروا، وقرر
إعراضهم عن تنبيه المنبه وإيقاظ الموقظ بأن الله يجدد لهم الذكر وقتا فوقتا، ويحدث
لهم الآية بعد الآية والسورة بعد السورة ليكرر على أسماعهم التنبيه والموعظة لعلهم
يتعظون، فما يزيدهم استماع الآي والسور وما فيها من فنون المواعظ والبصائر التي هي
أحق الحق وأجد الجد إلا لعبا وتلهيا واستسخارا. والذكر هو الطائفة النازلة من القرآن.
وقرأ ابن أبي عبلة: محدث بالرفع صفة على المحل. قوله: وهم يلعبون لاهية قلوبهم حالان
مترادفان أو متداخلتان. ومن قرأ لاهية بالرفع فالحال واحدة، لأن لاهية قلوبهم خبر بعد خبر
لقوله وهم. واللاهية من لها عنه إذا ذهل وغفل، يعني أنهم وإن فطنوا فهم في قلة جدوى
فطنتهم كأنهم لم يفطنوا أصلا، وثبتوا على رأس غفلتهم وذهولهم عن التأمل والتبصر بقلوبهم.
وأسروا النجوى. فإن قلت: النجوى وهي اسم من التناجي لا تكون إلا خفية، فما
معنى قوله وأسروا؟ قلت: معناه وبالغوا في إخفائها، أو جعلوها بحيث لا يفطن
أحد لتناجيهم، ولا يعلم أنهم متناجون. الذين ظلموا أبدل الذين ظلموا من واو وأسروا إشعارا
بأنهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما أسروا به، أو جاء على لغة من قال: أكلوني البراغيث،
أو هو منصوب المحل على الذم، أو هو مبتدأ خبره أسروا النجوى قدم عليه، والمعنى: وهؤلاء
أسروا النجوى، فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا على فعلهم بأنه ظلم. هل هذا إلا بشر
مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون. هذا الكلام كله في محل النصب بدلا من النجوى،
أي وأسروا هذا الحديث. ويجوز أن يتعلق بقالوا مضمرا. اعتقدوا أن رسول الله
لا يكون إلا ملكا، وأن كل من ادعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة فهو ساحر ومعجزته
سحر، فلذلك قالوا على سبيل الإنكار: أفتحضرون السحر وأنتم تشاهدون وتعاينون
أنه سحر. فإن قلت: لم أسروا هذا الحديث وبالغوا في إخفائه؟ قلت:
كان ذلك شبه التشاور فيما بينهم والتحاور في طلب الطريق إلى هدم أمره، وعمل المنصوبة
في التثبيط عنه، وعادة المتشاورين في خطب أن لا يشركوا أعداءهم في شوارهم، ويتجاهدوا
في طي سرهم عنهم ما أمكن واستطيع. ومنه قول الناس: استعينوا على حوائجكم بالكتمان.
ويرفع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويجوز أن يسروا نجواهم بذلك ثم يقولوا
لرسول الله والمؤمنين: إن كان ما تدعونه حقا فأخبرونا بما أسررنا. قال ربي يعلم القول في السماء والأرض
وهو السميع العليم. فإن قلت: هلا قيل يعلم السر لقوله وأسروا النجوى؟
قلت: القول عام يشمل السر والجهر، فكان في العلم به العلم بالسر وزيادة،
فكان آكد في بيان الاطلاع على نجواهم من أن يقول يعلم السر، كما أن قوله يعلم السر
آكد من أن يقول يعلم سرهم، ثم بين ذلك بأنه السميع العليم لذاته، فكيف تخفى عليه
خافية. فإن قلت: فلم ترك هذا الآكد في سورة الفرقان في قوله قل أنزله
الذي يعلم السر في السموات والأرض؟ قلت: ليس بواجب أن يجيء بالآكد
في كل موضع، ولكن يجيء بالوكيد تارة وبالآكد أخرى، كما يجيء بالحسن في موضع وبالأحسن
في غيره، ليفتن الكلام افتنانا، ويجمع الغاية وما دونها، على أن أسلوب تلك الآية خلاف
أسلوب هذه، من قبل أنه قدم ههنا أنهم أسروا النجوى، فكأنه أراد أن يقول إن ربي يعلم
ما أسروه، فوضع القول موضع ذلك للمبالغة، وثم قصد وصف ذاته بأن أنزله الذي
يعلم السر في السموات والأرض، فهو كقوله علام الغيوب عالم الغيب لا يعزب عنه

سيقال ذرن وقرئ قال ربي حكاية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم بل قالوا اضغاث احلام
بل افتراه بل هو شاعر اضربوا عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط احلام ثم الى انه كلام مفترى من
عنده ثم الى انه قول شاعر وهكذا الباطل لجلج والمبطل متحير رجاع غير ثابت على قول واحد
ويجوز ان يكون تنزيلا من الله تعالى لاقوالهم في درج الفساد وان قولهم الثاني افسد من
الاول والثالث افسد من الثاني وكذلك الرابع افسد من الثالث فليأتنا باية كما ارسل الاولون
صحة التشبيه في قوله كما ارسل الاولون من حيث انه في معنى كما اتى الاولون بالايات لان
ارسال الرسل متضمن للاتيان بالايات الا ترى انه لا فرق بين ان تقول ارسل محمد وبين قولك
اتى محمد بالمعجزة ما امنت قبلهم من قرية اهلكناها افهم يؤمنون فيه انهم اعتى من الذين اقترحوا
على انبيائهم الايات وعهدوا انهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا فاهلكهم الله فلو
اعطيناهم ما يقترحون لكانوا انكث وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسألوا
اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون امرهم ان يستعلموا اهل الذكر وهم اهل الكتاب حتى يعلموهم
ان رسل الله الموحى اليهم كانوا بشرا ولم يكونوا ملائكة كما اعتقدوا وانما احالهم على اولئك
لانهم كانوا يشايعون المشركين في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى
ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا فلا يكاذبونهم
فيما هم فيه رد لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام
صفة لجسدا والمعنى وما جعلنا الانبياء قبله ذوي جسد غير طاعمين ووحد الجسد لارادة
الجنس كانه قال ذوي ضرب من الاجساد وهذا رد لقولهم مال هذا الرسول ياكل
الطعام فان قلت نعم قد رد انكارهم ان يكون الرسول بشرا ياكل ويشرب
بما ذكرت فماذا رد من قولهم بقوله وما كانوا خالدين قلت يحتمل ان يقولوا
انه بشر مثلنا يعيش كما نعيش ويموت كما نموت او يقولون هلا كان ملكا لا يطعم ويخلد
لما يعتقدون ان الملائكة لا يموتون او يسمون حياتهم المتطاولة وبقاءهم الممتد خلودا
ثم صدقناهم الوعد مثل واختار موسى قومه والاصل في الوعد ومن قومه ومنه
صدقوهم القتال وصدقني سن بكره فانجيناهم ومن نشاء هم المؤمنون ومن في
بقائه مصلحة واهلكنا المسرفين لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم افلا تعقلون ذكركم
شرفكم وصيتكم كما قال وانه لذكر لك ولقومك او موعظتكم او فيه مكارم الاخلاق التي
كنتم تطلبون بها الثناء وحسن الذكر كحسن الجوار والوفاء بالعهد وصدق الحديث واداء
الامانة والسخاء وما اشبه ذلك وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وانشأنا بعدها قوما
اخرين وكم قصمنا من قرية واردة عن غضب شديد ومنادية على سخط عظيم لان القصم افظع
الكسر وهو الكسر الذي يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم واراد بالقرية اهلها ولذلك
وصفها بالظلم وقال قوما اخرين لان المعنى اهلكنا قوما وانشأنا قوما اخرين وعن ابن عباس
انها حضور وهي وسحول قريتان باليمن ينسب اليهما الثياب وفي الحديث كفن رسول الله
صلى الله عليه وسلم في ثوبين سحوليين وروي حضوريين بعث الله اليهم نبيا فقتلوه
فسلط الله عليهم بخت نصر كما سلطه على اهل بيت المقدس فاستاصلهم وروي انهم لما اخذتهم
السيوف ونادى مناد من السماء يا لثارات الانبياء ندموا واعترفوا بالخطا وذلك حين لم
ينفعهم الندم فظاهر الاية يدل على الكثرة ولعل ابن عباس رضي الله عنه ذكر حضور
بانها احدى القرى التي ارادها الله بهذه الاية فلما احسوا باسنا فلما علموا شدة عذابنا
وبطشنا علم حس ومشاهدة لم يشكوا فيها اذا هم منها يركضون ركضوا من ديارهم
والركض ضرب الدابة بالرجل ومنه قوله تعالى اركض برجلك فيجوز ان ركبوا دوابهم يركضونها
هاربين منهزمين من قريتهم لما ادركتهم مقدمة العذاب ويجوز ان يشبهوا في سرعة
عدوهم على ارجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم فقيل لهم لا تركضوا والقول محذوف
فان قلت من القائل قلت يحتمل ان يكون بعض الملائكة او من

ثم من المؤمنين او يجعلون خلقا بان يقال لهم ذلك وان لم يقل او يقول رب العزة ويسمعه
ملائكته لينفعهم في دينهم او يلهمهم ذلك فيجدون ثوابه في نفوسهم وارجعوا الى ما اترفتم
فيه من العيش الرافه والحال الناعمة والاتراف ابطار النعمة وهي الترفة ومساكنكم
لعلكم تسألون تهكم بهم وتوبيخ اي ارجعوا الى نعمتكم ومساكنكم لعلكم تسألون غدا عما
جرى عليكم ونزل باموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة او ارجعوا واجلسوا
كما كنتم في مجالسكم وترتبوا في مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون امره
وينفذ فيه امركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تامرون وماذا ترسمون وكيف ناتي ونذر
كعادة المنعمين المخدمين او يسألكم الناس في انديتكم المعاون في نوازل الخطوب ويستشيرونكم
في المهمات والعوارض ويستشفون بتدابيركم ويستضيئون بارائكم او يسألكم الوافدون عليكم
والطماع ويستمطرون سحاب اكفكم ويمترون اخلاف معروفكم وايديكم اما لانهم كانوا
اسخياء ينفقون اموالهم رئاء الناس وطلب الثناء او كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما
الى تهكم وتوبيخا الى توبيخ قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم تلك اشارة
الى يا ويلنا لانها دعوى كانه قال فما زالت تلك الدعوى دعواهم والدعوى بمعنى الدعوة
قال الله تعالى واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين فان قلت لم سميت دعوى
قلت لان المولول كانه يدعو الويل فيقول تعال يا ويل فهذا وقتك وتلك
مرفوع او منصوب اسما او خبرا وكذلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين الحصيد الزرع
المحصود اي جعلناهم مثل الحصيد شبههم به في استئصالهم واصطلامهم كما تقول
جعلناهم رمادا اي مثل الرماد والضمير المنصوب هو الذي كان مبتدا والمنصوبان بعده
كانا خبرين له فلما دخل عليها جعل نصبها جميعا على المفعولية فان قلت
كيف ينصب جعل ثلاثة مفاعيل قلت حكم الاثنين الاخرين حكم الواحد
لان معنى قولك جعلته حلوا حامضا جعلته جامعا للطعمين وكذلك معنى ذلك جعلناهم
جامعين لمماثلة الحصيد والخمود وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين لو اردنا ان
نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين اي وما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا
المهاد الموضوع وما بينهما من اصناف الخلائق مشحونة بضروب البدائع والعجائب كما سوى
الجبابرة سقوفهم وفرشهم وسائر زخارفهم للهو واللعب وانما سويناها للفوائد الدينية
والحكم الربانية لتكون مطارح افتكار واعتبار واستدلال ونظر لعبادنا مع ما يتعلق
لهم بها من المنافع التي لا تعد والمرافق التي لا تحصى ثم بين ان السبب في ترك اتخاذ
اللهو واللعب وانتفائه عن افعالي هو ان الحكمة صارفة عنه والا فانا قادر على اتخاذه ان كنت
فاعلا لاني على كل شيء قدير وقوله لاتخذناه من لدنا كقوله رزقا من لدنا اي من جهة قدرتنا
وقيل اللهو المراة ويقال الولد وقيل ويتمثل من لدنا اي من الملائكة لا من الانس ردا لولادة المسيح
وعزير بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون
بل اضراب عن اتخاذ اللهو واللعب وتنزيه منه لذاته كانه قال سبحاننا ان نتخذ اللهو
واللعب بل من عادتنا وموجب حكمتنا واستغنائنا عن القبيح ان نغلب اللعب بالجد وندحض الباطل
بالحق واستعار لذلك القذف والدمغ تصويرا لابطاله به واهداره ومحقه فجعله كانه
جرم صلب كالصخرة مثلا قذف به على جرم رخو اجوف فدمغه ثم قال ولكم الويل مما
تصفونه به مما لا يجوز عليه وعلى حكمته وقرئ فيدمغه بالنصب وهو في ضعف قوله
سأترك منزلي لبني تميم والحق بالحجاز فاستريحا
وقرئ فيدمغه وله من في السموات والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا
يستحسرون من عنده هم الملائكة والمراد انهم مكرمون منزلون لكرامتهم عليه منزلة المقربين
عند الملوك على طريق التمثيل والبيان لشرفهم وفضلهم على جميع خلقه فان قلت
الاستحسار مبالغة في الحسور وكان الابلغ في وصفهم ان ينفى عنهم ادنى الحسور

قلت في الاستخبار بان ما هم فيه يوجب غاية الحسور واقصاه وانهم احقاء لتلك العادات الباهظة بان يستحسروا فيما يفعلون يسبحون الليل والنهار لا يفترون اي تسبيحهم متصل دايم في جميع اوقاتهم لا يتخلله فترة بفراغ او بشغل آخر ام اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون هذه ام المنقطعة الكاينة بمعنى بل والهمزة قد آذنت بالاضراب عما قبلها والانكار لما بعدها والمنكر هو اتخاذهم آلهة من الارض ينشرون الموتى ولعمري ان من اعظم المنكرات ان ينشر الموتى بعض الموات فان قلت كيف انكر عليهم اتخاذ آلهة تنشر وما كانوا يدعون ذلك لآلهتهم وكيف وهم ابعد شي عن هذه الدعوى وذلك انهم كانوا مع اقرارهم لله عز وجل بانه خالق السموات والارض ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وبانه القادر على المقدورات كلها وعلى النشاة الاولى منكرين البعث ويقولون من يحيي العظام وهي رميم وكان عندهم من قبيل المحال الخارج عن قدرة القادر كالثاني القديم فكيف يدعونه للجماد الذي لا يوصف بالقدرة راسا قلت الامر كما ذكرت ولكنهم بادعائهم لها الالهية يلزمهم ان يدعوا لها الانشار لانه لا يستحق هذا الاسم الا القادر على كل مقدور والانشار من جملة المقدورات وفيه باب من التهكم بهم والتوبيخ والتجهيل واشعار بان ما استبعدوه من الله لا يصح استبعاده لان الالهية لما صحت صح معها الاقتدار على الابدا والاعادة ونحو قوله تعالى من الارض قولك فلان من مكة او من المدينة تريد مكي او مدني ومعنى نسبتها الى الارض الايذان بانها الاصنام التي تعبد في الارض لان الآلهة على ضربين ارضية وسماوية ومن ذلك حديث الامة التي قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اين ربك فاشارت الى السما فقال انها مومنة لانه فهم منها ان مرادها نفي الآلهة الارضية التي هي الاصنام لا اثبات السما مكانا لله عز وجل ويجوز ان يراد آلهة من جنس الارض لانها اما ان تنحت من بعض الحجارة او تعمل من بعض جواهر الارض فان قلت لا بد من نكتة في قوله هم قلت النكتة فيه افادة معنى الخصوصية كانه قيل ام اتخذوا آلهة لا يقدر على الانشار الا هم وحدهم وقرا الحسن ينشرون وهما لغتان انشر الله الموتى ونشرها وصفت آلهة بالا كما توصف بغير لو قيل آلهة غير الله فان قلت ما منعك من الرفع على البدل قلت لان لو بمنزلة ان في ان الكلام معه موجب والبدل لا يسوغ الا في الكلام غير الموجب كقوله ولا يلتفت منكم احد الا امراتك وذلك لان اعم العام يصح نفيه ولا يصح ايجابه والمعنى لو كان يتولاهما ويدبر امرهما آلهة شتى غير الواحد الذي هو فاطرهما لفسدتا وفيه دلالة على امرين احدهما وجوب ان لا يكون مدبرهما الا واحدا والثاني ان لا يكون ذلك الواحد الا اياه وحده لقوله الا الله فان قلت لم وجب الامران قلت لعلمنا ان الرعية تفسد بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد الاشدق كان والله اعز علي من دم ناظري ولكن لا يجتمع فحلان في شول وهذا ظاهر واما طريقة التمانع فللمتكلمين فيه تجاول وطراد ولان هذه الافعال محتاجة الى تلك الذات المتميزة بتلك الصفات حتى تثبت وتستقر لا يسال عما يفعل وهم يسالون اذا كانت عادة الملوك والجبابرة ان لا يسالهم من في مملكتهم عن افعالهم وعما يوردون ويصدرون من تدبير ملكهم تهيبا واجلالا مع جواز الخطا والزلل وانواع الفساد عليهم كان ملك الملوك ورب الارباب خالقهم ورازقهم اولى بان لا يسال عن افعاله مع ما علم واستقر في العقول من ان ما يفعله كله مفعول بدواعي الحكمة ولا يجوز عليه الخطا ولا فعل القبايح وهم يسالون اي هم مملوكون مستعبدون خطاؤون فما اخلقهم بان يقال لهم لم فعلتم في كل شي فعلوه ام اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم كرر ام اتخذوا من دونه آلهة استفظاعا لشانهم

لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون

واستعظاما لكفرهم اي وصفتم الله تعالى بان له شريكا فهاتوا برهانكم على ذلك اما من جهة العقل واما من جهة الوحي فانكم لا تجدون كتابا من كتب الاولين الا وتوحيد الله وتنزيهه على الانداد مدعو اليه والاشراك به منهي عنه ومتوعد عليه هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون اي هذا الوحي الوارد في معنى توحيد الله ونفي الشركا عنه كما ورد علي فقد ورد على جميع الانبيا فهو ذكر اي عظة للذين معي يعني امته وذكر للذين من قبلي يريد امم الانبيا وقرئ ذكر من معي وذكر من قبلي بالتنوين ومن مفعول منصوب بالذكر كقوله او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما وهو الاصل والاضافة من اضافة المصدر الى المفعول كقوله غلبت الروم وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقرئ من معي ومن قبلي على من الاضافة في هذه القراءة وادخال الجار على مع غريب والعذر فيه انه اسم هو ظرف نحو قبل وبعد وعند ولدن وما اشبه ذلك فدخل عليه من كما يدخل على اخواته وقرئ ذكر معي وذكر قبلي كانه قيل بل عندهم ما هو اصل الشر والفساد كله وهو الجهل وفقد العلم وعدم التمييز بين الحق والباطل فمن ثم جاء هذا الاعراض ومن هناك ورد هذا الانكار وقرئ الحق بالرفع على توسيط التوكيد بين السبب والمسبب والمعنى ان اعراضهم بسبب الجهل هو الحق لا الباطل ويجوز ان يكون المنصوب ايضا على هذا المعنى كما تقول هذا عبد الله الحق لا الباطل وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون يوحى ونوحى مشهورتان وهذه الآية مقررة لما سبقها من آي التوحيد نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه نزه ذاته عن ذلك ثم اخبر عنهم بانهم عباد والعبودية تنافي الولادة الا انهم مكرمون مقربون عندي مفضلون على ساير العباد لما هم عليه من احوال وصفات ليست لغيرهم فذلك هو الذي غرهم من زعمهم انهم اولادي تعاليت عن ذلك علوا كبيرا لا يسبقونه وقرئ مكرمون ولا يسبقونه بالضم من سابقته فسبقته اسبقه بالقول وهم بامره يعملون يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون والمعنى انهم يتبعون قوله ولا يقولون شيئا حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله والمراد بقولهم فانيب اللام مناب الاضافة اي لا يتقدمون قوله بقولهم كما تقول سبقت بفرسي فرسه وكما ان قولهم تابع لقوله فعملهم ايضا كذلك مبني على امره لا يعملون عملا ما لم يومروا به وجميع ما ياتون ويذرون مما قدموا واخروا بعين الله وهو مجازيهم عليه فلاحاطتهم بذلك يضبطون انفسهم ويراعون احوالهم ويعمرون اوقاتهم ومن تحفظهم انهم لا يشفعوا الا لمن ارتضاه واهله للشفاعة في ازدياد الثواب والتعظيم ثم انهم مع هذا كله من خشية الله مشفقون اي متوقعون من امارة ضعيفة كاينون على حذر ورقبة لا يامنون مكر الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راى جبريل ليلة المعراج ساقطا كالحلس من خشية الله ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين وبعد ان وصف كرامتهم عليه وقرب منزلتهم عنده واثنى عليهم واضاف اليهم تلك الافعال السنية والاعمال المرضية فاجا بالوعيد الشديد وانذر بعذاب جهنم من اشرك منهم ان كان ذلك على سبيل الفرض والتمثيل مع احاطة علمه بانه لا يكون كما قال ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون قصد بذلك تفظيع امر الشرك وتعظيم شان التوحيد اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما قرئ الم ير بغير واو ورتقا بفتح التا وكلاهما في معنى المفعول كالخلق والنقض اي كانتا مرتوقتين فان قلت الرتق صالح ان يقع موقع مرتوقتين لانه مصدر فما بال الرتق قلت هو على تقدير موصوف اي كانتا شيئا رتقا ومعنى ذلك ان السما كانت لاصقة بالارض لا فضا بينهما او كانت السموات متلاصقات وكذلك الارضون لا فرج بينها ففتقها الله وفرج بينها وقيل ففتقناهما بالمطر والنبات بعد ما كانت مصمتة وانما قيل كانتا دون كن لان المراد جماعة

وقرئ

بل عباد مكرمون

السموات وجماعة الارض ونحوه قولهم لقاحان سوداوان اي جماعتان فعل في المضمر نحو ما فعل
في المظهر **فان قلت** متى راوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك **قلت**
فيه وجهان احدهما انه وارد في القران الذي هو معجزة في نفسه فقام مقام المرئي المشاهد
والثاني ان تلاصق الارض والسما وتباينهما كلاهما جائز في العقل فلا بد للتباين دون
التلاصق من مخصص وهو القديم سبحانه **وجعلنا من الما كل شي حي افلا يومنون** وجعلنا
لا يخلو ان يتعدى الى واحد او اثنين فان تعدى الى واحد فالمعنى خلقنا من الما كل حيوان
كقوله والله خلق كل دابة من ما او كانما خلقناه من الما لفرط احتياجه اليه وحبه له وقلة صبره
عنه كقوله خلق الانسان من عجل وان تعدى الى اثنين فالمعنى صيرنا كل شي حي بسبب
من الما لفرط احتياجه اليه وحبه لا بد له منه ومن هذا نحو قوله عليه السلام ما انا
من دد ولا الدد مني وقرئ حيا وهو المفعول الثاني والظرف لغو **وجعلنا في الارض
رواسي ان تميد بهم** اي كراهة ان تميد بهم وتتحرك وتضطرب او لان لا تميد بهم فحذف
لا واللام وانما جاز حذف لا لعدم الالتباس كما تزاد لذلك في نحو قوله لئلا يعلم اهل
الكتاب وهذا مذهب الكوفيين **وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون** الفج الطريق
الواسع **فان قلت** في الفجاج معنى الوصف فما لها قدمت على السبل ولم تؤخر
كما في قوله لتسلكوا منها سبلا فجاجا **قلت** لم تقدم وهي صفة ولكن جعلت حالا كقوله
لعزة موحشا طلل قديم **فان قلت** ما الفرق بينهما من جهة المعنى **قلت**
احدهما الاعلام بانه جعل فيها طرقا واسعة والثاني بانه حين خلقها خلقها على تلك الصفة فهو
بيان لما ابهم ثمة **وجعلنا السما سقفا محفوظا** حفظه بالامساك بقدرته من ان يقع على
الارض ويتزلزل او بالشهب على تسمع الشياطين على سكانه من الملائكة **وهم عن اياتها معرضون**
اي عما وضع الله فيها من الادلة والعبر بالشمس والقمر وساير النيرات ومسايرها وطلوعها
وغروبها على الحساب القويم والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة
واي جهل اعظم من جهل من اعرض عنها ولم يذهب به وهمه الى تدبرها والاعتبار بها والاستدلال
على عظمة شان من اوجدها من عدم ودبرها ونصبها هذه النصبة واودعها ما اودعها
مما لا يعرف كنهه الا هو عزت قدرته ولطف علمه وقرئ عن ايتها على التوحيد اكتفا بالواحدة
في الدلالة على الجنس اي هم متفطنون لما يرد عليهم من السما من المنافع الدنيوية كالاستضاءة
بقمرها والاهتداء بكواكبها وحيوة الارض والحيوان بامطارها وهم عن كونها اية بينة
على الخالق معرضون **وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون** كل
التنوين فيه عوض من المضاف اليه اي كلهم في فلك يسبحون والضمير للشمس والقمر والمراد بهما
جنس الطوالع كل يوم وليلة جعلوها متكاثرة لتكاثر مطالعها وهو السبب في جمعها بالشموس
والاقمار والا فالشمس واحدة والقمر واحد وانما جعل الضمير واو العقلا للوصف بفعلهم وهو
السباحة **فان قلت** الجملة ما محلها **قلت** محلها النصب على الحال
من الشمس والقمر **فان قلت** كيف استبد بهما دون الليل والنهار بنصب
الحال عنها **قلت** كما تقول رايت زيدا وهندا متبرجة ونحو ذلك اذا جئت بصفة
يختص بها بعض ما تعلق به العامل ومنه قوله تعالى في هذه السورة ووهبنا له اسحق ويعقوب
نافلة او لا محل لها لاستينافها **فان قلت** لكل واحد من القمرين فلك على
حدة فكيف قيل جميعهم يسبحون في فلك **قلت** هذا كقولهم كساهم الامير
حلة وقلدهم سيفا اي كل واحد منهم او كساهم وقلدهم هذين الجنسين فاكتفى بما يدل على
الجنس اختصارا ولان الغرض الدلالة على الجنس **وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد
افان مت فهم الخالدون** كانوا يقدرون انه سيموت فيشمتون بموته فنفى الله عنه الشماتة
بهذا اي قضى الله ان لا يخلد في الدنيا بشرا فلا انت ولا هم الا عرضة للموت فاذا كان الامر
كذلك فان مت ايبقى هولاء وفي معناه قول القايل فقل للشامتين بنا افيقوا

سيلقى الشامتون كما لقينا اي نختبركم بما يجب فيه الصبر من البلايا وبما يجب فيه الشكر من النعم
والينا مرجعكم فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر او الشكر وانما سمي ذلك ابتلا وهو
عالم بما سيكون من اعمال العاملين قبل وجودهم لانه في صورة الاختبار وفتنة مصدر موكد
لنبلوكم من غير لفظه **واذا راك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي يذكر الهتكم
وهم بذكر الرحمن هم كافرون** الذكر يكون بخير وبخلافه فاذا دلت الحال على احدهما اطلق ولم يقيد
كقولك للرجل سمعت فلانا يذكرك فان كان الذاكر صديقا فهو ثنا وان كان عدوا فذم ومنه
قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم وقوله اهذا الذي يذكر الهتكم والمعنى انهم عاكفون هممهم
على ذكر الهتهم وما يجب ان لا تذكر به من كونهم شفعاء وشهدا ويسوهم ان يذكرها
ذاكر بخلاف ذلك واما ذكر الله وما يجب ان يذكر به من الوحدانية فهم به كافرون لا يصدقون
به اصلا فهم احق بان يتخذوا هزوا منك فانك محق وهم مبطلون وقيل معنى بذكر الرحمن
قولهم ما نعرف الرحمن الا مسيلمة وقولهم وما الرحمن انسجد لما تامرنا وقيل بذكر الرحمن
بما انزل عليك من القران والجملة في موضع الحال اي يتخذونك هزوا وهم على حال هي اصل الهزء
والسخرية وهي الكفر بالله كانوا يستعجلون عذاب الله واياته الملجية الى العلم والاقرار
ويقولون متى هذا الوعد فاراد نهيهم عن الاستعجال وزجرهم فقدم اولا ذم الانسان على
افراط العجلة وانه مطبوع عليها ثم نهاهم وزجرهم كانه قال ليس ببدع منكم ان تستعجلوا فانكم
مجبولون على ذلك وهو طبعكم وسجيتكم وعن ابن عباس انه اراد بالانسان ادم وانه حين
بلغ الروح صدره ولم يتبالغ فيه اراد ان يقوم وروي انه لما دخل الروح في عينه نظر الى ثمار
الجنة ولما دخل جوفه اشتهى الطعام وقيل خلقه الله في اخر النهار يوم الجمعة قبل غروب
الشمس فاسرع في خلقه قبل مغيبها وعن ابن عباس انه النضر بن الحارث والظاهر ان المراد
الجنس وقيل العجل الطين بلغة حمير وقال شاعرهم
والنخل تنبت بين الماء والعجل والله اعلم بصحته **فان قلت** لم نهاهم
عن الاستعجال مع قوله خلق الانسان من عجل وقوله وكان الانسان عجولا اليس هذا من تكليف
ما لا يطاق **قلت** هذا كما ركب فيه الشهوة وامره ان يغلبها لانه اعطاه القدرة
التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة وقرئ خلق الانسان **لو يعلم الذين كفروا حين
لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون** جواب لو محذوف وحين
مفعول به ليعلم اي لو يعلمون الوقت الذي يستعجلون عنه بقولهم متى هذا الوعد وهو
وقت صعب شديد تحيط بهم فيه النار من وراء وقدام فلا يقدرون على دفعها ومنعها
من انفسهم ولا يجدون ناصرا ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزا والاستعجال
ولكن جهلهم به هو الذي هونه عندهم ويجوز ان يكون يعلم متروكا بلا تعدية بمعنى لو
كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين لما كانوا مستعجلين وحين منصوب بمضمر اي حين لا يكفون
عن وجوههم النار يعلمون انهم كانوا على الباطل وينتفي عنهم هذا الجهل العظيم **بل تاتيهم
بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون** اي لا يكفونها بل تفجوهم فتغلبهم
يقال للمغلوب في المحاجة مبهوت ومنه فبهت الذي كفر اي غلب ابراهيم الكافر
وقرا الاعمش ياتيهم فيبهتهم على التذكير والضمير للوعد او للحين **فان قلت**
فالام يرجع الضمير المونث في هذه القراة **قلت** الى النار او الى الوعدة لانه في معنى
النار وهي التي وعدوها او على تاويل العدة والموعدة او الى الحين لانه في معنى الساعة
او الى البغتة وقيل في القراة الاولى الضمير للساعة وقرا الاعمش بغتة بفتح الغين
ولا هم ينظرون تذكير بانظاره اياهم وامهاله وتفسيح وقت التذكر عليهم اي لا يمهلون
بعد طول الامهال **ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به
يستهزءون** سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به بان له في الانبيا اسوة

٧
خلق الانسان من عجل ساوريكم
اياتي فلا تستعجلون ويقولون
متى هذا الوعد ان كنتم
صادقين صح

البيت هكذا
النبع في الصخرة الصماء منبته
والنخل منبته في الماء والعجل

وإن ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالأنبياء ما فعلوا قل من يكلؤكم بالليل والنهار
من الرحمن أي من بأسه وعذابه بل هم عن ذكر ربهم معرضون بل هم معرضون عن ذكره لا يخطرونه
ببالهم فضلا أن يخافوا بأسه حتى إذا رزقوا الكلاءة منه عرفوا من الكالئ وصلحوا للسؤال
عنه والمراد أنه أمر رسوله بسؤالهم عن الكالئ ثم بين أنهم لا يصلحون لذلك لإعراضهم عن ذكر
من يكلؤهم ثم أضرب عن ذلك بما في أم من معنى بل وقال أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون
نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر أم لهم آلهة تمنعهم
من العذاب تتجاوز منعنا وحفظنا ثم استأنف فبين أن ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها
ولا بمصحوب من الله بالنصر والتأييد كيف يمنع غيره وينصره ثم قال بل ما هم فيه من الحفظ والكلاءة
إنما هو منا لا من مانع يمنعهم من إهلاكنا وما كلأناهم وآباءهم الماضين إلا تمتيعا لهم بالحيوة الدنيا
وإمهالا كما متعنا غيرهم من الكفار وأمهلناهم حتى طال عليهم الأمد وامتدت بهم أيام الروح
والطمأنينة فحسبوا أن لا يزالوا على ذلك لا يغلبون ولا ينزع عنهم ثوب أمنتهم واستمتاعهم
وذلك طمع فارغ وأمل كاذب أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون
أفلا يرون أنا ننقص أرض الكفر ودار الحرب ونحذف أطرافها بتسليط المسلمين عليها وإظهارهم
على أهلها فإن قلت أي فائدة في قوله تعالى نأتي الأرض قلت
الفائدة فيه تصوير ما كان الله يجريه على أيدي المسلمين وأن عساكرهم وسراياهم كانت
تغزو أرض المشركين وتأتيها غالبة عليها ناقصة من أطرافها قل إنما أنذركم بالوحي ولا يسمع
الصم الدعاء إذا ما ينذرون قرئ ولا يسمع الصم بالياء والتاء أي لا تسمع أنت ولا يسمع
رسول الله ولا يسمع الصم من أسمع فإن قلت الصم لا يسمعون دعاء المبشر
كما لا يسمعون دعاء المنذر فكيف قيل إذا ما ينذرون قلت اللام في الصم إشارة
إلى هؤلاء المنذرين كائنة للعهد لا للجنس والأصل ولا يسمعون إذا ما ينذرون فوضع الظاهر
موضع المضمر للدلالة على تصامهم وسدهم أسماعهم إذا أنذروا أي هم على هذه الصفة من
الجرأة والجسارة على التصام من آيات الإنذار ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك
ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين ولئن مسهم من هذا الذي ينذرون به أدنى شيء لأذعنوا
وذلوا وأقروا بأنهم ظلموا أنفسهم حين تصاموا وأعرضوا وفي المس والنفحة ثلاث مبالغات
لأن النفح في معنى القلة والنزارة يقال نفحته الدابة وهو رمح يسير ونفحه بعطية رضخه
ولبناء المرة ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا وصفت الموازين
بالقسط وهو العدل مبالغة كأنها في أنفسها قسط أو على حذف المضاف أي ذوات
القسط واللام في ليوم القيمة مثلها في قولك جئته لخمس ليال خلون من الشهر ومنه بيت النابغة
ترسمت آيات لها فعرفتها . لستة أعوام وذا العام سابع .
وقيل لأهل يوم القيمة أي لأجلهم فإن قلت ما المراد بوضع الموازين
قلت فيه قولان أحدهما إرصاد الحساب السوي والجزاء على حسب الأعمال
بالعدل والنصفة من غير أن يظلم عباده مثقال ذرة فمثل ذلك بوضع الموازين لتوزن
بها الموزونات والثاني أنه يضع الموازين الحقيقية ويزن بها الأعمال عن الحسن هو ميزان
له كفتان ولسان وروي أن داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الميزان فلما رآه غشي
عليه ثم أفاق فقال يا إلهي من الذي يقدر أن يملأ كفته حسنات فقال يا داود إني إذا
رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة فإن قلت كيف توزن الأعمال وإنما هي أعراض
قلت فيه قولان أحدهما توزن صحائف الأعمال والثاني تجعل في كفة الحسنات
جواهر بيض مشرقة وفي كفة السيئات جواهر سود مظلمة وإن كان مثقال حبة من خردل
أتينا بها وكفى بنا حاسبين وقرئ مثقال حبة على كان التامة كقوله وإن كان ذو عسرة وقرأ
ابن عباس ومجاهد آتينا بها وهي مفاعلة من الإتيان بمعنى المجازاة والمكافأة لأنهم أتوه بالأعمال

٢ خ من

٢ ورد ها دار الإسلام

وآتاهم

وآتاهم بالجزاء وقرأ حميد أثبنا بها من الثواب وفي حرف أبي جئنا بها وأنث ضمير المثقال لإضافته
إلى الحبة كقولهم ذهبت بعض أصابعه ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان أي آتيناهما الفرقان
وهو التوراة وآتينا به ضياء وذكرا للمتقين والمعنى أنه في نفسه ضياء وذكر أو آتينا ها
بما فيه من الشرائع والمواعظ ضياء وذكرا وعن ابن عباس الفرقان الفتح كقوله يوم الفرقان
وعن الضحاك فلق البحر وعن محمد بن كعب المخرج من الشبهات وقرأ ابن عباس ضياء بغير واو
وهو حال عن الفرقان والذكر الموعظة أو ذكر ما يحتاجون إليه في دينهم ومصالحهم أو الشرف
الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون محل الذين جر على الوصفية أو نصب
على المدح أو رفع عليه وهذا ذكر مبارك هو القرآن وبركته كثرة منافعه وغزارة خيره
أنزلناه أفأنتم له منكرون ولقد آتينا إبراهيم رشده الرشد الاهتداء لوجوه الصلاح قال
الله تعالى فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم وقرئ رشده والرشد والرشد
كالعدم والعدم ومعنى إضافته إليه أنه رشد مثله وأن له شأنا من قبل أي من قبل
موسى وهارون وكنا به عالمين ومعنى علمه به أنه علم منه أحوالا بديعة وأسرارا عجيبة وصفات
قد رضيها وأحمدها حتى أهله لمخالته ومخالصته وهذا كقولك في خير من الناس أنا عالم بفلان
فكلامك هذا من الاحتواء على محاسن الأوصاف بمنزل إذ قال لأبيه وقومه إذ إما أن يتعلق بآتينا
أو برشده أو بمحذوف أي اذكر من أوقات رشده هذا الوقت قوله ما هذه التماثيل تجاهل لهم
وتغاب ليحقر آلهتهم ويصغر شأنها مع علمه بتعظيمهم وإجلالهم لها التي أنتم لها عاكفون
لم ينو للعاكفين مفعولا وأجراه مجرى ما لا يتعدى كقولك فاعلون العكوف لها أو واقفون لها
فإن قلت هلا قيل عليها عاكفون كقوله يعكفون على أصنام لهم قلت
لو قصد التعدية لعداه بصلته التي هي على قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ما أقبح التقليد والقول
المتقبل بغير برهان وما أعظم كيد الشيطان للمقلدين حتى استدرجهم إلى أن قلدوا آباءهم
في عبادة التماثيل وعفروا لها جباههم وهم معتقدون أنهم على شيء وجادون في نصرة مذهبهم
ومجادلون لأهل الحق عن باطلهم وكفى أهل التقليد سبة أن عبدة الأصنام منهم قال لقد كنتم
أنتم وآباؤكم في ضلال مبين أنتم من التأكيد الذي لا يصح الكلام مع الإخلال به لأن العطف على
ضمير هو في حكم بعض الفعل ممتنع ونحوه اسكن أنت وزوجك الجنة أراد أن المقلدين والمقلدين
جميعا منخرطون في سلك ضلال لا يخفى على من به أدنى مسكة لاستناد الفريقين إلى غير دليل
بل إلى هوى متبع وشيطان مطاع قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين لاستبعادهم أن
يكون ما هم عليه ضلالا بقوا متعجبين من تضليله إياهم وحسبوا أن ما قاله إنما قاله على وجه
المزاح والمداعبة لا على طريق الجد فقالوا له هذا الذي جئتنا به أهو جد وحق أم لعب وهزل
قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين الضمير في فطرهن
للسموات والأرض أو للتماثيل وكونه للتماثيل أدخل في تضليلهم وأثبت للاحتجاج عليهم وشهادته
على ذلك إدلاؤه بالحجة عليه وتصحيحه بها كما تصحح الدعوى بالشهادة كأنه قال وأنا أبين ذلك
وأبرهن عليه كما تبين الدعاوى بالبينات لأني لست مثلكم فأقول ما لا أقدر على إثباته بالحجة كما لم
تقدروا على الاحتجاج لمذهبكم ولم تزيدوا على أنكم وجدتم عليه آباءكم وتالله لأكيدن أصنامكم
بعد أن تولوا مدبرين قرأ معاذ بن جبل بالله وقرئ تولوا بمعنى تتولوا ويقويها قوله
فتولوا عنه مدبرين فإن قلت ما الفرق بين الباء والتاء قلت إن
الباء هي الأصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها وأن التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب كأنه تعجب
من تسهل الكيد على يده وتأتيه لأن ذلك كان أمرا مقنوطا منه لصعوبته وتعذره ولعمري إن مثله
صعب متعذر في كل زمان خصوصا في زمن نمروذ مع عتوه واستكباره وقوة سلطانه وتهالكه
على نصرة دينه ولكن . إذا الله سنى عقد شيء تيسرا . فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه
يرجعون قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم
روي أن آزر خرج به في يوم عيد لهم فبدؤوا ببيت الأصنام فدخلوه وسجدوا لها ووضعوا بينها

طعاما خرجوا به معهم وقالوا الى ان نرجع بركت الالهة على طعامنا فذهبوا وبقي ابراهيم فنظر الى الاصنام
وكانت سبعين صنما مصطفة وثم صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان
تضيئان بالليل فكسرها كلها بفاس في يده حتى اذا لم يبق الا الكبير علق الفاس في عنقه عن قتادة
قاله ذلك سرا من قومه وروي سمعه رجل واحد جذاذا قطاعا من الجذ وهو القطع وقرئ
بالكسر والفتح وقرئ جذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة وانما استبقى الكبير لانه غلب في ظنه
انهم لا يرجعون الا اليه لما تسامعوه من انكاره لدينهم وسبه لالهتهم فيبكتهم بما اجاب به من قوله
بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم وعن الكلبي اليه الى كبيرهم ومعنى هذا لعلهم يرجعون اليه كما يرجع
الى العالم في حل المشكلات فيقولون له ما لهؤلاء مكسورة ومالك صحيحا والفاس على عاتقك
قال هذا بناء على ظنه بهم لما جرب وذاق من مكابرتهم لعقولهم واعتقادهم في الهتهم وتعظيمهم
لها او قاله مع علمه انهم لا يرجعون اليه استهزاء بهم واستجهالا وان قياس حال من يسجد له
ويؤهل للعبادة ان يرجع اليه في حل المشكلات **فان قلت** فاذا رجعوا الى
الصنم بمكابرتهم لعقولهم ورسوخ الاشراك في اعراقهم فاي فائدة دينية في رجوعهم اليه
حتى يجعله ابراهيم صلوات الله عليه غرضا **قلت** اذا رجعوا اليه تبين
انه عاجز لا ينفع ولا يضر وظهر انهم في عبادته على جهل عظيم اي ان من فعل هذا الكسر والحطم
لشديد الظلم معدود في الظلمة اما لجراته على الالهة الحقيقة عندهم بالتوقير والاعظام واما
لانهم راوا افراطا في حطمها وتماديا في الاستهانة بها **فان قلت** ما حكم
الفعلين بعد سمعنا فتى واي فرق بينهما **قلت** هما صفتان لفتى الا ان الاول
وهو يذكرهم لا بد منه لسمع لانك لا تقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيئا مما يسمع واما
الثاني فليس كذلك **فان قلت** ابراهيم ما هو **قلت** هو خبر مبتدا
محذوف او منادى والصحيح انه فاعل يقال لان المراد الاسم لا المسمى **قالوا فاتوا به على اعين**
الناس على اعين الناس في محل الحال بمعنى معاينا مشاهدا اي بمراى منهم ومنظر **فان قلت**
ما معنى الاستعلاء في على **قلت** هو وارد على طريق المثل اي يثبت اتيانه في الاعين
ويتمكن ثبات الراكب على المركوب وتمكنه منه **لعلهم يشهدون** عليه بما سمع منه او بما فعله
او يحضرون عقوبتنا له روي ان الخبر بلغ نمروذ واشراف قومه فامروا باحضاره **قالوا ءانت**
فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون
هذا من معاريض الكلام ولطائف هذا النوع لا يتغلغل فيها الا الاذهان الراضة من علماء المعاني
والقول فيه ان قصد ابراهيم صلوات الله عليه لم يكن الى ان ينسب الفعل الصادر
عنه الى الصنم وانما قصد تقريره لنفسه واثباته لها على اسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه
من الزامهم الحجة وتبكيتهم وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بخط رشيق
وانت شهير بحسن الخط اانت كتبت هذا وصاحبك امي لا يحسن الخط ولا يقدر الا على
خرمشة فاسدة فقلت له بل كتبته انت كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء
به لا نفيه عنك واثباته للامي او المخرمش لان اثباته والامر دائر بينكما للعاجز
منكما استهزاء به واثبات للقادر ولقائل ان يقول غاظته تلك الاصنام حين ابصرها
مصطفة مرتبة وكان غيظ كبيرها اكبر واشد لما راى من زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل
اليه لانه هو الذي تسبب لاستهانته بها وحطمه لها والفعل كما يسند الى مباشره
يسند الى الحامل عليه ويجوز ان يكون حكاية لما يقود الى تجويز مذهبهم كانه قال لهم
ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد معه هذه الصغار وهو اكبرها ان يفعل
مثل هذا وقرا محمد بن السميفع فعله كبيرهم يعني فلعله اي فلعل الفاعل كبيرهم
فرجعوا الى انفسهم فلما القمهم الحجر واخذ بمخانقهم رجعوا الى انفسهم **فقالوا انكم**
انتم الظالمون على الحقيقة لا من ظلمتموه حين قلتم من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين
ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون نكسته قلبته فجعلت اسفله اعلاه

٧
ويدعى الها ان يقدر على هذا واشد منه
ويحكى انه قال فعله كبيرهم هذا غضب ان
تعبد صح

وانتكس انقلب اي استقاموا حين رجعوا الى انفسهم وجاؤوا بالفكرة الصالحة ثم انتكسوا وانقلبوا
عن تلك الحالة فاخذوا في المجادلة بالباطل والمكابرة وان هؤلاء مع تقاصر حالها عن حال
الحيوان الناطق الهة معبودة مضارة منهم او انتكسوا عن كونهم مجادلين لابراهيم مجادلين عنه
حين نفوا عنها القدرة على النطق وقلبوا على رؤوسهم حقيقة لفرط اطراقهم خجلا وانكسارا وانخزالا
مما بهتهم به ابراهيم فما احاروا جوابا الا ما هو حجة عليهم وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا على
لفظ ما سمي فاعله اي نكسوا انفسهم على رؤوسهم قراءة رضوان بن عبد المعبود **قال**
افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون
اف صوت اذا صوت به علم ان صاحبه متضجر اضجره ما راى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع
عذرهم وبعد وضوح الحق وزهوق الباطل فتافف بهم واللام لبيان المتافف به اي لكم ولا
هذا التافف **قالوا حرقوه وانصروا الهتكم** اجمعوا آراءهم لما غلبوا باهلاكه وهكذا المبطل
اذا قرعت شبهته بالحجة وافتضح لم يكن احد ابغض اليه من المحق ولم يبق له مفزع الا مناصبته
كما فعلت قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم حين عجزوا عن المعارضة والذي اشار
باحراقه نمروذ وعن ابن عمر رضي الله عنه رجل من اعراب العجم يريد الاكراد حين هموا باحراقه
حبسوه ثم بنوا بيتا كالحظيرة بكوثا وجمعوا شهرا اصناف الخشب الصلاب حتى ان كانت
المراة لتمرض فتقول لئن عافاني الله لاجمعن حطبا لابراهيم ثم اشعلوا نارا عظيمة كادت الطير
تحترق في الجو من وهجها ثم وضعوه في المنجنيق مقيدا مغلولا فرموا به فيها فناداها جبريل
عليه السلام يا نار كوني بردا وسلاما ويحكى ما احرقت منه الا وثاقه وقال له جبريل حين
رمي به هل لك حاجة فقال اما اليك فلا قال فسل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي
وعن ابن عباس انما نجا بقوله حسبي الله ونعم الوكيل واطل عليه نمروذ من الصرح فاذا هو
في روضة ومعه جالس له من الملائكة فقال اني مقرب الى الهك فذبح اربعة الاف
بقرة وكف عن ابراهيم وكان ابراهيم اذ ذاك ابن ست عشرة سنة واختاروا المعاقبة
بالنار لانها اهول ما يعاقب به وافظعه ولذلك جاء لا يعذب بالنار الا خالقها ومن ثم قالوا
ان كنتم فاعلين اي ان كنتم ناصرين الهتكم نصرا مؤزرا فاختاروا له اهول المعاقبات
وهي الاحراق بالنار والا فرطتم في نصرتها ولهذا عظموا النار وتكلفوا في تشهير امرها
وتفخيم شانها ولم يالوا جهدا في ذلك **قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم** جعلت
النار لمطاوعتها فعل الله وارادته كمامور امر بشيء فامتثل والمعنى ذات برد وسلام
فبولغ في ذلك كان ذاتها برد وسلام والمراد ابردي فيسلم منك ابراهيم او ابردي
بردا غير ضار وعن ابن عباس لو لم يقل ذلك لاهلكته بردها **فان قلت**
كيف بردت النار وهي نار **قلت** نزع الله عنها طبعها الذي طبعها عليه من الحر والاحراق
وابقاها على الاضاءة والاشراق والاشتعال كما كانت والله على كل شيء قدير ويجوز ان
يدفع بقدرته عن جسم ابراهيم اذى حرها ويذيقه فيها عكس ذلك كما يفعل بخزنة جهنم
ويدل قوله على ابراهيم **واردوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين** واردوا ان يكيدوه ويمكروا
به فما كانوا الا مغلوبين مقهورين غالبوه بالجدال فغلبه الله ولقنه المبكت وفزعوا
الى القوة والجبروت فنصره وقواه **ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين**
نجيا من العراق الى الشام وبركاته الواصلة الى العالمين ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت
في العالمين شرائعهم وآثارهم الدينية وهي البركات الحقيقية وقيل بارك الله فيه
بكثرة الماء والشجر والثمر والخصب وطيب عيش الغني والفقير وعن سفيان انه خرج الى
الشام فقيل له الى اين فقال الى بلد يملا فيه الجراب بدرهم وقيل ما من ماء عذب
الا وينبع اصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس وروي انه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة
وبينهما مسيرة يوم وليلة **ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين**
النافلة ولد الولد وقيل سال اسحق فاعطيه واعطي يعقوب نافلة اي زيادة وفضلا

لالهتكم
خ بهم
٢ وروى
خ احرقت
حران
نشرت

من غير سؤال وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا فيه أن من صلح ليكون قدوة في دين الله فالهداية محتومة عليه مأمور هو بها من جهة الله ليس له أن يخل بها ويتثاقل عنها وأول ذلك أن يهتدي بنفسه لأن الانتفاع بهداه أعم والنفوس إلى الاقتداء بالمهدي أميل وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكوة وكانوا لنا عابدين فعل الخيرات أصله أن تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك إقام الصلاة وإيتاء الزكوة ولوطا آتيناه حكما حكمة وهو ما يجب فعله أو فصلا بين الخصوم وقيل هي النبوة وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين والقرية سدوم وأدخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين في أهل رحمتنا أو في الجنة ومنه الحديث هذه رحمتي أرحم بها من أشاء ونوحا إذ نادى من قبل من قبل هؤلاء المذكورين فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين هو نصر الذي مطاوعه انتصر وسمعت هذليا يدعو على سارق اللهم انصرهم منه أي اجعلهم منتصرين منه والكرب الطوفان وما كان فيه من تكذيب قومه أي واذكرهما وإذ بدل منهما والنفش الانتشار بالليل وجمع الضمير لأنه أرادهما والمتحاكمين إليهما وقرئ لحكمهما ففهمناها سليمان والضمير في ففهمناها للحكومة أو الفتوى وقرئ فأفهمناها حكم داود بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان وهو ابن إحدى عشرة سنة غير هذا أرفق بالفريقين فعزم عليه ليحكمن فقال أرى أن تدفع الغنم إلى أهل الحرث ينتفعون بألبانها وأولادها وأصوافها والحرث إلى أرباب الشاء يقومون عليه حتى يعود كهيئته يوم أفسد ثم يترادان فقال القضاء ما قضيت وأمضى الحكم بذلك فإن قلت أحكما بوحي أم باجتهاد قلت قيل حكما جميعا بالوحي إلا أن حكومة داود نسخت بحكومة سليمان وقيل اجتهدا جميعا فجاء اجتهاد سليمان أشبه بالصواب فإن قلت ما وجه كل واحدة من الحكومتين قلت أما وجه حكومة داود عليه السلام فلأن الضرر لما وقع بالغنم سلمت بجنايتها إلى المجني عليه كما قال أبو حنيفة رحمه الله في العبد إذا جنى على النفس يدفعه المولى بذلك أو يفديه وعند الشافعي يبيعه في ذلك أو يفديه ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان في الحرث ووجه حكومة سليمان أنه جعل الانتفاع بالغنم بإزاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير أن يزول ملك المالك عن الغنم وأوجب على صاحب الغنم أن يعمل في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان مثاله ما قال أصحاب الشافعي فيمن غصب عبدا فأبق من يده أنه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه بإزاء ما فوته الغاصب من منافع العبد فإذا ظهر ترادا فإن قلت ولو وقعت هذه الواقعة في شريعتنا ما حكمها قلت أبو حنيفة وأصحابه رحمهم الله لا يرون فيه ضمانا بالليل أو بالنهار إلا أن يكون مع البهيمة سائق أو قائد والشافعي يوجب الضمان بالليل وفي قوله ففهمناها سليمان دليل على أن الأصوب كان مع سليمان وفي قوله وكلا آتينا حكما وعلما دليل على أنهما كانا جميعا على الصواب وسخرنا مع داود الجبال يسبحن يسبحن حال بمعنى مسبحات أو استئناف كأن قائلا قال كيف سخرهن فقال يسبحن والطير إما معطوف على الجبال وإما مفعول معه فإن معه قلت لم قدمت الجبال على الطير قلت لأن تسخيرها وتسبيحها أعجب وأدل على القدرة وأدخل في الإعجاز لأنها جماد والطير حيوان ناطق روي أنه كان يمر بالجبال مسبحا وهي تجاوبه وقيل كانت تسير معه حيث سار فإن قلت كيف تنطق الجبال وتسبح قلت بأن يخلق الله فيها الكلام كما خلقه في الشجرة حين كلم موسى وجواب آخر وهو أن يسبح من رآها تسير بتسيير الله فلما حملت

على التسبيح وصفت به وكنا فاعلين أي قادرين على أن نفعل هذا وإن كان عجبا عندكم وقيل كنا نفعل مثل ذلك بالأنبياء وعلمناه صنعة لبوس لكم اللبوس اللباس قال البس لكل حالة لبوسها والمراد الدرع قال قتادة كانت صفائح فأول من سردها وحلقها داود عليه السلام فجمعت الخفة والتحصين لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون لنحصنكم قرئ بالنون والتاء والياء وتخفيف الصاد وتشديدها فالنون لله عز وجل والتاء للصنعة أو للبوس على تأويل الدرع والياء لداود أو للبوس ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين قرئ الريح والرياح بالرفع والنصب فيهما فالرفع للابتداء والنصب للعطف على الجبال فإن قلت وصفت هذه الرياح بالعصف تارة وبالرخاوة أخرى فما التوفيق بينهما قلت كانت في نفسها رخية طيبة كالنسيم فإذا مرت بكرسيه أبعدت في مدة يسيرة على ما قال غدوها شهر ورواحها شهر فكان جمعها بين الأمرين أن تكون رخاء في نفسها وعاصفة في عملها مع طاعتها لسليمان وهبوبها على حسب ما يريد ويحتكم آية إلى آية ومعجزة إلى معجزة وقيل كانت في وقت رخاء وفي وقت عاصفا على حكم إرادته وقد أحاط علمنا بكل شيء فنجري الأشياء على ما يقتضيه علمنا وحكمتنا ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين أي يغوصون له في البحار فيستخرجون الجواهر ويتجاوزون ذلك إلى الأعمال والمهن وبناء المدن والقصور واختراع الصنائع العجيبة كما قال يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل والله حافظهم أن يزيغوا عن أمره أو يبدلوا أو يغيروا أو يوجد منهم فساد في الجملة فيما هم مسخرون فيه وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين أي ناداه بأني مسني وقرئ إني بالكسر على إضمار القول أو لتضمن النداء معناه والضر بالفتح الضرر في كل شيء وبالضم الضرر في النفس من مرض وهزال فرق بين البنائين لافتراق المعنيين ألطف في السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب ويحكى أن عجوزا تعرضت لسليمان بن عبد الملك فقالت يا أمير المؤمنين مشت جرذان بيتي على العصي فقال لها ألطفت في السؤال لا جرم لأردنها تثب وثب الفهود وملأ بيتها حبا كان أيوب عليه السلام روميا من ولد إسحق بن يعقوب عليهم السلام وقد استنبأه الله وبسط عليه الدنيا وكثر أهله وماله كان له سبعة بنين وسبع بنات وله أصناف البهائم وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ونخيل فابتلاه الله بذهاب ولده انهدم عليهم البيت فهلكوا وبذهاب ماله وبالمرض في بدنه ثماني عشرة سنة وعن قتادة ثلاث عشرة سنة وعن مقاتل سبعا وسبعة أشهر وسبع ساعات وقالت له امرأته يوما لو دعوت الله تعالى فقال لها كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال أنا أستحي من الله أن أدعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فلما كشف الله عنه أحيى ولده ورزقه مثلهم ونوافل منهم كما قال تعالى فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم وروي أن امرأته ولدت بعد ستة وعشرين ابنا رحمة من عندنا وذكرى للعابدين أي لرحمتنا العابدين وأنا نذكرهم بالإحسان لا ننساهم أو رحمة منا لأيوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر حتى يثابوا كما أثيب في الدنيا والآخرة وإسمعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين وذا النون إذ ذهب مغاضبا قيل في ذي الكفل هو إلياس وقيل زكريا وقيل يوشع بن نون وكأنه سمي بذلك لأنه ذو الحظ من الله والمجدود على الحقيقة وقيل كان له ضعف عمل الأنبياء في زمانه وضعف ثوابهم وقيل خمسة من الأنبياء ذوو اسمين إسرائيل ويعقوب إلياس وذو الكفل عيسى والمسيح يونس وذو النون محمد وأحمد النون الحوت غاضب إليه برم بقومه لطول ما ذكرهم فلم يذكروا وأقاموا على كفرهم فراغمهم وظن أن ذلك يسوغ حيث لم يفعله إلا غضبا لله وأنفة لدينه وبغضا للكفر وأهله وكان عليه أن يصابر وينتظر

الا اذن من الله في المهاجرة عنهم فابتلي ببطن الحوت ومعنى مغاضبة لقومه انه اغضبهم بمفارقته
لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها وقرا ابو شرف مغضبا فظن ان لن نقدر عليه قرئ
نقدر ونقدر بالنون مخففا ومثقلا ويقدر بالياء بالتخفيف ويقدر ويقدر على البناء
للمفعول مخففا ومثقلا وفسرت بالتضييق عليه وبتقدير الله عليه عقوبته وعن ابن عباس
رضي الله عنهما انه دخل على معاوية فقرا هذه الاية وقال او يظن نبي الله ان لا يقدر
عليه قال هذا من القدر لا من القدرة والمخفف يصح ان يفسر بالقدرة على معنى ان لن نعمل
فيه قدرتنا وان يكون من باب التمثيل بمعنى فكانت حاله ممثلة بحال من ظن ان لن نقدر
عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامر الله ويجوز ان يسبق ذلك الى وهمه بوسوسة
الشيطان ثم يردعه ويرده بالبرهان كما يفعل المؤمن المحقق بنزغات الشيطان وما يوسوس
اليه في كل وقت ومنه قوله وتظنون بالله الظنونا والخطاب للمؤمنين فنادى في الظلمات
اي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات
وقوله يخرجونهم من النور الى الظلمات وقيل ظلمات بطن الحوت والبحر والليل
وقيل ابتلع حوته حوت اكبر منه فحصل في ظلمتي بطني الحوتين وظلمة البحر ان لا
اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين اي بانه لا اله الا انت او بمعنى اي عن النبي
صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له وعن الحسن
ما نجاه والله الا اقراره على نفسه بالظلم فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي
المؤمنين ننجي وننجّي ونجّي والنون لا تدغم في الجيم ومن تمحل لصحته فجعله فعّل وقال
نجي النجاء المؤمنين فارسل الياء واسنده الى مصدره ونصب المؤمنين بالنجاء فمتعسف
بارد التعسف وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وانت خير الوارثين سال ربه ان
يرزقه ولدا يرثه ولا يدعه وحيدا بلا وارث ثم رد امره الى الله مستسلما فقال وانت
خير الوارثين اي ان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي فانك خير وارث فاستجبنا له ووهبنا
له يحيى واصلحنا له زوجه اصلاح زوجه ان جعلها صالحة للولادة بعد عقرها
وقيل تحسين خلقها وكانت سيئة الخلق انهم كانوا يسارعون في الخيرات الضمير للمذكورين
من الانبياء يريد انهم ما استحقوا الاجابة الى طلباتهم الا لمبادرتهم ابواب الخير ومسارعتهم
في تحصيلها كما يفعل الراغبون في الامور الجادون ويدعوننا رغبا ورهبا وقرئ رغبا
ورهبا بالاسكان وهو كقوله يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه وكانوا لنا خاشعين
قال الحسن ذللا لامر الله وعن مجاهد الخشوع الخوف الدائم في القلب وقيل متواضعين
وسئل الاعمش فقال اما اني سالت ابراهيم فقال الا تدري قلت افدني قال بينه
وبين الله اذا ارخى ستره واغلق بابه فليرَ الله منه خيرا لعلك ترى انه ان ياكل خشنا
ويلبس خشنا ويطاطئ راسه والتي احصنت فرجها احصانا كليا من الحلال والحرام
جميعا كما قالت ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها اية
للعالمين فان قلت نفخ الروح في الجسد عبارة عن احيائه قال الله تعالى فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي اي احييته واذا ثبت ذلك كان قوله فنفخنا فيها من روحنا ظاهر الاشكال
لانه يدل على احياء مريم قلت معناه نفخنا الروح في عيسى فيها اي احييناه في
جوفها ونحو ذلك ان يقول الزمار نفخت في بيت فلان اي نفخت في المزمار في بيته
ويجوز ان يراد وفعلنا النفخ في مريم من جهة روحنا وهو جبريل صلوات الله عليه لانه
نفخ في جيب درعها فوصل النفخ الى جوفها فان قلت هلا قيل ايتين
كما قال وجعلنا الليل والنهار ايتين قلت لان حالهما بمجموعهما اية واحدة
وهي ولادتها اياه من غير فحل ان هذه امتكم امة واحدة الامة الملة وهذه اشارة الى ملة
الاسلام اي ان ملة الاسلام هي ملتكم التي يجب ان تكونوا عليها لا تنحرفون عنها يشار
اليها ملة واحدة غير مختلفة وانا ربكم اي انا الهكم اله واحد فاعبدون ونصب الحسن امتكم

٧
فقال لقد ضربتني امواج القران البارحة
فغرقت فيها فلم اجد لنفسي خلاصا الا
بك قال وما هي يا معاوية صح

على البدل من هذه ورفع امة خبرا وعنه رفعهما جميعا خبرين لهذه او نوى للثاني مبتدا والخطاب
للناس كافة وتقطعوا امرهم بينهم كل الينا راجعون والاصل وتقطعتم الا ان الكلام حرف الى
الغيبة على طريقة الالتفات كانه ينعي عليهم ما افسدوه الى اخرين ويقبح عندهم فعلهم ويقول
لهم الا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله والمعنى جعلوا امر دينهم فيما بينهم قطعا
كما يتوزع الجماعة الشيء ويتقسمونه فيطير لهذا نصيب ولذاك نصيب تمثيلا لاختلافهم
فيه وصيرورتهم فرقا واحزابا شتى ثم توعدهم بان هؤلاء الفرق المختلفة اليه يرجعون
فهو محاسبهم ومجازيهم فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه الكفران
مثل في حرمان الثواب كما ان الشكر مثل في اعطائه اذا قيل لله شكور وقد نفي نفي الجنس ليكون
ابلغ من ان يقول فلا نكفر سعيه وانا له كاتبون اي نحن كاتبوا ذلك السعي ومثبتوه
في صحيفة عمله وما نحن مثبتوه فهو غير ضائع ومثاب عليه صاحبه وحرام على قرية اهلكناها
انهم لا يرجعون استعير الحرام للممتنع وجوده ومنه قوله عز وجل ان الله حرمهما على
الكافرين اي منعهما منهم وابى ان يكونا لهم وقرئ وحِرم وحَرم بالفتح والكسر وحرُم
وحرّم ومعنى اهلكناها عزمنا على اهلاكها او قدرنا اهلاكها ومعنى الرجوع
الرجوع من الكفر الى الاسلام والانابة ومجاز الاية ان قوما عزم الله على اهلاكهم غير متصور ان
يرجعوا وينيبوا الى ان تقوم القيمة فحينئذ يرجعون ويقولون يا ويلنا قد كنا في غفلة
من هذا بل كنا ظالمين يعني انهم مطبوع على قلوبهم فلا يزالون على كفرهم ويموتون عليه حتى
يروا العذاب وقرئ انهم بالكسر وحق هذا ان يتم الكلام قبله فلا بد من تقدير محذوف
كانه قيل وحرام على قرية اهلكناها ذاك وهو المذكور في الاية المتقدمة من العمل الصالح
والسعي المشكور غير المكفور ثم علل فقيل انهم لا يرجعون عن الكفر فكيف لا يمتنع ذلك
والقراءة بالفتح يصح حملها على هذا اي لانهم لا يرجعون ولا صلة على الوجه الاول
حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون فان قلت
بم تعلقت حتى واقعة غاية له وايه الثلث هي قلت هي متعلقة بحرام وهي
غاية له لان امتناع رجوعهم لا يزول حتى تقوم القيمة وهي حتى التي يحكى بعدها الكلام
والكلام المحكي الجملة من الشرط والجزاء اعني اذا وما في حيزها حذف المضاف الى ياجوج
وماجوج وهو سدهما كما حذف المضاف الى القرية وهو اهلها وقيل فتحت كما قيل
اهلكناها وقرئ آجوج وهما قبيلتان من جنس الانس الناس عشرة اقسام
تسعة منها ياجوج وماجوج وهم راجع الى الناس المسوقين الى المحشر وقيل هم ياجوج
وماجوج يخرجون حين يفتح السد الحدب النشز من الارض وقرا ابن عباس رضي
الله عنهما من كل جدث وهو القبر الثاء حجازية والفاء تميمية وقرئ ينسلون بضم السين
ونسل وعسل اسرع واقترب الوعد الحق فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا
واذا هي المفاجاة وهي تقع في المجازاة سادة مسد الفاء كقوله تعالى اذا هم يقنطون
فاذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتاكد ولو قيل اذا هي شاخصة
او فهي شاخصة كان سديدا هي ضمير مبهم توضحه الابصار وتفسره كما فسر الذين ظلموا اسروا
يا ويلنا متعلق بمحذوف تقديره يقولون يا ويلنا ويقولون في موضع الحال
من الذين كفروا انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون لو كان هؤلاء الهة
ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون ما تعبدون من دون الله
يحتمل الاصنام وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم لهم واتباعهم خطواتهم في حكم عبدتهم
ويصدقه ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش
في الحطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجلس اليهم فعرض له النضر بن الحارث
فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى افحمه ثم تلا عليهم انكم وما تعبدون من دون
الله الاية فاقبل عبد الله بن الزبعرى فراهم يتهامسون فقال فيم خوضكم فاخبره

صرف ن
قيل ٢
يقال ٧
اجزاء خ
فسر الذين ظلموا واسروا

الوليد بن المغيرة بقول رسول الله عليه السلام فقال عبد الله اما والله لو وجدته لخصمته
فدعوه فقال ابن الزبعرى انت قلت ذلك قال نعم قال قد خصمتك ورب الكعبة اليس
اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال عليه
السلام بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله تعالى ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون يعني عزيرا والمسيح والملائكة فان قلت
لم قرنوا بالهتهم قلت لانهم لا يزالون لمقارنتهم في زيادة غم وحسرة حيث
اصابهم ما اصابهم بسببهم والنظر الى وجه العدو باب من العذاب ولانهم قدروا
انهم يستشفعون بهم في الاخرة وينتفعون بشفاعتهم فاذا صادفوا الامر على عكس ما قدروا
لم يكن شيء ابغض اليهم منهم فان قلت اذا عنيت بما تعبدون الاصنام فما
معنى لهم فيها زفير قلت اذا كانوا هم واصنامهم في قرن واحد جاز ان
يقال لهم فيها زفير وان لم يكن الزافرون الا هم دون الاصنام للتغليب ولعدم الالباس
والحصب المحصوب به اي يحصب بهم في النار والحصب الرمي وقرئ بسكون الصاد
وصفا بالمصدر وقرئ حطب وحضب بالضاد متحركا وساكنا وعن ابن مسعود رضي الله
عنه يجعلون في توابيت من نار فلا يسمعون ويجوز ان يصمهم الله كما يعميهم الحسنى
الخصلة المفضلة في الحسن تانيث الاحسن اما السعادة واما البشرى بالثواب
واما التوفيق للطاعة يروى ان عليا رضي الله عنه قرا هذه الاية ثم قال انا منهم
وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم ثم وسعيد صح
اقيمت الصلاة فقام يجر رداءه وهو يقول لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت انفسهم
خالدون لا يحزنهم الفزع الاكبر والحسيس الصوت الذي يحس والشهوة طلب النفس
اللذة وقرئ لا يحزنهم من احزن والفزع الاكبر قيل النفخة الاخيرة لقوله تعالى يوم
ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض وعن الحسن رحمه الله الانصراف
الى النار وعن الضحاك حين يطبق على النار وقيل يذبح الموت على صورة كبش املح
وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون اي تستقبلهم الملائكة مهنئين على
ابواب الجنة ويقولون هذا وقت ثوابكم الذي وعدكم ربكم قد حل يوم نطوي السماء كطي
السجل للكتاب العامل في يوم نطوي لا يحزنهم او الفزع او تتلقاهم وقرئ تطوى
السماء على البناء للمفعول والسجل بوزن العتل والسجل بلفظ الدلو وروي فيه الكسر وهو
الصحيفة اي كما يطوى الطومار للكتابة اي ليكتب فيه او لما يكتب فيه لان الكتاب اصله
المصدر كالبناء ثم يوقع على المكتوب ومن جمع فمعناه للمكتوبات اي لما يكتب فيه من المعاني
الكثيرة وقيل السجل ملك يطوي كتب بني ادم اذا رفعت اليه وقيل كاتب كان لرسول
الله صلى الله عليه وسلم والكتاب على هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها كما بدانا اول خلق
نعيده اول خلق مفعول نعيد الذي يفسره نعيده والكاف مكفوفة بما والمعنى
نعيد اول الخلق كما بداناه تشبيها للاعادة بالابداء في تناول القدرة لهما على السواء
فان قلت وما اول الخلق حتى يعيده كما بداه قلت
اوله ايجاده عن العدم فكما اوجده اولا عن عدم يعيده ثانيا عن عدم فان قلت
ما بال خلق منكرا قلت هو كقولك هو اول رجل جاءني تريد اول
الرجال ولكنك وحدته ونكرته ارادة تفصيلهم رجلا رجلا فكذلك معنى اول خلق اول
الخلق بمعنى اول الخلائق لان الخلق مصدر لا يجمع ووجه اخر وهو ان ينتصب الكاف
بفعل مضمر يفسره نعيده وما موصولة اي نعيد مثل الذي بداناه نعيده واول خلق
ظرف لبدانا اي اول ما خلق او حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت في
المعنى وعدا علينا مصدر مؤكد لان قوله نعيده عدة للاعادة انا كنا فاعلين اي
قادرين على ان نفعل ذلك ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي

الصالحون

الصالحون عن الشعبي رحمه الله الزبور كتاب داود عليه السلام والذكر التوراة وقيل
يعني اسم لجنس ما انزل على الانبياء من الكتب والذكر ام الكتاب اللوح اي يرثها المؤمنون
بعد اجلاء الكفار كقوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق
الارض ومغاربها قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها
من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وعن ابن عباس رضي الله عنه هي ارض الجنة
وقيل الارض المقدسة يرثها امة محمد صلى الله عليه وسلم ان في هذا لبلاغا
لقوم عابدين الاشارة الى المذكور في هذه السورة من الاخبار والوعد والوعيد
والمواعظ البالغة والبلاغ الكفاية وما تبلغ به البغية وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
ارسل صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين لانه جاء بما يسعدهم ان اتبعوه ومن خالف
عينا ولم يتبع فانما اتي من عند نفسه حيث ضيع نصيبه منها ومثاله ان يفجر الله غديقة فيسقي
ناس زروعهم ومواشيهم بمائها فيفلحوا ويبقى ناس مفرطون عن السقي فيضيعوا فالعين
المتفجرة في نفسها نعمة ورحمة للفريقين ولكن الكسلان محنة على نفسه حيث حرمها
حيث ما ينفعها وقيل كونه رحمة للفجار من ان عقوبتهم اخرت بسببه وامنوا به عذاب
الاستئصال قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد انما لقصر الحكم على شيء او لقصر
الشيء على حكم كقولك انما زيد قائم وانما يقوم زيد وقد اجتمع المثالان في هذه الاية لان ن
انما يوحى الي مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد وانما الهكم اله واحد بمنزلة انما زيد قائم
وفائدة اجتماعهما الدلالة على ان الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقصور
على استئثار الله بالوحدانية وفي قوله فهل انتم مسلمون ان الوحي الوارد على هذا
السنن موجب ان تخلصوا التوحيد لله وان تخلعوا الانداد وفيه ان صفة الوحدانية
يصح ان يكون طريقها السمع ويجوز ان يكون المعنى ان الذي يوحى الي فتكون ما موصولة
فان تولوا فقل آذنتكم على سواء آذن منقول من اذن اذا علم ولكنه كثر استعماله
في الجري مجرى الانذار ومنه قوله تعالى فاذنوا بحرب من الله ورسوله وقول
ابن حلزة آذنتنا ببينها اسماء والمعنى اني بعد توليكم واعراضكم عن قبول ما عرض
عليكم من وجوب توحيد الله وتنزيهه عن الانداد والشركاء كرجل بينه وبين اعدائه
هدنة فاحس منهم بغدرة فنبذ اليهم العهد وشهر النبذ واشاعه وآذنهم
جميعا بذلك على سواء اي مستوين في الاعلام به لم يطوه عن احد منهم وكاشف كلهم
وقشر العصا عن لحائها وان ادري اقريب ام بعيد ما توعدون انه يعلم الجهر من القول ويعلم
ما تكتمون وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين وما توعدونه من غلبة المسلمين
عليكم كائن لا محالة ولا بد من ان يلحقكم بذلك الذلة والصغار وان كنت لا ادري متى يكون
ذلك لان الله لم يعلمني ذلك ولم يطلعني عليه والله عالم لا يخفى عليه ما تجاهرون به من كلام
الطاعنين في الاسلام وما تكتمونه في صدوركم من الاحن والاحقاد للمسلمين وهو
مجازيكم عليه وما ادري لعل تاخير هذا الموعد امتحان لكم لينظر كيف تعملون او تمتيع لكم
الى حين ليكون ذلك حجة عليكم وليقع الموعد في وقت هو فيه حكمة قال رب احكم بالحق
قرئ قل وقال على حكاية رسول الله صلى الله عليه وسلم ورب احكم على الاكتفاء بالكسرة
ورب احكم على الضم وربي احكم على افعل التفضيل وربي احكم من الاحكام امر
باستعجال العذاب لقومه فعذبوا ببدر ومعنى بالحق لا تحابهم واشدد عليهم كما هو
حقهم كما قال اشدد وطاتك على مضر وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون
قرئ تصفون بالتاء والياء كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه وكانوا
يطمعون ان تكون لهم الشوكة والغلبة فكذب الله ظنونهم وخيب امالهم
ونصر رسول الله والمؤمنين وخذلهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا اقترب للناس حسابهم حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القران

سورة الحج مكية وهي ثمان وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم الزلزلة شدة الازعاج والتحريك وان يضاعف زليل الاشياء عن مقارها ومراكزها ولا تخلوا الساعة من ان تكون على تقدير الفاعلة لها كانها هي التي تزلزل الاشياء على المجاز الحكمي فتكون الزلزلة مصدرا مضافا الى فاعله او على تقدير المفعول فيها على طريقة الاتساع في الظرف واجرائه مجرى المفعول به كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهي الزلزلة المذكورة في قوله اذا زلزلت الارض زلزالها واختلف فيها فعن الحسن انها تكون يوم القيمة وعن علقمة والشعبي عند طلوع الشمس من مغربها امرهم اولا بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها عليهم باهول صفة لينظروا الى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم حتى يبقوا على انفسهم ويرحموها من شدائد ذلك اليوم بامتثال ما امرهم به ربهم من التردي بلباس التقوى الذي لا يؤمنهم من تلك الافزاع الا ان يتردوا به وروي ان هاتين الآيتين نزلتا ليلا في غزوة بني المصطلق فقراهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير اكثر باكيا من تلك الليلة فلما اصبحوا لم يحطوا السروج على الدواب ولم يضربوا الخيام وقت النزول ولم يطبخوا قدرا وكانوا من بين حزين وباك ومفكر يوم ترونها منصوب بتذهل في قوله تذهل كل مرضعة والضمير للزلزلة وقرئ تذهل كل مرضعة على البناء للمفعول وتذهل كل مرضعة اي تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الامر مع دهشة فان قلت لم قيل مرضعة دون مرضع قلت المرضعة التي هي في حال الارضاع ملقمة ثديها الصبي والمرضع التي شانها ان ترضع وان لم تباشر الارضاع في حال وصفها به فقيل مرضعة ليدل على ان ذلك الهول اذا فوجئت به هذه وقد القمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة عما ارضعت عن ارضاعها او عن الذي ارضعته وهو الطفل وعن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع كل ذات حمل حملها وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد قرئ وتُرى بالضم من اريتك قائما او رويتك قائما والناس منصوب ومرفوع والنصب ظاهر ومن رفع جعل الناس اسم ترى وانثه على تاويل الجماعة وقرئ سكرى وسُكرى وهو نظير جوعى وعطشى في جوعان وعطشان وسُكارى وسَكارى نحو كسالى وعجالى وعن الاعمش سُكرى وسُكارى بالضم وهو غريب والمعنى وتراهم سكارى على التشبيه وما هم بسكارى على التحقيق ولكن ما ارهقهم من خوف عذاب الله هو الذي اذهب عقولهم وطير تمييزهم وردهم في نحو من حال من يذهب السكر بعقله وتمييزه وقيل وتراهم سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب فان قلت لم قيل اولا ترون ثم قيل ترى على الافراد قلت لان الرؤية اولا علقت بالزلزلة فجعل الناس جميعا رائين لها وهي معلقة اخرا بكون الناس على حال السكر فلا بد ان يجعل كل واحد منهم رائيا لسايرهم ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير قيل نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقران اساطير الاولين والله غير قادر على احياء من بلي وصار ترابا وهي عامة في كل من تعاطى الجدال فيما يجوز على الله وما لا يجوز من الصفات والافعال ولا يرجع الى علم ولا يعض فيه بضرس قاطع وليس فيه اتباع للبرهان ولا نزول على النصفة فهو يخبط خبط عشواء غير فارق بين الحق والباطل ويتبع في ذلك خطوات كل شيطان عات علم من حاله وظهر وتبين انه من جعله وليا له لم تثمر له ولايته الا الاضلال عن طريق الجنة والهداية الى النار وما ارى رؤساء

حال

اهل الاهواء والبدع والحشوية الملقبين بالامامية في دين الله الا داخلين تحت كل هذا دخولا اوليا بل هم اشد الشياطين اضلالا واقطعهم لطريق الحق حيث دونوا الضلال تدوينا ولقنوه اشياعهم تلقينا وكانهم ساطوه بلحومهم ودمائهم واياهم عني من قال

وياربّ مقفو الخطا بين قومه ۞ طريق نجاة عندهم مستو نهج
ولو قرؤوا في اللوح ما خط فيه من ۞ بيان اعوجاج في طريقته عجوا

اللهم ثبتنا على المعتقد الصحيح الذي رضيته لملائكتك في سمواتك وانبيائك في ارضك وادخلنا برحمتك في عبادك الصالحين والكتبة عليه مثل اي كانما كتب اضلال من يتولاه عليه ورقم به لظهور ذلك في حاله وقرئ انه فانه بالكسر والفتح فمن فتح فلان الاول فاعل كتب والثاني عطف عليه ومن كسر فعلى حكاية المكتوب كما هو كانما كتب عليه هذا الكلام كما تقول كتبت ان الله هو الغني الحميد او على تقدير قيل او على ان كتب فيه معنى القول يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة قرأ الحسن من البعث بالتحريك ونظيره الحلب والطرد في الحلب والطرد كانه قيل ان ارتبتم في البعث فمزيل ريبكم ان تنظروا في بدء خلقكم والعلقة قطعة الدم الجامدة والمضغة اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ والمخلقة المسواة الملساء من النقصان والعيب يقال خلق السواك والعود اذا سواه وملسه من قولهم صخرة خلقاء اذا كانت ملساء كان الله تعالى يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة املس من العيوب ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم وانما نقلناكم من حال الى حال ومن خلقة الى خلقة لنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وان من قدر على خلق البشر من تراب اولا ثم من نطفة ثانيا ولا تناسب بين التراب والماء وقدر على ان يجعل النطفة علقة وبينهما تباين ظاهر ثم يجعل العلقة مضغة والمضغة عظاما قدر على اعادة ما ابداه بل هذا ادخل في القدرة من تلك واهون في القياس وورود الفعل غير معدى الى المبين اعلام بان افعاله هذه يتبين بها من قدرته وعلمه ما لا يكتنهه الذكر ولا يحيط به الوصف ونقر في الارحام ما نشاء الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا وقرأ ابن ابي عبلة ليبين لكم ويقر بالياء وقرئ ونقر ونخرجكم بالنصب ونقر ويخرجكم بالرفع والنصب وعن يعقوب نقر بالنون وضم القاف من قر الماء اذا صبه فالقراءة بالرفع اخبار بانه يقر في الارحام ما يشاء ان يقره من ذلك الى اجل مسمى وهو وقت الوضع آخر ستة اشهر او تسعة او سنتين او اربع او كما شاء وقدر وما لم يشأ اقراره مجته الارحام او اسقطته والقراءة بالنصب تعليل معطوف على تعليل ومعناه خلقناكم مدرجين هذا التدريج لغرضين احدهما ان نبين قدرتنا والثاني ان نقر في الارحام من نقر حتى يولدوا وينشأوا ويبلغوا حد التكليف فاكلفهم ويعضد هذه القراءة قوله ثم لتبلغوا اشدكم ووحّد لان الغرض الدلالة على الجنس ويحتمل نخرج كل واحد منكم طفلا الاشد كمال القوة والعقل والتمييز وهي من الفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد كالاسدة والقتود وغير ذلك وكانها شدة في غير شيء واحد فبنيت لذلك على لفظ الجمع ومنكم من يتوفى وقرئ ومنكم من يتوفى اي يتوفاه الله ومنكم من يرد الى ارذل العمر ارذل العمر الهرم والخرف حتى يعود كهيئته الاولى في اوان طفولته ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم بين انه كما قدر على ان يرقيه في درجات الزيادة حتى يبلغه حد التمام فهو قادر على ان يحطه حتى ينتهي به الى الحالة السفلى لكيلا يعلم من بعد علم شيئا اي ليصير نساء بحيث اذا كسب علما في شيء لم ينشب ان ينساه ويزل عنه علمه حتى يسال عنه من ساعته يقول لك من هذا فتقول فلان فما يلبث لحظة الا سالك عنه وقرأ ابو عمرو العمر بسكون الميم وترى الارض هامدة الهامدة

والاباطيل

المبتة اليابسة وهذه دلالة ثانية على البعث ولظهورها وكونها مشاهدة معاينة
كررها الله في كتابه فاذا انزلنا عليها الما اهتزت وربت اهتزت وربت تحركت بالنبات
وانتفخت وقرى ربات اي ارتفعت وانبتت من كل زوج بهيج والبهيج الحسن
السار للناظر اليه ذلك بان الله هو الحق وانه يحيي الموتى وانه على كل شي قدير اي
ذلك الذي ذكرنا من خلق بني ادم واحيا الارض مع ما في تضاعيف ذلك من اصناف
الحكم واللطايف حاصل بهذا وهو السبب في حصوله ولولاه لم يتصور كونه
وهو ان الله هو الحق اي الثابت الموجود وانه قادر على احيا الموتى وعلى كل مقدور
وان الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور وانه حكيم لا يخلف
ميعاده وقد وعد البعث والساعة فلا بد ان يفي بما وعد ومن الناس من يجادل
في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير عن ابن عباس انه ابو جهل بن هشام وقيل كرر مكررات — ولا هدى
سابر الاقاصيص وقيل الاول في المقلدين وهذا في المقلدين والمراد بالعلم العلم
الضروري وبالهدى الاستدلال والنظر لانه يهدي الى المعرفة وبالكتاب المنير
الوحي اي يجادل بظن وتخمين لا باحد هذه الثلاثة ثاني عطفه ثني العطف عبارة
عن الكبر والخيلا كتصعير الخد ولي الجيد وقيل عن الاعراض عن الذكر وعن الحسن
ثاني عطفه بفتح العين اي مانع تعطفه ليضل عن سبيل الله تعليل للجدال وقرى
بضم اليا وفتحها فان قلت ما كان غرضه في جداله الضلال عن سبيل
الله فكيف علل به وما كان اهتدى حتى اذا جادل خرج بالجدال من الهدى الى الضلال
قلت لما ادى جداله الى الضلال جعل كانه غرضه ولما كان الهدى معرضا
له فتركه واعرض عنه واقبل على الجدال بالباطل جعل كالخارج من الهدى الى الضلال
له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك وان
الله ليس بظلام للعبيد وخزيه ما اصابه يوم بدر من الصغار والقتل والسبب
فيما نزل به من خزي الدنيا وعذاب الاخرة هو ما قدمت يداه وعدل الله في معاقبته
الفجار واثابته الصالحين ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمان
به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران
المبين على حرف على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم على قلق
واضطراب في دينهم لا على سكون وطمانينة كالذي يكون على طرف من العسكر فان احس
بظفر وغنيمة قر واطمان والا فر وطار على وجهه قالوا نزلت في اعاريب قدموا
المدينة فكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امراته غلاما — مبتلى
سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمان وان كان
الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابي سعيد الخدري ان رجلا
من اليهود اسلم فاصابته مصايب فتشام بالاسلام فاتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال اقلني فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت المصاب بالمحنة ترك التسليم
لقضا الله والخروج الى ما يسخط الله جامع على نفسه محنتين احديهما ذهاب
ما اصيب به والثانية ذهاب ثواب الصابرين فهو خسران الدارين وقرى خاسر
الدنيا والاخرة بالنصب والرفع فالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع
الظاهر موضع الضمير وهو وجه حسن او على انه خبر مبتدا محذوف يدعوا
من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد استعير الضلال البعيد — التيه
من ضلال من ابعد في التيه ضالا فطالت وبعدت مسافة ضلالته يدعوا لمن ضره اقرب
من نفعه فان قلت الضر والنفع منفيان عن الاصنام مثبتان لها
في الايتين وهذا تناقض قلت اذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم
وذلك ان الله تعالى سفه الكافر بانه يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو يعتقد

فيه بجهله وضلاله انه يستنفع به حين يستشفع به ثم قال يوم القيمة يقول هذا
الكافر بدعا وصراخ حين يرى استضراره بالاصنام ودخوله النار بعبادتها ولا يرى
اثر الشفاعة التي ادعاها لها لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير
او كرر يدعو كانه قال يدعو يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ثم قال لمن ضره بغير
لا يكونه معبودا اقرب من نفعه بكونه شفيعا لبئس المولى وفي حرف عبد الله من ضره
بغير لام المولى الناصر والعشير الصاحب كقوله فبئس القرين ان الله يدخل الذين
امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد من كان
يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والاخرة فليمدد بسبب الى السما ثم ليقطع فلينظر هل
يذهبن كيده ما يغيظ هذا كلام قد دخله اختصار والمعنى ان الله ناصر رسوله في الدنيا
والاخرة فمن كان يظن من حاسديه واعاديه ان الله يفعل خلاف ذلك ويطمع فيه ويغيظه
انه لا يظفر بمطلوبه فليستقص وسعه وليستفرغ مجهوده في ازالة ما يغيظه بان يفعل ما يفعل
من بلغ منه الغيظ كل مبلغ حتى مد حبلا الى سما بيته فاختنق فلينظر وليصور في نفسه
انه ان فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي يغيظه وسمي الاختناق قطعا لان المختنق
يقطع نفسه بحبس مجاريه ومنه قيل للبهر القطع وسمي فعله كيدا لانه وضعه
موضع الكيد حيث لم يقدر على غيره او على سبيل الاستهزا لانه لم يكد به محسوده
انما كاد به نفسه والمراد ليس في يده الا ما ليس بمذهب لما يغيظ وقيل فليمدد بحبل
الى السما المظلة وليصعد اليه فليقطع الوحي ان ينزل عليه وقيل كان قوم من المسلمين
لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطون ما وعد الله رسوله من النصر
واخرون من المشركين يريدون اتباعه ويخشون ان لا يثبت امره فنزلت وقد فسر النصر
بالرزق وقيل معناه ان الارزاق بيد الله لا تنال الا بمشيته ولا بد للعبد من الرضى
بقسمته فمن ظن ان الله غير رازقه وليس به صبر واستسلام فليبلغ غاية الجزع
وهو الاختناق فان ذلك لا يقلب القسمة ولا يرده مرزوقا وكذلك انزلناه ايات
بينات وان الله يهدي من يريد اي ومثل ذلك الانزال انزلنا القران كله ايات بينات
ولان الله يهدي به الذين يعلم انهم يؤمنون او يثبت الذين امنوا ويزيدهم هدى انزله
كذلك مبينا ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين
اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيمة ان الله على كل شي شهيد الفصل مطلق
يحتمل الفصل بينهم في الاحوال والاماكن جميعا فلا يجازيهم جزا واحدا بغير تفاوت
ولا يجمعهم في موطن واحد وقيل الاديان خمسة اربعة للشيطان وواحد للرحمن
جعل الصابئون مع النصارى لانهم نوع منهم وقيل يفصل بينهم يقضي بينهم اي بين المؤمنين — مبني
والكافرين وادخلت ان على كل واحد من جزئي الجملة لزيادة التاكيد ونحوه قول جرير
ان الخليفة ان الله سربله سربال ملك به ترجى الخواتيم
الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال
والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب سميت مطاوعتها له فيما يحدث
فيها من افعاله ويجريها عليه من تدبيره وتسخيره لها سجودا له تشبيها لمطاوعتها بادخال افعال
المكلف في باب الطاعة والانقياد وهو السجود الذي كل خضوع دونه فان قلت
فما تصنع بقوله وكثير من الناس وبما فيه من الاعتراضين احدهما ان السجود على المعنى الذي
فسرته به لا يسجد بعض الناس دون بعض والثاني ان السجود قد اسند على سبيل
العموم الى من في الارض من الانس والجن اولا فاسناده الى كثير منهم اخرا مناقضة
قلت لا انظمه في سلك المفردات المتناسقة الداخلة تحت حكم الفعل وانما ارفعه — مبني
بفعل مضمر يدل عليه قوله يسجد اي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة
ولم اقل افسر يسجد الذي هو ظاهر بمعنى الطاعة والعبادة في حقهم لان اللفظ

الواحد لا يصح استعماله في حالة واحدة على معنيين مختلفين او رفعه على الابتدا والخبر محذوف
ولا ولان مقابله يدل عليه وهو قوله حق عليه العذاب ويجوز ان يجعل من الناس
خبرا له اي من الناس الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون ويجوز
ان يبالغ في تكثير المحقوقين بالعذاب فيعطف كثير على كثير ثم يخبر عنهم بحق عليهم
العذاب كانه قيل وكثير من الناس حق عليهم العذاب وقرئ حق بالضم وقرئ حقا
اي حق عليه العذاب حقا ومن يهن الله فما له من مكرم ومن اهانه الله فقد كتب
عليه الشقاوة لما سبق في علمه من كفره او فسقه فقد بقي مهانا لن يجد له مكرما وقرئ
مكرم بفتح الراء بمعنى الاكرام ان الله يفعل ما يشاء انه يفعل ما يشاء من
الاكرام والاهانة ولا يشاء من ذلك الا ما تقتضيه عمل العاملين واعتقاد المعتقدين
هذان خصمان اختصموا الخصم صفة وصف بها الفوج او الفريق فكانه قيل هذان
فوجان او فريقان مختصمان وقوله هذان للفظ واختصموا للمعنى كقوله ومنهم
من يستمع اليك حتى اذا خرجوا ولو قيل خصمان او اختصما جاز يراد المومنون
والكافرون وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما رجع الى اهل الاديان الستة
في ربهم اي في دينه وصفاته وروي ان اهل الكتاب قالوا للمومنين نحن احق
بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المومنون نحن احق بالله امنا
بمحمد وامنا بنبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه
وكفرتم به حسدا فهذه خصومتهم في ربهم فالذين كفروا هو فصل الخصومة المعني
بقوله ان الله يفصل بينهم يوم القيمة وفي رواية عن الكسائي خصمان بالكسر
قطعت لهم ثياب من نار وقرئ قطعت بالتخفيف كان الله تعالى يقدر لهم نيرانا
على مقادير جثثهم تشتمل عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة ويجوز ان تظاهر
على كل واحد منهم تلك النيران كالثياب المظاهرة على اللابس بعضها فوق بعض
ونحوه سرابيلهم من قطران يصب من فوق رؤسهم الحميم الماء الحار عن
ابن عباس لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لاذابتها يصهر به ما في بطونهم
والجلود يذاب وعن الحسن بتشديد الها للمبالغة اي اذا صب الحميم على
رؤسهم كان تاثيره في الباطن نحو تاثيره في الظاهر فيذيب امعاءهم ٣ ولهم مقامع
من حديد المقامع السياط في الحديث لو وضعت مقمعة منها في الارض فاجتمع
عليها الثقلان ما اقلوها كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها
وفي الاعمش ردوا فيها والاعادة والرد لا يكون الا بعد الخروج فالمعنى كلما ارادوا
ان يخرجوا منها من غم يخرجون اعيدوا فيها ومعنى الخروج ما روي عن الحسن ان النار
تضربهم بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا في اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها
سبعين خريفا وذوقوا عذاب الحريق وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق والحريق
الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا
الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ولولو
ولباسهم فيها حرير يحلون عن ابن عباس من حليت المراة فهي حال ولولوا بالنصب
على ويؤتون لولوا كقوله وحورا عينا ولؤلوا بقلب الهمزة الثانية واوا ولوليا
بقلبهما واوين عن ابن عباس وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد
وهداهم الله والهمهم ان يقولوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وهداهم الى طريق
الجنة ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام يقال فلان
يحسن الى الفقراء وينعش المضطهدين لا يراد حال ولا استقبال وانما يراد
استمرار وجود الاحسان منه والنعشة في جميع ازمنته واوقاته ومنه قوله
ويصدون عن سبيل الله اي الصدود منهم مستمر الذي جعلناه للناس

خبر ٩
تكثير
وكثير
مثابٌ
هؤلاء ٢
بصبه من فوق رؤسهم الحميم
٣
امعاءهم كما يذيب جلودهم وهو ابلغ من قوله وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم صح
لولوا ٢
ثم بقلب الثانية ياء كادل ولولو كادل حر ولولو ولبليا بقلبهما يائين صح

سواء العاكف فيه والباد للناس اي الذين يقع عليهم اسم الناس من غير فرق بين حاضر
وباد وتانئ وطارئ ومكي وآفاقي وقد استشهد به اصحاب ابي حنيفة رحمهم الله
قائلين ان المراد بالمسجد الحرام مكة على امتناع جواز بيع دور مكة واجارتها وعند
الشافعي رحمه الله لا يمتنع ذلك وقد حاور اسحق بن راهويه فاحتج بقوله الذين
اخرجوا من ديارهم وقال انسب الديار الى مالكيها او غير مالكيها واشترى عمر رضي
الله عنه دار السجن من مالكيه او غير مالكيه سواء بالنصب قراءة حفص والباقون
على الرفع ووجه النصب انه ثاني مفعولي جعلناه اي جعلناه مستويا العاكف
فيه والباد وفي القراءة بالرفع الجملة مفعول ثان ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه
من عذاب اليم الالحاد العدول عن القصد واصله الحاد الحافر وقوله بالحاد بظلم
حالان مترادفان ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول كانه قال ومن يرد
فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما نذقه من عذاب اليم يعني ان الواجب
على كل من كان فيه ان يضبط نفسه ويسلك طريق السداد والعدل في جميع ما يهم
به ويقصده وقيل الالحاد في الحرم منع الناس عن عمارته وعن سعيد بن جبير الاحتكار ر
وعن عطا قول الرجل في المبايعة لا والله وبلى والله وعن عبد الله بن عمر انه كان له فسطاطان
احدهما في الحل والاخر في الحرم فاذا اراد ان يعاتب اهله عاتبهم في الحل فقيل له
فقال كنا نحدث ان من الالحاد فيه ان يقول الرجل لا والله وبلى والله وقرئ
يرد بفتح الياء من الورود ومعناه من اتى فيه بالحاد ظالما وعن الحسن ومن يرد
الحاده بظلم اراد الحادا فيه فاضافه على الاتساع في الظرف كمكر الليل
ومعناه من يرد ان يلحد فيه ظالما وخبر ان محذوف لدلالة جواب الشرط عليه
تقديره ان الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب اليم
وكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك ٧ واذ بوانا لابراهيم مكان البيت ان لا تشرك
بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود واذكر حين جعلنا لابراهيم
مكان البيت مباءة اي مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة رفع البيت الى السماء
ايام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فاعلم الله ابراهيم عليه السلام مكانه
بريح ارسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله فبناه على البناء القديم وان هي
المفسرة فان قلت كيف يكون النهي عن الشرك والامر بتطهير
البيت تفسيرا للتبوئة قلت كانت التبوئة مقصودة من اجل العبادة ده
فكانه قيل تعبدنا ابراهيم قلنا لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي من الاصنام ولا وثان
والاقذار ان تطرح حوله وقرئ يشرك بالياء على الغيبة واذن في الناس بالحج
نادهم وقرا ابن محيصن وآذن والنداء بالحج ان يقول حجوا وعليكم بالحج وروي
انه صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم وعن الحسن انه خطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر ان يفعل ذلك في حجة الوداع ياتوك رجالا مشاة
جمع راجل كقائم وقيام وقرئ رجالا بضم الراء مخفف الجيم ومثقله ورجالى
كعجالى عن ابن عباس وعلى كل ضامر حال معطوفة على حال كانه قيل رجالا وركبانا
ياتين من كل فج عميق صفة لكل ضامر لانه في معنى الجمع وقرئ ياتون صفة للرجال
والركبان والعميق البعيد وقرا ابن مسعود معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعق
ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة
الانعام فكلوا منها نكر المنافع لانه اراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية
ودنياوية لا توجد في غيرها من العبادات وعن ابي حنيفة رحمه الله انه كان يفاضل
بين العبادات قبل ان يحج فلما حج فضل الحج على العبادات كلها لما شاهد من تلك
الخصائص وكنى عن النحر والذبح بذكر اسم الله لان اهل الاسلام لا ينفكون عن

ثنا بالبدو نحو القطنه والتانئ من ذلك مختار
عن ابن مسعود الهمة في الحرم تكتب ذنبا
اشبه
قال

ذكر اسمه اذا نحر واو ذبحوا وفيه تنبيه على ان الغرض الاصلي فيما يتقرب به الى الله ان يذكر
اسمه وقد حسن الكلام تحسينا بينا ان جمع بين قوله ليذكروا اسم الله عليه وقوله على
ما رزقهم ولو قيل لينحروا في ايام معلومات بهيمة الانعام لم تر شيئا من ذلك الحسن
والروعة الايام المعلومات ايام العشر عند ابي حنيفة رحمه الله وهو قول الحسن وقتادة
وعند صاحبيه هي ايام النحر البهيمة مبهمة في كل ذات اربع في البر والبحر فبينت بالانعام
وهي الابل والبقر والضان والمعز الامر بالاكل منها امر اباحة لان اهل الجاهلية كانوا لا ياكلون
من نسائكهم ويجوز ان يكون ندبا لما فيه من مساواة الفقراء ومواساتهم ومن استعمال
التواضع ومن ثم استحب الفقهاء ان ياكل الموسع من اضحيته مقدار الثلث وعن ابن
مسعود رضي الله عنه انه بعث بهدي وقال فيه اذا نحرته فكل وتصدق وابعث
منه الى عتبة يعني ابنه وفي الحديث كلوا وادخروا وائتجروا واطعموا البائس الفقير
البائس الذي اصابه بوس اي شدة والفقير الذي اضعفه الاعسار ثم ليقضوا تفثا تفثهم
التفث قص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد والتفث الوسخ فالمراد
قضاء ازالة التفث وليوفوا وقرئ وليوفوا بتشديد الفاء نذورهم مواجب حجهم
او ما عسى ينذرونه من اعمال البر في حجهم وليطوفوا طواف الافاضة وهو طواف
الزيارة الذي هو من اركان الحج ويقع به تمام التحلل وقيل طواف الصدر وهو
طواف الوداع بالبيت العتيق القديم لانه اول بيت وضع للناس عن الحسن وعن
قتادة اعتق من الجبابرة كم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله وعن مجاهد لم يملك
وعن مجاهد اعتق من الغرق وقيل بيت كريم من قولهم عتاق الخيل والطير فان
قلت قد تسلط عليه الحجاج فلم يمنع قلت ما قصد
التسلط على البيت وانما تحصن به ابن الزبير فاحتال لاخراجه ثم بناه ولما قصد التسلط
عليه ابرهة فعل به ما فعل ذلك خبر مبتدا محذوف اي الامر والشان ذلك كما يقدم
الكاتب جملة من كتابه في بعض المعاني ثم اذا اراد الخوض في معنى اخر قال هذا وقد كان
كذا ومن يعظم حرمات الله والحرمة ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله عز وجل
بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها فيحتمل ان يكون عاما في جميع تكاليفه ويحتمل
ان يكون خاصا فيما يتعلق بالحج وعن زيد بن اسلم الحرمات خمس الكعبة الحرام
والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم حتى يحل فهو خير له عند ربه
فالتعظيم خير له ومعنى التعظيم العلم بانها واجبة المراعاة والحفظ والقيام بمراعاتها
واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم المتلو لا يستثنى من الانعام ولكن المعنى الا
ما يتلى عليكم اية تحريمه وذلك قوله في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والمعنى
ان الله قد احل لكم الانعام كلها الا ما استثناه في كتابه فحافظوا على حدوده واياكم
ان تحرموا مما احل شيئا كتحريم عبدة الاوثان البحيرة والسائبة وغير ذلك وان
تحلوا مما حرم كاحلالهم اكل الموقوذة والميتة وغير ذلك فاجتنبوا الرجس من
الاوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به لما حث على تعظيم حرماته واحمد
من يعظمها اتبعه الامر باجتناب الاوثان وقول الزور لان توحيد الله ونفي الشركاء
عنه وصدق القول اعظم الحرمات واسبقها خطوا وجمع الشرك وقول الزور
في قرن واحد وذلك ان الشرك من باب الزور لان المشرك زاعم ان الوثن تحق له العبادة
فكانه قال فاجتنبوا عبادة الاوثان التي هي راس الزور واجتنبوا قول الزور كله لا تقربوا
شيئا منه لتماديه في القبح والسماجة وما ظنك بشيء من قبيله عبادة الاوثان
وسمى الاوثان رجسا وكذلك الخمر والميسر والازلام على طريق التشبيه يعني
انكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس وتجتنبونه فعليكم ان تنفروا عن هذه الاشياء
مثل تلك النفرة ونبه على هذا المعنى بقوله رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه

جعل العلة في اجتنابه انه رجس والرجس مجتنب من الاوثان بيان للرجس وتمييز له كقولك
عندي عشرون من الدراهم لان الرجس مبهم يتناول غير شيء كانه قيل فاجتنبوا الرجس
الذي هو الاوثان والزور من الزور والازورار وهو الانحراف كما ان الافك من افكه اذا
صرفه وقيل قول الزور قولهم هذا حلال وهذا حرام وما اشبه ذلك من افترائهم
وقيل شهادة الزور عن النبي صلى الله عليه وسلم انه صلى الصبح فلما سلم قام قائما واستقبل
الناس بوجهه وقال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله عدلت شهادة الزور الاشراك
بالله عدلت شهادة الزور الاشراك بالله وتلا هذه الاية وقيل الكذب والبهتان
وقيل قول اهل الجاهلية في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه
وما ملك ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان
سحيق يجوز في هذا التشبيه ان يكون من المركب والمفرق فان كان تشبيها مركبا
فكانه قال من اشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا ليس بعده بان صور حاله
بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق مزعا في حواصلها او عصفت
به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان
في علوه بالسماء والذي ترك الايمان واشرك بالله بالساقط من السماء والاهواء التي
تتوزع افكاره بالطير المختطفة والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة
بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة وقرئ فتخطفه وبكسر الخاء
والطاء وبكسر التاء مع كسرهما وهي قراءة الحسن واصلها تختطفه وقرئ الرياح
ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب تعظيم الشعائر وهي الهدايا
لانها من معالم الحج ان يختارها عظام الاجرام حسانا سمانا غالية الاثمان ويترك المكاس
في شرائها فقد كانوا يغالون في ثلاث ويكرهون المكاس فيهن الهدي والاضحية والرقبة
وروى ابن عمر عن ابيه رضي الله عنهما انه اهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار فسال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل
اهدها واهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه
برة من ذهب وكان ابن عمر يسوق البدن مجللة بالقباطي فيتصدق بلحومها وبجلالها
ويعتقد ان طاعة الله في التقرب بها واهدائها الى بيته المعظم امر عظيم لا بد ان يقام
به ويسارع اليه فانها من تقوى القلوب فان تعظيمها من افعال ذوي تقوى
القلوب فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم المعنى الا بتقديرها لانه لا بد من
راجع من الجزاء الى من ليرتبط به وانما ذكرت القلوب لانها مراكز التقوى التي
اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر اثرها على سائر الاعضاء لكم فيها منافع الى اجل مسمى
الى ان تنحر ويتصدق بلحومها ويؤكل منها ثم محلها الى البيت العتيق ثم للتراخي
في الوقت فاستعيرت للتراخي في الاحوال والمعنى ان لكم في الهدايا منافع كثيرة في
دنياكم ودينكم وانما يعتد الله بالمنافع الدينية قال سبحانه تريدون عرض الدنيا
والله يريد الاخرة واعظم هذه المنافع وابعدها شوطا في النفع محلها الى البيت
اي وجوب نحرها او وقت وجوب نحرها منتهية الى البيت كقوله هديا بالغ الكعبة
والمراد نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت لان الحرم هو حريم البيت ومثل
هذا في الاتساع قولك بلغنا البلد وانما شارفتموه واتصل مسيركم بحدوده
وقيل المراد بالشعائر المناسك كلها ومحلها الى البيت العتيق يأباه ولكل امة جعلنا
منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام شرع الله لكل امة ان ينسكوا
له اي يذبحوا لوجهه على وجه التقرب وجعل العلة في ذلك ان يذكر اسمه تقدست
اسماؤه على النسائك وقرئ منسكا بفتح السين وكسرها وهو مصدر بمعنى النسك
والمكسور يكون بمعنى الموضع فالهكم اله واحد فله اسلموا اي اخلصوا له الذكر خاصة

واجعلوه لوجهه سالما اي خالصا لا تشوبوه باشراك وبشر المخبتين المخبتون
المتواضعون الخاشعون من الخبت وهو المطمئن من الارض وقيل هم الذين
لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على
ما اصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون وقرا الحسن والمقيمي الصلاة
بالنصب على تقدير النون وقرا ابن مسعود والمقيمين الصلاة على الاصل والبدن جعلناها لكم
البدن جمع بدنة سميت لعظم بدنها وهي الابل خاصة ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحق البقر بالابل حين قال البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة فجعل البقر في حكم
الابل صارت البدنة في الشريعة متناولة للجنسين عند ابي حنيفة واصحابه رحمهم
الله والا فالبدن هي الابل وعليه تدل الاية وقرا الحسن والبدن بضمتين كثمر في جمع
ثمرة وابن ابي اسحق بضمتين وتشديد النون على لفظ الوقف وقرا بالنصب والرفع
كقوله والقمر قدرناه من شعائر الله اي من اعلام الشريعة التي شرعها الله واضافتها
الى اسمه تعظيم لها لكم فيها خير كقوله لكم فيها منافع ومن شان الحاج ان يحرص
على شيء فيه خير ومنافع بشهادة الله عن بعض السلف انه لم يملك الا تسعة دنانير فاشترى
بها بدنة فقيل له في ذلك فقال سمعت ربي يقول لكم فيها خير وعن ابن عباس دنيا
واخرة وعن ابراهيم من احتاج الى ظهرها ركب ومن احتاج الى لبنها شرب فاذكروا
اسم الله عليها ان يقول عند النحر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر
اللهم منك واليك صواف قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن من صفون
الفرس وهو ان يقوم على ثلاث وينصب الرابعة على طرف سنبكه لان البدنة تعقل احدى
يديها فتقوم على ثلاث وقرئ صوافي اي خوالص لوجه الله تعالى وعن عمرو بن عبيد
رحمه الله صوافنا بالتنوين عوضا عن حرف الاطلاق عند الوقف وعن بعضهم صوافي
نحو مثل العرب اعط القوس باريها بسكون الياء فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا
القانع والمعتر وجوب الجنوب وقوعها على الارض من وجب الحائط وجبة اذا سقط
ووجبت الشمس جبة غربت والمعنى فاذا وجبت جنوبها وسكنت نسائسها حل لكم
الاكل منها والاطعام القانع السائل من قنعت اليه وكنعت اذا خضعت له وسالته
قنوعا والمعتر المعترض بغير سؤال او القانع الراضي بما عنده وبما يعطى من غير سؤال
من قنعت قنعا وقناعة والمعتر المعترض بالسؤال وقرا الحسن والمعتري وعره وعراه
واعتره واعتراه بمعنى وقرا ابو رجاء القنع وهو الراضي لا غير يقال قنع فهو قنع
وقانع كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون منّ الله على عباده واستحمد اليهم بان سخر لهم البدن
مثل التسخير الذي راوا وعلموا ياخذونها منقادة للاخذ طيعة فيعقلونها ويحبسونها
صافة قوائمها ثم يطعنون في لباتها ولولا تسخير الله لم تطق ولم تكن باعجز من بعض
الوحوش التي هي اصغر منها جرما واقل قوة وكفى بما يتابد من الابل شاهدا وعبرة
لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم اي لن يصيب رضى الله اللحوم المتصدق
بها ولا الدماء المهراقة بالنحر والمراد اصحاب اللحوم والدماء والمعنى لن يرضي المضحون والمتقربون
ربهم الا بمراعاة النية والاخلاص والاحتفاظ بشروط التقوى في حل ما قرب به وغير ذلك
من المحافظات الشرعية واوامر الورع فاذا لم يراعوا ذلك لم تغن عنهم التضحية والتقرب
وان كثر ذلك منهم وقرئ لن تنال ولكن تناله بالتاء والياء وقيل كان اهل الجاهلية اذا نحروا
البدن نضحوا الدماء حول البيت ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون ارادوا مثل ذلك
فنزلت كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين كرر تذكير النعمة بالتسخير
ثم قال لتكبروا الله على هدايته اياكم لاعلام دينه ومناسك حجه بان تكبروا وتهللوا فاختصر
الكلام بان ضمن التكبير معنى الشكر وعدي تعديته ان الله يدافع عن الذين امنوا
ان الله لا يحب كل خوان كفور خص المؤمنين بدفعه عنهم ونصرته لهم كما قال انا لننصر رسلنا

على الاصل

٦ يملك

لتسبح

والذين امنوا وقال انهم لهم المنصورون واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وجعل العلة
في ذلك انه لا يحب اضدادهم وهم الخونة الكفرة الذين يخونون الله ورسوله ويخونون اماناتهم
ويكفرون نعم الله ويغمطونها ومن قرا يدافع فمعناه يبالغ في الدفع عنهم كما يبالغ من يغالب
فيه لان فعل المغالب يجيء اقوى وابلغ اذن للذين يقاتلون اذن ويقاتلون قرئ على
لفظ المبني للفاعل والمفعول جميعا والمعنى اذن لهم في القتال فحذف المأذون فيه لدلالة
يقاتلون عليه بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير اي بسبب كونهم مظلومين وهم اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مشركوا مكة يؤذونهم اذى شديدا وكانوا ياتون رسول
الله من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى
هاجر فانزلت هذه الاية وهي اول اية اذن فيها بالقتال بعدما نهي عنه في نيف
وسبعين اية وقيل نزلت في قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركوا مكة فاذن لهم
في مقاتلتهم والاخبار بكونه قادرا على نصرهم عدة منه بالنصر واردة على سنن كلام الجبابرة
وما مر من دفعه عن الذين امنوا مؤذن بمثل هذه العدة ايضا الذين اخرجوا من ديارهم
بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ان يقولوا في محل الجر على الابدال من حق اي بغير موجب
سوى التوحيد الذي ينبغي ان يكون موجب الاقرار والتمكين لا موجب الاخراج والتسيير
ومثله هل تنقمون منا الا ان امنا بالله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض
لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا دفع الله بعض الناس
ببعض اظهاره وتسليطه المؤمنين منهم على الكافرين بالمجاهدة ولولا ذلك لاستولى
المشركون على اهل الملل المختلفة في ازمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا
للنصارى بيعا ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات ولا للمسلمين مساجد او لغلب
المشركون في امة محمد صلى الله عليه وسلم على المسلمين وعلى اهل الكتاب
الذين في ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين وقرئ دفاع ولهدمت بالتخفيف وسميت
الكنيسة صلوات لانه يصلى فيها وقيل هي كلمة معربة اصلها بالعبرانية صلوثا
ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز من ينصره اي من ينصر دينه واولياءه الذين
ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر
هو اخبار من الله تعالى بظهر الغيب عما ستكون عليه سيرة المهاجرين رضوان الله تعالى
عليهم ان مكنهم في الارض وبسط لهم في الدنيا وكيف يقومون بامر الدين وعن
عثمان رضي الله عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد ان الله قد اثنى عليهم قبل ان
يحدثوا من الخير ما احدثوا وقالوا فيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين
لان الله لم يعط التمكين ونفاذ الامر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لا حظ
في ذلك للانصار والطلقاء وعن الحسن هم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل
الذين منصوب بدل من قوله من ينصره والظاهر انه مجرور تابع للذين اخرجوا ولله
عاقبة الامور اي مرجعها الى حكمه وتقديره وفيه تاكيد لما وعده من اظهار اوليائه
واعلاء كلمتهم وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم
وقوم لوط واصحاب مدين وكذب موسى فامليت للكافرين ثم اخذتهم يقول
لرسوله صلى الله عليه وسلم تسلية له لست باوحدي بالتكذيب فقد كذب بالرسل
قبلك اقوامهم وكفاك بهم اسوة فان قلت لم قيل وكذب
موسى ولم يقل وقوم موسى قلت لان موسى ما كذبه قومه بنو اسرائيل
وانما كذبه غير قومه وهم القبط وفيه شيء اخر كانه قيل بعدما ذكر تكذيب كل قوم
رسولهم وكذب موسى ايضا مع وضوح اياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره فكيف كان نكير
النكير بمعنى الانكار والتغيير حيث ابدلهم بالنعمة محنة وبالحياة هلاكا وبالعمارة
خرابا كل مرتفع اظلك من سقف بيت او خيمة او ظلة او كرم فهو عرش والخاوي

ع

٧ فكأين من قرية اهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية
على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد

الساقط من خوى النجم اذا سقط او الخالي من خوى المنزل اذا خلا من اهله وخوى بطن الحامل
وقوله على عروشها لا يخلو من ان يتعلق بخاوية فيكون المعنى انها ساقطة على سقوفها
اي خرت سقوفها على الارض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف او انها ساقطة
او خالية مع بقاء عروشها او قائمة مظلة على عروشها على معنى ان السقوف سقطت
على الارض فصارت في قرار الحيطان وبقيت الحيطان مائلة فهي مشرفة على السقوف
الساقطة فكاين من قرية اهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر
مشيد فان قلت ما محل الجملتين من الاعراب اعني وهي ظالمة فهي خاوية
قلت الاولى في محل النصب على الحال والثانية لا محل لها لانها معطوفة
على اهلكناها وهذا الفعل ليس له محل قرأ الحسن معطلة من اعطله بمعنى عطله
ومعنى المعطلة انها عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء الا انها عطلت اي تركت
لا يستقى منها لهلاك اهلها والمشيد المجصص او المرفوع البنيان والمعنى كم قرية اهلكنا
وكم بئر عطلنا عن سقاتها وقصر مشيد اخليناه عن ساكنيه فترك ذلك لدلالة معطلة
عليه وفي هذا دليل على ان على عروشها بمعنى مع اوجه وروي ان هذه بئر نزل عليها صالح على
عليه السلام مع اربعة آلاف نفر ممن آمن به ونجاهم الله من العذاب وهي بحضرموت
وانما سميت بذلك لان صالحا حين حضرها مات وثم بلدة عند البئر اسمها حاضوراء بناها
قوم صالح وامروا عليهم جلهس بن جلاس واقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما وارسل
الله تعالى اليهم حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه فاهلكهم الله وعطل بئرهم وخرب
قصورهم افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او آذان يسمعون بها
يحتمل انهم لم يسافروا فحثوا على السفر ليروا مصارع من اهلكهم الله بكفرهم ويشاهدوا
آثارهم فيعتبروا وان يكونوا قد سافروا وراوا ذلك ولكن لم يعتبروا فجعلوا كأن لم
يسافروا ولم يروا وقرئ فيكون لهم قلوب بالياء يعقلون ما يجب ان يعقل
من التوحيد ويسمعون ما يجب سماعه من الوحي فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى
القلوب التي في الصدور فانها الضمير ضمير الشان والقصة يجيء مذكرا ومؤنثا وفي قراءة
ابن مسعود فانه ويجوز ان يكون ضميرا مبهما يفسره الابصار وفي تعمى راجع اليه والمعنى
ان ابصارهم صحيحة سالمة لا عمى بها وانما العمى بقلوبهم او لا يعتد بعمى الابصار
فكانه ليس بعمى بالاضافة الى عمى القلوب فان قلت اي فائدة
في ذكر الصدور قلت الذي قد تعورف واعتقد ان العمى على الحقيقة
مكانه البصر وهو ان تصاب الحدقة بما يطمس نورها واستعماله في القلب استعارة
ومثل فلما اريد اثبات ما هو خلاف المعتقد من نسبة العمى الى القلوب حقيقة ونفيه
عن الابصار احتاج هذا التصوير الى زيادة تعيين وفضل تعريف ليتقرر ان مكان
العمى هو القلوب لا الابصار كما تقول ليس المضاء للسيف ولكنه للسانك الذي بين
فكيك تقرير لما ادعيته للسانه وتثبيت لان محل المضاء هو هو لا غير وكانك
قلت ما نفيت المضاء للسيف واثبته للسانك فلتة ولا سهوا مني ولكن تعمدت
به اياه بعينه تعمدا ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك
كالف سنة مما تعدون انكر استعجالهم بالمتوعد به من العذاب العاجل او الآجل كانه
قال ولم يستعجلون به كانهم يجوزون الفوت وانما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه
الخلف والله عز وعلا لا يخلف الميعاد وما وعده ليصيبنهم ولو بعد حين وهو
سبحانه حليم لا يعجل ومن حلمه ووقاره واستقصاره المدد الطوال ان يوما
واحدا عنده كالف سنة عندكم وقيل معناه كيف يستعجلون بعذاب من يوم
واحد من ايام عذابه في طول الف سنة من سنيكم لان ايام الشدائد مستطالة
او كان ذلك اليوم الواحد لشدة عذابه كالف سنة من سني العذاب وقيل ولن

يخلف الله وعده في النظرة والامهال وقرئ تعدون بالياء والتاء ثم قال وكاين من قرية امليت
لها وهي ظالمة ثم اخذتها والي المصير اي وكم من اهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد انظرتهم حينا
ثم اخذتهم بالعذاب والمرجع الي والى حكمي فان قلت لم كانت
الاولى معطوفة بالفاء وهذه بالواو قلت الاولى وقعت بدلا
عن قوله فكيف كان نكير واما هذه فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين
بالواو اعني قوله ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة قل يا ايها
الناس انما انا لكم نذير مبين فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم والذين
سعوا في آياتنا معاجزين اولئك اصحاب الجحيم يقال سعيت في امر فلان اذا اصلحته
او افسدته بسعيك وعاجزه سابقه لان كل واحد منهما في طلب اعجاز الآخر عن اللحاق
به فاذا سبقه قيل اعجزه وعجزه والمعنى سعوا في معناها بالفساد من الطعن
فيها حيث سموها سحرا وشعرا واساطير ومن تثبيط الناس عنها سابقين او مسابقين
في زعمهم وتقديرهم طامعين ان كيدهم للاسلام يتم لهم فان قلت
كان القياس ان يقال انما انا لكم بشير ونذير لذكر الفريقين بعده قلت ٧ انا لكم
الحديث مسوق الى المشركين ويا ايها الناس نداء لهم وهم الذين قيل فيهم افلم يسيروا في الارض
ووصفوا بالاستعجال وانما اقحم المؤمنون وثوابهم ليغاظوا وما ارسلنا من قبلك
من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته قوله من رسول ولا نبي دليل بين
على تغاير الرسول والنبي وعن النبي عليه السلام انه سئل عن الانبياء فقال مائة الف
واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا
والفرق بينهما ان الرسول من الانبياء من جمع الى المعجزة الكتاب المنزل عليه والنبي ٨ غير الرسول من لم
ينزل عليه كتاب وانما امر ان يدعو الى شريعة من قبله والسبب في نزول هذه
الآية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اعرض عنه قومه وشاقوه وخالفه
عشيرته ولم يشايعوه على ما جاء به تمنى لفرط ضجره من اعراضهم ولحرصه وتهالكه
على اسلامهم ان لا ينزل عليه ما ينفرهم لعله يتخذ ذلك طريقا الى استمالتهم
واستنزالهم عن غيهم وعنادهم فاستمر به ما تمناه حتى نزلت عليه سورة والنجم
وهو في نادي قومه وذلك التمني في نفسه فاخذ يقرؤها فلما بلغ قوله ومناة الثالثة
الاخرى القى الشيطان في امنيته التي تمناها اي وسوس اليه بما شيعها به فسبق لسانه
على سبيل السهو والغلط الى ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى
وروي الغرانقة ولم يفطن له حتى ادركته العصمة فتنبه عليه وقيل نبهه جبريل
عليه السلام او تكلم الشيطان بذلك فاسمعه الناس فلما سجد في آخرها سجد معه
جميع من في النادي وطابت نفوسهم وكان تمكين الشيطان من ذلك محنة من الله وابتلاء
زاد المنافقون به شكا وظلمة والمؤمنون نورا وايقانا والمعنى ان الرسل والانبياء
من قبلك كانت هجيراهم كذلك اذا تمنوا مثل ما تمنيت مكن الله الشيطان ليلقي في اماناتهم
مثل ما القى في امنيتك ارادة امتحان من حولهم والله سبحانه له ان يمتحن عباده
بما شاء من صنوف المحن وانواع الفتن ليضاعف ثواب الثابتين ويزيد في عقاب
المذبذبين وقيل تمنى قرأ وانشد

تمنى كتاب الله اول ليلة * تمنى داود الزبور على رسل

وامنيته قراءته وقيل تلك الغرانيق اشارة الى الملائكة اي هم الشفعاء لا الاصنام
فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهب به ويبطله ثم يحكم الله آياته اي يثبتها
والله عليم حكيم ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض الذين في قلوبهم
مرض المنافقون والشاكون والقاسية قلوبهم المشركون المكذبون وان الظالمين
يريد وان هؤلاء المنافقين والمشركين واصله وانهم فوضع الظاهر موضع الضمير

فضلا عليهم بالظلم لفي شقاق بعيد وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك اي ليعلموا
ان تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق من ربك والحكمة فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهادي
الذين امنوا الى صراط مستقيم الى ان يتأولوا ما تشابه في الدين بالتأويلات الصحيحة
ويطلبوا لما اشكل منه المحمل الذي تقتضيه الاصول المحكمة والقوانين الممهدة حتى
لا تلحقهم حيرة ولا تعتريهم شبهة ولا تزل اقدامهم وقرئ لهادٍ الذين امنوا بالتنوين
ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة او يأتيهم عذاب يوم عقيم
الضمير في مرية منه للقرآن او للرسول اليوم العقيم يوم بدر وانما وصف يوم الحرب بالعقيم
لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كأنهن عقم لم يلدن او لان المقاتلين يقال لهم
ابناء الحرب فاذا قتلوا وصف يوم الحرب بالعقيم على سبيل المجاز وقيل هو الذي لا خير فيه
يقال ريح عقيم اذا لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا وقيل لا مثل له في عظم امره لقتال
الملائكة فيه وعن الضحاك انه يوم القيامة وان المراد بالساعة مقدماته ويجوز ان يراد
بالساعة وبيوم عقيم يوم القيامة وكأنه قيل حتى تأتيهم الساعة او يأتيهم عذابها فوضع
يوم عقيم موضع الضمير الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين امنوا وعملوا الصالحات
في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين فان يخ
قلت التنوين في يومئذ عن اي جملة ينوب قلت
تقديره الملك يوم يؤمنون او يوم تزول مريتهم كقوله ولا يزال الذين كفروا في مرية منه
حتى تأتيهم الساعة والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا
حسنا وان الله لهو خير الرازقين ليدخلنهم مدخلا يرضونه وان الله لعليم حليم لما جمعتهم
المهاجرة في سبيل الله سوى بينهم في الموعد وان يعطي من مات منهم مثل ما يعطي من قتل
تفضلا منه واحسانا والله عليم بدرجات العاملين ومراتب استحقاقهم حليم عن تفريط المفرط
منهم بفضله وكرمه روي ان طوائف من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي
الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فان
ان متنا معك فانزل الله هاتين الايتين ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه
لينصرنه الله ان الله لعفو غفور تسمية الابتداء بالجزاء للملابسة من حيث انه سبب
وذاك مسبب عنه كما يحملون النظير على النظير والنقيض على النقيض للملابسة فان
قلت كيف طابق ذكر العفو الغفور هذا الموضع قلت
المعاقب مبعوث من جهة الله عز وجل على الاخلال بالعقاب والعفو عن الجاني على طريق
التنزيه لا التحريم ومندوب اليه ومستوجب عند الله المدح ان آثر ما ندب اليه وسلك
سبيل التنزيه فحين لم يؤثر ذلك وانتصر وعاقب ولم ينظر في قوله تعالى فمن عفا واصلح
فاجره على الله وان تعفوا اقرب للتقوى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور فان
الله لعفو غفور اي لا يلومه على ترك ما بعثه عليه وهو ضامن لنصرته في كرته الثانية
من اخلاله بالعفو وانتقامه من الباغي عليه ويجوز ان يضمن له النصر على الباغي ويعرض
مع ذلك بما كان اولى به من العفو ويلوح به بذكر هاتين الصفتين او دل بذكر العفو
والمغفرة على انه قادر على العقوبة لانه لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده ذلك بان
الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وان الله سميع عليم ذلك اي ذلك النصر بصير
بسبب انه قادر ومن آيات قدرته البالغة انه يولج الليل في النهار والنهار في الليل او بسبب
انه خالق الليل والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على ايدي عباده من الخير
والشر والبغي والانصاف وانه سميع لما يقولون بصير بما يفعلون فان
قلت ما معنى ايلاج احد الملوين في الاخر قلت تحصيل
ظلمة هذا في مكان ضياء ذاك بغيبوبة الشمس وضياء ذاك في مكان ظلمة هذا بطلوعها
كما يضيء السرب بالسراج ويظلم بفقده وقيل هو زيادته في احدهما ما ينقص من الاخر من الساعات

ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من
دونه هو الباطل وان الله هو العلي الكبير

وقرئ تدعون بالتاء والياء وقرأ اليماني وان ما يدعون بلفظ المبني للمفعول والواو راجعة
الى ما لانه في معنى الآلهة اي ذلك الوصف بخلق الليل والنهار والاحاطة بما
يجري فيهما وادراك كل قول وفعل بسبب انه الله الحق الثابت الالهية وان كل
ما يدعى الهاً دونه باطل الدعوة وانه لا شيء اعلى منه شأنا واكبر سلطانا الم تر ان الله انزل من
السماء ماء فتصبح الارض مخضرة وقرئ مخضرة اي ذات خضر على مفعلة كمبقلة ومسبعة
فان قلت هلا قيل فاصبحت ولم صرف الى لفظ المضارع قلت
لنكتة فيه وهي افادة بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول انعم علي فلان عام كذا
فاروح واغدو شاكرا له ولو قلت فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع فان قلت
فما له رفع ولم ينصب جوابا للاستفهام قلت لو نصب لاعطى ما هو عكس
الغرض لان معناه اثبات الاخضرار فينقلب بالنصب الى نفي الاخضرار مثاله ان
تقول لصاحبك الم تر اني انعمت عليك فتشكر ان نصبته فانت ناف لشكره شاك
تفريطه فيه وان رفعته فانت مثبت للشكر وهذا وامثاله مما يجب ان يرغب
له من اتسم بالعلم في علم الاعراب وتوقير اهله ان الله لطيف واصل علمه
او فضله الى كل شيء خبير بمصالح الخلق ومنافعهم له ما في السموات وما في الارض
وان الله لهو الغني الحميد الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض من البهائم مذللة
للركوب في البر والفلك تجري في البحر بامره ومن المراكب جارية في البحر وغير ذلك من
سائر المسخرات وقرئ والفلك بالرفع على الابتداء ويمسك السماء ان تقع على الارض
الا باذنه ان الله بالناس لرؤوف رحيم كراهة ان تقع الا بمشيئته وهو الذي احياكم
ثم يميتكم ثم يحييكم احياكم بعد ان كنتم جمادا ترابا ونطفة وعلقة ومضغة ان
الانسان لكفور لجحود لما افاض عليه من ضروب النعم لكل امة جعلنا منسكا هم
ناسكوه فلا ينازعنك في الامر وادع الى ربك انك لعلى صراط مستقيم هو نهي لرسول
الله صلى الله عليه وسلم اي لا تلتفت الى قولهم ولا تمكنهم من ان ينازعوك او هو
زجر لهم عن التعرض لرسول الله بالمنازعة في الدين وهم جهال لا علم عندهم وهم كفار
خزاعة روي ان بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان الخزاعيين وغيرهما قالوا للمسلمين
ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله يعنون الميتة وقال الزجاج هو
نهي له عن منازعتهم كما تقول لا يضاربنك فلان اي لا تضاربه وهذا جائز في الفعل
الذي لا يكون الا بين اثنين في الامر اي في امر الدين وقيل في امر النسائك وقرئ فلا
ينزعنك اي اثبت في دينك ثباتا لا يطمعون ان يجذبوك ليزيلوك عنه
والمراد زيادة التثبيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما يهيج حميته ويلهب
غضبه لله ولدينه ومنه قوله عز وعلا فلا يصدنك عن آيات الله ولا تكونن
من المشركين فلا تكونن ظهيرا للكافرين وهيهات ان ترتع همة رسول الله صلى
الله عليه وسلم حول ذلك الحمى ولكنه وارد على ما قلت لك من ارادة التهييج والالهاب
وقال الزجاج هو من نازعته فنزعته انزعه اي غلبته اي لا يغلبنك في المنازعة
فان قلت لم جاءت نظيرة هذه الاية معطوفة بالواو وقد نزعت
عن هذه قلت لان تلك وقعت مع ما يدانيها ويناسبها من الاي
الواردة في امر النسائك فعطفت على اخواتها واما هذه فواقعة مع اباعد عن
معناها فلم تجد معطفا وان جادلوك اي وان ابوا للجاجهم الا المجادلة بعد
اجتهادك ان لا يكون بينك وبينهم تنازع وجدال فقل الله اعلم بما تعملون فادفعهم بان الله
اعلم باعمالكم وبقبحها وبما تستحقون عليها من الجزاء فهو مجازيكم به وهذا وعيد
وانذار ولكن برفق ولين الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون الم تعلم
ان الله يعلم ما في السموات والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير

يحكم بينكم خطاب من الله للمؤمنين والكافرين اي يفصل بينكم بالثواب والعقاب ومسلاة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يلقى منهم وكيف يخفى عليه ما تعملون ومعلوم
عند العلما بالله انه يعلم كل ما يحدث في السموات والارض وقد كتبه في اللوح قبل
حدوثه والاحاطة بذلك واثباته وحفظه عليه يسير لان العالم الذات لا يتعذر ولا
يمتنع عليه تعلق تبل حدوثه والاحاطة بذلك بمعلوم ويعبدون من دون الله ما لم
ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم ويعبدون ما لم يتمسكوا في صحة عبادته ببرهان
سماوي من جهة الوحي والسمع ولا الجاهم اليها علم ضروري ولا حملهم عليها دليل عقلي
وما للظالمين من نصير وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من حرينصرهم ويصوب مذهبهم
واذا تتلى عليهم اياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين
يتلون عليهم اياتنا المنكر الفظيع من التجهم والبسور والانكار كالمكرم بمعنى الاكرام
وقرئ يعرف والمنكر والسطو الوثب والبطش قل افأنبئكم بشر من ذلكم النار قرئ النار
بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف كان قايلا قال ما هو فقيل النار اي هو النار وبالنصب
على الاختصاص وبالجر على البدل من بشر من ذلكم من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم
او مما اصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما تلي عليكم وعدها الله الذين كفروا
وبيس المصير وعدها الله استيناف كلام ويحتمل ان يكون النار مبتدا ووعدها
خبرا وان يكون حالا عنها اذا نصبتها او جررتها باضمار قد يا ايها الناس ضرب مثل
فاستمعوا له فان قلت الذي جا به ليس بمثل فكيف سماه
مثلا قلت قد سميت الصفة او القصة الرائعة المتلقاة
بالاستحسان والاستغراب مثلا تشبيها لها ببعض الامثال المسيرة لكونها
مستحسنة مستغربة عندهم ان الذين تدعون قرئ يدعون بالياء والتا ويدعون مبنيا
للمفعول من دون الله لن يخلقوا ذبابا لن اخت لا في نفي المستقبل الا ان لن تنفيه
نفيا موكدا وتاكيده ها هنا الدلالة على ان خلق الذباب منهم مستحيل مناف
لاحوالهم كانه قال محال ان يخلقوا فان قلت ما محل ولو
اجتمعوا له قلت النصب على الحال كانه قال مستحيل ان يخلقوا
الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا لخلقه وتعاونهم عليه وهذا من ابلغ ما انزله
الله في تجهيل قريش واستركاك عقولهم والشهادة على ان الشيطان قد خزمهم
بخزائمه حيث وصفوا بالالهية الذي تقتضي الاقتدار على المقدورات كلها والاحاطة
بالمعلومات عن اخرها صورا وتماثيل يستحيل منها ان تقدر على اقل ما خلقه الله واذله
واصغره واحقره ولو اجتمعوا لذلك وتساندوا وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه
منه اي وادل من ذلك على عجزهم وانتفا قدرتهم ان هذا الاقل الاذل لو اختطف
منهم شيئا فاجتمعوا على ان يخلصوه منه لم يقدروا وقوله ضعف الطالب والمطلوب
كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف ولو حققت وجدت الطالب اضعف
واضعف لان الذباب حيوان وهو جماد وهو غالب وذاك مغلوب وعن ابن عباس
انهم كانوا يطلونها بالزعفران ورؤسها بالعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل
الذباب من الكوى فياكله ما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوه حق معرفته حتى لا يسموا
باسمه من هو منسلخ عن صفاته باسرها ولا يوهلوه للعبادة ولا يتخذوه شريكا له
ان الله لقوي عزيز ان الله قادر غالب فكيف يتخذ العاجز المغلوب شبيها به
الله يصطفي من الملايكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير يعلم ما بين ايديهم
وما خلفهم والى الله ترجع الامور هذا رد لما انكروه من ان يكون الرسول من البشر
وبيان ان رسل الله على ضربين ملايكة وبشر ثم ذكر انه عز وجل دراك للمدركات
عالم باحوال المكلفين ما مضى منها وما غبر لا تخفى عليه منهم خافية واليه مرجع الامور

كلها والذي هو بهذه الصفات لا يسال عما يفعل وليس لاحد ان يعترض
عليه في حكمه وتدابيره واختيار رسله يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا
واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون للذكر شان ليس لغيره من الطاعات
وفي هذه السورة دلالات على ذلك فمن ثم دعا المؤمنين اولا الى الصلوة التي
هي ذكر خالص ثم الى العبادة بغير الصلاة كالصوم والحج والغزو ثم عم بالحث
على سائر الخيرات وقيل كان الناس اول ما اسلموا يسجدون بلا ركوع ويركعون
بلا سجود فامروا ان تكون صلوتهم بركوع وسجود وقيل معنى واعبدوا ربكم اقصدوا
بركوعكم وسجودكم وجه الله وعن ابن عباس في قوله وافعلوا الخير صلة الارحام
ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون اي افعلوا هذا كله وانتم راجون للفلاح طامعون
فيه غير مستيقنين ولا تتكلون على اعمالكم وعن عقبة بن عامر قال قلت يا رسول
الله في سورة الحج سجدتان قال نعم ان لم تسجدهما فلا تقراها وعن عبد الله بن عمر
رضي الله عنهما فضلت سورة الحج بسجدتين وبذلك احتج الشافعي رحمه الله فراي
سجدتين في سورة الحج وابو حنيفة واصحابه رحمهم الله لا يرون فيها الا سجدة
واحدة لانهم يقولون قرن السجود بالركوع فدل ذلك على انها سجدة صلوة لا سجدة
تلاوة • وجاهدوا امر بالغزو وبمجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الاكبر
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه رجع من بعض غزواته فقال رجعنا من الجهاد
الاصغر الى الجهاد الاكبر في الله اي في ذات الله ومن اجله • يقال هو حق عالم
وجد عالم اي عالم حقا وجدا ومنه حق جهاده فان قلت ما وجه هذه الاضافة
وكان القياس حق الجهاد فيه او حق جهادكم فيه كما قال وجاهدوا في الله قلت
الاضافة تكون بادنى ملابسة واختصاص فلما كان الجهاد مختصا بالله من حيث
انه مفعول لوجهه ومن اجله صحت اضافته اليه ويجوز ان يتسع في الظرف كقوله
ويوما شهدناه سليما وعامرا • هو اجتباكم اختاركم لدينه ولنصرته
وما جعل عليكم في الدين من حرج فتح باب التوبة للمجرمين وفسح بانواع الرخص
وبالكفارات والديات والاروش ونحوه قوله يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم
العسر وامة محمد صلى الله عليه وسلم هي الامة المرحومة الموسومة بذلك في الكتب
المتقدمة ملة ابيكم ابراهيم نصب الملة بمضمون ما تقدمها كانه قيل وسع دينكم
توسعة ملة ابيكم ثم حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه او على الاختصاص
اي اعني بالدين ملة ابيكم كقولك الحمد لله الحميد فان قلت لم يكن ابراهيم ابا للامة
كلها قلت هو ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ابا لامته لان امة الرسول
في حكم اولاده • هو سماكم المسلمين هو يرجع الى الله تعالى وقيل الى ابراهيم
عليه السلام وتشهد للقول الاول قراة ابي بن كعب الله سماكم من قبل وفي هذا
اي من قبل القران في ساير الكتب وفي القران اي فضلكم على الامم وسماكم بهذا الاسم
الاكرم ليكون الرسول شهيدا عليكم انه قد بلغكم وتكونوا شهداء على الناس
بان الرسل قد بلغتهم واذ خصكم بهذه الكرامة والاثرة فاعبدوه فاقيموا
الصلوة واتوا الزكوة واعتصموا بالله هو موليكم فنعم المولى ونعم النصير
وثقوا به ولا تطلبوا النصرة والولاية الا منه فهو خير مولى وناصر عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة
اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي

سورة المومنين مكية وهي ماية وتسع عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قد افلح المومنون قد نقيضة لما هي تثبت المتوقع ولما تنفيه ولا شك ان المومنين

تمامه
وكان مع الاطباء الاساة
الشفي

كا نوامنو تعين لمثل هذه البشارة وهي لاخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما
دل على ثبات ما تو قعوه والفلاح الظفر بالمراد وقيل البقا في الخير وافلح دخل
في الفلاح كابشر دخل في البشارة ويقال افلحه اصاره الي الفلاح وعليه
قراة طلحة بن مصرف افلح علي البنا للمفعول وعنه افلحوا المومنون علي اكلوني
البراغيث او علي الابهام والتفسير وعنه افلح بضمة بغير واو اجتزا بها عنها
كقوله ؞ فلو ان الاطبا كان حولي ؞ فان قلت ما المومن قلت
هو في اللغة المصدق واما في الشريعة فقد اختلف فيه علي قولين احدهما
ان كل من نطق بالشهادتين مواطئا قلبه لسانه فهو مومن والاخر انه صفة
مدح لا يستحقها الا البر التقي دون الفاسق الذين هم في صلوتهم خاشعون
الخشوع في الصلوة خشية القلب والباد البصر عن قتادة وهي الزامه موضع
السجود وعن النبي صلي الله عليه وسلم انه كان يصلي رافعا بصره الي السما فلما
نزلت هذه الاية رمي ببصره نحو مسجده فكان الرجل من العلما اذا قام الي
الصلوة هاب الرحمن ان يشد بصره الي شي او يحدث نفسه بشان من شان
الدنيا وقيل هو جمع الهمة لها والاعراض عما سواها ومن الخشوع ان يستعمل
الاداب فيتوقي كف الثوب والعبث بجسده وثيابه والالتفات والتمطي
والتثاوب والتغميض وتغطية الفم والسدل والفرقعة والتشبيك والاختصار
وتقليب الحصي وروي عن النبي صلي الله عليه وسلم انه ابصر رجلا يعبث
بلحيته في الصلوة فقال لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه ونظر الحسن
الي رجل يعبث بالحصي وهو يقول اللهم زوجني الحور العين فقال بيس الخاطب
انت تخطب وانت تعبث فان قلت لم اضيفت الصلاة اليهم قلت
لان الصلوة دايرة بين المصلي والمصلي له فالمصلي هو المنتفع بها وحده
وهي عدته وذخيرته فهي صلوته واما المصلي له فغني متعال عن الحاجة اليها
والانتفاع بها والذين هم عن اللغو معرضون اللغو ما لا يعنيك من قول
او فعل كاللعب والهزل وما توجب المروة الغاه واطراحه يعني ان بهم من
الجد ما شغلهم عن الهزل لما وصفهم بالخشوع في الصلوة اتبعه الوصف
بالاعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين علي الانفس اللذين هما
قاعدتا بنا التكليف والذين هم للزكوة فاعلون الزكوة اسم مشترك بين
عين ومعني فالعين القدر الذي يخرجه المزكي من النصاب الي الفقير
والمعني فعل المزكي الذي هو التزكية وهو الذي اراده الله فجعل المزكين
فاعلين له ولا يسوغ فيه غيره لانه ما من مصدر الا يعبر عن معناه بالفعل
ويقال لمحدثه فاعل تقول للضارب فاعل الضرب وللقاتل فاعل القتل
وللمزكي فاعل التزكية وعلي هذا الكلام كله والتحقيق فيه انك تقول في جميع
الحوادث من فاعل هذا فيقال لك فاعله الله او بعض الخلق ولم يمتنع الزكوة
الدالة علي العين ان يتعلق بها فاعلون لخروجها من صحة ان يتناولها الفاعل
ولكن لان الخلق ليسوا بفاعليها ؞ وقد انشد لامية بن الصلت ؞
؞ المطعمون الطعام في السنة الازمة ؞ والفاعلون للزكوات ؞
ويجوز ان يراد بالزكوة العين ويقدر مضاف محذوف وهو الادا وحمل
البيت علي هذا اصح لانها فيه مجموعة والذين هم لفروجهم حافظون الا علي ازواجهم
او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين علي ازواجهم في موضع الحال اي الا والين
علي ازواجهم او قوامين عليهن من قولك كان فلان علي فلانة فمات عنها فخلف

الي

عليها

عليها فلان ونظيره كان زياد علي البصرة اي واليا عليها ومنه قولهم فلانة
تحت فلان ومن ثم سميت المراة فراشا والمعني انهم لفروجهم حافظون في كافة
الاحوال الا في حال تزوجهم او تسريهم او تعلق علي بمحذوف يدل عليه غير
ملومين كانه قيل يلامون الا علي ازواجهم اي يلامون علي كل مباشر الا علي ما اطلق
لهم فانهم غير ملومين عليه او تجعله صلة لحافظين من قولك احفظ علي عنان
فرسي علي تضمينه معني النفي كما ضمن قولهم نشدتك بالله الا فعلت بمعني
ما طلبت منك الا فعلك فالحاصل كانه قال والذين هم لفروجهم غير حافظين
الا علي ازواجهم فان قلت هلا قيل من ملكت قلت لانه اريد من جنس
العقلا ما يجري مجري غير العقلا وهم الاناث فمن ابتغي ورا ذلك فاوليك
هم العادون جعل المستثني حدا اوجب الوقوف عنده ثم قال فمن احدث
ابتغا ورا هذا الحد مع فسحته واتساعه وهو اباحة اربع من الحراير ومن
الاما ما شيت فاوليك هم الكاملون في العدوان المتناهون فيه فان
قلت هل فيه دليل علي تحريم المتعة قلت لا لان المنكوحة نكاح
المتعة من جملة الازواج اذا صح النكاح والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون
وقري لامانتهم سمي الشي المويتمن عليه والمعاهد عليه امانة وعهدا ومنه
قوله عز وجل ان الله يامركم ان تودوا الامانات الي اهلها وقال وتخونوا
اماناتكم وانما تودي العيون لا المعاني ويخان المويتمن عليه لا الامانة
في نفسها ؞ والراعي القايم علي الشي بحفظ واصلاح كراعي الغنم وراعي الرعية
ويقال من راعي هذا الشي اي متوليه وصاحبه ويحتمل العموم في كل ما ايتمنوا
عليه وعوهدوا من جهة الله عز وجل ومن جهة الخلق والخصوص فيما حملوه من
امانات الناس وعهودهم والذين هم علي صلوتهم يحافظون وقري علي
صلوتهم فان قلت كيف كرر ذكر الصلوة اولا واخرا قلت هما ذكران
مختلفان فليس بتكرير وصفوا اولا بالخشوع في صلوتهم واخرا بالمحافظة
عليها وذلك ان لا يسهوا عنها ويودوها في اوقاتها ويقيموا اركانها ويوكلوا نفوسهم
بالاهتمام بها وبما ينبغي ان تتم به اوصافها وايضا فقد وحدت اولا ليفاد الخشوع
في جنس الصلاة اي صلوة كانت وجمعت اخرا لتفاد المحافظة علي اعدادها
وهي الصلوات الخمس والوتر والسنن المرتبة مع كل صلوة وصلوة الجمعة والعيدين
والجنازة والاستسقاء والكسوف والخسوف وصلوة الضحي والتهجد وصلوة
التسبيح وصلوة الحاجة وغيرها من النوافل اوليك اي اوليك الجامعون لهذه
الاوصاف ؞ هم الوارثون الاحقا بان يسموا وراثا دون من عداهم ثم
ترجم الوارثين بقوله الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون فجا
بفخامة وجزالة لارثهم لا تخفي علي الناظر ومعني الارث ما مر في سورة مريم
انث الفردوس علي تاويل الجنة وهو البستان الواسع الجامع لاصناف الثمر
روي ان الله عز وجل بني جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة
وجعل خلالها المسك الاذفر وفي رواية ولبنة من مسك مذري وغرس
فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان ولقد خلقنا الانسان من سلالة من
طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا
العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما السلالة الخلاصة
لانها تسل من بين الكدر وفعالة بناء للقلة كالقلامة والقمامة وعن
الحسن ما بين ظهراني الطين فان قلت ما الفرق بين من ومن قلت
الاول للابتداء والثاني للبيان فان قلت ما معني جعلنا الانسان نطفة

٣٠
ج

قلت معناه انه خلق جوهرا لانسان او لا طينا ثم جعل جوهره بعد ذلك
نطفة • القرار المستقر والمراد الرحم وصفت بالمكانة التي هي صفة المستقر
فيها كقولك طريق سايرا و بمكانتها في نفسها لانها مكنت بحيث هي واحرزت
وقري عظما فكسونا العظم وعظاما فكسونا العظام وعظما فكسونا العظام
وعظاما فكسونا العظم وضع الواحد مكان الجمع لزوال اللبس لان الانسان
ذو عظام كثيرة ثم انشاناه خلقا اخر اي خلقا مباينا للخلق الاول مباينة
ما ابعدها حيث جعله حيوانا وكان جمادا وناطقا وكان ابكم وسميعا وكان
اصم وبصيرا وكان اكمه واودع باطنه وظاهره بل كل عضو من اعضايه
وكل جزء من اجزايه عجايب فطرة وغرايب حكمة لا تدرك بوصف الواصف
ولا يبلغ بشرح الشارح وقد احتج به ابو حنيفة رضي الله عنه فيمن غصب
بيضة فافرخت عنده قال يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لانه خلق اخر سوي البيضة
فتبارك الله فتعالى امره في قدرته وعلمه • احسن الخالقين اي احسن
المقدرين تقديرا فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه ونحوه طرح الماذون
فيه في قوله اذن للذين يقاتلون لدلالة الصلة وروي عن عمر رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ قوله خلقا اخر قال • فتبارك الله
احسن الخالقين وروي ان عبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فنطق بذلك قبل املائه فقال له رسول الله اكتب
هكذا انزلت فقال عبد الله ان كان محمد نبيا يوحى اليه فانا نبي يوحى الي فلحق
بمكة كافرا ثم اسلم يوم الفتح ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيمة
تبعثون قرا ابن ابي عبلة وابن محيصن لمايتون والفرق بين الميت والمايت
ان الميت كالحي صفة ثابتة واما المايت فيدل على الحدوث تقول زيد مايت
الان ومايت غدا كقولك يموت ونحوهما ضيق وضايق به صدرك جعل
الاماتة التي هي اعدام الحيوة والبعث الذي هو اعادة ما يفنيه ويعدمه دليلين
ايضا على اقتدار عظيم بعد الانشا والاختراع فان قلت فاذن لا حيوة الا
حيوة الانشا وحيوة البعث قلت ليس في ذكر الحياتين نفي الثالثة وهي
حيوة القبر كما لو ذكرت ثلثيها عندك وطويت ذكر ثلثه لم يكن دليلا على ان
الثلث ليس عندك وايضا فالغرض ذكر هذه الاجناس الثلاثة الانشا والاماتة
والاعادة والمطوي ذكرها من جنس الاعادة ولقد خلقنا فوقكم سبع طرايق
وما كنا عن الخلق غافلين الطرايق السموات لانها طورق بعضها فوق
بعض كمطارقة النعل فكل شي فوقه مثله فهو طريقة او لانها طرق الملايكة
ومتقلباتهم وقيل الافلاك لانها طرايق الكواكب فيها مسيرها اراد بالخلق
السموات كانه قال خلقناها فوقهم وما كنا عنها غافلين وعن حفظها وامساكها
ان تقع فوقهم بقدرتنا او اراد به الناس وانه انما خلقها فوقهم ليفتح عليهم
الارزاق والبركات منها وينفعهم بانواع منافعها وما كان غافلا عنهم وما
يصلحهم وانزلنا من السماء ماء بقدر بتقدير يسلمون معه من المضرة
ويصلون الى المنفعة او بمقدار ما علمنا من حاجاتهم ومصالحهم فاسكناه
في الارض كقوله فسلكه ينابيع في الارض وقيل جعلناه ثابتا في الارض
وقيل انها خمسة انهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة
والفراة نهر العراق والنيل نهر مصر انزلها الله من عين واحدة من عيون
الجنة فاستودعها الجبال واجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس
في اصناف معايشهم وانا على ذهاب به لقادرون اي وكما قدر على انزاله

في قوله وضايق

فهو

فهو قادر على رفعه وازالته وقوله على ذهاب به من اوقع النكرات
واحزها للمفصل والمعنى على وجه من وجوه الذهاب به وطريق من
طرقه وفيه ايذان باقتدار المذهب وانه لا يتعايا عليه شي اذا اراده وهو
ابلغ في الايعاد من قوله قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين
فعلى العباد ان يستعظموا النعمة في الماء ويقيدوها بالشكر الدايم ويخافوا
نفارها اذا لم تشكر فانشانا لكم به جنات من نخيل واعناب لكم فيها فواكه كثيرة
ع
منها تاكلون خص هذه الانواع الثلاثة لانها اكرم الشجر وافضلها واجمعها
للمنافع ووصف النخل والعنب بان ثمرهما جامع بين امرين انه فاكهة يتفكه
بها وطعام يوكل رطبا ويابسا رطبا وعنبا وتمرا وزبيبا والزيتون بان دهنه
صالح للاستصباح والاصطباغ جميعا ويجوز ان يكون قوله ومنها تاكلون
من قولهم فلان ياكل من حرفة يحترفها ومن ضيعة يغتلها ومن تجارة
يتربح بها يعنون انها طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه كانه قال وهذه
الجنات وجوه ارزاقكم ومعايشكم منها ترزقون وتتعيشون وشجرة عطف
على جنات وقرئت مرفوعة على الابتداء اي ومما انشي لكم شجرة تخرج من طور
سينا طور سينا وطور سينين لا يخلو اما ان يضاف فيه الطور الى بقعة
اسمها سينا وسينون واما ان يكون اسما للجبل مركبا من مضاف ومضاف
اليه كامرئ القيس وكبعلبك فيمن اضاف فمن كسر سين سينا فقد منع
الصرف للتعريف والعجمة او التانيث لانها بقعة وفعلاء لا تكون الفه
للتانيث كعلباء وحرباء ومن فتح فلم يصرف لان الالف للتانيث كصحراء
وقيل هو جبل فلسطين وقيل بين مصر وايلة ومنه نودي موسى وقرا
الاعمش سينا على القصر تنبت بالدهن بالدهن في موضع الحال اي تنبت
وفيها الدهن وقري تنبت وفيه وجهان احدهما ان انبت بمعنى نبت •
وانشد لزهير • رايت ذوي الحاجات حول بيوتهم • قطينا لهم حتى اذا انبت البقل
والثاني ان مفعوله محذوف اي تنبت زيتونها وفيه الزيت وقري تنبت
بضم التاء وفتح الباء وحكمه حكم تنبت وقرا ابن مسعود تخرج الدهن وصبغ
الاكلين وغيره تخرج بالدهن وفي حرف ابي تثمر بالدهن وعن بعضهم
تنبت بالدهان وصبغ للاكلين وقرا الاعمش وصبغا وقري وصباغ
ونحوهما دبغ ودباغ والصبغ الغمس للايتدام وقيل هي اول شجرة نبتت
بعد الطوفان ووصفها الله تعالى بالبركة في قوله توقد من شجرة مباركة
وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها قري تسقيكم بتاء مفتوحة
اي تسقيكم الانعام ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تاكلون اي تتعلق بها منافع
من الركوب والحمل وغير ذلك مما لا يوكل لحمه من البغال والحمير والخيل وفيها
منفعة زايدة وهو الاكل الذي هو انتفاع بذواتها والقصد بالانعام
الى الابل لانها هي المحمول عليها في العادة وعليها وعلى الفلك تحملون قرنها
٣. بالفلك التي هي السفاين لانها سفاين البر قال ذو الرمة ::
سفينة بر تحت خدي زمامها • يريد صيدحه • ولقد ارسلنا نوحا الى
قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره غيره بالرفع على المحل وبالجر
على اللفظ والجملة استيناف تجري مجرى التعليل للامر بالعبادة افلا تتقون
افلا تخافون ان ترفضوا عبادة الله الذي هو ربكم وخالقكم ورازقكم
وشكر نعمته التي لا تحصونها واجب عليكم ثم تذهبوا فتعبدوا
غيره مما ليس من الاستحقاق العبادة في شي فقال الملا الذين كفروا من

قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ان يتفضل عليكم ان يطلب
الفضل عليكم ويراسكم كقوله وتكون لكما الكبريا في الارض ولو شا الله لانزل
ملايكة ما سمعنا بهذا في ابانا الاولين بهذا اشارة الي نوح عليه السلام
او الي ما كلمهم به من الحث علي عبادة الله اي ما سمعنا بمثل هذا الكلام او بمثل
هذا الذي يدعي وهو بشر انه رسول الله وما اعجب شان الضلال لم يرضوا
للنبوة ببشر وقد رضوا للالهية بحجر وقولهم ما سمعنا بهذا يدل علي انهم واباهم
كانوا في فترة متطاولة او تكذبوا في ذلك لانهماكهم في الغي وتشمرهم لان يدفعوا
الحق بما امكنهم وبما عن لهم من غير تمييز منهم بين صدق وكذب الا تراهم كيف جننوه
وقد علموا انه ارجح الناس عقلا واوزنهم قولا فقالوا ان هو الا رجل به جنة
والجنة الجنون او الجن اي به جن يخبلونه فتربصوا به حتي حين اي احتملوه
واصبروا عليه الي زمان حتي ينجلي امره عن عاقبة فان افاق من جنونه والا قتلتموه
قال رب انصرني بما كذبون في نصرته اهلاكهم فكانه قال اهلكهم بسبب تكذيبهم
اياي او انصرني بدل ما كذبوني كما تقول هذا بذاك اي بدل ذاك ومكانه والمعني
ابدلني من غم تكذيبهم سلوة النصرة عليهم او انصرني بانجاز ما وعدتهم من
العذاب وهو ما كذبوه فيه حين قال لهم اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم
فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا بحفظنا وكلانا كان معه من الله
حفاظا يكلونه بعيونهم لئلا يتعرض له ولا يفسد عليه مفسد عمله ومنه قولهم
عليه من الله عين كالئة ووحينا اي نامرك كيف تصنع ونعلمك روي انه
اوحي اليه ان يصنعها علي مثال جوجو الطاير فاذا جا امرنا وفار التنور روي
انه قيل لنوح عليه السلام اذا رايت الما يفور من التنور فاركب انت ومن
معك في السفينة فلما نبع الما من التنور اخبرته امراته فركب وقيل كان تنور
ادم وكان من حجارة فصار الي نوح واختلف في مكانه فعن الشعبي في مسجد
الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان نوح عمل السفينة وسط المسجد
وقيل بالشام بموضع يقال له عين وردة وقيل بالهند وعن ابن عباس
التنور وجه الارض وعن قتادة اشرف موضع في الارض اي اعلاه وعن
علي رضي الله عنه فار التنور طلع الفجر وقيل معناه ان فوران التنور كان
عند تنوير الفجر وقيل هو مثل كقولهم حمي الوطيس والقول هو الاول
فاسلك فيها يقال سلك فيه دخله وسلك غيره واسلكه قال
حتي اذا اسلكوهم في قتايدة من كل زوجين اثنين من كل امتي زوجين
وهما امة الذكر وامة الانثي كالجمال والنوق والحصن والرماك اثنين واحدين
مزدوجين كالجمل والناقة والحصان والرمكة روي انه لم يحمل الا ما يلد ويبيض
وقري من كل بالتنوين اي من كل امة زوجين واثنين تاكيد وزيادة بيان
واهلك الا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون
فاذا استويت انت ومن معك علي الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم
الظالمين وقل رب انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين جي بعلي مع سبق
الضار كما جي باللام مع سبق النافع قال الله تعالي ان الذين سبقت لهم
منا الحسني ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ونحوه قوله لها ما كسبت
وعليها ما اكتسبت وقول عمر رضي الله عنه ليتها كانت كفافا لا علي ولا لي
فان قلت لم نهاه عن الدعا لهم بالنجاة قلت الخلاقة لما تضمنته
الاية من كونهم ظالمين وايجاب الحكمة ان يغرقوا لا محالة لما عرف من المصلحة
في اغراقهم والمفسدة في استبقايهم وبعد ان املي لهم الدهر المتطاول فلم

هذا

يزيدوا

يزيدوا الا ضلالا ولزمتهم الحجة البالغة لم يبق الا ان يجعلوا عبرة للمعتبرين
ولقد بالغ في ذلك حيث اتبع النهي عنه الامر بالحمد علي هلاكهم والنجاة منهم
كقوله عز وجل فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين
ثم امره ان يدعوه بدعا هو اهم وانفع له وهو طلب ان ينزله في السفينة
او في الارض عند خروجه منها منزلا يبارك له فيه ويعطيه الزيادة في خير
الدارين وان يشفع الدعا بالثنا عليه المطابق لمسيلته وهو قوله وانت
خير المنزلين فان قلت هلا قيل فقولوا لقوله فاذا استويتم انت
ومن معك لانه في معني فاذا استويتم قلت لانه نبيهم وامامهم
فكان قوله قولهم مع ما فيه من الاشعار بفضل النبوة واظهار كبريا
الربوبية وان رتبة تلك المخاطبة لا يترقي اليها الا ملك او نبي وقري منزلا
بمعني انزالا او موضع انزال كقوله ليدخلنهم مدخلا يرضونه ان في ذلك
لايات وان كنا لمبتلين ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بين
النافية وبينها والمعني وان الشان كنا مبتلين اي مصيبين
قوم نوح ببلا عظيم وعقاب شديد او مختبرين بهذه الايات عبادنا
لننظر من يعتبر ويذكر كقوله ولقد تركناها اية فهل من مدكر ثم انشانا
من بعدهم قرنا اخرين هم عاد قوم هود عن ابن عباس وتشهد له حكاية
الله قول هود واذكروا اذ جعلكم خلفا من بعد قوم نوح ومجي قصة
هود علي اثر قصة نوح في سورة الاعراف وسورة هود والشعرا فارسلنا
فيهم رسولا منهم ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون فان
قلت حق ارسل ان يعدي بالي كاخواته التي هي وجه وانفذ وبعث
فما له عدي في القران بالي تارة وبفي اخري كقوله كذلك ارسلناك في امة
وما ارسلنا في قرية من نذير فارسلنا فيهم رسولا اي في عاد وفي موضع
اخر والي عاد اخاهم هودا قلت لم يعد بفي كما عدي بالي ولم يجعل صلة
مثله ولكن الامة او القرية جعلت موضعا للارسال كما قال رؤبة
ارسلت فيها مصعبا ذا اقحام وقد جا بعث علي ذلك في قوله تعالي
ولو شينا لبعثنا في كل قرية نذيرا ان مفسرة لارسلنا اي قلنا لهم علي
لسان الرسول اعبدوا الله وقال الملا الذين كفروا من قومه فان قلت
ذكر مقال قوم هود عليه السلام في جوابه في سورة الاعراف وسورة
هود بغير واو قال الملا الذين كفروا من قومه انا لنريك في سفاهة
قالوا ما نريك الا بشرا مثلنا وهاهنا مع الواو فاي فرق بينهما قلت
الذي بغير واو علي تقدير سوال سايل قال فما قال قومه فقيل له قالوا
كيت وكيت واما الذي مع الواو فعطف لما قالوه علي ما قاله ومعناه انه
اجتمع في الحصول هذا الحق وهذا الباطل وشتان ما بينهما وكذبوا بلقاء
الاخرة بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب كقولك يا حبذا جوار
مكة اي جوار الله في مكة واترفناهم في الحيوة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم
ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون حذف الضمير والمعني من مشروبكم
او حذف منه لدلالة ما قبله عليه ولين اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون
اذن واقع في جزا الشرط وجواب للذين قاولوهم من قومهم اي تخسرون
عقولكم وتغبنون في ارايكم ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون
ثني انكم للتوكيد وحسن ذلك لفصل ما بين الاول والثاني بالظرف ومخرجون
خبر عن الاول او جعل انكم مخرجون مبتدا واذا متم خبرا علي معني اخراجكم

اذا متم ثم اخبر بالجملة عن انكم او رفع انكم تخرجون بفعل هو جزاء للشرط كانه
قيل اذا متم وقع اخراجكم ثم اوقعت الجملة الشرطية خبرا عن انكم وفي قراة عبد
الله ابن مسعود ايعدكم اذا متم هيهات هيهات لما توعدون قرئ هيهات
بالفتح والكسر والضم كلها بتنوين وبلا تنوين وبالسكون على لفظ الوقف
فان قلت ما توعدون هو المستبعد ومن حقه ان يرتفع بهيهات كما ارتفع
في قوله ⁂ فهيهات هيهات العقيق واهله ⁂ فما هذه اللام قلت
قال الزجاج في تفسيره البعد لما توعدون او بعد لما توعدون فمن نون
فنزله منزلة المصدر وفيه وجه اخر وهو ان تكون اللام لبيان المستبعد
ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام في هيت لك لبيان
المهيت له ان هي هذا ضمير لا يعلم ما يعني به الا بما يتلوه من بيانه واصله
ان الحيوة الا حيوتنا الدنيا ثم وضع هي موضع الحيوة لان الخبر يدل عليها ويبينها
ومنه هي النفس تتحمل ما حملت وهي العرب تقول ما شاءت والمعنى لا حيوة
الا هذه الحيوة لان ان النافية دخلت على هي التي في معنى الحيوة الدالة
على الجنس فنفتها فوازنت التي نفت ما بعدها نفي الجنس نموت ونحيا
اي يموت بعض ويولد بعض ينقرض قرن ويأتي قرن اخر وما نحن بمبعوثين
ثم قالوا ان هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين اي ما هو الا
مفتر على الله فيما يدعيه من استنبائه له وفيما يعدنا من البعث وما نحن
بمصدقين قال رب انصرني بما كذبون قال عما قليل ليصبحن نادمين قليل
صفة للزمان كقديم وحديث في قولك ما رأيته قديما ولا حديثا وفي معناه
عن قريب وما توكيد لمعنى قلة المدة وقصرها فاخذتهم الصيحة صيحة
جبريل عليه السلام صاح عليهم فدمرهم بالحق بالوجوب لانهم قد استوجبوا
الهلاك او بالعدل من الله من قولك فلان يقضي بالحق اذا كان عادلا
في قضاياه فجعلناهم غثاء شبههم في دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل
مما بلي واسود من الورق والعيدان ومنه قوله تعالى فجعله غثاء احوى
وقد جاء مشددا في قول امرء القيس ⁂ من السيل والغثاء فلكة مغزل ⁂
فبعدا للقوم الظالمين بعدا وسحقا ودفرا ونحوها مصادر موضوعة
مواضع افعالها وهي من جملة المصادر التي قال سيبويه نصبت بافعال
لا يستعمل اظهارها ومعنى بعدا بعدوا اي هلكوا يقال بَعُدَ بُعْدًا وبُعَدًا
نحو رَشُدَ رَشَدًا ورُشْدًا وللقوم الظالمين بيان لمن دعي عليه بالبعد نحو
هيت لك ولما توعدون ثم انشأنا من بعدهم قرونا اخرين قوم صالح
ولوط وشعيب وغيرهم وعن ابن عباس بني اسرائيل ما تسبق من امة
اجلها الوقت الذي حد لهلاكها وكتب وما يستأخرون ثم ارسلنا رسلنا
تترى فعلى الالف للتانيث لان الرسل جماعة وقرئ تترى بالتنوين والتاء
بدل من الواو كما في تولج وتيقور اي متواترين واحدا بعد واحد من الوتر
وهو الفرد كلما جاء امة رسولها كذبوه اضاف الرسل اليه والى امهم ولقد
جاءتهم رسلنا بالبينات ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات لان الاضافة
تكون بالملابسة والرسول بملابس المرسل والمرسل اليه جميعا فاتبعنا بعضهم
بعضا وجعلناهم احاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون اي فاتبعنا الامم والقرون
بعضهم بعضا في الاهلاك وجعلناهم اخبارا يسمر بها ويتعجب منها والاحاديث
تكون اسم جمع للحديث ومنه احاديث رسول الله وتكون جمعا للاحدوثة
التي هي مثل الاضحوكة والالعوبة والاعجوبة وهي ما يتحدث به الناس

به

ملابس

تلهيا

تلهيا وتعجبا وهو المراد ههنا ثم ارسلنا موسى واخاه هارون باياتنا
وسلطان مبين فان قلت ما المراد بالسلطان المبين قلت يجوز ان
يراد العصا لانها كانت ام ايات موسى عليه السلام واولاها وقد تعلقت
بها معجزات شتى من انقلابها حية وتلقفها ما افكته السحرة وانفلاق البحر
وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها وكونها حارسا وشمعة وشجرة خضراء
مثمرة ودلوا ورشاء جعلت كانها ليست بعضها لما استبدت به من الفضل
فلذلك عطفت عليها كقوله تعالى وجبريل وميكائيل ويجوز ان تراد الايات
نفسها اي هي ايات وحجة بينة الى فرعون وملايه فاستكبروا وكانوا
قوما عالين اي متكبرين ان فرعون علا في الارض لا يريدون علوا في الارض
اي متطاولين على الناس قاهرين بالبغي والظلم قالوا انؤمن لبشرين مثلنا
البشر يكون واحدا وجمعا بشرا سويا لبشرين مثلنا فاما ترين من البشر
ومثل وغير يوصف بهما الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث انكم اذا مثلهم
ومن الارض مثلهن ويقال ايضا هما مثلاه وهم امثاله ان الذين تدعون
من دون الله عباد امثالكم وقومهما يعني بني اسرائيل لنا عابدون كانهم
يعبدوننا خضوعا وتذللا او لانه كان يدعي الالهية فادعى للناس العبادة
وان طاعتهم له عبادة على الحقيقة فكذبوهما فكانوا من المهلكين ولقد اتينا
موسى الكتاب اي قوم موسى التورية لعلهم يهتدون لعلهم يعملون بشرائعها
ومواعظها كما قال على خوف من فرعون وملائهم يريد ال فرعون وكما يقولون
هاشم وثقيف وتميم ويراد قومهم ولا يجوز ان يرجع في لعلهم الى فرعون
وملايه لان التورية انما اوتيها بنوا اسرائيل بعد اغراق فرعون وملايه ولقد
اتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى وجعلنا ابن مريم وامه اية
فان قلت لو قيل ايتين هل كان يكون له وجه قلت نعم لان مريم
ولدت من غير مسيس وعيسى روح من الله القي فيها وقد تكلم في المهد
وكان يحيي الموتى مع معجزات اخر فكان اية من غير وجه واللفظ محتمل للتثنية
على تقدير وجعلنا ابن مريم اية وامه اية ثم حذفت الاولى لدلالة الثانية
عليها واويناهما الى ربوة الربوة والرباوة في راءيهما الحركات وقرئ رُبوة
ورَباوة بالضم ورِباوة بالكسر وهي الارض المرتفعة قيل هي ايليا ارض بيت
المقدس وانها كبد الارض واقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا عن كعب
وقيل دمشق وغوطتها وعن الحسن فلسطين والرملة وعن ابي هريرة الزموا
هذه الرملة رملة فلسطين فانها الربوة التي ذكرها الله وقيل مصر ذات
قرار ومعين والقرار المستقر من الارض مستوية منبسطة وعن قتادة
رحمه الله ذات ثمار وماء يعني انه لاجل الثمار يستقر فيها ساكنوها والمعين
الماء الظاهر الجاري على وجه الارض وقد اختلف في زيادة ميمه واصالته
فوجه من جعله مفعولا انه مدرك بالعين لظهوره من عانه اذا ادركه
بعينه نحو ركبه اذا ضربه بركبته ووجه من جعله فعيلا انه نفاع
لظهوره وجريه من الماعون وهو المنفعة يا ايها الرسل كلوا من الطيبات
واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون
هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما وكيف والرسل انما ارسلوا متفرقين
في ازمنة وانما المعنى الاعلام بان كل رسول في زمانه نودي لذلك ووصي
به ليعتقد السامع ان امرا نودي له جميع الرسل ووصوا به حقيق ان
يؤخذ به ويعمل عليه والمراد بالطيبات ما حل وطاب وقيل طيبات الرزق

حلال وصافٍ وقوام فالحلال الذي لايعصي الله فيه والصافي الذي لاينسي
الله فيه والقوام مايمسك النفس ويحفظ العقل اواريد مايستطاب ويستلذ
من الماكل والفواكه ويشهد له مجيئه عقب قوله واويناهما الي ربوة ذات
قرار ومعين ويجوزان يقع هذا الاعلام عند ايواء عيسي ومريم الي الربوة
فذكر علي سبيل الحكاية اي اويناهما وقلنا لهما هذا اي اعلمناهما ان الرسل
كلهم خوطبوا بهذا فكلا مما رزقناكما واعملا صالحا اقتداء بالرسل قري وان
بالكسر علي الاستيناف وانّ بمعني ولان وأن مخففة من الثقيلة وامتكم مرفوعة
معها فتقطعوا امرهم بينهم زبرا وقري زُبَرًا جمع زبور اي كتبا مختلفة يعني
جعلوا دينهم اديانا وزبورا قطعا استعيرت من زبر الحديد والفضة وزبرا
مخففة الباء كرسل في رسل كل حزب بما لديهم فرحون اي كل فرقة من فرق
هولا المختلفين المتقطعين دينهم فرح بباطله مطمين النفس معتقد انه
علي الحق فذرهم في غمرتهم الغمرة الماء الذي يغمر القامة فضربت مثلا لما هم
مغمورون فيه من جهلهم وعمايتهم او شبهوا باللاعبين في غمرة الماء لما هم
عليه من الباطل قال ⁂ كانني ضارب في غمرة لعب ⁂ وعن علي رضي الله
عنه في غمرتهم حتي حين الي ان يقتلوا او يموتوا سلي رسول الله بذلك
ونهي عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تاخيره ايحسبون انما نمدهم به من مال
وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقري يمدهم ويسارع ويسرع
والفاعل هو الله تعالي ويجوز في يسارع ويسرع ان يتضمن ضمير الممد به ويسارع
مبنيا للمفعول والمعني ان هذا الامداد ليس الا استدراجا لهم الي المعاصي
واستجرارا الي زيادة الاثم وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات وفيما لهم
فيه نفع واكرام ومعاجلة بالثواب قبل وقته ويجوز ان يراد في جزاء الخيرات
كما يفعل باهل الخير من المسلمين وبل استدراك لقوله ايحسبون يعني
بل هم اشباه البهايم لا فطنة بهم ولاشعور حتي يتاملوا ويتفكروا في ذلك
اهو استدراج ام مسارعة في الخير فان قلت اين الراجع من خبر ان الي
اسمها اذا لم يستكن فيه ضمير قلت هو محذوف تقديره نسارع به
ويسارع به ويسارع الله به كقوله ان ذلك لمن عزم الامور اي ان ذلك منه
وذلك لاستطالة الكلام مع امن الالباس ان الذين هم من خشية ربهم 3
مشفقون والذين هم بايات ربهم يومنون والذين هم بربهم لا يشركون
والذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الي ربهم راجعون يوتون ما اتوا
يعطون ما اعطوا وفي قراة رسول الله صلي الله عليه وسلم وعائشة ياتون
ما اتوا اي يفعلون ما فعلوا وعنها انها قالت قلت يا رسول الله هو الذي
يزني ويسرق ويشرب الخمر وهو علي ذلك يخاف الله قال لا يا ابنة الصديق
ولكن هو الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو علي ذلك يخاف الله ان لا يقبل
منه اولئك يسارعون في الخيرات يسارعون في الخيرات يحتمل معنيين احدهما
ان يراد يرغبون في الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها والثاني انهم يتعجلون
في الدنيا المنافع ووجوه الاكرام كما قال فاتيهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب
الاخرة واتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين لانهم اذا سورع بها لهم
فقد سارعوا في نيلها وتعجلوها وهذا الوجه احسن طباقا للاية المتقدمة
لان فيها اثبات ما نفي عن الكفار للمومنين وقري يسرعون في الخيرات وهم
لها سابقون اي فاعلون السبق لاجلها او سابقون الناس لاجلها او اياها
سابقون اي ينالونها قبل الاخرة حيث عجلت لهم في الدنيا ويجوز ان

يكون

١٠٠

يكون لها سابقون خبرا بعد خبر ومعني وهم لها كمعني قوله ⁂ ⁂ ⁂
⁂ ⁂ انت لها احمد من بين البشر ولا نكلف نفسا الا وسعها ولدينا
كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون يعني ان هذا الذي وصف به الصالحين
غير خارج من حد الوسع والطاقة وكذلك كل ما كلفه عباده وما عملوه من الاعمال
فغير ضايع عنده بل هو مثبت لديه في كتاب يريد اللوح او صحيفة الاعمال
ناطق بالحق لا يقرؤن منه يوم القيمة الا ما هو صدق وعدل لا زيادة فيه ولا
نقصان ولا يظلم منهم احد اواراد ان الله لا يكلف الا الوسع فان لم يبلغ
المكلف ان يكون علي صفة هولاء السابقين بعد ان يستفرغ وسعه ويبذل
طاقته فلا عليه ولدينا كتاب فيه عمل السابق والمقتصد ولا يظلم احدا من
حقه ولا يحطه دون درجته بل قلوبهم في غمرة بل قلوب الكفرة في غفلة
غامرة لها من هذا اي مما عليه هولاء الموصوفون من المومنين ولهم اعمال من
دون ذلك هم لها عاملون اي ولهم اعمال متجاوزة متخطية لذلك اي لما وصف
به المومنون هم لها معتادون وبها ضارون لا يفطمون عنها حتي اذا اخذنا
مترفيهم بالعذاب حتي ياخذهم الله بالعذاب وحتي هذه هي التي يبتدا بعدها
الكلام والكلام الجملة الشرطية والعذاب قتلهم يوم بدر والجوع حين دعا عليهم
رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطاتك علي مضر واجعلها
عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتي اكلوا الجيف والكلاب
والعظام المحترقة والقد والاولاد اذا هم يجارون الجوار الصراخ باستغاثة
قال ⁂ جار ساعات النيام لربه ⁂ لا تجاروا اليوم اي يقال لهم حينيذ
لا تجاروا فان الجوار غير نافع لكم انكم منا لا تنصرون لا تغاثون ولا تمنعون
منا او من جهتنا لا يلحقكم نصر ومعونة قد كانت اياتي تتلي عليكم فكنتم
علي اعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون قالوا الضمير في به
للبيت العتيق او للحرم كانوا يقولون لا يظهر علينا احد لانا اهل الحرم والذي
سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت وانه لم تكن لهم مفخرة الا انهم
ولاته والقايمون ويجوز ان يرجع الي اياتي الا انه ذكر لانها في معني كتابي به
ومعني استكبارهم بالقران تكذيبهم به استكبارا ضمن مستكبرين معني مكذبين
فعدي تعديته او يحدث لكم امتناعه استكبارا وعتوا فانتم مستكبرون
بسببه او يتعلق الباء بسامرا اي تسمرون بذكر القران وبالطعن فيه وكانوا
يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القران وتسميته
سحرا وشعرا وسب رسول الله صلي الله عليه وسلم او يتهجرون والسامر
نحو الحاضر في الاطلاق علي الجمع وقري سمرا وسمارا وتهجرون وتهجرون
من اهجر في منطقه اذا افحش والهجر بالضم الفحش ومن هجر الذي هو
مبالغة في هجر اذا هذي والهجر بالفتح الهذيان افلم يدبروا القول ام جاءهم
ما لم يات اباءهم الاولين القول القران يقول افلم يتدبروه ليعلموا انه
الحق المبين فيصدقوا به ومن جاء به بل جاءهم ما لم يات اباءهم فلذلك
انكروه واستبعدوه كقوله لتنذر قوما ما انذر اباوهم فهم غافلون او
ليخافوا عند تدبر اياته واقاصيصه مثل ما نزل بمن قبلهم من المكذبين ام جاءهم
من الامن ما لم يات اباءهم الاولين حين خافوا الله فامنوا به وبكتبه ورسله
واطاعوه واباوهم اسمعيل واعقابه من عدنان وقحطان وعن النبي
صلي الله عليه وسلم لا تسبوا مضر ولا ربيعة فانهما كانا مسلمين ولا تسبوا
قسا فانه كان مسلما ولا تسبوا الحرث بن كعب ولا اسد بن خزيمة ولا تميم

ابن مرة فانهم كانوا علي الاسلام وما شككتم فيه من شي فلا تشكوا في ان تبعا
كان مسلما وروي ان ضبة بن اد كان مسلما وكان علي شرطة سليمان ابن داود
عليهما السلام ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون ام لم يعرفوا محمدا وصحة نسبه
وحلوله في سطة هاشم وامانته وصدقه وشهامته وعقله واتسامه بانه خير
فتيان قريش والخطبة التي خطبها ابو طالب في نكاح خديجة بنت خويلد كفي
برغائها مناديا ام يقولون به جنة بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون
الجنة الجنون وكانوا يعلمون انه بري منها وانه ارجحهم عقلا واثقبهم ذهنا
ولكنه جاءهم بما يخالف شهواتهم واهواءهم ولم يوافق ما نشاوا عليه وسيط
بلحومهم ودمائهم من اتباع الباطل ولم يجد واله مردا ولا مدفعا لانه الحق الابلج
والصراط المستقيم فاخلدوا الي البهت وعولوا علي الكذب من النسبة الي الجنون
والسحر والشعر فان قلت قوله واكثرهم فيه ان اقلهم كانوا لا يكرهون الحق
قلت كان فيهم من يترك الايمان به انفة واستنكافا من توبيخ قومه
وان يقولوا صبا وترك دين ابائه لا كراهة للحق كما يحكي عن ابي طالب فان
قلت يزعم بعض الناس ان اباطالب صح اسلامه قلت يا سبحان
الله كان اباطالب كان اخمل اعمام رسول الله حتي يشتهر اسلام حمزة والعباس
ويخفي اسلام ابي طالب ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض
ومن فيهن دل بهذا علي عظم شان الحق وان السموات والارض ما قامت ولا
من فيهن الا به فلو اتبع اهواءهم لانقلب باطلا ولذهب ما يقوم به العالم
فلا يبقي له بعده قوام او اراد ان الحق الذي جاء به محمد وهو الاسلام لو اتبع
اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيمة ولاهلك العالم ولم يوخر وعن
قتادة ان الحق هو الله ومعناه ولو كان الله الها يتبع اهواءهم ويامر بالشرك
والمعاصي لما كان الها ولكن شيطانا ولما قدر علي ان يمسك السموات والارض
بل اتيناهم بذكرهم اي بالكتاب الذي هو ذكرهم اي وعظهم او وصيتهم وفخرهم
او بالذكر الذي كانوا يتمنونه ويقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا
عباد الله المخلصين فهم عن ذكرهم معرضون وقري بذكراهم ام تسالهم خرجا
فخراج ربك خير وهو خير الرازقين قري خرجا فخراج وخرجا فخراج وهو ما تخرجه
الي الامام من زكوة ارضك والي كل عامل من اجرته وجعله وقيل الخرج
ما تبرعت به والخراج ما لزمك اداوه والوجه ان الخرج اعم من الخراج كقولك
خراج القرية وخرج الكردة زيادة اللفظ لزيادة المعني ولذلك حسنت
قراءة من قرا خرجا فخراج ربك يعني ام تسالهم علي هدايتك لهم قليلا من عطاء
الخلق فالكثير من عطاء الخالق خير وانك لتدعوهم الي صراط مستقيم وقد
الزمهم الحجة في هذه الايات وقطع معاذيرهم وعللهم بان الذي ارسل اليهم
رجل معروف امره وحاله مخبور سره وعلنه خليق بان يجتبي للرسالة مثله
وانه لم يعرض له حتي يدعي مثل هذه الدعوة العظيمة بباطل ولم يجعل ذلك
سلما الي النيل من دنياهم واستعطاء اموالهم ولم يدعهم الا الي دين الاسلام
الذي هو الصراط المستقيم مع ابراز المكنون من ادوائهم وهو اخلالهم بالتدبر
والتامل واستهتارهم بدين الاباء الضلال من غير برهان وتعللهم بانه
مجنون بعد ظهور الحق وثبات التصديق من الله بالمعجزات والايات النيرة
وكراهتهم للحق واعراضهم عما فيه حظهم من الذكر وان الذين لا يومنون بالاخرة
عن الصراط لناكبون يحتمل ان هولاء وصفتهم انهم لا يومنون بالاخرة لناكبون
اي عادلون عن هذا الصراط المذكور وهو قوله الي صراط مستقيم وان

تخرج وخرجا صح

كل من لا يومن بالاخرة فهو عن القصد ناكب لما اسلم ثمامة بن اثال الحنفي ولحق
باليمامة ومنع الميرة من اهل مكة واخذهم الله بالسنين حتي اكلوا العلهز
جاء ابو سفيان الي رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال له انشدك الله والرحم
الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلي فقال قتلت الاباء بالسيف
والابناء بالجوع فنزلت ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم
يعمهون ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون حتي اذا
فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون والمعني لو كشف الله عنهم
هذا الضر وهو الهزال والقحط الذي اصابهم برحمته عليهم ووجدوا الخصب
لارتدوا الي ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله والمومنين وافراطهم
فيها ولذهب عنهم هذا الابلاس وهذا التملق بين يديه يسترحمونه واستشهد
علي ذلك بانا اخذناهم اولا بالسيوف وبما جري عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم واسرهم
فما وجدت منهم بعد ذلك استكانة ولا تضرع حتي فتحنا عليهم باب الجوع الذي
هو اشد من الاسر والقتل وهو اطم العذاب فابلسوا الساعة وخضعت رقابهم
وجاء اعتاهم واشدهم شكيمة في العناد يستعطفك او محناهم بكل محنة من القتل
والجوع فما روي فيهم لين مقادة وهم كذلك حتي اذا عذبوا بنار جهنم فحينئذ يبلسون
كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون والابلاس
الياس من كل خير وقيل السكون مع التحير فان قلت ما وزن استكان
قلت استفعل من الكون اي انتقل من كون الي كون كما قيل استحال اذا
انتقل من حال الي حال ويجوز ان يكون افتعل من السكون اشبعت فتحة عينه
كما جاء بمنتزاح فان قلت هلا قيل وما تضرعوا او فما يستكينون قلت
لان المعني محناهم فما وجدت منهم عقيب المحنة استكانة وما من عادة هولاء
ان يستكينوا ويتضرعوا حتي يفتح عليهم باب العذاب الشديد وقري فتحنا
وهو الذي انشا لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون انما خص
السمع والابصار والافئدة لانه يتعلق بها من المنافع الدينية والدنياوية
ما لا يتعلق بغيرها ومقدمة منافعها ان يعملوا ابصارهم واسماعهم في ايات
الله وافعاله ثم ينظروا ويستدلوا بقلوبهم ومن لم يعملها فيما خلقت له فهو
بمنزلة عادمها كما قال عز وجل فما اغني عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم
من شي اذ كانوا يجحدون بايات الله ومقدمة شكر النعمة فيها الاقرار بالمنعم
بها وان لا يجعل له ند ولا شريك اي تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة للتاكيد بمعني
حقا وهو الذي ذراكم في الارض اي خلقكم وبثكم بالتناسل واليه تحشرون
واليه تجمعون يوم القيمة بعد تفرقكم وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف
الليل والنهار اي هو مختص به وهو متوليه ولا يقدر علي تصريفهما غيره افلا
تعقلون وقري يعقلون بالياء عن ابي عمرو بل قالوا مثل ما قال الاولون اي قال
اهل مكة كما قال الكفار قبلهم قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون
لقد وعدنا نحن واباونا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين الاساطير
جمع اسطار جمع سطر قال رؤبة اني واسطار سطرن سطرا
وهي ما كتبه الاولون مما لا حقيقة له وجمع اسطورة اوفق قل لمن الارض ومن
فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون اي اجيبوني عما استعلمتكم
منه ان كان عندكم فيه علم وفيه استهانة بهم وتجويز لفرط جهالتهم بالديانات
ان يجهلوا مثل هذا الظاهر البين وقري تذكرون بحذف التاء الثانية ومعناه
افلا تذكرون فتعلموا ان من فطر الارض ومن فيها اختراعا كان قادرا علي

اعادة الخلق وكان حقيقا بان لا يشرك به بعض خلقه في الربوبية قل من
رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون قري
الاول باللام لا غير والاخران باللام وهو هكذا في مصاحف اهل الحرمين والكوفة
والشام وبغير اللام وهو هكذا في مصاحف اهل البصرة فباللام على المعنى لان
قولك من ربه ولمن هو في معنى واحد وبغير اللام على اللفظ ويجوز قراة الاول بغير
لام ولكنها لم تثبت في الرواية افلا تتقون افلا تخافونه فلا تشركوا به وتعصوا
رسوله قل من بيده ملكوت كل شي وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون
اجرت فلانا على فلان اذا اغثته منه ومنعته يعني وهو يغيث من يشاء ممن
يشاء ولا يغيث احدٌ منه احدًا سيقولون الله قل فاني تسحرون تخدعون
عن توحيده وطاعته والخادع هو الشيطان والهوى بل اتيناهم وقري اتيتهم
واتيتهم بالفتح والضم بالحق بان نسبة الولد اليه محال والشرك باطل وانهم
لكاذبون حيث يدعون له ولدا ومعه شريكا ما اتخذ الله من ولد وما كان معه
من اله اذا لذهب كل اله بما خلق لانفرد كل واحد من الالهة بخلقه الذي خلقه
واستبد به ولرايتم ملك كل واحد منهم متميزا من ملك الاخر ولعلا بعضهم على
بعض ولغلب بعضهم بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متمايزة وهم متغالبون
وحين لم تروا اثرا لتمايز الممالك والتغالب فاعلموا انه اله واحد بيده ملكوت كل شي
فان قلت اذن لا تدخل الا على كلام هو جزاء وجواب فكيف وقع قوله لذهب
جزاء وجوابا ولم يتقدمه شرط ولا سوال سايل قلت الشرط محذوف
تقديره ولو كان معه الهة وانما حذف لدلالة قوله وما كان معه من اله عليه
وهو جواب لمن معه المحاجة من المشركين سبحان الله عما يصفون من الانداد
والاولاد عالم الغيب بالجر صفة الله وبالرفع خبر مبتدا محذوف والشهادة
فتعالى عما يشركون قل رب اما تريني ما يوعدون رب فلا تجعلني في القوم
الظالمين ما والنون موكدتان اي ان كان لا بد من ان تريني ما تعدهم من العذاب
في الدنيا او الاخرة فلا تجعلني قرينا لهم ولا تعذبني بعذابهم عن الحسن اخبره
الله ان له في امته نقمة ولم يخبره افي حيوته ام بعد موته فامره ان يدعو بهذا
الدعا فان قلت كيف يجوز ان يجعل الله نبيه المعصوم من الظالمين
حتى يطلب ان لا يجعله معهم قلت يجوز ان يسال العبد ربه ما علم انه يفعله
وان يستعيذ به مما علم انه لا يفعله اظهارا للعبودية وتواضعا لربه واخباتا
له واستغفاره صلى الله عليه وسلم اذا قام من مجلسه سبعين مرة او ماية مرة
لذلك وما احسن قول الحسن في قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه وليتكم ولست
بخيركم كان يعلم انه خيرهم ولكن المومنين من يهضم نفسه وقري ترينهم
بالهمز كما قري فاما ترئن ولترؤن الجحيم وهي ضعيفة وقوله رب مرتين قبل
الشرط وقبل الجزاء حث على فضل تضرع وجوار وانا على ان نريك ما نعدهم
لقادرون كانوا ينكرون الموعد بالعذاب ويضحكون منه واستعجالهم له لذلك
فقيل لهم ان الله قادر على انجاز ما وعد ان تاملتم فما وجه هذا الانكار ادفع
بالتي هي احسن السيئة هو ابلغ من ان يقال بالحسنة السيئة لما فيه من
التفضيل كانه قال ادفع بالحسنى السيئة والمعنى الصفح عن اساتهم ومقابلتها
بما امكن من الاحسان حتى اذا اجتمع الصفح والاحسان وبذل الاستطاعة
فيه كانت حسنة مضاعفة بازا سيئة وهذه قضية قوله بالتي هي
احسن وعن ابن عباس هي شهادة ان لا اله الا الله والسيئة الشرك وعن
مجاهد السلام يسلم عليه اذا لقيه وعن الحسن الاغضاء والصفح وقيل

هي

هي منسوخة باية السيف وقيل محكمة لان المداراة محثوث عليها ما لم تود
الى ثلم دين وازراء بمروة نحن اعلم بما يصفون بما يذكرونه من احوالك بخلاف
صفتها او بوصفهم لك وسوء ذكرهم والله اعلم بذلك منك واقدر على جزائهم
وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون الهمز
النخس والهمزات جمع المرة منه ومنه مهماز الرايض والمعنى ان الشياطين
يحثون الناس على المعاصي ويغرونهم عليها كما تهمز الراضة الدواب حثا لها
على المشي ونحو الهمز الاز في قوله توزهم ازا امر بالتعوذ من نخساتهم بلفظ
المبتهل الى ربه المكرر لندائه وبالتعوذ من ان يحضروه اصلا ويحوموا حوله
وعن ابن عباس رضي الله عنهما عند تلاوة القران وعن عكرمة عند النزع حتى
يتعلق بيصفون اي لا يزالون على سوء الذكر الى هذا الوقت والاية فاصلة
بينهما على وجه الاعتراض والتاكيد للاغضاء عنهم مستعينا بالله على الشيطان
ان يستنزله عن الحلم ويغريه على الانتصار منهم او على قوله وانهم لكاذبون
اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون خطاب لله بلفظ الجمع للتعظيم
كقوله ∴ فان شيت حرمت النساء سواكم ∴ وقوله ∴
∴ الا فارحموني يا اله محمد ∴ اذا ايقن بالامر واطلع على حقيقة بالموت
الامر ادركته الحسرة على ما فرط فيه من الايمان والعمل الصالح فيه فسال ربه
الرجعة وقال لعلي اعمل صالحا فيما تركت لعلي اعمل صالحا في الايمان الذي تركته
والمعنى لعلي اتي بما تركته من الايمان واعمل صالحا كما تقول لعلي ابني على اس تريد
اوسس اسا وابني عليه وقيل فيما تركت من المال وعن النبي صلى الله عليه
وسلم اذا عاين المومن الملايكة قالوا نرجعك الى الدنيا قال الى دار الهموم و
والاحزان بل قدوما الى الله واما الكافر فيقول رب ارجعوني كلا ردع
عن طلب الرجعة وانكار واستبعاد انها كلمة والمراد بالكلمة الطائفة من الكلام
المنتظم بعضها مع بعض وهي قوله تعالى لعلي اعمل صالحا فيما تركت هو قايلها
لا محالة لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة عليه وتسلط الندم او هو
قايلها وحده لا يجاب اليها ولا تسمع منه ومن ورايهم برزخ الى يوم يبعثون
الضمير للجماعة اي امامهم حايل بينهم وبين الرجعة الى يوم البعث وليس المعنى
انهم يرجعون يوم البعث وانما هو اقناط كلي لما علم انه لا رجعة يوم البعث
الا الى الاخرة فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يوميذ والصور بفتح الواو
عن الحسن والصور بالفتح والكسر عن ابي رزين العقيلي وهذا دليل لمن فسر
الصور بجمع الصورة ونفي الانساب يحتمل ان التقاطع يقع بينهم حيث يتفرقون
معاقبين ومثابين ولا يكون التواصل بينهم والتالف الا بالاعمال فتلغوا
الانساب وتبطل وانه لا يعتد بالانساب لزوال التعاطف والتراحم
بين الاقارب اذ يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه ولا يتساءلون
وعن ابن مسعود ولا يساءلون بادغام التاء في السين فان قلت
قد ناقض هذا ونحو قوله ولا يسال حميم حميما قوله واقبل بعضهم على بعض
يتساءلون وقوله يتعارفون بينهم فكيف التوفيق بينهما قلت فيه
جوابان احدهما ان يوم القيمة مقداره خمسون الف سنة ففيه ازمنة واحوال
مختلفة يتساءلون ويتعارفون في بعضها وفي بعضها لا يفطنون لذلك
لشدة الهول والفزع والثاني ان التناكر يكون عند النفخة الاولى فاذا كانت
الثانية قاموا فتساءلوا وتعارفوا فمن ثقلت موازينه فاوليك هم المفلحون
ومن خفت موازينه فاوليك الذين خسروا انفسهم عن ابن عباس الموازين

جمع موزون وهي الموزونات من الاعمال اي الصالحات التي لها وزن
وقدر عند الله تعالى من قوله فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا في جهنم خالدون
بدل من خسروا انفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لان الصلة لا محل لها او خبر
بعد خبر لاولئك او خبر مبتدا محذوف تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون
تلفح تسفع وقال الزجاج اللفح والنفح واحد والكلوح ان تتقلص الشفتان وتتشمرا
عن الاسنان كما ترى الرؤس المشوية وعن مالك بن دينار كان سبب توبة
عتبة الغلام انه مر في السوق براس اخرج من التنور فغشي عليه ثلاثة ايام
ولياليهن وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تشويه النار فتقلص
شفته العليا حتى تبلغ وسط راسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته
وقري كلحون الم تكن اياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا
ملكتنا شقوتنا من قولك غلبني فلان على كذا اذا اخذه منك وامتلكه
والشقاوة سوء العاقبة التي علم الله انهم يستحقونها بسوء اعمالهم قري شقوتنا
وشقاوتنا بفتح الشين وكسرها فيهما وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها
فان عدنا فانا ظالمون قال اخسئوا فيها ذلوا فيها وانزجروا كما تنزجر الكلاب
اذا زجرت يقال خسا الكلب وخسا بنفسه ولا تكلمون في رفع العذاب
فانه لا يرفع ولا يخفف قيل هو اخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد
ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون
وعن ابن عباس ان لهم ست دعوات اذا دخلوا النار قالوا الف سنة ربنا
ابصرنا وسمعنا فيجابون حق القول مني فينادون الفا ربنا امتنا اثنتين
فيجابون ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم فينادون الفا يا مالك ليقض
علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فينادون الفا ربنا اخرنا فيجابون اولم
تكونوا فينادون الفا اخرجنا نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم فينادون
الفا رب ارجعون فيجابون اخسئوا فيها انه كان فريق من عبادي في حرف
ابي انه كان فريق بالفتح لانه يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت
خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون
السخري بالضم والكسر مصدر سخر كالسخر الا ان في ياء النسب زيادة قوة
في الفعل كما قيل الخصوصية في الخصوص وعن الكسائي والفراء المكسور
من الهزء والمضموم من السخرة والعبودية اي تسخروهم واستعبدوهم
والاول مذهب الخليل وسيبويه قيل هم الصحابة وقيل اهل الصفة خاصة
ومعناه اتخذتموهم هزؤا وتشاغلتم بهم ساخرين حتى انسوكم بتشاغلكم
بهم على تلك الصفة ذكري فتركتموه اي تركتم ان تذكروني فتخافوني في اوليائي
اني جزيتهم اليوم بما صبروا انهم هم الفائزون وقري انهم بالفتح فالكسر
استيناف اي قد فازوا حيث صبروا فاجزوا بصبرهم احسن الجزاء والفتح على
انه مفعول جزيتهم كقولك جزيتهم فوزهم قال كم لبثتم في الارض عدد سنين
قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فاسال العادين قال ان لبثتم الا قليلا لو انكم
كنتم تعلمون قال في مصاحف اهل الكوفة وقل في مصاحف اهل الحرمين والبصرة
والشام ففي قال ضمير الله او المامور بسؤالهم من الملائكة وفي قل ضمير الملك
او بعض رؤساء اهل النار استقصروا مدة لبثهم في الدنيا بالاضافة
الى خلودهم ولما هم فيه من عذابها لان الممتحن يستطيل ايام محنته ويستقصر
ما مر عليه من ايام الدعة اليها او لانهم كانوا في سرور وايام السرور قصار
او لان المنقضي في حكم ما لم يكن وصدقهم الله في تقالهم لسني لبثهم

في الدنيا

الا ان اللفح اشد تاثيرا مح

علم

بمعنى

في الدنيا ووبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها وقري فسل العادين والمعنى
لا نعرف من عدد تلك السنين الا انا نستقله ونحسبه يوما او بعض يوم لما نحن
فيه من العذاب وما فينا ان نعدها فسل من فيه ان يعد ومن يقدر
ان يلقي فيه فكره وقيل فسل الملائكة الذين يعدون اعمار العباد ويحصون
اعمالهم وقري العادين بالتخفيف اي الظلمة فانهم يقولون كما نقول وقري
العاديين اي القدماء المعمرين فانهم يستقصرونها فكيف بمن دونهم وعن
ابن عباس انساهم ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين افحسبتم انما خلقناكم
عبثا عبثا حال اي عابثين كقوله لاعبين او مفعول له اي ما خلقناكم للعبث
ولم يدعنا الى خلقكم الا حكمة اقتضت ذلك وهي ان نتعبدكم ونكلفكم الشاق
من الطاعات وترك المعاصي ثم نرجعكم من دار التكليف الى دار الجزاء فنثيب
المحسن ونعاقب المسيء وانكم الينا لا ترجعون معطوف على انما خلقناكم ويجوز
ان يكون معطوفا على عبثا اي للعبث ولتركنا غير مرجوعين وقري ترجعون
بفتح التاء فتعالى الله الملك الحق الذي يحق له الملك لان كل شيء منه واليه
والثابت الذي لا يزول ولا يزول ملكه لا اله الا هو رب العرش الكريم وصف
العرش بالكريم لان الرحمة تنزل منه والخير والبركة او لنسبته الى اكرم الاكرمين
كما يقال بيت كريم اذا كان ساكنوه كراما وقري الكريم بالرفع ونحوه ذو العرش
المجيد ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له به لا برهان له به كقوله ما لم
ينزل به سلطانا وهي صفة لازمة نحو قوله يطير بجناحيه جيء بها للتوكيد لا ان
يكون في الالهة ما يجوز ان يقوم عليه برهان ويجوز ان يكون اعتراضا بين
الشرط والجزاء كقولك من احسن الى زيد لا احق بالاحسان منه فالله مثيبه
فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون وقري انه لا يفلح بفتح الهمزة
ومعناه حسابه عدم الفلاح والاصل حسابه انه لا يفلح هو فوضع الكافرون
موضع الضمير لان من يدع في معنى الجمع وكذلك حسابه انه لا يفلح في معنى
حسابهم انهم لا يفلحون جعل فاتحة السورة قد افلح المؤمنون واورد في خاتمتها
انه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة وقل رب اغفر وارحم وانت
خير الراحمين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المؤمنون
بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت
وروي ان اول سورة قد افلح واخرها من كنوز العرش من عمل بثلاث ايات
من اولها واتعظ باربع ايات من اخرها فقد نجا وافلح وعن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي يسمع
عنده دوي كدوي النحل فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال
اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا واثرنا ولا تؤثر
علينا وارض عنا وارضنا ثم قال لقد انزلت علي عشر ايات من اقامهن
دخل الجنة ثم قرا قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر

سورة النور مدنية وهي ثنتان وستون وقيل اربع وستون

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة خبر مبتدا محذوف وانزلناها صفة او هي مبتدا موصوف والخبر محذوف
اي فيما اوحينا اليك سورة انزلناها وقري بالنصب على زيدا ضربته ولا محل
لانزلناها لانها مفسرة للمضمر فكانت في حكمه او على دونك سورة او اتل
سورة وانزلناها صفة ومعنى فرضناها اي فرضنا احكامها التي فيها واصل
الفرض القطع اي جعلناها واجبة مقطوعا بها والتشديد للمبالغة في الايجاب

وتوكيدا ولان فيها فرائض شتى وانك تقول فرضت الفريضة وفرضت
الفرايض لكثرة المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم وانزلنا فيها ايات
بينات لعلكم تذكرون تذكرون بتشديد الذال وتخفيفها الزانية والزاني
رفعهما على المبتدا والخبر محذوف عند الخليل وسيبويه على معنى فيما فرض
عليكم الزانية والزاني اي جلدهما ويجوز ان يكون الخبر فاجلدوا وانما دخلت
الفا لكون الالف واللام بمعنى الذي وتضمنه معنى الشرط وتقديره التي
زنت والذي زنى فاجلدوهما كما تقول من زنى فاجلده وكقوله والذين
يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهدا فاجلدوهم وقرى بالنصب
على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من سورة انزلناها لاجل الامر
وقرى والزان بلا يا والجلد ضرب الجلد يقال جلده كقولك ظهره وبطنه
وراسه كل واحد منهما مائة جلدة فان قلت اهذا حكم جميع الزناة
والزواني ام حكم بعضهم قلت بل هو حكم من ليس بمحصن منهم فان
المحصن حكمه الرجم وشرايط الاحصان عند ابي حنيفة ست الاسلام
والحرية والعقل والبلوغ والتزوج بنكاح صحيح والدخول اذا فقد واحد
منها فلا احصان وعند الشافعي رحمه الله الاسلام ليس بشرط لما روي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين زنيا وحجة ابي حنيفة قوله
عليه السلام من اشرك بالله فليس بمحصن فان قلت اللفظ يقتضي
تعليق الحكم بجميع الزناة والزواني لان قوله الزانية والزاني عام في الجميع يتناول
المحصن وغير المحصن قلت الزانية والزاني يدلان على الجنسين المنافيين
لجنسي العفيف والعفيفة دلالة مطلقة والجنسية قايمة في الكل والبعض
جميعا فايهما قصد المتكلم فلا عليه كما يفعل بالاسم المشترك ولا تاخذكم بهما
رافة في دين الله وقرى ولا ياخذكم بالياء ورافة على فعالة والمعنى ان الواجب
على المومنين ان يتصلبوا في دين الله ويستعملوا الجد والمتانة فيه ولا ياخذهم
اللين والهوادة في استيفاء حدوده وكفى برسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة
في ذلك حيث قال لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقوله ان كنتم
تومنون بالله واليوم الاخر من باب التهييج والهاب الغضب لله ولدينه
وقيل لا تترحموا عليهما حتى تعطلوا الحدود او حتى لا توجعوهما ضربا
وفي الحديث يوتى بوال نقص من الحد سوطا فيقول رحمة لعبادك فيقال
له انت ارحم به مني فيومر به الى النار ويوتى بمن زاد سوطا فيقول
لينتهوا عن معاصيك فيومر به الى النار وعن ابي هريرة رضي الله عنه اقامة
حد بارض خير لاهلها من مطر اربعين ليلة وعلى الامام ان ينصب للحدود
رجلا عالما بصيرا يعقل كيف يضرب والرجل يجلد قايما على مجرده اي جلدة ليس
عليه لا ازاره ضربا وسطا لا مبرحا ولا هينا مفرقا على الاعضا كلها لا يستثنى
منها الا ثلاثة الوجه والراس والفرج وفي لفظ الجلد اشارة الى انه لا ينبغي
ان يتجاوز الالم الى اللحم والمراة تجلد قاعدة ولا ينزع من ثيابها الا الحشو
والفرو وبهذه الاية استشهد ابو حنيفة رحمه الله على ان الجلد حد غير
المحصن بلا تغريب وما احتج به الشافعي رحمه الله على وجوب التغريب
من قوله عليه السلام البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وما روي
عن الصحابة رضي الله عنهم انهم جلدوا ونفوا منسوخ عنده وعند اصحابه
بالاية او محمول على وجه التعزير والتاديب من غير وجوب وقول الشافعي
رحمه الله في تغريب الحر واحد وله في العبد ثلاثة اقاويل يغرب سنة

رافة يعني الرحمة

كالحر

كالحر ويغرب نصف سنة كما يجلد خمسين جلدة ولا يغرب كما قال ابو حنيفة
رحمه الله وبهذه الاية نسخ الحبس والاذى في قوله فامسكوهن في البيوت
وقوله فاذوهما وليشهد عذابهما قيل تسميته عذابا دليل على انه عقوبة
اي لا يعذب في الاخرة ويجوز ان يسمى عذابا لانه يمنع من المعاودة كما يسمى
نكالا طائفة من المومنين الطايفة الفرقة التي يمكن ان تكون حلقة
واقلها ثلاثة او اربعة وهي صفة غالبة كانها الجماعة الحافة حول الشي وعن
ابن عباس في تفسيرها اربعة الى اربعين رجلا من المصدقين بالله
وعن الحسن عشرة وعن قتادة ثلاثة فصاعدا وعن عكرمة رجلان فصاعدا
وعن مجاهد الواحد فما فوقه وفضل قول ابن عباس لان الاربعة هي
الجماعة التي يثبت بها هذا الحد والصحيح ان هذه الكبيرة من امهات
الكباير ولهذا قرنها الله بالشرك وقتل النفس في قوله ولا يزنون ومن
يفعل ذلك يلق اثاما وقال ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا
وعن النبي صلى الله عليه وسلم يا معشر الناس اتقوا الزنى فان فيه ست خصال
ثلاثة في الدنيا وثلاثة في الاخرة فاما اللاتي في الدنيا فيذهب البها ويورث
الفقر وينقص العمر واما اللاتي في الاخرة فيوجب السخطة وسوء الحساب
والخلود في النار ولذلك وفى الله فيه عقد المائة بكماله بخلاف حد القذف
وشرب الخمر وشرع فيه القتلة الهولة وهي الرجم ونهى المومنين عن الرافة
على المجلود فيه وامر بشهود الطايفة للتشهير فوجب ان تكون طايفة
يحصل بها التشهير والواحد والاثنان ليسوا بتلك المثابة واختصاص المومنين
لان ذلك افضح والفاسق بين صلحاء قومه اخجل ويشهد له قول ابن عباس
رضي الله عنه الى اربعين رجلا من المصدقين بالله الزاني الفاسق الخبيث
الذي من شانه الزنى والتقحب لا ينكح الا زانية او مشركة لا يرغب في نكاح
الصوالح من النسا واللاتي على خلاف صفته وانما يرغب في فاسقة خبيثة
من شكله او في مشركة والزانية والفاسقة الخبيثة المسافحة كذلك لا
ينكحها الا زان او مشرك لا يرغب في نكاحها الصلحاء من الرجال وينفرون
عنها وانما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة او المشركين وحرم
ذلك على المومنين ونكاح المومن الممدوح عند الله الزانية ورغبته
فيها وانخراطه بذلك في سلك الفسقة المتسمين بالزنى محرم عليه محظور
لما فيه من التشبه بالفساق وحضور موقع التهمة والتسبب لسوء القالة
فيه والغيبة وانواع المفاسد ومجالسة الخطائين كم فيها من التعرض
لاقتراف الاثام فكيف بمزاوجة الزواني والقحاب وقد نبه على ذلك
بقوله وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم وقيل كان
بالمدينة موسرات من بغايا المشركين فرغب فقرا المهاجرين في نكاحهن
فاستاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وعن عايشة رضي الله
عنها ان الرجل اذا زنى بامراة ليس له ان يتزوجها لهذه الاية واذا باشرها
كان زانيا وقد اجازه ابن عباس رضي الله عنه وشبهه بمن سرق ثمر
شجرة ثم اشتراه وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سيل عن ذلك فقال
اوله سفاح واخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطء
وليس بقول لامرين احدهما ان هذه الكلمة اينما وردت في القران لم ترد
الا في معنى العقد والثاني فساد المعنى واداوه الى قولك الزاني لا يزني
الا بزانية والزانية لا يزني بها الا زان وقيل كان نكاح الزانية محرما

في اولا الاسلام ثم نسخ والناسخ قوله وانكحوا الايامي منكم وقيل الاجماع
وروي ذلك عن سعيد بن المسيب فان قلت اي فرق بين معنى
الجملة الاولي ومعنى الثانية قلت معنى الاولي صفة الزاني بكونه
غير راغب في العفايف ولكن في الفواجر ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها
غير مرغوب فيها للاعفاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان فان قلت كيف
قدمت الزانية على الزاني اولا ثم قدم عليها ثانيا قلت سيقت تلك
الاية لعقوبتهما على ما جنيا والمراة هي المادة التي منها نشات الجناية لانها لو لم
تطمع الرجل ولم تومض له ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت اصلا واولا
في ذلك بدي بذكرها واما الثانية فمسوقة لذكر النكاح والرجل اصل فيه
لانه هو الراغب والخاطب ومنه يبدأ الطلب وعن عمرو بن عبيد لا ينكح بالجزم
على النهي والمرفوع ايضا فيه معنى النهي ولكن ابلغ فاكد كما ان رحمك الله ويرحمك
ابلغ من ليرحمك ويجوز ان يكون خبرا محضا على معنى ان عادتهم جارية على
ذلك وعلى المومن الا يدخل نفسه تحت هذه العادة ويتصون عنها وقري
وحرم بفتح الحاء والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم
ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واوليك هم الفاسقون الا الذين تابوا
من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم القذف يكون بالزنى وبغيره
والذي دل على ان المراد قذفهن بالزنى شيان احدهما ذكر المحصنات عقيب
الزواني والثاني اشتراط اربعة من الشهداء لان القذف بغير الزنى يكفي
فيه شاهدان والقذف بالزنى ان يقول الحر العاقل البالغ لمحصنة يا زانية
او لمحصن يا زاني يا ابن الزاني يا ابن الزانية يا ولد الزنى لست لابيك لرشدة
والقذف بغير الزنى ان يقول يا اكل الربو يا شارب الخمر يا يهودي يا مجوسي
يا فاسق يا خبيث يا ماص بظر امه فعليه التعزير ولا يبلغ به ادنى حد
العبيد وهو اربعون بل ينقص منها وقال ابو يوسف رحمه الله يجوز ان
يبلغ تسع وسبعون وقال للامام ان يعزر الى المائة وشروط احصان
القذف خمسة الحرية والبلوغ والعقل والاسلام والعفة وقري باربعة
شهداء بالتنوين وشهداء صفة فان قلت كيف يشهدون مجتمعين
او متفرقين قلت الواجب عند ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله ان
يحضروا في مجلس واحد وان جاوا متفرقين كانوا قذفة وعند الشافعي
رحمه الله يجوز ان يحضروا متفرقين فان قلت هل يجوز ان يكون
زوج المقذوفة واحدا منهم قلت يجوز عند ابي حنيفة رحمه الله خلافا
للشافعي رحمه الله فان قلت كيف يجلد القاذف قلت كما جلد
الزاني الا انه لا ينزع عنه من ثيابه الا ما ينزع عن المراة من الحشو والفرو
والقاذفة كالزانية واشد الضرب ضرب التعزير ثم ضرب الزنى ثم ضرب
شرب الخمر ثم ضرب القاذف قالوا لان سبب عقوبته محتمل للصدق
والكذب الا انه عوقب صيانة للاعراض وردعا عن هتكها فان قلت
فان لم يكن المقذوف محصنا قلت يعزر القاذف ولا يحد الا ان يكون
المقذوف معروفا بما قذف به فلا حد ولا تعزير ورد شهادة القاذف
معلق عند ابي حنيفة رحمه الله باستيفاء الحد فاذا شهد قبل الحد او قبل
تمام استيفائه قبلت شهادته فاذا استوفي لم تقبل شهادته ابدا وان
تاب وكان من الابرار الاتقياء وعند الشافعي رحمه الله يتعلق رد شهادته
بنفس القذف فاذا تاب عن القذف بان رجع عنه عاد مقبول

الشهادة

للزناة

ايضا

الشهادة وكلاهما متمسك بالاية فابو حنيفة رحمه الله جعل جزاء الشرط
الذي هو الرمي الجلد ورد الشهادة عقيب الجلد على التابيد فكانوا مردودي
الشهادة عنده في ابدهم وهو مدة حيوتهم وجعل قوله واوليك هم
الفاسقون كلاما مستانفا غير داخل في حيز جزاء الشرط كانه حكاية حال
الرامين عند الله بعد انقضاء الجملة الشرطية والا الذين تابوا استثناء
من الفاسقين ويدل عليه قوله فان الله غفور رحيم والشافعي رحمه الله جعل
جزاء الشرط الجملتين غير انه صرف الابد الى مدة كونه قاذفا وهي تنتهي
بالتوبة والرجوع عن القذف وجعل الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية
وحق المستثنى عنده ان يكون مجرورا بدلا من هم في لهم وحقه عند ابي
حنيفة رحمه الله ان يكون منصوبا لانه عن موجب والذي يقتضيه ظاهر
الاية ونظمها ان تكون الجمل الثلاث بمجموعهن جزاء الشرط كانه قيل ومن قذف
المحصنات فاجلدوهم وردوا شهادتهم وفسقوهم اي فاجمعوا لهم الجلد
والرد والتفسيق الا الذين تابوا عن القذف واصلحوا فان الله يغفر لهم
فينقلبون غير مجلودين ولا مردودين ولا مفسقين فان قلت
الكافر يقذف فيتوب عن الكفر فتقبل شهادته بالاجماع والقاذف من المسلمين
يتوب عن القذف فلا تقبل شهادته عند ابي حنيفة رحمه الله كان القذف
مع الكفر اهون من القذف مع الاسلام قلت المسلمون لا يعباون بسب
الكفار لانهم شهروا بعداوتهم والطعن فيهم بالباطل فلا يلحق المقذوف
بقذف الكافر من الشين والشنار ما يلحقه بقذف مسلم مثله فشدد على
القاذف من المسلمين ردعا وكفا عن الحاق الشنار فان قلت هل للمقذوف
او للامام ان يعفو عن حد القاذف قلت لهما ذلك قبل ان يشهد الشهود
ويثبت الحد والمقذوف مندوب الى ان لا يرافع القاذف ولا يطالبه بالحد
ويحسن من الامام ان يحمل المقذوف على كظم الغيظ ويقول له اعرض عن
هذا ودعه لوجه الله قبل ثبات الحد فاذا ثبت لم يكن لواحد منهما ان يعفو
لانه خالص حق الله ولهذا لم يصح ان يصالح عنه بمال فان قلت هل يورث
الحد قلت لا يورث الحد عن ابي حنيفة رحمه الله لقوله عليه السلام
الحد لا يورث ويورث عند الشافعي رحمه الله واذا تاب القاذف قبل ان يثبت
الحد سقط وقيل نزلت هذه الاية في حسان بن ثابت رضي الله عنه حين
تاب مما قال في عايشة رضي الله عنها والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء
الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة
ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ويدرؤ عنها العذاب ان تشهد
اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها ان
كان من الصادقين قاذف امراته اذا كان مسلما حرا بالغا عاقلا غير محدود
في القذف والمراة بهذه الصفة مع العفة صح اللعان بينهما اذا قذفها بصريح
الزنى وهو ان يقول لها يا زانية او زنيت او رايتك تزنين واذا كان الزوج
عبدا او محدودا في قذف والمراة محصنة حد كما في قذف الاجنبيات وما لم
ترافعه الى الامام لم يجب اللعان واللعان ان يبدا الرجل فيشهد
اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فيما رماها به من الزنى ويقول في الخامسة
ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين فيما رماها به من الزنى وتقول
المراة اربع مرات اشهد بالله انه لمن الكاذبين فيما رماني به من الزنى ثم
تقول في الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين فيما رماني

ايضا

به من الزني وعند الشافعي رحمه الله يقام الرجل قايما حتي يشهد والمراة
قاعدة وتقام المراة والرجل قاعد حتي تشهد ويامر الامام من يضع يده علي فيه
ويقول له اني اخاف ان لم تكن صادقا ان تبوء بلعنة الله وقال اللعان بمكة بين
المقام والبيت وبالمدينة علي المنبر وببيت المقدس في مسجده ولعان المشرك
في الكنيسة وحيث يعظم واذا لم يكن له دين ففي مساجدنا الا في المسجد الحرام
لقوله تعالي انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام ثم يفرق القاضي بينهما
ولا تقع الفرقة بينهما الا بتفريقه عند ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله الا عند زفر
رحمه الله فان الفرقة تقع باللعان وعن عثمان البتي لا فرقة اصلا وعند الشافعي
رحمه الله تقع بلعان الزوج وتكون هذه الفرقة في حكم التطليقة البائنة عند
ابي حنيفة ومحمد رحمهما الله ولا يتابد حكمها فاذا اكذب الرجل نفسه بعد ذلك
فحد جاز ان يتزوجها وعن ابي يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعي رحمه
الله هي فرقة بغير طلاق توجب تحريما موبدا ليس لهما ان يجتمعا بعد ذلك بوجه
وروي ان اية القذف لما نزلت قراها رسول الله صلي الله عليه وسلم علي
المنبر فقام عاصم بن عدي الانصاري فقال جعلني الله فداك ان وجد رجل
مع امراته رجلا فاخبر جلد ثمانين وردت شهادته ابدا وفسق وان ضربه
بالسيف قتل وان سكت سكت علي غيظ والي ان يجي الرجل باربعة شهداء
فقد قضي الرجل حاجته ومضي اللهم افتح وخرج فاستقبله هلال بن امية او
عويمر فقال ما وراك قال شر وجدت علي بطن امراتي خولة وهي بنت عاصم
شريك بن سحماء فقال هذا والله سوالي ما اسرع ما ابتليت به فرجعا فاخبر
عاصم رسول الله فكلم خولة فقالت لا ادري العيرة ادركته ام بخلا علي
الطعام وكان شريك نزيلهم وقال هلال لقد رايته علي بطنها فنزلت ولا
عن بينهما وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم عند قوله وقولها ان لعنة
الله عليه ان غضب الله عليها امين وقال القوم امين وقال لها ان كنت
الممت بذنب فاعترفي به فالرجم اهون عليك من غضب الله هو النار
وقال تحينوا بها الولادة فان جاءت به اصيهب اثيبج يضرب الي السواد
فهو لشريك وان جاءت به اورق جعدا جماليا خدلج الساقين فهو لغير الذي
رميت به قال ابن عباس فجاءت باشبه خلق الله لشريك فقال عليه السلام
لولا الايمان لكان لي ولها شان وقري ولم تكن بالتاء لان الشهداء جماعة
او لانهم في معني الانفس التي هي بدل ووجه من قرا اربع ان ينتصب لانه
في حكم المصدر والعامل فيه المصدر الذي هو فشهادة احدهم وهي مبتدا
محذوف الخبر تقديره فواجب شهادة احدهم اربع شهادات وقري ان
لعنة الله وان غضب الله علي تخفيف ان ورفع ما بعدها وقري ان
غضب الله علي فعل الغضب وقري بنصب الخامستين علي معني وتشهد
الخامسة **فان قلت** لم خصت الملاعنة بان تخمس بغضب الله
قلت تغليظا عليها لانها هي اصل الفجور ومنبعه لخلابتها واطماعها
ولذلك كانت مقدمة في اية الجلد ويشهد لذلك قوله عليه السلام لخولة
فالرجم اهون عليك من غضب الله **ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله
تواب حكيم** التفضل التفضل وجواب لولا متروك وتركه دال علي امر
عظيم لا يكتنه ورب مسكوت عنه ابلغ من منطوق به **ان الذين جاءوا
بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امري منهم
ما اكتسب من الاثم والذي تولي كبره منهم له عذاب عظيم** الافك

عند

ان غضب

ابلغ ما يكون من الكذب والافترا وقيل هو البهتان لا تشعر به حتي
يفجاك واصله الافك وهو القلب لانه قول ما فوك عن وجهه والمراد
ما افك به علي عايشة رضي الله عنها والعصبة الجماعة من العشرة الي الاربعين
وكذلك العصابة واعصوصبوا اجتمعوا وهم عبد الله بن ابي راس النفاق
وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش
ومن ساعدهم وقري كبره بالضم والكسر وهو عظمه والذي تولاه عبد
الله لامعانه في عداوة رسول الله صلي الله عليه وسلم وانتهازه الفرص
وطلبه سبيلا الي الغميزة اي يصيب كل خايض في حديث من تلك العصبة
نصيبه من الاثم علي مقدار خوضه والعذاب العظيم لعبد الله لان معظم الشر كان
منه يحكي ان صفوان مر بهودجها عليه وهو في ملا من قومه فقال من هذه فقالوا
عايشة فقال والله ما نجت منه ولا نجا منها وقال امراة نبيكم باتت مع
رجل حتي اصبحت ثم جاء يقودها والخطاب في قوله هو خير لكم لما ساءه ذلك
من المومنين وخاصة رسول الله صلي الله عليه وسلم وابو بكر وعايشة
وصفوان وابن المعطل ومعني كونه خيرا لهم انهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم
لانه كان بلاء مبينا ومحنة ظاهرة وانه نزلت فيه ثماني عشرة اية كل واحدة
منها مستقلة بما هو تعظيم لشان رسول الله صلي الله عليه وسلم وتسلية له
وتنزيه لام المومنين رضوان الله عليها وتطهير لاهل البيت وتهويل لمن
تكلم في ذلك او سمع به فلم تمجه اذناه وعدة الطاف للسامعين والتالين
الي يوم القيمة وفوايد دينية واحكام واداب لا تخفي علي متاملها **لولا اذ
سمعتموه ظن المومنون والمومنات بانفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين**
بانفسهم اي بالذين منهم من المومنين والمومنات كقوله ولا تلمزوا انفسكم
وذلك نحو ما يروي ان ابا ايوب الانصاري قال لام ايوب الا ترين ما يقال
فقالت لو كنت بدل صفوان اكنت تظن بحرمة رسول الله سوءا قال
لا قالت ولو كنت انا بدل عايشة ما خنت رسول الله فعايشة خير مني وصفوان
خير منك **فان قلت** هلا قيل لولا اذ سمعتموه ظننتم بانفسكم خيرا وقلتم
ولم عدل عن الخطاب الي الغيبة وعن الضمير الي الظاهر **قلت**
ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات وليصرح بلفظ الايمان دلالة علي ان
الاشتراك فيه مقتض ان لا يصدق مومن علي اخيه ولا مومنة علي
اختها قول عايب ولا طاعن وفيه تنبيه علي ان حق المومن اذا سمع قالة
في اخيه ان يبني الامر فيها علي الظن لا علي الشك وان يقول بملء فيه بناء علي
ظنه بالمومن الخير هذا افك مبين هكذا بلفظ المصرح ببراءة ساحته
كما يقول المستيقن المطلع علي حقيقة الحال وهذا من الادب الحسن الذي
قل القايم به والحافظ له وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع ما سمعه
باخوات **لولا جاءوا عليه باربعة شهداء فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند
الله هم الكاذبون** جعل الله التفصلة بين الرمي الصادق والكاذب ثبوت
شهادة الشهود الاربعة وانتفاءها والذين رموا عايشة رضي الله عنها
لم تكن لهم بينة علي قولهم فقامت عليهم الحجة فكانوا عند الله اي في حكمه
وشريعته كاذبين وهذا توبيخ وتعنيف للذين سمعوا الافك فلم يجدوا
في دفعه وانكاره واحتجاج عليهم بما هو ظاهر مكشوف في الشرع من وجوب
تكذيب القاذف بغير بينة والتنكيل به اذا قذف امراة محصنة من عرض
نساء المومنين فكيف بام المومنين الصديقة بنت الصديق حرمة

الافك

رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبينة حبيب الله ولولا فضل الله
عليكم في الدنيا والاخرة لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم لولا الاولى
للتحضيض وهذه لامتناع الشي لوجود غيره والمعنى ولولا اني قضيت ان
اتفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من جملتها الامهال للتوبة وان
اترحم عليكم في الاخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم
فيه من حديث الافك يقال افاض في الحديث واندفع وهضب وخاض
اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم اذ ظرف لمسكم
او لافضتم تلقونه ياخذه بعضكم من بعض يقال تلقي القول وتلقنه
وتلقفه ومنه قوله تعالى فتلقى ادم من كلمات وقرئ على الاصل تتلقونه
واذ تلقونه بادغام الذال في التاء وتلقونه من لقيه بمعنى لقفه اخذه
بفيه وتلقونه من القائه بعضهم على بعض وتلقونه وتالقونه من الولق
والالق وهو الكذب وتالقونه محكية عن عايشة رضي الله عنها وعن سفيان
سمعت امي تقرا اذ تثقفونه فكان ابوها يقرا بحرف عبد الله ابن مسعود
رضي الله عنه فان قلت ما معنى قوله بافواهكم والقول لا يكون الا
بالفم قلت معناه ان الشي المعلوم يكون علمه في القلب فيترجم
عنه اللسان وهذا الافك ليس الا قولا يجري على السنتكم ويدور في افواهكم
من غير ترجمة عن علم به في القلب كقوله تعالى يقولون بافواههم ما ليس
في قلوبهم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم اي تحسبونه صغيرة وهو
عند الله كبيرة موجبة وعن بعضهم انه جزع عند الموت فقيل له فقال اخاف
ذنبا لم يكن مني على بال وهو عند الله عظيم وفي كلام بعضهم لا تقولن لشي
من سيئاتك حقير فلعله عند الله نخلة وهو عندك نقير لولا اذ سمعتموه
قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم وصفهم بارتكاب
ثلاثة اثام وعلق مس العذاب بها احدها تلقي الافك بالسنتهم وذلك ان
الرجل كان يلقى الرجل فيقول له ما وراءك فيحدثه بحديث الافك
حتى شاع وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد الا طار فيه والثاني التكلم بما لا
علم لهم به والثالث استصغارهم لذلك وهو عظيمة من العظائم
فان قلت كيف جاز الفصل بين لولا وقلتم قلت للظروف
شان وهو تنزلها من الاشياء منزلة انفسها لوقوعها فيها وانها لا تنفك
عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها فان قلت فاي فائدة في تقديم
الظرف حتى وقع فاصلا قلت الفائدة فيه بيان انه كان الواجب
عليهم ان يتفادوا اول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت
اهم وجب التقديم فان قلت فما معنى يكون والكلام بدونه متلئب
لو قيل ما لنا ان نتكلم بهذا قلت معناه معنى ينبغي ويصح اي ما ينبغي
لنا ان نتكلم بهذا وما يصح لنا ونحوه ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق سبحانك
للتعجب من عظم الامر فان قلت ما معنى التعجب في كلمة التسبيح قلت
الاصل في ذلك ان يسبح الله عند روية العجيب من صنايعه ثم كثر حتى استعمل
في كل متعجب منه او لتنزيه الله من ان تكون حرمة نبيه فاجرة فان قلت
كيف جاز ان تكون امراة النبي كافرة كامراة نوح ولوط ولم يجز ان تكون فاجرة
قلت لان الانبياء مبعوثون الى الكفار ليدعوهم ويستعطفوهم
فيجب ان لا يكون معهم ما ينفرهم عنهم ولم يكن الكفر عندهم مما ينفر
واما الكشخنة فمن اعظم المنفرات يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا

اي

٢ فيهما لا يتسع

اي كراهة ان تعودوا او في ان تعودوا من قولك وعظت فلانا في كذا
فتركه وابدا ما داموا احياء مكلفين وان كنتم مومنين فيه تهييج لهم
ليتعظوا وتذكير بما يوجب ترك العود وهو اتصافهم بالايمان الصاد عن كل
مقبح ويبين الله لكم الايات الدلالات على علمه وحكمته بما ينزل عليكم من الشرايع
ويعلمكم من الاداب الجميلة ويعظكم به من المواعظ الشافية والله عليم حكيم
والله عالم بكل شي فاعل لما يفعله بدواعي الحكمة ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة
في الذين امنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والاخرة المعنى يشيعون الفاحشة عن
قصد الى الاشاعة وارادة ومحبة لها وعذاب الدنيا الحد ولقد ضرب رسول
رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي وحسانا ومسطحا وقعد صفوان
لحسان فضربه ضربة بالسيف وكف بصره وقيل هو المراد بقوله والذي تولى
كبره منهم والله يعلم ما في القلوب من الاسرار والضماير وانتم لا تعلمون
يعني انه قد علم محبة من احب الاشاعة وهو معاقبه عليها وكرر المنة بترك
المعاجلة بالعقاب حاذفا جواب لولا كما حذفه ثمة ولولا فضل الله عليكم
ورحمته وان الله رءوف رحيم وفي هذا التكرير مع حذف الجواب مبالغة
عظيمة وكذلك في التواب والرءوف والرحيم يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات
الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل
الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع
عليم والفحشاء والفاحشة ما افرط قبحه قال ابو ذويب
ضرائر حرمي تفاحش غارها اي افرطت غيرتها والمنكر ما تنكره
النفوس فتنفر عنه ولا ترتضيه وقرئ خطوات بفتح الطاء وسكونها وزكى
بالتشديد والضمير لله عز وجل ولولا ان الله تفضل عليكم بالتوبة الممحصة
لما طهر منكم احد اخر الدهر من دنس اثم الافك ولكن الله يطهر التائبين بقبول
توبتهم اذا محضوها وهو سميع لقولهم عليم بضمايرهم واخلاصهم
ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة ان يوتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين
في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم
ولا ياتل هو من ائتلى اذا حلف افتعال من الالية وقيل من قولهم ما الوت
جهدا اذا لم يدخر منه شيا ويشهد للاول قراءة الحسن ولا يتال والمعنى لا يحلفوا
على ان لا يحسنوا الى المستحقين للاحسان او لا يقصروا في ان يحسنوا اليهم وان
كانت بينهم وبينهم شحناء لجناية اقترفوها فليعودوا عليهم بالعفو والصفح
وليفعلوا بهم مثل ما يرجون ان يفعل بهم ربهم مع كثرة خطاياهم وذنوبهم
نزلت في شان مسطح وكان ابن خالة ابي بكر الصديق رضي الله عنه وكان
فقيرا من فقراء المهاجرين وكان ابو بكر ينفق عليه فلما فرط منه ما فرط آلى
ان لا ينفق عليه وكفى به داعيا الى المجاملة وترك الاشتغال بالمكافاة للمسيء
ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قراها على ابي بكر فقال بلى احب
ان يغفر الله لي ورجع الى مسطح نفقته وقال والله لا انزعها ابدا وقرا
ابو حيوة وابن قطيب ان تولوا بالتاء على الالتفات ويعضده قوله الا
تحبون ان يغفر الله لكم ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المومنات
لعنوا في الدنيا والاخرة ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم
وارجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله
هو الحق المبين الغافلات السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتي ليس
فيهن دهاء ولا مكر لانهن لم يجربن الامور ولم يرزن الاحوال فلا يفطن

لما تفطن له المجربات العارفات فاك ؞ ولقد لهوت بطفلة ميالة
بلها تطلعني علي اسرارها ؞ وكذلك لبله من الرجال في قوله اكثر اهل
الجنة البله وقري يشهد بالبا والحق بالنصب صفة للدين وهو الجزا وبالرفع
صفة الله ولو فليت القران كله وفتشت عما او عد به العصاة لم تر الله عز وجل
قد غلظ في شي تغليظه في افك عايشة رضي الله عنها ولا انزل من الايات القوارع
المشحونة بالوعيد الشديد والعقاب البليغ والزجر العنيف واستعظام ما ركب
من ذلك واستفظاع ما اقدم عليه ما انزل فيه علي طرق مختلفة واساليب
مفتننة كل واحد منها كاف في بابه ولو لم ينزل الا هذه الثلاث لكفي بها حيث
جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعا وتوعدهم بالعذاب العظيم في الاخرة
وبان السنتهم وايديهم وارجلهم تشهد عليهم بما افكوا وبهتوا وانه يوفيهم جزاهم الحق
الواجب الذي هم اهله حتي يعلموا عند ذلك ان الله هو الحق المبين فاوجز
في ذلك واشبع وفصل واجمل واكد وكرر وجا بما لم يقع في وعيد المشركين
عبدة الاوثان الا ما هو دونه في الفظاعة وما ذاك الا لامر وعن ابن عباس
رضي الله عنهما انه كان بالبصرة يوم عرفة وكان يسئل عن تفسير القران حتي
سيل عن هذه الايات فقال من اذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا من
خاض في امر عايشة وهذا منه مبالغة وتعظيم لامر الافك ولقد برا الله
اربعة باربعة برا يوسف عليه السلام بلسان الشاهد وشهد شاهد
من اهلها وبرا موسي عليه السلام من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب
بثوبه وبرا مريم بانطاق ولدها حين نادي من حجرها اني عبد الله وبرا
عايشة رضي الله عنها بهذه الايات العظام في كتابه المعجز المتلو علي وجه
الدهر مثل هذه التبرية بهذه المبالغات فانظر كم بينها وبين تبرية اوليك
وما ذاك الا لاظهار علو منزلة رسول الله صلي الله عليه وسلم والتنبيه
علي انافة قدر سيد ولد ادم وخيرة الاولين والاخرين وحجة الله علي
العالمين ومن اراد ان يتحقق عظمة شانه وتقدم قدمه واحرازه لقصب
السبق دون كل سابق فليتلق ذلك من ايات الافك وليتامل كيف غضب الله
له في حرمته وكيف بالغ في نفي التهمة عن حجابه فان قلت ان كانت عايشة
هي المرادة فكيف قيل المحصنات قلت فيها وجهان احدهما ان يراد بالمحصنات
ازواج رسول الله صلي الله عليه وسلم وان يخصصن بان من قذفهن فهذا
الوعيد لاحق به واذا اردن وعايشة كبراهن منزلة وقربة عند رسول الله
كانت المرادة اولا والثاني انها ام المومنين فجمعت ارادة لها ولبناتها من
نسا الامة الموصوفات بالاحصان والغفلة والايمان كما قال ؞ قدني من نصر
الخبيبين قدي ؞ اراد عبد الله بن الزبير واشياعه وكان اعداوه يكنونه
بخبيب ابنه وكان مضعوفا وكنيته المشهورة ابو بكر الا ان هذا في الاسم
وذاك في الصفة فان قلت ما معني قوله هو الحق المبين قلت
معناه ذو الحق البين اي العادل الظاهر العدل الذي لا ظلم في حكمه
والمحق الذي لا يوصف بباطل ومن هذه صفته لم تسقط عنده اساءة
مسي ولا احسان محسن فحق مثله ان يتقي وتجتنب محارمه الخبيثات
للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات
اوليك مبرون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم اي الخبيثات من القول
تقال او تعد للخبيثين من الرجال والنساء والخبيثون منهم يتعرضون للخبيثات
من القول وكذلك الطيبات والطيبون واوليك اشارة الي الطيبين وانهم

مبرون مما يقوله الخبيثون من خبيثات الكلم وهو كلام جار مجري المثل
لعايشة وما رميت به من قول لا يطابق حالها في النزاهة والطيب ويجوز
ان يكون اوليك اشارة الي اهل البيت وانهم مبرون مما يقول اهل الافك وان
يراد بالخبيثات والطيبات النسا اي الخبايث يتزوجن الخباث والخباث
الخبايث وكذلك اهل الطيب ؞ وذكر الرزق الكريم ها هنا مثله في قوله
واعتدنا لها رزقا كريما ؞ وعن عايشة رضي الله عنها لقد اعطيت تسعا
ما اعطيتهن امراة ولقد نزل جبريل عليه السلام بصورتي في راحته حين امر
رسول الله ان يتزوجني ولقد تزوجني بكرا وما تزوج بكرا غيري ولقد توفي وان
راسه لفي حجري ولقد قبر في بيتي ولقد حفته الملايكة في بيتي وان الوحي
لينزل عليه في اهله فينفرقون عنه وان كان لينزل عليه وانا معه في لحافه
واني لابنة خليفته وصديقه ولقد نزل عذري من السما ولقد خلقت طيبة
عند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا
بيوتا غير بيوتكم حتي تستانسوا وتسلموا علي اهلها ذلكم خير لكم تستانسوا
فيه وجهان احدهما انه من الاستيناس الظاهر الذي هو خلاف الاستيحاش
لان الذي يطرق باب غيره لا يدري ايوذن له ام لا فهو كالمستوحش من خفاء
الحال عليه فاذا اذن له استانس فالمعني حتي يوذن لكم كقوله لا تدخلوا
بيوت النبي الا ان يوذن لكم وهذا من باب الكناية والارداف لان هذا النوع
من الاستيناس يردف الاذن فوضع موضع الاذن والثاني ان يكون من
الاستيناس الذي هو الاستعلام والاستكشاف استفعال من انس الشي
اذا ابصره ظاهرا مكشوفا والمعني حتي تستعلموا وتستكشفوا الحال هل
يراد دخولكم ام لا ومنه قولهم استانس هل تري احدا واستانست فلم
ار احدا اي تعرفت واستعلمت ومنه بيت النابغة ؞ علي مستانس وحد ؞
ويجوز ان يكون من الانس وهو ان يتعرف هل ثم انسان وعن ابي ايوب
الانصاري قلنا يا رسول الله ما الاستيناس قال يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة
والتحميدة ويتنحنح يوذن اهل البيت والتسليم ان يقول السلام عليكم
ءادخل ثلاث مرات فان اذن له والا رجع وعن ابي موسي الاشعري انه اتي
باب عمر فقال السلام عليكم ءادخل قالها ثلاثا ثم رجع وقال سمعت رسول
الله صلي الله عليه وسلم يقول الاستيذان ثلاثا واستاذن رجل علي رسول الله
عليه السلام فقال ءالج فقال عليه السلام لامرة يقال لها روضة قومي الي
هذا فعليه فانه لا يحسن ان يستاذن قولي له يقول السلام عليكم ءادخل
فسمعها الرجل فقالها فقال ادخل وكان اهل الجاهلية يقول الرجل منهم اذا دخل بيتا
غير بيته حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل فربما اصاب الرجل مع امراته
في لحاف واحد فصد الله عن ذلك وعلم الاحسن الاجمل وكم من باب من ابواب
الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة قد تركوا العمل به وباب الاستيذان
من ذلك بينا انت في بيتك اذ رعف عليك الباب بواحد من غير استيذان
ولا تحية من تحايا اسلام ولا جاهلية وهو ممن سمع ما انزل الله فيه وما
قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ولكن اين الاذن الواعية وفي قراة عبد
الله حتي تسلموا علي اهلها وتستاذنوا وعن ابن عباس وسعيد بن جبير
انما هو حتي تستاذنوا فاخطا الكاتب ولا يعول علي هذه الرواية وفي قراة ابي
حتي تستاذنوا ذلكم الاستيذان والتسليم خير لكم من تحية الجاهلية والدمور
وهو الدخول بغير اذن واشتقاقه من الدمار وهو الهلاك كان صاحبه

دامر لعظم ما ارتكب وفي الحديث من سبقت عينه استيذانه فقد دمر
وروي ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أأستاذن على امي قال نعم
قال انها ليس لها خادم غيري أأستاذن عليها كلما دخلت قال اتحب ان تراها
عريانة قال الرجل لا قال فاستاذن لعلكم تذكرون اي انزل عليكم او قيل
لكم هذا ارادة ان تذكروا وتتعظوا وتعملوا بما امرتم به من باب الاستيذان
يحتمل قوله تعالى فان لم تجدوا فيها احدا من الاذنين فلا تدخلوها واصبروا
حتى يوذن لكم حتى تجدوا من ياذن لكم ويحتمل فان لم تجدوا فيها احدا من
اهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها الا باذن اهلها وذلك ان الاستيذان لم
يشرع لئلا يطلع الدامر على عورة ولا تسبق عينه الى ما لا يحل النظر اليه فقط
وانما شرع لئلا يوقف على الاحوال التي يطويها الناس في العادة عن غيرهم
ويتحفظون من اطلاع احد عليها ولانه تصرف في ملك غيرك فلا بد من ان
يكون باذنه والا اشبه الغصب والتغلب وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا
اي لا تلحوا في اطلاق الاذن ولا تلجوا في تسهيل الحجاب ولا تقفوا على الابواب
منتظرين لان هذا مما يجلب الكراهة ويقدح في قلوب الناس خصوصا اذا كانوا
ذوي مروة ومرتاضين بالاداب الحسنة واذا نهي عن ذلك لادائه الى الكراهية
وجب الانتهاء عن كل ما يودي اليها من قرع الباب بعنف والتصييح بصاحب
الدار وغير ذلك مما يدخل في عادات من لم يتهذب من اكثر الناس وعن ابي
عبيد رحمه الله ما قرعت بابا على عالم قط وكفى بقصة بني اسد زاجرة وما نزل
فيها من قوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون
فان قلت هل يصح ان يكون المعنى وان لم يوذن لكم وامرتم بالرجوع فامتثلوا
ولا تدخلوا مع كراهتهم قلت بعد ان جزم النهي عن الدخول مع فقد الاذن
وحده من اهل الدار حاضرين وغايبين لم تبق شبهة في كونه منهيا عنه مع
انضمام الامر بالرجوع الى فقد الاذن فان قلت فاذا عرض امر في دار
من حريق او هجوم سارق او ظهور منكر يجب انكاره قلت ذلك مستثنى
بالدليل هو ازكى لكم اي الرجوع اطيب لكم واطهر لما فيه من سلامة الصدور
والبعد من الريبة او انفع وانمى خيرا ثم اوعد المخاطبين بذلك فقال
والله بما تعملون عليم بانه عالم بما ياتون وما يذرون مما خوطبوا به فموف
جزاءه عليه ليس عليكم جناح ان تدخلوا غير مسكونة فيها متاع لكم استثنى
من البيوت التي يجب الاستيذان على داخلها ما ليس بمسكون منها وذلك
نحو الفنادق وهي الخانات والربط وحوانيت البياعين والمتاع المنفعة
كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الرحال والسلع والشراء والبيع ويروى
ان ابا بكر رضي الله عنه قال يا رسول الله ان الله قد انزل عليك اية في الاستيذ
وانا نختلف في تجاراتنا فننزل هذه الخانات افلا ندخلها الا باذن وقيل
الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد
للذين يدخلون الخربات والدور الخالية من اهل الريبة قل للمومنين يغضوا
من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون
من للتبعيض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل وجوز
الاخفش ان تكون مزيدة واباه سيبويه فان قلت كيف دخلت من
على غض البصر دون حفظ الفروج قلت دلالة على ان النظر اوسع
الا ترى ان المحارم لا باس بالنظر الى شعورهن وصدورهن وثديهن
واعضادهن واسوقهن واقدامهن وكذلك الجواري المستعرضات

بيوتا

والاجنبية

والاجنبية ينظر وجهها وكفيها وقدميها في احدى الروايتين واما امر الفرج
فمضيق وكفاك فرقا ان ابيح النظر الا ما استثني منه وحظر الجماع الا ما استثني
منه ويجوز ان يراد مع حفظها عن الافضاء الى ما لا يحل حفظها عن الابداء وعن
ابن زيد كل ما في القران من حفظ الفرج فهو عن الزنى الا هذا فانه اراد به الاستتار
ثم اخبر انه خبير باحوالهم وافعالهم وكيف يجيلون ابصارهم وكيف يصنعون
بساير حواسهم وجوارحهم فعليهم اذ عرفوا ذلك ان يكونوا منه على تقوى وحذر
في كل حركة وسكون وقل للمومنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن
فروجهن النساء مامورات ايضا بغض الابصار ولا يحل للمراة ان تنظر من
الاجنبي الى ما تحت سرته الى ركبته وان اشتهت غضت بصرها راسا ولا تنظر
من المراة الا الى مثل ذلك وغضها بصرها من الاجانب اصلا اولى واحسن ومنه
حديث ابن ام مكتوم عن ام سلمة قالت كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم
وعنده ميمونة فاقبل ابن ام مكتوم وذلك بعد ان امرنا بالحجاب فدخل علينا
فقال احتجبا فقلنا يا رسول الله اليس اعمى لا يبصرنا فقال افعميا وان انتما الستما
تبصرانه فان قلت لم قدم غض الابصار على حفظ الفروج قلت
لان النظر بريد الزنى ورائد الفجور والبلوى فيه اشد واكثر ولا يكاد يقدر
على الاحتراس منه ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها الزينة ما تزينت به
المراة من حلي او كحل او خضاب فما كان ظاهرا منها كالخاتم والفتخة والكحل
والخضاب فلا باس بابدائه للاجانب وما خفي منها كالسوار والخلخال والدملج
والقلادة والاكليل والوشاح والقرط فلا تبديه الا لهولاء المذكورين وذكر
الزينة دون مواقعها للمبالغة في الامر بالتصون والتستر لان هذه الزين
واقعة على مواضع من الجسد لا يحل النظر اليها لغير هولاء وهي الذراع والساق
والعضد والعنق والراس والصدر والاذن فنهى عن ابداء الزين نفسها
ليعلم ان النظر اذا لم يحل اليها لملابستها تلك المواقع بدليل ان النظر اليها غير ملابسة
لها لا مقال في حله كان النظر الى المواقع انفسها متمكنا في الحظر ثابت القدم في الحرمة
شاهدا على ان النساء حقهن ان يحتطن في سترها ويتقين الله في الكشف عنها
فان قلت ما تقول في القراميل هل يحل نظر هولاء اليها قلت نعم
فان قلت اليس موقعها الظهر ولا يحل لهم النظر الى ظهرها وبطنها وربما
ورد الشعر فوقعت القراميل على ما يحاذي تحت السرة قلت الامر كما
قلت ولكن امر القراميل خلاف امر ساير الحلي لانه لا يقع الا فوق اللباس ويجوز
النظر الى الثوب الواقع على الظهر والبطن للاجانب فضلا عن هولاء الا اذا
كان يصف لرقته فلا يحل النظر اليه فلا يحل النظر الى القراميل واقعة عليه
فان قلت ما المراد بموقع الزينة ذلك العضو كله ام المقدار الذي تلابسه
الزينة منه قلت الصحيح انه العضو كله كما فسرت مواقع الزينة الخفية
وكذلك مواقع الزينة الظاهرة الوجه موقع الكحل في عينيه والخضاب بالوسمة
في حاجبيه وشاربيه والغمرة في خديه والكف والقدم موقعا الخاتم
والفتخة والخضاب بالحناء فان قلت لم سومح مطلقا في الزينة الظاهرة
قلت لان سترها فيه حرج فان المراة لا تجد بدا من مزاولة الاشياء بيديها
ومن الحاجة الى كشف وجهها خصوصا في الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر
الى المشي في الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن وهذا معنى
قوله الا ما ظهر منها يعني الا ما جرت العادة والجبلة على ظهوره والاصل فيه
الظهور وانما سومح في الزينة الخفية اولئك المذكورون لما كانوا مختصين

حلقة من فضة لا فص فيها
صحاح

ما تشد المراة في شعرها
صحاح

به من الحاجة المضطرة الي مداخلتهم ومخالطتهم ولقلة توقع الفتنة من جهاتهم
ولما في الطباع من النفرة عن مماسة القرايب وتحتاج المراة الي صحبتهم
في الاسفار للنزول والركوب وغير ذلك ولیضربن بخمرهن علي جيوبهن كانت
جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وماحواليها وكن يسدلن
الخمر من ورائهن فتبقي مكشوفة فامرن بان يسدلنها من قدامهن حتي يغطينها
ويجوز ان يراد بالجيوب الصدور تسمية بما يليها ويلابسها ومنه قولهم ناصح
الجيب وقولك ضربت بخمارها علي جيبها كقولك ضربت بيدي علي الحايط اذا
وضعتها عليه وعن عايشة رضي الله عنها مارايت نسا خيرا من نسا الانصا
لما نزلت هذه الاية قامت كل واحدة منهن الي مرطها المرحل فصدعت منه صدعة
فاختمرت فاصبحن علي روسهن الغربان وقري جيوبهن بكسر الجيم لاجل
اليا وكذلك بيوتا غير بيوتكم ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او ابائهن
او اباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن
او بني اخواتهن او نسائهن او ماملكت ايمانهن قيل في نسائهن هن المومنات
لانه ليس للمومنة ان تتجرد بين يدي مشركة او كتابية عن ابن عباس والظاهر
انه عني بنسائهن وماملكت ايمانهن من في صحبتهن وخدمتهن من الحراير والاما
والنسا كلهن سوا في حل نظر بعضهن الي بعض وقيل ماملكت ايمانهن هم
الاناث والذكور جميعا وعن عايشة رضي الله عنها انها اباحت النظر اليها لعبدها
وقالت لذكوان انك اذا وضعتني في قبري وخرجت فانت حر وعن سعيد بن
المسيب مثله ثم رجع وقال لا تغرنكم اية النور فان المراد بها الاما وهذا هو
الصحيح لان عبد المراة بمنزلة الاجنبي منها خصيا كان او فحلا وعن ميسون بنت
بحدل الكلابية ان معاوية دخل عليها ومعه خصي فتقنعت منه فقال هو
خصي فقالت يا معاوية اترى ان المثلة به تحلل ما حرم الله وعن ابي حنيفة
رحمه الله لا يحل امساك الخصيان واستخدامهم وبيعهم وشراوهم ولم ينقل
عن احد من السلف امساكهم فان قلت روي انه اهدي لرسول الله
صلي الله عليه وسلم خصي فقبله قلت لا يقبل فيما تعم به البلوي الا حديث
مكشوف وان صح فلعله قبله ليعتقه او لسبب من الاسباب او التابعين
غير اولي الاربة من الرجال الاربة الحاجة قيل هم الذين يتبعونكم ليصيبوا
من فضل طعامكم ولا حاجة لهم الي النسا لانهم بله لا يعرفون شيا من امرهن
او شيوخ صلحا اذا كانوا معهن غضوا ابصارهم او بهم عنانة وقري غير بالنصب
علي الاستثنا او الحال والجر علي الوصفية او الطفل الذين لم يظهروا علي عورات
النساء وضع الواحد موضع الجمع لانه يفيد الجنس ويبين ما بعده انه يراد به الجمع
ونحوه ثم يخرجكم طفلا لم يظهروا اما من ظهر علي الشي اذا اطلع عليه اي لا يعرفون
ما العورة ولا يميزون بينها وبين غيرها واما من ظهر علي فلان اذا قوي عليه وظهر
علي القران اخذه واطاقه اي لم يبلغوا اوان القدرة علي الوطء وقري عورات
وهي لغة هذيل فان قلت لم يذكر الله الاعمام والاخوال قلت سئل
الشعبي عن ذلك فقال لئلا يصفها العم عند ابنه والخال كذلك ومعناه ان ساير
القرابات يشترك الاب والابن في المحرمية الا العم والخال وابناهما فاذا راها
الاب فربما وصفها لابنه وليس بمحرم فيداني تصوره لها بالوصف ونظره اليها
وهذا ايضا من الدلالات البليغة علي وجوب الاحتياط عليهن في التستر
ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن كانت المراة تضرب في الارض
برجلها ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال وقيل كانت تضرب

كأن

باجدي

باحدي رجليها الاخري لتعلم انها ذات خلخالين واذا نهين عن اظهار صوت
الحلي بعد ما نهين عن اظهار الحلي علم بذلك ان النهي عن اظهار مواضع الحلي
ابلغ وابلغ وتوبوا الي الله جميعا ايها المومنون لعلكم تفلحون اوامر الله ونواهيه
في كل باب لا يكاد العبد الضعيف يقدر علي مراعاتها وان ضبط نفسه واجتهد
ولا يخلو من تقصير يقع منه فلذلك وصي المومنين جميعا بالتوبة والاستغفار
وبتاميل الفلاح اذا تابوا واستغفروا وعن ابن عباس رضي الله عنهما توبوا مما
كنتم تفعلونه في الجاهلية لعلكم تسعدون في الدنيا والاخرة وان قلت
قد صحت التوبة بالاسلام والاسلام يجب ما قبله فما معني هذه التوبة
قلت اراد بها ما يقوله العلما ان من اذنب ذنبا ثم تاب عنه يلزمه كلما تذكره
ان يجدد عنه التوبة لانه يلزمه ان يستمر علي ندمه وعزمه الي ان يلقي ربه
وقري ايهُ المومنون بضم الها ووجهه انها كانت مفتوحة لوقوعها قبل
الالف فلما سقطت الالف لالتقا الساكنين اتبعت حركتها حركة ما قبلها
وانكحوا الايامي منكم والصالحين من عبادكم وامائكم الايامي واليتامي
اصلهما ايايم ويتايم فقلبا والايم للرجل والمراة وقد ام وامت وتايما اذا لم
يتزوجا بكرين كانا او ثيبين قال ٭ فان تنكحي انكح وان تتايمي ٭
وان كنت افتي منكم اتايم ٭ وعن رسول الله صلي الله عليه وسلم اللهم انا نعوذ
بك من العيمة والغيمة والايمة والكزم والقرم والمراد انكحوا من تايم منكم من
الاحرار والحراير ومن كان فيه صلاح من غلمانكم وجواريكم وقري من عبيدكم
وهذا الامر للندب لما علم من ان النكاح امر مندوب اليه وقد يكون للوجوب
في حق الاوليا عند طلب المراة ذلك وعند اصحاب الظواهر النكاح واجب ومما يدل علي
كونه مندوبا اليه قوله صلي الله عليه وسلم من احب فطرتي فليستن بسنتي
وهي النكاح وعنه من كان له ما يتزوج به فلم يتزوج فليس منا وعنه
اذا تزوج احدكم عج شيطانه يا ويله عصم ابن ادم مني ثلثي دينه وعنه
يا عياض لا تتزوجن عجوزا ولا عاقرا فاني مكاثر بكم والاحاديث فيه عن رسول
الله صلي الله عليه وسلم والاثار كثيرة وربما كان واجب الترك اذا ادي
الي معصية او مفسدة وعن النبي صلي الله عليه وسلم اذا اتي علي امتي مائة
وثمانون سنة فقد حلت لهم العزبة والعزلة والترهب علي روس الجبال
وفي الحديث ياتي علي الناس زمان لا تنال المعيشة فيه الا بالمعصية فاذا كان
ذلك الزمان حلت العزوبة فان قلت لم خص الصالحين قلت ليحصن
دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم لان الصالحين من الارقا هم الذين مواليهم يشفقون
عليهم وينزلونهم منزلة الاولاد في الاثرة والمودة فكانوا مظنة للتوصية
بشانهم والاهتمام بهم وتقبل الوصية فيهم واما المفسدون منهم فحالهم عند
مواليهم علي عكس ذلك او اريد بالصلاح القيام بحقوق النكاح ان يكونوا فقرا
يغنهم الله من فضله ينبغي ان تكون شريطة الله غير منسية في هذا الموعد
ونظايره وهي مشيته ولا يشا الحكيم الا ما اقتضته الحكمة وما كان مصلحة
ونحوه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقد
جاءت الشريطة منصوصة في قوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من
فضله ان شاء ان الله عليم حكيم ومن لم ينس هذه الشريطة لم ينتصب معترضا
بعزب كان غنيا فافقره النكاح وبفاسق تاب واتقي الله وكان له شي ففني
واصبح مسكينا وعن النبي صلي الله عليه وسلم التمسوا الرزق بالنكاح وشكا
اليه رجل الحاجة فقال عليك بالباءة وعن عمر رضي الله عنه عجب لمن

لا يطلب الغنى بالباءة ولقد كان عندنا رجل رازح الحال ثم رايته بعد سنين
وقد انتعشت حاله وحسنت فسالته فقال كنت في اول امري على ما علمت
وذلك قبل ان ارزق ولدا فلما رزقت بكر ولدي تراخيت عن الفقر فلما ولد لي
الثاني زدت خيرا فلما تتاموا ثلاثة صب الله علي الخير صبا فاصبحت الى ما ترى
والله واسع اي غني ذو سعة لا يرزؤه اغناء الخلائق ولكنه عليم يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر وليستعفف وليجتهد في العفة وظلف النفس
كان المستعف طالب من نفسه العفاف وحاملها عليه الذين لا يجدون
نكاحا اي استطاعة تزوج ويجوز ان يراد بالنكاح ما ينكح به من المال حتى
يغنيهم الله من فضله ترجية للمستعففين وتقدمة وعد بالتفضل عليهم
بالغنى ليكون انتظار ذلك وتامبله لطفا بهم في استعفافهم وربطا على قلوبهم
وليظهر بذلك ان فضله اولى بالاعفاء وادنى من الصلحاء وما احسن ما رتب
هذه الاوامر حيث امر اولا بما يعصم من الفتنة ويبعد من مواقعة المعصية
وهو غض البصر ثم بالنكاح الذي يحصن به الدين ويقع به الاستغناء بالحلال
عن الحرام ثم بالحمل على النفس الامارة بالسوء وعزفها عن الطموح الى الشهوة عند العجز
عن النكاح الى ان يرزق القدرة عليه والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم
والذين يبتغون مرفوع على الابتداء او منصوب بفعل مضمر يفسره فكاتبوهم
كقولك زيدا فاضربه ودخلت الفاء لتضمن معنى الشرط والكتاب والمكاتبة
كالعتاب والمعاتبة وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على الف درهم فان
اداها عتق ومعناه كتبت لك على نفسي ان تعتق مني اذا وفيت بالمال وكتبت لي
على نفسك ان تفي بذلك او كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت علي العتق
ويجوز عند ابي حنيفة رحمه الله حالا او موجلا ومنجما وغير منجم لان الله عز
وجل لم يذكر التنجيم وقياسا على ساير العقود وعند الشافعي رحمه الله
لا يجوز الا موجلا منجما ولا يجوز عنده بنجم واحد لان العبد لا يملك شيا فعقده
حالا منع عن حصول الغرض لانه لا يقدر على اداء البدل عاجلا ويجوز عقده
على مال قليل وكثير وعلى خدمة في مدة معلومة وعلى عمل معلوم موقت مثل
حفر بير في مكان بعينه معلومة الطول والعرض وبناء دار قد اراه آجرها وجصها
وما يبنى به وان كاتبه على قيمته لم يجز فان اداها عتق وان كاتبه على وصيف
جاز لقلة الجهالة ووجب الوسط وليس له ان يطا المكاتبة واذا ادى عتق
وكان ولاؤه لمولاه لانه جاد عليه بالكسب الذي هو في الاصل له وهذا
الامر للندب عند عامة العلماء وعن الحسن ليس ذلك بعزم ان شاء كاتب
وان شاء لم يكاتب وعن عمر رضي الله عنه هي عزمة من عزمات الله تعالى
وعن ابن سيرين مثله وهو مذهب داود ان علمتم فيهم خيرا قدرة على اداء
ما يفارقون عليه وقيل امانة وتكسبا وعن سلمان ان مملوكا له ابتغى
ان يكاتبه فقال اعندك مال قال لا قال افتامرني ان اكل غسالة ايدي الناس
واتوهم من مال الله الذي اتاكم امر للمسلمين على وجه الوجوب باعانة المكاتبين
واعطايهم سهمهم الذي جعل الله لهم من بيت المال كقوله تعالى وفي الرقاب
عند ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله فان قلت هل يحل لمولاه اذا كان غنيا
ان ياخذ ما تصدق به عليه قلت نعم وكذلك اذا لم تف الصدقة
بجميع البدل وعجز عن اداء الباقي طاب للمولى ما اخذه لانه لم ياخذه بسبب
الصدقة ولكن بسبب عقد المكاتبة كمن اشترى الصدقة من الفقير او ورثها
او وهبت له ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في حديث بريرة هو لها

صدقة

صدقة ولنا هدية وعند الشافعي رحمه الله هو ايجاب على الموالي ان يحطوا
لهم من مال الكتابة وان لم يفعلوا اجبروا وعن علي رضي الله عنه يحط له
الربع وعن ابن عباس يرضخ له من كتابته شيا وعن عمر رضي الله عنه انه كاتب
عبدا له يكنى ابا امية وهو اول عبد كوتب في الاسلام فاتاه باول نجم فدفعه
اليه عمر وقال استعن به على مكاتبتك فقال لو اخرته الى اخر نجم فقال اخاف ان لا
ادرك ذلك وهذا عند ابي حنيفة رحمه الله على وجه الندب وقال انه عقد
معاوضة فلا يجبر على الحطيطة كالبيع وقيل معنى واتوهم اسلفوهم وقيل
انفقوا عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا وهذا كله مستحب وروي انه كان لحويطب
ابن عبد العزى مملوك يقال له الصبيح سال مولاه ان يكاتبه فابى فنزلت كانت
اماء اهل الجاهلية يساعين على مواليهن وكان لعبد الله بن ابي راس النفاق
ست جوار معاذة ومسيكة واميمة وعمرة واروى وقتيلة يكرههن على البغاء
وضرب عليهن ضرايب فشكت ثنتان منهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا لتبتغوا عرض
الحياة الدنيا ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والامة وفي الحديث ليقل
احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي والبغاء مصدر البغي فان
قلت لم اقحم قوله ان اردن تحصنا قلت لان الاكراه لا يتاتى
الا مع ارادة التحصن وامر الطيعة المواتية للبغاء لا يسمى مكرها ولا امره
اكراها وكلمة ان وايثارها على اذا ايذان بان المساعيات كن يفعلن ذلك
برغبة وطواعية منهن وان ما وجد من معاذة ومسيكة من حيز الشاذ
النادر ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم
لهم او لهن او لهم ولهن ان تابوا واصلحوا وفي قراءة ابن عباس لهن غفور
رحيم فان قلت لا حاجة الى تعليق المغفرة بهن لان المكرهة على الزنى
بخلاف المكره عليه في انها غير اثمة قلت لعل الاكراه كان دون
ما اعتبرته الشريعة من اكراه بقتل او بما يخاف منه التلف او ذهاب العضو
من ضرب عنيف او غيره حتى تسلم من الاثم وربما قصرت عن الحد الذي
تعذر فيه فتكون اثمة ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات هي الايات
التي بينت في هذه السورة واوضحت في معاني الاحكام والحدود ويجوز
ان يكون الاصل مبينا فيها فاتسع في الظرف كقوله ويوم شهدناه
وقرئ بالكسر اي بينت هي الاحكام والحدود وجعل الفعل لها على المجاز
او من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين ومثلا
من الذين خلوا من قبلكم ومثلا من امثال من قبلكم اي قصة عجيبة
من قصصهم كقصة يوسف ومريم يعني قصة عايشة رضي الله عنها وموعظة
للمتقين ما وعظ به من الايات والمثل من نحو قوله ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله
لولا اذ سمعتموه يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا الله نور السموات والارض
نظيره قوله الله نور السموات مع قوله مثل نوره ويهدي الله لنوره قولك
زيد كرم وجود ثم تقول ينعش الناس بكرمه وجوده والمعنى ذو نور السموات
والارض وصاحب نور السموات والارض ونور السموات والارض الحق شبهه
بالنور في ظهوره وبيانه كقوله الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور
اي من الباطل الى الحق واضاف النور الى السموات والارض لاحد معنيين
اما للدلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى تضيء له السموات والارض
واما ان يراد اهل السموات والارض وانهم يستضيئون به مثل نوره اي صفة

نوره العجيبة الشان في الاضاءة مثل نوره كمشكاة كصفة مشكاة وهي الكوة
في الجدار غير النافذة فيها مصباح سراج ضخم ثاقب المصباح في زجاجة اراد
قنديلا من زجاج شامي ازهر الزجاجة كانها كوكب دري شبهه في زهرته باحد
الدراري من الكواكب وهي المشاهير كالمشتري والزهرة والمريخ وسهيل ونحوها
توقد هذا المصباح من شجرة اي ابتداء ثقوبه من شجرة الزيتون يعني رويت
ذبالته بزيتها مباركة كثيرة المنافع او لانها تنبت في الارض التي بارك فيها للعالمين
وقيل بارك فيها سبعون نبيا منهم ابراهيم عليه السلام وعن النبي صلى الله عليه
وسلم عليكم بهذه الشجرة زيت الزيتون فتداووا به فانه مصحة من الباسور
زيتونة لا شرقية ولا غربية اي منبتها الشام واجود الزيتون زيتون الشام
وقيل لا في مضحى ولا في مقنأة ولكن الشمس والظل يتعاقبان عليها وذلك
اجود لحملها واصفى لدهنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير في شجرة
في مقنأة ولا نبات في مقنأة ولا خير فيهما في مضحى وقيل ليست مما تطلع
عليه الشمس في وقت شروقها او غروبها فقط بل تصيبها بالغداة والعشي
جميعا فهي شرقية وغربية ثم وصف الزيت بالصفاء والوبيص وانه لتلألئه يكاد
يضيء من غير نار يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور اي هذا
الذي شبهت به الحق نور متضاعف قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح
والزيت حتى لم يبق مما يقوي النور ويزيده اشراقا ويمده باضاءة بقية وذلك
ان المصباح اذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان اضوأ له واجمع لنوره بخلاف
المكان الواسع ينبث فيه وينتشر والقنديل اعون شيء على زيادة الانارة وكذلك فان الضوء
الزيت وصفاؤه يهدي الله لنوره من يشاء يهدي الله لهذا النور الثاقب
من يشاء من عباده اي يوفق لاصابة الحق من نظر وتدبر بعين عقله والانصاف
من نفسه ولم يذهب عن الجادة الموصلة اليه يمينا وشمالا ويضرب الله الامثال
للناس والله بكل شيء عليم ومن لم يتدبر فهو كالاعمى الذي سواء عليه جنح الليل
الدامس وضحوة النهار الشامس وعن علي رضي الله عنه الله نور السموات والارض
اي نشر فيها الحق وبثه فاضاءت بنوره او نور قلوب اهلها به وعن ابي بن كعب
مثل نور من امن به وقرئ زجاجة الزجاجة بالفتح والكسر ودري منسوب الى
الدر اي ابيض متلالئ ودرئ بوزن سكيت يدرأ الظلام بضوءه ودرئ
كمريق ودَرّيّ كالسكينة عن ابي زيد وتوقد بمعنى تتوقد والفعل للزجاجة
ويوقد وتوقد بالتخفيف ويوقد بالتشديد ويوقد بفتح اليا وحذف التاء
لاجتماع حرفين زائدين وهو غريب ويمسسه بالياء لان التانيث ليس بحقيقي
والضمير فاصل في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو
والاصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة
يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار في بيوت يتعلق بما قبله اي
كمشكاة في بعض بيوت الله وهي المساجد كانه قيل مثل نوره كما يرى في المسجد
نور المشكاة التي من صفتها كيت وكيت او بما بعده وهو يسبح اي يسبح له رجال
في بيوت وفيها تكرير كقولك زيد في الدار جالس فيها او بمحذوف كقوله
في تسع ايات اي سبحوا في بيوت والمراد بالاذن الامر ورفعها بناؤها كقوله بناها
رفع سمكها فسواها واذ يرفع ابراهيم القواعد وعن ابن عباس هي المساجد
امر الله ان تبنى او تعظيمها والرفع من قدرها وعن الحسن ما امر الله ان ترفع
بالبناء ولكن بالتعظيم ويذكر فيها اسمه اوفق له وهو عام في كل ذكر وعن
ابن عباس ان يتلى فيها كتابه وقرئ يسبح على البناء للمفعول ويسند الى احد

الظروف

الظروف الثلاثة اعني له فيها بالغدو ورجال مرفوع بما دل عليه يسبح وهو يسبح
له وتسبح بالتاء وكسر الباء وعن ابي جعفر بالتاء وفتح الباء ووجهها ان يسند
الى اوقات الغدو والاصال على زيادة الباء وتجعل الاوقات مسبحة والمراد
ربهما كصيد عليه يومان والمراد وحشهما والاصال جمع اصل وهو العشي والمعنى
باوقات الغدو اي بالغدوات وقرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل
يقال آصل كاظهر واعتم التجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح
فاما ان يريد لا يشغلهم نوع من هذه الصناعة ثم خص البيع لانه في الالهاء
ادخل من قبل ان التاجر اذا اتجهت له بيعة رابحة وهي طلبته الكلية من صناعته
الهته ما لا يلهيه شراء شيء يتوقع فيه الربح في الوقت الثاني لان هذا يقين
وذاك مظنون واما ان يسمي الشراء تجارة اطلاقا لاسم الجنس على النوع كما تقول
رزق فلان تجارة رابحة اذا اتجه له بيع صالح او شراء وقيل التجارة لاهل
الجلب اتجر فلان في كذا جلبه التاء في اقامة عوض من العين الساقطة للاعلال
والاصل اقوام فلما اضيفت اقيمت الاضافة مقام حرف التعويض فاسقطت
ونحوه ... ... واخلفوك عد الامر الذي وعدوا تتقلب القلوب والابصار
اما ان تتقلب وتتغير في نفسها وهو ان تضطرب من الهول والفزع وتشخص
كقوله واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر واما ان تتقلب احوالها
وتتغير فتفقه القلوب بعد ان كانت مطبوعا عليها لا تفقه وتبصر
الابصار بعد ان كانت عميا لا تبصر ليجزيهم الله احسن ما عملوا اي احسن
جزاء اعمالهم كقوله للذين احسنوا الحسنى والمعنى يسبحون ويخافون ليجزيهم
ثوابهم مضاعفا ويزيدهم من فضله ويزيدهم على الثواب تفضلا وكذلك
معنى قوله الحسنى وزيادة المثوبة الحسنى وزيادة عليها من التفضل وعطاء
الله اما تفضل واما ثواب واما عوض والله يرزق ما يتفضل به من يشاء
بغير حساب فاما الثواب فله حساب لكونه على حسب الاستحقاق
والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده
شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب السراب ما يرى
في الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب على وجه الارض كانه ماء يجري
والقيعة بمعنى القاع او جمع قاع وهو المنبسط المستوي من الارض كجيرة في جار
وقرئ بقيعات بتاء ممطوطة كديمات وقيمات في ديمة وقيمة وقد جعل
بعضهم بقيعات بتاء مدورة كرجل عزهاة شبه ما يعمله من لا يعتقد
الايمان ولا يتبع الحق من الاعمال الصالحة التي يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه
من عذابه ثم تخيب في العاقبة امله ويلقى خلاف ما قدر بسراب يراه الكافر
بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيمة فيحسبه ماء فياتيه فلا يجد ما رجاه
ويجد زبانية الله عنده ياخذونه فيعتلونه الى جهنم فيسقونه الحميم
والغساق وهم الذين قال الله فيهم عاملة ناصبة وهم يحسبون انهم يحسنون
صنعا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقيل نزلت
في عتبة بن ربيعة بن امية قد كان تعبد ولبس المسوح والتمس الدين
في الجاهلية ثم كفر في الاسلام او كظلمات في بحر لجي اللجي العميق الكثير الماء
منسوب الى اللج وهو معظم ماء البحر يغشاه موج من فوقه موج من فوقه
سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها وفي اخرج ضمير
الواقع فيه لم يكد يراها مبالغة في لم يرها اي لم يقرب ان يراها فضلا عن ان
يراها ومثله قول ذي الرمة ... اذا غير النأي المحبين لم يكد

رسيس الهوي من حب مية يبرح ؎ اي لم يقرب من البراح فما با له
يبرح ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور شبه اعمالهم اولا في فوات نفعها
وحصول ضررها بسراب لم يجده من خدعه من بعيد شيا ولم يكفه خيبة
وكمدا ان لم يجد شيا كغيره من السراب حتي وجد عنده الزبانية تعتله الي النار
ولا يقتل ظماه بالما وشبهها ثانيا في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة وفي خلوها
عن نور الحق بظلمات متراكمة من لج البحر والامواج والسحاب ومن لم يعط نور
توفيقه وعصمته ولطفه فهو في ظلمة الباطل لا نور له وهذا الكلام مجراه
مجري الكنايات لان الالطاف انما تردف الايمان والعمل او كونهما مترقبين
الا تري الي قوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله ويضل الله
الظالمين • وقري سحاب ظلمات علي الاضافة وسحاب ظلمات برفع سحاب
وتنوينه وجر ظلمات بدلا من ظلمات الاولي الم تر ان الله يسبح له من في السموات
والارض والطير صافات يصففن اجنحتهن في الهواء والضمير في قوله كل قد
علم لكل او لله وكذلك في صلاته وتسبيحه والصلوة الدعاء ولا يبعد ان يلهم
الله الطير دعاءه وتسبيحه كما الهمها ساير العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء
يهتدون اليها والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والارض والي
الله المصير الم تر ان الله يزجي سحابا ثم يولف بينه ثم يجعله ركاما فتري
الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب
به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب
الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار يزجي يسوق ومنه البضاعة
المزجاة التي يزجيها كل احد لا يرضاها والسحاب يكون واحدا كالعما وجمعا كالرباب
ومعني تاليف الواحد انه يكون قزعا فيضم بعضه الي بعض وجاز بينه وهو
واحد لان المعني بين اجزايه كما قيل في قوله بين الدخول فحومل والركام
المتراكم بعضه فوق بعض والودق المطر من خلاله من فتوقه ومخارجه
جمع خلل كجبال في جبل وقري من خلله وينزل بالتشديد ويكاد سنا علي الادغام
وبرقه جمع برقة وهي المقدار من البرق كالغرفة واللقمة وبرقه بضمتين
للاتباع كما قيل في جمع فعلة فعلات كظلمات وسناء برقه علي المد المقصور بمعني
الضوء والممدود بمعني العلو والارتفاع من قولك سني للمرتفع ويذهب
بالابصار علي زيادة البا كقوله ولا تلقوا بايديكم عن ابي جعفر المدني وهذا
من تعديد الدلايل علي ربوبيته وظهور امره حيث ذكر تسبيح من في السموات والارض
وكل ما يطير بين السماء والارض ودعاهم له وابتهالهم اليه وانه سخر السحاب
التسخير الذي وصفه وما يحدث فيه من افعاله حتي ينزل المطر منه وانه
يقسم رحمته بين خلقه ويقبضها ويبسطها علي ما تقتضيه حكمته ويريهم
البرق في السحاب الذي يكاد يخطف ابصارهم ليعتبروا ويحذروا ويعاقب
بين الليل والنهار ويخالف بينهما بالطول والقصر وما هذه الا براهين
في غاية الوضوح علي وجوده وثباته ودلايل منادية علي صفاته لمن نظر
وفكر وتبصر وتدبر فان قلت متي راي رسول الله صلي الله عليه وسلم
تسبيح من في السموات ودعاهم وتسبيح الطير ودعاءه وتنزيل المطر من
جبال برد في السماء حتي قيل له الم تر قلت علمه من جهة اخبار
الله اياه بذلك علي طريق الوحي فان قلت ما الفرق بين من الاولي والثانية
والثالثة في قوله من السماء من جبال فيها من برد قلت الاولي لابتداء

خ
ثم قال ومن لم يوله نور الخ

الغاية والثانية للتبعيض والثالثة للبيان او الاوليان للابتداء والاخرة
للتبعيض ومعناه انه ينزل البرد من السماء من جبال فيها وعلي الاول مفعول
ينزل من جبال فان قلت ما معني من جبال فيها من برد قلت فيه
معنيان احدهما ان يخلق الله في السما جبال برد كما خلق في الارض جبال حجر
والثاني ان يريد الكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب •
والله خلق كل دابة من ما فمنهم من يمشي علي بطنه ومنهم من يمشي علي
رجلين ومنهم من يمشي علي اربع يخلق الله ما يشاء ان الله علي كل شي قدير
وقري خالق كل دابة ولما كان اسم الدابة موقعا علي المميز وغير المميز غلب
المميز فاعطي ما وراءه حكمه كان الدواب كلهم مميزون فمن ثم قيل فمنهم
وقيل من يمشي في الماشي علي بطن والماشي علي اربع قوايم فان قلت لم
نكر الما في قوله من ماء قلت لان المعني انه خلق كل دابة من نوع من الماء
مختص بتلك الدابة او خلقها من ماء مخصوص وهي النطفة ثم خالف بين المخلوقات
من النطفة فمنها هوام ومنها بهايم ومنها ناس ونحوه قوله تسقي بماء واحد
ونفضل بعضها علي بعض في الاكل فان قلت فما باله معرفا في قوله وجعلنا
من الماء كل شي حي قلت قصد ثم معني اخر وهو ان اجناس الحيوان كلها
مخلوقة من هذا الجنس الذي هو جنس الماء وذلك انه هو الاصل وان تخللت
بينه وبينها وسايط قالوا خلق الملايكة من ريح خلقها من الماء والجن من
نار خلقها منه وادم من تراب خلقه منه فان قلت لم جاءت الاجناس
الثلاثة علي هذا الترتيب قلت قدم ما هو اعرق في القدرة وهو الماشي
بغير الة مشي من ارجل او قوايم ثم الماشي علي رجلين ثم الماشي علي اربع فان
قلت لم سمي الزحف علي البطن مشيا قلت علي سبيل الاستعارة
كما قالوا في الامر المستمر قد مشي هذا الامر ويقال فلان لا يتمشي له امر
ونحوه استعارة الشفة مكان الجحفلة والمشفر مكان الشفة ونحو ذلك
او علي طريق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين لقد انزلنا ايات مبينات
والله يهدي من يشاء الي صراط مستقيم ويقولون امنا بالله وبالرسول
واطعنا ثم يتولي فريق منهم بعد ذلك وما اولئك بالمومنين وما اولئك
بالمومنين اشارة الي القايلين امنا واطعنا او الي الفريق المتولي منهم فمعناه
علي الاول اعلام من الله بان جميعهم منتف عنهم الايمان لا الفريق المتولي وحده
وعلي الثاني اعلام بان الفريق المتولي لم يكن ما سبق لهم من الايمان ايمانا انما
كان ادعاء باللسان من غير مواطاة القلب لانه لو كان صادرا عن صحة معتقد
وطمانينة نفس لم يتعقبه التولي والاعراض والتعريف في قوله بالمومنين
دلالة علي انهم ليسوا بالمومنين الذين عرفت وهم الثابتون المستقيمون
علي الايمان الموصوفون في قوله انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله
ثم لم يرتابوا واذا دعوا الي الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون
معني الي الله ورسوله الي رسول الله كقولك اعجبني زيد وكرمه تريد كرم زيد
ومنه قوله ؎ غلسته قبل القطا وفرطه ؎ وسهل من الغلاني وسطه
اراد قبل فرط القطا روي انها نزلت في بشر المنافق وخصمه اليهودي
حين اختصما في ارض فجعل اليهودي يجره الي رسول الله صلي الله عليه وسلم
والمنافق يجره الي كعب بن الاشرف ويقول ان محمدا يحيف علينا وروي ان
المغيرة بن وايل كان بينه وبين علي بن ابي طالب رضي الله عنه خصومة
في ماء وارض فقال المغيرة اما محمد فلست اتيه ولا احاكم اليه فانه يبغضني

وانا اخاف ان يحيف علي وان يكن لهم الحق ياتوا اليه مذعنين اليه صلة
ياتوا لان اتي وجاء قد جاء ا معدين بالي ويتصل بمذعنين لانه في معني
مسرعين في الطاعة وهذا احسن لتقدم صلته ودلالته علي الاختصاص والمعني
انهم لمعرفتهم انه ليس معك الا الحق المر والعدل البحت يزورون عن المحاكمة اليك
اذا ركبهم الحق لئلا تنتزعه من احداقهم بقضائك عليهم لخصومهم وان ثبت لهم حق
علي خصم اسرعوا اليك ولم يرضوا الا بحكومتك لياخذ لهم ما ذاب لهم في ذمة
الخصم ثم قسم الامر في صدودهم عن حكومته اذا كان الحق عليهم بين ان يكونوا
مرضي القلوب منافقين او مرتابين في امر نبوته او خائفين الحيف في قضائه
بقوله افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله
ثم ابطل خوفهم حيفه بقوله بل اولئك هم الظالمون اي لا يخافون ان يحيف
عليهم لمعرفتهم بحاله وانما هم ظالمون يريدون ان يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم
جحوده وذلك شي لا يستطيعونه في مجلس رسول الله صلي الله عليه وسلم فمن
ثم يابون المحاكمة اليه انما كان قول المومنين اذا دعوا الي الله ورسوله ليحكم
بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون وعن الحسن قول
المومنين بالرفع والنصب قوي لان اولي الاسمين بكونه اسما لكان اوغلهما
في التعريف وان يقولوا اوغل لانه لا سبيل عليه للتنكير بخلاف قول المومنين
وكان هذا من قبيل كان في قوله ما كان لله ان يتخذ ولدا ما يكون لنا ان نتكلم بهذا
وقري ليحكم علي البناء للمفعول فان قلت الي ما اسند يحكم ولا بد له من فاعل
قلت هو مسند الي مصدره لان معناه ليفعل الحكم بينهم ومثله جمع بينهما
والف بينهما ومثله لقد تقطع بينكم فيمن قرا بينكم منصوبا اي وقع التقطع
بينكم وهذه القراة مجاوبة لقوله دعوا ومن يطع الله ورسوله ويخش الله
ويتقه فاولئك هم الفائزون قري ويتقه بكسر القاف والهاء مع الوصل وبغير
وصل وبسكون الهاء وبسكون القاف وكسر الهاء شبه تقه بكتف فخفف كقوله
قالت سليمى اشتر لنا سويقا ولقد جمع الله سبحانه
في هذه الاية اسباب الفوز وعن ابن عباس في تفسيرها ومن يطع الله في فرائضه
ورسوله في سننه ويخش الله علي ما مضي من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل وعن
بعض الملوك انه سال عن اية كافية فتليت له هذه الاية واقسموا بالله جهد
ايمانهم لئن امرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة جهد يمينه مستعار
من جهد نفسه اذا بلغ اقصي وسعها وذلك اذا بالغ في اليمين وبلغ غاية شدتها
ووكادتها وعن ابن عباس رضي الله عنه من قال بالله فقد جهد يمينه واصل
اقسم جهد اليمين اقسم يجهد اليمين جهدا فحذف الفعل وقدم المصدر فوضع
موضعه مضافا الي المفعول كقوله فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب
حكم الحال كانه قال جاهدين ايمانهم وطاعة معروفة خبر مبتدا محذوف
او مبتدا محذوف الخبر اي امركم والذي يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك
فيها ولا يرتاب كطاعة الخلص من المومنين الذين طابق باطن امرهم ظاهره لا ايمان
تقسمون بها بافواهكم وقلوبكم علي خلافها او طاعتكم طاعة معروفة بانها بالقول
دون الفعل او طاعة معروفة امثل واولي بكم من هذه الايمان الكاذبة وقرا
اليزيدي طاعة معروفة بالنصب علي معني اطيعوا طاعة ان الله خبير بما تعملون
يعلم ما في ضمايركم ولا يخفي عليه شي من سرائركم وانه فاضحكم لا محالة ومجازيكم
علي نفاقكم قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل
وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما علي الرسول الا البلاغ المبين

تمامه
وهات خبز البر او دقيقا

صرف

صرف الكلام عن الغيبة الي الخطاب علي طريقة الالتفات وهو ابلغ في تبكيتهم
يريد فان تتولوا فما ضررتموه وانما ضررتم انفسكم فان الرسول ليس عليه
الا ما حمله الله وكلفه من اداء الرسالة فاذا ادي فقد خرج عن عهدة تكليفه
واما انتم فعليكم ما كلفتم من التلقي بالقبول والاذعان فان لم تفعلوا وتوليتم
فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله وعذابه وان اطعتموه فقد احرزتم نصيبكم
من الخروج عن الضلالة الي الهدي فالنفع والضرر عائدان اليكم وما الرسول الا
ناصح وهاد وما عليه الا ان يبلغ ماله نفع في قبولكم ولا عليه ضرر في توليكم
والبلاغ بمعني التبليغ كالاداء بمعني التادية ومعني المبين كونه مقرونا
بالايات والمعجزات وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم
في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضي لهم
وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيا الخطاب لرسول
الله صلي الله عليه وسلم ولمن معه ومنكم للبيان كالتي في اخر سورة الفتح وعدهم
الله ان ينصر الاسلام علي الكفر ويورثهم الارض ويجعلهم فيها خلفا كما فعل
ببني اسرائيل حين اورثهم مصر والشام بعد اهلاك الجبابرة وان يمكن الدين المرتضي
وهو دين الاسلام وتمكينه تثبيته وتوطيده وان يومن سربهم ويزيل عنهم الخوف
الذي كانوا عليه وذلك ان رسول الله صلي الله عليه وسلم واصحابه مكثوا بمكة عشر
سنين خائفين ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون بالسلاح ويمسون فيه
حتي قال رجل ما ياتي علينا يوم نامن فيه ونضع السلاح فقال صلي الله عليه وسلم
لا تغبرون الا يسيرا حتي يجلس الرجل منكم في الملا العظيم محتبيا ليس معه حديدة
فانجز الله وعده واظهرهم علي جزيرة العرب وافتتحوا بعد بلاد المشرق والمغرب ومزقوا
ملك الاكاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا علي الدنيا ثم خرج الذين علي خلاف سيرتهم
فكفروا بتلك الانعم وفسقوا وذلك قوله عليه السلام الخلافة بعدي ثلاثون
سنة ثم يملك الله من يشاء فتصير ملكا ثم تصير بزيزي قطع سبيل
وسفك دماء واخذ اموال بغير حقها وقري كما استخلف علي البناء للمفعول
وليبدلنهم بالتشديد فان قلت اين القسم المتلقي باللام والنون في ليستخلفنهم
قلت هو محذوف تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم او نزل وعد الله
في تحققه منزلة القسم فتلقي بما يتلقي به القسم كانه اقسم الله ليستخلفنهم
فان قلت ما محل يعبدونني قلت ان جعلته استينافا لم يكن
له محل كان قائلا قال ما لهم يستخلفون ويومنون فقال يعبدونني وان
جعلته حالا عن وعدهم اي وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم واخلاصهم
فمحله النصب ومن كفر بعد ذلك يريد كفران النعمة كقوله فكفرت بانعم
الله فاولئك هم الفاسقون اي هم الكاملون في الفسق حيث كفروا تلك
النعمة العظيمة وجسروا علي غمطها فان قلت هل في هذه الاية دليل
علي امر الخلفاء الراشدين قلت اوضح دليل وابينه لان المستخلفين الذين
امنوا وعملوا الصالحات هم هم واقيموا الصلوة واتوا
الزكوة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون معطوف علي اطيعوا الله واطيعوا
الرسول وليس ببعيد ان يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وان طال
لان حق المعطوف ان يكون غير المعطوف عليه وكررت طاعة الرسول تاكيدا
لوجوبها لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض وماويهم النار ولبئس
المصير وقري لا يحسبن بالياء وفيه اوجه ان يكون معجزين في الارض هما
المفعولان والمعني لا يحسبن الذين كفروا احدا يعجز الله في الارض حتي

قيل

حتى يطمعوا هم في مثل ذلك وهذا معنى قوي جيد وان يكون فيه ضمير الرسول
لتقدم ذكره في قوله واطيعوا الرسول وان يكون الاصل لا يحسبنهم الذين كفروا
معجزين ثم حذف الضمير الذي هو المفعول الاول وكان الذي سوغ ذلك ان
الفاعل والمفعولين لما كانت لشيء واحد اقتنع بذكر اثنين عن ذكر الثالث وعطف
قوله وماويهم النار على لا تحسبن الذين كفروا معجزين كانه قيل الذين كفروا
لا يفوتون الله وما واهم النار والمراد بهم المقسمون جهد ايمانهم يا ايها الذين
امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات
من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلوة العشاء
ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم
على بعض كذلك يبين الله لكم الايات والله عليم حكيم امر بان يستاذن
العبيد وقيل العبيد والاماء والاطفال الذين لم يحتلموا من الاحرار ثلاث مرات
في اليوم والليلة قبل صلوة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه
من الثياب ولبس ثياب اليقظة وبالظهيرة لانها وقت وضع الثياب للقائلة
وبعد صلوة العشاء لانه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب
النوم وسمى كل واحدة من هذه الاحوال عورة لان الناس يختل تسترهم
وتحفظهم فيها والعورة الخلل ومنها اعور الفارس واعور المكان والاعور المختل
العين. ثم عذرهم في ترك الاستيذان وراء هذه المرات وبين وجه العذر
في قوله طوافون عليكم يعني ان بكم وبهم حاجة الى المخالطة والمداخلة
يطوفون عليكم للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام فلو جزم الامر الامر بالاستيذان
في كل وقت لادى الى الحرج روي ان مدلج بن عمرو وكان غلاما انصاريا ارسله
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهر الى عمر رضي الله عنه فدخل عليه
وهو نايم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت ان الله عز وجل نهى
اباءنا وابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا علينا هذه الساعات الا باذن ثم انطلق
معه الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجده وقد انزلت عليه هذه الاية وهي احدى
الايات المنزلة بسبب عمر رضي الله عنه وقيل نزلت في اسماء بنت ابي مرثد قالت
انا لتدخل على الرجل والمراة ولعلهما يكونان في لحاف واحد وقيل دخل عليها
غلام لها كبير في وقت كرهت دخوله فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها وعن ابي عمرو والحلم
بالسكون وقرئ ثلاث عورات بالنصب بدلا عن ثلاث مرات اي اوقات
ثلاث عورات وعن الاعمش عورات على لغة هذيل فان قلت ما محل
ليس عليكم قلت اذا رفعت ثلاث عورات كان ذلك في محل الرفع على
الوصف والمعنى هن ثلاث عورات مخصوصة بالاستيذان واذا نصبت لم يكن له
محل وكان كلاما مقررا للامر بالاستيذان في تلك الاحوال الخاصة فان قلت
بم ارتفع بعضكم قلت بالابتدا وخبره على بعض على معنى طايف على بعض وحذف
لان طوافون يدل عليه ويجوز ان يرتفع بيطوف مضمرا لتلك الدلالة
واذا بلغ الاطفال منكم اي من الاحرار دون المماليك الحلم فليستاذنوا كما استاذن
الذين من قبلهم يريد الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال او الذين ذكروا من
قبلهم في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا
الاية والمعنى ان الاطفال ماذونون لهم في الدخول بغير اذن الا في العورات
الثلاث فاذا اعتاد الاطفال ذلك ثم خرجوا من حد الطفولة بان يحتلموا
او يبلغوا السن التي يحكم فيها عليهم بالبلوغ وجب ان يفطموا عن تلك العادة

ويحملوا

ويحملوا على ان يستاذنوا في جميع الاوقات كالرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول
عليكم الا باذن وهذا مما الناس عنه في غفلة وهو عندهم كالشريعة المنسوخة
وعن ابن عباس اية لا يؤمن بها اكثر الناس اية الاذن واني لامر جاريتي
ان تستاذن علي وساله عطاء استاذن على اختي قال نعم وان كانت في حجرك
تمونها وتلا هذه الاية وعنه ثلاث ايات جحدهن الناس الاذن كله وقوله
ان اكرمكم عند الله اتقيكم فقال ناس اعظمكم بيتا وقوله واذا حضر القسمة وعن
ابن مسعود عليكم ان تستاذنوا على ابائكم وامهاتكم واخواتكم وعن الشعبي ليست
بمنسوخة فقيل له ان الناس لا يعملون بها فقال الله المستعان وعن سعيد
ابن جبير رضي الله عنه يقولون هي منسوخة لا والله ما هي منسوخة ولكن الناس
تهاونوا بها فان قلت ما السن التي يحكم فيها بالبلوغ قلت قال
ابو حنيفة رحمه الله ثماني عشرة سنة في الغلام وسبع عشرة في الجارية وعامة
العلماء على خمس عشرة فيهما وعن علي رضي الله عنه انه كان يعتبر القامة ويقدره
بخمسة اشبار وبه اخذ الفرزدق في قوله ؛ ما زال مذ عقدت يداه ازاره ؛
؛ وسما فادرك خمسة الاشبار ؛ واعتبر غيره الانبات وعن
عثمان انه سال عن غلام فقال هل اخضر ازاره كذلك يبين الله لكم اياته
والله عليم حكيم والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح
ان يضعن ثيابهن القاعد التي قعدت عن الحيض والولد لكبرها لا يرجون
نكاحا لا يطمعن فيه والمراد بالثياب الظاهرة كالملحفة والجلباب التي
فوق الخمار غير متبرجات بزينة غير مظهرات زينة يريد الزينة الخفية التي
ارادها في قوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او غير قاصدات بالوضع
التبرج ولكن التخفف اذا احتجن اليه والاستعفاف من الوضع خير لهن. لما ذكر
الجائز عقبه بالمستحب بعثا على اختيار افضل الاعمال واحسنها كقوله وان
تعفوا اقرب للتقوى وان تصدقوا خير لكم فان قلت ما حقيقة
التبرج قلت تكلف اظهار ما يجب اخفاؤه من قولهم سفينة بارج
لا غطاء عليها والبرج سعة العين يرى بياضها محيطا بسوادها كله
لا يغيب منه شيء الا انه اختص بان تتكشف المراة للرجال بابداء زينتها
واظهار محاسنها وبدا وبرز بمعنى ظهر من اخوات تبرج وتبلج كذلك والله
سميع عليم ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على
انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت ابائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم
او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم
او ما ملكتم مفاتحه او صديقكم كان المؤمنون يذهبون بالضعفاء وذوي
العاهات الى بيوت ازواجهم واولادهم والى بيوت قراباتهم واصدقائهم فيطعمونهم
منها فخالج قلوب المطعمين والمطعمين ريبة في ذلك وخافوا ان يلحقهم فيه
حرج وكرهوا ان يكون اكلا بغير حق لقوله تعالى ولا تاكلوا اموالكم بينكم
بالباطل فقيل لهم ليس على الضعفاء ولا على انفسكم يعني عليكم وعلى من في مثل
حالكم من المؤمنين حرج في ذلك وعن عكرمة كانت الانصار في انفسها قزازة
وكانت لا تاكل من هذه البيوت اذا استغنوا وقيل كان هولاء يتوقون مجالسة
الناس ومواكلتهم لما عسى يؤدي الى الكراهة من قبلهم ولان الاعمى ربما سبقت
يده الى ما سبقت عين اكيله اليه وهو لا يشعر والاعرج يتفسح في مجلسه وياخذ
اكثر من موضعه فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو من رايحة تؤذي او
جرح يبض او انف يذن ونحو ذلك وقيل كانوا يخرجون الى الغزو

ويخلفون الضعفا في بيوتهم ويدفعون اليهم المفاتيح ويا ذنون لهم ان
ياكلوا من بيوتهم فكانوا يتحرجون حكي عن الحرث بن عمرو انه خرج غازيا وخلف
مالك بن زيد في بيته وماله فلما رجع رآه مجهودا فقال ما اصابك قال لم يكن
عندي شي ولم يحل لي ان اكل من مالك فقيل ليس علي هولا الضعفا حرج فيما تحرجوا
عنه ولا عليكم ان تاكلوا من هذه البيوت وهذا كلام صحيح وكذلك اذا فسر بان
هولا ليس عليهم حرج في القعود عن الغزو ولا عليكم ان تاكلوا من البيوت المذكورة
لالتقا الطايفتين في ان كل واحدة منهما منفي عنها الحرج ومثال هذا ان يستفتيك
مسافر عن الافطار في رمضان وحاج مفرد عن تقديم الحلق على النحر فقلت ليس
على المسافر حرج ان يفطر ولا عليك يا حاج ان تقدم الحلق عن النحر فان قلت
هلا ذكروا الاولاد قلت دخل ذكرهم تحت قوله من بيوتكم لان ولد الرجل
بعضه وحكمه حكم نفسه وفي الحديث ان اطيب ما ياكل المر من كسبه وان ولده
من كسبه ومعنى بيوتكم من البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم ولان الولد
اقرب ممن عدد من القرابات فاذا كان سبب الرخصة هو القرابة كان الذي هو
اقرب منهم اولى فان قلت ما معنى ما ملكتم مفاتحه قلت اموال
الرجل اذا كان له عليها قيم ووكيل يحفظها له ان ياكل من ثمر بستانه ويشرب
من لبن ماشيته وملك المفاتح كونها في يده وحفظه وقيل بيوت المماليك
لان مال العبد لمولاه وقري مفتاحه فان قلت فما معنى او صديقكم
قلت معناه او بيوت اصدقايكم والصديق يكون واحدا وجمعا وكذلك
الخليط والقطين والعدو ويحكى عن الحسن انه دخل داره واذا حلقة من اصدقايه
وقد استلوا اسلالا من تحت سريره فيها الخبيص واطايب الاطعمة وهم مكبون
عليها ياكلون فتهللت اساريره وجهه سرورا وضحك وقال هكذا وجدناهم
يريد كبراء الصحابة ومن لقيهم من البدريين وكان الرجل منهم يدخل دار صديقه
وهو غايب فيسال جاريته كيسه فياخذ ما شا فاذا حضر مولاها فاخبرته
اعتقها سرورا بذلك وعن جعفر بن محمد من عظم حرمة الصديق ان جعله
الله من الانس والثقة والانبساط وطرح الحشمة بمنزلة النفس والاب والاخ
والابن وعن ابن عباس الصديق اكبر من الوالدين ان الجهنميين لما استغاثوا
لم يستغيثوا بالاباء والامهات فقالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم
وقالوا اذا دل ظاهر الحال على رضى المالك قام ذلك مقام الاذن الصريح وربما
سمج الاستيذان وثقل كمن قدم اليه طعام فاستاذن صاحبه في الاكل منه
ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا اي مجتمعين او متفرقين نزلت
في بني ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون ان ياكل الرجل وحده فربما
قعد منتظرا نهاره الى الليل فان لم يجد من يواكله اكل ضرورة وقيل تحرجوا
عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الاكل وزيادة بعضهم على بعض
وقيل في قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا ياكلون الا مع ضيفهم فاذا
دخلتم بيوتا من هذه البيوت لتاكلوا فسلموا على انفسكم فابدوا بالسلام
على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة تحية من عند الله اي ثابتة بامره مشروعة
من لدنه او لان التسليم والتحية طلب سلامة وحيوة للمسلم عليه والمحيي من
عند الله مباركة طيبة ووصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مومن لمومن
يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق وعن انس رضي الله عنه قال
خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين وروي تسع سنين فما قال لي
لشي فعلته لم فعلته ولا قال لي لشي كسرته لم كسرته وكنت واقفا على راسه

اصب

اصب لما على يديه فرفع راسه فقال الا اعلمك ثلاث خصال تنتفع بها قلت
بلى بابي وامي يا رسول الله قال متى لقيت من امتي احدا فسلم عليه يطل عمرك
واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلوة الضحى فانها صلوة
الابرار الاوابين وقالوا ان لم يكن في البيت احد فليقل السلام علينا من ربنا السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله وعن ابن عباس
رضي الله عنهما اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
تحية من عند الله وانتصب تحية بسلموا لانها في معنى تسليما كقولك قعدت
جلوسا كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تعقلون انما المومنون الذين
امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه
ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يومنون بالله ورسوله فاذا استاذنوك
لبعض شانهم فاذن لمن شيت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم
اراد عز وجل ان يريهم عظم الجناية في ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله صلى
الله عليه وسلم بغير اذنه اذا كانوا معه على امر جامع فجعل ترك ذهابهم
حتى يستاذنوه ثالث الايمان بالله والايمان برسوله وجعلهما كالتشبيب
له والبساط لذكره وذلك مع تصدير الجملة بانما وايقاع المومنين مبتدا مخبرا
عنه بموصول احاطت صلته بذكر الايمانين ثم عقبه بما يزيده توكيدا وتشديدا
حيث اعاده على اسلوب اخر وهو قوله ان الذين يستاذنونك اوليك الذين يومنون
بالله ورسوله وضمنه شيا اخر وهو انه جعل الاستيذان كالمصداق لصحة
الايمانين وعرض بحال المنافقين وتسللهم لواذا ومعنى قوله لم يذهبوا حتى
يستاذنوه لم يذهبوا حتى يستاذنوه وياذن لهم الا تراه كيف علق الامر بعد
وجود استيذانهم بمشيته واذنه لمن استصوب ان ياذن له والامر الجامع
الذي يجمع له الناس فوصف الامر بالجمع على سبيل المجاز وذلك نحو مقاتلة عدو
او تشاور في خطب مهم او تضام لارهاب مخالف او تماسح في حلف وغير ذلك
او الامر الذي يعم بضرره او بنفعه وقري امر جميع وفي قوله اذا كانوا معه
على امر جامع انه خطب جليل لابد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه من ذوي
راي وقوة يظاهرونه عليه ويعاونونه ويستضي بارايهم ومعارفهم وتجاربهم
في كفايته فمفارقة احدهم في مثل تلك الحال مما يشق على قلبه ويشعث
عليه رايه فمن ثم غلظ عليهم وضيق عليهم الامر بالاستيذان مع العذر المبسوط
ومساس الحاجة اليه واعتراض ما يهمهم ويعنيهم وذلك قوله لبعض شانهم
وذكر الاستغفار للمستاذنين دليل على ان الاحسن الافضل ان لا يحدثوا انفسهم
بالذهاب ولا يستاذنوا فيه وقيل نزلت في حفر الخندق وكان قوم يتسللون
بغير اذن وقالوا كذلك ينبغي ان يكون الناس مع ايمتهم ومقدميهم في الدين
والعلم يظاهرونهم ولا يخذلونهم في نازلة من النوازل ولا يتفرقون عنهم
والامر في الاذن مفوض الى الامام ان شا اذن وان شا لم ياذن على حسب ما اقتضاه
رايه لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا اذا احتاج رسول الله
الى اجتماعكم عنده لامر فدعاكم فلا تتفرقوا عنه الا باذنه ولا تقيسوا دعاه
اياكم على دعا بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغير اذن الداعي او لا تجعلوا
تسميته ونداه بينكم كما يسمي بعضكم بعضا ويناديه باسمه الذي سماه به
ابواه ولا تقولوا يا محمد ولكن يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتعظيم
والصوت المخفوض والتواضع ويحتمل لا تجعلوا دعا الرسول ربه مثل
ما يدعو صغيركم كبيركم وفقيركم غنيكم يساله حاجة فربما اجابه وربما

ردّه فان دعوات رسول الله مسموعة مستجابة قد يعلم الله الذين يتسللون
منكم لواذا يتسللون ينسلون قليلا قليلا ونظير تسلل تدرج وتدخل واللواذ
الملاوذة وهو ان يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا يعني ينسلون عن الجماعة في الخفية
على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض ولواذا حال اي ملاوذين وقيل
كان بعضهم يلوذ بالرجل اذا استاذن فياذن له فينطلق الذي لم يوذن له معه
وقرئ لواذا بالفتح فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم
عذاب اليم يقال خالفه الى الامر اذا ذهب اليه دونه ومنه قوله تعالى وما اريد ان
اخالفكم الى ما انهيكم عنه وخالفه عن الامر اذا صد عنه دونه ومعنى الذين
يخالفون عن امره الذين يصدون عن امره دون المومنين وهم المنافقون
فحذف المفعول لان الغرض ذكر المخالف والمخالف عنه الضمير في امره لله سبحانه
او للرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى عن طاعته ودينه فتنة محنة في الدنيا
او يصيبهم عذاب اليم في الاخرة وعن ابن عباس رضي الله عنهما فتنة قتل
وعن عطاء رحمه الله زلازل واهوال وعن جعفر بن محمد رحمه الله يسلط عليهم
سلطان جائر الا ان لله ما في السموات والارض قد يعلم ما انتم عليه ويوم يرجعون
اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم ادخل قد ليوكد علمه بما هم عليه من المخالفة
عن الدين والنفاق ويرجع توكيد العلم الى توكيد الوعيد وذلك ان قد اذا دخلت
على المضارع كانت بمعنى ربما فوافقت ربما في خروجها الى معنى التكثير في نحو قوله
شعر فان تمس مهجور الفناء فربما ... اقام به بعد الوفود وفود
ونحو قول زهير ... اخي ثقة لا تهلك الخمر ماله ... ولكنه قد يهلك المال نائله
والمعنى ان جميع ما في السموات والارض مختصة به خلقا وملكا وعلما فكيف عليه
احوال المنافقين وان كانوا يجتهدون في سترها عن العيون واخفائها وسينبئهم
يوم القيمة بما ابطنوا من سوء اعمالهم وسيجازيهم حق جزائهم والخطاب والغيبة
في قوله يعلم ما انتم عليه ويوم يرجعون اليه يجوز ان يكونا جميعا للمنافقين
على طريق الالتفات ويجوز ان يكون ما انتم عليه عاما ويرجعون للمنافقين
والله اعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور اعطي
من الاجر عشر حسنات بعدد كل مومن ومومنة فيما مضى وفيما بقي

سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي نزل الفرقان على عبده البركة كثرة الخير وزيادته ومنها تبارك
الله وفيه معنيان احدهما تزايد خيره وتكاثر او تزايد على كل شيء وتعالى عنه
في صفاته وافعاله والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما وسمي
به القرآن لفصله بين الحق والباطل او لانه لم ينزل جملة واحدة ولكن مفروقا
مفصولا بين بعضه وبعض في الانزال الا ترى الى قوله وقرانا فرقناه لتقراه
على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا وقد جاء الفرق بمعناه قال
ومشركي كافر بالفرق ... وعن ابن الزبير على عباده وهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم وامته كما قال لقد انزلنا اليكم قولوا امنا بالله وما انزل الينا
والضمير في ليكون لعبده او للفرقان وتعضده رجوعه الى الفرقان قراءة ابن الزبير
للعالمين الجن والانس نذيرا منذرا اي مخوفا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار
ومنه قوله فكيف كان عذابي ونذر الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ
ولدا ولم يكن له شريك في الملك الذي له رفع على الابدال من الذي نزل او رفع
على المدح او نصب عليه فان قلت كيف جاز الفصل بين البدل والمبدل

[هامش: ويرجع]

منه قلت ما فصل بينهما بشيء لان المبدل منه صلة نزل وليكون تعليل له فكان
المبدل منه لم يتم الا به فان قلت في الخلق معنى التقدير فما معنى قوله وخلق كل شيء
فقدره تقديرا كانه قال وقدر كل شيء فقدره قلت المعنى انه احدث كل شيء
احداثا مراعى فيه التقدير والتسوية فقدره وهياه لما يصلح له مثاله انه خلق الانسان
على هذا الشكل المقدر المسوي الذي تراه فقدره للتكاليف والمصالح المنوطة به في بابي
الدين والدنيا وكذلك كل حيوان وجماد جاء به على الجبلة المستوية المقدرة بامثلة
الحكمة والتدبير فقدره لامر ما ومصلحة مطابقا لما قدر له غير متجاف عنه او سمي
احداث الله خلقا لانه لا يحدث شيئا لحكمته الا على وجه التقدير من غير تفاوت
فاذا قيل خلق الله كذا فهو بمنزلة قولك احدث واوجد من غير نظر الى وجه
الاشتقاق فكانه قيل واوجد كل شيء فقدره في ايجاده فلم يوجده متفاوتا وقيل
فجعل له غاية ومنتهى ومعناه فقدره للبقاء الى امد معلوم واتخذوا من دونه
آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون الخلق بمعنى الافتعال كما في قوله انما تعبدون
من دون الله اوثانا وتخلقون افكا والمعنى انهم اثروا على عبادة الله سبحانه
عبادة آلهة لا عجز ابين من عجزهم لا يقدرون على شيء من افعال الله ولا من افعال
العباد حيث لا يفتعلون شيئا وهم يفتعلون لان عبدتهم يصنعونهم بالنحت
والتصوير ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا
نشورا اي لا يستطيعون لانفسهم دفع ضرر عنها او جلب نفع اليها وهم
يستطيعون واذا عجزوا عن الافتعال ودفع الضرر وجلب النفع التي يقدر
عليها العباد كانوا عن الموت والحيوة والنشور التي لا يقدر عليها الا الله تعالى
اعجز وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم اخرون
قيل هم اليهود وقيل عداس مولى حويطب بن عبد العزى ويسار مولى العلاء بن
الحضرمي وابو فكيهة الرومي قال ذلك النضر بن الحارث بن عبد الدار فقد
جاءوا ظلما وزورا جاء واتى يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته وقد
يكون على معنى وردوا ظلما كما تقول جيت المكان ويجوز ان يحذف الجار ويوصل
الفعل وظلمهم ان جعلوا العربي يتلقن من العجمي كلاما عربيا اعجز بفصاحته
جميع فصحاء العرب والزور ان بهتوه بنسبة ما هو بريء منه اليه وقالوا اساطير
الاولين ما سطره المتقدمون من نحو احاديث رستم واسفنديار اكتتبها كتبها
لنفسه واخذها كما تقول استكب الماء واصطبه اذا سكبه وصبه لنفسه
واخذه وقرئ اكتتبها على البناء للمفعول والمعنى اكتتبها كاتب له لانه كان اميا
لا يكتب بيده وذلك من تمام اعجازه ثم حذفت اللام فافضى الفعل الى الضمير فصار
اكتتبها اياه كاتب كقوله واختار موسى قومه ثم بنى الفعل للضمير الذي هو
اياه فانقلب مرفوعا مستترا بعد ان كان بارزا منصوبا وبقي ضمير الاساطير
على حاله فصار اكتتبها كما ترى فان قلت كيف قيل اكتتبها فهي تملى عليه
وانما يقال امليت عليه فهو يكتبها قلت فيه وجهان احدهما اراد اكتتابها
وطلبه فهي تملى عليه او كتبت له وهو امي فهي تملى عليه اي تلقى عليه من كتابه
يتحفظها لان صورة الالقاء على الحافظ كصورة الالقاء على الكاتب وعن
الحسن رحمه الله انه قول الله سبحانه يكذبهم وانما يستقيم ان لو فتحت الهمزة
للاستفهام الذي في معنى الانكار ووجهه ان يكون نحو قوله
شعر افرح ان ارزا الكرام ... وحق الحسن ان يقف على الاولين
بكرة واصيلا اي دائما او في الخفية قبل ان ينتشر الناس وحين يأوون
الى مساكنهم قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض اي يعلم كل سر

[هامش: الرومي]
[هامش: جمع اسطار او اسطورة كاحدوثة صح]

خفي في السموات والارض ومن جملته ما تسرونه انتم من الكيد لرسوله مع علمكم
ان ما تقولونه باطل وزور وكذلك باطن امر رسول الله وبرائته مما تبهتونه
به وهو يجازيكم ويجازيه علي ما علم منكم وعلم منه **فان قلت** كيف طابق
قوله **انه كان غفورا رحيما** هذا المعني **قلت** لما كان ما تقدمه في معني
الوعيد عقبه بما يدل علي القدرة عليه لانه لا يوصف بالمغفرة والرحمة الا القادر
علي العقوبة او هو تنبيه علي انهم استوجبوا بمكابرتهم هذه ان يصب عليهم العذاب
صبا ولكن صرف ذلك عنهم انه غفور رحيم يمهل ولا يعاجل **وقالوا مال هذا الرسول**
وقعت اللام في المصحف مفصولة عن هذا خارجة عن اوضاع الخط العربي وخط
المصحف سنة لا تغير وفي هذا استهانة وتصغير لشانه وتسميته بالرسول
سخرية منهم وطنز كانهم قالوا ما لهذا الزاعم انه رسول ونحوه قول فرعون
ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون **ياكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا انزل
اليه ملك فيكون معه نذيرا او يلقي اليه كنز او تكون له جنة ياكل منها** اي ان
صح انه رسول فما باله حاله مثل حالنا ياكل الطعام كما ناكل ويتردد في الاسواق
لطلب المعاش كما نتردد يعنون انه كان يجب ان يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والتعيش
ثم نزلوا عن اقتراحهم ان يكون ملكا الي اقتراح ان يكون انسانا معه ملك حتي
يتساندا في الانذار والتخويف ثم نزلوا ايضا فقالوا وان لم يكن مرفودا بملك فليكن
مرفودا بكنز يلقي اليه من السماء يستظهر به لا يحتاج الي تحصيل المعاش ثم نزلوا
فاقتنعوا بان يكون رجلا له بستان ياكل منه ويرزق كما الدهاقين والمياسير
او ياكلون هم من ذلك البستان فينتفعون به في دنياهم ومعاشهم **وقال الظالمون**
واراد بالظالمين اياهم باعيانهم وضع الظاهر موضع المضمر ليسجل عليهم بالظلم
فيما قالوا وقري فيكون بالرفع او يكون له جنة بالياء وناكل بالنون **فان قلت**
ما وجها الرفع والنصب في فيكون **قلت** النصب لانه جواب لولا بمعني هلا
وحكمه حكم الاستفهام والرفع علي انه معطوف علي انزل ومحله الرفع الا تراك تقول
لولا ينزل بالرفع وقد عطف عليه يلقي وتكون مرفوعين ولا يجوز النصب فيهما
لانهما في حكم الواقع بعد لولا ولا يكون الا مرفوعا والقائلون هم كفار قريش النضر
ابن الحرث وعبد الله بن ابي امية ونوفل بن خويلد ومن ضامهم **ان تتبعون الا رجلا
مسحورا** سحر فغلب علي عقله او ذا سحر وهو الرئة عنوا انه بشر لا ملك **انظر
كيف ضربوا لك الامثال** اي قالوا فيك تلك الاقوال واخترعوا لك تلك الصفات
والاحوال النادرة من نبوة مشتركة بين انسان وملك والقاء كنز عليك من السماء
وغير ذلك **فضلوا فلا يستطيعون سبيلا** فبقوا متحيرين ضلالا لا يجدون
قولا يستقرون عليه او فضلوا عن الحق فلا يجدون طريقا اليه **تبارك الذي
ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا**
تكاثر خير الذي ان شاء وهب لك في الدنيا خيرا مما قالوا وهو ان يعجل لك مثل
ما وعدك في الاخرة من الجنات والقصور وقري ويجعل بالرفع عطفا علي
جعل لان الشرط اذا وقع ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع كقوله

وان اتاه خليل يوم مسغبة ... يقول لا غايب مالي ولا حرم

ويجوز في يجعلك اذا ادغمت ان تكون اللام في تقدير الجزم والرفع جميعا وقري
بالنصب علي انه جواب الشرط بالواو **بل كذبوا بالساعة** عطف علي ما حكي عنهم
يقول بل اتوا باعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة ويجوز ان يتصل
بما يليه كانه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون الي هذا الجواب وكيف يصدقون
بتعجيل مثل ما وعدك في الاخرة وهم لا يومنون بالاخرة **واعتدنا لمن كذب**

بالساعة

بالساعة سعيرا السعير النار الشديدة الاستعار وعن الحسن انه اسم من اسماء جهنم
اذا راتهم من مكان بعيد رات منهم من قولهم دورهم تتراي وتتناظر ومن قوله عليه السلام
لا تتراي ناراهما كان بعضها يري بعضا علي سبيل المجاز والمعني اذا كانت منهم بمراي
الناظر في البعد **سمعوا لها تغيظا وزفيرا** سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك
بصوت المتغيظ والزافر ويجوز ان يراد اذا راتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا
غضبا علي الكفار وشهوة للانتقام منهم **واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين
دعوا هنالك ثبورا** الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة ولذلك وصف الله
الجنة بان عرضها السموات والارض وجاء في الاحاديث ان لكل مومن من القصور
والجنان كذا وكذا ولقد جمع الله علي اهل النار انواع التضييق والارهاق حيث
القاهم في مكان ضيق يتراصون فيه تراصا كما روي عن ابن عباس في تفسيره
انه يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح وهم مع ذلك التضييق مسلسلون مقرنون
في السلاسل قرنت ايديهم الي اعناقهم في الجوامع وقيل يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة
وفي ارجلهم الاصفاد والثبور الهلاك ودعاوه ان يقال واثبوراه اي تعال يا ثبور
فهذا حينك وزمانك **لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا** اي يقال لهم ذلك او هم احقاء
بان يقال لهم وان لم يكن ثم قول ومعني **وادعوا ثبورا كثيرا** انكم وقعتم فيما ليس
ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير اما لان العذاب انواع والوان كل نوع منها
ثبور لشدته وفظاعته او لانهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية
لهلاكهم **قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا
لهم فيها ما يشاوون خالدين كان علي ربك وعدا مسئولا** الراجع الي الموصولين
محذوف يعني وعدها المتقون وما يشاوونه وانما قيل كانت لان ما وعده الله
وحده فهو في تحققه كانه قد كان او كان مكتوبا في اللوح قبل ان براهم بازمنة
متطاولة ان الجنة جزاوهم ومصيرهم **فان قلت** ما معني قوله كانت لهم جزاء
ومصيرا **قلت** هو كقوله نعم الثواب وحسنت مرتفقا فمدح الثواب ومكانه
كما قال بيس الشراب وساءت مرتفقا فذم العقاب ومكانه لان النعيم لا يتم
للمتنعم الا بطيب المكان وسعته وموافقته للمراد والشهوة والا تنغص وكذلك
العقاب يتضاعف بغثاثة الموضع وضيقه وظلمته وجمعه لاسباب الاجتواء
والكراهة فلذلك ذكر المصير مع ذكر الجزاء والضمير في كان لما يشاوون والوعد
الموعود اي كان ذلك موعودا واجبا علي ربك انجازه حقيقا ان يسال ويطلب
لانه جزاء واجر مستحق وقيل قد ساله الناس والملايكة في دعواتهم
ربنا واتنا ما وعدتنا علي رسلك ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة ربنا
وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم **ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله
فيقول اانتم اضللتم عبادي هولاء ام هم ضلوا السبيل قالوا سبحانك ما كان
ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء ولكن متعتهم واباءهم حتي نسوا الذكر
وكانوا قوما بورا** يحشرهم ويقول كلاهما بالنون والياء وقري يحشرهم بكسر الشين
وما يعبدون يريد المعبودين من الملايكة والمسيح وعزير وعن الكلبي الاصنام
ينطقها الله ويجوز ان يكون عاما لهم جميعا **فان قلت** كيف صح استعمال
ما في العقلاء **قلت** هو موضوع علي العموم للعقلاء وغيرهم بدليل قولك
اذا رايت شبحا من بعيد ما هو فاذا قيل لك انسان قلت حينيذ من هو
ويدلك قولهم من لما يعقل وارادته به الوصف كانه قيل ومعبوديهم
الا تراك تقول اذا اردت السوال عن صفة زيد ما زيد تعني اطويل ام قصير
افقيه ام طبيب **فان قلت** ما فايدة انتم وهم وهلا قيل ااضللتم عبادي

هؤلاء ام ضلوا السبيل قلت ليس السوال عن الفعل ووجوده لانه لولا وجوده لما
توجه هذا العتاب وانما هو عن متوليه فلا بد من ذكره وايلائه حرف الاستفهام
حتى يعلم انه المسئول عنه فالله سبحانه قد سبق علمه بالمسئول عنه
فما فائدة هذا السوال قلت فايدته ان يجيبوا بما اجابوا به حتى يبكت عبدتهم
بتكذيبهم اياهم فيبهتوا ويخذلوا وتزيد حسرتهم ويكون ذلك نوعا مما يلحقهم
من غضب الله وعذابه ويغتبط المومنون ويفرحوا بحالهم ونجاتهم من فضيحة
اولئك ولتكون حكاية ذلك في القران لطفا للمكلفين وفيه كسر بين لقول من يزعم
ان الله يضل عباده على الحقيقة حيث يقول للمعبودين من دونه ءانتم اضللتم
ام هم ضلوا بانفسهم فيتبرؤن من اضلالهم ويستعيذون به ان يكونوا مضلين
ويقولون بل انت تفضلت من غير سابقة على هؤلاء واباءهم تفضل جواد
كريم فجعلوا النعمة التي حقها ان تكون سبب الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر
وكان ذلك سبب هلاكهم فاذا برأت الملايكة والرسل انفسهم من نسبة الاضلال
الذي هو عمل الشياطين اليهم واستعاذوا منه فهم لربهم الغني العدل اشد تبرئة
وتنزيها منه ولقد نزهوه حتى اضافوا اليه التفضل بالنعمة والتمتيع بها واسندوا
نسيان الذكر والتسبب به للبوار الى الكفرة فشرحوا الاضلال المجازي الذي
اسنده الله الى ذاته في قوله يضل من يشاء ولو كان هو المضل على الحقيقة لكان
الجواب العتيد ان يقولوا بل انت اضللتهم والمعنى ءانتم اوقعتموهم في الضلال
عن طريق الحق ام هم ضلوا عنه بانفسهم وضل مطاوع اضله وكان القياس ضل
عن السبيل الا انهم تركوا الجار كما تركوه في هداه الطريق والاصل الى الطريق وللطريق
وقولهم اضل البعير في معنى جعله ضالا اي ضايعا لما كان اكثر ذلك بتفريط من
صاحبه وقلة احتياط في حفظه قيل اضله سواء كان منه فعل اولم يكن سبحانك
تعجب منهم قد تعجبوا مما قيل لهم لانهم ملايكة وانبياء معصومون فما ابعدهم
عن الاضلال الذي هو مختص بابليس وحزبه او نطقوا بسبحانك ليدلوا على انهم
المسبحون المقدسون الموسومون بذلك فكيف يليق بحالهم ان يضلوا عباده
او قصد وابه تنزيهه عن الانداد وان يكون له ملك او نبي او غيرهما ندا ثم
قالوا ما كان يصح لنا ولا يستقيم ونحن معصومون ان نتولى احدا دونك فكيف
يصح لنا ان نحمل غيرنا على ان يتولونا دونك او ما كان ينبغي لنا ان نكون امثال
الشياطين في توليهم الكفار كما تولاهم الكفار قال الله تعالى فقاتلوا اولياء الشيطان
يريد الكفرة وقال والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت وقرا ابو جعفر المدني نتخذ
على البناء للمفعول وهذا الفعل اعني اتخذ يتعدى الى مفعول واحد كقولك
اتخذ وليا والى مفعولين كقولك اتخذ فلانا وليا قال الله تعالى ام اتخذوا
الهة من الارض وقال تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا فالقراة الاولى من المتعدي
الى واحد وهو من اولياء والاصل ان يتخذ اولياء فزيدت من لتاكيد معنى
النفي والثانية من المتعدي الى مفعولين فالاول ما بني له الفعل والثاني من
اولياء ومن للتبعيض اي لا نتخذ بعض اولياء وتنكير اولياء من حيث انهم اولياء
مخصوصون وهم الجن والاصنام والذكر ذكر الله والايمان به او القران والشرايع
والبور الهلاك يوصف به الواحد والجمع ويجوز ان يكون جمع بائر كعائذ وعوذ
فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا هذه المفاجاة بالاحتجاج
والالزام حسنة رائعة وخاصة اذا انضم اليها الالتفات وحذف القول
ونحوها قوله عز وجل يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من
الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير وقول القايل

قالوا خرسان

قالوا خرسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا
وقرئ يقولون بالتاء والياء فمعنى من قرا بالتاء فقد كذبوكم بقولكم انهم الهة
ومعنى من قرا بالياء فقد كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من
دونك اولياء فان قلت هل يختلف حكم الباء مع التاء والياء قلت
اي والله هي مع التاء كقوله بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل من الضمير كانه
قيل فقد كذبوا بما تقولون وهي مع الياء كقولك كتبت بالقلم وقرئ يستطيعون
بالتاء والياء ايضا يعني فما تستطيعون انتم يا كفار صرف العذاب عنكم وقيل
الصرف التوبة وقيل الحيلة من قولهم انه ليتصرف اي يحتال او فما يستطيع
الهتكم ان يصرفوا عنكم العذاب او ان يحتالوا لكم ومن يظلم منكم نذقه عذابا
كبيرا الخطاب على العموم للمكلفين والعذاب الكبير لاحق بكل من ظلم والكافر
ظالم لقوله ان الشرك لظلم عظيم والفاسق المصر ظالم لقوله ومن لم يتب
فاولئك هم الظالمون وقرئ يذقه بالياء وفيه ضمير الله او ضمير مصدر
يظلم وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون
في الاسواق الجملة بعد الا صفة لموصوف محذوف والمعنى وما ارسلنا قبلك احدا
من المرسلين الا اكلين وماشين وانما حذف اكتفاء بالجار والمجرور اعني من المرسلين
ونحوه قوله عز من قائل وما منا الا له مقام معلوم على معنى وما منا احد وقرئ
ويمشون على البناء للمفعول اي تمشيهم حوائجهم او الناس ولو قرئ يمشون
لكان اوجه لولا الرواية وقيل هو احتجاج على من قال ما لهذا الرسول ياكل
الطعام ويمشي في الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة فتنة اي محنة
وابتلاء وهذا تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما قالوه واستبدعوه
من اكله الطعام ومشيه في الاسواق بعد ما احتج عليهم بسائر الرسل يقول وجرت
عادتي وموجب حكمتي على ابتلاء بعضكم ايها الناس ببعض والمعنى انه ابتلى
المرسلين بالمرسل اليهم وبمناصبتهم لهم العداوة واقاويلهم الخارجة عن حد
الانصاف وانواع اذاهم وطلب منهم الصبر الجميل ونحوه قوله ولتسمعن من
الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا
فان ذلك من عزم الامور وموقع اتصبرون بعد ذكر الفتنة موقع ايكم
بعد الابتلاء في قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا وكان ربك بصيرا عالما بالصواب
فيما يبتلي به وغيره فلا يضيقن صدرك ولا يستخفنك اقاويلهم فان في صبرك
عليها سعادتك وفوزك في الدارين وقيل هو تسلية له عما عيروه به من
الفقر حين قالوا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة وانه جعل الاغنياء فتنة
للفقراء لينظر هل يصبرون وانها حكمته ومشيته يغني من يشاء ويفقر من
يشاء وقيل جعلناك فتنة لهم لانك لو كنت غنيا صاحب كنوز وجنات
لكان ميلهم اليك وطاعتهم لك للدنيا او ممزوجة بالدنيا فانما بعثناك
فقيرا لتكون طاعة من يطيعك خالصة لوجه الله من غير طمع دنيوي وقيل
كان ابو جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وايل ومن في طبقتهم يقولون
ان اسلمنا وقد اسلم قبلنا عمار وصهيب وفلان وفلان ترفعوا علينا ادلالا
بالسابقة فهو افتتان بعضهم ببعض وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل
علينا الملايكة او نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا
اي لا يأملون لقاءنا بالخير لانهم كفرة او لا يخافون لقاءنا بالشر والرجاء في لغة
تهامة الخوف وبه فسر قوله تعالى لا ترجون لله وقارا جعلت الصيرورة
الى دار جزائه بمنزلة لقائه لو كان ملقيا اقترحوا من الايات ان ينزل

الله عليهم الملايكة فتخبرهم بان محمدا صادق حتى يصدقوه او يروا الله جهرة
فيامرهم بتصديقه واتباعه ولا يخلوا اما ان يكونوا عالمين بان الله لا يرسل
الملايكة الى غير الانبياء وان الله لا يصح ان يرى وانما علقوا ايمانهم بما لا يكون
واما ان لا يكونوا عالمين بذلك وانما ارادوا التعنت باقتراح ايات سوى
الايات التي نزلت وقامت بها الحجة عليهم كما فعل قوم موسى حين قالوا لن
نومن لك حتى نرى الله جهرة فان قلت ما معنى في انفسهم قلت
معناه انهم اضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم واعتقدوه
كما قال ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه وعتوا وتجاوزوا الحد في الظلم
يقال عتا علينا فلان وقد وصف العتو بالكبير فبالغ في افراطه يعني انهم لم
يجسروا على هذا القول العظيم الا لانهم بلغوا غاية الاستكبار واقصى العتو
واللام جواب قسم محذوف وهذه الجملة في حسن استينافها غاية وفي اسلوبها
قول القايل ⁂ وجارة جساس ابأنا بنابها ⁂ كليبا غلت ناب كليب بواؤها ⁂
وفي فحوى هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ التعجب الا ترى ان المعنى
ما اشد استكبارهم وما اكبر عتوهم وما اغلى نابا بواؤها كليب يوم يرون
منصوب باحد شيئين اما بما دل عليه لا بشرى يومئذ للمجرمين اي يوم يرون
الملايكة يمنعون البشرى او يعدمونها ويومئذ للتكرير واما باضمار اذكر اي
اذكر يوم يرون الملايكة ثم قال لا بشرى يومئذ للمجرمين اما ظاهر في موضع
ضمير واما لانه عام فقد تناولهم بعمومه ويقولون حجرا محجورا ذكره سيبويه
في باب المصادر غير المتصرفة المنصوبة بافعال متروك اظهارها نحو معاذ
الله وقعدك الله وعمرك الله وهذه كلمة كانوا يتكلمون بها عند لقاء عدو موتور
او هجوم نازلة او نحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة قال سيبويه
ويقول الرجل للرجل اتفعل كذا وكذا فيقول حجرا وهي من حجره اذا منعه
لان المستعيذ طالب من الله ان يمنع المكروه فلا يلحقه وكان المعنى اسال
الله ان يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا ومجيئه على فِعل او فُعل في قراءة الحسن تصرف
فيه لاختصاصه بموضع واحد كما كان قعدك وعمرك كذلك وانشدت لبعض
الرجاز ⁂ قالت وفيها حيدة وذعر ⁂ عوذ بربي منكم وحجر ⁂
فان قلت فاذ قد ثبت انه من باب المصادر فما معنى وصفه
بمحجورا قلت جاءت هذه الصفة لتاكيد معنى الحجر كما قالوا ذيل
ذايل والذيل الهوان وموت مائت والمعنى في الاية انهم يطلبون نزول
الملايكة ويقترحونه وهم اذا راوهم عند الموت او يوم القيمة كرهوا
لقاءهم وفزعوا منهم لانهم لا يلقونهم الا بما يكرهون وقالوا عند رؤيتهم
ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو الموتور والشدة النازلة وقيل
هو من قول الملايكة ومعناه حراما محرما عليكم الغفران والجنة والبشرى
اي جعل الله ذلك حراما عليكم وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء
منثورا ليس هاهنا قدوم ولا ما يشبه القدوم ولكن مثلت حال هولاء
واعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف
ومن على اسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم بحال قوم خالفوا سلطانهم
واستعصوا عليه فقدم الى اشيائهم وقصد الى ما تحت ايديهم فافسدها
ومزقها كل ممزق ولم يترك لها اثرا ولا عثيرا والهباء ما يخرج من الكوة
مع ضوء الشمس شبيه بالغبار وفي امثالهم اقل من الهباء منثورا صفة
للهباء شبهه بالهباء في قلته وحقارته عنده وانه لا ينتفع به ثم بالمنثور

وقول المجرمين

منه

منه لانك تراه منتظما مع الضوء فاذا حركته الريح رايته قد تناثر وذهب
كل مذهب ونحوه قوله كعصف ماكول لم يكف ان شبههم بالعصف حتى
جعله مؤوفا بالاكال ولا ان شبه عملهم بالهباء حتى جعله متناثرا او مفعول
ثالث لجعلناه اي فجعلناه جامعا لحقارة الهباء والتناثر كقوله كونوا قردة
خاسئين اي جامعين للمسخ والخسوء ولام الهباء واو بدليل الهبوة اصحاب
الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا والمستقر المكان الذي يكونون
فيه في اكثر اوقاتهم مستقرين يتجالسون ويتحادثون والمقيل المكان الذي
ياوون اليه للاسترواح الى ازواجهم والتمتع بمغازلتهن وملامستهن كما
ان المترفين في الدنيا يعيشون على ذلك الترتيب وروي انه يفرغ من الحساب
في نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار وفي
معناه قوله عز وجل ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وازواجهم
في ظلال على الارائك متكئون قيل في تفسير الشغل افتضاض الابكار ولا
نوم في الجنة وانما سمي مكان دعتهم واسترواحهم الى الحور مقيلا على طريق
التشبيه وفي لفظ الاحسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الوجوه
وملاحة الصور الى غير ذلك من التحاسين والزين ويوم تشقق السماء بالغمام
ونزل الملايكة تنزيلا وقرئ تشقق والاصل تتشقق فحذف بعضهم
التاء وغيره ادغمها ولما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل
الغمام كانه الذي تشق به السماء كما تقول شق السنام بالشفرة وانشق بها
ونظيره قوله السماء منفطر به فان قلت اي فرق بين قولك
انشقت الارض بالنبات وانشقت عن النبات قلت معنى انشقت
به ان الله شقها بطلوعه فانشقت به ومعنى انشقت عنه ان التربة ارتفعت
عنه عند طلوعه والمعنى ان السماء تنفتح بغمام يخرج منها وفي الغمام الملايكة
ينزلون في ايديهم صحايف اعمال العباد وروي تنشق سماء سماء وتنزل الملايكة
الى الارض وقيل هو غمام ابيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن الا لبني اسرائيل
في تيههم وفي معناه قوله تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من
الغمام والملايكة وقرئ وننزل الملايكة وننزل الملايكة ونزلت الملايكة
وانزل الملايكة ونزل الملايكة على حذف النون الذي هو فاء الفعل
من ننزل قراءة اهل مكة الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين
عسيرا الحق الثابت لان كل ملك يزول يومئذ ويبطل ولا يبقى الا ملكه
ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا
يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلانا خليلا لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان
الشيطان للانسان خذولا وقال الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا
القران مهجورا وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا
ونصيرا عض اليدين والانامل والسقوط في اليد واكل البنان وحرق
الاسنان والارم وقرعها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفها
فتذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة
ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة والاستحسان ما لا يجده عند لفظ
المكنى عنه وقيل نزلت في عقبة بن ابي معيط بن امية بن عبد شمس
وكان يكثر مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل اتخذ
ضيافة فدعا اليها رسول الله فابى ان ياكل من طعامه حتى ينطق بالشهادة
ففعل وكان ابي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت يا عقبة قال

لا ولكن آلي ان لا يا كل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت
له والشهادة لبيست في نفسي فقال وجهي من وجهك حرام ان لقيت محمدا
فلم تطأ قفاه وتبزق في وجهه وتلطم عينه فوجده ساجدا في دار الندوة
ففعل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا القاك خارجا من
مكة الا علوت راسك بالسيف فقتل يوم بدر امر عليا رضي الله عنه بقتله وقيل
قتله عاصم بن ثابت بن افلح الانصاري وقال يا محمد الي من الصبية قال الى النار
وطعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابيا باحد فرجع الى مكة فمات واللام
في الظالم يجوز ان تكون للعهد يراد به عقبة خاصة ويجوز ان تكون للجنس
فيتناول عقبة وغيره تمني ان لو صحب الرسول وسلك معه طريقا واحدا
وهو طريق الحق ولم تتشعب به طرق الضلالة والهوى او اراد اني كنت
ضالا لم يكن لي سبيل قط فليتني حصلت في صحبة الرسول سبيلا وقرئ
يا ويلتي بالياء وهو الاصل لان الرجل ينادي ويلته وهي هلكته يقول لها
تعالي فهذا اوانك وانما قلبت الياء الفا كما في صحاري ومداري فلان كناية
عن الاعلام كما ان الهن كناية عن الاجناس فان اريد بالظالم عقبة فالمعنى
ليتني لم اتخذ ابيا خليلا فكنى عن اسمه وان اريد به الجنس فكل من اتخذ من
المضلين خليلا كان لخليله اسم علم لا محالة فجعله كناية عنه عن الذكر
عن ذكر الله او القران او موعظة الرسول ويجوز ان يريد نطقه بشهادة
الحق وعزمه على الاسلام والشيطان اشارة الى خليله سماه شيطانا لانه اضله
كما يضل الشيطان ثم خذله ولم ينفعه في العاقبة او اراد ابليس وانه هو الذي
حمله على مخالة المضل ومخالفة الرسول ثم خذله او اراد الجنس وكل من تشيطن
من الجن والانس ويحتمل ان يكون وكان الشيطان حكاية كلام الظالم وان يكون
كلام الله اتخذت يقرا على الادغام والاظهار والادغام اكثر الرسول محمد
صلى الله عليه وسلم وقومه قريش حكى الله عنه شكواه قومه اليه وفي هذه
الحكاية تعظيم للشكاية وتخويف لقومه لان الانبياء كانوا اذا التجاوا اليه
وشكوا اليه قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا ثم اقبل عليه مسليا وموسيا
وواعدا النصرة عليهم فقال وكذلك كان كل نبي قبلك مبتلى بعداوة قومه
وكفاك بي هاديا الى طريق قهرهم والانتصار منهم وناصرا مهجورا تركوه
وصدوا عنه وعن الايمان به وعن النبي صلى الله عليه وسلم من تعلم
القران وعلمه وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيمة
متعلقا به يقول يا رب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني
وبينه وقيل هو من هجر اذا هذى اي جعلوه مهجورا فيه فحذف
الجار وهو على وجهين احدهما زعمهم انه هذيان وباطل واساطير الاولين
والثاني انهم كانوا اذا سمعوه هجروا فيه كقوله لا تسمعوا لهذا القران
والغوا فيه ويجوز ان يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول والمعنى
اتخذوه هجرا والعدو يجوز ان يكون واحدا وجمعا كقوله فانهم عدو لي
وقيل المعنى وقال الرسول يوم القيمة وقال الذين كفروا لولا نزل
عليه القران جملة واحدة نزل هاهنا بمعنى انزل لا غير كخبر بمعنى اخبر
والا كان متدافعا وهذا ايضا من اعتراضاتهم واقتراحاتهم الدالة على
شرادهم عن الحق وتجافيهم عن اتباعه قالوا هلا انزل عليه دفعة في وقت
واحد كما انزلت الكتب الثلاثة وما لهم انزل على التفاريق والقايلون
قريش وقيل اليهود وهذا فضول من القول ومماراة بما لا طايل

ولذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين الى

تحته

تحته لان امر الاعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة
او مفرقا وقوله كذلك لنثبت به فوادك جواب لهم اي كذلك انزل
مفرقا والحكمة فيه نقوي بتفريقه فوادك حتى تعيه وتحفظه لان المتلقن
انما يقوي قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شيء وجزءا عقيب جزء ولو القي عليه
جملة واحدة لبعل به وتعيا بحفظه والرسول صلى الله عليه وسلم فارقت
حاله حال موسى وداود وعيسى حيث كان اميا لا يقرا ولا يكتب وهم كانوا
قارين فلم يكن له بد من التلقن والتحفظ فانزل عليه منجما في عشرين سنة
وقيل في ثلاث وعشرين وايضا فكان ينزل على حسب الحوادث
وجوابات السايلين ولان بعضه منسوخ وبعضه ناسخ ولا يتاتى
ذلك الا فيما انزل مفرقا فان قلت ذلك في كذلك يجب ان يكون
اشارة الى شيء تقدمه والذي تقدم هو انزاله جملة فكيف فسرته بكذلك
انزلناه مفرقا قلت لان قولهم لولا انزل عليه جملة معناه لم انزل مفرقا
والدليل على فساد هذا الاعتراض انهم عجزوا عن ان ياتوا بنجم واحد من
نجومه وتحدوا بسورة واحدة من اصغر السور فابرزوا صفحة عجزهم
وسجلوا به على انفسهم حين لاذوا بالمناصبة وفزعوا الى المحاربة ثم قالوا
هلا نزل جملة واحدة كانهم قدروا على تفاريقه حتى يقدروا على جملته
ورتلناه ترتيلا معطوف على الفعل الذي تعلق به كذلك كانه قال
كذلك فرقناه ورتلناه ومعنى ترتيله ان قدره اية بعد اية ووقفة
عقيب وقفة ويجوز ان يكون المعنى وامرنا بترتيل قراته وذلك قوله
ورتل القران ترتيلا اي اقراه بترسل وتثبت ومنه حديث عايشة رضي
الله عنها في صفة قراته لا كسردكم هذا لو اراد السامع ان يعده لعدها واصله الترتيل في الاسنان وهو تفليجها يقال ثغر رتل ورتل
ويشبه بنور الاقحوان في تفليجه وقيل هو ان انزله مع كونه متفرقا
على تمكث وتمهل في مدة متباعدة وهي عشرون سنة ولم يفرقه في مدة
متقاربة ولا ياتونك بمثل بسوال عجيب من سوالاتهم الباطلة كانه مثل
في البطلان الا جيناك بالحق الا اتيناك بالجواب الحق الذي لا محيد عنه
واحسن تفسيرا وبما هو احسن معنى ومودى من سوالهم ولما كان التفسير
هو التكشيف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا
الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا او لا ياتونك بحال وصفة
عجيبة يقولون هلا كانت هذه صفتك وحالك نحو ان يقرن بك
ملك ينذر معك او يلقى اليك كنز او تكون لك جنة او ينزل عليك القران
جملة الا اعطيناك نحن من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا ومشيتنا ان
نعطاه وما هو احسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته يعني
ان تنزيله مفرقا وتحديهم بان ياتوا ببعض تلك التفاريق كلما نزل
شي منها ادخل في الاعجاز وانور للحجة من ان ينزل كله جملة ويقال
لهم جيئوا بمثل هذا الكتاب في فصاحته مع بعد ما بين طرفيه الذين
يحشرون على وجوههم الى جهنم اولئك شر مكانا واضل سبيلا
كانه قيل لهم ان حاملكم على هذه السوالات انكم تضلون سبيله وتحتقرون
مكانه ومنزلته ولو نظرتم بعين الانصاف وانتم من المسحوبين على
وجوههم الى جهنم لعلمتم ان مكانكم شر من مكانه وسبيلكم اضل من سبيله
وفي طريقته قوله قل هل انبيكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه

الله وغضب عليه الاية ويجوز ان يراد بالمكان الشرف والمنزلة وان يراد
الدار والمسكن كقوله اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا ووصف السبيل
بالضلال من الاسناد المجازي وعن النبي صلي الله عليه وسلم يحشر الناس يوم
القيمة علي ثلاثة اثلاث ثلث علي الدواب وثلث علي وجوههم وثلث علي اقدامهم
ينسلون نسلا ولقد اتينا موسي الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا
الوزارة لا تنافي النبوة فقد كان يبعث في الزمن الواحد انبياء ويومرون بان
يوازر بعضهم بعضا فقلنا اذهبا الي القوم الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم
تدميرا والمعني فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم كقوله اضرب بعصاك البحر فانفلق
اي فضرب فانفلق اراد اختصار القصة فذكر حاشيتيها اولها واخرها لانهما المقصود
من القصة بطولها اعني الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم
وعن علي رضي الله عنه ودمرتهم وعنه فدمراهم وقرئ فدمرانهم علي التاكيد بالنون
الثقيلة وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم وجعلناهم للناس اية
كانهم كذبوا نوحا ومن قبله من الرسل صريحا او كان تكذيبهم لواحد منهم تكذيبا
للجميع او لم يروا بعثة الرسل اصلا كالبراهمة وجعلناهم وجعلنا اغراقهم
او قصتهم واعتدنا للظالمين عذابا اليما للظالمين اما ان يعني بهم قوم نوح
واصله واعتدنا لهم الا انه قصد تظليمهم فاظهر واما ان يتناولهم بعمومه وعادا
وثمودا واصحاب الرس عطف عادا علي هم في جعلناهم او علي للظالمين لان
المعني ووعدنا الظالمين وقرئ وثمود علي تاويل القبيلة واما المنصرف فعلي
تاويل الحي او لانه اسم الاب الاكبر قيل في اصحاب الرس كانوا قوما من عبدة
الاوثان الاصنام اصحاب ابار ومواشي فبعث الله اليهم شعيبا فدعاهم
الي الاسلام فتمادوا في طغيانهم وفي ايذائه فبيناهم حول الرس وهو البئر غير
المطوية عن ابي عبيدة انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم وقيل
الرس قرية بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فهلكوا وهم بقية ثمود قوم صالح وقيل
هم اصحاب النبي حنظلة بن صفوان عليه السلام كانوا مبتلين بالعنقاء وهي
اعظم ما يكون من الطير سميت لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال
له فتخ وهي تنقض علي صبيانهم فتخطفهم ان اعوزها الصيد فدعا عليها حنظلة
فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوا حنظلة فاهلكوا وقيل هم اصحاب الاخدود
والرس هو الاخدود وقيل الرس بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار
وقيل كذبوا نبيهم ورسوه في بئر اي دسوه فيها وقرونا بين ذلك كثيرا
اي بين ذلك المذكور وقد يذكر الذاكر اشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك ويحسب
الحاسب اعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت علي معني فذلك المحسوب
او المعدود وكلا ضربنا له الامثال بينا له القصص العجيبة من قصص
الاولين ووصفنا لهم ما اجروا اليه من تكذيب الانبياء وجري عليهم من
عذاب الله وتدميره وكلا تبرنا تتبيرا والتتبير التفتيت والتكسير ومنه
التبر وهو كسار الذهب والفضة والزجاج وكلا الاول منصوب بما دل
عليه ضربنا له الامثال وهو انذرنا او حذرنا والثاني بتبرنا لانه فارغ له
ولقد اتوا علي القرية التي امطرت مطر السوء اراد بالقرية سدوم من قري
قوم لوط وكانت خمسا اهلك الله اربعا باهلها وبقيت واحدة ومطر
السوء الحجارة يعني ان قريشا مروا مرارا كثيرة في متاجرهم الي الشام علي
تلك القرية التي اهلكت بالحجارة من السماء افلم يكونوا في مرار مرورهم يرونها
ينظرون الي اثار عذاب الله ونكاله ويذكرون بل كانوا قوما كفرة بالبعث

لايرجون

لا يرجون لا يتوقعون نشورا وعاقبة فوضع الرجا موضع التوقع لانه
انما يتوقع العاقبة من يومن فمن ثم لم ينظروا ولم يذكروا ومروا بها كما مرت
ركابهم او لا يأملون نشورا كما يامله المومنون لطمعهم في الوصول الي ثواب اعمالهم
او لا يخافون علي اللغة التهامية واذا راك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا
اهذا الذي بعث الله رسولا ان كاد ليضلنا ان الاولي نافية والثانية
مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينهما واتخذه هزوا في معني استهزأ به
والاصل اتخذه موضع هزء او مهزوءا به اهذا محكي بعد القول المضمر وهذا
استصغار وبعث الله رسولا واخراجه في معرض التسليم والاقرار وهم علي
غاية الجحود والانكار سخرية واستهزاء ولو لم يستهزؤا لقالوا اهذا الذي زعم
او ادعي انه مبعوث من عند الله رسولا وقولهم ان كاد ليضلنا دليل
علي فرط مجاهدة رسول الله في دعوتهم وبذله قصاري الوسع والطاقة
في استعطافهم مع عرض الايات والمعجزات عليهم حتي شارفوا بزعمهم ان يتركوا
دينهم الي دين الاسلام لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة الهتهم فلذلك قالوا
عن الهتنا لولا ان صبرنا عليها ولولا في مثل هذا الكلام جار من حيث
المعني لا من حيث الصنعة مجري التقييد للحكم المطلق وسوف يعلمون
حين يرون العذاب من اضل سبيلا وعيد ودلالة علي انهم لا يفوتونه
وان طالت مدة الامهال ولا بد للوعيد ان يلحقهم فلا يغرنهم التاخير وقوله
من اضل سبيلا كالجواب عن قولهم ان كاد ليضلنا لانه نسبة لرسول الله
عليه السلام الي الضلال من حيث لا يضل غيره الا من هو ضال في نفسه
ويروي انه من قول ابي جهل لعنه الله ارايت من اتخذ الهه هواه افانت
تكون عليه وكيلا من كان في طاعة الهوي في دينه يتبعه في كل ما ياتي ويذر
لا يتبصر دليلا ولا يصغي الي برهان فهو عابد هواه وجاعله الهه فيقول
لرسوله هذا الذي لا يري معبودا الا هواه كيف تستطيع ان تدعوه الي الهدي
افتتوكل عليه وتجبره علي الاسلام وتقول لا بد ان تسلم شئت او ابيت
ولا اكراه في الدين وهذا كقوله وما انت عليهم بجبار لست عليهم بمصيطر
ويروي ان الرجل منهم كان يعبد الحجر فاذا راي احسن منه رمي به واخذ
اخر ومنهم الحارث بن قيس السهمي ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون
ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا ام هذه منقطعة معناه بل اتحسب
كان هذه المذمة اشد من التي تقدمتها حتي حقت بالاضراب عنها اليها وهي
كونهم مسلوبي الاسماع والعقول لانهم لا يلقون الي استماع الحق اذنا ولا الي
تدبره عقلا ومشبهين بالانعام التي هي مثل في الغفلة والضلالة ثم ارجح
ضلالة منها فان قلت لم اخر هواه والاصل قولك اتخذ الهوي الها
قلت ما هو الا تقديم المفعول الثاني علي الاول للعناية كما تقول
علمت منطلقا زيدا لفضل عنايتك بالمنطلق فان قلت ما معني
ذكر الاكثر قلت كان فيهم من لم يصده عن الاسلام الا داء واحد وهو
حب الرياسة وكفي به داء عضالا فان قلت كيف جعلوا اضل
من الانعام قلت لان الانعام تنقاد لاربابها التي تعلفها وتتعهدها
وتعرف من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها
وتهتدي لمراعيها ومشاربها وهولاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه
اليهم من اساءة الشيطان الذي هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذي هو
اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار والمهالك ولا يهتدون

للحي الذي هو المترع الهني والعذب لروي الم تر الي ربك كيف مد الظل
ولو شا لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا الم تنظر الي صنع ربك
وقدرته ومعني مد الظل ان جعله يمتد وينبسط فينتفع به الناس ولو شا
لجعله ساكنا اي لاصقا باصل كل مظل من جبل وبناء وشجرة غير منبسط فلم ينتفع
به احد سمي انبساط الظل وامتداده تحركا منه وعدم ذلك سكونا ومعني
كون الشمس دليلا ان الناس يستدلون بالشمس وباحوالها في مسيرها علي احوال
الظل من كونه ثابتا في مكان وزايلا ومتسعا ومتقلصا فيبنون حاجتهم
الي الظل واستغناهم عنه علي حسب ذلك ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا
وقبضه اليه انه ينسخه بضح الشمس يسيرا اي علي مهل وفي هذا القبض اليسير
شيا بعد شي من المنافع ما لا يعد ولا يحصي ولو قبض دفعة واحدة لتعطلت
اكثر مرافق الناس بالظل والشمس جميعا فان قلت ثم في هذين الموضعين
كيف موقعها قلت موقعها لبيان تفاضل الامور الثلاثة كان الثاني
اعظم من الاول والثالث اعظم منهما تشبيها لتباعد ما بينها في الفضل بتباعد
ما بين الحوادث في الوقت ووجه اخر وهو انه مد الظل حين بني السما كالقبة
المضروبة ودحا الارض تحتها فالقت القبة ظلها علي الارض فينانا ما في اديمه
جوب لعدم النير ولو شا لجعله ساكنا مستقرا علي تلك الحالة ثم خلق الشمس
وجعلها علي ذلك الظل اي سلطها عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع
الدليل في الطريق فهو يزيد وينقص ويمتد ويتقلص ثم نسخه بها فقبضه
قبضا سهلا يسيرا غير عسير ويحتمل ان يريد قبضه عند قيام الساعة
بقبض اسبابه وهي الاجرام التي تلقي الظل فيكون قد ذكر اعدامه باعدام
اسبابه كما ذكر انشاه بانشا اسبابه وقوله قبضناه الينا يدل عليه
وكذلك قوله يسيرا كما قال ذلك حشر علينا يسير وهو الذي جعل لكم
الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا شبه ما يستر من ظلام
الليل باللباس الساتر والسبات الموت والمسبوت الميت لانه مقطوع
الحياة وهذا كقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل فان قلت هلا فسرته
بالراحة قلت النشور في مقابلته ياباه ابا العيوف الورد وهو مرنق
وهذه الاية مع دلالتها علي قدرة الخالق فيها اظهار لنعمته علي خلقه
لان الاحتجاب بستر الليل كم فيه لكثير من الناس من فوايد دينية ودنياوية
والنوم واليقظة وشبههما بالموت والحيوة اي عبرة فيهما لمن اعتبر وعن
لقمان انه قال لابنه يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر وهو الذي
ارسل الرياح نشرا بين يدي رحمته وانزلنا من السما ما طهورا وقري
الريح والرياح نشرا احياء ونشرا جمع نشور وهي المحيية ونشرا تخفيف
نشر وبشرا تخفيف بشر وبشري وبين يدي رحمته استعارة مليحة اي قدام
المطر طهورا بليغا في طهارته وعن احمد بن يحيي هو ما كان طاهرا في نفسه
مطهرا لغيره فان كان ما قاله شرحا لبلاغته في الطهارة كان سديدا ويعضده
قوله تعالي وينزل عليكم من السما ما ليطهركم به والا فليس فعول من التفعيل
في شي والطهور علي وجهين في العربية صفة واسم غير صفة فالصفة قولك
ما طهور كقولك طاهر والاسم قولك لما يتطهر به طهور كالوضوء والوقود لما
يتوضا به وتوقد به النار وقولهم تطهرت طهورا حسنا كقولك وضوا حسنا
ذكره سيبويه ومنه قوله عليه الصلوة والسلام لا صلاة الا بطهور اي بطهارة
فان قلت ما الذي يزيل عن الما اسم الطهور قلت تيقن

جمع نشور

مخالطة

١٢٣

مخالطة النجاسة او غلبتها علي الظن تغير احد اوصافه الثلاثة او لم يتغير
او استعماله في البدن لادا عبادة عند ابي حنيفة رحمه الله وعند مالك
ابن انس رحمه الله ما لم يتغير احد اوصافه فهو طهور فان قلت فما تقول
في قوله عليه السلام حين سيل عن بير بضاعة فقال الما طهور لا ينجسه شي
الا ما غير لونه او طعمه او ريحه قلت قال الواقدي كان بير بضاعة طريقا
للما الي البساتين لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي
كثيرا وانما قال ميتا لان البلدة في معني البلد في قوله فسقناه الي بلد ميت
وانه غير جار علي الفعل كفعول ومفعال ومفعيل وقري نسقيه بالفتح
وسقي واسقي لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا الاناسي جمع انسي
او انسان ونحوه ظرابي في ظربان علي قلب النون يا والاصل اناسين
وظرابين وقري بالتخفيف بحذف يا افاعيل كقولك اناعم في اناعيم فان
قلت انزال الما موصوفا بالطهارة وتعليله بالاحيا والسقي يوذن
بان الطهارة شرط في صحة ذلك كما تقول حملني الامير علي فرس جواد لاصيد
عليه الوحش قلت لما كان سقي الاناسي من جملة ما انزل له الما وصفه
بالطهور اكراما لهم وتتميما للمنة عليهم وبيانا ان من حقهم حين اراد الله لهم الطهارة
وارادهم عليها ان يوثروها في بواطنهم ثم في ظواهرهم وان يربوا بانفسهم
عن مخالطة القاذورات كلها كما ربا بهم ربهم فان قلت لم خص
الانعام من بين ما خلق من الحيوان الشارب قلت لان الطير والوحش
تبعد في طلب الما فلا يعوزها الشرب بخلاف الانعام ولانها قنية الاناسي
وعامة منافعهم متعلقة بها فكان الانعام عليهم بسقي انعامهم كالانعام
بسقيهم فان قلت فما معني تنكير الانعام والاناسي ووصفها بالكثرة
قلت معني ذلك ان علية الناس وجلهم منيخون بالقرب من الاودية
والانهار ومنابع الما فيهم غنية عن سقي السما واعقابهم وهم كثير منهم
لا يعيشهم الا ما ينزل الله من رحمته وسقيا سمايه وكذلك قوله لنحيي به
بلدة ميتا يريد بعض بلاد هولا المتبعدين عن مظان الما فان قلت
لم قدم احيا الارض وسقي الانعام علي سقي الاناسي قلت لان
حيوة الاناسي بحيوة ارضهم وحيوة انعامهم فقدم ما هو سبب حيوتهم
وتعيشهم علي سقيهم ولانهم اذا ظفروا بما يكون سقيا ارضهم ومواشيهم
لم يعدموا سقياهم ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فابي اكثر الناس الا كفورا
يريد ولقد صرفنا هذا القول بين الناس في القران وفي ساير الكتب والصحف
التي انزلت علي الرسل وهو ذكر انشا السحاب وانزال القطر ليفكروا ويعتبروا
ويعرفوا حق النعمة فيه ويشكروا فابي اكثر الناس الا كفورا فابي اكثرهم
الا كفران النعمة وجحودها وقلة الاكتراث لها وقيل صرفنا المطر
بينهم في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة وعلي الصفات المتفاوتة
من وابل وطل وجود ورذاذ وديمة ورهام فابوا الا الكفور وان
يقولوا مطرنا بنو كذا ولا يذكروا صنع الله ورحمته وعن ابن عباس ما من
عام اقل مطرا من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده علي ما يشا وتلا
هذه الاية وروي ان الملايكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام
لانه لا يختلف ولكن تختلف فيه البلاد وينتزع من هاهنا جواب في تنكير
البلدة والانعام والاناسي كانه قال لنحيي به بعض البلاد الميتة ونسقيه
بعض الانعام والاناسي وذلك البعض كثير فان قلت هل يكفر

اي بقاياهم

من ينسب الامطار الي الانواء قلت ان كان لايراها الا من الانواء
ويجحدان تكون هي والانواء من خلق الله فهو كافر وان كان يري ان الله
خالقها وقد نصب الانواء دلايل واما دات عليها لم يكفر ولو شينا لبعثنا
في كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا يقول
لرسوله صلي الله عليه وسلم ولو شينا لخففنا عنك اعباء نذارة جميع القري
ولبعثنا في كل قرية نبيا ينذرها وانما قصرنا الامر عليك وعظمناك به
واجللناك وفضلناك علي ساير الرسل فقابل ذلك بالتشدد والتصبر فلا
تطع الكافرين فيما يريد ونك عليه وانما اراد بهذا هيجه وتهييج المؤمنين
وتحريكهم والضمير للقران او لترك الطاعة الذي يدل عليه فلا تطع والمراد
ان الكفار يجدون ويجتهدون في توهين امرك فقابلهم من جدك واجتهادك
وعضك علي نواجدك بما تغلبهم به وتعلوهم وجعله جهادا كبيرا لما يحتمل
فيه من المشاق العظام ويجوز ان يرجع الضمير في به الي ما دل عليه ولو
شينا لبعثنا في كل قرية نذيرا من كونه نذير كافة القري لانه لو بعث في كل
قرية نذيرا لوجبت علي كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت علي رسول الله صلي
عليه وسلم تلك المجاهدات كلها فكبر جهاده من اجل ذلك وعظم فقال له
وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القري جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة
وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج سمي الماين الكثيرين
الواسعين بحرين والفرات البليغ العذوبة حتي يضرب الي الحلاوة والاجاج
نقيضه ومرجهما خلاهما متجاورين متلاصقين وهو بقدرته يفصل بينهما
ويمنعهما التمازج وهذا من عظيم اقتداره وفي كلام بعضهم وبحران احدهما
مع الاخر ممروج وما العذب منهما بالاجاج ممزوج برزخا حايلا من قدرته
كقوله جل وعز بغير عمد ترونها يريد بغير عمد مرئية وهو قدرته وقري
ملح علي فعل وقيل كانه حذف من مالح تخفيفا كما قال وصليانا بردا يريد
باردا فان قلت وحجرا محجورا ما معناه قلت هي الكلمة التي يقولها
المتعوذ وقد فسرناها وهي هاهنا واقعة علي سبيل المجاز كان كل واحد من
البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له حجرا محجورا كما قال لايبغيان اي لايبغي
احد علي صاحبه بالممازجة فانتفاء البغي ثم كالتعوذ هاهنا جعل كل واحد
منهما في صورة الباغي علي صاحبه فهو يتعوذ منه وهي من احسن الاستعارات
واشهدها علي البلاغة وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا
اراد فقسم البشر قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم فيقال فلان بن
فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن ونحوه قوله
فجعل منه الزوجين الذكر والانثي وكان ربك قديرا حيث خلق من النطفة
الواحدة بشرا نوعين ذكرا وانثي ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا
يضرهم وكان الكافر علي ربه ظهيرا الظهير والمظاهر كالعوين والمعاون
وفعيل بمعني مفاعل غير عزيز والمعني ان الكافر يظاهر الشيطان علي ربه
بالعداوة والشرك روي انها في ابي جهل لعنه الله ويجوز ان يريد بالظهير
الجماعة كقوله والملايكة بعد ذلك ظهير كما جاء الخليط والصديق ويريد
بالكافر الجنس وان بعضهم مظاهر لبعض علي اطفاء نور دين الله وقيل
معناه وكان الذي يفعل هذا الفعل وهو عبادة ما لا ينفع ولا يضر علي
ربه هينا مهينا من قولهم ظهرت به اذا خلفته خلف ظهرك لا تلتفت اليه
وهذا نحو قوله اوليك لا خلاق لهم في الاخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم

اوله
اصح قلبي صردا لا يشتهي ان يردا الا عرادا عردا
وصليانا بردا وعنكثا متلبدا
وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا

وما

وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا قل ما اسالكم عليه من اجر الا من شاء ان
يتخذ الي ربه سبيلا مثال الا من شاء والمراد الا فعل من شاء واستثناوه
من الاجر قول ذي شفقة عليك قد سعي لك في تحصيل مال ما اطلب منك
ثوابا علي ما سعيت الا ان تحفظ هذا المال ولا تضيعه فليس حفظك المال
لنفسك من جنس الثواب ولكن صوره هو بصورة الثواب وسماه باسمه فافاد
فايدتين احديهما قلع شبهة الطمع في الثواب من اصله كانه يقول لك ان كان
حفظك لمالك ثوابا فاني اطلب الثواب والثانية اظهار الشفقة البالغة وانك
ان حفظت مالك اعتد بحفظك ثوابا ورضي به كما يرضي المثاب بالثواب ولعمري
ان رسول الله صلي الله عليه وسلم كان مع المبعوث اليهم بهذا الصدد وفوقه ومعني
اتخاذهم الي الله سبيلا تقربهم اليه وطلبهم عنده الزلفي بالايمان والطاعة وقيل
المراد التقرب بالصدقة والنفقة في سبيل الله وتوكل علي الحي الذي لا يموت
وسبح بحمده وكفي به بذنوب عباده خبيرا امره بان يثق به ويسند امره اليه
في استكفاء شرورهم مع التمسك بقاعدة التوكل واساس الالتجاء وهو طاعته
وعبادته وتنزيهه وتحميده وعرفه ان الحي الذي لا يموت حقيق بان يتوكل
عليه وحده ولا يتكل علي غيره من الاحياء الذي يموتون وعن بعض السلف انه
قراها فقال لا يصح لذي عقل ان يثق بعدها بمخلوق ثم اراه انه ليس اليه
من امر عباده شي امنوا ام كفروا وانه خبير باحوالهم كاف في جزاء اعمالهم
الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوي علي العرش
الرحمن فاسال به خبيرا في ستة ايام يعني في مدة مقدارها هذه المدة لانه لم
لم يكن حينيذ ليل ولا نهار وقيل ستة ايام من ايام الاخرة وكل يوم الف سنة
والظاهر انها من ايام الدنيا وعن مجاهد اولها يوم الاحد واخرها يوم الجمعة
ووجهه ان يسمي الله لملايكته تلك الايام المقدرة بهذه الاسما فلما خلق
الشمس وادارها وترتب امر العالم علي ما هو عليه جرت التسمية علي هذه
الايام واما الداعي الي هذا العدد اعني الستة دون ساير الاعداد فلا نشك
انه داعي حكمة لعلمنا انه لا يقدر تقديرا الا بداعي حكمة وان كنا لا نطلع عليه
ولا نهتدي الي معرفته ومن ذلك تقديره الملايكة الذين هم اصحاب النار تسعة
عشر وحملة العرش ثمانية والشهور اثني عشر والسموات سبعا والارض كذلك
والصلوات خمسا واعداد النصب والكفارات وغير ذلك والاقرار بدواعي
الحكمة في جميع افعاله وبان ما قدره حق وصواب هو الايمان وقد نص
عليه في قوله وما جعلنا اصحاب النار الا ملايكة وما جعلنا عدتهم الا
فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا ايمانا
ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمومنون وليقول الذين في قلوبهم مرض
والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا ثم قال وما يعلم جنود ربك الا هو وهو
الجواب ايضا في ان لم يخلقها في لحظة وهو قادر علي ذلك وعن سعيد بن
جبير انما خلقها في ستة ايام وهو يقدر علي ان يخلقها في لحظة تعليما لخلقه
الرفق والتثبت وقيل اجتمع خلقها يوم الجمعة فجعله الله عيدا للمسلمين
الذي خلق مبتدا والرحمن خبره او هو صفة للحي والرحمن خبر مبتدا محذوف
او بدل عن المستتر في استوي وقري الرحمن بالجر صفة للحي وقري فسل
والباء في به صلة سل كقوله سال سايل بعذاب واقع كما تكون عن صلته
في نحو قوله ثم لتسالن يوميذ عن النعيم فسال به كقوله اهتم به واعتني به
واشتغل به وسال عنه كقولك بحث عنه وفتش عنه ونقر عنه او صلة

خبيرا او تجعل خبيرا مفعول سل تريد فسل عنه رجلا عارفا يخبرك برحمته
او فسل رجلا خبيرا به وبرحمته او فسل بسواله خبيرا كقولك رايت به اسدا
اي برويته والمعنى ان سالته وجدته خبيرا او تجعله حالا عن الهاء تريد فسل
عنه عالما بكل شي وقيل الرحمن اسم من اسماء الله مذكور في الكتب المتقدمة
ولم يكونوا يعرفونه فقيل فسل بهذا الاسم من يخبرك من اهل الكتاب حتى
تعرف من ينكره ومن ثم كانوا يقولون ما نعرف الرحمن الا الذي باليمامة يعنون
مسيلمة وكان يقال له رحمن اليمامة واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما
الرحمن يجوز ان يكون سوالا عن المسمى به لانهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم
والسوال عن المجهول بما ويجوز ان يكون سوالا عن معناه لانه لم يكن مستعملا في
كلامهم كما استعمل الرحيم والرحوم والراحم او لانهم انكروا اطلاقه على الله انسجد
لما تامرنا اي للذي تامرناه بمعنى تامرنا سجوده على قوله امرتك الخير او لامر لنا
وقري باليا كان بعضهم قال لبعض انسجد لما يامرنا محمد او يامرنا المسمى
بالرحمن ولا نعرف ما هو وزادهم نفورا اي زادهم ضميرا اسجدوا للرحمن لانه
هو المقول البروج منازل الكواكب السبعة السيارة الحمل والثور والجوزا والسرطان
والاسد والسنبلة تبارك الذي جعل في السما بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا
منيرا والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت سميت
بالبروج التي هي القصور العالية لانها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها واشتقاق
البرج من التبرج لظهوره والسراج الشمس كقوله تعالى وجعل الشمس سراجا وقري
سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار معها وقرا الحسن والاعمش وقمرا منيرا
وهي جمع ليلة قمرا كانه وذا قمر منيرا لان الليالي تكون قمرا بالقمر فاضافه اليها
ونظيره في بقا حكم المضاف بعد سقوطه وقيام المضاف اليه مقامه قول حسان
بردى يصفق بالرحيق السلسل يريد ماء بردى ولا يبعد
ان يكون القمر بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب وهو الذي جعل
الليل خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا الخلفة من خلف كالركبة من ركب
وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الاخر والمعنى جعلهما
ذوي خلفة اي ذوي عقبة يعقب هذا ذاك وذاك هذا ويقال الليل
والنهار يختلفان كما يقال يعتقبان ومنه قوله واختلاف الليل والنهار ويقال
بفلان خلفة واختلاف اذا اختلف كثيرا الى متبرزه وقري يذكر ويذكر
وعن ابي بن كعب يتذكر والمعنى لينظر في اختلافهما الناظر فيعلم ان لا بد لانتقالهما
من حال الى حال وتغيرهما من ناقل ومغير ويستدل بذلك على عظم قدرته
ويشكر الشاكر على النعمة فيهما من السكون بالليل والتصرف بالنهار كما قال عز
وجل ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله
او ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته في احدهما ورده من العبادة
قام به في الاخر وعن الحسن رحمه الله من فاته عمله من التذكر والشكر بالنهار
كان له في الليل مستعتب ومن فاته بالليل كان له في النهار مستعتب وعباد
الرحمن مبتدا خبره في اخر السورة كانه قيل وعباد الرحمن الذين هذه
صفاتهم اولئك يجزون الغرفة ويجوز ان يكون خبره الذين يمشون على
الارض واضافهم الى الرحمن تخصيصا وتفضيلا وقري وعباد الرحمن وقري
يمشون هونا حال او صفة للمشي بمعنى هينين او مشيا هينا الا ان
في وضع المصدر موضع الصفة مبالغة والهون الرفق واللين ومنه
الحديث احبب حبيبك هونا ما وقوله المومنون هينون لينون والمثل

اذا

اذا عز اخوك فهن ومعناه اذا عاسر فياسر والمعنى انهم يمشون بسكينة
ووقار وتواضع لا يضربون باقدامهم ولا يخفقون بنعالهم اشرا وبطرا
ولذلك كره بعض العلماء الركوب في الاسواق ولقوله ويمشون في الاسواق
واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما تسلما منكم لا نجاهلكم ومتاركة لا خير
بيننا ولا شر اي نتسلم منكم تسلما فاقيم السلام مقام التسليم وقيل قالوا
سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم والمراد بالجهل السفه
وقلة الادب وسوء الرعة من قوله الا لا يجهلن احد علينا
فنجهل فوق جهل الجاهلينا وعن ابي العالية نسختها
اية القتال ولا حاجة الى ذلك لان الاغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن
في الادب والمروة والشريعة واسلم للعرض والورع والذين يبيتون لربهم سجدا
وقياما البيتوتة خلاف الظلول وهي ان يدركك الليل نمت او لم تنم وقالوا
من قرا شيا من القران في صلوة وان قل فقد بات ساجدا وقايما وقيل
هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء والظاهر انه وصف لهم
باحياء الليل او اكثره يقال فلان يظل صايما ويبيت قايما والذين يقولون
ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما غراما هلاكا وخسرانا
ملحا لازما قال ويوم النسار ويوم الجفار كانا عذابا وكانا غراما
وقال ان يعاقب يكن غراما وان يعط جزيلا فانه لا يبالي
ومنه الغريم لالحاحه ولزامه وصفهم باحياء الليل ساجدين وقايمين
ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه ايذانا بانهم مع اجتهادهم خايفون مبتهلون
الى الله في صرف العذاب عنهم كقوله والذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة
انها ساءت مستقرا ومقاما ساءت في حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره
مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هي وهذا
الضمير هو الذي ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها ويجوز ان تكون
ساءت بمعنى احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز والتعليلان
يصح ان يكونا متداخلين ومترادفين وان يكونا من كلام الله وحكاية لقولهم
والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما قري يقتروا
بكسر التاء وضمها ويقتروا بتخفيف التاء وتشديدها والقتر والاقتار والتقتير
التضييق الذي هو نقيض الاسراف والاسراف مجاوزة الحد في النفقة
وصفهم بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير وبمثله امر رسوله صلى
الله عليه وسلم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط
وقيل الاسراف انما هو الانفاق في المعاصي فاما في القرب فلا اسراف
وسمع رجل رجلا يقول لا خير في الاسراف فقال لا اسراف في الخير وعن
عمر بن عبد العزيز رحمه الله انه شكر عبد الملك بن مروان حين زوجه ابنته
واحسن اليه فقال وصلت الرحم وفعلت وصنعت وجاء بكلام حسن
فقال ابن لعبد الملك انما هو كلام اعده لهذا المقام فسكت عبد الملك فلما
كان بعد ايام دخل عليه والابن حاضر فساله عن نفقته واحواله فقال الحسنة
بين السيئتين فعرف عبد الملك انه اراد ما في هذه الاية فقال لابنه يا بني
اهذا ايضا مما اعده وقيل اولئك اصحاب محمد كانوا لا ياكلون طعاما
للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال والزينة ولكن كانوا ياكلون ما يسد
جوعتهم ويعينهم على عبادة ربهم ويلبسون ما يستر عوراتهم ويكنهم
من الحر والقر وقال عمر رضي الله عنه كفى سرفا ان لا يشتهي رجل شيا

الاشتراه فاكله والقوام العدل بين الشيئين لاستقامة الطرفين
واعتدالهما ونظير القوام من الاستقامة السواء من الاستواء وقري قواما
بالكسر وهو ما يقام به الشي يقال انت قوامنا يعني ما تقام به الحاجة
لا يفضل عنها ولا ينقص والمنصوبان اعني بين ذلك قواما جايزان يكونا
خبرين معا وان يجعل بين ذلك لغوا وقواما مستقرا وان يكون الظرف
خبرا وقواما حالا موكدة واجاز الفراء ان يكون بين ذلك اسم كان على انه مبني
لاضافته الى غير متمكن كقوله ؞ لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت ؞
وهو من جهة الاعراب لا باس به ولكن المعنى ليس بقوي لان ما بين الاسراف
والتقتير قوام لا محالة فليس في الخبر الذي هو معتمد الفايدة فايدة والذين
لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله اي حرمها والمعنى
حرم قتلها ٥ والا بالحق متعلق بهذا القتل المحذوف او بلا يقتلون ٥ ولا
يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد
فيه مهانا ونفي هذه المقبحات العظام عن الموصوفين بتلك الخلال العظيمة
في الدين للتعريض بما كان عليه اعداء المومنين من قريش وغيرهم كانه قيل والذين
براهم الله وطهرهم مما انتم عليه والقتل بغير حق يدخل فيه الواد وغيره وعن
ابن مسعود قلت يا رسول الله اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو
خلقك قلت ثم اي قال ان تقتل ولدك خشية ان ياكل معك قلت ثم اي
قال ان تزاني حليلة جارك فانزل الله تصديقه ٥ وقري يلق فيه اثاما
وقري يلقى باثبات الالف وقد مر مثله والاثام جزاء الاثم بوزن الوبال
والنكال ومعناهما قال ؞ جزى الله ابن عروة حيث امسى ؞ عقوقا والعقوق له اثام
وقيل هو الاثم ومعناه يلق جزاء اثام ٥ وقرا ابن مسعود اياما اي شدايد
يقال يوم ذو ايام لليوم العصيب ٥ يضاعف بدل من يلق لانهما في معنى واحد
كقوله ؞ متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا ؞ تجد حطبا جزلا ونارا تاججا ؞
وقري نضعف ونضعف له العذاب بالنون ونصب العذاب وقري
بالرفع على الاستيناف او على الحال وكذلك يخلد وقري ويخلد على البناء
للمفعول مخففا ومثقلا من الاخلاد والتخليد وقري وتخلد بالتاء على
الالتفات الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سياتهم
حسنات وكان الله غفورا رحيما يبدل مخفف ومثقل وكذلك سياتهم
فان قلت ما معنى مضاعفة العذاب وابدال السيات حسنات قلت
اذا ارتكب المشرك المعاصي مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصي جميعا فتضاعف
العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه وابدال السيات حسنات انه يمحوها
بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات الايمان والطاعة والتقوى وقيل
يبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنى عفة واحصانا
ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا يريد ومن يترك المعاصي
ويندم عليها ويدخل في العمل الصالح فانه بذلك تايب الى الله متابا مرضيا
عنده مكفرا للخطايا محصلا للثواب او فانه بذلك تايب متابا الى الله
الذي يعرف حق التايبين ويفعل بهم ما يستوجبون والذي يحب التوابين
ويحب المتطهرين وفي كلام بعض العرب لله افرح بتوبة العبد من المضل
الواجد والظمان الوارد والعقيم الوالد او فانه يرجع الى الله والى ثوابه
مرجعا حسنا واي مرجع والذين لا يشهدون الزور يحتمل انهم ينفرون
عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا يحضرونها ولا يقربونها

حين

وقري

لما فيه كفصر ان بيانا او قال

تنزها عن مخالطة الشر واهله وصيانة لدينهم عما يثلمه لان مشاهدة الباطل
شركة فيه ولذلك قيل في النظارة الى كل ما لم تسوغه الشريعة هم شركا فاعليه
في الاثم لان حضورهم ونظرهم دليل الرضى به وسبب وجوده والزيادة
فيه لان الذي سلط على فعله هو استحسان النظارة ورغبتهم في النظر
اليه وفي مواعظ عيسى بن مريم عليه السلام اياكم ومجالسة الخاطيين ويحتمل
انهم لا يشهدون شهادة الزور فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
وعن قتادة مجالس الباطل وعن ابن الحنفية اللهو والغناء وعن مجاهد
اعياد المشركين واذا مروا باللغو مروا كراما اللغو كل ما ينبغي ان يلغى ويطرح
والمعنى واذا مروا باهل اللغو والمشتغلين به مروا معرضين عنهم مكرمين انفسهم
عن التوقف عليهم والخوض معهم كقوله تعالى واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه
وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وعن الحسن
لم تسفههم المعاصي وقيل اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى اعرضوا
وصفحوا وقيل اذا ذكروا النكاح كنوا عنه والذين اذا ذكروا بايات
ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا لم يخروا عليها ليس بنفي للخرور انما هو اثبات
له ونفي للصمم والعمى كما تقول لا يلقاني زيد مسلما هو نفي للسلام لا للقاء
والمعنى انهم اذا ذكروا بها اكبوا عليها حرصا على استماعها واقبلوا على المذكر
بها وهم في اكبابهم عليها سامعون باذان واعية مبصرون بعيون راعية
لا كالذين يذكرون بها فتراهم مكبين مقبلين على من يذكرهم بها مظهرين
الحرص الشديد على استماعها وهم كالصم العميان حيث لا يعونها ولا يتبصرون
ما فيها كالمنافقين واشباههم والذين يقولون ربنا هب لنا من
ازواجنا وذرياتنا قرة اعين قري ذريتنا وذرياتنا وقرة اعين وقرات
اعين سالوا ربهم ان يرزقهم ازواجا واعقابا عمالا لله يسرون بمكانهم
وتقر بهم عيونهم وعن محمد بن كعب ليس شي اقر لعين المومن من ان يرى
زوجته واولاده مطيعين لله وعن ابن عباس هو الولد اذا راه يكتب
الفقه وقيل سالوا ان يلحق الله بهم ازواجهم وذريتهم في الجنة
ليتم لهم سرورهم واجعلنا للمتقين اماما اراد ايمة فاكتفى بالواحد لدلالته
على الجنس ولعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا او اراد واجعل كل واحد
منا اماما او اراد جمع ام كصائم وصيام او اراد واجعلنا اماما واحدا لاتحادنا
واتفاق كلمتنا وعن بعضهم في الاية ما يدل على ان الرياسة في الدين يجب
ان تطلب ويرغب فيها وقيل نزلت هذه الايات في العشرة المبشرين
رضوان الله عليهم بالجنة فان قلت من في قوله من ازواجنا ما هي
قلت يحتمل ان تكون بيانية فانه قيل هب لنا قرة اعين ثم بينت
القرة وفسرت بقوله من ازواجنا وذرياتنا ومعناه ان يجعلهم الله لهم
قرة اعين وهو من قولهم رايت منك اسدا اي انت اسد وان تكون ابتدائية
على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح فان
قلت لم قال قرة اعين فنكر وقلل قلت اما التنكير فلاجل تنكير
القرة لان المضاف لا سبيل الى تنكيره الا بتنكير المضاف اليه كانه قال
هب لنا منهم سرورا وفرحا وانما قيل اعين دون عيون لانه اراد
اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم قال الله تعالى وقليل
من عبادي الشكور ويجوز ان يقال في تنكير اعين انها اعين خاصة وهي
اعين المتقين اولئك يجزون الغرفة المراد يجزون الغرفات وهي العلالي

في الجنة فوحد اقتصارا على الواحد الدال على الجنس والدليل على ذلك
قوله وهم في الغرفات امنون وقراة من قرا في الغرفة بما صبروا بصبرهم
على الطاعات وعن الشهوات وعلى اذى الكفار ومجاهدتهم وعلى الفقر
وغير ذلك واطلاقه لاجل الشياع في كل مصبور عليه ويلقون وقرى
يلقون كقوله ولقاهم نضرة ويلقون كقوله يلق اثاما فيها تحية
وسلاما التحية دعا بالتعمير والسلام دعا بالسلامة يعني ان الملايكة
يحيونهم ويسلموا عليهم او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه او يعطون التبقية
والتخليد مع السلامة من كل افة خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما اللهم
وفقنا لطاعتك واجعلنا مع اهل رحمتك وارزقنا مما رزقتهم في دار رضوانك
قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم لما وصف عباد العباد وعدد صالحاتهم
وحسناتهم واثنى عليهم من اجلها ووعدهم الرفع من درجاتهم في الجنة اتبع ذلك
بيان انه اكترث لاوليك وعبا بهم واعلى ذكرهم ووعدهم ما وعدهم لاجل
عبادتهم فامر رسوله ان يصرح للناس ويجزم لهم القول بان الاكتراث لهم
عند ربهم انما هو للعبادة وحدها لا لمعنى اخر ولولا عبادتهم لم يكترث لهم
البتة ولم يعتد بهم ولم يكونوا عنده شيا يبالي به والدعاء العبادة وما متضمنة
لمعنى الاستفهام وهي في محل النصب وهي عبارة عن المصدر كانه قيل واي
عبث يعبأ بكم لولا دعاؤكم يعني انكم لا تستاهلون شيا من العبث بكم لولا
عبادتكم وحقيقة قولهم ما عبات به ما اعتددت به من فوادح همومي ومما يكون
عبا على كما تقول ما اكترثت له اي ما اعتددت به من كوارثي ومما يهمني وقال
الزجاج في تاويل ما يعبأ بكم ربي اي وزن يكون لكم عنده ويجوز ان تكون
ما نافية فقد كذبتم يقول اذا اعلمتكم ان حكمي اني لا اعتد بعبادي الا لعبادتهم
فقد خالفتم بتكذيبكم حكمي فسوف يكون لزاما فسوف يلزمكم اثر تكذيبكم
حتى يكبكم في النار ونظيره ان يقول الملك لمن استعصى عليه ان من عادتي
ان احسن الى من يطيعني ويتبع امري فقد عصيت فسوف ترى ما احل بك
بسبب عصيانك وقيل معناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام
وقيل ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه الهة فان قلت الى من يتوجه
هذا الخطاب قلت الى الناس على الاطلاق ومنهم مومنون عابدون
ومكذبون عاصون فخوطبوا بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب
وقرى فقد كذب الكافرون وقيل يكون العذاب لزاما وعن
مجاهد هو القتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى لزاما وقرى لزاما
بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت والوجه ان ترك اسم كان غير منطوق
به بعد ما علم انه مما توعد به لاجل الابهام وتناول ما لا يكتنهه الوصف والله
اعلم بالصواب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفرقان لقي الله
يوم القيمة وهو مومن بان الساعة اتية لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب
سورة الشعراء مكية الا قوله والشعراء الى اخر السورة وهي مايتان وسبع وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم بتفخيم الالف وامالتها واظهار النون وادغامها تلك ايات الكتاب
المبين الظاهر اعجازه وصحة انه من عند الله والمراد به السورة او القران
والمعنى ايات هذا المولف من الحروف المبسوطة تلك ايات الكتاب المبين
لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مومنين البخع ان يبلغ بالذبح البخاع بالباء
وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذابح ولعل للاشفاق

انما

يعني

يعني اشفق على نفسك ان تقتلها حسرة على ما فاتك من اسلام قومك ان
لا يكونوا مومنين لئلا يومنوا او لامتناع ايمانهم او خيفة ان لا يومنوا وعن قتادة
باخع نفسك على الاضافة ان نشا ننزل عليهم من السماء اية ارادة اية ملجئة الى الايمان
قاسرة عليه فظلت اعناقهم لها خاضعين فظلت معطوف على الجزا الذي هو
ننزل لانه لو قيل انزلنا لكان صحيحا ونظيره فاصدق واكن كانه قيل
اصدق وقد قرى لو شينا لانزلنا وقرى فتظل اعناقهم فان قلت
كيف صح مجي خاضعين خبرا عن الاعناق قلت اصل الكلام فظلوا لها
خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على اصله
كقولهم ذهبت اهل اليمامة كان الاهل غير مذكور ولما وصفت بالخضوع
الذي هو للعقلاء قيل خاضعين كقوله ساجدين وقيل اعناق الناس
روساوهم ومقدموهم شبهوا بالاعناق كما قيل لهم الروس والنواصي
والصدور قال ⁂ في محفل من نواصي الناس مشهود ⁂
وقيل جماعات الناس ويقال لجاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرى
فظلت اعناقهم لها خاضعة وعن ابن عباس نزلت هذه الاية فينا
وفي بني امية قال ستكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا اعناقهم بعد صعوبة
ويلحقهم هوان بعد عزة وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا
عنه معرضين اي وما يجدد الله لهم بوحيه موعظة وتذكيرا الا جددوا
اعراضا عنه وكفرا به فقد كذبوا فسياتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون
فان قلت كيف خولف بين الالفاظ والغرض واحد وهو الاعراض
والتكذيب والاستهزاء قلت انما خولف بينها لاختلاف الاغراض
كانه قيل حين اعرضوا عن الذكر فقد كذبوا به وحين كذبوا به فقد
خف عندهم قدره وصار عرضة للاستهزاء والسخرية لان من كان قابلا
للحق مقبلا عليه كان مصدقا به لا محالة ولم يظن به التكذيب ومن كان
مصدقا به كان موقرا له فسياتيهم وعيد لهم وانذار بانهم سيعلمون اذا
مسهم عذاب الله يوم بدر او يوم القيمة ما الشي الذي كانوا يستهزءون
به وهو القران وسياتيهم انباوه واحواله التي كانت خافية عليهم اولم
يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم وصف الزوج وهو الصنف
من النبات بالكرم والكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد في بابه يقال وجه
كريم اذا رضي في حسنه وجماله وكتاب كريم مرضي في معانيه وفوائده وقال
⁂ حتى يشق الصفوف من كرمه ⁂ اي من كونه
مرضيا في شجاعته وباسه والنبات الكريم المرضي فيما يتعلق به من المنافع
ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين ان في انبات تلك الاصناف لاية
على ان منبتها قادر على احياء الموتى وقد علم الله ان اكثرهم مطبوع على قلوبهم
غير مرجو ايمانهم وان ربك لهو العزيز في انتقامه من الكفرة الرحيم لمن تاب
وامن وعمل صالحا فان قلت ما معنى الجمع بين كم وكل ولو قيل كم انبتنا
فيها من زوج كريم قلت قد دل كل على الاحاطة بازواج النبات على
سبيل التفصيل وكم على ان هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة فهذا معنى الجمع
بينهما وبه نبه على كمال قدرته فان قلت فما معنى وصف الزوج بالكريم قلت
يحتمل معنيين احدهما ان النبات على نوعين نافع وضار فذكر كثرة
ما انبت في الارض من جميع اصناف النبات النافع وخلى ذكر الضار والثاني
ان يعم جميع النبات نافعه وضاره ويصفهما جميعا بالكرم وينبه على

وصف

انه ما انبت شيا الا و فيه فايدة لان الحكيم لا يفعل فعلا الا لغرض صحيح
وحكمة بالغة وان غفل عنها الغافلون ولم يتوصل الي معرفتها العاقلون فان
قلت فحين ذكر الازواج ودل عليه بكلمتي الكثرة والاحاطة وكانت بحيث
لا يحصيها الا عالم الغيب كيف قال ان في ذلك لاية وهلا قال ايات قلت
فيه وجهان ان يكون ذلك مشارا به الي مصدر انبتنا فكانه قال ان في الانبات
لاية اي اية وان يراد ان في كل واحد من تلك الازواج لاية وقد سبقت لهذا
الوجه نظاير واذ نادي ربك موسي ان ائت القوم الظالمين قوم فرعون
الا يتقون سجل عليهم بالظلم بان قدم القوم الظالمين ثم عطفهم عليهم عطف
البيان كان معني القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون وكانهما عبارتان
تعتقبان علي مودي واحد ان شاء ذاكرهم عبر عنهم بالقوم الظالمين وان
شاء عبر بقوم فرعون وقد استحقوا هذا الاسم من جهتين من جهة ظلمهم
انفسهم بكفرهم وشرادتهم ومن جهة ظلمهم لبني اسرايل باستعبادهم لهم
قري الا يتقون بكسر النون بمعني الا يتقونني فحذفت النون لاجتماع النونين
والياء للاكتفاء بالكسرة فان قلت بم تعلق قوله الا يتقون قلت
هو كلام مستانف اتبعه عز وجل ارساله اليهم للانذار والتسجيل عليهم
بالظلم تعجيبا لموسي عليه السلام من حالهم التي شنعت في الظلم والعسف
ومن امنهم العواقب وقلة خوفهم وحذرهم من ايام الله ويحتمل ان يكون
لا يتقون حالا من الضمير في الظالمين اي يظلمون غير متقين الله وعقابه
فادخلت همزة الانكار علي الحال واما من قرا الا تتقون علي الخطاب فعلي
طريقة الالتفات اليهم وجبههم وضرب وجوههم بالانكار والغضب
عليهم كما تري من يشكو من ركب جناية الي بعض اخصايه والجاني حاضر
فاذا اندفع في الشكاية وحر مزاجه وحمي غضبه قطع مباثة صاحبه
واقبل علي الجاني يوبخه ويعنف به ويقول له الم تتق الله الم تستحي من
الناس فان قلت فما فايدة هذا الالتفات والخطاب مع موسي عليه السلام
في وقت المناجاة والملتفت اليهم غيب لا يشعرون قلت اجراء ذلك
في تكليم المرسل اليهم في معني اجرائه بحضرتهم والقائه الي مسامعهم لانه مبلغه
ومنهيه وناشره بين الناس وله فيه لطف وحث علي زيادة التقوي وكم
من اية انزلت في شان الكافرين وفيها اوفر نصيب للمومنين تدبرا لها
واعتبارا بموردها وفي الا يتقون بالياء وكسر النون وجه اخر وهو ان يكون
المعني الا يا ناس اتقون كقوله الا يسجدوا قال رب اني اخاف ان يكذبون
ويضيق صدري ولا ينطلق لساني ويضيق وينطلق بالرفع لانهما معطوفان
علي خبر ان وبالنصب لعطفهما علي صلة ان والفرق بينهما في المعني ان الرفع
يفيد ان فيه ثلاث علل خوف التكذيب وضيق الصدر وامتناع انطلاق
اللسان والنصب علي ان خوفه متعلق بهذه الثلاثة فان قلت
في النصب تعليق الخوف بالامور الثلاثة وفي جملتها نفي انطلاق اللسان
وحقيقة الخوف انما هي غم يلحق الانسان لامر سيقع وذلك كان واقعا
فكيف جاز تعليق الخوف به قلت قد علق الخوف بتكذيبهم وبما يحصل
له بسببه من ضيق الصدر والحبسة في اللسان زايدة علي ما كان به علي
ان تلك الحبسة التي كانت به قد زالت بدعوته وقيل بقيت منها
بقية يسيرة فان قلت اعتذارك هذا يرده الرفع لان المعني اني
خايف ضيق الصدر غير منطلق اللسان قلت يجوز ان يكون

هذا

هذا قبل الدعوة واستجابتها ويجوز ان يريد القدر اليسير الذي بقي به
ويجوز ان لا يكون مع حل العقدة من لسانه من الفصحاء المصاقع الذين
اوتوا سلاطة الالسنة وبسطة المقال وهرون كان بتلك الصفة فاراد ان
يقرن به ويدل عليه قوله عز وجل واخي هارون هو افصح مني لسانا ومعني
فارسل الي هارون ارسل اليه جبريل واجعله نبيا وازرني به واشدد به
عضدي وهذا كلام مختصر وقد بسطه في غير هذا الموضع وقد احسن في الاختصار
حيث قال فارسل الي هارون فجاء بما يتضمن معني الاستنباء ومثله في تقصير
الطويلة والحسن قوله تعالي فقلنا اذهبا الي القوم الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم
تدميرا حيث اقتصر علي ذكر طرفي القصة اولها واخرها وهما الانذار والتدمير
ودل بذكرهما علي ما هو الغرض من القصة الطويلة كلها وهو انهم قوم كذبوا
بايات الله فاراد الزام الحجة عليهم فبعث اليهم رسولين فكذبوهما فاهلكهم
فان قلت كيف ساغ لموسي عليه السلام ان يامره الله بامر فلا يتقبله
بسمع وطاعة من غير توقف وتشبث بعلل وقد علم ان الله من ورايه قلت
قد امتثل وتقبل ولكنه التمس من ربه ان يعضده باخيه حتي يتعاونا علي
تنفيذ امره وتبليغ رسالته فمهد قبل التماسه عذره فيما التمس ثم التمس بعد
ذلك وتمهيد العذر في التماس المعين علي تنفيذ الامر ليس بتوقف في امتثال
الامر ولا بتعلل فيه وكفي بطلب العون دليلا علي التقبل لا علي التعلل ولهم
علي ذنب اراد بالذنب قتله القبطي وقيل كان خباز فرعون واسمه فاتون
يعني ولهم علي تبعة ذنب وهي قود ذلك القتل فاخاف ان يقتلون به فحذف
المضاف او سمي تبعة الذنب ذنبا كما سمي جزاء السيئة سيئة فان قلت
قد ابيت ان تكون تلك الثلاث عللا وجعلتها تمهيدا للعذر فيما التمسه فما قولك
في هذه الرابعة قلت هذا استدفاع للبلية المتوقعة وفرق من ان
يقتل قبل اداء الرسالة فكيف يكون تعللا والدليل عليه ما جاء بعده من كلمة
الردع والموعد بالكلاءة والدفع جمع الله له الاستجابتين معا في قوله قال
كلا فاذهبا باياتنا انا معكم مستمعون لانه استدفعه بلاءهم فوعده
الدفع بردعه عن الخوف والتمس منه الموازرة باخيه فاجابه بقوله اذهبا
اي اذهب انت والذي طلبته وهو هرون فان قلت علام عطف
قوله فاذهبا قلت علي الفعل الذي تدل عليه كلا كانه قيل ارتدع
يا موسي عما تظن فاذهب انت وهارون قوله انا معكم مستمعون من
مجاز الكلام يريد انا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه اذا حضر واستمع
ما يجري بينكما وبينه فاظهركما وغلبكما وكسر شوكته عنكما ونكسه ويجوز
ان يكونا خبرين لان او يكون مستمعون مستقرا ومعكم لغوا فان قلت
لم جعلت مستمعون قرينة معكم في كونه من باب المجاز والله تعالي يوصف
علي الحقيقة بانه سميع وسامع قلت ولكن لا يوصف بالمستمع علي الحقيقة
لان الاستماع جار مجري الاصغاء والاستماع من السمع بمنزلة النظر من الروية
ومنه قوله تعالي قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا
ويقال استمع الي حديثه وسمع حديثه اي اصغي اليه وادركه بحاسة
السمع ومنه قوله عليه السلام من استمع الي حديث قوم وهم له كارهون
صب في اذنيه البرم فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين
فان قلت هلا ثني الرسول كما ثني في قوله انا رسولا ربك قلت
الرسول بمعني المرسل وبمعني الرسالة فجعل ثم بمعني المرسل فلم يكن

التمسه

انا ٧

بد من تثنية وجعل هنا بمعنى الرسالة فجازت التسوية فيه اذا وصف
به بين الواحد والتثنية والجمع كما يفعل في الصفة بالمصادر نحو صوم وزور
قال ∴ الكني اليها وخير الرسول ∴ ثل اعلمهم بنواحي الخبر ∴
فجعله للجماعة والشاهد في الرسول بمعنى الرسالة قوله ∴ ∴
∴ لقد كذب الواشون ما فهت عندهم ∴ بسر ولا ارسلتهم برسول ∴
ويجوز ان يوحد لان حكمهما لتساندهما واتفاقهما على شريعة واحدة واتحادهما
لذلك وللاخوة كان حكما واحدا فكانهما رسول واحد او اريد ان كل واحد
منا ان ارسل معنا بني اسرائيل بمعنى اي ارسل لتضمن الرسول معنى الارسال
وتقول ارسلت اليك ان افعل كذا لما في الارسال من معنى القول كما في المناداة
والكتابة ونحو ذلك ومعنى هذا الارسال التخلية والاطلاق كقولك ارسل
البازي يريد خلهم يذهبوا معنا الى فلسطين وكانت مسكنهما ويروي انهما
انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان هاهنا انسانا
يزعم انه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فاديا اليه الرسالة
فعرف موسى فقال له الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت
فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين قال فعلتها اذا وانا من الضالين
ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين وتلك
نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل حذف فاتيا فرعون فقولا له ذلك لانه
معلوم لا يشتبه وهذا النوع من الاختصار كثير في التنزيل الوليد الصبي لقرب
عهده من الولادة وفي رواية عن ابي عمرو من عمرك بسكون الميم سنين قيل
مكث عندهم ثلاثين سنة وقيل وكز القبطي وهو ابن ثنتي عشرة سنة
وفر منهم على اثرها والله اعلم بصحيح ذلك وعن الشعبي فعلتك بالكسر
وهي قتلة القبطي لانه قتله بالوكزة وهو ضرب من القتل واما الفعلة فلانها
كانت وكزة واحدة عدد عليه نعمته من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال ووبخه
بما جرى على يده من قتل خبازه وعظم ذلك وفظعه بقوله وفعلت فعلتك
التي فعلت وانت من الكافرين يجوز ان يكون حالا اي قتلته وانت لذلك
من الكافرين بنعمتي او وانت اذ ذاك ممن تكفرهم الساعة وقد افترى عليه
او جهل امره لانه كان يعايشهم بالتقية فان الله عز وعلا عاصم من يريد ان
يستنبئه من كل كبيرة ومن بعض الصغائر فما بال الكفر ويجوز ان يكون قوله
وانت من الكافرين حكما عليه بانه من الكافرين بالنعم ومن كانت عادته
كفران النعم لم يكن قتل خواص المنعم عليه بدعا منه او بانه من الكافرين
بفرعون والهيته او من الذين كانوا يكفرون في دينهم فقد كانت لهم الهة
يعبدونها يشهد لذلك قوله تعالى ويذرك والهتك وقرئ والاهتك فاجابه
موسى صلوات الله عليه بان تلك الفعلة انما فرطت منه وهو من الضالين
اي الجاهلين وقراءة ابن مسعود من الجاهلين مفسرة والمعنى من الفاعلين
فعلا اولي الجهل والسفه كما قال يوسف عليه السلام لاخوته هل علمتم
ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون او المخطئين كمن يقتل خطاء
من غير تعمد للقتل او الذاهبين عن الصواب او الناسين من قوله ان
تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى وكذب فرعون ودفع الوصف بالكفر
عن نفسه وبرا ساحته بان وضع الضالين موضع الكافرين ربا بمحل
من رشح للنبوة عن تلك الصفة ثم كر على امتنانه عليه بالتربية فابطله
من اصله واستاصله من سنخه وابى ان تسمى نعمته الا نقمة حيث

بين ان

بين ان حقيقة انعامه عليه تعبيد بني اسرائيل لان تعبيدهم وقصدهم
بذبح ابنائهم هو السبب في حصوله عنده وتربيته فكانه امتن عليه بتعبيد
قومه اذا حققت وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم عبيدا يقال عبدت الرجل
واعبدته اذا اتخذته عبدا قال ∴ ∴ ∴ ∴
∴ علام يعبدني قومي وقد كثرت ∴ فيهم اباعرها شاؤا وعبدان ∴
فان قلت اذن جواب وجزاء معا والكلام وقع جوابا لفرعون فكيف
وقع جزاء قلت قول فرعون وفعلت فعلتك فيه معنى انك جازيت
نعمتي بما فعلت فقال له موسى نعم فعلتها مجازيا لك تسليما لقوله لان
نعمته كانت عنده جديرة بان تجازى بنحو ذلك الجزاء فان قلت
لم جمع الضمير في منكم وخفتكم مع افراده في تمنها وعبدت قلت الخوف
والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملائه المؤتمرين بقتله بدليل
قوله ان الملا ياتمرون بك ليقتلوك واما الامتنان فمنه وحده وكذلك
التعبيد فان قلت تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة لا يدرى
ما هي الا بتفسيرها ومحل ان عبدت الرفع عطف بيان لتلك ونظيره قوله تعالى
وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع والمعنى تعبيدك بني اسرائيل
نعمة تمنها علي وقال الزجاج ويجوز ان تكون ان في موضع نصب المعنى
انما صارت نعمة علي لان عبدت بني اسرائيل اي لو لم تفعل ذلك لكفلني
اهلي ولم يلقوني في اليم قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات
والارض وما بينهما ان كنتم موقنين قال لمن حوله الا تستمعون قال ربكم
ورب ابائكم الاولين قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون قال رب المشرق
والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون لما قال له بوابه ان هاهنا من يزعم انه
رسول رب العالمين قال له عند دخوله وما رب العالمين يريد اي شيء رب
العالمين وهذا السؤال لا يخلو اما ان يريد به اي شيء هو من الاشياء التي
شوهدت وعرفت اجناسها فاجاب بما يستدل به عليه من افعاله الخاصة
ليعرفه انه ليس بشيء مما شوهد وعرف من الاجرام والاعراض وانه شيء مخالف
لجميع الاشياء ليس كمثله شيء واما ان يريد به اي شيء هو على الاطلاق
تفتيشا عن حقيقته الخاصة ما هي فاجابه بان الذي اليه سبيل وهو الكافي
في معرفته معرفة ثباته بصفاته استدلالا بافعاله الخاصة على ذلك واما
التفتيش عن حقيقته الخاصة التي هي فوق فطر العقول فتفتيش عما لا سبيل
اليه والسائل عنه متعنت غير طالب للحق والذي يليق بحال فرعون
ويدل عليه الكلام ان يكون سؤاله هذا انكارا لان يكون للعالمين رب
سواه لادعائه الالهية فلما اجاب موسى بما اجاب عجب قومه من جوابه
حيث نسب الربوبية الى غيره فلما ثنى بتقرير قوله جننه الى قومه وطنزبه
حيث سماه رسولهم فلما ثلث بتقرير اخر احتد واحتدم وقال لئن اتخذت
الها غيري لاجعلنك من المسجونين وهذا يدل على صحة هذا الوجه الاخير
فان قلت كيف قيل وما بينهما على التثنية والمرجوع اليه مجموع قلت
اريد وما بين الجنسين فعل بالمضمر ما فعل بالظاهر من قال
∴ عند التفرق في الهيجا جمالين ∴ ∴ فان قلت
ما معنى قوله ان كنتم موقنين واين عن فرعون وملائه الايقان قلت
معناه ان كان يرجى منكم الايقان الذي يؤدي اليه النظر الصحيح نفعكم
هذا الجواب والا لم ينفع او ان كنتم موقنين بشيء قط فهذا اولى ما توقنون

تلك اشارة الى ما اذا وان عبدت
قلت ما محلها من الاعراب

اول
لاصبح الحي اوبادا فلم نجدوا
صلى

به لظهوره وانارة دليله فان قلت ومن كان حوله قلت اشراف قومه
قيل كانوا خمسماية رجل عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة فان قلت
ذكر السموات والارض وما بينهما قد استوعب به الخلايق كلها فما معني ذكرهم
وذكر ابايهم بعد ذلك وذكر المشرق والمغرب قلت قد عمم ولا ثم خصص من
العام للبيان انفسهم واباءهم لان اقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن
ولده وما شاهد وعاين من الدلايل علي الصانع والناقل من هيئة الي هيئة
وحال الي حال من وقت ميلاده الي وقت وفاته ثم خصص المشرق والمغرب
لان طلوع الشمس من احد الخافقين وغروبها في الاخر علي تقدير مستقيم في فصول
السنة وحساب مستو من اظهر ما استدل به ولظهوره انتقل الي الاحتجاج به
خليل الله عن الاحتجاج بالاحيا والاماتة عن نمروذ بن كنعان فبهت الذي كفر
وقري ربك المشارق والمغارب الذي ارسل اليكم بفتح الهمزة فان قلت
كيف قال اولا ان كنتم موقنين واخرا ان كنتم تعقلون قلت لاين اولا
فلما راي منهم شدة الشكيمة في العناد وقلة الاصغاء الي عرض الحجج خاشن وعارض
ان رسولكم لمجنون بقوله ان كنتم تعقلون فان قلت الم يكن لاسجننك
اخصر من لاجعلنك من المسجونين ومؤديا مؤداه قلت اما اخصر
فنعم واما مؤد مؤداه فلا لان معناه لاجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم
في سجوني وكان من عادته ان ياخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة
في الارض بعيدة العمق فردا لا يبصر فيها ولا يسمع فكان ذلك اشد من القتل
واشد الواو في قوله قال اولو جيتك بشي مبين واو الحال دخلت عليها همزة
الاستفهام معناه اتفعل بي ذلك ولو جيتك بشي مبين اي جائيا بالمعجزة
قال فات به وفي قوله ان كنت من الصادقين انه لا ياتي بالمعجزة الا الصادق
في دعواه لان المعجزة تصديق من الله لمدعي النبوة والحكيم لا يصدق الكاذب
ومن العجب ان مثل فرعون لم يخف عليه هذا وخفي علي ناس من اهل القبلة
حيث جوزوا القبيح علي الله حتي لزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات وتقديره
ان كنت من الصادقين في دعواك اتيت به فحذف الجزاء لان الامر بالاتيان
به يدل عليه فالقي عصاه فاذا هي ثعبان مبين ثعبان مبين ظاهر الثعبانية
لا شي يشبه الثعبان كما تكون الاشيا المزورة بالشعوذة والسحر وروي
انها لما انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة الي فرعون
وجعلت تقول يا موسي مرني بما شيت ويقول فرعون بالذي ارسلك
الا اخذتها فاخذها فعادت عصا ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين
للناظرين دليل علي ان بياضها كان شيا يجتمع النظارة الي النظر اليه لخروجه
عن العادة وكان بياضا نوريا روي ان فرعون لما ابصر الاية الاولي قال
فهل غيرها فاخرج يده فقال له ما هذه قال يدك فما فيها فادخلها في ابطه
ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد الافق قال الملا حوله
فان قلت ما العامل في حوله قلت هو منصوب نصبين نصب في اللفظ
ونصب في المحل فالعامل في النصب اللفظي ما يقدر في الظرف والعامل
في النصب المحلي وهو النصب علي الحال قال ولقد تحير فرعون لما ابصر
الايتين وبقي لا يدري اي طرفيه اطول حتي زل عنه ذكر دعوي الالهية
وحط من منكبيه كبرياء الربوبية وارتعدت فرايصه وانتفخ سحره خوفا
وفرقا وبلغت به الاستكانة لقومه الذين هم بزعمه عبيده وهو الههم
ان طفق يوامرهم ويعترف لهم بما حذر منه وتوقعه واحس به من

جهة

جهة موسي وغلبته علي ملكه وارضه وقوله ان هذا لساحر عليم قوله
باهت اذا غلب ومتمحل اذا الزم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تامرون
تامرون من المؤامرة وهي المشاورة او من الامر الذي هو ضد النهي جعل العبيد
امرين وربهم مامورا لما استولي عليه من فرط الدهش والحيرة وماذا منصوب
اما لكونه في معني المصدر واما لانه مفعول به من قوله امرتك الخير قالوا
ارجه واخاه قري ارجيه وارجه بالهمزة والتخفيف وهما لغتان يقال
ارجاته وارجيته اذا اخرته ومنه المرجئة وهم الذين لا يقطعون بوعيد
الفساق ويقولون هم مرجون لامر الله والمعني اخره ومناظرته لوقت اجتماع
السحرة وقيل احبسه وابعث في المداين حاشرين ياتوك بكل سحار عليم
حاشرين شرطا يحشرون السحرة وعارضوا قوله ان هذا لساحر بقولهم بكل سحار
فجاوا بكلمة الاحاطة وصفة المبالغة ليطامنوا من نفسه ويسكنوا بعض
قلقه وقرا الاعمش بكل ساحر عليم فجمع السحرة لميقات يوم معلوم اليوم المعلوم
يوم الزينة وميقاته وقت الضحي لانه الوقت الذي وقته لهم موسي عليه السلام
من يوم الزينة في قوله وان يحشر الناس ضحي والميقات ما وقت به اي حدد من زمان
او مكان ومنه مواقيت الاحرام وقيل للناس هل انتم مجتمعون استبطاء
لهم في الاجتماع والمراد منه استعجالهم واستحثاثهم كما يقول الرجل لغلامه
هل انت منطلق اذا اراد ان يحرك منه ويحثه علي الانطلاق كانما يخيل له ان
الناس قد انطلقوا وهو واقف ومنه قول تابط شرا
هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب اخا عون بن مخراق
يريد ابعثه الينا سريعا ولا تبطي به لعلنا نتبع السحرة ان كانوا
هم الغالبين اي دينهم ان غلبوا موسي ولا نتبع موسي في دينه وليس غرضهم
باتباع السحرة وانما الغرض الكلي ان لا يتبعوا موسي فساقوا الكلام مساق
الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسي عليه السلام فلما جا السحرة
قالوا لفرعون اين لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وقري نعم بالكسر
وهما لغتان ولما كان قوله ان لنا لاجرا في معني جزاء الشرط لدلالته عليه
وكان قوله وانكم اذا لمن المقربين معطوفا عليه ومدخلا في حكمه دخلت
اذن قارة في مكانها الذي تقتضيه من الجواب والجزاء وعدهم ان يجمع لهم
الي الثواب علي سحرهم الذي قدروا انهم يغلبون به موسي القربة عنده
والزلفي قال لهم موسي القوا ما انتم ملقون فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا
بعزة فرعون انا لنحن الغالبون اقسموا بعزة فرعون وهي من ايمان الجاهلية
وهكذا كل حلف بغير الله ولا يصح في الاسلام الا الحلف بالله معلقا ببعض
اسمايه او صفاته كقولك بالله والرحمن وربي ورب العرش وعزة وقدرة
الله وجلال الله وعظمة الله قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لا تحلفوا
بابايكم ولا بامهاتكم ولا بالطواغيت ولا تحلفوا بالله الا وانتم صادقون
ولقد استحدث الناس في هذا الباب في اسلامهم جاهلية نسيت لها
الجاهلية الاولي وذلك ان الواحد منهم لو اقسم باسماء الله كلها وصفاته
علي شي لم يقبل منه ولم يعتد بها حتي يقسم براس سلطانه فاذا اقسم به
فتلك عندهم جهد اليمين التي ليس وراءها حلف لحالف فالقي موسي
عصاه فاذا هي تلقف ما يافكون ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته
بكيدهم وسحرهم ويزورونه فيخيلون في حبالهم وعصيهم انها
حيات تسعي بالتمويه علي الناظرين او افكهم سمي تلك الاشياء افكا

مبالغة وروي انهم قالوا ان يك ماجا به موسي سحرا فلن يَغلب وان يك
من عند الله فلن يخفى علينا فلما قذف عصاه فتلقفت ما انوا به علموا انه
من الله فامنوا وعن عكرمة اصبحوا سحرة وامسوا شهداء فالقي السحرة ساجدين
وانما عبر عن الخرور بالالقاء لانه ذكر مع الالقا آت فسلك به طريق المشاكلة
وفيه ايضا مع مراعاة المشاكلة انهم حين راوا ما راوا لم يتمالكوا ان رموا
انفسهم الي الارض ساجدين كانهم اخذوا فطرحوا طرحا فان قلت فاعل
الالقا ما هو لو صرح به قلت هو الله عز وجل بما خولهم من التوفيق
او ايمانهم او ما عاينوا من المعجزة الباهرة ولك ان لا تقدر فاعلا لان القوا
بمعني خروا وسقطوا قالوا امنا برب العالمين رب موسي وهرون
عطف بيان لرب العالمين لان فرعون لعنه الله كان يدعي الربوبية فارادوا
ان يعزلوه ومعني اضافته اليهما في ذلك المقام انه الذي يدعوا اليه هذان
والذي اجري علي يديهما ما اجري قال امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذي
علمكم السحر فلسوف تعلمون اي وبال ما فعلتم لاقطعن ايديكم وارجلكم
من خلاف ولاصلبنكم اجمعين قالوا لا ضير انا الي ربنا منقلبون الضر
والضير والضور واحد اراد والا ضرر علينا في ذلك بل لنا فيه اعظم النفع
لما يحصل لنا في الصبر لوجه الله من تكفير الخطايا والثواب العظيم مع الاعواض
الكثيرة او لا ضير علينا فيما تتوعدنا به من القتل لانه لا بد لنا من الانقلاب
الي ربنا بسبب من اسباب الموت والقتل اهون اسبابه وارجاها او لا ضير
علينا في قتلك انك ان قتلتنا انقلبنا الي ربنا انقلاب من يطمع في مغفرته ويرجو
رحمته لما رزقنا من السبق الي الايمان وخبر لا محذوف والمعني لا ضير في ذلك
او علينا انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المومنين ان كنا معناه
لان كنا وكانوا اول جماعة مومنين من اهل زمانهم او من رعية فرعون او من اهل
المشهد وقري ان كنا بالكسر وهو من الشرط الذي يجي به المدل بامره المتحقق
بصحته وهم كانوا متحققين انهم اول المومنين ونظيره قول العامل لمن يؤخر
جعله ان كنت عملت لك فوفني حقي ومنه قوله عز وجل ان كنتم خرجتم جهادا
في سبيلي وابتغاء مرضاتي مع علمه انهم لم يخرجوا الا لذلك واوحينا الي موسي
ان اسر بعبادي انكم متبعون قري اسر بقطع الهمزة ووصلها وسر انكم
متبعون علل الامر بالاسراء باتباع فرعون وجنوده اثارهم والمعني اني
بنيت تدبير امركم وامرهم علي ان تتقدموا ويتبعوكم حتي يدخلوا مدخلكم
ويسلكوا مسلككم من طريق البحر فاطبقه عليهم فاهلكهم وروي انه مات
في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا بموتاهم حتي خرج موسي بقومه
وروي ان الله اوحي الي موسي ان اجمع بني اسرايل كل اربعة ابيات في بيت
ثم اذبحوا الجداء واضربوا بدمائها علي ابوابكم فاني سامر الملايكة ان لا يدخلوا
بيتا علي بابه دم وسامرهم بقتل ابكار القبط واخبزوا خبزا فطيرا فانه اسرع
لكم ثم اسر بعبادي حتي تنتهي الي البحر فيا تيك امري فارسل فرعون في اثره الف
الف وخمسماية الف ملك مسور مع كل ملك الف وخرج فرعون في جمع عظيم
وكانت مقدمته سبعماية الف كل رجل علي حصان وعلي راسه بيضة وعن
ابن عباس خرج فرعون في الف الف حصان سوي الاناث فلذلك استقل
قوم موسي وكانوا ستماية الف وسبعين الفا وسماهم شرذمة قليلين فارسل
فرعون في المداين حاشرين ان هولاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغايظون
وانا لجميع حاذرون ان هولاء محكي بعد قول مضمر والشرذمة الطايفة

القليلة

القليلة ومنها قولهم ثوب شراذم للذي بَلِيَ وتقطع قطعا ذكرهم بالاسم
الدال علي القلة ثم جعلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم
قليلا واختار جمع السلامة الذي للقلة وقد يجمع القليل علي قلة وقلل ويجوز
ان يريد بالقلة الذلة والقماءة ولا يريد قلة العدد والمعني انهم لقلتهم
لا يبالي بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون افعالا تغيظنا
وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم
في الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الي حسم فساده وهذه معاذير اعتذر
بها الي اهل المداين لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه وقري حذرون
وحاذرون وحادرون بالدال غير المعجمة فالحذر المتيقظ والحاذر الذي
يجدد حذره وقيل المؤدي في السلاح فانما يفعل ذلك حذرا
واحتياطا لنفسه والحادر السمين القوي قال
احب الصبي السوء من اجل امه وابغضه من بغضها وهو حادر
اراد انهم اقوياء اشداء وقيل مدججون في السلاح قد كسبهم ذلك حدارة
في اجسامهم فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم وعن
مجاهد سماها كنوزا لانهم لم ينفقوا منها في طاعة الله والمقام المكان
يريد المنازل الحسنة والمجالس البهية وعن الضحاك المنابر وقيل السرر
في الحجال وكذلك يحتمل ثلاثة اوجه النصب علي اخرجناهم مثل ذلك الاخراج
الذي وصفنا والجر علي انه وصف لمقام اي مقام كريم مثل ذلك المقام الذي
كان لهم والرفع علي انه خبر لمبتدا محذوف اي الامر كذلك واورثناها بني
اسرائيل فاتبعوهم فلحقوهم وقري فاتبعوهم مشرقين داخلين في وقت
الشروق من شرقت الشمس شروقا اذا طلعت فلما تراءى الجمعان قال
اصحاب موسي انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين سيهديني طريق
النجاة من ادراكهم واضرارهم وقري فلما تراءت الفيئتان انا لمدركون
بتشديد الدال وكسر الراء من ادرك الشيء تتابع ففني ومنه بل ادارك علمهم
في الاخرة قال الحسن جهلوا علم الاخرة وفي معناه بيت الحماسة
ابعد بني امي الذين تتابعوا ارجي الحيوة ام من الموت اجزع
والمعني انا لمتتابعون في الهلاك علي ايديهم حتي لا يبقي منا احد واوحينا
الي موسي ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم
الفرق الجزء المنفرق منه وقري كل فلق والمعني واحد والطود الجبل العظيم
المنطاد في السماء وازلفنا ثم حيث انفلق البحر الاخرين قوم فرعون اي
قربناهم من بني اسرائيل وادنينا بعضهم من بعض وجمعناهم حتي لا ينجوا منهم
احد او قدمناهم الي البحر وقري وازلقنا بالقاف اي ازللنا اقدامهم
والمعني اذهبنا عزهم كقوله
تداركتما عبسا وقد ثل عرشها وذبيان اذ زلت باقدامها النعل
ويحتمل ان يجعل الله طريقهم
في البحر علي خلاف ما جعله لبني اسرائيل يبسا فيزلقهم فيه وانجينا موسي
ومن معه اجمعين ثم اغرقنا الاخرين عن عطا بن السايب ان جبريل كان
بين بني اسرائيل وبين ال فرعون فكان يقول لبني اسرائيل ليلحق اخركم اولكم
ويستقبل القبط فيقول رويدكم يلحق اخركم فلما انتهي موسي الي البحر قال له
مومن ال فرعون وكان بين يدي موسي اين امرت فهذا البحر امامك وقد
غشيك ال فرعون قال امرت بالبحر [7] فضربه فصار اثنا عشر طريقا لكل
سبط طريق وروي ان يوشع قال يا كليم الله اين امرت فقد غشينا

[7] ولا يدري موسى ما يصنع فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر

فرعون والبحر امامنا قال موسى هاهنا فخاض يوشع الماء وضرب موسى
بعصاه البحر فدخلوا وروي ان موسى قال عند ذلك يامن كان قبل كل
شيء والمكون لكل شيء والكاين بعد كل شيء ويقال هذا البحر هو بحر القلزم
وقيل هو بحر من وراء مصر يقال له اساف ان في ذلك لاية وما كان
اكثرهم مومنين ان في ذلك لاية اية واية لا توصف وقد عاينها
الناس وشاع امرها فيهم وما تنبه عليها اكثرهم ولا امن بالله وبنوا اسرائيل
الذين كانوا اصحاب موسى المخصوصين بالانجاء قد سالوه بقرة يعبدونها
واتخذوا العجل وطلبوا روية الله جهرة وان ربك لهو العزيز المنتقم من
اعدائه الرحيم باوليائه واتل عليهم نبا ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما ذا
تعبدون قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين كان ابراهيم صلوات الله
عليه يعلم انهم عبدة اصنام ولكنه سالهم ليريهم ان ما يعبدونه ليس
من استحقاق العبادة في شيء كما تقول للتاجر ما مالك وانت تعلم ان ماله
الرقيق ثم تقول له الرقيق جمال وليس بمال فان قلت ما تعبدون
سؤال عن المعبود فحسب فكان القياس ان يقولوا اصناما كقوله ويسالونك
ماذا ينفقون قل العفو ماذا قال ربكم قالوا الحق ماذا انزل ربكم قالوا خيرا
قلت هولاء قد جاوا بقصة امرهم كاملة كالمبتهجين بها والمفتخرين
فاشتملت على جواب ابراهيم وما قصدوه من اظهار ما في نفوسهم من الابتهاج
والافتخار الا تراهم كيف عطفوا على قولهم نعبد فنظل لها عاكفين ولم يقتصروا
على زيادة نعبد وحده ومثاله ان تقول لبعض الشطار ما تلبس في بلادك
فيقول البس البرد الاتحمي فاجر ذيله بين جواري الحي وانما قالوا نظل لانهم
كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل قال هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم
او يضرون قالوا وجدنا اباءنا كذلك يفعلون لا بد في يسمعونكم من
تقدير حذف المضاف معناه هل يسمعون دعاءكم وقرا قتادة يسمعونكم
اي هل يسمعونكم الجواب عن دعائكم وهل يقدرون على ذلك وجاء مضارعا
مع ايقاعه في اذ على حكاية الحال الماضية ومعناه استحضروا الاحوال الماضية
التي كنتم تدعونها فيها وقولوا هل سمعوا او اسمعوا قط وهذا ابلغ في التبكيت
قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباوكم الاقدمون فانهم عدو لي لما اجابوه
بجواب المقلدين لابائهم قال لهم رقوا امر تقليدكم هذا الى اقصى غاياته وهي
عبادة الاقدمين الاولين من ابائكم فان التقدم والاولية لا تكون برهانا
على الصحة والباطل لا ينقلب حقا بالتقدم وما عبادة من عبد هذه الاصنام
الا عبادة اعداء له ومعنى العداوة قوله تعالى كلا سيكفرون بعبادتهم
ويكونون عليهم ضدا ولان المغري على عبادتها اعدى اعداء الانسان
وهو الشيطان وانما قال عدو لي تصويرا للمسئلة في نفسي على معنى اني
فكرت في امري فرايت عبادتي لها عبادة للعدو فاجتنبتها واثرت عبادة
من الخير كله منه واراهم بذلك انها نصيحة نصح بها نفسه اولا وبنى
عليها تدبير امره لينظروا فيقولوا ما نصحنا ابراهيم الا بما نصح به نفسه
وما اراد لنا الا ما اراد لروحه ليكون ادعى لهم الى القبول وابعث على الاستماع
منه ولو قال فانه عدو لكم لم يكن بتلك المثابة ولانه دخل في باب من
التعريض وقد يبلغ التعريض للمنصوح ما لا يبلغه التصريح لانه يتامل
فيه فربما قاده التامل الى التقبل ومنه ما يحكى رحمه الله ان رجلا واجهه
عن الشافعي
بشيء فقال لو كنت بحيث انت لاحتجت الى ادب وسمع رجلا ناسا يتحدثون
في الحجر

في الحجر فقال ما هو ببيتي ولا ببيتكم والعدو والصديق يجيئان
في معنى الوحدة والجماعة قال وقوم على ذوي متربة
اراهم عدوا وكانوا صديقا ومنه قوله تعالى وهم لكم
عدو شبها بالمصادر للموازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل الا
رب العالمين فهو يهدين يريد انه حين اتم خلقه ونفخ فيه الروح عقب
ذلك هدايته المتصلة التي لا تنقطع الى كل ما يصلحه ويعنيه والا فمن
هداه الى ان يغتذي بالدم في البطن امتصاصا ومن هداه الى معرفة الثدي
عند الولادة والى معرفة مكانه ومن هداه لكيفية الارتضاع الى غير ذلك
من هدايات المعاش والمعاد والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت
فهو يشفين وانما قال مرضت دون امرضني لان كثيرا من اسباب المرض
يحدث بتفريط من الانسان في مطاعمه ومشاربه وغير ذلك ومن ثم قالت
الحكما لو قيل لاكثر الموتى ما سبب اجالكم لقالوا التخم والذي يميتني ثم
يحيين والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وقرى خطاياي والمراد
ما يندر منه من بعض الصغاير لان الانبياء معصومون مختارون على
العالمين وقيل هي قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة
هي اختي وما هي الا معاريض كلام وتخييلات للكفرة وليست بخطايا
يطلب لها الاستغفار فان قلت اذا لم يندر منهم الا الصغاير وهي
تقع مكفرة فما له اثبت لنفسه خطيئة او خطايا وطمع بان تغفر له قلت
الجواب ما سبق لي ان استغفار الانبياء تواضع منهم لربهم وهضم لانفسهم
ويدل عليه قوله اطمع ولم يجزم القول بالمغفرة وفيه تعليم لاممهم وليكون
لطفا لهم في اجتناب المعاصي والحذر منها وطلب المغفرة مما يفرط منهم فان
قلت لم علق مغفرة الخطيئة بيوم الدين وانما تغفر في الدنيا قلت
لان اثرها يتبين يومئذ وهو الان خفي لا يعلم رب هب لي حكما والحقني
بالصالحين الحكم الحكمة والحكم بين الناس بالحق وقيل النبوة لان
النبي ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله والالحاق بالصالحين ان يوفقه
لعمل ينتظم به في جملتهم او يجمع بينه وبينهم في الجنة ولقد اجابه حيث
قال وانه في الاخرة لمن الصالحين واجعل لي لسان صدق في الاخرين
واجعلني من ورثة جنة النعيم واغفر لابي انه كان من الضالين ولا
تخزني يوم يبعثون والاخزاء من الخزي وهو الهوان ومن الخزاية وهو الحياء
وهذا ايضا من نحو استغفارهم مما علموا انه مغفور وفي يبعثون
ضمير العباد لانه معلوم او ضمير الضالين وان يجعل من جملة الاستغفار
لابيه يعني ولا تخزني يوم يبعث الضالون وابي فيهم يوم لا ينفع مال
ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم الا من اتى الله الا حال من اتى الله بقلب
سليم وهو من قولهم تحية بينهم ضرب وجيع
وما ثوابه الا السيف وبيانه ان يقال لك هل لزيد مال وبنون فتقول
ماله وبنوه سلامة قلبه تريد نفي المال والبنين عنه واثبات سلامة
القلب له بدلا عن ذلك وان شئت حملت الكلام على المعنى وجعلت
المال والبنين في معنى الغنى كانه قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من اتى الله
بقلب سليم لان غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه كما ان غناه في دنياه بماله
وبنيه ولك ان تجعل الاستثناء منقطعا ولا بد لك مع ذلك من تقدير
المضاف وهو الحال والمراد بها سلامة القلب وليست هي من جنس المال

والبنين حتى يؤول المعنى الى ان المال والبنين لا ينفعان وانما تنفع سلامة
القلب ولولم تقدر المضاف لم يتحصل للاستثناء معنى وقد جعل من مفعولا
لينفع اي لا ينفع مال ولا بنون الا رجلا سلم قلبه مع ماله حيث انفقه في طاعة
الله ومع بنيه حيث ارشدهم الى الدين وعلمهم الشرايع ويجوز على هذا الا من
اتى الله بقلب سليم من فتنة المال والبنين ومعنى سلامة القلب سلامته من
افات الكفر والمعاصي ومما اكرم الله به خليله ونبه على جلالة محله في الاخلاص
ان حكى استثناءه هذا حكاية راض باصابته فيه ثم جعله صفة له في قوله
وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم ومن بدع التفاسير
تفسير بعضهم السليم باللديغ من خشية الله وقول اخر هو الذي سلم وسلم
وسالم واستسلم وما احسن ما رتب ابراهيم عليه السلام كلامه مع المشركين
حين سالهم اولا عما يعبدون سوال مقرر لا مستفهم ثم انحى على الهتهم فابطل
امرها بانها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع وعلى تقليدهم اباءهم
الاقدمين فكسره واخرجه من ان يكون شبهة فضلا ان يكون حجة ثم صور
المسيلة في نفسه دونهم حتى تخلص منها الى ذكر الله عز وجل فعظم شانه
وعدد نعمته من لدن خلقه وانشابه الى حين وفاته مع ما يرجي في الاخرة من
رحمته ثم اتبع ذلك ان دعاه بدعوات المخلصين وابتهل اليه ابتهال الاوابين
ثم وصله بذكر يوم القيمة وثواب الله وعقابه وما يدفع اليه المشركون يومئذ
من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمني الكرة الى الدنيا ليومنوا
ويطيعوا وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم اينما كنتم
تعبدون الله هل ينصرونكم او ينتصرون الجنة تكون قريبة من مورد — من دون
السعداء ينظرون اليها ويغتبطون بانهم المحشورون اليها والنار تكون بارزة
مكشوفة للاشقياء بمراى منهم يتحسرون على انهم المسوقون اليها قال الله تعالى
وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد وقال فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين
كفروا فتجمع عليهم الغموم والحسرات فتجعل النار بمراى منهم فيهلكون غما في كل لحظة — كلها
ويوبخون على اشراكهم فيقال لهم اين الهتكم هل ينفعونكم بنصرتهم لكم او هل
ينفعون انفسهم بانتصارهم لانهم والهتهم وقود النار وهو قوله فكبكبوا
فيها هم اي الالهة والغاوون وعبدتهم الذين برزت لهم الجحيم والكبكبة
تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى كانه اذا القي
في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها اللهم اجرنا منها يا خير مستجار
وجنود ابليس اجمعون شياطينه او متبعوه من عصاة الانس والجن
قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب
العالمين وما اضلنا الا المجرمون يجوز ان ينطق الله الاصنام حتى يصح
التقاول والتخاصم ويجوز ان يجري ذلك بين العصاة والشياطين والمراد
بالمجرمين الذين اضلوهم روساوهم وكبراوهم كقوله ربنا انا اطعنا سادتنا
وكبراءنا فاضلونا السبيلا وعن السدي الاولون الذين اقتدينا بهم وعن
ابن جريج ابليس وابن ادم القاتل لانه اول من سن القتل وانواع المعاصي
فما لنا من شافعين كما نرى المومنين لهم شفعاء من الملايكة والنبيين ولا
صديق حميم كما نرى لهم اصدقاء لانه لا يتصادق في الاخرة الا المومنون
واما اهل النار فبينهم التعادي والتباغض قال الله عز وجل الاخلاء يومئذ
بعضهم لبعض عدو الا المتقين او فما لنا من شافعين ولا صديق حميم
من الذين كنا نعدهم شفعاء واصدقاء لانهم كانوا يعتقدون في اصنامهم

انهم

انهم شفعاؤهم عند الله وكان لهم الاصدقاء من شياطين الانس او ارادوا انهم
وقعوا في مهلكة علموا ان الشفعاء والاصدقاء لا ينفعونهم ولا يدفعون
عنهم فقصد بنفيهم نفي ما يتعلق بهم من النفع لان ما لا ينفع حكمه حكم المعدوم
والحميم من الاحتمام وهو الاهتمام وهو الذي يهمه ما يهمك او من الحامة بمعنى الخاصة
وهو الصديق الخاص فان قلت لم جمع الشافع ووحد الصديق قلت
لكثرة الشفعاء وقلة الصديق في العادة الا ترى ان الرجل اذا امتحن بارهاق
ظالم نهضت جماعة وافرة من اهل بلده لشفاعته رحمة له وحسبة وان لم تسبق
له باكثرهم معرفة واما الصديق وهو الصادق في ودادك الذي يهمه ما اهمك
فاعز من بيض الانوق وعن بعض الحكماء انه سيل عن الصديق فقال اسم لا معنى
له ويجوز ان يريد بالصديق الجمع فلو ان لنا كرة فنكون من المومنين الكرة
الرجعة الى الدنيا ولو في مثل هذا الموضع في معنى التمني كانه قيل فليت لنا كرة
وذلك لما بين معنيي لو وليت من التلاقي في التقدير ويجوز ان تكون على اصلها
ويحذف الجواب وهو لفعلنا كيت وكيت ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم
مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت قوم نوح المرسلين القوم مونثة
وتصغيرها قويمة ونظير قوله المرسلين والمراد نوح عليه السلام قولك فلان
يركب الدواب ويلبس البرود وما له الا دابة وبرد اذ قال لهم اخوهم نوح الا
تتقون وقيل اخوهم لانه كان منهم من قول العرب يا اخا بني تميم يريدون
يا واحدا منهم ومنه بيت الحماسة
٭ لا يسالون اخاهم حين يندبهم ٭ في النايبات على ما قال برهانا ٭
اني لكم رسول امين كان امينا فيهم مشهورا بالامانة كمحمد صلى الله عليه وسلم
في قريش فاتقوا الله واطيعون في نصحي لكم وفيما ادعوكم اليه من الحق
وما اسالكم عليه على هذا الامر وعلى ما انا فيه يعني دعاءه ونصحه من اجر
ان اجري الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون ومعنى فاتقوا الله
في طاعتي وكرره ليوكده عليهم ويقرره في نفوسهم مع تعليق كل واحد منهما
بعلة جعل علة الاول كونه امينا فيما بينهم وفي الثاني حسم طمعه عنهم قالوا
انومن لك واتبعك الارذلون وقرئ واتباعك جمع تابع كشاهد واشهاد او جمع
تبع كبطل وابطال والواو للحال وحقها ان تضمر بعدها قد في واتبعك
وقد جمع الارذل على الصحة وعلى التكسير في قوله اراذلنا والرذالة والنذالة
الخسة والدناءة وانما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا
وقيل كانوا من اهل الصناعات الدنية كالحياكة والحجامة والصناعة
لا تزري بالديانة وهكذا كانت قريش تقول في اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم وما زالت اتباع الانبياء كذلك حتى صارت من سماتهم واماراتهم
الا ترى الى هرقل حين سال ابا سفيان عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما قال ضعفاء الناس واراذلهم قال ما زالت اتباع الانبياء كذلك وعن — الصاعة
ابن عباس هم الغاغة وعن عكرمة الحاكة والاساكفة وعن مقاتل السفلة
قال وما علمي بما كانوا يعملون واي شيء علمي والمراد انتفاء علمه باخلاص اعمالهم
لله واطلاعه على سرايرهم وباطنه وانما قال هذا لانهم قد طعنوا مع استرذالهم
في ايمانهم وانهم لم يومنوا عن نظر وبصيرة وانما امنوا هوى وبديهة كما حكى
الله عنهم في قوله الذين هم اراذلنا بادي الراي ويجوز ان يتغابى لهم نوح عليه
السلام فيفسر قولهم الارذلين بما هو الرذالة عنده من سوء الاعمال وفساد
العقايد ولا يلتفت الى ما هو الرذالة عندهم ثم يبني جوابه على ذلك فيقول

ان حسابهم الا على ربي اي ما علي الا اعتبار الظواهر دون التفتيش عن اسرارهم
والشق عن قلوبهم وان كان لهم عمل سيء فالله محاسبهم ومجازيهم عليه وما انا الا
منذر لا محاسب ولا مجاز لو تشعرون ذلك ولكنكم تجهلون فتنساقون مع الجهل
حيث سيركم وقصد بذلك رد اعتقادهم وانكار ان يسمي المومن رذلا وان كان
افقر الناس واوضعهم نسبا فان الغنى غنى الدين والنسب نسب التقوي وما انا
بطارد المومنين يريد ليس من شاني ان اتبع شهواتكم واطيب نفوسكم بطرد المومنين
الذين صح ايمانهم طمعا في ايمانكم ان انا الا نذير مبين اي وما علي الا ان انذركم
انذارا بينا بالبرهان الصحيح الذي يتميز به الحق من الباطل ثم انتم اعلم بشانكم
قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين قال رب ان قومي كذبون ليس هذا
باخبار بالتكذيب لعلمه ان عالم الغيب والشهادة اعلم ولكنه اراد اني لا ادعوك
عليهم لما غاظوني واذوني وانما ادعوك لاجلك ولاجل دينك ولانهم كذبوني
في وحيك ورسالتك فاحكم بيني وبينهم فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن
معي من المومنين والفتاحة الحكومة والفتاح الحاكم لانه يفتح المستغلق كما سمي
فيصلا لانه يفصل بين الخصومات فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون
الفلك السفينة وجمعه فلك قال الله تعالى وترى الفلك فيه مواخر فالواحد
بوزن قفل والجمع بوزن اسد كسروا فعلا على فعل كما كسروا فعلا على فعل لانهما
اخوان في قولك العرب والعرب والرشد والرشد فقالوا اسد واسد و فلك وفلك
ونظيره بعير هجان وابل هجان ودرع دلاص ودروع دلاص فالواحد
بوزن كناز والجمع بوزن كرام والمشحون المملو يقال شحنها عليهم خيلا ورجالا
ثم اغرقنا بعد الباقين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك
لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون اني
لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا
على رب العالمين اتبنون بكل ريع اية تعبثون قرئ بكل ريع بالكسر والفتح
وهو المكان المرتفع قال المسيب بن علس

في الال يرفعها ويخفضها ⁂ ريع يلوح كانه سحل ⁂

ومنه قولهم كم ريع ارضك وهو ارتفاعها والاية العلم وكانوا ممن يهتدون
بالنجوم في اسفارهم فاتخذوا في طرقهم اعلاما طوالا فعبثوا بذلك لانهم
كانوا مستغنين عنها بالنجوم وعن مجاهد بنوا بكل ريع بروج الحمام والمصانع
ماخذ الماء وقيل القصور المشيدة والحصون وتتخذون مصانع لعلكم
تخلدون ترجون الخلود في الدنيا او تشبه حالكم حال من يخلد وفي حرف ابي
كانكم وقرئ تخلدون بضم التاء مخففا ومشددا واذا بطشتم بطشتم جبارين
واذا بطشتم بسوط او سيف كان ذلك ظلما وعلوا وقيل الجبار الذي
يقتل ويضرب على الغضب وعن الحسن تبادرون تعجيل العذاب لا تتثبتون
متفكرين في العواقب فاتقوا الله واطيعون واتقوا الذي امدكم بما تعلمون
امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون بالغ في تنبيههم على نعم الله حيث
اجملها ثم فصلها مستشهدا بعلمهم وذلك انه ايقظهم عن سنة غفلتهم
عنها حين قال امدكم بما تعلمون ثم عددها عليهم وعرفهم المنعم بتعديد ما
يعلمون من نعمته وانه كما قدر ان يتفضل عليكم بهذه النعمة فهو قادر
على الثواب والعقاب فاتقوه ونحوه قوله تعالى ويحذركم الله نفسه
والله رءوف بالعباد فان قلت كيف قرن البنين بالانعام قلت
هم الذين يعينونهم على حفظها والقيام عليها اني اخاف عليكم عذاب يوم

عظم

عظيم قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين ان هذا الا خلق
الاولين وما نحن بمعذبين فكذبوه فاهلكناهم ان في ذلك لاية وما كان
اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم فان قلت لو قيل اوعظت
ام لم تعظ كان اخصر والمعنى واحد قلت ليس المعنى بواحد وبينهما
فرق لان المراد سواء علينا افعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ ام لم تكن اصلا
من اهله ومباشريه فهو ابلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من قولك ام لم تعظ
من قرا خلق الاولين بالفتح فمعناه ان ما جيت به اختلاق الاولين وتخرصهم
كما قالوا اساطير الاولين او ما خلقنا هذا الا خلق القرون الخالية نحيا كما حيوا
ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب ومن قرا خلق بضمتين وبواحدة
فمعناه ما هذا الذي نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم كانوا
يدينونه ويعتقدونه ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذي نحن عليه من
الحيوة والموت الا عادة لم يزل عليها الناس في قديم الدهر او ما هذا الذي جيت
به من الكذب الا عادة الاولين كانوا يلفقون مثله ويسطرونه كذبت ثمود
المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله
واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتتركون فيما
هاهنا امنين في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم اتتركون
يجوز ان يكون انكارا لان يتركوا مخلدين في نعيمهم لا يزالون عنه وان
يكون تذكيرا بالنعمة في تخلية الله اياهم وما يتنعمون فيه من الجنات وغير
ذلك من الامن والدعة في ما هاهنا في الذي استقر في هذا المكان من النعيم
ثم فسره بقوله في جنات وعيون وهذا ايضا اجمال ثم تفصيل فان قلت
لم قال ونخل بعد قوله في جنات والجنة تتناول النخل اول شي كما تتناول
النعم الابل كذلك من بين الازواج حتى انهم ليذكرون الجنة ولا يقصدون
الا النخيل كما يذكرون النعم ولا يريدون الا الابل قال زهير ⁂

⁂ تسقي جنة سحقا ⁂ قلت فيه وجهان ان يخص النخل
بافراده بعد دخوله في جملة ساير الشجر تنبيها على انفراده عنها بفضله عليها
وان يريد بالجنات غيرها من الشجر لان اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف عليها
النخل الطلعة التي هي تطلع من النخلة كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو
والقنو اسم للخارج من الجذع كما هو بعرجونه وشماريخه والهضيم اللطيف
الضامر من قولهم كشح هضيم وطلع اناث النخل فيه لطف وفي طلع الفحاحيل
جفاء وكذلك طلع البرني الطف من طلع اللون فذكرهم نعمة الله في ان
وهب لهم اجود النخل وانفعه لان الاناث ولادة التمر والبرني اجود
التمر واطيبه ويجوز ان يريد ان نخيلهم اصابت جودة المنابت وسعة الماء
وسلمت من العاهات فحملت الحمل الكثير واذا كثر الحمل هضم واذا قل جاء
فاخرا وقيل الهضيم اللين النضيج كانه قال ونخل قد ارطب ثمره وتنحتون
من الجبال بيوتا فارهين قرا الحسن وتنحتون بفتح الحاء وقرئ فرهين
وفارهين والفراهة الكيس والنشاط ومنه خيل فره فاتقوا الله واطيعون
ولا تطيعوا امر المسرفين الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون
استعير لامتثال الامر وارتسامه طاعة الامر المطاع او جعل الامر مطاعا
على المجاز الحكمي والمراد الامر ومنه قولهم لك علي امرة مطاعة وقوله تعالى
واطيعوا امري فان قلت ما فايدة قوله ولا يصلحون قلت
فايدته ان فسادهم فساد مصمت ليس معه شي من الصلاح كما تكون

بعض

حال المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح قالوا انما انت من المسحرين المسحر الذي سحر كثيرا حتى غلب على عقله وقيل هو من السحر الرئة وانه بشر ما انت الا بشر مثلنا فات باية ان كنت من الصادقين قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم الشرب النصيب من الماء نحو السقي والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم روي انهم قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا فقعد صالح يتفكر فقال له جبريل صل ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة وبركت بين ايديهم ونتجت سقبا مثلها في العظم وعن ابي موسى رايت مصدرها اي مبركها فاذا هو ستون ذراعا وعن قتادة اذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله ولهم شرب يوم لا تشرب فيه الماء ولا تمسوها بسوء بسوء بضرب او عقر او غيره فكذلك فياخذكم عذاب يوم عظيم عظم اليوم لحلول العذاب فيه ووصف اليوم به ابلغ من وصف العذاب لان الوقت اذا عظم بسببه كان موقعه من العظم اشد فعقروها فاصبحوا نادمين فاخذهم العذاب ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين روي ان مسطعا الجاها الى مضيق في شعب فرماها بسهم فاصاب رجلها فسقطت ثم ضربها قدار وروي ان عاقرها قال لا اعقرها حتى ترضوا اجمعين فكانوا يدخلون على المراة في خدرها فيقولون اترضين فتقول نعم وكذلك صبيانهم فان قلت لم اخذهم العذاب وقد ندموا قلت لم يكن ندمهم ندم تائبين ولكن ندم خائفين ان يعاقبوا على العقر عقابا عاجلا كمن يرى في بعض الامور رايا فاسدا ويبني عليه ثم يندم ويتحسر كندامة الكسعي او ندموا ندم تائبين ولكن في غير وقت التوبة وذلك عند معاينة العذاب وقال عز وجل وليست التوبة للذين يعملون السيات الاية وقيل كانت ندامتهم على ترك الولد وهو بعيد واللام في العذاب اشارة الى عذاب يوم عظيم وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتاتون الذكران من العالمين اراد بالعالمين الناس اي اتاتون من بين اولاد ادم على فرط كثرتهم وتفاوت اجناسهم وغلبة اناثهم على ذكورهم في الكثرة ذكرانهم كان الاناث قد اعوزتكم او اتاتون من بين من عداكم من العالمين الذكران يعني انكم يا قوم لوط وحدكم مختصون بهذه الفاحشة والعالمون على هذا القول كل ما ينكح من الحيوان وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم من ازواجكم يصلح ان يكون تبيينا لما خلق وان يكون للتبعيض ويراد بما خلق العضو المباح منهن وفي قراءة ابن مسعود ما اصلح لكم ربكم من ازواجكم وكانهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم العادي المتعدي في ظلمه المتجاوز فيه الحد ومعناه اترتكبون هذه المعصية على عظمها بل انتم قوم عادون في جميع المعاصي فهذا من جملة ذاك او بل انتم قوم احقاء بان توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم مثل هذه العظيمة قالوا لئن لم تنته يا لوط عن نهينا وتقبيح امرنا لتكونن من المخرجين لتكونن من جملة من اخرجناه من بين اظهرنا وطردناه من بلدنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على اسوء حال من تعنيف به واحتباس لاملاكه وكما يكون حال الظلمة اذا اجلوا بعض من يغضبون عليه وكما كان يفعل اهل مكة بمن يريد المهاجرة قال اني لعملكم من القالين من القالين ابلغ من ان يقول اني لعملكم قال كما تقول فلان من العلماء فيكون ابلغ من

قولك

قولك فلان عالم لانك تشهد له بكونه معدودا في زمرتهم ومعروفة مساهمته لهم في العلم ويجوز ان يريد من الكاملين في قلاكم والقلى البغض الشديد كانه بغض يقلي الفواد والكبد وفي هذا دليل على عظم المعصية والمراد القلى من حيث الدين والتقوى وقد تقوى همة الدين في دين الله حتى تقرب كراهته للمعاصي من الكراهة الجبلية رب نجني واهلي مما يعملون من عقوبة عملهم وهو الظاهر ويحتمل ان يريد بالتنجية العصمة فان قلت فما معنى قوله فنجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين قلت معناه انه عصمه واهله من ذلك الا العجوز فانها كانت غير معصومة منه لكونها راضية به ومعينة عليه ومحرشة والراضي بالمعصية في حكم العاصي فان قلت كان اهله مومنين ولولا ذلك لما طلب لهم النجاة فكيف استثنيت الكافرة منهم قلت الاستثناء انما وقع من الاهل وفي هذا الاسم لها معهم شركة بحق الزواج وان لم تشاركهم في الايمان فان قلت في الغابرين صفة لها كانه قيل الا عجوزا غابرة ولم يكن الغبور صفتها وقت تنجيتهم قلت معناه الا عجوزا مقدرا غبورها ومعنى الغابرين في العذاب والهلاك غير الناجين قيل انها هلكت مع من خرج من القرية بما امطر عليهم من الحجارة ثم دمرنا الاخرين وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين والمراد بتدميرهم الائتفاك بهم واما الامطار فعن قتادة امطر الله على شذاذ القوم حجارة من السماء فاهلكهم وعن ابي زيد لم يرض بالائتفاك حتى اتبعه مطرا من حجارة وفاعل ساء مطر المنذرين ولم يرد بالمنذرين قوما باعيانهم انما هو للجنس والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب الايكة المرسلين اذ قال لهم شعيب الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين وقرئ اصحاب الايكة بالهمزة وبتخفيفها وبالجر على الاضافة وهو الوجه ومن قرا بالنصب وزعم ان ليكة بوزن ليلة اسم بلد فتوهم قاد اليه خط المصحف حيث وجدت مكتوبة في هذه السورة وفي سورة ص بغير الف وفي المصحف اشياء كتبت على خلاف قياس الخط المصطلح عليه وانما كتبت في هاتين السورتين على حكم لفظ اللافظ كما يكتب اصحاب النحو لان ولولا على هذه الصورة لبيان لفظ المخفف وقد كتبت في سائر القران على الاصل والقصة واحدة على ان ليكة اسم لا يعرف وروي ان اصحاب الايكة كانوا اصحاب شجر ملتف وكان شجرهم الدوم فان قلت هلا قيل اخوهم شعيب كما في سائر المواضع قلت قالوا ان شعيبا لم يكن من اصحاب الايكة وفي الحديث ان شعيبا اخا مدين ارسل اليهم والى اصحاب الايكة اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين الكيل على ثلاثة اضرب واف وطفيف وزائد فامر بالواجب الذي هو الايفاء ونهى عن المحرم الذي هو التطفيف ولم يذكر الزائد وكان تركه عن الامر والنهي دليلا على انه ان فعله فقد احسن وان لم يفعله فلا عليه وزنوا بالقسطاس المستقيم قرئ بالقسطاس مضموما ومكسورا وهو الميزان وقيل القرسطون فان كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس والا فهو رباعي وقيل هو بالرومية العدل ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين يقال بخسته حقه اذا نقصته اياه ومنه

في الآن في الأولى

القبان الصغير لغة رومية اهـ طيبي

وقيل المكس البخس وهو عام في كل حق ثبت لاحد ان لا يهضم وفي
كل ملك ان لا يغصب عليه مالكه ولا يتحيف منه ولا يتصرف فيه الا باذنه
تصرفا شرعيا يقال عثا في الارض وعثي وعاث وذلك نحو قطع الطريق
والغارة واهلاك الزروع وكانوا يفعلون ذلك مع توليهم انواع الفساد
فنهوا عن ذلك فاتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين وقري الجبلة بوزن
الابلة والجبلة بوزن الخلقة ومعناهن واحد اي ذوي الجبلة وهو كقولك
والخلق الاولين قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا وان
نظنك لمن الكاذبين فان قلت هل اختلف المعني بادخال الواو ههنا
وتركها في قصة ثمود قلت اذا دخلت الواو فقد قصد معنيان كلاهما
مناف للرسالة عندهم التسحير والبشرية وان الرسول لا يجوز ان يكون
مسحرا ولا يجوز ان يكون بشرا واذا تركت الواو فلم يقصد الا معني واحد
وهو كونه مسحرا ثم قرر بكونه بشرا مثلهم فان قلت ان المخففة من الثقيلة
ولامها كيف تفرقتا علي فعل الظن وثاني مفعوليه قلت اصلهما ان
يتفرقا علي المبتدا والخبر كقولك ان زيد لمنطلق فلما كان البابان اعني
باب كان وباب ظننت من جنس بابي المبتدا والخبر فعل ذلك في البابين
فقيل ان كان زيد لمنطلقا وان ظننته لمنطلقا فاسقط علينا كسفا من السما
ان كنت من الصادقين قري كسفا بالسكون والحركة وكلاهما جمع كسفة نحو قطع
وسدر وقيل الكسف والكسفة كالريع والريعة وهي القطعة وكسفه قطعه
والسما السحاب والمظلة وما كان طلبهم له الا لتصميمهم علي الجحود والتكذيب
ولو كان فيهم ادني ميل الي التصديق لما اخطروه ببالهم فضلا ان يطلبوه
والمعني ان كنت صادقا انك نبي فادع الله ان يسقط علينا كسفا من السماء
قال ربي اعلم بما تعملون يريد ان الله اعلم باعمالكم وبما تستوجبون عليها من
العقاب فان اراد ان يعاقبكم باسقاط كسف من السماء فعل وان اراد
عقابا اخر فاليه الحكم والمشيئة فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة انه
كان عذاب يوم عظيم فاخذهم الله بنحو ما اقترحوا من عذاب الظلة ان
ارادوا بالسماء السحاب وان ارادوا المظلة فقد خالف بهم عن مقترحهم
يروي انه حبس عنهم الريح سبعا وسلط عليهم الومد فاخذ بانفاسهم
لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا سرب فاضطروا الي ان خرجوا الي البرية فاظلتهم
سحابة وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا
وروي ان شعيبا بعث الي امتين اصحاب مدين واصحاب الايكة فاهلكت
مدين بصيحة جبريل واصحاب الايكة بعذاب يوم الظلة ان في ذلك لاية
وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم فان قلت
كيف كرر في هذه السورة في اول كل قصة واخرها ما كرر قلت كل قصة
منها كتنزيل براسه وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت كل واحدة
منها تدلي بحق في ان تفتتح بما افتتحت به صاحبتها وان تختتم بما اختتمت
به ولان في التكرير تقريرا للمعاني في الانفس وتثبيتا لها في الصدور الا تري
انه لا طريق الي تحفظ العلوم الا ترديد ما يراد تحفظه منها وكلما زاد ترديده
كان امكن له في القلب وارسخ في الفهم واثبت للذكر وابعد من النسيان
ولان هذه القصص طرقت بها اذان وقر عن الانصات للحق وقلوب
غلف عن تدبره فكوثرت بالوعظ والتذكير وروجعت بالترديد والتكرير
لعل ذلك يفتح اذنا او يفتق ذهنا او يصقل عقلا طال عهده بالصقل

او يجلو

الومد شدة حر الليل

او يجلو فهما قد غطي عليه تراكم الصدا وانه لتنزيل رب العالمين نزل به
الروح الامين وان هذا التنزيل يعني ما نزل من هذه القصص والايات والمراد
بالتنزيل المنزل والبا في نزل به الروح ونزل به الروح علي القرايتين للتعدية
ومعني نزل به الروح جعل الله الروح نازلا به علي قلبك لتكون من المنذرين
اي حفظكه وفهمك اياه واثبته في قلبك اثبات ما لا ينسي كقوله تعالي سنقريك
فلا تنسي بلسان عربي مبين بلسان اما ان يتعلق بالمنذرين فيكون المعني لتكون
من الذين انذروا بهذا اللسان وهم خمسة هود وصالح وشعيب واسماعيل ومحمد
صلوات الله عليهم واما ان يتعلق بنزل فيكون المعني نزله باللسان العربي
لتنذر به لانه لو نزله باللسان الاعجمي لتجافوا عنه اصلا ولقالوا ما نصنع بما لا
نفهمه فيتعذر الانذار به وفي هذا الوجه ان تنزيله بالعربية التي هي لسانك
ولسان قومك تنزيل له علي قلبك لانك تفهمه وتفهمه قومك ولو كان اعجميا
لكان نازلا علي سمعك دون قلبك لانك تسمع اجراس حروف لا تفهم معانيها
ولا تعيها وقد يكون الرجل عارفا بعدة لغات فاذا كلم بلغته التي لقنها اولا
ونشا عليها وتطبع لم يكن قلبه الا الي معاني الكلام يتلقاها بقلبه ولا يكاد يفطن
للالفاظ كيف جرت وان كلم بغير تلك اللغة وان كان ماهرا بمعرفتها كان
نظره اولا في الفاظها ثم في معانيها فهذا تقرير انه نزل علي قلبه لنزوله بلسان
عربي مبين وانه لفي زبر الاولين وان القران يعني ذكره مثبت في ساير الكتب
السماوية وقيل ان معانيه فيها وبه يحتج لابي حنيفة رحمه الله في جواز
القراة بالفارسية في الصلوة علي ان القران قران اذا ترجم بغير العربية حيث
قيل وانه لفي زبر الاولين لكون معانيه فيها وقيل الضمير لرسول
الله صلي الله عليه وسلم وكذلك في اولم يكن لهم اية ان يعلمه علما بني اسرايل
وليس بواضح وقري يكن بالتذكير واية بالنصب علي انها خبره وان يعلمه هو الاسم
وقري تكن بالتانيث وجعلت اية اسما وان يعلمه خبرا وليست كالاولي لوقوع
النكرة اسما والمعرفة خبرا وقد خرج لها اخر وجه ليتخلص من ذلك فقيل في تكن ضمير
القصة واية ان يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز علي هذا ان تكون
لهم اية هي جملة الشان وان يعلمه بدلا عن اية ويجوز مع نصب الاية تانيث
تكن كقوله تعالي ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا ومنه بيت لبيد
فمضي وقدمها وكانت عادة ❊ منه اذا هي عردت اقدامها ❊
وقري تعلمه بالتا وعلما بني اسرايل عبد الله بن سلام وغيره قال الله تعالي
واذا يتلي عليهم قالوا امنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين فان
قلت كيف خط في المصحف علموا بواو قبل الالف قلت خط علي
لغة من يميل الالف الي الواو وعلي هذه اللغة كتبت الصلوة والزكوة والربوا
ولو نزلناه علي بعض الاعجمين فقراه عليهم ما كانوا به مومنين الاعجم الذي
لا يفصح وفي لسانه عجمة واستعجام والاعجمي مثله الا ان فيه لزيادة يا النسبة
زيادة تاكيد وقرا الحسن الاعجميين ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفقهون
كلامه قالوا له اعجم واعجمي شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين وقالوا لكل ذي
صوت من البهايم والطيور وغيرها اعجم قال حميد ❊
❊ ولا عربيا شاقه صوت اعجما ❊ كذلك سلكناه ادخلناه ومكناه
في قلوب المجرمين والمعني انا انزلنا هذا القران علي رجل عربي بلسان عربي
مبين فسمعوا به وفهموه وعرفوا فصاحته وانه معجز لا يعارض بكلام
مثله وانضم الي ذلك اتفاق علما اهل الكتب المنزلة قبله علي ان البشارة

عردت تاخر وجبن

بانزاله وتحلية المنزل عليه وصفته في كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه
وصح بذلك انها من عند الله وليست باساطير كما زعموا فلم يومنوا به وجحدوه
وسموه شعرا تارة وسحرا اخرى وقالوا هو من تلفيق محمد وافترائه ولو نزلناه
على بعض الاعاجم الذي لا يحسن العربية فضلا ان يقدر على نظم مثله فقراه
عليهم هكذا فصيحا معجزا متحدى به لكفروا به كما كفروا ولتمحلوا لجحوده ولسموه
عذرا ولسموه سحرا ثم قال كذلك سلكناه اي مثل هذا السلك سلكناه في قلوبهم
وهكذا مكناه وقررناه فيها وعلى مثل هذه الحالة وهذه الصفة من الكفر
به والتكذيب له وضعناه فيها فكيفما فعل بهم وصنع وعلى اي وجه دبر
امرهم فلا سبيل الى ان يتغيروا عما هم عليه من جحوده وانكاره كما قال تعالى
ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا
سحر مبين فان قلت كيف اسند السلك بصفة التكذيب الى ذاته قلت
اراد به الدلالة على تمكنه مكذبا في قلوبهم اشد التمكن واثبته فجعلوا بمنزلة امر
قد جبلوا عليه وفطروا الا ترى الى قولهم هو مجبول على الشح يريدون تمكن الشح
فيه لان الامور الخلقية اثبت من العارضة والدليل عليه انه اسند ترك الايمان به
اليهم على عقبه وهو قوله لا يومنون به حتى يروا العذاب الاليم فان قلت
ما موقع لا يومنون به من قوله سلكناه في قلوب المجرمين قلت موقعه
منهم موقع الموضح والملخص لانه مسوق لثباته مكذبا مجحودا في قلوبهم فاتبع
ما يقرر هذا المعنى من انهم لا يزالون على التكذيب به وجحوده حتى يعاينوا الوعيد
ويجوز ان يكون حالا اي سلكناه فيها غير مومن به فياتيهم بغتة وهم لا يشعرون
فيقولوا هل نحن منظرون وقرا الحسن فتاتيهم بالتاء يعني الساعة بغتة
بالتحريك وفي حرف ابي ويروه بغتة فان قلت ما معنى التعقيب
في قوله فياتيهم بغتة فيقولوا قلت ليس المعنى ترادف رؤية العذاب
ومفاجاته وسوال النظرة فيه في الوجود وانما المعنى ترتبها في الشدة كانه
قيل لا يومنون بالقران حتى تكون رؤيتهم للعذاب فما هو اشد منها وهو لحوقه
بهم مفاجاة فما هو اشد منه وهو سوالهم النظرة ومثال ذلك ان تقول
لمن تعظه ان اسات مقتك الصالحون فمقتك الله فانك لا تقصد بهذا
الترتيب ان مقت الله يوجد عقيب مقت الصالحين وانما قصدك الى
ترتيب شدة الامر على المسيء وانه يحصل له بسبب الاساءة مقت الصالحين
فما هو اشد من مقتهم وهو مقت الله وترى ثم تقع في هذا الاسلوب
فيحل موقعه افبعذابنا يستعجلون تبكيت لهم بانكار وتهكم ومعناه
كيف يستعجل العذاب من هو معرض لعذاب يسال فيه من جنس ما هو فيه
اليوم من النظرة والامهال طرفة عين فلا يجاب اليها ويحتمل ان يكون
هذا حكاية توبيخ يوبخون به عند استنظارهم يومئذ ويستعجلون على
هذا الوجه حكاية حال ماضية ووجه اخر متصل بما بعده وذلك ان استعجالهم
بالعذاب انما كان لاعتقادهم انه غير كائن ولا لاحق بهم وانهم ممتعون
باعمار طوال في سلامة وامن فقال عز وعلا افبعذابنا يستعجلون اشرا
وبطرا واستهزاء واتكالا على الامل الطويل ثم قال افرايت ان متعناهم سنين
ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون هب ان الامر
كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم فاذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم
حينئذ ما مضى من طول اعمارهم وطيب معايشهم وعن ميمون بن مهران انه لقي
الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال له عظني فلم يزده على تلاوة

هذه

هذه الاية فقال ميمون لقد وعظت فابلغت وقرى يمتعون بالتخفيف
وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون منذرون رسل ينذرونهم ذكرى منصوبة بمعنى
تذكرة اما لان انذر وذكر متقاربان فكانه قيل مذكرون تذكرة واما لانها
حال من الضمير في منذرون اي ينذرونهم ذوي تذكرة واما لانها مفعول
له على انهم ينذرونهم لاجل الموعظة والتذكرة او مرفوعة على انها خبر مبتدا
محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية او صفة بمعنى منذرون ذوو ذكرى
او جعلوا ذكرى لامعانهم في التذكرة واطنابهم فيها ووجه اخر وهو ان تكون ذكرى
متعلقة باهلكنا مفعولا له والمعنى وما اهلكنا من اهل قرية ظالمين الا بعد
ما الزمناهم الحجة بارسال المنذرين اليهم ليكون اهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم
فلا يعصوا مثل عصيانهم وما كنا ظالمين فنهلك قوما غير ظالمين وهذا الوجه
عليه المعول فان قلت كيف عزلت الواو عن الجملة بعد الا ولم تعزل عنها في قوله
تعالى وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم قلت الاصل عزل الواو لان
الجملة صفة لقرية واذا زيدت فلتاكيد وصل الصفة بالموصوف كما في قوله سبعة وثامنهم
كلبهم وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن
السمع لمعزولون كانوا يقولون ان محمدا كاهن وما يتنزل عليه من جنس ما يتنزل
به الشياطين على الكهنة فكذبوا بان ذلك مما لا يتسهل للشياطين ولا يقدرون
عليه لانهم مرجومون بالشهب معزولون عن استماع كلام اهل السماء وقرا
الحسن الشياطون ووجهه انه راى اخره كاخر يبرين وفلسطين فتخير بين ان
يجري الاعراب على النون وبين ان يجريه على ما قبله فيقول الشياطين والشياطون
كما تخيرت العرب بين ان يقولوا هذه يبرين ويبرون وفلسطون وفلسطين
وحقه ان يشتقه من الشيطوطة وهي الهلاك كما قيل له الباطل وعن الفراء رحمه
الله غلط الشيخ في قراءته الشياطون ظن انها النون التي على هجائين فقال
النضر بن شميل ان جاز ان يحتج بقول العجاج ورؤبة فهلا جاز ان يحتج بقول الحسن
وصاحبه يريد محمد بن السميفع مع انا نعلم انهما لم يقرا به الا وقد سمعا فيه
فلا تدع مع الله الها اخر فتكون من المعذبين قد علم ان ذلك لا يكون ولكنه
اراد ان يحرك منه لازدياد الاخلاص والتقوى وفيه لطف لسائر المكلفين
كما قال ولو تقول علينا بعض الاقاويل فان كنت في شك مما انزلنا اليك وانذر
عشيرتك الاقربين فيه وجهان احدهما ان يومر بانذار الاقرب فالاقرب
من قومه ويبدا في ذلك بمن هو اولى بالبداءة ثم بمن يليه وان يقدم انذارهم
على انذار غيرهم كما روي عنه صلى الله عليه وسلم انه لما دخل مكة قال كل ربوا
في الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين واول ما اضعه ربوا العباس والثاني
ان يومر بان لا ياخذه ما ياخذ القريب للقريب من العطف والرافة ولا يحابيهم
في الانذار والتخويف وروي انه صعد الصفا لما نزلت فنادى الاقرب
فالاقرب فخذا فخذا وقال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد
مناف يا عباس عم النبي يا صفية عمة رسول الله اني لا املك لكم من الله
شيا سلوني من مالي ما شيتم وروي انه جمع بني عبد المطلب وهم يومئذ
اربعون رجلا الرجل منهم ياكل الجذعة ويشرب العس على رجل شاة وقعب
من لبن فاكلوا وشربوا حتى صدروا ثم انذرهم فقال يا بني عبد المطلب
لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم
بين يدي عذاب شديد وروي انه قال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم
يا بني عبد مناف افتدوا انفسكم من النار فاني لا اغني عنكم شيا ثم قال

من قرية

٢ واذا زيدت

٢ اى على جمع السلامة

يا عايشة بنت ابي بكر ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة بنت محمد ويا صفية
عمة محمد اشترين انفسكن من النار فاني لا اغني عنكن شيا واخفض جناحك
لمن اتبعك من المومنين الطاير اذا اراد ان ينحط للوقوع كسر جناحه وخفضه
واذا اراد ان ينهض للطيران رفع جناحه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط
مثلا في التواضع ولين الجانب ومنه قول بعضهم ؞ ؞ ؞
وانت الشهير بخفض الجناح ؞ فلا تك في رفعه اجدلا ؞
ينهاه عن التكبر بعد التواضع فان قلت المتبعون للرسول هم المومنون
والمومنون هم المتبعون للرسول فما معنى قوله لمن اتبعك من المومنين
قلت فيه وجهان ان يسميهم قبل الدخول في الايمان مومنين لمشارفتهم
ذلك وان يريد بالمومنين المصدقين بالسنتهم وهم صنفان صنف صدق
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به وصنف ما وجد منه الا التصديق
فحسب ثم اما ان يكونوا منافقين او فاسقين والمنافق والفاسق لا يخفض
لهما الجناح والمعنى من المومنين من عشيرتك وغيرهم فان عصوك فقل اني
بري مما تعملون يعني انذر قومك فان اتبعوك واطاعوك فاخفض لهم جناحك
فان عصوك ولم يتبعوك فتبرأ منهم ومن اعمالهم من الشرك بالله وغيره
وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين
وتوكل على الله يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم والتوكل تفويض الرجل
امره الى من يملك امره ويقدر على نفعه وضره وقالوا المتوكل من اذا دهمه امر
لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله فعلى هذا اذا وقع الانسان
في محنة ثم سال غيره خلاصه لم يخرج من حد التوكل لانه لم يحاول دفع ما نزل
به عن نفسه بمعصية الله وفي مصاحف اهل المدينة والشام فتوكل وبه
قرا نافع وابن عامر وله محملان في العطف ان يعطف على فقل او فلا تدع على
العزيز الرحيم على الذي يقهر اعداءك بعزته وينصرك عليهم برحمته ثم
اتبع كونه رحيما على رسوله ما هو من اسباب الرحمة وهو ذكر ما كان يفعله
في جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه في تصفح احوال المتهجدين من اصحابه
ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون ويستبطن سرائرهم وكيف يعبدون الله وكيف
يعملون لاخرتهم كما يحكى انه حين نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت
اصحابه لينظر ما يصنعون لحرصه عليهم وعلى ما يوجد منهم من فعل الطاعات
وتكثير الحسنات فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع فيها من دندنتهم بذكر
الله والتلاوة والمراد بالساجدين المصلون وقيل معناه يراك حين
تقوم للصلوة بالناس جماعة وتقلبه في الساجدين تصرفه فيما بينهم بقيامه
وركوعه وسجوده وقعوده اذا امهم وعن مقاتل انه سال ابا حنيفة رحمه
الله هل تجد الصلوة في الجماعة في القران فقال لا يحضرني فتلا هذه الاية
ويحتمل انه لا يخفى عليه حالك كلما قمت وتقلبت مع الساجدين في كفاية امور
الدين انه هو السميع لما تقوله العليم بما تنويه وتعمله وقيل هو تقلب
بصره فيمن يصلي خلفه من قوله عليه السلام اتموا الركوع والسجود فوالله
اني لاراكم من خلف ظهري اذا ركعتم وسجدتم وقرئ ويقلبك هل
انبيكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم هم الكهنة والمتنبئة
كشق وسطيح ومسيلمة وطليحة يلقون السمع هم الشياطين كانوا قبل
ان يحجبوا بالرجم يستمعون الى الملا الاعلى فيختطفون بعض ما يتكلمون
به مما اطلعوا عليه من الغيوب ثم يوحون به الى اوليايهم من اوليك ؞

واكثرهم

واكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم لانهم يسمعونهم ما لم يسمعوا وقيل
يلقون الى اوليايهم السمع اي المسموع من الملايكة وقيل الافاكون يلقون
السمع الى الشياطين فيتلقون وحيهم اليهم او يلقون المسموع من الشياطين
الى الناس واكثر الافاكين كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا اليهم
وترى اكثر ما يحكون به باطلا وزورا وفي الحديث الكلمة يختطفها الجني فيقرها
في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من ماية كذبة والقر الصب فان قلت
كيف دخل حرف الجر على من المتضمنة لمعنى الاستفهام والاستفهام له صدر الكلام
الا ترى الى قولك اعلى زيد مررت ولا تقول على ازيد مررت قلت ليس
معنى التضمن ان الاسم دل على معنيين معا معنى الاسم ومعنى الحرف وانما معناه
ان الاصل امن فحذف حرف الاستفهام واستمر الاستعمال على حذفه كما حذف
من هل والاصل اهل قال ؞ اهل راونا بسفح القاع ذي الاكم ؞
فاذا ادخلت حرف الجر على من فقدر الهمزة قبل حرف الجر في ضميرك كانك تقول
اعلى من تنزل الشياطين كقولك اعلى زيد مررت فان قلت يلقون
ما محله قلت يجوز ان يكون في محل النصب على الحال اي تنزل ملقين
السمع وفي محل الجر صفة لكل افاك لانه في معنى الجمع وان لا يكون له محل بان
يستانف كان قايلا يقول لم تنزل على الافاكين فقيل يفعلون كيت وكيت
فان قلت كيف قيل واكثرهم كاذبون بعد ما قضي عليهم ان كل واحد
منهم افاك قلت الافاكون هم الذين يكثرون الافك ولا يدل ذلك
على انهم لا ينطقون الا بالافك فاراد ان هولاء الافاكين قل من يصدق منهم
فيما يحكي عن الجني واكثرهم مفتر عليه فان قلت وانه لتنزيل رب العالمين
وما تنزلت به الشياطين هل انبيكم على من تنزل الشياطين لم فرق بينهن
وهن اخوات قلت اريد التفريق بينهن بايات ليست في معناهن ليرجع
الى المجي بهن وتطرية ذكر ما فيهن كرة بعد كرة فيدل بذلك على ان المعنى الذي
نزلت فيه من المعاني التي اشتدت كراهة الله لخلافها ومثاله ان يحدث الرجل بحديث
وفي صدره اهتمام بشيء منه وفضل عناية فتراه يعيد ذكره ولا ينفك عن
الرجوع اليه والشعراء مبتدا ويتبعهم الغاوون خبره ومعناه انهم
لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وفضول قولهم وما هم عليه من الهجا وتمزيق
الاعراض والقدح في الانساب والنسيب بالحرم والغزل والابتهار ومدح
من لا يستحق المدح ولا يستحسن ذلك منهم ولا يطرب على قولهم الا الغاوون
والسفهاء والشطار وقيل الغاوون الراوون وقيل الشياطين وقيل
هم شعراء قريش عبد الله بن الزبعري وهبيرة بن ابي وهب المخزومي ومسافع
ابن عبد مناف وابو عزة الجمحي ومن ثقيف امية بن ابي الصلت قالوا نحن
نقول مثل قول محمد وكانوا يهجونه ويجتمع اليهم الاعراب من قومهم يستمعون
اشعارهم واهاجيهم وقرا عيسى بن عمر والشعراء بالنصب على اضمار فعل
يفسره الظاهر قال ابو عبيد كان الغالب عليه حب النصب قرا حمالة الحطب
والسارق والسارقة وسورة انزلناها وقرئ يتبعهم على التخفيف ويتبعهم
بسكون العين تشبيها لبعه بعضد الم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون — اي من يتبعهم
ما لا يفعلون ذكر الوادي والهيوم فيه تمثيل لذهابهم في كل شعب من
القول واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو في المنطق ومجاوزة حد القصد
فيه حتى يفضلوا الناس على عنترة واشحهم على حاتم وان يبهتوا البري — ٧ اجبن
ويفسقوا التقي وعن الفرزدق ان سليمان بن عبد الملك سمع قوله

۞ فبتن بجانبي مصرعات ۞ وبت افض اغلاق الختام ۞
فقال قد وجب عليك الحد فقال لها امير المومنين قد درا الله عني الحد
بقوله وانهم يقولون ما لا يفعلون الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا استثنى الشعراء المومنين
الصالحين الذين يكثرون ذكر الله وتلاوة القران وكان ذلك اغلب عليهم
من الشعر واذا قالوا شعرا قالوه في توحيد الله والثناء عليه والحكمة والموعظة
والزهد والاداب الحسنة ومدح رسول الله والصحابة وصلحاء الامة
وما لا باس به من المعاني التي لا يتلطخون فيها بذنب ولا يتلبسون بشائنة
ولا منقصة وكان هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم قال الله تعالى
لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وذلك من غير اعتداء ولا زيادة
على ما هو جواب لقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى
عليكم وعن عمرو بن عبيد رحمه الله ان رجلا من العلويين قال له ان صدري ليجيش
بالشعر فقال فما يمنعك منه فيما لا باس به والقول فيه ان الشعر باب من الكلام
فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام وقيل المراد بالمستثنين
عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبان كعب بن مالك وكعب
بن زهير والذين كانوا ينافحون عن رسول الله ويكافحون هجاة قريش
وعن كعب ابن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذي
نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس
معك ختم السورة بآية ناطقة بما لا شيء اهيب منه واهول ولا انكى لقلوب
المتاملين ولا اصدع لاكباد المتدبرين وذلك قوله وسيعلم وما فيه
من الوعيد البليغ وقوله الذين ظلموا واطلاقه وقوله اي منقلب
ينقلبون وابهامه ولقد تلاها ابو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد
اليه وكان السلف الصالح يتواعظون بها ويتناذرون شدتها وتفسير
الظلم بالكفر تعليل ولان تخاف فتبلغ الامن خير من ان تامن فتبلغ الخوف
وقرا ابن عباس اي منفلت ينفلتون ومعناها ان الذين ظلموا يطمعون
ان ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه
الانفلات وهو النجاة اللهم اجعلنا ممن جعل هذه الاية بين عينيه
فلم يغفل عنها وعلم ان من عمل سيئة فهو من الذين ظلموا قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد
من صدق بنوح وكذب به وهود وشعيب وصالح وابراهيم وبعدد
من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلى الله عليهم اجمعين
سورة النمل مكية وهي ثلاث وتسعون اية وقيل اربع وتسعون اية
۞ بسم الله الرحمن الرحيم ۞
طس تلك ايات القران وكتاب مبين طس قرئ بالتفخيم والامالة وتلك
اشارة الى ايات السورة والكتاب المبين اما اللوح وابانته انه قد خط
فيه كل ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه ابانة واما السورة واما القران
وابانتهما انهما يبينان ما اودعاه من العلوم والحكم والشرائع وان اعجازهما
ظاهر مكشوف واضافة الايات الى القران والكتاب المبين على سبيل
التفخيم لها والتعظيم لان المضاف الى العظيم يعظم بالاضافة اليه فان
قلت لم نكر الكتاب المبين قلت ليبهم بالتنكير فيكون افخم
له كقوله تعالى في مقعد صدق عند مليك مقتدر فان قلت

قال له
فان

والله اعلم بالصواب

لحديث موضوع

ما وجه عطفه

ما وجه عطفه على القران اذا اريد به القران قلت كما تعطف احدى
الصفتين على الاخرى في نحو قولك هذا فعل السخي والجواد الكريم لان
القران هو المنزل المبارك المصدق لما بين يديه فكان حكمه حكم الصفات
المستقلة بالمدح فكانه قيل تلك الايات ايات المنزل المبارك واي كتاب مبين
وقراء ابن ابي عبلة وكتاب مبين بالرفع على تقدير وايات كتاب مبين فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فان قلت ما الفرق بين هذا وبين
قوله الر تلك ايات الكتاب وقران مبين قلت لا فرق بينهما الا ما بين
المعطوف والمعطوف عليه من التقدم والتاخر وذلك على ضربين ضرب جار
مجرى التثنية لا يترجح فيه جانب على جانب وضرب فيه تترجح فالاول نحو
قوله وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا ومنه ما نحن بصدده والثاني نحو قوله
شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم هدى وبشرى في محل
النصب او الرفع فالنصب على الحال اي هادية ومبشرة والعامل فيها ما في تلك
من معنى الاشارة والرفع على ثلاثة اوجه على هي هدى وبشرى وعلى البدل
من الايات وعلى ان يكون خبرا بعد خبر اي جمعت انها ايات وانها هدى
وبشرى والمعنى في كونها هدى للمومنين انها زايدة في هداهم قال الله تعالى
فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا الذين يقيمون الصلوة ويوتون الزكوة وهم
بالاخرة هم يوقنون فان قلت وهم بالاخرة هم يوقنون كيف يتصل
بما قبله قلت يحتمل ان يكون من جملة صلة الموصول ويحتمل ان تتم الصلة
عنده ويكون جملة اعتراضية كانه قيل وهولاء الذين يومنون ويعملون
الصالحات من اقامة الصلوة وايتاء الزكوة هم الموقنون بالاخرة وهو
الوجه ويدل عليه انه عقد جملة ابتدائية وكرر فيها المبتدا الذي هو هم
حتى صار معناها وما يوقن بالاخرة حق الايقان الا هولاء الجامعون بين
الايمان والعمل الصالح لان خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق ان الذين لا يومنون
بالاخرة زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون فان قلت كيف اسند تزيين
اعمالهم الى ذاته وقد اسنده الى الشيطان في قوله وزين لهم الشيطان
اعمالهم قلت بين الاسنادين فرق وذلك ان اسناده الى الشيطان
حقيقة واسناده الى الله مجاز وله طريقان في علم البيان احدهما ان يكون
من المجاز الذي يسمى الاستعارة والثاني ان يكون من المجاز الحكمي فالطريق
الاول انه لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق وجعلوا انعام الله بذلك
عليهم واحسانه اليهم ذريعة الى اتباع شهواتهم وبطرهم وايثارهم الروح
والترفه ونفارهم عما تلزمهم فيه التكاليف الصعبة والمشاق المتعبة
فكانه زين لهم بذلك اعمالهم واليه اشارة الملائكة عليهم السلام في قولهم
ولكن متعتهم واباءهم حتى نسوا الذكر والطريق الثاني ان امهاله الشيطان
وتخليته حتى يزين لهم ملابسة ظاهرة للتزيين فاسند اليه لان المجاز الحكمي
يصححه بعض الملابسات وقيل هي اعمال الخير التي وجب عليهم ان يعملوها
زينها لهم الله فعمهوا عنها وضلوا ويعزى الى الحسن والعمه التحير والتردد
كما تكون حال الضال عن الطريق وعن بعض الاعراب انه دخل السوق وما
ابصرها قط فقال رايت الناس عمهين اراد مترددين في اعمالهم واشغالهم
اولئك الذين لهم سوء العذاب القتل والاسر يوم بدر وهم في الاخرة هم الاخسرون
والاخسرون اشد الناس خسرانا لانهم لو امنوا لكانوا من الشهداء على جميع الامم
فخسروا ذلك مع خسران النجاة وثواب الله وانك لتلقى القران لتوتاه

بتخبر وا تيكم

وتلقنه من لدن حكيم عليم من عند اي حكيم واي عليم وهذا معنى مجيئهما
نكرتين وهذه الاية بساط وتمهيد لما يريد ان يسوق بعدها من الاقاصيص
وما في ذلك من لطايف حكمته ودقايق علمه اذ قال موسى لاهله اني انست
نارا سا تيكم منها بخبر او اتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون اذ منصوب بفعل مضمر
وهو اذكر كانه قال على اثر ذلك خذ من اثار حكمته وعلمه قصة موسى ويجوز
ان ينتصب بعليم روي انه لم يكن مع موسى عليه السلام غير امراته وقد كنى
الله عنها بالاهل فتبع ذلك ورود الخطاب على لفظ الجمع وهو قوله امكثوا
الشهاب الشعلة والقبس النار المقبوسة واضاف الشهاب الى القبس لانه يكون
قبسا وغير قبس ومن قرا بالتنوين جعل القبس بدلا او صفة لما فيه معنى
القبس والخبر ما يخبر به عن حال الطريق لانه كان قد ضله فان قلت
سا تيكم منها بخبر ولعلي اتيكم منها بخبر كالمتدافعين لان احدهما ترج والاخر
تيقن قلت قد يقول الراجي اذا قوي رجاوه سافعل كذا وسيكون كذا مع
تجويزه الخيبة فان قلت كيف جاء بسين التسويف قلت
عدة لاهله انه ياتيهم به وان ابطا او كانت المسافة بعيدة فان قلت
فلم جاء باو دون الواو قلت بنى الرجاء على انه ان لم يظفر بحاجتيه
جميعا لم يعدم واحدة منهما اما هداية الطريق واما اقتباس النار ثقة
بعادة الله انه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده وما ادراه حين قال ذلك
انه ظافر على النار بحاجتيه الكليتين جميعا وهما العزان عز الدنيا وعز الاخرة
فلما جاءها نودي ان بورك من في النار ومن حولها ان هي المفسرة لان النداء
فيه معنى القول والمعنى قيل له بورك فان قلت هل يجوز ان تكون
المخففة من الثقيلة وتقديره نودي بانه بورك والضمير ضمير الشان
قلت لا لانه لا بد من قد فان قلت فعلى اضمارها قلت لا يصح
لانها علامة لا تحذف ومعنى بورك من في النار ومن حولها بورك من في مكان
النار ومن حول مكانها ومكانها البقعة التي حصلت فيها وهي البقعة المباركة
المذكورة في قوله تعالى نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة وتدل
عليه قراءة ابي تباركت الارض ومن حولها وعنه بوركت النار والذي بوركت
له البقعة وبورك من فيها وحواليها حدوث امر ديني فيها وهو تكليم الله موسى
واستنباوه له واظهار المعجزات عليه ورب خير يتجدد في بعض البقاع
فينشر الله بركة ذلك الخير في اقاصيها ويبث اثار يمنه في اباعدها فكيف
بمثل ذلك الامر العظيم الذي جرى في تلك البقعة وقيل المراد بالمبارك
فيهم موسى والملايكة الحاضرون والظاهر انه عام في كل من كان في تلك
الارض وفي ذلك الوادي وحواليهما من ارض الشام ولقد جعل الله ارض
الشام بالبركات موسومة في قوله ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها
للعالمين وحقت ان تكون كذلك فهي مبعث الانبياء صلوات الله عليهم
ومهبط الوحي اليهم وكفاتهم احياء وامواتا فان قلت فما معنى ابتداء
الله خطاب موسى بذلك عند مجيئه قلت هي بشارة له بانه قد قضي
امر عظيم تنتشر منه في ارض الشام كلها البركة وسبحان الله رب العالمين
تعجيب لموسى من ذلك وايذان بان ذلك الامر مريده ومكونه رب العالمين
تنبيها على ان الكاين من جلايل الامور وعظايم الشوون يا موسى انه انا الله
العزيز الحكيم الهاء في انه يجوز ان تكون ضمير الشان والشان انا الله مبتدا
وخبر والعزيز الحكيم صفتان للخبر وان يكون راجعا الى ما دل عليه

ماقبله

ما قبله يعني ان مكلمك انا والله بيان لانا والعزيز الحكيم صفتان
للمبين وهذا تمهيد لما اراد ان يظهره على يده من المعجزة يريد انا القوي القادر
على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما افعله بحكمة وتدبير
فان قلت علام عطف قوله والق عصاك قلت على بورك لان المعنى
نودي ان بورك من في النار وان الق عصاك كلاهما تفسير لنودي والمعنى قيل
له بورك من في النار وقيل له الق عصاك والدليل على ذلك قوله عز من قايل
وان الق عصاك بعد قوله ان يا موسى اني انا الله على تكرير حرف التفسير كما
تقول كتبت اليك ان حج وان اعتمر وان شيت ان حج واعتمر فلما راها تهتز كانها
جان ولى مدبرا قرا الحسن جان على لغة من يجد في الهرب من التقاء الساكنين
فيقول شابة ودابة ومنها قراءة عمرو بن عبيد ولا الضالين ولم يعقب
لم يرجع يقال عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار قال
فما عقبوا اذ قيل هل من معقب ولا نزلوا يوم الكريهة منزلا
وانما رعب لظنه ان ذلك لامر اريد به ويدل عليه يا موسى لا تخف اني لا يخاف
لدي المرسلون الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم والا في قوله
بمعنى لكن لانه لما اطلق نفي الخوف عن الرسل كان ذلك مظنة لطرو الشبهة
فاستدرك ذلك والمعنى ولكن من ظلم منهم اي فرطت منه صغيرة مما يجوز
على الانبياء كالذي فرط من ادم ويونس وداود وسليمان واخوة يوسف
ومن موسى عليه السلام بوكزه القبطي ويوشك ان يقصد بهذا التعريض
بما وجد من موسى وهو من التعريضات التي يلطف ماخذها وسماه ظلما كما
قال موسى رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي والحسن والسوء حسن التوبة وقبح
الذنب وقرئ الا من ظلم بحرف التنبيه وعن ابي عمرو في رواية عصمة حسنا
وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع ايات في تسع ايات
كلام مستانف وحرف الجر فيه يتعلق بمحذوف والمعنى اذهب في تسع ايات
الى فرعون وملايه ونحوه فقلت الى الطعام فقال منهم فريق نحسد الانس الطعاما
ويجوز ان يكون المعنى والق عصاك وادخل يدك في تسع ايات اي في جملة تسع
ايات وعدادهن ولقايل ان يقول كانت الايات احدى عشرة ثنتان منها
اليد والعصا والتسع الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع
والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم انهم كانوا
قوما فاسقين فلما جاءتهم اياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين المبصرة الظاهرة
البينة جعل الابصار لها وهو في الحقيقة لمتامليها لانهم لابسوها وكانوا بسبب
منها بنظرهم وتفكرهم فيها ويجوز ان يراد بحقيقة الابصار كل ناظر فيها
من كافة اولي العقل وان يراد ابصار فرعون وملايه لقوله واستيقنتها
انفسهم او جعلت كانها تبصر فتهدي لان العمي لا تقدر على الاهتداء
فضلا ان تهدي غيرها ومنه قولهم كلمة عيناء وكلمة عوراء لان الكلمة
الحسنة ترشد والسيئة تغوي ومنه قوله تعالى لقد علمت ما انزل هولاء
الا رب السموات والارض بصاير فوصفها بالبصارة كما وصفها بالابصار
وقرا علي بن الحسين وقتادة مبصرة وهي نحو مجبنة ومبخلة ومجفرة
اي مكانا يكثر فيه التبصر وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا
الواو في واستيقنتها واو الحال وقد بعدها مضمرة والعلو الكبر والترفع
عن الايمان بما جاء به موسى كقوله فاستكبروا وكانوا قوما عالين فقالوا انومن
لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون وقرئ عليا بالضم والكسر كما قرئ عتيا

وفايدة ذكرا لانفس انهم جحدوها بالسنتهم واستيقنوها في قلوبهم وضمايرهم
والاستيقان ابلغ من الايقان وقد قوبل بين المبصرة والمبين واي ظلم افحش
من ظلم من اعتقد واستيقن انها ايات بينة واضحة جاءت من عند الله ثم كابر
بتسميتها سحرا بينا مكشوفا ولا شبهة فيه فانظر كيف كان عاقبة المفسدين
ولقد اتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده
المومنين علما طايفة من العلم او علما سنيا عزيزا فان قلت اليس هذا موضع
الفاء دون الواو كقولك اعطيته فشكر ومنعته فصبر قلت بلي ولكن
عطفه بالواو اشعار بان ما لاقاه بعض ما احدث فيهما ايتاء العلم وشيء من
مواجبه فاضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كانه قال ولقد اتيناهما علما فعملا
به وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة وقالا الحمد لله الذي فضلنا والكثير المفضل
عليه من لم يوت علما او من لم يوت مثل علمهما وفيه انهما فضلا على كثير وفضل
عليهما كثير وفي الاية دليل على شرف العلم وانافة محله وتقدم حملته واهله
وان نعمة العلم من اجل النعم واجزل القسم وان من اوتيه فقد اوتي فضلا
على كثير من عباد الله كما قال والذين اوتوا العلم درجات وما سماهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ورثة الانبياء الا لمداناتهم لهم في الشرف والمنزلة
لانهم القوام بما بعثوا من اجله وفيها انه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة لوازم
منها ان يحمدوا الله على ما اوتوه من فضلهم على غيرهم ومنها التذكير بالتواضع
وان يعتقد العالم انه وان فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم وما احسن قول
عمر كل الناس افقه من عمر وورث سليمان داود وقال يا ايها الناس علمنا منطق
الطير واوتينا من كل شيء ورث منه النبوة والملك دون ساير بنيه وكانوا
تسعة عشر وكان داود اكثر تعبدا وسليمان اقضى واشكر لنعمة الله وقال
يا ايها الناس تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها واعترافا بمكانها ودعاء للناس
الى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير وغير ذلك مما اوتيه من عظايم
الامور والمنطق كل ما يصوت به من المفرد والمولف المفيد وغير المفيد وقد
ترجم يعقوب كتابه باصلاح المنطق وما اصلح فيه الا مفردات الكلم وقالت
العرب نطقت الحمامة وكل صنف من الطير يتفاهم اصواته والذي علمه
سليمان من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه واغراضه وحكى
انه مر على بلبل في شجرة يحرك راسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون ما يقول
قالوا الله ونبيه اعلم قال يقول اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت
فاختة فاخبر انها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاووس فقال يقول
كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبين وصاح
طيطوى فقال يقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال يقول
قدموا خيرا تجدوه وصاحت رخمة فقال تقول سبحان ربي الاعلى ملء سمايه
وارضه وصاح قمري فاخبر انه يقول سبحان ربي الاعلى وقال الحداء تقول
كل شيء هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والببغاء تقول ويل لمن الدنيا
همه والديك يقول اذكروا الله يا غافلين والنسر يقول يا ابن ادم عش ما شيت
فاخرك الموت والعقاب يقول في البعد من الناس انس والضفدع يقول
سبحان ربي القدوس واراد بقوله من كل شيء كثرة ما اوتي كما تقول فلان يقصده
كل احد ويعلم كل شيء تريد كثرة قصاده ورجوعه الى غزارة في العلم واستكثار
منه ومثله قوله واوتيت من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين قول وارد
على سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد

ادم

ادم ولا فخر اي اقول هذا القول شكرا ولا اقوله فخرا فان قلت كيف قال
علمنا واوتينا وهو من كلام المتكبرين قلت فيه وجهان احدهما ان يريد
نفسه واباه والثاني ان هذه النون يقال لها نون الواحد المطاع وكان ملكا
مطاعا فكلم اهل طاعته على صفته وحاله التي كان عليها وليس التكبر من لوازم
ذلك وقد يتعلق بتجمل الملك وتفخيمه واظهار آيينه وسياسته مصالح فيعود
تكلف ذلك واجبا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل نحوا من ذلك
اذا وفد عليه وفد واحتاج ان يرجح في عين عدو الا ترى كيف امر العباس بان
يحبس ابا سفيان حتى تمر عليه الكتايب وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس
والطير فهم يوزعون روي ان معسكره كان ماية فرسخ في ماية خمسة وعشرون
للجن وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش
وكان له الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثماية منكوحة وسبعماية سرية
وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا في فرسخ وكان يوضع منبره
في وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستماية كرسي من ذهب وفضة
فيقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس
وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا يقع عليه الشمس
وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى انه كان يامر الريح العاصف
العاصف بحمله ويامر الرخاء تسيره فاوحى الله اليه وهو يسير بين السماء والارض
اني قد زدت في ملكك لا يتكلم احد بشيء الا القته الريح في سمعك فيحكى انه مر
بحراث فقال لقد اوتي ال داود ملكا عظيما فالقته الريح في اذنه فنزل ومشى
الى الحراث وقال انما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة
واحدة يقبلها الله خير مما اوتي ال داود يوزعون يحبس اولهم على اخرهم اي توقف
سلاف العسكر حتى تلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم احد وذلك
للكثرة العظيمة حتى اذا اتوا على وادي النمل قيل هو واد بالشام كثير النمل
فان قلت لم عدي اتوا بعلى قلت يتوجه على معنيين احدهما
ان اتيانهم كان من فوق فاتي بحرف الاستعلاء كما قال ابو الطيب
ولشد ما قربت عليك الانجم لما كان قربا من فوق والثاني ان
يراد قطع الوادي وبلوغ اخره من قولهم اتى على الشيء اذا انفده وبلغ اخره
كانهم ارادوا ان ينزلوا عند منقطع الوادي لانهم ما دامت الريح تحملهم في الهواء
لا يخاف حطمهم قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده
وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك
التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه وادخلني برحمتك
في عبادك الصالحين نملة يا ايها النمل بضم الميم وبضم النون والميم وكان
الاصل النمل بوزن الرجل والنمل الذي عليه الاستعمال تخفيف عنه كقولهم
السبع في السبع قيل كانت تمشي وهي عرجاء تتكاوس فنادت يا ايها
النمل الاية فسمع سليمان كلامها من ثلاثة اميال وقيل كانت اسمها
طاخية وعن قتادة انه دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوا عما شيتم
وكان ابو حنيفة رحمة الله عليه حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن
نملة سليمان اكانت ذكرا ام انثى فسالوه فافحم فقال ابو حنيفة رحمه الله
كانت انثى فقيل له من اين عرفت فقال من كتاب الله وهو قوله قالت
نملة ولو كان ذكرا لقال قال نملة وذلك ان النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها
على الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة انثى وهو

وعلماه

ابن السكيت

الف

وفي

وهي وقري مسكنكم ولايحطمنكم بتخفيف النون وقري لايحطمنكم بفتح الحا وكسرها
واصله يختطمنكم ولما جعلها قايلة والنمل مقولا لهم كما يكون في اولي العقل اجري
خطابهم مجري خطابهم فان قلت لايحطمنكم ماهو قلت يحتمل ان يكون
جوابا للامر وان يكون نهيا بدلا من الامر والذي جوز ان يكون بدلا منه انه في معني
لاتكونوا حيث انتم فيحطمنكم علي طريقة لاارينك هاهنا اراد لايحطمنكم جنود
سليمان فجا بما هو ابلغ ونحوه عجبت من نفسي ومن اشفاقها ومعني تبسم ضاحكا
تبسم شارعا في الضحك واخذا فيه يعني انه قد تجاوز حد التبسم الي الضحك وكذلك
ضحك الانبيا واما ما روي ان رسول الله صلي الله عليه وسلم ضحك حتي بدت
نواجذه فالغرض المبالغة في وصف ما وجد منه من الضحك النبوي والا فبدو
النواجذ علي الحقيقة انما يكون عند الاستغراب وقرا ابن السميفع ضحكا فان
قلت ما اضحكه من قولها قلت شيان اعجابه بما دل من قولها علي
ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم وعلي شهرة حاله وحالهم في باب التقوي
وذلك قولها وهم لايشعرون يعني انهم لو شعروا لم يفعلوا وسروره بما اتاه الله
مما لم يوت احدا من ادراكه بسمعه ما همس به بعض الحكل الذي هو مثل في الصغر
والقلة ومن احاطته بمعناه ولذلك اشتمل دعاوه علي استيزاع الله شكر ما انعم
به عليه من ذلك وعلي استيفاقه لزيادة العمل الصالح والتقوي وحقيقة اوزعني
اجعلني ازع شكر نعمتك عندي واكفه وارتبطه لاينفلت عني حتي لاانفك شاكرا
لك وانما ادرج ذكر والديه لان النعمة علي الولد نعمة علي الوالدين خصوصا النعمة
الراجعة الي الدين فانه اذا كان تقيا نفعهما بدعايه وشفاعته وبدعا المومنين
لهما كلما دعوا له وقالوا رضي الله عنك وعن والديك وروي ان النملة احست
بصوت الجنود ولاتعلم انهم في الهوا فامر سليمان عليه السلام الريح فوقفت لئلا
يذعرن حتي دخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة ومعني وادخلني برحمتك في عبادك
الصالحين واجعلني من اهل الجنة وتفقد الطير فقال مالي لا اري الهدهد
ام كان من الغايبين لاعذبنه عذابا شديدا اولاذبحنه اوليا تيني بسلطان
مبين ام هي المنقطعة نظر الي مكان الهدهد فلم يبصره فقال مالي لا اراه علي
معني انه لايراه وهو حاضر لساتر ستره او غير ذلك ثم لاح له انه غايب فاضرب
عن ذلك واخذ يقول اهو غايب كانه يسال عن صحة مالاح له ونحوه قولهم
انها لابل ام شاء وذكر من قصة الهدهد ان سليمان حين تم له بناء بيت المقدس
تجهز للحج بحشره اي بحشوره فوافي الحرم واقام به ما شاء وكان يقرب كل يوم طول
مقامه بخمسة الاف ناقة وخمسة الاف بقرة وعشرين الف شاة ثم عزم علي السير
الي اليمن فخرج من مكة صباحا يوم سهيلا فوافي صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة
شهر فراي ارضا حسنا اعجبته خضرتها فنزل ليتغدي ويصلي فلم يجدوا الماء
وكان الهدهد قنا قنه وكان يري الماء من تحت الارض كما يري الماء في الزجاجة
فتجي الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الاهاب ويستخرجون الماء فتفقده لذلك
وحين نزل سليمان حلق الهدهد فراي هدهدا واقفا فانحط اليه فوصف
له ملك سليمان وما سخر له من كل شي وذكر له صاحبه ملك بلقيس وان تحت
يدها اثني عشر الف قايد تحت يد كل قايد مائة الف وذهب معه لينظر
فما رجع الا بعد العصر وذكر انه وقعت نفحة من الشمس علي راس سليمان
فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فساله عنه
فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب علي به فارتفعت
فنظرت الي السماء فاذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله وقال بحق الله

شنا رعا

لحكل الذي لاصوت له

الدليل في حفر القنا

الذي

الذي قواك واقدرك علي الا رحمتني فتركته وقال ثكلتك امك ان نبي الله
حلف ليعذبنك قال وما استثني قالت بلي اوليا تيني بعذر مبين فلما قرب
من سليمان ارخي ذنبه وجناحيه يجرها علي الارض تواضعا له فلما دني منه
اخذ براسه فمده اليه فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فارتعد
سليمان وعفا عنه ثم ساله تعذيبه ان يوذب بما يحتمله حاله ليعتبر به ابنا
جنسه وقيل كان عذاب سليمان للطير ان ينتف ريشه ويشمسه وقيل
ان يطلي بالقطران ويشمس وقيل ان يلقي للنمل تاكله وقيل ايداعه القفص
وقيل التفريق بينه وبين الفه وقيل لالزمنه صحبة الاضداد
وعن بعضهم اضيق السجون معاشرة الاضداد وقيل لالزمنه خدمة
اقرانه فان قلت من اين حل له تعذيب الهدهد قلت يجوز ان يبيح
الله له ذلك لما راي فيه من المصلحة والمنفعة كما اباح ذبح البهايم والطيور
للاكل وغيره من المنافع واذا سخر له الطير ولم يتم ما سخر من اجله الا بالتاديب
والسياسة جاز ان يباح له ما يستصلح وقري ليا تينني وليا تيني والسلطان
الحجة والعذر فان قلت قد حلف علي احد ثلاثة اشيا فحلفه علي
فعليه لامقال فيه ولكن كيف صح حلفه علي فعل الهدهد ومن اين دري انه
ياتي بسلطان حتي يقول والله لياتيني بسلطان قلت لما نظم الثلاثة
باو في الحكم الذي هو الحلف ال كلامه الي قولك ليكونن احد الامور يعني ان
كان الاتيان بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وان لم يكن كان احدهما وليس
في هذا ادعاء دراية علي انه يجوز ان يتعقب حلفه بالفعلين وحي من الله بانه
سياتيه بسلطان مبين فثلث بقوله اوليا تيني بسلطان مبين عن دراية
وايقان فمكث قري بفتح الكاف وضمها غير بعيد غير زمان بعيد كقولك
عن قريب ووصف مكثه بقصر المدة للدلالة علي اسراعه خوفا من سليمان وليعلم
كيف كان الطير مسخرا له ولبيان ما اعطي من المعجزة الدالة علي نبوته وعلي قدرة
الله عز وجل فقال احطت بما لم تحط به احطت بادغام الطا في التا باطباق
وبغير اطباق الهم الله الهدهد فكافح سليمان بهذا الكلام علي ما اوتي من فضل
النبوة والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له في علمه
وتنبيها علي ان في ادني خلقه واضعفه من احاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه
نفسه ويتصاغر اليه علمه ويكون لطفا له في ترك الاعجاب الذي هو فتنة
العلماء واعظم بها فتنة والاحاطة بالشي علما ان يعلم من جميع جهاته لايخفي
منه معلوم قالوا وفيه دليل علي بطلان قول الرافضة ان الامام لايخفي عليه
شي ولايكون في زمانه احد اعلم منه وجيتك من سبا بنبا يقين سبا
قري بالصرف ومنعه وقد روي بسكون الباء وعن ابن كثير في رواية سبا
بالالف كقولهم ذهبوا ايدي سبا وهو سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان
فمن جعله اسما للقبيلة لم يصرف ومن جعله اسما للحي او الاب الاكبر صرف
قال من سبا الحاضرين مارب اذ يبنون من دون سيله العرما
وقال الواردون وتيم في ذري سبا قد عض اعناقهم جلد الجواميس
ثم سميت مدينة مارب بسبا وبينها وبين صنعا مسيرة ثلاث كما سميت
معافر بمعافر بن اد ويحتمل ان تراد المدينة والقوم والنبا الخبر الذي له شان
وقوله من سبا بنبا من جنس الكلام الذي سماه المحدثون البديع وهو من محاسن الكلام
التي تتعلق باللفظ بشرط ان يجي مطبوعا او يصنعه عالم بجوهر الكلام يحفظ
معه صحة المعني وسداده ولقد جاء هاهنا زايدا علي الصحة فحسن وبدع

لفظا ومعنى الا ترى انه لو وضع مكان بنبا بخبر لكان المعنى صحيحا وهو كما جاء
اصح لما في النبا من الزيادة التي يطابقها وصف الحال اني وجدت امراة تملكهم
واوتيت من كل شي ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من
دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون
المراة بلقيس بنت شراحيل وكان ابوها ملك ارض اليمن كلها وقد ولده اربعون
ملكا ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك وكانت هي وقومها مجوسا يعبدون
الشمس والضمير في تملكهم راجع الى سبا فان اريد به القوم فالامر ظاهر وان
اريدت المدينة فمعناه تملك اهلها وقيل في وصف عرشها كان ثمانين
ذراعا في ثمانين وسمكه ثمانين وقيل ثلاثين مكان ثمانين وكان من ذهب
وفضة مكللا بانواع الجواهر وكانت قوايمه من ياقوت احمر واخضر ودر وزمرد
وعليه سبعة ابيات على كل بيت باب مغلق فان قلت كيف استعظم عرشها
مع ما كان يرى من ملك سليمان قلت يجوز ان يستصغر حالها الى حال سليمان
فاستعظم لها ذلك العرش ويجوز ان لا يكون لسليمان مثله وان عظمت مملكته في كل
شي كما يكون لبعض امراء الاطراف شي لا يكون مثله للملك الذي يملك عليهم
امرهم ويستخدمهم ومن نوكى القصاص من يقف على قوله ولها عرش ثم يبتدي
عظيم وجدتها يريد امر عظيم ان وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون
الله فر من استعظام الهدهد عرشها فوقع في عظيمة وهي نسخ كتاب الله فان
قلت كيف قال واوتيت من كل شي مع قول سليمان واوتينا من كل شي
كانه سوى بينهما قلت بينهما فرق بين لان سليمان عطف قوله على ما هو
معجزة من الله وهو تعليم منطق الطير فرجع اولا الى ما اوتي من النبوة والحكمة
واسباب الدين ثم الى الملك واسباب الدنيا صح ٩ وعطفه الهدهد على الملك فلم يرد الا ما اوتيت من اسباب
الدنيا اللايقة بحالها فبين الكلامين بون بعيد فان قلت كيف خفي على
سليمان مكانها وكانت المسافة بين محطه وبين بلدها قريبة وهي مسيرة
ثلاث بين صنعا ومارب قلت لعل الله عز وجل اخفى عنه ذلك لمصلحة
راها كما اخفى مكان يوسف على يعقوب عليهما السلام فان قلت من اين للهدهد
التهدي الى معرفة الله ووجوب السجود له وانكار سجودهم للشمس واضافته
الى الشيطان وتزيينه قلت لا يبعد ان يلهمه الله ذلك كما الهم غيره من
الطيور وساير الحيوان المعارف اللطيفة التي لا يكاد العقلاء الرجاح العقول
يهتدون لها ومن اراد استقرا ذلك فعليه بكتاب الحيوان خصوصا في زمن
نبي سخرت له الطيور وعلم منطقها وجعل ذلك معجزة له الا يسجدوا لله من
قرا بالتشديد اراد فصدهم عن السبيل لان لا يسجدوا فحذف الجار مع ان
ويجوز ان تكون لا مزيدة ويكون المعنى فهم لا يهتدون الى ان يسجدوا
ومن قرى بالتخفيف الا يا اسجدوا فالا للتنبيه ويا حرف النداء ومناداه محذوف
كما حذفه من قال ⁂ الا يا اسلمي يا دارمي على البلى ⁂ وفي حرف
عبد الله وهي قراة الاعمش هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء وعن عبد الله هلا
تسجدوا بمعنى الا تسجدون على الخطاب الذي يخرج الخبا في السموات والارض
ويعلم ما يسرون وما يعلنون وفي قراة ابي الا تسجدون لله الذي يخرج
الخبء من السماء والارض ويعلم سركم وما تعلنون وسمي المخبو بالمصدر
وهو النبات والمطر وغيرهما مما خباه عز وعلا من غيوبه وقرى الخب
على تخفيف الهمزة بالحذف والخبا على تخفيفها بالقلب وهي قراة ابن مسعود
ومالك بن دينار ووجهها ان تخرج على لغة من يقول في الوقف هذا

الخبو

الخبو ورايت الخبا ومررت بالخبي ثم اجرى الوصل مجرى الوقف لا على لغة
من يقول الكماة والحماة لانها ضعيفة مسترذلة وقرى يخفون ويعلنون
بالياء والتاء الله لا اله الا هو رب العرش العظيم وقيل من احطت الى العظيم
هو كلام الهدهد وقيل كلام رب العزة وفي اخراج الخبا امارة على انه من
كلام الهدهد لهندسته ومعرفته الما تحت الارض وذلك بالهام من يخرج الخبا
في السموات والارض جلت قدرته ولطف علمه ولا تكاد تخفى على ذي الفراسة
النظار بنور الله مخايل كل مختص بصناعة او فن من العلم في روايه ومنطقه
وشمايله ولهذا ورد ما عمل عبد عملا الا القى الله عليه رداء عمله فان قلت
اسجدة التلاوة واجبة في القراتين جميعا ام في احديهما قلت هي واجبة
فيهما جميعا لان مواضع السجدة اما امر بها او مدح لمن اتى بها او ذم لمن تركها
واحدى القراتين امر بالسجود والاخرى ذم للتارك وقد اتفق ابو حنيفة
رحمه الله والشافعي على ان سجدات القران اربع عشرة وانما اختلفا في سجدة ص
فهي عند ابي حنيفة رحمه الله سجدة تلاوة وعند الشافعي سجدة شكر وفي سجدتي
سورة الحج وما ذكره الزجاج من وجوب السجدة مع التخفيف دون التشديد
فغير مرجوع اليه فان قلت هل يفرق الواقف بين القراتين قلت
نعم اذا خفف وقف على فهم لا يهتدون ثم ابتدا الا يا اسجدوا وان شاء
وقف على الا يا ثم ابتدا اسجدوا واذا شدد لم يقف الا على العرش العظيم
فان قلت كيف سوى الهدهد بين عرش بلقيس وعرش الله في الوصف
بالعظم قلت بين الوصفين بون عظيم لان وصف عرشها بالعظم
تعظيم له بالاضافة الى عروش ابناء جنسها من الملوك ووصف عرش الله
بالعظم تعظيم له بالنسبة الى ساير ما خلق من السموات والارض وقرى
العظيم بالرفع قال سننظر اصدقت ام كنت من الكاذبين سننظر من النظر
الذي هو التامل والتصفح واراد اصدقت ام كذبت الا ان كنت من الكاذبين
ابلغ لانه اذا كان معروفا بالانخراط في سلك الكاذبين كان كاذبا لا محالة
واذا كان كاذبا اتهم بالكذب فيما اخبر به فلم يوثق به اذهب بكتابي هذا
فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون تول عنهم تنح عنهم الى مكان
قريب تتوارى فيه ليكون ما يقولونه بمسمع منك ويرجعون من قوله
يرجع بعضهم الى بعض القول فيقال دخل عليها من كوة فالقى الكتاب
اليها وتوارى في الكوة فان قلت لم قال فالقه اليهم على لفظ الجمع
قلت لانه قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس فقال فالقه الى الذين
هذا دينهم اهتماما منه بامر الدين واشتغالا به عن غيره وبني الخطاب في الكتاب
على لفظ الجمع لذلك قالت يا ايها الملا اني القي الي كتاب كريم حسن مضمونه
وما فيه او وصفته بالكرم لانه من عند ملك كريم او مختوم قال عليه السلام
كرم الكتاب ختمه وكان عليه السلام يكتب الى العجم فقيل له انهم لا يقبلون
الا كتابا عليه خاتم فاصطنع خاتما وعن ابن المقفع من كتب الى اخيه كتابا ولم يختمه
فقد استخف به انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ان لا تعلوا علي
واتوني مسلمين وقيل مصدر بسم الله الرحمن الرحيم هو استيناف وتبيين
لما القي اليها كانها لما قالت اني القي الي كتاب كريم فقيل لها ممن هو وما هو فقالت
انه من سليمان وانه كيت وكيت وقرا عبد الله وانه من سليمان وانه عطفا
على اني وقرى انه من سليمان وانه بالفتح على انه بدل من كتاب كانه قيل
القي الي انه من سليمان ويجوز ان تريد لانه من سليمان ولانه كانها عللت

كرمه بكونه من سليمان وتصديره باسم الله وقرا ابي ان من سليمان
وان بسم الله علي ان المفسرة وان في ان لا تعلوا مفسرة ايضا لا تعلوا لا تتكبروا
كما يفعل الملوك وقرا ابن عباس رضي الله عنه بالغين معجمة من الغلو وهو
مجاوزة الحد يروي ان نسخة الكتاب من عبد الله سليمان بن داود الي بلقيس
ملكة سبا السلام علي من اتبع الهدي اما بعد فلا تعلوا علي واتوني مسلمين
وكانت كتب الانبياء جملا لا يطيلون ولا يكثرون وطبع الكتاب بالمسك وختمه
بخاتمه فوجدها الهدهد راقدة في قصرها بمارب وكانت اذا رقدت
غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت راسها فدخل من كوة وطرح الكتاب
علي نحرها وهي مستلقية وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل اتاها
والقادة والجنود حواليها فرفرف ساعة والناس ينظرون حتي رفعت راسها
فالقي الكتاب في حجرها وكانت قارئة كاتبة عربية من نسل تبع بن شراحيل
الحميري فلما رات الخاتم ارتعدت وخضعت وقالت لقومها ما قالت
مسلمين منقادين او مومنين قالت يا ايها الملا افتوني في امري الفتوي الجواب
في الحادثة اشتقت علي طريق الاستعارة من الفتا في السن والمراد بالفتوي
هاهنا الاشارة عليها بما عندهم فيما حدث لها من الراي والتدبير وقصدت
بالانقطاع اليهم والرجوع الي استشارتهم واستطلاع ارائهم استعطافهم
وتطييب نفوسهم ليمالئوها ويقوموا معها ما كنت قاطعة امرا حتي تشهدون
قاطعة امرا فاصلة وفي قراءة بن مسعود رضي الله عنه قاضية اي لا ابت
امرا الا بمحضركم وقيل كان اهل مشورتها ثلثماية وثلاثة عشر رجلا كل واحد
علي عشرة الاف قالوا نحن اولوا قوة واولوا باس شديد ارادوا بالقوة قوة الاجساد
وقوة الالات والعدد وبالباس النجدة والبلاء في الحرب والامر اليك اي
هو موكول اليك ونحن مطيعون لك فامرينا بامرك نطعك ولا نخالفك
كانهم اشاروا اليها بالقتال او ارادوا نحن من ابناء الحرب لا من ابناء الراي
والمشورة وانت ذات الراي والتدبير فانظري ماذا تامرين فانظري ماذا
ترين نتبع رايك قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها لما احست
منهم الميل الي المحاربة رات من الراي الميل الي الصلح والابتداء بما هو احسن ورتبت
الجواب فزيفت اولا ما ذكروه وارتهم الخطا فيه بان الملوك اذا دخلوا
قرية عنوة وقهرا افسدوها اي خربوها ومن ثم قالوا للفساد الخربة وجعلوا
اعزة اهلها اذلة واذلوا اعزتها واهانوا اشرافها وقتلوا واسروا فذكرت
لهم عاقبة الحرب وسوء مغبتها لهم ثم قالت وكذلك يفعلون ارادت
وهذه عادتهم المستمرة الثابتة التي لا تتغير لانها كانت في بيت الملك القديم
فسمعت نحو ذلك ورات ثم ذكرت حديث الهدية وما رات من الراي
السديد وقيل هو تصديق من الله لقولها وقد يتعلق الساعون
في الارض بالفساد بهذه الاية ويجعلونها حجة لانفسهم ومن استباح حراما
فقد كفر واذا احتج له بالقران علي وجه التحريف فقد جمع بين كفرين واني
مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون اي مرسلة رسلا بهدية
اصانعه بها عن ملكي فناظرة ما يكون منه حتي اعمل علي حسب ذلك فروي انها بعثت
خمسماية غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن الاساور والاطواق والقرطة
راكبي خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسماية
جارية علي رماك في زي الغلمان والف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا
بالدر والياقوت المرتفع والمسك والعنبر وحقا فيه درة عذراء وجزعة

معوجة



معوجة الثقب وبعثت رجلين من اشراف قومها المنذر بن عمرو واخر ذا راي
وعقل وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقبا
مستويا وسلك في الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان
فهو ملك فلا يهولنك وان رايته بشا لطيفا فهو نبي فاقبل الهدهد فاخبر
سليمان فامر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه
طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفه من الذهب والفضة
وامر باحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره علي اللبن
وامر باولاد الجن وهم خلق كثير فاقيموا عن اليمين واليسار ثم قعد علي سريره
والكراسي من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والانس صفوفا
فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم ونظروا بهتوا
وراوا الدواب تروث علي اللبن فتقاصرت اليهم نفوسهم ورموا بما معهم
ولما وقفوا بين يديه نظر اليهم بوجه طلق وقال لهما وراكم وقال اين الحق واخبره
جبريل بما فيه فقال لهم ان فيه كذا وكذا ثم امر الارضة فاخذت شعرة ونفذت
فيها فجعل رزقها في الشجرة واخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت فيها
فجعل رزقها في الفواكه ودعا بالماء فكانت الجارية تاخذ الماء بيدها فتجعله
في الاخري ثم تضرب به وجهها والغلام كما ياخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية
وقال للمنذر ارجع اليهم فقالت هو نبي وما لنا به طاقة فشخصت اليه في اثني
عشر الف قيل تحت كل قيل الوف فلما جاء سليمان قال اتمدونن بمال فما اتاني
الله خير مما اتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون وفي قراءة بن مسعود فلما جاءوا
اتمدونني وقري بحذف الياء والاكتفاء بالكسرة وبالادغام كقوله اتحاجوني
وبنون واحدة اتمدوني الهدية اسم المهدي كما ان العطية اسم المعطي فتضاف
الي المهدي والمهدي اليه تقول هذه هدية فلان تريد هي التي اهداها او اهديت
اليه والمضاف اليه هاهنا هو المهدي اليه والمعني ان ما عندي خير مما عندكم
وذلك ان الله اتاني الدين الذي فيه الحظ الاوفر والغني الاوسع واتاني من الدنيا
ما لا يستزاد عليه فكيف يرضي مثلي بان يمد بمال ويصانع به بل انتم قوم
تعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا فلذلك تفرحون بما تزادون ويهدي اليكم
لان ذلك مبلغ همتكم وحالي خلاف حالكم وما ارضي منكم بشي ولا افرح به الا بالايمان
وترك المجوسية فان قلت ما الفرق بين قولك اتمدني بمال وانا اغني
منك وبين ان تقوله بالفاء قلت اذا قلته بالواو فقد جعلت مخاطبي
عالما بزيادتي عليه في الغني واليسار وهو مع ذلك يمدني بالمال واذا قلته
بالفاء فقد جعلته ممن خفيت عليه حالي فانا اخبره الساعة بما لا احتاج
معه الي امداده كاني اقول له انكر عليك ما فعلت فاني غني عنه وعليه
ورد قوله فما اتاني الله فان قلت فما وجه الاضراب قلت
لما انكر عليهم الامداد وعلل انكاره اضرب عن ذلك الي بيان السبب الذي حملهم
عليه وهو انهم لا يعرفون سبب رضي ولا فرح الا ان يهدي اليهم حظ من الدنيا
التي لا يعلمون غيرها ويجوز ان تجعل الهدية مضافة الي المهدي ويكون
المعني بل انتم بهديتكم هذه التي اهديتموها تفرحون فرح افتخار علي الملوك
بانكم قدرتم علي اهداء مثلها ويحتمل ان يكون عبارة عن الرد كانه قال بل
انتم من حقكم ان تاخذوا هديتكم وتفرحوا بها ارجع اليهم خطاب للرسول
وقيل للهدهد محملا كتابا اخر فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها لا قبل
لا طاقة وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة اي لا يقدرون ان يقابلهم

وقرأ ابي بن مسعود لا قبل لهم بهم ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون والضمير
في منها لسبا والذل ان يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك والصغار ان
يقعوا في اسر واستعباد ولا يقتصر بهم على ان يرجعوا سوقة بعد ان كانوا
ملوكا قال يا ايها الملا ايكم ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين يروى انها
امرت عند خروجها الى سليمان عليه السلام فجعل عرشها في اخر سبعة ابيات
بعضها في بعض في اخر قصر من قصور سبعة لها وغلقت الابواب ووكلت
به حرسا يحفظونه ولعله اوحي الى سليمان عليه السلام باستيثاقها من عرشها
فاراد ان يغرب عليها ويريها بذلك بعض ما خصه الله به من اجراء العجايب
على يده مع اطلاعها على عظيم قدرة الله وعلى ما يشهد لنبوة سليمان ويصدقها
وعن قتادة اراد ان ياخذه قبل ان تسلم لعلمه انها اذا اسلمت لم يحل له اخذ
مالها وقيل اراد ان يوتى به فينكر ويغير ثم ينظر اتثبته ام تنكره اختبارا
لعقلها قال عفريت من الجن وقرئ عفرية والعفر والعفريت والعفرية
والعفراة والعفارية من الرجال الخبيث المنكر الذي يعفر اقرانه ومن الشياطين
الخبيث المارد وقالوا كان اسمه ذكوان انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك
واني عليه لقوي اي لقوي على حمله امين اتي به كما هو لا اختزل منه شيا
ولا ابدله قال الذي عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك
فلما راه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني االشكر ام اكفر ومن
شكر فانما يشكر لنفسه الذي عنده علم من الكتاب رجل كان عنده اسم الله الاعظم
وهو يا حي يا قيوم وقيل يا الهنا واله كل شي الها واحدا لا اله الا انت وقيل
يا ذا الجلال والاكرام وعن الحسن الله والرحمن وقيل هو اصف بن برخيا
كاتب سليمان وكان صديقا عالما وقيل اسمه اسطوم وقيل هو جبريل
وقيل ملك ايد الله به سليمان وقيل هو سليمان نفسه كانه استبطا
العفريت فقال له انا اريك ما هو اسرع مما تقول وعن ابن لهيعة بلغني انه الخضر
عليه السلام علم من الكتاب من الكتاب المنزل وهو علم الوحي والشرايع وقيل
هو اللوح والذي عنده علم منه جبريل واتيك في الموضعين يجوز ان يكون
فعلا واسم فاعل الطرف تحريكك اجفانك اذا نظرت فوضع موضع النظر ولما
كان الناظر موصوفا بارسال الطرف في نحو قوله
وكنت اذا ارسلت طرفك رايدا ۞ لقلبك يوما اتعبتك المناظر ۞
وصف برد الطرف ووصف الطرف بالارتداد ومعنى قوله قبل ان يرتد
اليك طرفك انك ترسل طرفك الى شي فقبل ان ترده ابصرت العرش
بين يديك ويروى ان اصف قال لسليمان عليه السلام مد عينيك حتى ينتهي
طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمن ودعا اصف فغار العرش في مكانه ثم ادب
ثم نبع عند مجلس سليمان بالشام بقدرة الله قبل ان يرد طرفه ويجوز
ان يكون هذا مثلا لاستقصار مدة المجي به كما تقول لصاحبك افعل ذلك
في لحظة وفي ردة طرف والتفت ترني وما اشبه ذلك تريد السرعة يشكر لنفسه
لانه يحط به عنها عب الواجب ويصونها عن سمة الكفران وترتبط به
النعمة ويستمد المزيد وقيل الشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة
المفقودة وفي كلام بعض المتقدمين ان كفران النعمة بوار وقلما اقشعت
نافرة فرجعت في نصابها فاستدع شاردها بالشكر واستدم راهنها بكرم الجوار
واعلم ان سبوغ ستر الله متقلص عما قريب اذا انت لم ترج لله وقارا ومن
كفر فان ربي غني عن الشكر كريم بالانعام على من يكفر نعمته والذي قاله سليمان

عليه

عليه السلام عند روية العرش شاكرا لربه جرى على شاكلة ابناء جنسه من
انبياء الله والمخلصين من عباده يتلقون النعمة القادمة بحسن الشكر كما
يشيعون النعمة المودعة بجميل الصبر قال نكروا لها عرشها اجعلوه متنكرا
متغيرا عن هيئته وشكله كما يتنكر الرجل للناس لئلا يعرفوه قالوا وسعوه وجعلوا
مقدمه موخره واعلاه اسفله وقرئ ننظر بالجزم على الجواب وبالرفع على
الاستيناف اتهتدي لمعرفته او للجواب الصواب اذا سيلت عنه او للدين
والايمان بنبوة سليمان اذا رات تلك المعجزة البينة من تقدم عرشها وقد خلفته
واغلقت الابواب ونصبت عليه الحراس ام تكون من الذين لا يهتدون
فلما جاءت قيل اهكذا عرشك هكذا ثلاث كلمات حرف التنبيه وكاف
التشبيه واسم الاشارة لم يقل اهذا عرشك ولكن امثل هذا عرشك لئلا يكون
تلقينا فقالت كانه هو ولم تقل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها
حيث لم تقطع في المحتمل واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين من كلام سليمان
وملايه فان قلت علام عطف هذا الكلام وبم اتصل قلت لما كان
المقام الذي سيلت فيه عن عرشها واجابت بما اجابت به مقاما اجرى فيه
سليمان وملاوه ما يناسب قولهم واوتينا العلم نحو ان يقولوا عند قولها
كانه هو قد اصابت في جوابها وطبقت المفصل وهي عاقلة لبيبة وقد
رزقت الاسلام وعلمت قدرة الله وصحة النبوة بالايات التي تقدمت
عند وفدة المنذر وبهذه الاية العجيبة من امر عرشها عطفوا على قوله م
قولهم واوتينا نحن العلم بالله وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها
ولم نزل على دين الاسلام شكرا لله على فضلهم عليها وسبقهم الى العلم بالله
والاسلام قبلها وصدها ما كانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم
كافرين وصدها عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس ونشوها بين ظهراني
الكفرة ويجوز ان يكون من كلام بلقيس موصولا بقولها كانه هو والمعنى
واوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوة سليمان قبل هذه المعجزة
او قبل هذه الحالة تعني ما تبينت من الايات عند وفدة المنذر ودخلنا في
الاسلام ثم قال الله تعالى وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه ضلالها
عن سواء السبيل وقيل وصدها الله او سليمان عما كانت تعبد بتقدير
حرف الجار وايصال الفعل وقرئ انها بالفتح على انه بدل من فاعل صد او
بمعنى لانها قيل لها ادخلي الصرح فلما راته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها
قال انه صرح ممرد من قوارير الصرح القصر وقيل صحن الدار وقرا ابن كثير سأقيها
بالهمز ووجهه انه سمع سوق فاجرى عليه الواحد والممرد المملس وروي
ان سليمان امر قبل قدومها فبني له على طريقها قصر من زجاج ابيض واجري
من تحته الماء والقي فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره في صدره
فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس وانما فعل ذلك ليزيدها استعظاما
لامره وتحققا لنبوته وثباتا على الدين وزعموا ان الجن كرهوا ان يتزوجها
فتفضي اليه باسرارهم لانها كانت بنت جنية وقيل خافوا ان يولد
له منها ولد تجتمع له فطنة الجن والانس فيخرجون من ملك سليمان الى ملك
هو اشد وافظع فقالوا له ان في عقلها شيا وهي شعراء الساقين ورجلها
كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها
فكشفت عنها فاذا هي احسن الناس ساقا وقدما الا انها شعراء ثم صرف
بصره وناداها انه صرح ممرد من قوارير وقيل هي السبب في اتخاذ النورة

ذلك

امرها الشياطين فاتخذوها واستنكحها سليمان واجها واقرها على ملكها
وامر الجن فبنوا لها سيلحين وغمدان وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها
ثلاثة ايام وولدت له وقيل بل زوجها ذا تبع ملك همدان وسلطه على
اليمن وامر زوبعة امير جن اليمن ان يطيعه فبنى له المصانع ولم يزل اميرا
حتى مات سليمان قالت رب اني ظلمت نفسي تريد بكفرها فيما تقدم واسلمت
مع سليمان لله رب العالمين وقيل حسبت ان سليمان يغرقها في اللجة
فقالت ظلمت نفسي بسوء ظني بسليمان ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا
ان اعبدوا الله وقرئ ان اعبدوا بالضم على اتباع النون الباء فاذا هم فريقان
فريق مومن وفريق كافر وقيل اريد بالفريقين صالح وقومه قبل
ان يومن منهم احد يختصمون يقول كل فريق الحق معي قال يا قوم لم تستعجلون
بالسيئة قبل الحسنة السيئة العقوبة والحسنة التوبة فان قلت
ما معنى استعجالهم بالسيئة قبل الحسنة وانما يكون ذلك اذا كانتا متوقعتين
احداهما قبل الاخرى قلت كانوا يقولون لجهلهم ان العقوبة التي
يعدها صالح ان وقعت على زعمه تبنا حينئذ واستغفرنا مقدرين ان التوبة
مقبولة في ذلك الوقت وان لم تقع فنحن على ما نحن عليه فخاطبهم صالح
على حسب قولهم واعتقادهم ثم قال لهم لولا تستغفرون الله هلا تستغفرون
الله قبل نزول العذاب لعلكم ترحمون تنبيها لهم على الخطا فيما قالوه وتجهيلا
فيما اعتقدوه قالوا اطيرنا بك وبمن معك كان الرجل يخرج مسافرا فيمر بطاير فيزجره
فان مر سانحا تيمن وان بارحا تشاءم فلما نسبوا الخير والشر الى الطاير استعير
لما كان سببهما من قدر الله وقسمته او من عمل العبد الذي هو السبب
في الرحمة والنقمة ومنه قالوا طاير الله لا طايرك اي قدر الله الغالب
الذي ينسب اليه الخير والشر لا طايرك الذي تتشاءم به وتتيمن فلما قالوا
اطيرنا بك اي تشاءمنا وكانوا قد قحطوا قال طايركم عند الله اي سببكم الذي
يجي منه خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمته ان شاء رزقكم وان
شاء حرمكم ويجوز ان يريد عملكم مكتوب عند الله فمنه نزل بكم ما نزل عقوبة
لكم وفتنة ومنه قوله طايركم معكم وكل انسان الزمناه طايره في عنقه
وقرئ تطيرنا بك على الاصل ومعنى تطير به تشاءم به وتطير منه نفر منه
بل انتم قوم تفتنون تختبرون او تعذبون او يفتنكم الشيطان بوسوسته
اليكم الطيرة وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض المدينة
الحجر وانما جاز تمييز التسعة بالرهط لانه في معنى الجماعة فكانه قيل تسعة
انفس والفرق بين الرهط والنفر ان الرهط من الثلاثة الى العشرة او من
السبعة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة واسماوهم عن وهب
الهذيل بن عبد رب غنم بن غنم رئاب بن مهرج مصدع بن مهرج عمير بن
كردبه عاصم بن مخرمه سبيط بن صدقة سمعان بن صفي قدار بن سالف
وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من ابناء اشرافهم
ولا يصلحون يعني ان شانهم الافساد البحت الذي لا يخلط بشي من
الصلاح كما ترى بعض المفسدين قد يندر منه بعض الصلاح قالوا تقاسموا
بالله لنبيتنه واهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون
تقاسموا يحتمل ان يكون امرا وخبرا في محل الحال باضمار قد اي قالوا متقاسمين
وقرئ تقسموا وقرئ لتبيتنه بالتاء والياء والنون فتقاسموا مع النون
والتاء يصح فيه الوجهان ومع الياء لا يصح الا ان يكون خبرا والتقاسم

التقسم

التقسم كالتظاهر والتظهر التحالف والبيات مباغتة العدو ليلا وعن
الاسكندر انه اشير عليه بالبيات فقال ليس من آيين الملوك استراق الظفر
وقرئ مهلك بفتح الميم واللام وكسرها من هلك ومهلك بضم الميم من اهلك
ويحتمل المصدر والمكان والزمان فان قلت كيف يكونون صادقين وقد
جحدوا ما فعلوا فاتوا بالخبر على خلاف المخبر عنه قلت كانهم اعتقدوا
انهم اذا بيتوا صالحا وبيتوا اهله فجمعوا بين البياتين ثم قالوا ما شهدنا مهلك
اهله فذكروا احدهما كانوا صادقين لانهم فعلوا البياتين جميعا لا احدهما وفي هذا
دليل قاطع على ان الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع ونواهيه ولا
يخطر ببالهم الا ترى انهم قصدوا قتل نبي الله ولم يرضوا لانفسهم بان يكونوا
كاذبين حتى سووا للصدق في خبرهم حيلة يتفصون بها عن الكذب ومكروا
مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم مكرهم ما اخفوه
من تدبير الفتك بصالح واهله ومكر الله اهلاكهم من حيث لا يشعرون
شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة روي انه كان لصالح مسجد في الحجر
في شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلاث فنحن نفرغ منه
ومن اهله قبل الثلث فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلي قتلناه ثم
رجعنا الى اهله فقتلناهم فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم فبادروا
فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم اين هم ولم يدروا ما فعل
بقومهم وعذب الله كلا منهم في مكانه ونجى صالحا ومن معه وقيل جاوا
بالليل شاهري سيوفهم وقد ارسل الله الملايكة ملء دار صالح فدمغوهم
بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون راميا انا دمرناهم وقومهم اجمعين استيناف
ومن قرا بالفتح رفعه بدلا من العاقبة او خبر مبتدا محذوف تقديره
هي تدميرهم او نصبه على معنى لانا او على انه خبر كان عاقبة مكرهم الدمار
فتلك بيوتهم خاوية حال عمل فيها ما دل عليه تلك وقرا عيسى بن عمر بالرفع على خبر
المبتدا المحذوف بما ظلموا ان في ذلك لاية لقوم يعقلون وانجينا الذين
امنوا وكانوا يتقون ولوطا واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة ولقد
عليه واذ بدل على الاول ظرف على الثاني قال لقومه اتاتون الفاحشة
وانتم تبصرون من بصر القلب اي تعلمون انها فاحشة لم تسبقوا وان الله
انما خلق الانثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الانثى للانثى فهي مضادة لله
في حكمته وحكمه وعلمكم بذلك اعظم لذنوبكم وادخل في القبح والسماجة وفيه
دليل على ان القبيح من الله اقبح منه من عباده لانه اعلم العالمين واحكم الحاكمين
او تبصرونها بعضكم من بعض لانهم كانوا في ناديهم يرتكبونها معالنين
بها لا يتستر بعضهم من بعض خلاعة ومجانة وانهماكا في المعصية وكان ابو
نواس بنى على مذهبهم قوله
وبح باسم ما تاتي وذرني من الكنى ❁ فلا خير في اللذات من دونها ستر
او تبصرون اثار العصاة قبلكم وما نزل بهم اينكم لتاتون الرجال شهوة
من دون النساء بل انتم قوم تجهلون فان قلت فسرت تبصرون
بالعلم وبعده بل انتم قوم تجهلون فكيف يكونون علماء جهلاء قلت
اراد تفعلون فعل الجاهلين بانها فاحشة مع علمكم بذلك او تجهلون
العاقبة او اراد بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا عليها فان قلت
تجهلون صفة لقوم والموصوف لفظه لفظ الغايب فهلا طابقت الصفة
الموصوف فقرئ بالياء دون التاء وكذلك بل انتم قوم تفتنون قلت

عادة

خ ينصفون

م

اليها

اجتمعت الغيبة والمخاطبة فغلبت المخاطبة لانها اقوى وارسخ اصلا من
الغيبة فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم وقرا
الاعمش جواب قومه بالرفع والمشهورة احسن انهم اناس يتطهرون يتنزهون
عن القاذورات كلها فينكرون هذا العمل القذر ويغيظنا انكارهم وعن
ابن عباس هو استهزاء فانجيناه واهله الا امراته قدرناها قدرناها قدرنا
كونها من الغابرين كقوله قدرنا انها لمن الغابرين فالتقدير واقع على الغبور
في المعنى وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين قل الحمد لله وسلام على عباده
الذين اصطفى امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يتلو هذه الايات الناطقة
بالبراهين على وحدانيته وقدرته على كل شيء وحكمته وان يستفتح بتحميده
والسلام على انبيائه والمصطفين من عباده وفيه تعليم حسن وتوقيف على
ادب جميل وبعث على التيمن بالذكرين والتبرك بهما والاستظهار بمكانهما على قبول
ما يلقى الى السامعين واصغائهم اليه وانزاله من قلوبهم المنزلة التي يبغيها
المسمع ولقد توارث العلماء والخطباء والوعاظ كابرا عن كابر هذا الادب
فحمدوا الله وصلوا على رسوله امام كل علم مفاد وقبل كل عظة وتذكرة وفي
مفتتح كل خطبة وتبعهم المترسلون فاجروا عليه اوايل كتبهم في الفتوح والتهاني
وغير ذلك من الحوادث التي لها شان وقيل هو متصل بما قبله وامر
بالتحميد على الهالكين من كفار الامم والصلوة على الانبياء واشياعهم الناجين
وقيل هو خطاب للوط عليه السلام وان يحمد الله على هلاك كفار قومه
ويسلم على من اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم الله خير ام
ما يشركون معلوم ان لا خير فيما اشركوه اصلا حتى يوازن بينه وبين من هو
خالق كل خير ومالكه وانما هو الزام لهم وتبكيت وتهكم بحالهم وذلك انهم
اثروا عبادة الاصنام على عبادة الله ولا يوثر عاقل شيئا على شيء الا لداع يدعوه
الى ايثاره من زيادة خير ومنفعة فقيل لهم مع العلم بانه لا خير فيما اثروه
وانهم لم يوثروه لزيادة الخير ولكن هوى وعبثا لينبهوا على الخطا المفرط والجهل
المورط واضلالهم التمييز ونبذهم المعقول وليعلموا ان الايثار يجب ان يكون
للخير الزائد ونحوه ما حكاه عن فرعون ام انا خير من هذا الذي هو مهين
مع علمه انه ليس لموسى مثل انهاره التي كانت تجري تحته ثم عدد سبحانه
الخيرات والمنافع التي هي اثار رحمته وفضله كما عددها في موضع اخر ثم قال
هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وقرى يشركون بالياء والتاء وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قراها قال بل الله خير وابقى واجل
واكرم فان قلت ما الفرق بين ام وام في اما تشركون وامن خلق قلت
تلك متصلة لان المعنى ايهما خير وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة امن
خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدايق ذات بهجة
ما كان لكم ان تنبتوا شجرها االه مع الله لما قال الله خير ام الالهة قال بل
امن خلق السموات والارض خير تقريرا لهم بان من قدر على خلق العالم
خير من جماد لا يقدر على شيء وقرا الاعمش امن بالتخفيف ووجهه ان
يجعل بدلا من الله كانه قال امن خلق السموات والارض خير ام ما تشركون
فان قلت اي نكتة في نقل الاخبار عن الغيبة الى التكلم عن ذاته
في قوله فانبتنا قلت تاكيد معنى اختصاص الفعل بذاته والايذان
بان انبات الحدايق المختلفة الاصناف والالوان والطعوم والروايح والاشكال
مع حسنها وبهجتها بماء واحد لا يقدر عليه الا هو وحده الا ترى كيف

رشح

رشح معنى الاختصاص بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها ومعنى الكينونة
الانبغاء اراد ان تاتي ذلك محال من غيره وكذلك قوله بل هم بعد الخطاب ابلغ
في تخطية رايهم والحديقة البستان عليه حايط من الاحداق وهي الاحاطة
وقيل ذات لان المعنى جماعة حدايق ذات بهجة كما يقال النساء ذهبت والبهجة
الحسن لان الناظر يبتهج به االه مع الله اغيره يقرن به ويجعل شريكا له وقرى
االها مع الله بمعنى اتدعون او تشركون ولك ان تحقق الهمزتين وتوسط بينهما
مدة وتخرج الثانية بين بين بل هم قوم يعدلون به غيره او يعدلون عن الحق
الذي هو التوحيد امن جعل الارض قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل فيها
رواسي وجعل بين البحرين حاجزا االه مع الله بل اكثرهم لا يعلمون امن جعل
وما بعده بدل من امن خلق فكان حكمها حكمه قرارا دحاها وسواها للاستقرار
عليها حاجزا كقوله برزخا امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء الضرورة
الحالة المحوجة الى اللجا والاضطرار افتعال منها يقال اضطره الى كذا والفاعل
والمفعول مضطر والمضطر الذي احوجه مرض او فقر او نازلة من نوازل الدهر
الى اللجا والتضرع الى الله وعن ابن عباس رضي الله عنه هو المجهود وعن
السدي الذي لا حول له ولا قوة وقيل المذنب اذا استغفر فان قلت
قد عم المضطرين بقوله يجيب المضطر اذا دعاه وكم من مضطر يدعو ولا
يجاب قلت الاجابة موقوفة على ان يكون المدعو به مصلحة ولهذا لا يحسن
دعا العبد الا شارطا فيه المصلحة واما المضطر فمتناول للجنس مطلقا يصلح لكله
ولبعضه فلا طريق الى الجزم على احدهما الا بدليل وقد قام الدليل على البعض
وهو الذي اجابته مصلحة فبطل التناول على العموم ويجعلكم خلفاء الارض
خلفاء فيها وذلك توارثهم سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن او اراد
بالخلافة الملك والتسلط االه مع الله قليلا ما تذكرون وقرى يذكرون
بالياء مع الادغام وبالتاء مع الادغام والحذف وما مزيدة اي يذكرون
تذكرا قليلا والمعنى نفي التذكر والقلة تستعمل في معنى النفي امن يهديكم
في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته االه مع الله
تعالى الله عما يشركون يهديكم بالنجوم في السماء والعلامات في الارض اذا جن
الليل عليكم مسافرين في البر والبحر امن يبدا الخلق ثم يعيده فان قلت
كيف قيل لهم ام من يبدا الخلق ثم يعيده وهم منكرون للاعادة قلت
قد ازيحت علتهم بالتمكين من المعرفة والاقرار فلم يبق لهم عذر في الانكار
ومن يرزقكم من السماء والارض من السماء الماء ومن الارض النبات االه
مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ان كنتم صادقين ان مع الله الها
فاين دليلكم عليه قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله فان
قلت لم رفع اسم الله والله تعالى يتعالى ان يكون ممن في السموات
والارض قلت جاء على لغة بني تميم حيث يقولون ما في الدار احد الا
حمار يريدون ما فيها الا حمار كان احدا لم يذكر ومنه قوله
عشية ما تغني الرماح مكانها ولا النبل الا المشرفي المصمم
وقوله ما اتاني زيد الا عمرو وما اعانه اخوانكم الا اخوانه فان قلت ما الداعي
الى اختيار المذهب التميمي على الحجازي قلت دعت اليه نكتة سرية
حيث اخرج المستثنى مخرج قوله الا اليعافير بعد قوله ليس بها انيس ليؤول
المعنى الى قولك ان كان الله ممن في السموات والارض فهم يعلمون الغيب
يعني ان علمهم الغيب في استحالته كاستحالة ان يكون الله منهم كان معنى

ما في البيت ان كانت اليعافير انيسا ففيها انيس بتا للقول بخلوها عن
الانيس فان قلت هلا زعمت ان الله ممن في السموات والارض
كما يقول المتكلمون الله في كل مكان على معنى ان علمه في الاماكن كلها فكان
ذاته فيها حتى لا تحمله على مذهب بني تميم قلت يابى ذلك ان كونه في السموات
والارض مجاز وكونهم فيهن حقيقة وارادة المتكلم بعبارة واحدة حقيقة
ومجازا غير صحيحة على قولك ان من في السموات والارض وجمعك بينه
وبينهم في اطلاق اسم واحد فيه ايهام تسوية والايهامات مزالة عنه وعن صفاته
الا ترى كيف قال عليه السلام لمن قال ومن يعصهما فقد غوى بيس خطيب
القوم انت وعن عايشة رضي الله عنها من زعم انه يعلم ما في غد فقد
اعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والارض
الغيب الا الله وعن بعضهم اخفى غيبه عن الخلق ولم يطلع عليه احدا لئلا
يامن احد من عبيده مكره وقيل نزلت في المشركين حين سالوا رسول
الله عن وقت الساعة وما يشعرون ايان يبعثون ايان بمعنى متى ولو سمي مع
به لكان فعالا من آن يئين ولا نصرف وقرئ ايان بكسر الهمزة بل ادارك
علمهم في الاخرة وقرئ بل ادرك بل ادارك بل تدارك بل اادرك بهمزتين
بل آادرك بالف بينهما بل ادرك بالتخفيف والنقل بل ادرك بفتح اللام
وتشديد الدال واصله بل ادرك على الاستفهام بلى ادرك بلى اادرك ام
تدارك ام ادرك فهذه ثنتا عشرة قراءة وادارك اصله تدارك فادغمت
التاء في الدال وادرك افتعل ومعنى ادرك علمهم انتهى وتكامل وادارك
تتابع واستحكم وهو على وجهين احدهما ان اسباب استحكام العلم وتكامله
بان القيمة كاينة لا ريب فيها قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون
جاهلون وذلك قوله بل هم في شك منها بل هم منها عمون يريد المشركين ممن
في السموات والارض لانهم لما كانوا في جملتهم نسب فعلهم الى الجميع كما يقال بنو
فلان فعلوا كذا وانما فعله ناس منهم فان قلت ان الاية سيقت
لاختصاص الله بعلم الغيب وان العباد لا علم لهم بشي منه وان وقت
بعثهم ونشورهم من جملة الغيب وهم لا يشعرون به فكيف لاءم هذا المعنى
وصف المشركين بانكارهم البعث مع استحكام اسباب العلم والتمكن
من المعرفة قلت لما ذكر ان العباد لا يعلمون الغيب ولا يشعرون
بالبعث الكاين ووقته الذي يكون فيه وكان هذا بيانا لعجزهم ووصفا
لقصور علمهم وصل به ان عندهم عجزا ابلغ منه وهو انهم يقولون للكاين
الذي لا بد ان يكون وهو وقت جزاء اعمالهم لا يكون مع ان عندهم اسباب
معرفة كونه واستحكام العلم به والوجه الثاني ان وصفهم باستحكام
العلم وتكامله تهكم بهم كما تقول لاجهل الناس ما اعلمك على سبيل الهزء وذلك
حيث شكوا وعموا عن اثباته الذي الطريق الى علمه مسلوك فضلا ان يعرفوا
وقت كونه الذي لا طريق الى معرفته وفي ادرك علمهم وادارك وجه اخر
وهو ان يكون ادرك بمعنى انتهى وفني من قولك ادركت الثمرة لان تلك
غايتها عندها تعدم وقد فسره الحسن باضمحل علمهم وتدارك من تداركوا بنوا التي
فلان اذا تتابعوا في الهلاك فان قلت فما وجه قراءة من قرا بل اادرك
على الاستفهام قلت هو استفهام على وجه الانكار لادراك علمهم
وكذلك من قرا ام ادرك وام تدارك لانها ام التي بمعنى بل والهمزة
فان قلت فمن قرا بلى ادرك وبلى اادرك قلت لما جاء ببلى

بعد

بعد قوله وما يشعرون كان معناه بلى يشعرون ثم فسر الشعور بقوله
ادرك علمهم في الاخرة على سبيل التهكم الذي معناه المبالغة في نفي العلم
فكانه قال شعورهم بوقت الاخرة انهم لا يعلمون كونها فيرجع الى نفي الشعور
على ابلغ ما يكون واما من قرا بلى اادرك على الاستفهام فمعناه بلى يشعرون
متى يبعثون ثم انكر علمهم بكونها واذا انكر علمهم بكونها لم يتحصل لهم شعور
بوقت كونها لان العلم بوقت الكاين تابع للعلم بكون الكاين في الاخرة في شان
الاخرة ومعناها فان قلت هذه الاضرابات الثلاث ما معناها قلت
ما هي الا تنزيل لاحوالهم وصفهم اولا بانهم لا يشعرون وقت البعث ثم
بانهم لا يعلمون ان القيمة كاينة ثم بانهم يخبطون في شك ومرية فلا يزيلونه
والازالة مستطاعة الا ترى ان من لم يسمع اختلاف المذاهب وتضليل اربابها
بعضهم لبعض كان امره اهون ممن سمع بها وهو جاثم لا يشخص به طلب
التمييز بين الحق والباطل ثم بما هو اسوء حالا وهو العمى وان يكون مثل
البهيمة قد عكف همه على بطنه وفرجه ولا يخطر بباله حقا ولا باطلا
ولا يفكر في عاقبة وقد جعل الاخرة مبدا عماهم ومنشاه فلذلك عداه
بمن دون عن لان الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذي جعلهم كالبهايم لا يتدبرون
ولا يتبصرون وقال الذين كفروا اءذا كنا ترابا واباؤنا اينا لمخرجون لقد
وعدنا هذا نحن واباؤنا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين قل سيروا
في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين العامل في اذا ما دل عليه اينا
لمخرجون وهو نخرج لان بين يدي عمل اسم الفاعل فيه عقابا وهي همزة الاستفهام
وان ولام الابتدا وواحدة منها كافية فكيف اذا اجتمعن والمراد الاخراج من الارض
او من حال الفنا الى الحيوة وتكرير حرف الاستفهام بادخاله على اذا وان
جميعا انكار على انكار وجحود عقيب جحود ودليل على كفر موكد مبالغ فيه
والضمير في اينا لهم ولابايهم لان كونهم ترابا قد تناولهم واباءهم فان
قلت قدم في هذه الاية هذا على نحن واباؤنا وفي اية اخرى قدم
نحن واباؤنا على هذا قلت التقديم دليل على ان المقدم هو الغرض
المتعمد بالذكر وان الكلام انما سيق لاجله ففي احدى الايتين دل على ان
اتخاذ البعث هو الذي تعمد بالكلام وفي الاخرى على ان اتخاذ المبعوث
بذلك الصدد لم تلحق علامة التانيث بفعل العاقبة لان تانيثها غير
حقيقي ولان المعنى كيف كان اخرهم واراد بالمجرمين الكافرين وانما
عبر عن الكفر بلفظ الاجرام ليكون لطفا للمسلمين في ترك الجرايم وتخوف
عاقبتها الا ترى الى قوله فدمدم عليهم ربهم بذنبهم وقوله مما خطيئاتهم
اغرقوا ولا تحزن عليهم لانهم لم يتبعوك ولم يسلموا فيسلموا وهم قومه
قريش كقوله فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يومنوا بهذا الحديث
اسفا ولا تكن في ضيق في حرج صدر مما يمكرون من مكرهم وكيدهم لك
ولا تبال بذلك فان الله يعصمك من الناس يقال ضاق الشي ضيقا
وضيقا بالفتح والكسر وقد قرئ بهما والضيق ايضا تخفيف الضيق قال
الله تعالى ضيقا حرجا قرئ مخففا ومثقلا ويجوز ان يراد في امر ضيق
من مكرهم ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون
ردف لكم بعض الذي تستعجلون استعجلوا العذاب الموعود فقيل
لهم عسى ان يكون ردفكم بعضه وهو عذاب يوم بدر فزيدت اللام
للتاكيد كالباء في قوله ولا تلقوا بايديكم او ضمن فعل معنى يتعدى باللام

نحو دنا لكم وازف لكم ومعناه تبعكم ولحقكم وقد عدي بمن قال ∴
∴ فلما ردفنا من عمير وصحبه ∴ تولوا سراعا والمنية تعنق ∴
يعني دنونا من عمير وقرا الاعرج ردف لكم بوزن ذهب وهما لغتان
والكسر افصح وعسى ولعل وسوف في وعد الملوك ووعيدهم يدل على
صدق الامر وجده وما لامجال للشك بعده وانما يعنون بذلك اظهار وقارهم
وانهم لايعجلون بالانتقام لادلالهم بقهرهم وغلبتهم ووثوقهم بان عدوهم
لايفوتهم وان الرمزة الى الاغراض كافية من جهتهم فعلى ذلك جرى وعد
الله ووعيده وان ربك لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم لايشكرون
الفضل والفاضلة الافضال ولفلان فواضل في قومه وفضول ومعناه
انه مفضل عليهم بتاخير العقوبة وانه لايعاجلهم بها واكثرهم لايعرفون
حق النعمة فيه ولايشكرونه ولكنهم بجهلهم يستعجلون العقاب وهم
قريش وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون قرئ تكن يقال
كننت الشيء واكننته اذا سترته واخفيته يعني انه يعلم ما يخفون
وما يعلنون من عداوة رسول الله ومكايدهم وهو معاقبهم على ذلك
بما يستوجبونه وما من غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين
سمي الشيء الذي يغيب ويخفى غائبة وخافية فكانت التاء فيهما بمنزلتها
في العافية والعاقبة ونظائرهما النطيحة والرمية والذبيحة في انها
اسماء غير صفات ويجوز ان تكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة كالراوية في
قولهم ويل للشاعر من راوية السوء كانه قال وما من شيء شديد الغيبوبة
والخفاء الا وقد علمه الله واحاط به واثبته في اللوح المبين الظاهر البين
لمن ينظر فيه من الملائكة ان هذا القران يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم
فيه يختلفون وانه لهدى ورحمة للمومنين ان ربك يقضي بينهم بحكمه
قد اختلفوا في المسيح فتحزبوا فيه احزابا ووقع بينهم التناكر في اشياء كثيرة
حتى لعن بعضهم بعضا وقد نزل القران ببيان ما اختلفوا فيه لو انصفوا
واخذوا به واسلموا يريد اليهود والنصارى للمومنين لمن انصف منهم
وامن اي من بني اسرائيل ومن غيرهم بينهم بين من امن بالقران ومن كفر
به فان قلت ما معنى يقضي بحكمه ولا يقال زيد يضرب بضربه ولا
يمنع بمنعه قلت معناه بما يحكم به وهو عدله لانه لايقضي الا
بالعدل فسمي المحكوم به حكما او بحكمته وتدل عليه قراءة من قرا بحكمه
جمع حكمة وهو العزيز فلا يرد قضاؤه العليم بمن يقضي عليه او العزيز
في انتقامه من المبطلين العليم بالفصل بينهم وبين المحقين فتوكل
على الله انك على الحق المبين امره بالتوكل على الله وقلة المبالاة باعداء
الدين وعلل التوكل بانه على الحق الابلج الذي لايتعلق به الشك والظن
وفيه بيان ان صاحب الحق حقيق بالوثوق بصنع الله وبنصرته وان
مثله لايخذل انك لاتسمع الموتى ولاتسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين
وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم فان قلت انك لاتسمع الموتى
يشبه ان يكون تعليلا اخر للتوكل فما وجه ذلك قلت وجهه ان
الامر بالتوكل جعل مسببا عما كان يغيظ رسول الله من جهة المشركين
واهل الكتاب من ترك اتباعه وتشييع ذلك بالعداوة والاذى فلازم
ذلك ان يعلل توكل متوكل مثله بان اتباعهم امر قد يئس منه فلم يبق الا
الاستنصار عليهم بعداوتهم واستكفاء شرورهم وشبهوا بالموتى

وهم احياء

وهم احياء صحاح الحواس لانهم اذا سمعوا ما يتلى عليهم من ايات الله فكانوا
اقماع القول لاتعيه اذانهم وكان سماعهم كلا سماع كانت حالهم لانتفاء جدوى
السماع كحال الموتى الذين فقدوا مصحح السماع وكذلك تشبيههم بالصم
الذين ينعق بهم فلا يسمعون وشبهوا بالعمي حيث يضلون الطريق ولا يقدر
احد ان ينزع ذلك عنهم وان يجعلهم هداة بصراء الا الله عز وجل فان قلت
ما معنى قوله اذا ولوا مدبرين قلت هو تاكيد لحال الاصم لانه اذا
تباعد عن الداعي بان تولى عنه مدبرا كان ابعد عن ادراك صوته وقرئ
ولايسمع الصم وما انت تهدي العمي على الاصل وتهدي العمي وعن ابن
مسعود رضي الله عنه وما ان تهدي العمي وهداه عن الضلالة كقولك سقاه
عن العيمة اي ابعده عنها بالسقي وابعده عن الضلال بالهدى ان تسمع
الا من يومن باياتنا ما يجدي اسماعك الا على الذين علم الله انهم يومنون
باياته اي يصدقون بها فهم مسلمون اي مخلصون من قوله تعالى
بلى من اسلم وجهه لله يعني جعله سالما لله خالصا له واذا وقع القول عليهم
اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا باياتنا لايوقنون
سمي معنى القول ومؤداه بالقول وهو ما وعدوا به من قيام الساعة والعذاب
ووقوعه حصوله والمراد مشارفة الساعة وظهور اشراطها وحين لاتنفع
التوبة ودابة الارض الجساسة جاء في الحديث ان طولها ستون ذراعا لايدركها
طالب ولايفوتها هارب وروي لها اربع قوائم وزغب وريش وجناحان
وعن ابن جريج في وصفها راس ثور وعين خنزير واذن فيل وقرن ايل
وعنق نعامة وصدر اسد ولون نمر وخاصرة هر وذنب كبش وخف
بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا بذراع ادم عليه السلام وروي
لاتخرج الا راسها وراسها يبلغ عنان السماء او يبلغ السحاب وعن ابي هريرة
فيها من كل لون وما بين قرنيها فرسخ للراكب وعن الحسن لايتم خروجها الا
بعد ثلاثة ايام وعن علي رضي الله عنه انها تخرج ثلاثة ايام والناس ينظرون
فلا يخرج الا ثلثها وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل من اين تخرج
الدابة فقال من اعظم المساجد حرمة على الله تعالى يعني المسجد الحرام وروي
انها تخرج ثلاث خرجات تخرج باقصى اليمن ثم تتكمن ثم تخرج بالبادية ثم تتكمن
دهرا طويلا فبينا الناس في اعظم المساجد حرمة واكرمها على الله فما يهولهم الا
خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم
يهربون وقوم يقفون نظارة وقيل تخرج من الصفا فتكلمهم
بالعربية بلسان ذلق فتقول ان الناس كانوا باياتنا لايوقنون يعني ان الناس
كانوا لايوقنون بخروجي لان خروجها من الايات وتقول الا لعنة الله على
الظالمين وعن السدي تكلمهم ببطلان الاديان كلها سوى دين الاسلام
وعن ابن عمر تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل المشرق
ثم الشام ثم اليمن فتفعل مثل ذلك وروي تخرج من اجياد وروي بينا
عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض
تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا
ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتضرب المومن في مسجده او فيما بين
عينيه بعصا موسى فتنكت نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة في وجهه حتى يضيء لها وجهه
او فتترك وجهه كانه كوكب دري وتكتب بين عينيه مومن وتنكت
الكافر بالخاتم في انفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب

بين عينيه كافر وروي فتجلوا وجه المومن بالعصا وتخطم انف
الكافر بالخاتم ثم تقول لهم يا فلان انت من اهل الجنة ويا فلان انت من اهل
النار وقري تكلمهم من الكلم وهو الجرح والمراد به الوسم بالعصا والخاتم ويجوز
ان يكون تكلمهم من الكلم ايضا على معنى التكثير يقال فلان مكلم اي مجرح ويجوز
ان يستدل بالتخفيف على ان المراد بالتكليم التجريح كما فسر لنحرقنه بقراة علي رضي الله
عنه لنحرقنه وان يستدل بقراة ابي تنبئهم وبقراة ابن مسعود تكلمهم بان
الناس على انه من الكلام والقراة بان مكسورة حكاية لقول الدابة اما لان الكلام
بمعنى القول او باضمار القول اي تقول الدابة ذلك او هي حكاية لقوله تعالى
عند ذلك فان قلت اذا كان حكاية لقول الدابة فكيف تقول باياتنا
قلت قولها حكاية لقول الله او على معنى بايات ربنا او لاختصاصها
بالله واثرتها عنده وانها من خواص خلقه اضافت ايات الله الى نفسها كما يقول
بعض خاصة الملك خيلنا وبلادنا وانما هي خيل مولاه وبلاده ومن قرا
بالفتح فعلى حذف الجار اي تكلمهم بان ويوم نحشر من كل امة فوجا ممن يكذب
باياتنا فهم يوزعون يحبس اولهم على اخرهم حتى يجتمعوا فيكبكبوا في النار
وهذه عبارة عن كثرة العدد وتباعد اطرافه كما وصفت جنود سليمان بذلك
وكذلك قوله فوجا فان الفوج الجماعة الكثيرة ومنه قوله تعالى يدخلون
في دين الله افواجا وعن ابن عباس ابو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن
ربيعة يساقون بين يدي اهل مكة وكذلك يحشر قادة سائر الامم بين ايديهم
الى النار فان قلت اي فرق بين من الاولى والثانية قلت
الاولى للتبعيض والثانية للتبيين كقوله من الاوثان حتى اذا جاوا قال اكذبتم
باياتي ولم تحيطوا بها علما الواو للحال كانه قال اكذبتم بها بادي الراي
من غير فكر ولا نظر يودي الى احاطة العلم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق
او بالتكذيب او للعطف اي اجحدتموها ومع جحودكم لم تلقوا اذهانكم لتحققها
وتبصرها فان المكتوب اليه قد يجحد ان يكون الكتاب من عند من كتبه ولا
يدع مع ذلك ان يقراه ويتفهم مضامينه ويحيط بمعانيه ام ماذا كنتم
تعملون بها للتبكيت لا غير وذلك انهم لم يعملوا الا التكذيب فلا يقدرون
ان يكذبوا ويقولوا صدقنا بها وليس الا التصديق بها او التكذيب ومثاله
ان تقول لراعيك وقد عرفته رويعي سوء اتاكل نعمي ام ماذا تعمل بها فتجعل
ما تبتدي به وتجعله اصل كلامك واساسه هو الذي صح عندك من اكله
وفساده وترمي بقولك ام ماذا تعمل مع علمك انه لا يعمل بها الا الاكل لتبهته وتعلمه علمك بانه
لا يجي منه الا اكلها وانه لا يقدر ان يدعي الحفظ والاصلاح لما شهر من
خلاف ذلك او اراد اما كان لكم عمل في الدنيا الا الكفر والتكذيب بايات الله
ام ماذا كنتم تعملون من غير ذلك يعني انه لم يكن لهم عمل غيره كانهم لم يخلقوا
الا للكفر والمعصية وانما خلقوا للايمان والطاعة يخاطبون بهذا قبل كبهم
في النار ثم يكبون فيها وذلك قوله ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون
يريد ان العذاب الموعود يغشاهم بسبب ظلمهم وهو التكذيب بايات الله
فيشغلهم عن النطق والاعتذار كقوله هذا يوم لا ينطقون الم يروا انا
جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لايات لقوم يومنون
جعل الابصار للنهار وهو لاهله فان قلت ما للتقابل لم يراع في قوله
ليسكنوا ومبصرا حيث كان احدهما علة والاخر حالا قلت هو مراعى
من حيث المعنى وهكذا النظم المطبوع غير المتكلف لان المعنى مبصرا

مم

٣

ليبصروا

ليبصروا فيه طرق التقلب في المكاسب ويوم ينفخ في الصور ففزع من في
السموات ومن في الارض فان قلت لم قيل ففزع دون فيفزع قلت
لنكتة وهي الاشعار بتحقق الفزع وثبوته وانه كائن لا محالة واقع على اهل
السموات والارض لان الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا به
والمراد فزعهم عند النفخة الاولى حين يصعقون الا من شاء الله الا من ثبت
الله قلبه من الملائكة قالوا هم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وقيل
الشهداء وعن الضحاك الحور وخزنة النار وحملة العرش وعن جابر منهم
موسى لانه صعق مرة ومثله قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات
ومن في الارض الا من شاء الله وكل اتوه داخرين وقري اتوه واتاه ودخرين
فالجمع على المعنى والتوحيد على اللفظ والداخر والدخر الصاغر وقيل
معنى الاتيان حضورهم الموقف بعد النفخة الثانية ويجوز ان يراد رجوعهم
الى امره وانقيادهم له وترى الجبال تحسبها جامدة من جمد في مكانه اذا لم
يبرح تجمع الجبال فتسير كما تسير الرياح والسحاب فاذا نظر اليها الناظر
حسبها واقفة ثابتة في مكان واحد وهي تمر مر السحاب وهي تمر حثيثا
كما يمر السحاب وهكذا الاجرام العظام المتكاثرة العدد اذا تحركت لا تكاد تتبين
حركتها كما قال النابغة في وصف جيش
بارعن مثل الطود تحسب انهم ... وقوف لحاج والركاب تهملج
صنع الله من المصادر المؤكدة كقوله وعد الله وصبغة الله الا ان مؤكده
محذوف وهو الناصب ليوم ينفخ في الصور والمعنى ويوم ينفخ في الصور
وكان كيت وكيت اثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين ثم قال صنع الله يريد به
الاثابة والمعاقبة وجعل هذا الصنع من جملة الاشياء التي اتقنها واتى بها على
الحكمة والصواب حيث قال صنع الله الذي اتقن كل شي يعني ان مقابلته الحسنة
بالثواب والسيئة بالعقاب من جملة احكامه للاشيا واتقانه لها واجرائه لها على
قضايا الحكمة انه خبير بما يفعلون انه عالم بما يفعل العباد وبما يستوجبون
عليه فيكافيهم على حسب ذلك ثم لخص ذلك بقوله من جاء بالحسنة فله خير
منها وهم من فزع يومئذ امنون ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار
هل تجزون الا ما كنتم تعملون الى اخر الايتين فانظر الى بلاغة هذا الكلام وحسن
نظمه وترتيبه ومكانة اضماره ورصانة تفسيره واخذ بعضه بحجزة بعض
كانما افرغ افراغا واحدا ولامر ما اعجز القوي واخرس الشقاشق ونحو هذا
المصدر اذا جاء عقيب كلام جاء كالشاهد بصحته والمنادي على سداده وانه
ما كان ينبغي ان يكون الا كما قد كان الا ترى الى قوله صنع الله ووعد الله
وفطرة الله بعد ما وسمها باضافتها اليه بسمة التعظيم كيف تلاها بقوله
الذي اتقن كل شي ومن احسن من الله صبغة ان الله لا يخلف الميعاد لا تبديل
لخلق الله وقري تفعلون على الخطاب فله خير منها يريد الاضعاف وان
العمل يتقضى والثواب يدوم وشتان ما بين فعل العبد وفعل السيد وقيل
فله خير منها اي له خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعن ابن عباس الحسنة كلمة
الشهادة وقري يومئذ مفتوحا مع الاضافة لانه اضيف الى غير متمكن ومنصوبا
مع تنوين فزع فان قلت ما الفرق بين الفزعين قلت الفزع
الاول هو ما لا يخلو منه احد عند الاحساس بشدة تقع وهول يفجا
من رعب وهيبة وان كان المحسن يامن لحاق الضرر به كما يدخل الرجل
على الملك بصدر هياب وقلب وجاب وان كانت ساعة اعزاز وتكرمة

من فى

وصبغة الله

واحسان وتولية واما الثاني فالخوف من العذاب فان قلت من
قرى من فزع بالتنوين ما معناه قلت يحتمل معنيين من فزع واحد
وهو خوف العقاب واما ما يلحق الانسان من التهيب والرعب لما يرى من الاهوال
والعظايم فلا يخلون منه لان البشرية تقتضي ذلك وفي الاخبار والاثار
ما يدل عليه ومن فزع شديد مفرط الشدة لا يكتنهه الوصف وهو خوف النار
امن يعدى بالجار وبنفسه كقوله تعالى افامنوا مكر الله وقيل
السيئة الاشراك يعبر عن الجملة بالوجه والراس والرقبة فكانه قيل فكبوا
في النار كقوله فكبكبوا فيها ويجوز ان يكون ذكرا لوجوه ايذانا بانهم يكبون على
وجوههم فيها منكوسين هل تجزون يجوز فيه الالتفات وحكاية ما يقال لهم
عند الكب باضمار القول انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها
وله كل شي وامرت ان اكون من المسلمين امر رسوله بان يقول امرت بان اخص
الله وحده بالعبادة ولا اتخذ له شريكا كما فعلت قريش وان اكون من الحنفاء
الثابتين على ملة الاسلام وان اتلو القران من التلاوة او من التلو اي الاتباع
كقوله واتبع ما يوحى اليك من ربك والبلدة مكة حرسها الله اختصها من بين
ساير البلاد باضافة اسمه اليها لانها احب بلاده اليه واكرمها عليه واعظمها
عنده وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج في مهاجره فلما
بلغ الحزورة استقبلها بوجهه الكريم فقال اني اعلم انك احب بلاد الله الى
الله ولولا ان اهلك اخرجوني ما خرجت واشار اليها اشارة تعظيم لها وتقريب
دالا على انها موطن بنيه ومهبط وحيه ووصف ذاته بالتحريم الذي هو
خاص وصفها فاجزل قسمها في الشرف والعلو ووصفها بانها محرمة لا ينتهك بذلك
حرمتها الا ظالم مضاد لربه ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم
لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها واللاجي اليها امن وجعل
دخول كل شي تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخولها تحتهما وفي ذلك
اشارة الى ان ملكا ملك مثل هذه البلدة لعظيم الشان قد ملكها وملك
اليها كل شي اللهم بارك لنا في سكناها وامنا فيها شر كل ذي شر ولا تنقلنا
من جوار بيتك الا الى دار رحمتك وقري التي حرمها واتل عليهم هذا القران
عن ابي وان اتل عن ابن مسعود فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن
ضل فقل انما انا من المنذرين فمن اهتدى باتباعه اياي فيما انا بصدده من توحيد
الله ونفي الانداد عنه والدخول في الملة الحنيفية واتباع ما انزل علي من الوحي فمنفعة
اهتدائه راجعة اليه لا الي ومن ضل ولم يتبعني فلا علي وما انا الا رسول منذر
وما على الرسول الا البلاغ ثم امره ان يحمد الله على ما خوله من نعمة النبوة التي
لا توازيها نعمة وان يهدد اعداءه بما سيريهم الله من اياته التي تلجيهم الى
المعرفة والاقرار بانها ايات الله وذلك حين لا تنفعهم المعرفة يعني في الاخرة
عن الحسن وقل الحمد لله سيريكم اياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون
وعن الكلبي الدخان وانشقاق القمر وما حل بهم من نقمات الله في الدنيا وقيل
هو كقوله سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم الاية وكل عمل يعملونه فالله عالم
به غير غافل عنه لان الغفلة والسهو لا يجوزان على العالم الذات وهو من
وراء جزاء العاملين قرى يعملون بالياء والتاء عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرا طس سليمان كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من
صدق سليمان وكذب به وهود وشعيب وصالح وابراهيم
ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله ❁ ❁ ❁

سورة

❁ ❁ سورة القصص مكية وهي ثمان وثمانون اية ❁ ❁
❁ ❁ بسم الله الرحمن الرحيم ❁ ❁

طسم تلك ايات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبا موسى وفرعون
من نبا موسى وفرعون مفعول نتلو عليك اي نتلو عليك بعض خبرهما بالحق
محقين كقوله تنبت بالدهن لقوم يومنون لمن سبق في علمنا انه يومن لان
التلاوة انما تنفع هولاء دون غيرهم ان فرعون جملة مستانفة كالتفسير
للمجمل كان قايلا قال وكيف كان نباوهما فقال ان فرعون علا في الارض يعني
ارض مملكته قد طغى فيها وجاوز الحد في الظلم والعسف وجعل اهلها شيعا
اي فرقا يشيعونه على ما يريد ويطيعونه لا يملك احد منهم ان يلوي عنقه
قال الاعشى وبلدة يرهب الجواب دلجتها حتى تراه عليها يبتغي الشيعا
او يشيع بعضهم بعضا في طاعته او اصنافا في استخدامه يستسخر صنفا في بناء
وصنفا في حرث وصنفا في حفر ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية او فرقا مختلفة قد
اغرى بينهم العداوة وهم بنو اسرايل والقبط يستضعف طايفة منهم يذبح ابناءهم
ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين والطايفة المستضعفة بنو اسرايل
وسبب ذبح الابناء ان كاهنا قال له يولد مولود في بني اسرايل يذهب ملكك
على يده وفيه دليل بين على ثخانة حمق فرعون فانه ان صدق الكاهن لم يدفع
القتل الكاين وان كذب فما وجه القتل ويستضعف حال من الضمير في وجعل
او صفة لشيعا او كلام مستانف ويذبح بدل من يستضعف وقوله انه
كان من المفسدين بيان ان القتل ما كان الا فعل المفسدين لانه فعل لا طايل
تحته صدق الكاهن او كذب فان قلت علام عطف قوله ونريد ان
نمن على الذين استضعفوا في الارض وعطفه على نتلو ويستضعف غير
سديد قلت هو جملة معطوفة على قوله ان فرعون علا في الارض
لانها نظيرة تلك في وقوعها تفسيرا لنبا موسى وفرعون واقتصاصا له ونريد
حكاية حال ماضية ويجوز ان يكون حالا من يستضعف اي يستضعفهم فرعون
ونحن نريد ان نمن عليهم فان قلت كيف يجتمع استضعافهم وارادة الله
المنة عليهم واذا اراد الله شيا كان ولم يتوقف الى وقت اخر قلت
لما كانت منة الله بخلاصهم من فرعون قريبة الوقوع جعلت ارادة وقوعها
كانها مقارنة لاستضعافهم ونجعلهم ايمة مقدمين في الدين والدنيا يطا الناس
اعقابهم وعن ابن عباس قادة يقتدى بهم في الخير وعن مجاهد دعاة الى
الخير وعن قتادة ولاة كقوله وجعلكم ملوكا ونجعلهم الوارثين يرثون
فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم ونمكن لهم في الارض مكن له اذا جعل له
مكانا يقعد عليه او يرقد فوطاه ومهده ونظيره ارض له ومعنى التمكين
لهم في الارض وهي ارض مصر والشام ان يجعلها بحيث لا تنبو بهم ولا تغث
عليهم كما كانت في ايام الجبابرة وينفذ امرهم ويطلق ايديهم ويسلطهم ونري
فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وقرى ويرى فرعون
وهامان وجنودهما اي يرون منهم ما حذروه من ذهاب ملكهم وهلاكهم
على يد مولود منهم واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه
في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين اليم البحر
قيل هو نيل مصر فان قلت ما المراد بالخوفين حتى اوجب احدهما
ونهى عن الاخر قلت اما الاول فالخوف عليه من القتل لانه كان
اذا صاح خافت ان يسمع الجيران صوته فينموا عليه واما الثاني فالخوف

من الغرق ومن الضياع ومن الوقوع في يد بعض العيون المبثوثة من
قبل فرعون في تطلب الولدان وغير ذلك من المخاوف فان قلت ما الفرق
بين الخوف والحزن قلت الخوف غم يلحق الانسان لمتوقع والحزن غم يلحقه
لواقع وهو فراقه والاخطار به فنهيت عنهما جميعا وامنت بالوحي اليها ووعدت
ما يسليها ويطامن قلبها ويملاها غبطة وسرورا وهو رده اليها وجعله
من المرسلين وروي انه ذبح في طلب موسى تسعون الف وليد وروي
انها حين اقربت وضربها الطلق وكانت بعض القوابل الموكلات بحبالى
بني اسرايل مصافية لها فقالت لها لينفعني حبك اليوم فعالجتها فلما وقع الى
الارض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه قلبها ثم
قالت ما جيتك الا لاقتل مولودك واخبر فرعون ولكني وجدت لابنك
حبا ما وجدت مثله فاحفظيه فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته في خرقة
ووضعته في تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا
شيا فخرجوا وهي لا تدري مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت اليه
وقد جعل الله عليه النار بردا وسلاما فلما الح فرعون في طلب الولدان اوحي اليها
فالقته في اليم وقد روي انها ارضعته ثلاثة اشهر في تابوت من بردي
مطلي بالقار من داخله فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا اللام
في ليكون هي لام كي التي معناها التعليل كقولك جيتك لتكرمني سواء بسواء
ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة لانه لم يكن داعيهم
الى الالتقاط ان يكون لهم عدوا وحزنا ولكن المحبة والتبني غير ان ذلك
لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل
لاجله وهو الاكرام الذي هو نتيجة المجي والتادب الذي هو ثمرة الضرب
في قولك ضربته ليتادب وتحريره ان هذه اللام حكمها حكم الاسد حيث
استعيرت لما يشبه التعليل كما يستعار الاسد لمن يشبه الاسد وقري
وحزنا وهما لغتان كالعدم والعدم ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا ٣
خاطيين في كل شي فليس خطاوهم في تربية عدوهم ببدع منهم او كانوا مذنبين
مجرمين فعاقبهم الله بان ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على ايديهم
وقري خاطين تخفيف خاطيين او خاطين الصواب الى الخطا وقالت
امراة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه روي انهم حين التقطوا التابوت
عالجوا فتحه فلم يقدروا عليه فعالجوا كسره فاعياهم فدنت اسية فرات
في جوف التابوت نورا فعالجته ففتحته فاذا بصبي نوره بين عينيه وهو
يمص ابهامه لبنا فاحبوه وكانت لفرعون بنت برصاء وقالت له الاطباء
لا تبرا الا من قبل البحر يوجد فيه شبه انسان دواؤها ريقه فلطخت
البرصاء برصها بريقه فبرات وقيل لما نظرت الى وجهه برات
فقالت ان هذه لنسمة مباركة فهذا احد ما عطفهم عليه فقال الغواة
من قومه هو الصبي الذي نحذر منه فاذن لنا في قتله فهم بذلك فقالت
اسية قرة عين لي ولك فقال فرعون لك لا لي وروي في حديث لو قال
هو قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها وهذا على سبيل الفرض
والتقدير اي لو كان غير مطبوع على قلبه كاسية لقال مثل قولها ولاسلم
كما اسلمت هذا ان صح الحديث تاويله والله اعلم بصحته وروي انها قالت
له لعله من قوم اخرين ليس من بني اسرايل قرة عين خبر مبتدا محذوف ولا
يقوى ان تجعله مبتدا ولا تقتلوه خبرا ولو نصب كان اقوى وقراة

ابن مسعود

ابن مسعود دليل على انه خبر قرا لا تقتلوه قرة عين لي ولك بتقديم لا تقتلوه
عسى ان ينفعنا فان فيه مخايل اليمن ودلايل النفع لاهله وذلك لما عاينت
من النور وارتضاع الابهام وبرء البرصاء ولعلها توسمت في سيمائه النجابة
المؤذنة بكونه نفاعا او نتخذه ولدا او نتبناه فانه اهل للتبني ولان يكون
ولدا لبعض الملوك وهم لا يشعرون حال فان قلت وحالها قلت
ذو حالها ال فرعون وتقدير الكلام فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا
وحزنا وقالت امرات فرعون كذا وهم لا يشعرون انهم على خطاء عظيم في التقاطه
ورجاء النفع منه وتبنيه وقوله ان فرعون الاية جملة اعتراضية واقعة
بين المعطوف والمعطوف عليه موكدة لمعنى خطايهم وما احسن نظم هذا
الكلام عند المرتاض بعلم محاسن النظم واصبح فواد ام موسى فارغا صفرا من
العقل والمعنى انها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها لما دهمها
من فرط الجزع والدهش ونحوه قوله تعالى وافيدتهم هواء اي جوف
لا عقول فيها ومنه بيت حسان
الا ابلغ ابا سفيان عني فانت مجوف نخب هواء
وذلك ان القلوب مراكز العقول الا ترى الى قوله فتكون لهم قلوب يعقلون
بها وتدل عليه قراة من قرا فرغا وقري قرعا اي خاليا من قولهم اعوذ بالله
من صفر الاناء وقرع الفناء وفرغا من قولهم دماوهم بينهم فرغ اي هدر
يعني بطل قلبها وذهب وبقيت لا قلب لها من شدة ما ورد عليها ان كادت
لتبدي به لتصرح به والضمير لموسى والمراد بامره وقصته وانه ولدها
لولا ان ربطنا على قلبها بالهام الصبر كما يربط على الشي المنفلت ليقر ويطمين
لتكون من المومنين من المصدقين بوعد الله وهو قوله انا رادوه اليك
ويجوز واصبح فوادها فارغا من الهم حين سمعت ان فرعون عطف عليه
وتبناه ان كادت لتبدي بانه ولدها لانها لم تملك نفسها فرحا وسرورا بما
سمعت لولا انا طامنا قلبها وسكنا قلقه الذي حدث به من شدة الفرح
والابتهاج لتكون من المومنين الواثقين بوعد الله لا بتبني فرعون وتعطفه
وقري موسى بالهمز جعلت الضمة في جارة الواو وهي الميم كانها فيها فهمزت
كما تهمز واو وجوه وقالت لاخته قصيه اتبعي اثره وتتبعي خبره فبصرت
به عن جنب وقري فبصرت بالكسر يقال بصرت به وعن جنابة بمعنى
عن بعد وقري عن جانب وعن جنب والجنب الجانب يقال قعد الى جنبه
والى جانبه اي نظرت اليه مزورة متجانفة مخاتلة وهم لا يشعرون
وهم لا يحسون بانها اخته وكان اسمها مريم وحرمنا عليه المراضع من قبل
فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فرددناه
الى امه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون
التحريم استعارة حسن للمنع لان من حرم عليه الشي فقد منعه الا ترى الى قولهم
محظور وحجر وذلك لان الله منعه ان يرضع ثديا فكان لا يقبل ثدي مرضع
قط حتى اهمهم ذلك والمراضع جمع مرضع وهي المراة التي ترضع او جمع مرضع
وهو موضع الرضاع يعني الثدي او الرضاع من قبل من قبل قصصها اثره روي
انها لما قالت وهم له ناصحون قال هامان انها لتعرفه وتعرف اهله فانطلقت
الى امها بامرهم فجاءت بها والصبي على يد فرعون يعلله شفقة عليه وهو
يبكي يطلب الرضاع فحين وجد ريحها استانس والتقم ثديها فقال لها
فرعون ومن انت منه فقد ابى كل ثدي الا ثديك فقالت اني امراة

عن جنب

٢
فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون والنصح
اخلاص الصلاح شاب الصادر صح

طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتي بصبي لا قبلني فدفعه اليها واجري
عليها وذهبت به الي بيتها وانجز الله وعده في الرد فعندها ثبت واستقر
في علمها ان سيكون نبيا وذلك قوله ولتعلم ان وعد الله حق يريد وليثبت
علمها ويتمكن فان قلت كيف حل لها ان تاخذ الاجر علي ارضاع ولدها
قلت ما كانت تاخذه علي انه اجر علي الرضاع ولكنه مال حربي كانت
تاخذه علي وجه الاستباحة وقوله ولكن اكثرهم لا يعلمون داخل تحت علمها
المعني لتعلم ان وعد الله حق ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه حق فيرتابون
ويشبه التعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسي فجزعت واصبح فوادها
فارغا يروي انها حين القت التابوت في اليم جاءها الشيطان فقال لها يا ام
موسي كرهت ان يقتل فرعون موسي فتوجري ثم ذهبت فتوليت قتله فلما
اتاها الخبر بان فرعون اصابه قالت وقع في يد العدو فنسيت وعد الله
ويجوز ان يتعلق ولكن بقوله ولتعلم ومعناه ان الرد انما كان لهذا الغرض
الديني وهو علمها بصدق وعد الله ولكن الاكثر لا يعلمون بان هذا هو الغرض
الاصلي الذي ما سواه تبع له من قرة العين وذهاب الحزن ولما بلغ اشده
واستوي اتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين واستوي واعتدل
وتم استحكامه وبلغ المبلغ الذي لا يزاد عليه كما قال لقيط ❀ ❀ ❀
❀ واستحملوا امركم لله دركم ❀ شزر المريرة لا قحما ولا ضرعا ❀ ❀
وذلك اربعون سنة ويروي انه لم يبعث نبي الا علي راس اربعين سنة العلم
التوراة والحكم السنة وحكمة الانبياء سنتهم قال الله تعالي واذكرن ما يتلي
في بيوتكن من ايات الله والحكمة وقيل معناه اتيناه سيرة الحكما العلماء
وسمتهم قبل البعث فكان لا يفعل فعلا يستجهل فيه ودخل المدينة علي حين
غفلة من اهلها المدينة مصر وقيل مدينة منف من ارض مصر وحين
غفلتهم ما بين العشايين وقيل وقت القايلة وقيل يوم عيد
لهم هم مشتغلون فيه بلهوهم وقيل لما شب وعقل اخذ يتكلم بالحق
وينكر عليهم فاخافوه فلا يدخل قرية الا علي تغفل فوجد فيها رجلين يقتتلان
هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته وقرا
سيبويه فاستعانه من شيعته ممن شايعه علي دينه من بني اسرايل وقيل
هو السامري علي الذي من عدوه من مخالفيه من القبط وهو قاتون وكان
يتسخر الاسرايلي لحمل الحطب الي مطبخ فرعون فوكزه موسي والوكزة الدفع باطراف
الاصابع وقيل بجمع الكف وقرا ابن مسعود رضي الله عنه فلكزه باللام
فقضي عليه فقتله قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين قال
رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم فان قلت
لم جعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلما لنفسه واستغفر منه قلت
لانه قتله قبل ان يوذن له في القتل فكان ذنبا يستغفر منه وعن
ابن جريج ليس لنبي ان يقتل ما لم يومر قال رب بما انعمت علي يجوز ان يكون
قسما جوابه محذوف تقديره اقسم بانعامك علي بالمغفرة لاتوبن فلن اكون
ظهيرا للمجرمين وان يكون استعطافا كانه قال رب اعصمني بحق ما انعمت
علي من المغفرة فلن اكون ان عصمتني ظهيرا للمجرمين واراد بمظاهرة المجرمين
اما صحبة فرعون وانتظامه في جملته وتكثير سواده حيث كان يركب بركوبه
كالولد مع الوالد فكان يسمي ابن فرعون واما مظاهرة من ادت مظاهرته
الي الجرم والاثم كمظاهرة الاسرايلي الموديه الي القتل الذي لم يحل له وعن

ابن عباس

ابن عباس لم يستثن فابتلي به مرة اخري يعني لم يقل فلن اكون ان شاء الله
وهذا نحو قوله ولا تركنوا الي الذين ظلموا وعن عطا رحمه الله ان رجلا قال
له ان اخي يضرب بقلمه ولا يعدو رزقه قال فمن الراس يعني من يكتب له قال
خالد بن عبد الله القسري قال فاين قول موسي وتلا هذه الاية وفي الحديث
ينادي مناد يوم القيمة اين الظلمة واشباه الظلمة واعوان الظلمة حتي من
لاق لهم دواة اوبري لهم قلما فيجمعون في تابوت من حديد فيرمي به في جهنم
وقيل معناه بما انعمت علي من القوة فلن استعملها الا في مظاهرة اوليايك واهل
طاعتك والايمان بك ولا ادع قبطيا يغلب احدا من بني اسرايل فاصبح في المدينة
خايفا يترقب المكروه وهو الاستقادة منه او الاخبار وما يقال فيه فاذا الذي
استنصره بالامس يستصرخه قال له موسي انك لغوي مبين وصف
الاسرايلي بالغي لانه كان سبب قتل رجل وهو يقاتل اخر فلما اراد ان يبطش بالذي
هو عدو لهما قال يا موسي اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان
تريد الا ان تكون جبارا في الارض وما تريد ان تكون من المصلحين وقري
يبطش بالضم والذي هو عدو لهما القبطي لانه ليس علي دينهما ولان القبط
كانوا اعداء بني اسرايل والجبار الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم لا ينظر
في العواقب ولا يدفع بالتي هي احسن وقيل المتعظم الذي لا يتواضع لامر
الله ولما قال هذا افشي علي موسي ورقي الي فرعون وهموا بقتله وجاء رجل
من اقصي المدينة يسعي قال يا موسي ان الملا ياتمرون بك ليقتلوك
فاخرج اني لك من الناصحين قيل الرجل مومن ال فرعون وكان ابن عم فرعون
ويسعي يجوز ارتفاعه وصفا لرجل وانتصابه حالا عنه لانه قد تخصص
بان وصف بقوله من اقصي المدينة واذا جعل صلة لجاء لم يجز في يسعي الا
الوصف والايتمار التشاور يقال الرجلان يتامران ويأتمران لان كل واحد منهما
يامر صاحبه بشي ويشير عليه بامر والمعني يتشاورون بسببك ولك بيان
وليس بصلة للناصحين فخرج منها خايفا يترقب التعرض له في الطريق او ان يلحق
قال رب نجني من القوم الظالمين ولما توجه تلقاء مدين قصدها ونحوها
ومدين قرية شعيب عليه السلام سميت بمدين بن ابراهيم ولم تكن في سلطان
فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمان وكان موسي عليه السلام لا يعرف
اليها الطريق قال عسي ربي ان يهديني سواء السبيل قال ابن عباس رضي الله
عنه خرج وليس له علم بالطريق الا حسن ظنه بربه وسواء السبيل وسطه
ومعظم نهجه وقيل خرج حافيا لا يعيش الا بورق الشجر فما وصل حتي
سقط خف قدمه وقيل جاءه ملك علي فرس بيده عنزة فانطلق
به الي مدين ولما ورد ماء مدين ماؤهم الذي يستقون منه وكان بيرا
فيما روي ووروده مجيئه والوصول اليه وجد عليه وجد فوق شفيره
ومستقاه امة جماعة كثيفة العدد من الناس من اناس مختلفين يسقون
ووجد من دونهم في مكان اسفل من مكانهم امراتين تذودان والذود الطرد
والدفع وانما كانتا تذودان لان علي الماء من هو اقوي منهما فلا تتمكنان من
السقي وقيل كانتا تكرهان المزاحمة علي الماء وقيل لئلا تختلط اغنامهما
باغنامهم وقيل تذودان عن وجوههما نظر الناظر لتسترهما قال
ما خطبكما ما شانكما وحقيقته ما مخطوبكما اي مطلوبكما من الذياد فسمي
المخطوب خطبا كما سمي المشئون شانا في قولك ما شانك يقال شانت
شانه اي قصدت قصده قالتا لا نسقي حتي يصدر الرعاء وقري لا نسقي

فانتشر في المدينة الحديث

ويُصدر بضم النون والياء، والرعا بضم الراء اسم جمع كالرخال والثناء
وأما الرعاء بالكسر فقياس كصيام وقيام وابونا شيخ كبير كبير السن فسقى لهما
نسقي غنمهما لاجلهما وروي ان الرعاة كانوا يضعون على راس البئر حجرا لا يقله
الا سبعة رجال وقيل عشرة وقيل اربعون وقيل مائة فاقله وحده
وروي انه سالهم دلوا من ماء فاعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكانت لا ينزعها
الا اربعون فاستقى بها وصبها في الحوض ودعا بالبركة وروي غنمهما واصدرهما
وروي انه دفعهم عن الماء حتى سقى لهما وقيل كانت بئرا اخرى عليها
الصخرة وانما فعل هذا رغبة في المعروف واغاثة للملهوف والمعنى انه
وصل الى ذلك الماء وقد ازدحمت عليه امة من الناس مختلفة متكاثفة
العدد وراى الضعيفتين من ورائهم مع غنمتهما مترقبتين لفراغهم فما
اخطات همته في دين الله تلك الفرصة مع ما كان به من النصب وسقوط
خف القدم والجوع ولكنه رحمهما فاغاثهما وكفاهما امر السقي في مثل تلك الزحمة
بقوة قلبه وقوة ساعده وما اتاه الله من الفضل في متانة الفطرة ورصانة
الجبلة وفيه مع ارادة اقتصاص امره وما اوتي من البطش والقوة وما لم يغفل
عنه على ما كان به من انتهاز فرصة الاحتساب ترغيب في الخير وانتهاز فرصه
وبعث على الاقتداء في ذلك بالصالحين والاخذ بسيرهم ومذاهبهم
فان قلت لم جعل المفعول غير مذكور في يسقون وتذودان ولا نسقي
قلت لان الغرض هو الفعل لا المفعول الا ترى انه انما رحمهما لانهما
كانتا على الذياد وهم على السقي ولم يرحمهما لان مذودهما غنم ومسقيهم ابل
مثلا وكذلك قولهما لا نسقي حتى يصدر الرعاء المقصود فيه السقي لا المسقي
فان قلت كيف طابق جوابهما سؤاله قلت سالهما عن سبب
الذود فقالتا السبب في ذلك انا امراتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر
على مساجلة الرجال ومزاحمتهم فلا بد لنا من تاخير السقي الى ان يفرغوا وما
لنا رجل يقوم بذلك وابونا شيخ قد اضعفه الكبر فلا يصلح للقيام به ابلتا
اليه عذرهما في توليهما السقي بانفسهما فان قلت كيف ساغ لنبي الله الذي
هو شعيب عليه السلام ان يرضى لابنتيه بسقي الماشية قلت الامر
في نفسه ليس بمحظور فالدين لا يأباه واما المروة فالناس مختلفون في ذلك
والعادات متباينة فيه واحوال العرب فيه خلاف احوال العجم ومذهب اهل
البدو فيه غير مذهب اهل الحضر خصوصا اذا كانت الحالة حالة ضرورة
ثم تولى الى الظل فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير اي لاي شيء انزلت
الي قليل او كثير غث او سمين لفقير وانما عدي فقير باللام لانه ضمن
معنى سائل وطالب قيل ذكر ذلك وان خضرة البقل تتراءى في بطنه
من الهزال ما سال الله الا اكلة ويحتمل ان يريد اني فقير من الدنيا لاجل ما انزلت
الي من خير الدين وهو النجاة من الظالمين لانه كان عند فرعون في ملك وثروة
قال ذلك رضي بالبدل السني وفرحا به وشكرا له وكان الظل ظل سمرة فجاءته
احداهما تمشي على استحياء على استحياء في موضع الحال اي مستحيية متخفرة
وقيل قد استترت بكم درعها وروي انهما لما رجعتا الى ابيهما قبل
الناس واغنامهما حفل بطان قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا
فسقى لنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه لي فتبعها موسى فالزقت الريح ثوبها
بجسدها فوصفته فقال لها امشي خلفي وانعتي لي الطريق قالت ان ابي
يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف

نجوت

نجوت من القوم الظالمين فلما قص عليه قصته قال لا تخف فلا سلطان لفرعون
بارضنا فان قلت كيف ساغ لموسى عليه السلام ان يعمل بقول امراة
وان يمشي معها وهي اجنبية قلت اما العمل بقول امراة فكما يعمل بقول الواحد
حرا كان او عبدا ذكرا كان او انثى في الاخبار وما كانت الا مخبرة عن ابيها بانه
يدعوه ليجزيه واما مماشاته امراة اجنبية فلا باس في نظائره تلك الحال مع ذلك
الاحتياط والتورع فان قلت كيف صح له اخذ الاجر على البر والمعروف
قلت يجوز ان يكون قد فعل ذلك لوجه الله وعلى سبيل البر والمعروف وقبل
اطعام شعيب واحسانه لا على سبيل اخذ الاجر ولكن على سبيل التقبل لمعروف
مبتدا كيف وقد قص عليه قصصه وعرفه انه من بيت النبوة من اولاد يعقوب
ومثله حقيق بان يضيف ويكرم خصوصا في دار نبي من انبياء الله وليس
بمنكر ان يفعل ذلك لاضطرار الفقر والفاقة طلبا للاجر وقد روي ما يعضد
كلا القولين روي انها لما قالت ليجزيك كره ذلك ولما قدم اليه الطعام امتنع
وقال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الارض ذهبا ولا ناخذ على المعروف ثمنا
حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا وعن عطاء بن السائب رفع
صوته بدعائه ليسمعها فلذلك قيل له ليجزيك اجر ما سقيت لنا اي جزاء سقيك
والقصص مصدر كالعلل سمي به المقصوص قالت احداهما يا ابت استاجره
ان خير من استاجرت القوي الامين كبراهما كانت تسمى صفراء والصغرى
صفيرا وصفراء هي التي ذهبت به وطلبت الى ابيها ان يستاجره وهي التي تزوجها
وعن ابن عباس رضي الله عنه ان شعيبا احفظته الغيرة فقال وما علمك بقوته
وامانته فذكرت اقلال الحجر ونزع الدلو وانه صوب راسه حين بلغته رسالته
وامرها بالمشي خلفه وقولها ان خير من استاجرت القوي الامين كلام حكيم
جامع لا يزاد عليه لانه اذا اجتمعت هاتان الخصلتان اعني الكفاية والامانة
في القائم بامرك فقد فرغ بالك وتم مرادك وقد استغنت بارسالها هذا الكلام
الذي ساقته سياق المثل والحكمة ان تقول استاجره لقوته وامانته فان
قلت كيف جعل خير من استاجرت اسما لان والقوي الامين خبرا قلت
هو مثل قوله ❊ الا ان خير الناس حيا وهالكا ❊ اسير ثقيف عندهم في السلاسل ❊
في ان العناية هي سبب التقديم وقد صدقت حتى جعل لها ما هو احق بان
يكون اسما وورود الفعل بلفظ الماضي للدلالة على انه امر قد جرب وعرف ومنه
قولهم اهون ما اعملت لسان ممخ وعن ابن مسعود رضي الله عنه افرس الناس
ثلاثة بنت شعيب وصاحب يوسف وابو بكر في عمر على ان تاجرني ثماني حجج تاجرني
قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي روي انه انكحه صفراء وقوله هاتين فيه
دليل على انه كانت له غيرهما على ان تاجرني ثماني حجج تاجرني من اجرته اذا كنت له
اجيرا كقولك ابوته اذا كنت له ابا وثماني حجج ظرفه او من اجرته كذا اذا اثبته
اياه ومنه تعزية رسول الله صلى الله عليه وسلم اجركم الله ورحمكم وثماني حجج
مفعول به ومعناه رعية ثماني حجج فان قلت كيف صح ان ينكحه احدى
ابنتيه من غير تمييز قلت لم يكن ذلك عقدا للنكاح ولكن مواعدة ومواصفة
امر قد عزم عليه ولو كان عقدا لقال قد انكحتك ولم يقل اني اريد ان انكحك
فان قلت كيف صح ان يمهرها اجارة نفسه في رعية الغنم ولا بد من تسليم
ما هو مال الا ترى الى ابي حنيفة رحمه الله كيف منع ان يتزوج امراة بان
يخدمها سنة وجوز ان يتزوجها بان يخدمها عبده سنة او يسكنها داره
سنة لانه في الاول مسلم نفسه وليس بمال وفي الثاني هو مسلم ما لا

خبر ١٠٧

في قول عسى ان ينفعنا

وهو العبد او الدار قلت الامر على مذهب ابي حنيفة رحمه الله على ما ذكرت
واما الشافعي فقد جوز التزويج على الاجارة لبعض الاعمال والخدمة اذا كان
المستاجر له او المخدوم فيه امرا معلوما ولعل ذلك كان جايزا في تلك الشريعة
ويجوز ان يكون المهر شيا اخر وانما اراد ان يكون راعي غنمه هذه المدة واراد
ان ينكحه ابنته فذكر له المرادين وعلق الانكاح بالرعية على معنى اني افعل هذا
اذا فعلت ذلك على وجه المعاهدة لا على وجه المعاقدة ويجوز ان يستاجره
لرعية ثماني سنين بمبلغ معلوم ويوفيه اياه ثم ينكحه ابنته به ويجعل
قوله على ان تاجرني ثماني حجج عبارة عما جرى بينهما فان اتممت عشرا فمن عندك
فان اتممت عمل عشر حجج فمن عندك فاتمامه من عندك والمعنى فهو من عندك
لا من عندي يعني لا الزمكه ولا احتمه عليك ولكنك ان فعلته فهو منك
تفضل وتبرع والا فلا عليك وما اريد ان اشق عليك بالزام اتم الاجلين
وايجابه فان قلت ما حقيقة قولهم شققت عليه وشق عليه الامر قلت
حقيقته ان الامر اذا تعاظمك فكانه شق عليك ظنك باثنين تقول تارة اطيقه
وتارة لا اطيقه او وعده المساهلة والمسامحة من نفسه وانه لا يشق عليه فيما استاجره
له من رعي غنمه ولا يفعل نحو ما يفعل المعاسرون من المسترعين من المناقشة
في مراعاة الاوقات والمداقة في استيفاء الاعمال وتكليف الرعاة اشغالا
خارجة من حد الشرط وهكذا الانبيا عليهم السلام اخذين بالاسمح في معاملات
الناس ومنه الحديث كان رسول الله شريكي فكان خير شريك لا يداري ولا
يشاري ولا يماري وقوله ستجدني ان شاء الله من الصالحين يدل على ذلك
يريد بالصلاح حسن المعاملة ووطاءة الخلق ولين الجانب ويجوز ان يريد
الصلاح على العموم ويدخل تحته حسن المعاملة والمراد باشتراط مشيئة
الله فيما وعد من صلاحه الاتكال على توفيقه فيه ومعونته لا انه يستعمل
الصلاح ان شاء الله وان شاء استعمل خلافه قال ذلك بيني وبينك ايما الاجلين
قضيت ذلك مبتدا وبيني وبينك خبره وهو اشارة الى ما عاهده عليه
شعيب يريد ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قايم بيننا
جميعا لا يخرج كلانا عنه لا انا عما شرطت علي ولا انت عما شرطت على نفسك
ثم قال اي اجل قضيت من الاجلين اطولهما الذي هو العشر او اقصرهما الذي
هو الثماني فلا عدوان علي اي لا يعتدى علي في طلب الزيادة عليه فان
قلت تصور العدوان انما هو في احد الاجلين الذي هو الاقصر وهو
المطالبة بتتمة العشر فما معنى تعليق العدوان بهما جميعا قلت
معناه كما اني ان طولبت بالزيادة على العشر كان عدوانا لا شك فيه فكذلك
ان طولبت بالزيادة على الثماني اراد بذلك تقرير امر الخيار وانه ثابت مستقر
وان الاجلين على السواء اما هذا واما هذا من غير تفاوت بينهما في القضاء
واما التتمة فموكولة الى رايي ان شئت اتيت بها والا لم اجبر عليها وقيل
معناه فلا اكون متعديا وهو في نفي العدوان عن نفسه كقولك لا اثم
علي ولا تبعة علي وفي قراءة ابن مسعود اي الاجلين ما قضيت وقري
ايما بسكون اليا كقوله

تنظرت نصرا والسماكين ايهما ... علي من الغيث استهلت مواطره

وعن ابن قطيب عدوان بالكسر فان قلت ما الفرق بين موقعي ما المزيدة
في القراءتين قلت وقعت في المستفيضة مؤكدة لابهام اي زايدة في شياعها
وفي الشاذة تاكيدا للقضاء كانه قال اي الاجلين صممت على قضايه

كان

وجدت

وجدت في عزيمتي له والله على ما نقول وكيل الوكيل الذي وكل اليه الامر ولما
استعمل في موضع الشاهد والمهيمن والمقيت عدي بعلى لذلك روي ان شعيبا
كانت عنده عصي الانبياء فقال لموسى بالليل ادخل ذلك البيت فخذ عصا من
تلك العصي فاخذ عصا هبط بها ادم من الجنة ولم يزل الانبياء يتوارثونها
حتى وقعت الى شعيب فمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال خذ غيرها فما
وقع في يده الا هي سبع مرات فعلم ان له شانا وقيل اخذها جبريل بعد
موت ادم فكانت معه حتى لقي بها موسى ليلا وقيل اودعها شعيبا ملك
في صورة رجل فامر بنته ان تاتيه بعصا فاتته بها فردها سبع مرات فلم يقع
في يدها غيرها فدفعها اليه ثم ندم لانها وديعة فتبعه فاختصما فيه ورضيا
ان يحكم بينهما اول طالع فاتاهما الملك فقال القياها فمن رفعها فهي له فعالجها
الشيخ فلم يطقها ورفعها موسى وعن الحسن ما كانت الا عصا من الشجر اعترضها
اعتراضا وعن الكلبي الشجرة التي منها نودي شجرة العوسج ومنها كانت عصاه
ولما اصبح قال له شعيب اذا بلغت مفرق الطريق فلا تاخذ على يمينك فان
الكلا وان كان بها اكثر الا ان فيها تنينا اخشاه عليك وعلى الغنم فاخذت
الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها فمشى على اثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله
فنام فاذا بالتنين قد اقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى
دامية فلما ابصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب
مس الغنم فوجدها ملاى البطون غزيرة اللبن فاخبره موسى ففرح وعلم
ان لموسى والعصا شانا وقال له اني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام
كل ادرع ودرعاء فاوحى اليه في المنام ان اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل
ثم سقى فما اخطات واحدة الا وضعت ادرع ودرعاء فوفى له بشرطه وسيل
رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الاجلين قضى موسى فقال ابعدهما وابطاهما
وروي انه قال قضى اوفاهما وتزوج صغراهما وهذا خلاف الرواية التي سبقت
فلما قضى موسى الاجل وسار باهله انس من جانب الطور نارا قال لاهله امكثوا
اني انست نارا لعلي اتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون الجذوة
باللغات الثلاث وقري بهن جميعا العود الغليظ كانت في راسه نار او لم
تكن قال كثير

باتت حواطب ليلى يلتمسن لها ... جزل الجذى غير خوار ولا دعر

وقال

والقى على قبس من النار جذوة ... شديدا عليه حرها والتهابها

فلما اتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ان
يا موسى اني انا الله رب العالمين وان الق عصاك فلما راها تهتز كانها جان
ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى اقبل ولا تخف انك من الامنين اسلك يدك
في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم اليك جناحك من الرهب من الاولى
والثانية لابتداء الغاية اي اتاه النداء من شاطئ الوادي من قبل الشجرة
ومن الشجرة بدل من قوله من شاطئ الوادي بدل الاشتمال لان الشجرة كانت
نابتة على الشاطئ كقوله لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم وقري البقعة
بالضم والفتح والرهب بضمتين وفتحتين وفتح وسكون وضم وسكون
وهو الخوف فان قلت ما معنى قوله واضمم اليك جناحك من الرهب
قلت فيه معنيان احدهما ان موسى عليه السلام لما قلب العصا حية فزع
واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشي فقيل له ان اتقاك بيدك
فيه غضاضة عند الاعداء فاذا القيتها فكما تنقلب حية فادخل يدك تحت
عضدك مكان اتقائك بها ثم اخرجها بيضاء ليحصل الامران اجتناب

ماهو غضاضة عليك واظهار معجزة اخري والمراد بالجناح اليد لان يدي
الانسان بمنزلة جناحي الطاير واذا ادخل يده اليمني تحت عضد يده اليسري
فقد ضم جناحه اليه والثاني ان يراد بضم جناحه اليه تجلده وضبطه نفسه
وتشدده عند انقلاب العصا حية حتي لا يضطرب ولا يرهب استعارة
من فعل الطاير لانه اذا خاف نشر جناحيه وارخاهما والا فجناحاه مضمومان
اليه مشمران ومنه ما يحكي عن عمر بن عبد العزيز ان كاتبا له كان يكتب بين يديه
فانفلتت منه فلتة ريح فخجل وانكسر فقام وضرب بقلمه الارض فقال له
عمر خذ قلمك واضمم اليك جناحك وليفرخ روعك فاني ما سمعتها من احد
اكثر مما سمعتها من نفسي ومعني قوله من الرهب من اجل الرهب اي اذا اصابك
الرهب عند رؤية الحية فاضمم اليك جناحك جعل الرهب الذي كان
يصيبه سببا وعلة فيما امر به من ضم جناحه اليه ومعني واضمم اليك
جناحك وقوله اسلك يدك في جيبك علي احد التفسيرين واحد ولكن خولف
بين العبارتين وانما كرر المعني الواحد لاختلاف الغرضين وذلك ان الغرض
في احدهما خروج اليد بيضاء وفي الثاني اخفاء الرهب فان قلت
قد جعل الجناح وهو اليد في احد الموضعين مضموما وفي الاخر مضموما اليه
وذلك قوله واضمم اليك جناحك وقوله واضمم يدك الي جناحك فما التوفيق
بينهما قلت المراد بالجناح المضموم هو اليد اليمني وبالمضموم اليه اليد
اليسري وكل واحد من يمني اليدين ويسراهما جناح ومن بدع التفاسير ان
الرهب الكم بلغة حمير وانهم يقولون اعطني مما في رهبك وليت شعري كيف
صحته في اللغة وهل سمع من الاثبات الثقات الذين ترتضي عربيتهم ثم ليت
شعري كيف موقعه في الاية وكيف تطبيقه المفصل كسائر كلمات التنزيل
علي ان موسي صلوات الله عليه وسلامه ما كان عليه ليلة المناجاة الا زرمانقة
من صوف لا كمي لها فذانك قري مخففا ومشددا فالمخفف مثني ذاك والمشدد
مثني ذلك برهانان حجتان بينتان نيرتان فان قلت لم سميت
الحجة برهانا قلت لبياضها وانارتها من قولهم للمراة البيضاء برهرهة
بتكرير العين واللام معا والدليل علي زيادة النون قولهم ابره الرجل اذا
جاء بالبرهان ونظيره تسميتهم اياها سلطانا من السليط وهو الزيت
لانارتها من ربك الي فرعون وملايه انهم كانوا قوما فاسقين قال رب
اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون واخي هرون هو افصح مني
لسانا فارسله معي ردا يصدقني اني اخاف ان يكذبون يقال ردأته اعنته
والردء اسم ما يعان به فعل بمعني مفعول به كما ان الدفء اسم لما يدفا
به قال سلامة بن جندل
وردءي كل ابيض مشرفي ... شحيذ الحد عضب ذي فلول
وقري ردا علي التخفيف كما قري الخب ردا يصدقني بالرفع والجزم صفة
وجواب نحو وليا يرثني سواء فان قلت تصديق اخيه ما الفائدة
فيه قلت ليس الغرض بتصديقه ان يقول له صدقت او يقول
للناس صدق موسي وانما هو ان يلخص بلسانه الحق ويبسط القول
فيه ويجادل به الكفار كما يفعل الرجل المنطيق ذو العارضة فذلك
جار مجري التصديق المفيد كما يصدق القول بالبرهان الا تري الي قوله
واخي هارون هو افصح مني لسانا فارسله معي وفضل الفصاحة انما
يحتاج اليه لذلك لا لقوله صدقت فان سحبان وباقلا يستويان

فيه

فيه او يصل جناح كلامه بالبيان حتي يصدقه الذي يخاف تكذيبه فاسند
التصديق الي هارون لانه السبب فيه اسنادا مجازيا ومعني الاسناد
المجازي ان التصديق حقيقة في المصدق فاسناده اليه حقيقة وليس
في السبب تصديق ولكن استعير له الاسناد لانه لابس التصديق بالتسبب
كما لابسه الفاعل بالمباشرة والدليل علي هذا الوجه قوله اني اخاف ان
يكذبون وقراءة من قرا ردا يصدقوني وفيها تقوية للقراءة بجزم يصدقني
قال سنشد عضدك باخيك العضد قوام اليد وبشدتها تشتد قال
طرفة ... ابني لبيني لستما بيد ... الا يدا ليست لها عضد ...
ويقال في دعاء الخير شد الله عضدك وفي ضده فت الله في عضدك
ومعني سنشد عضدك باخيك سنقويك به ونعينك فاما ان يكون
ذلك لان اليد تشتد بشدة العضد والجملة تقوي بشدة اليد علي مزاولة
الامور واما لان الرجل شبه باليد في اشتدادها باشتداد العضد فجعل
كانه يد مشتدة بعضد شديدة ونجعل لكما سلطانا غلبة وتسلطا
او حجة واضحة فلا يصلون اليكما باياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون
باياتنا متعلق بنحو ما تعلق به في تسع ايات اي اذهبا باياتنا او بنجعل
لكما سلطانا اي نسلطكما باياتنا او بلا يصلون اي تمتنعون منهم
باياتنا وهو بيان للغالبون لا صلة لامتناع تقدم الصلة علي الموصول
ولو تاخر لم يكن الا صلة له ويجوز ان يكون قسما جوابه لا يصلون مقدما
عليه او من لغو القسم فلما جاءهم موسي باياتنا بينات قالوا ما هذا
الا سحر مفتري سحر تعمله انت ثم تفتريه علي الله او سحر ظاهر افتراؤه
او موصوف بالافتراء كسائر انواع السحر وليس بمعجزة من عند الله
وما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين في ابائنا حال منصوبة عن هذا
اي كائنا في زمانهم وايامهم يريد ما حدثنا بكونه فيهم ولا يخلو من ان
يكونوا كاذبين في ذلك وقد سمعوا وعلموا بنحوه او يريدوا انهم لم يسمعوا
بمثله في فظاعته او ما كان الكهان يخبرون بظهور موسي ومجيئه بما
جاء به وهذا دليل علي انهم حجوا وبهتوا وما وجدوا ما يدفعون به
ما جاءهم من الايات الا قولهم هذا سحر وبدعة لم يسمعوا بمثلها
وقال موسي ربي اعلم بمن جاء بالهدي من عنده ومن تكون له عاقبة
الدار انه لا يفلح الظالمون يقول ربي اعلم منكم بحال من اهله الله للفلاح
الاعظم حيث جعله نبيا وبعثه بالهدي ووعده حسن العقبي يعني
نفسه ولو كان كما تزعمون كاذبا ساحرا مفتريا لما اهله لذلك لانه
غني حكيم لا يرسل الكاذبين ولا ينبي الساحرين ولا يفلح عنده الظالمون
وعاقبة الدار هي العاقبة المحمودة والدليل عليه قوله اوليك لهم عقبي
الدار جنات عدن وقوله وسيعلم الكافر لمن عقبي الدار والمراد بالدار
الكفار
الدنيا وعاقبتها وعقباها ان يختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقي
الملايكة بالبشري عند الموت فان قلت العاقبة المحمودة والمذمومة
كلتاهما تصح ان تسمي عاقبة الدار لان الدنيا اما ان تكون خاتمتها بخير
او شر فلم اختصت خاتمتها بالخير بهذه التسمية دون خاتمتها بالشر
قلت قد وضع الله سبحانه الدنيا مجازا الي الاخرة واراد بعباده
ان لا يعملوا فيها الا الخير وما خلقهم الا لاجله ليتلقوا خاتمة الخير وعاقبة
الصدق ومن عمل فيها خلاف ما وضعها الله له فقد حرف فاذن

عاقبتها الاصلية هي عاقبة الخير واما عاقبة السوء فلا اعتداد بها لانها
من نتايج تحريف الكفار وقرا ابن كثير قال موسي بغير واو علي ما في مصاحف
اهل مكة وهي قراة حسنة لان الموضع موضع سوال وبحث عما اجابهم به
موسي عند تسميتهم مثل تلك الايات الباهرة سحرا مفتري ووجه الاخري
انهم قالوا ذلك وقال موسي هذا ليوازن الناظر بين القول والمقول ويتبصر
فسا د احدهما وصحة الاخر وبضدها تتبين الاشيا وقري تكون بالتا
والياء وقال فرعون يا ايها الملا ما علمت لكم من اله غيري فاوقد لي يا هامان
علي الطين فاجعل لي صرحا لعلي اطلع الي اله موسي واني لاظنه من الكاذبين
روي انه لما امر ببناء الصرح جمع هامان العمال حتي اجتمع خمسون الف بناء سوي
الاتباع والاجرا وامر بطبخ الاجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير فشيدوه
حتي بلغ ما لم يبلغه بنيان احد من الخلق فكان الباني لا يقدر ان يقوم علي
راسه يبني فبعث الله جبريل عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه
ثلاث قطع وقعت قطعة علي عسكر فرعون فقتلت الف الف رجل ووقعت
قطعة في البحر وقطعة في المغرب ولم يبق احد من عماله الا وقد هلك ويروي
في هذه القصة ان فرعون ارتقي فوقه فرمي بنشابة نحو السما فاراد الله ان
يفتنهم فردت اليه وهي ملطوخة بالدم فقال قد قتلت اله موسي
فعند ها بعث الله جبريل لهدمه والله اعلم بصحته قصد بنفي علمه
باله غيره نفي وجوده معناه ما لكم من اله غيري كما قال عز وجل قل اتنبئون
الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض معناه بما ليس فيهن وذلك لان
العلم تابع للمعلوم لا يتعلق به الا علي ما هو عليه فاذا كان الشي معدوما
لم يتعلق به موجودا فمن ثم كان انتفاء العلم بوجوده لانتفاء وجوده وعبر
عن انتفاء وجوده بانتفاء العلم بوجوده ويجوز ان يكون علي ظاهره وان الها
غيره غير معلوم عنده ولكنه مظنون بدليل قوله واني لاظنه من الكاذبين
واذا ظن موسي كاذبا في اثباته الها غيره ولم يعلمه كاذبا فقد ظن ان في الوجود
الها غيره ولو لم يكن المخذول ظانا ظنا كاليقين بل عالما بصحة قول موسي عليه
السلام لقول موسي له لقد علمت ما انزل هولاء الا رب السموات والارض
بصاير لما تكلف ذلك البنيان العظيم ولما تعب في بنائه ما تعب لعله يطلع
بزعمه الي اله موسي وان كان جاهلا مفرط الجهل به وبصفاته حيث حسب
انه في مكان كما كان هو في مكان وانه يطلع اليه كما كان يطلع اليه اذا قعد
في عليته وانه ملك السماء كما انه ملك الارض ولا تري بينة اثبت شهادة علي
افراط جهله وغباوته وجهل ملاه وغباوتهم من انهم راموا نيل اسباب السموات
بصرح يبنونه وليت شعري اكان يلبس علي اهل بلاده ويضحك من عقولهم
حيث صادفهم اغبي الناس واخلاهم من الفطن واشبههم بالبهايم بذلك
ام كان في نفسه بتلك الصفة وان صح ما حكي من رجوع النشابة اليه
ملطوخة بالدم فتهكم به بالفعل كما جاء التهكم بالقول في غير موضع
من كتاب الله بنظرايه من الكفرة ويجوز ان يفسر الظن علي القول الاول
باليقين كقوله فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج
ويكون بناء الصرح مناقضة لما ادعاه من العلم واليقين وقد خفيت
علي قومه لغباوتهم وبلههم اولم تخف عليهم ولكن كلا كان يخاف علي نفسه
سوطه وسيفه وانما قال اوقد لي يا هامان علي الطين ولم يقل اطبخ لي
الاجر واتخذه لانه اول من عمل الاجر فهو يعلمه الصنعة ولان هذه العبارة

احسن

احسن طباقا لفصاحة القران وعلو طبقته واشبه بكلام الجبابرة وامر
هامان وهو وزيره ورديفه بالايقاد علي الطين منادي باسمه بيا في وسط
الكلام دليل علي التعظيم والتجبر وعن عمر رضي الله عنه انه حين سافر الي الشام
وراي القصور المشيدة بالاجر قال ما علمت احدا بني بالاجر غير فرعون والطلوع والاطلاع
الصعود يقال طلع الجبل واطلع بمعني واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق
الاستكبار بالحق انما هو لله عز وجل وهو المتكبر علي الحقيقة اي المتبالغ في كبرياء
الشان قال رسول الله صلي الله عليه وسلم فيما حكي عن ربه الكبرياء ردايي
والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما القيته في النار وكل مستكبر سواه
فاستكباره بغير الحق وظنوا انهم الينا لا يرجعون يرجعون بالضم والفتح
فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم من الكلام الفخم الذي دل به علي
عظمة شانه وكبرياء سلطانه شبههم استحقارا لهم واستقلالا لعددهم
وان كانوا الكثير الكثير والجم الغفير بحصيات اخذهن اخذ فطرحهن في البحر
ونحو ذلك قوله وجعلنا فيها رواسي شامخات وحملت الارض والجبال فدكتا
دكة واحدة وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته والسموات
مطويات بيمينه وما هي الا تصويرات وتمثيلات لاقتداره وان كل مقدور
وان عظم وجل فهو مستصغر الي جنب قدرته فانظر كيف كان عاقبة
الظالمين وجعلناهم ايمة يدعون الي النار ويوم القيمة هم لا ينصرون
فان قلت ما معني قوله وجعلناهم ايمة يدعون الي النار قلت
معناه ودعوناهم ايمة دعاة الي النار وقلنا انهم ايمة دعاة الي النار كما يدعي
خلفاء الحق ايمة دعاة الي الجنة وهو من قولك جعله بخيلا وفاسقا اذا دعاه
وقال انه بخيل وفاسق ويقول اهل اللغة في تفسير فسقه وبخله جعله
بخيلا وفاسقا ومنه قوله عز وجل وجعلوا الملايكة الذين هم عباد الرحمن
اناثا ومعني دعوتهم الي النار دعوتهم الي موجباتها من الكفر والمعاصي
ويوم القيمة لا ينصرون كما ينصر الايمة الدعاة الي الجنة ويجوز خذلناهم
حتي كانوا ايمة الكفر ومعني الخذلان منع الالطاف وانما يمنعها من علم انها
لا تنفع فيه وهو المصمم علي الكفر الذي لا تغني عنه الايات والنذر ومجراه
مجري الكناية لان منع الالطاف يردف التصميم والغرض بذكره التصميم
نفسه فكانه قيل صمموا علي الكفر حتي كانوا ايمة فيه دعاة اليه والي
سوء عاقبته فان قلت واي فايدة في ترك المردوف الي الرادفة قلت
ذكر الرادفة يدل علي وجود المردوف فيعلم وجود المردوف مع الدليل
الشاهد بوجوده فيكون اقوي لاثباته من ذكره الا تري انك تقول لولا انه
مصمم علي الكفر مقطوع امره مثبوت حكمه لما منعت منه الالطاف فبذكر
منع الالطاف يحصل العلم بوجود التصميم علي الكفر وزيادة وهو قيام الحجة
علي وجوده وينصر هذا الوجه قوله ويوم القيمة لا ينصرون كانه قيل
وخذلناهم في الدنيا وهم يوم القيمة مخذولون كما قال واتبعناهم في هذه
الدنيا لعنة اي طردا وابعادا عن الرحمة ويوم القيمة هم من المقبوحين
اي من المطرودين المبعدين ولقد اتينا موسي الكتاب من بعد ما اهلكنا
القرون الاولي بصاير للناس وهدي ورحمة بصاير نصب علي الحال
والبصيرة نور القلب الذي يستبصر به كما ان البصر نور العين الذي
تبصر به يريد اتيناه التوراة انوارا للقلوب لانها كانت عميا لا تستبصر
ولا تعرف حقا من باطل وارشادا لانهم كانوا يخبطون في ضلال

في كمه
يوم القيمة

ورحمة لانهم لو عملوا بها وصلوا الي نيل الرحمة لعلهم يتذكرون ارادة ان يتذكروا شبهت الارادة بالترجي فاستعير لها ويجوز ان يراد به ترجي موسي ليذكرهم كقوله لعله يتذكر وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الي موسي الامر وما كنت من الشاهدين الغربي المكان الواقع في شق الغرب وهو المكان الذي وقع فيه ميقات موسي من الطور وكتب الله له فيه الالواح والامر المقضي الي موسي الوحي الذي اوحي اليه والخطاب لرسول الله صلي الله عليه وسلم يقول وما كنت حاضرا المكان الذي اوحينا فيه الي موسي ولا كنت من جملة الشاهدين للوحي اليه او علي الوحي اليه وهم نقباوه الذين اختارهم للميقات حتي تقف من جهة المشاهدة علي ما جري من امر موسي وميقاته وكتبه التوراة له في الالواح وغير ذلك فان قلت كيف يتصل قوله ولكنا انشانا قرونا بهذا الكلام ومن اي وجه يكون استدراكا له قلت اتصاله به وكونه استدراكا له من حيث ان معناه ولكنا انشانا بعد عهد الوحي الي عهدك قرونا كثيرة فتطاول عليهم علي اخرهم وهو القرن الذي انت فيهم العمر اي امد انقطاع الوحي واندرست العلوم فوجب ارسالك اليهم فارسلناك وكسبناك العلم بقصص الانبياء وقصة موسي كانه قال وما كنت شاهد الموسي وما جري عليه ولكنا اوحيناه اليك فذكر سبب الوحي الذي هو اطالة الفترة ودل به علي المسبب علي عادة الله في اختصاراته فاذن هذا الاستدراك شبيه الاستدراكين بعده وما كنت ثاويا في اهل مدين وهم شعيب والمومنون به تتلوا عليهم اياتنا تقروها عليهم تعلما منهم يريد الايات التي فيها قصة شعيب وقومه ولكنا كنا مرسلين ولكنا ارسلناك واخبرناك بها وعلمناكها وما كنت بجانب الطور اذ نادينا يريد مناداة موسي ليلة المناجاة وتكليمه ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون ولكن علمناك رحمة وقري رحمة بالرفع اي هي رحمة ما اتاهم من نذير في زمان الفترة بينك وبين عيسي وهو خمسماية وخمسون سنة ونحوه قوله لتنذر قوما ما انذر اباوهم ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك ونكون من المومنين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسي ولولا الاولي امتناعية وجوابها محذوف والثانية تحضيضية واحدي الفايين للعطف والاخري جواب لولا لكونها في حكم الامر من قبل ان الامر باعث علي الفعل والباعث والمحضض من واد واحد والمعني ولولا انهم قايلون اذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصي هلا ارسلت الينا رسولا محتجين علينا بذلك لما ارسلنا اليهم يعني ان ارسال الرسول اليهم انما هو ليلزموا الحجة ولا يلزموها كقوله لئلا يكون للناس علي الله حجة بعد الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك فان قلت كيف استقام هذا المعني وقد جعلت العقوبة هي السبب في الارسال لا القول لدخول حرف الامتناع عليها دونه قلت القول هو المقصود بان يكون سببا لارسال الرسل ولكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول وجوده بوجودها جعلت العقوبة كانها سبب الارسال بواسطة القول فادخلت عليها لولا وجي بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية معني السببية ويؤول معناه الي قولك ولولا قولهم هذا اذا اصابتهم مصيبة لما ارسلنا ولكن اختيرت هذه الطريقة لنكتة وهي انهم لو لم يعاقبوا مثلا.

علي

علي كفرهم وقد عاينوا ما الجيوا به الي العلم اليقين لم يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا وانما السبب في قولهم هذا هو العقاب لا غير لا التاسف علي ما فاتهم من الايمان بمخالفتهم وفي هذا من الشهادة القوية علي استحكام كفرهم ورسوخه فيهم ما لا يخفي كقوله تعالي ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ولما كانت اكثر الاعمال تزاول بالايدي جعل كل عمل معبرا عنه باجتراح الايدي وتقديم الايدي وان كان من اعمال القلوب وهذا من الاتساع في الكلام وتصيير الاقل تابعا للاكثر وتغليب الاكثر علي الاقل فلما جاءهم الحق وهو الرسول المصدق بالكتاب المعجز مع ساير المعجزات وقطعت معاذيرهم وسد طريق احتجاجهم قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسي من الكتاب المنزل جملة واحدة ومن قلب العصا حية وفلق البحر وغيرهما من الايات فجاوا بالاقتراحات المبنية علي التعنت والعناد كما قالوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وما اشبه ذلك اولم يكفروا يعني ابناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكفرة في زمن موسي بما اوتي موسي من قبل وعن الحسن رحمه الله قد كان للعرب اصل في ايام موسي فمعناه علي هذا اولم يكفر اباوهم قالوا في موسي وهارون ساحران تظاهرا تعاونا وقري اظاهرا علي الادغام وسحران بمعني ذوا سحر او جعلوهما سحرين مبالغة في وصفهما بالسحر مبالغة في وصفهما بالسحر او ارادوا نوعان من السحر وقالوا انا بكل كافرون بكل واحد منهما فان قلت بم علقت قوله من قبل في هذا التفسير قلت باولم يكفروا ولي ان اعلقه باوتي فينقلب المعني الي ان اهل مكة الذين قالوا هذه المقالة كما كفروا بمحمد عليه السلام وبالقران فقد كفروا بموسي وبالتوراة وقالوا في موسي ومحمد عليهما السلام ساحران تظاهرا او في الكتابين سحران تظاهرا وذلك حين بعثوا الرهط الي روساء اليهود بالمدينة يسالونهم عن محمد عليه السلام فاخبروهم انه نعته وصفته وانه في كتابهم فرجع الرهط الي قريش فاخبروهم بقول اليهود فقالوا عند ذلك سحران تظاهرا قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدي منهما اتبعه ان كنتم صادقين هو اهدي منهما مما انزل علي موسي ومما انزل علي هذا الشرط من نحو ما ذكرت انه شرط المدل بالامر المتحقق لصحته لان امتناع الاتيان بكتاب اهدي من الكتابين امر معلوم متحقق لا مجال فيه للشك ويجوز ان يقصد بحرف الشك التهكم بهم فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم فان قلت ما الفرق بين فعل الاستجابة في الاية وبينه في قوله، فلم يستجبه عند ذاك مجيب حيث عدي بغير اللام قلت هذا الفعل يتعدي الي الدعاء بنفسه والي الداعي باللام ويحذف الدعاء اذا عدي الي الداعي في الغالب فيقال استجاب الله دعاءه او استجاب له ولا يكاد يقال استجاب له دعاءه واما البيت فمعناه فلم يستجب دعاءه علي حذف المضاف فان قلت فالاستجابة تقتضي دعاء ولا دعاء ههنا قلت قوله فاتوا بكتاب امر بالاتيان والامر بعث علي الفعل ودعاء اليه فكانه قال فان لم يستجيبوا دعاءك الي الاتيان بالكتاب الاهدي فاعلم انهم قد الزموا ولم تبق لهم حجة الا اتباع الهوي ثم قال ومن اضل ممن اتبع هواه اي ومن اضل ممن لا يتبع في دينه الا الهواه بغير هدي من الله اي مطبوعا علي قلبه ممنوع الالطاف ان الله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يلطف بالقوم الثابتين علي الظلم الذين اللطف بهم عابث وقوله بغير هدي.

اوله • وداع دعا من كصا الى الندى • وبعده • فقلت ادع اخرى وارفع الصوت البيت

اي

مُخلّى

في موضع الحال يعني مخذ ولا يبينه وبين هواه ولقد وصلنا لهم القول
قرئ وصلنا بالتشديد والتخفيف والمعني ان القران اتاهم متتابعا متواصلا
وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ونصايح لعلهم يتذكرون ارادة
ان يتذكروا فيفلحوا او نزل عليهم نزولا متصلا بعضه في اثر بعض كقوله
وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين الذين اتيناهم
الكتاب من قبله هم به يومنون واذا يتلي عليهم قالوا امنا به انه الحق
من ربنا انا كنا من قبله مسلمين نزلت في مومني اهل الكتاب وعن
رفاعة بن قرظة نزلت في عشرة انا احدهم وقيل في اربعين من
مسلمي اهل الانجيل اثنان وثلاثون جاوا مع جعفر من ارض الحبشة وثمانية
من الشام والضمير في من قبله للقران فان قلت اي فرق بين الاستينافين
انه وانا قلت الاول تعليل للايمان به لان كونه حقا من الله حقيق
بان يومن به والثاني بيان لقوله امنا به لانه يحتمل ان يكون ايمانا قريب
العهد وبعيده فاخبروا ان ايمانهم به متقادم لان اباوهم القدماء
قروا في الكتب الاول ذكره وابناوهم من بعدهم من قبله من قبل وجوده
ونزوله مسلمين كاينين علي دين الاسلام لان الاسلام صفة كل موحد
مصدق للوحي اوليك يوتون اجرهم مرتين بما صبروا بما صبروا بصبرهم
علي الايمان بالتوراة والايمان بالقران او بصبرهم علي الايمان بالقران قبل
نزوله وبعد نزوله او بصبرهم علي اذي المشركين واهل الكتاب ونحوه
يوتكم كفلين من رحمته ويدرون بالحسنة السيية بالطاعة المعصية
المتقدمة او بالحلم الاذي ومما رزقناهم ينفقون واذا سمعوا اللغو اعرضوا
عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم سلام عليكم توديع ومتاركة
وعن الحسن كلمة حلم من المومنين لا نبتغي الجاهلين لا نريد مخالطتهم وصحبتهم
فان قلت من خاطبوا بقولهم ولكم اعمالكم قلت اللاغين
الذين دل عليهم قوله واذا سمعوا اللغو انك لا تهدي من احببت لا تقدر ان
تدخل في الاسلام كل من احببت ان يدخل فيه من قومك وغيرهم لانك عبد
لا تعلم المطبوع علي قلبه من غيره ولكن الله يهدي من يشاء ولكن الله يدخل
في الاسلام من يشاء وهو الذي علم انه غير مطبوع علي قلبه وان الالطاف
تنفع فيه فيقرن به الطافه حتي تدعوه الي القبول وهو اعلم بالمهتدين
بالقابلين من الذين لا يقبلون قال الزجاج اجمع المسلمون انها نزلت
في ابي طالب وذلك ان ابا طالب قال عند موته يا معشر بني هاشم اطيعوا
محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال النبي صلي الله عليه وسلم يا عم تامرهم
بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن اخي قال اريد منك
كلمة واحدة فانك في اخر يوم من ايام الدنيا ان تقول لا اله الا الله اشهد
لك بها عند الله قال يا ابن اخي قد علمت انك لصادق ولكني اكره ان يقال
خرع عند الموت ولولا ان تكون عليك وعلي بني ابيك غضاضة ومسبة
بعدي لقلتها ولاقررت بها عينك عند الفراق لما اري من شدة وجدك
ونصيحتك ولكني سوف اموت علي ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم
وعبد مناف وقالوا ان نتبع الهدي معك نتخطف من ارضنا اولم نمكن لهم حرما
امنا قالت قريش وقيل ان القايل الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف نحن
نعلم انك علي الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب بذلك وانما نحن
اكلة راس اي قليلون ان يتخطفونا من ارضنا فالقمهم الله الحجر بانه مكن لهم

فى الحرم

في الحرام الذي امنه بحرمة البيت وامن قطانه بحرمته وكانت العرب حولهم في الجاهلية
يتغاورون ويتناحرون وهم امنون في حرمهم لا يخافون وبحرمة البيت هم قارون
بواد غير ذي زرع والثمرات والارزاق تجبي اليهم من كل اوب فاذا خولهم الله
ما خولهم من الامن والرزق بحرمة البيت وحدها وهم كفرة عبدة اصنام فكيف
يستقيم ان يعرضهم للتخوف والتخطف ويسلبهم الامن اذا ضموا الي حرمة البيت
حرمة الاسلام واسناد الامن الي اهل الحرم حقيقة والي الحرم مجاز يجبي اليه ثمرات
كل شي رزقا من لدنا يجلب ويجمع وقري تجني بالنون من الجني وتعديته بالي
كقولك يجني الي فيه ويجني الي الخافة وثمرات بضمتين وبضمة وسكون ومعني الكلية
الكثرة كقوله واوتيت من كل شي ولكن اكثرهم لا يعلمون متعلق بقوله من لدنا
اي قليل منهم يقرون بان ذلك رزق من عند الله واكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك
ولا يفطنون له ولو علموا انه من عند الله لعلموا ان الخوف والامن من عنده ولما
خافوا التخطف اذا امنوا به وخلعوا انداده فان قلت بم انتصب رزقا
قلت ان جعلته مصدرا جاز ان ينتصب بمعني ما قبله لان معني تجبي اليه
ثمرات كل شي وترزق ثمرات كل شي واحد وان يكون مفعولا له وان جعلته بمعني
مرزوق كان حالا من الثمرات لتخصصها بالاضافة كما تنتصب عن النكرة المتخصصة
بالصفة وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها هذا تخويف لاهل مكة من سوء
عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم من انعام الله عليهم بالرقود في ظلال الامن
وخفض العيش فغمطوا النعمة وقابلوها بالاشر والبطر فدمرهم الله وخرب
ديارهم وانتصب معيشتها اما بحذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسي
قومه واما علي الظرف بنفسها كقولك زيد ظني مقيم او بتقدير حذف الزمان المضاف
اصله بطرت ايام معيشتها كخفوق النجم ومقدم الحاج واما بتضمين بطرت معني
كفرت وغمطت وقيل البطر سوء احتمال الغني وهو ان لا يحفظ حق الله فيه
فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا من السكني قال ابن عباس لم يسكنها
الا المسافر ومار الطريق يوما او ساعة ويحتمل ان شوم معاصي المهلكين بقي اثره
في ديارهم فكل من سكنها من اعقابهم لم يبق فيها الا قليلا وكنا
نحن الوارثين لتلك المساكن من ساكنيها اي تركناها علي حال لا يسكنها احد او خربناها
وسويناها بالارض تتخلف لا ثار عن اصحابها خينا ويدركها الفنا فتتبع وما كان
ربك مهلك القري حتي يبعث في امها رسولا يتلو عليهم اياتنا وما كنا مهلكي
القري الا واهلها ظالمون وما كانت عادة ربك ان يهلك القري في كل وقت
حتي يبعث في القرية التي هي امها اي اصلها وقصبتها التي هي اعمالها وتوابعها
رسولا لالزام الحجة وقطع المعذرة مع علمه انهم لا يومنون او وما كان في حكم الله
وسابق قضايه ان يهلك القري في الارض حتي يبعث في ام القري يعني مكة
رسولا وهو محمد صلي الله عليه وسلم خاتم الانبياء وقري امها بضم الهمزة
وكسرها لاتباع الجر وهذا بيان لعدله وتقدسه عن الظلم حيث اخبر بانه
لا يهلكهم الا اذا استحقوا الاهلاك بظلمهم ولا يهلكهم مع كونهم ظالمين الا بعد
تاكيد الحجة والالزام ببعثة الرسل ولا يجعل علمه باحوالهم حجة عليهم ونزه ذاته
ان يهلكهم وهم غير ظالمين كما قال وما كان ربك ليهلك القري بظلم واهلها مصلحون
فنص بقوله بظلم انه لو اهلكهم وهم مصلحون لكان ذلك ظلما منه وان حاله
في غناه وحكمته منافية للظلم دل علي ذلك بحرف النفي مع لامه كما قال وما
كان الله ليضيع ايمانكم وما اوتيتم من شي فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها وما عند
الله خير وابقي افلا تعقلون واي شي اصبتموه من اسباب الدنيا فما هو الا

قرئ بالياء والتاء

لخافة الحروف من ادم

تمتع وزينة ايا ما قلايل وهي مدة الحياة المنقضية وما عند الله وهو ثوابه
خير في نفسه من ذلك وابقي لان بقاءه دايم سرمد وقري يعقلون بالياء وهو
ابلغ في الموعظة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله خلق الدنيا وجعل اهلها
ثلاثة اصناف المومن والمنافق والكافر فالمومن يتزود والمنافق يتزين والكافر
يتمتع افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم
هو يوم القيمة من المحضرين هذه الاية تقرير وايضاح للتي قبلها والوعد الحسن
الثواب لانه منافع دايمة علي وجه التعظيم والاستحقاق واي شي احسن منها ولا
فيه كقوله ولقاهم نضرة وسرورا وعكسه فسوف يلقون غيا من المحضرين
من الذين احضروا النار ونحوه لكنت من المحضرين فكذبوه فانهم لمحضرون
قيل نزلت في رسول الله صلي الله عليه وسلم وابي جهل لعنه الله وقيل
في علي وحمزة وابي جهل وقيل في عمار بن ياسر والوليد بن المغيرة فان قلت
فسر لي الفاين وثم واخبرني عن مواقعها قلت قد ذكر في الاية التي قبلها متاع
الحياة الدنيا وما عند الله وتفاوتهما ثم عقبه بقوله افمن وعدناه علي معني ابعد
هذا التفاوت الظاهر يسوي بين ابناء الاخرة وابناء الدنيا فهذا معني الفاء الاولي
وبيان موقعها واما الثانية فللتسبيب لان لقاء الموعد مسبب عن الوعد الذي
هو الضمان في الخير واما ثم فلتراخي حال الاحضار عن حال التمتيع لا للتراخي وقته
عن وقته وقري ثم هو بسكون الهاء كما قيل عضد في عضد تشبيها للمنفصل
بالمتصل وسكون الهاء في فهو وهو ولهو احسن لان الحرف الواحد لا ينطق به
وحده فهو كالمتصل ويوم يناديهم فيقول اين شركاءي الذين كنتم تزعمون شركاءي مبني
علي زعمهم وفيه تهكم فان قلت زعم يطلب مفعولين كقوله ولم ازعمك عن
ذاك معزلا فاين هما قلت محذوفان تقديره الذين كنتم تزعمونهم
شركاءي ويجوز حذف المفعولين في باب ظننت ولا يصح الاقتصار علي احدهما
قال الذين حق عليهم القول الشياطين او ايمة الكفر ورؤسه ومعني حق عليهم
القول وجب عليهم مقتضاه وثبت وهو قوله لاملان جهنم من الجنة والناس
اجمعين ربنا هولاء الذين اغوينا اغويناهم كما غوينا وهولاء مبتدا والذين اغوينا
صفته والراجع الي الموصول محذوف واغويناهم الخبر والكاف صفة مصدر
محذوف تقديره اغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا يعنون انا لم نغو الا باختيارنا
لا ان فوقنا مغوين اغوونا بقسر منهم والجاء او دعونا الي الغي وسولوه لنا فهولاء
كذلك غووا باختيارهم لان اغواءنا لهم لم يكن الا وسوسة وتسويلا لا قسرا او
الجاء فلا فرق اذن بين غينا وغيهم وان كان تسويلنا داعيا لهم الي الكفر فقد
كان في مقابلته دعاء الله لهم الي الايمان بما وضع فيهم من ادلة العقل وما بعث
اليهم من الرسل وانزل عليهم من الكتب المشحونة بالوعد والوعيد والمواعظ والزواجر
وناهيك بذلك صارفا عن الكفر وداعيا الي الايمان ومعني ما حكاه الله عن
الشيطان ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من
سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم والله عز وجل
قدم هذا المعني اول شي حيث قال لابليس ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من
اتبعك من الغاوين تبرانا اليك منهم ومما اختاروه من الكفر بانفسهم هوي منهم
للباطل ومقتا للحق لا بقوة منا علي استكراههم ولا سلطان ما كانوا ايانا يعبدون
انما كانوا يعبدون اهواءهم ويطيعون شهواتهم واخلاء الجملتين من العاطف لكونهما
مقررتين لمعني الجملة الاولي وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم
وراوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون لو انهم كانوا يهتدون لوجه من وجوه

الجيل

اوله فيقوله

وان الذى قد عاش يا ام مالك
يموت ولم ازعمك الخ

الجيل يدفعون به العذاب ولو انهم كانوا مهتدين مومنين لما راوه او تمنوا لو كانوا
مهتدين او تحير واعند رويته وسدروا فلا يهتدون طريقا ويوم يناديهم
فيقول ماذا اجبتم المرسلين حكي ولا ما يوبخهم به من اتخاذهم له شركاء ثم ما يقوله
الشياطين او ايمتهم عند توبيخهم لانهم اذا وبخوا بعبادة الالهة اعتذروا بان
الشياطين هم الذين استغووهم وزينوا لهم عبادتها ثم ما يشبه الشماتة بهم من استغاثتهم
الهتهم وخذلانهم لهم وعجزهم عن نصرتهم ثم ما يبكتون به من الاحتجاج عليهم
بارسال الرسل وازاحة العلل فعميت عليهم الانباء يومئذ فصارت الانباء كالعمي
عليهم جميعا لا تهتدي اليهم فهم لا يتساءلون لا يسال بعضهم بعضا كما يتسال
الناس في المشكلات لانهم لا يتساوون جميعا في عمي الانباء عليهم والعجز عن الجواب
وقري فعميت والمراد بالنبا الخبر عما اجاب به المرسل اليه رسوله واذا كانت
الانبياء لهول ذلك اليوم يتتعتعون في الجواب عن مثل هذا السوال ويفوضون
الامر الي علم الله وذلك قوله تعالي يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم
قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب فما ظنك بالضلال من اممهم فاما من تاب
وامن وعمل صالحا فعسي اوليك ان يكون من المفلحين فاما من تاب من المشركين
من الشرك وجمع الايمان والعمل الصالح فعسي ان يفلح عند الله وعسي من الكرام
تحقيق ويجوز ان يراد ترجي التايب وطمعه كانه قال فليطمع ان يفلح وربك
يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة الخيرة من التخير كالطيرة من التطير
تستعمل بمعني المصدر وهو التخير وبمعني المتخير كقولهم محمد خيرة الله من خلقه
ما كان لهم الخيرة بيان لقوله ويختار ما يشاء ولهذا لم يدخل العاطف والمعني
ان الخيرة لله في افعاله وهو اعلم بوجوه الحكمة فيها ليس لاحد من خلقه ان يختار
عليه قيل السبب فيه قول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القران علي رجل
من القريتين عظيم يعني لا يبعث الله الرسل باختيار المرسل اليهم وقيل معناه
ويختار الذي لهم فيه الخيرة اي يختار للعباد ما هو خير لهم واصلح وهو اعلم
بمصالحهم من انفسهم من قولهم في الامرين ليس فيهما خيرة لمختار فان قلت
فاين الراجع من الصلة الي الموصول اذا جعلت ما موصولة قلت اصل
الكلام ما كان لهم فيه الخيرة فحذف فيه كما حذف منه في قوله ان ذلك من
عزم الامور لانه مفهوم سبحان الله وتعالي عما يشركون اي الله بري من
اشراكهم وما يحملهم عليه من الجراة علي الله واختيارهم عليه ما لا يختار وربك
يعلم ما تكن صدورهم من عداوة رسول الله وحسده وما يعلنون من
مطاعنهم فيه وقولهم هلا اختير عليه غيره في النبوة وهو الله وهو المستاثر
بالالهية المختص بها ولا اله الا هو تقرير لذلك كقولك الكعبة القبلة
لا قبلة الا هي له الحمد في الاولي والاخرة فان قلت الحمد في الدنيا ظاهر
فما الحمد في الاخرة قلت هو قولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد
لله الذي صدقنا وعده وقيل الحمد لله رب العالمين والتحميد هناك علي
وجه اللذة وفي الحديث يلهمون التسبيح والتقديس وله الحكم القضاء بين
عباده واليه ترجعون قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الي يوم القيمة
من اله غير الله ياتيكم بضياء افلا تسمعون قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار
سرمدا الي يوم القيمة من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون فيه افلا تبصرون
ارايتم وقري اريتم بحذف الهمزة وليس بحذف قياسي ومعناه اخبروني
من يقدر علي هذا والسرمد الدايم المتصل من السرد وهو المتابعة ومنه
قولهم في الاشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد والميم مزيدة ووزنه فعمل

ويختار لان معناه

وتنظيره ولامص من الدلاص فان قلت هلا قيل بنهار تتصرفون فيه
كما قيل بليل تسكنون فيه قلت ذكر الضيا، وهو ضو الشمس لان المنافع التي
تتعلق به متكاثرة ليس التصرف في المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ومن
ثم قرن بالضيا، افلا تسمعون لان السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه
ووصف فوائده وقرن بالليل افلا تبصرون لان غيرك يبصر من منفعة الظلام
ما تبصره انت من السكون ونحوه ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه
ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ومن رحمته زاوج بين الليل والنهار لاغراض ثلاثة
لتسكنوا في احدهما وهو الليل ولتبتغوا من فضل الله في الاخر وهو النهار ولارادة شكركم
وقد سلكت بهذه الاية طريقة اللف في تكرير التوبيخ باتخاذ الشركا، ايذان بان لا شي
اجلب لغضب الله من الاشراك به كما لا شي ادخل في مرضاته من توحيده اللهم
فكما ادخلتنا في اهل توحيدك فادخلنا في الناجين من وعيدك ويوم يناديهم فيقول
اين شركاي الذين كنتم تزعمون ونزعنا واخرجنا من كل امة شهيدا وهو نبيهم لان
الانبيا، للامم شهدا، عليهم يشهدون بما كانوا عليه فقلنا للامة هاتوا برهانكم
فيما كنتم عليه من الشرك ومخالفة الرسول فعلموا حينيذ ان الحق لله ولرسله لا لهم
ولشياطينهم وضل عنهم وغاب عنهم غيبة الشي الضايع ما كانوا يفترون من
الباطل والكذب ان قارون كان من قوم موسى قارون اسم اعجمي مثل هارون ولم
ينصرف للعجمة والتعريف ولو كان فاعولا من قرن لانصرف وقيل معنى كونه
من قومه انه امن به وقيل كان اسرائيليا ابن عم موسى هو قارون بن يصهر بن
قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وقيل كان موسى
ابن اخيه وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان اقرا بني اسرائيل للتوراة ولكنه نافق
كما نافق السامري وقال اذا كانت النبوة لموسى والمذبح والقربان الى هارون فما لي
وروي انه لما جاوز بهم موسى البحر وصارت الرسالة والحبورة لهرون يقرب
القربان ويكون راسا فيهم وكان القربان الى موسى فجعله موسى الى اخيه وجد
قارون في نفسه وحسدهما فقال لموسى الامر لكما ولست على شي الى متى اصبر قال
موسى هذا صنع الله قال والله لا اصدقك حتى تاتي باية فامر رؤسا بني اسرائيل
ان يجي كل واحد بعصاه فحزمها والقاها في القبة التي كان الوحي ينزل عليه فيها
وكانوا يحرسون عصيهم بالليل فاصبحوا واذا بعصا هارون تهتز ولها ورق
اخضر وكانت من ورق شجر اللوز فقال قارون ما هو باعجب مما تصنع من السحر
فبغى عليهم من البغي وهو الظلم قيل ملكه فرعون على بني اسرائيل فظلمهم وقيل
من البغي وهو الكبر والبذخ تبذخ عليهم بكثرة ماله وولده وقيل زاد عليهم
في الثياب شبرا واتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولي القوة
المفاتح جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل هي الخزاين وقياس واحدها
مفتح بالفتح ويقال ناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة الجماعة الكثيرة
والعصابة مثلها واعصوصبوا اجتمعوا وقيل كانت تحمل مفاتيح خزاينه ستون
بغلا لكل خزانة مفتاح ولا يزيد المفتاح على اصبع وكانت من جلود قال ابو رزين
يكفي الكوفة مفتاح وقد بولغ في ذكر ذلك بلفظ الكنوز والمفاتح والنوء والعصبة
واولي القوة وقرا بديل بن ميسرة لينوء بالياء ووجهه ان يفسر المفاتح بالخزاين
ويعطيها حكم ما اضيفت اليه للملابسة والاتصال كقوله ذهبت اهل اليمامة
اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين ومحل اذ منصوب بتنوء لا تفرح
كقوله ولا تفرحوا بما اتاكم وقول القايل ∴ ولست بمفراح اذا الدهر سرني ∴
وذلك انه لا يفرح بالدنيا الا من رضي بها واطمان واما من قلبه الى الاخرة ويعلم

انه

انه مفارق ما فيه عن قريب لم تحدثه نفسه بالفرح وما احسن ما قال القايل
∴ اشد الغم عندي في سرور ∴ تيقن عنه صاحبه انتقالا ∴
وابتغ فيما اتاك الله من الغنى والثروة الدار الاخرة بان تفعل فيه افعال الخير
من اصناف الواجب والمندوب اليه وتجعله زادك الى الاخرة ولا تنس نصيبك
من الدنيا وهو ان تاخذ منه ما يكفيك ويصلحك واحسن الى عباد الله كما احسن
الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين والفساد في الارض
ما كان عليه من الظلم والبغي وقيل ان القايل موسى عليه السلام وقرى واتبع
على علم اي على استحقاق واستيجاب لما في من العلم الذي فضلت به الناس وذلك
انه كان اعلم بني اسرائيل بالتوراة وقيل هو علم الكيميا، عن سعيد بن المسيب
كان موسى عليه السلام يعلم علم الكيميا، فافاد يوشع بن نون ثلثه وكالب ابن
يوفنا ثلثه وقارون ثلثه فخدعهما قارون حتى اضاف علمهما الى علمه وكان
ياخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهبا وقيل علم الله موسى علم الكيميا
فعلمه موسى اخته فعلمته اخته قارون وقيل هو بصره بانواع التجارات
والدهقنة وساير المكاسب وقيل عندي معناه في ظني كما تقول الامر عندي
كذا كانه قال انما اوتيته على علم ثم زاد عندي اي هو في ظني ورايي هكذا يجوز
ان يكون اثباتا لعلمه بان الله قد اهلك من القرون قبله من هو اقوى منه واغنى
لانه قد قراه في التوراة واخبر به موسى وسمعه من حفاظ التواريخ والايام كانه
قيل اولم يعلم في جملة ما عنده من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته
ويجوز ان يكون نفيا لعلمه بذلك لانه لما قال اوتيته على علم عندي فتنفج
بالعلم وتعظم به قيل اعنده مثل ذلك العلم الذي ادعاه وراى نفسه
به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين
اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر
جمعا واكثر جمعا للمال او اكثر جماعة وعددا فان قلت ما وجه اتصال
قوله ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون بما قبله قلت لما ذكر قارون من
اهلك من قبله من القرون الذين كانوا اقوى منه واغنى قال على سبيل
التهديد له والله مطلع على ذنوب المجرمين لا يحتاج الى سوالهم عنها واستعلامهم
وهو قادر ان يعاقبهم عليها كقوله والله خبير بما تعملون والله بما تعملون عليم
وما اشبه ذلك فخرج على قومه في زينته قال الحسن في الحمرة والصفرة وقيل
خرج على بغلة شهباء عليها الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة
الاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه
ثلثماية غلام وعن يساره ثلاث مائة جارية بيض عليهن الحلي والديباج
وقيل في تسعين الفا عليهم المعصفرات وهو اول يوم روي فيه المعصفر
قال الذين يريدون الحيوة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ
عظيم كان المتمنون قوما مسلمين وانما تمنوه على سبيل الرغبة في اليسار والاستغناء
كما هو عادة البشر وعن قتادة تمنوه ليتقربوا به الى الله وينفقوه في سبيل الخير
وقيل كانوا قوما كفارا الغابط هو الذي يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير
ان تزول عنه والحاسد هو الذي يتمنى ان تكون نعمة صاحبه له دونه فمن
الغبطة قوله يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون ومن الحسد قوله ولا تتمنوا ما فضل
الله به بعضكم على بعض وقيل لرسول الله صلى الله عليه هل يضر الغبط
فقال لا الا كما يضر العضاه الخبط والحظ الجد وهو البخت والدولة وصفوه
بانه رجل مجدود مبخوت يقال فلان ذو حظ وحظيظ وما الدنيا الا احاظ

الحظوظ

قال انما اوتيته على علم عندي

٧ واحسن بشكرك وما عندك لله كما احسن الله اليك

وجدود وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا
ويلك اصله الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث علي ترك ما لا يرتضي
كما استعمل لا ابا لك واصله الدعاء علي الرجل بالاقراف في الحث علي الفعل والراجع في
ولا يلقاها للكلمة التي تكلم بها العلماء او للثواب لانه في معني المثوبة او للجنة
او للسيرة والطريقة وهي الايمان والعمل الصالح الا الصابرون علي الطاعات عن
الشهوات وعلي ما قسم الله من القليل عن الكثير فخسفنا به وبداره الارض
فما كان له من فية ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين كان قارون
يوذي نبي الله موسي صلوات الله عليه كل وقت وهو يداريه للقرابة التي
بينهما حتي نزلت الزكاة فصالحه عن كل الف دينار[7] وعن كل الف درهم علي درهم علي دينار
فحسبه فاستكثره فشحت به نفسه فجمع بني اسرايل وقال ان موسي اراد كم علي
كل شي وهو يريد ان ياخذ اموالكم فقالوا انت كبيرنا وسيدنا فامر بما شيت قال
نبرطل فلانة البغي حتي ترميه بنفسها فيرفضه بنوا اسرايل فجعل لها الف دينار
وقيل طستا من ذهب وقيل طستا من ذهب مملوة ذهبا وقيل
حكمها فلما كان يوم عيد قام موسي فقال يا بني اسرايل من سرق قطعناه ومن
افتري جلدناه ومن زنا وهو غير محصن جلدناه وان احصن رجمناه فقال
قارون وان كنت انت قال وان كنت انا قال فان بني اسرايل يزعمون انك
فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها موسي بالذي فلق البحر وانزل التوراة
ان تصدق فتداركها الله فقالت كذبوا بل جعل لي قارون جعلا علي ان
اقذفك بنفسي فخر موسي ساجدا يبكي وقال يا رب ان كنت رسولك فاغضب لي
فاوحي اليه ان مر الارض بما شيت فانها مطيعة لك فقال يا بني اسرايل ان الله
بعثني الي قارون كما بعثني الي فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي
فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الي
الركب ثم قال خذيهم فاخذتهم الي الاوساط ثم قال خذيهم فاخذتهم الي
الاعناق وقارون واصحابه يتضرعون الي موسي ويناشدونه بالله والرحم
وموسي لا يلتفت اليهم لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم واوحي
الله الي موسي ما افظك استغاثوا بك مرارا فلم ترحمهم اما وعزتي وجلالي لو اياي
دعوا مرة واحدة لوجدوني قريبا مجيبا فاصبحت بنوا اسرايل يتناجون
بينهم انما دعا موسي علي قارون ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله حتي خسف
بداره وامواله من المنتصرين من المنتقمين من موسي او من الممتنعين
من عذاب الله يقال نصره من عدوه فانتصر اي منعه منه فامتنع واصبح
الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء
من عباده ويقدر لولا ان من الله علينا لخسف بنا ويكانه لا يفلح الكافرون
قد يذكر الامس ولا يراد به اليوم الذي قبل يومك ولكن الوقت المستقرب
علي طريق الاستعارة مكانه منزلته من الدنيا وي مفصولة عن كان وهي
كلمة تنبه علي الخطا وتندم ومعناه ان القوم قد تنبهوا علي خطايهم في تمنيهم
وقولهم يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون وتندموا ثم قالوا كانه لا يفلح الكافرون
اي ما اشبه الحال بان الكافرين لا ينالون الفلاح وهو مذهب الخليل وسيبويه
قال ؞ وي كان من لم يكن له نشب يحبب ؞ ومن يفتقر يعش عيش ضر ؞
وحكي الفراء ان اعرابية قالت لزوجها اين ابنك فقال وي كانه وراء البيت
وعند الكوفيين ان ويك بمعني ويلك وان المعني ان تعلم انه لا يفلح الكافرون
ويجوز ان تكون الكاف كاف الخطاب مضمومة الي وي كقوله ؞ ؞ ؞

ولقد

؞ ولقد شفي نفسي واذهب سقمها ؞ قيل الفوارس ويك عنتر اقدم ؞
وانه بمعني لانه واللام لبيان المقول لاجله هذا القول او لانه لا يفلح الكافرون
كان ذلك وهو الخسف بقارون ومن الناس من يقف علي وي ويبتدي
كانه ومنهم من يقف علي ويك وقرا الاعمش لولا من الله علينا وقري لخسف
بنا وفيه ضمير الله ولا نخسف بنا كقولك لانقطع بنا ولتخسف بنا تلك
الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا تلك تعظيم
لها وتفخيم لشانها يعني تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها لم يعلق
الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك ارادتهما وميل القلوب اليهما كما قال ولا
تركنوا الي الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون وعن علي رضي الله عنه ان الرجل ليعجبه
ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها وعن الفضيل
انه قراها ثم قال ذهبت الاماني ههنا وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يرددها
حتي قبض ومن الطماع من يجعل العلو لفرعون والفساد لقارون متعلقا
بقوله ان فرعون علا في الارض ولا تبغ الفساد في الارض ويقول من لم يكن مثل
فرعون وقارون فله تلك الدار الاخرة ولا يتدبر والعاقبة للمتقين كما تدبره
علي والفضيل وعمر من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزي الا
الذين عملوا السيات الا ما كانوا يعملون معناه فلا يجزون فوضع الذين عملوا السيات
موضع الضمير لان في اسناد عمل السيئة اليهم مكررا فضل تهجين لحالهم وزيادة
تبغيض للسيئة الي قلوب السامعين الا ما كانوا يعملون الا مثل ما كانوا يعملون
وهذا من فضله العظيم وكرمه الواسع ان لا يجزي السيئة الا بمثلها ويجزي
الحسنة بعشر امثالها وبسبعماية وهو معني قوله فله خير منها ان الذي فرض
عليك القران اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه يعني ان الذي حملك صعوبة
هذا التكليف لمثيبك عليها ثوابا لا يحيط به الوصف ولرادك بعد الموت الي
معاد اي معاد والي معاد ليس لغيرك من البشر وتنكير المعاد لذلك وقيل
المراد به مكة ووجهه ان يراد رده اليها يوم الفتح ووجه تنكيره انها كانت
في ذلك اليوم معادا له شان ومرجعا له اعتداد الغلبة رسول الله صلي الله عليه
عليها وقهره لاهلها ولظهور عز الاسلام واهله وذل الشرك وحزبه والسورة
مكية فكان الله وعده وهو بمكة في اذي وغلبة من اهلها انه يهاجر به منها
ويعيده اليها ظاهرا ظافرا وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة في مهاجره
وقد اشتاق الي مولده ومولد ابايه وحرم ابراهيم فنزل جبريل فقال له اتشتاق
الي مكة قال نعم فاوحاها اليه فان قلت كيف اتصل قوله تعالي قل ربي
اعلم من جاء بالهدي ومن هو في ضلال مبين بما قبله قلت لما وعد رسوله
الرد الي معاد قال قل للمشركين ربي اعلم من جاء بالهدي يعني نفسه وما يستحقه
من الثواب في معاده ومن هو في ضلال مبين يعنيهم وما يستحقونه من العقاب
في معادهم وما كنت ترجوا ان يلقي اليك الكتاب الا رحمة من ربك فلا تكونن
ظهيرا للكافرين فان قلت قوله الا رحمة من ربك ما وجه الاستثناء
فيه قلت هذا كلام محمول علي المعني كانه قيل وما القي اليك الكتاب الا رحمة
من ربك ويجوز ان تكون الا بمعني لكن للاستدراك اي ولكن لرحمة من ربك
القي اليك ولا يصدنك وقري يصدنك من اصده بمعني صده وهي في لغة
كلب وقال ؞ اناس اصدوا الناس بالسيف عنهم ؞ صدود السواقي عن انوف الحوايم
عن ايات الله بعد اذ انزلت اليك بعد وقت انزاله واذ تضاف اليه اسماء الزمان
كقولك حينيذ وليلتيذ ويوميذ وما اشبه ذلك والنهي عن مظاهرة الكافرين

ونحو ذلك من باب التهييج الذي سبق ذكره وادع الي ربك ولا تكونن من
المشركين ولا تدع مع الله الها اخر لا اله الا هو كل شي هالك الا وجهه
له الحكم واليه ترجعون الا وجهه الا اياه والوجه يعبر به عن الذات قال
رسول الله صلي الله عليه وسلم من قرا سورة طسم القصص كان له من الاجر بعدد
من صدق موسي وكذب به ولم يبق ملك في السموات والارض الا شهد له يوم القيمة
انه كان صادقا ان كل شي هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون

سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم احسب الناس ان يتركوا الحسبان لا يصح تعليقه بمعاني المفردات ولكن
بمضامين الا تري انك لو قلت حسبت زيدا وظننت الفرس لم يكن شيا حتي الجمل
تقول حسبت زيدا عالما وظننت الفرس جوادا لان قولك زيد عالم والفرس
جواد كلام دال علي مضمون فاردت الاخبار عن ذلك المضمون ثابتا عندك علي
وجه الظن لا اليقين فلم تجد بدا في العبارة عن ثباته عندك علي ذلك الوجه
من ذكر شطري الجملة مدخلا عليهما فعل الحسبان حتي يتم لك غرضك فان
قلت فاين الكلام الدال علي المضمون الذي يقتضيه الحسبان في الاية
قلت هو في قوله ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون وذلك ان تقدير
احسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم امنا فالترك اول مفعولي حسب ولقولهم
امنا هو الخبر واما غير مفتونين فتتمة الترك لانه من الترك الذي هو بمعني
التصيير كقوله فتركته جزرا لسباع ينشنه الا تري انك قبل المجي
بالحسبان تقدر ان تقول تركهم غير مفتونين لقولهم امنا علي تقدير حاصل
ومستقر قبل اللام فان قلت ان يقولوا هو علة تركهم غير مفتونين
فكيف يصح ان يقع خبر مبتدا قلت كما تقول خروجه لمخافة الشر
وضربه للتاديب وقد كان التاديب والمخافة في قولك خرجت مخافة الشر وضربته
تاديبا تعليلين وتقول ايضا حسبت خروجه لمخافة الشر وظننت ضربه
للتاديب فتجعلهما مفعولين كما جعلتهما مبتدا وخبرا والفتنة الامتحان بشدايد
التكليف من مفارقة الاوطان ومجاهدة الاعداء وساير الطاعات الشاقة
وهجر الشهوات والملاذ وبالفقر والقحط وانواع المصايب في الانفس والاموال
وبمصابرة الكفار علي اذاهم وكيدهم وضرارهم والمعني احسب الذين اجروا كلمة
الشهادة علي السنتهم واظهروا القول بالايمان انهم يتركون كذلك غير ممتحنين
بل يمتحنهم الله بضروب المحن حتي يبلو صبرهم وثبات اقدامهم وصحة عقايدهم
ونصوع نياتهم ليتميز المخلص من غير المخلص والراسخ في الدين من المضطرب
والمتمكن من العابد علي حرف كما قال لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذي كثيرا وان تصبروا وتتقوا
فان ذلك من عزم الامور وروي انها نزلت في ناس من اصحاب رسول الله قد
جزعوا من اذي المشركين وقيل في عمار بن ياسر وكان يعذب في الله وقيل
في ناس اسلموا بمكة فكتب اليهم المهاجرون لا يقبل منكم اسلامكم حتي تهاجروا اليهم
فخرجوا فتبعهم المشركون فردوهم فلما نزلت كتبوا بها اليهم فخرجوا فاتبعهم المشركون
فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا وقيل في مهجع بن عبد الله مولي عمر بن
الخطاب وهو اول قتيل من المسلمين يوم بدر رماه عامر بن الحضرمي فقال
رسول الله سيد الشهداء مهجع وهو اول من يدعي الي باب الجنة من هذه الامة
فجزع عليه ابواه وامراته ولقد فتنا الذين من قبلهم موصول باحسب او بلا

يفتنون

يفتنون كقولك الا يمتحن فلان وقد امتحن من هو خير منه يعني ان اتباع
الانبيا قبلهم قد اصابهم من الفتن والمحن نحو ما اصابهم او ما هو اشد منه
فصبروا كما قال وكاين من نبي قتل معه ربيون كثير فما وهنوا الاية وعن النبي
صلي الله عليه وسلم قد كان من قبلكم يوخذ فيوضع المنشار علي راسه فيفرق
فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بامشاط الحديد ما دون عظمه من
لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه فليعلمن الله بالامتحان الذين صدقوا
في الايمان وليعلمن الكاذبين فيه فان قلت كيف وهو عالم بذلك فيما لم يزل
قلت لم يزل يعلمه معدوما ولا يعلمه موجودا الا اذا وجد والمعني وليتميزن
الصادق منهم من الكاذب ويجوز ان يكون وعدا ووعيدا كانه قال وليثيبن
الذين صدقوا وليعاقبن الكاذبين وقرا علي رضي الله عنه والزهري وليعلمن
من الاعلام اي وليعرفنهم الله الناس من هم او وليسمنهم بعلامة يعرفون بها
من بياض الوجوه وسوادها وكحل العيون وزرقتها ام حسب الذين يعملون السيات
ان يسبقونا يفوتونا يعني ان الجزا يلحقهم لا محالة وهم لم يطمعوا في الفوت ولم
يحدثوا به نفوسهم ولكنهم لغفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة واصرارهم علي
المعاصي في صورة من يقدر ذلك ويطمع فيه ونظيره وما انتم بمعجزين في الارض
ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون فان قلت اين مفعولا
حسب قلت اشتمال صلة ان علي مسند ومسند اليه سد مسد المفعولين
كقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ويجوز ان يضمن حسب معني قدر وام منقطعة
ومعني الاضراب فيها ان هذا الحسبان ابطل من الحسبان الاول لان ذاك يقدر
انه لا يمتحن لايمانه وهذا يظن انه لا يجازي بمساويه ساء ما يحكمون بيس
الذي يحكمونه حكمهم هذا او بيس حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص
بالذم من كان يرجوا لقاء الله مثل للوصول الي العاقبة من تلقي ملك الموت والبعث لقاء الله
والحساب والجزاء مثلت تلك الحال بحال عبد قدم علي سيده بعد عهد طويل
وقد اطلع مولاه علي ما كان ياتي ويذر فاما ان يلقاه ببشر وترحيب لما رضي من
افعاله او بضد ذلك لما سخط منها فمعني قوله من كان يرجوا لقاء الله من كان
يامل تلك الحال وان يلقي فيها الكرامة من الله والبشري فان اجل الله وهو الموت
لات لا محالة فليبادر العمل الصالح الذي يصدق رجاءه ويحقق امله ويكتسب
به القربة عند الله والزلفي وهو السميع العليم الذي لا يخفي عليه شي مما يقوله
عباده ومما يفعلونه فهو حقيق بالتقوي والخشية وقيل يرجوا يخاف
من قول الهذلي في صفة عسال اذا لسعته الدبر لم يرج لسعها
فان قلت فان اجل الله لات كيف وقع جوابا للشرط قلت اذا
علم ان لقاء الله عنيت به تلك الحال الممثلة والوقت الذي تقع فيه تلك الحال
هو الاجل المضروب للموت فكانه قال من كان يرجوا لقاء الله فان لقاء الله
لات لان الاجل واقع فيه اللقاء كما تقول من كان يرجو لقاء الملك فان يوم الجمعة
قريب اذا علم انه يقعد للناس يوم الجمعة ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله
لغني عن العالمين ومن جاهد نفسه في منعها ما تامر به وحملها علي ما تاباه فانما
يجاهد لها لان منفعة ذلك راجعة اليها وانما امر الله ونهي رحمة لعباده وهو
الغني عنهم وعن طاعتهم والذين امنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سياتهم
ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون اما ان يريد قوما مسلمين صالحين قد
اساوا في بعض اعمالهم وسياتهم مغمورة بحسناتهم فهو يكفرها عنهم اي يسقط
عقابها بثواب الحسنات ويجزيهم احسن الذي كانوا يعملون اي احسن

جزاء اعمالهم واما قوما مشركين امنوا وعملوا الصالحات فالله عز وجل يكفر سيئاتهم
بان يسقط عقاب ما تقدم لهم من الكفر والمعاصي ويجزيهم احسن جزاء اعمالهم
في الاسلام ووصينا الانسان بوالديه حسنا وصى حكمه حكم امر في معناه
وتصرفه يقال وصيت زيدا بان يفعل خيرا كما تقول امرته بان يفعل ومنه بيت
الاصلاح ∴ وذبيانية وصت بنيها ∴ بان كذب القراطف والقروف ∴
كما لو قال امرتهم بان ينتهبوها ومنه قوله تعالى ووصى بها ابراهيم بنيه اي
اي وصاهم بكلمة التوحيد وامرهم بها وقولك وصيت زيدا بعمرو ومعناه وصيته
بتعهد عمرو ومراعاته ونحو ذلك وكذلك معنى قوله ووصينا الانسان بوالديه والديه
حسنا وصيناه بايتاء والديه حسنا او بايلاء والديه حسنا اي فعلا ذا حسن او ما هو
في ذاته حسن لفرط حسنه كقوله وقولوا للناس حسنا وقرئ حسنا واحسانا
ويجوز ان تجعل حسنا من باب قولك زيدا باضمار اضرب اذا رايته متهيئا للضرب
فتنصبه باضمار اولهما او افعل بهما لان التوصية بهما دالة عليه وما بعده مطابق
له كانه قال قلنا اولهما معروفا ولا تطعهما في الشرك اذا حملاك عليه وعلى هذا
التفسير ان وقف على بوالديه وابتدا احسنا حسن الوقف وعلى التفسير الاول
لا بد من اضمار القول معناه وقلنا ان جاهداك ايها الانسان لتشرك بي ما ليس
لك به علم اي لا علم لك بالاهيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كانه قال لتشرك بي
شيئا لا يصح ان يكون الها ولا يستقيم فوصاه بوالديه وامره بالاحسان اليهما ثم
نبه بنهيه عن طاعتهما فقال فلا تطعهما انما اراده على ما ذكر على ان كل حق وان
عظم ساقط اذا جاء حق الله وانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ثم قال
الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون اي الي مرجع من امن منكم ومن اشرك فاجازيكم
حق جزائكم وفيه شيئان احدهما ان الجزاء الي فلا تحدث نفسك بجفوة والديك
وعقوقهما لشركهما ولا تحرمهما برك ومعروفك في الدنيا كما اني لا امنعهما رزقي
والثاني التحذير من متابعتهما على الشرك والحث على الثبات والاستقامة
في الدين بذكر المرجع والوعيد روي ان سعد بن ابي وقاص الزهري حين
اسلم قالت امه وهي حمنة بنت ابي سفيان بن امية بن عبد شمس يا سعد بلغني
انك قد صبات فوالله لا يظلني سقف بيت من الضح والريح وان الطعام
والشراب علي حرام حتى تكفر بمحمد وكان احب ولدها اليها فابى سعد وبقيت
ثلاثة ايام كذلك فجاء سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكى اليه
فنزلت هذه الاية والتي في لقمان والتي في الاحقاف فامره رسول الله ان يداريها
ويترضاها بالاحسان وروي انها نزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي وذلك
انه هاجر مع عمر بن الخطاب مترافقين حتى نزلا المدينة فخرج ابو جهل
ابن هشام والحرث بن هشام اخواه لامه اسما بنت مخرمة امراة من بني تميم
من بني حنظلة فنزلا بعياش وقالا له ان من دين محمد صلة الارحام
وبر الوالدين وقد تركت امك لا تطعم ولا تشرب ولا تاوي بيتا حتى
تراك وهي اشد حبا لك منا فاخرج معنا وفتلا منه في الذروة والغارب
فاستشار عمر فقال لهما يخدعانك ولك علي ان اقسم مالي بيني وبينك
فما زالا به حتى اطاعهما وعصى عمر فقال عمر اما اذ عصيتني فخذ ناقتي فليس
في الدنيا بعير يلحقها فان رابك منهما ريب فارجع فلما انتهوا الى البيداء قال
ابو جهل ان ناقتي قد كلت فاحملني معك قال نعم فنزل ليوطي لنفسه وله
فاخذاه فشداه وثاقا وجلده كل واحد منهما مائة جلدة وذهبا به الى امه فقالت
لا تزال في عذاب حتى ترجع عن دين محمد فنزلت والذين امنوا وعملوا الصالحات

لندخلنهم

لندخلنهم في الصالحين في جملتهم والصلاح من ابلغ صفات المومنين
وهو متمنى انبياء الله قال الله تعالى حكاية عن سليمان وادخلني برحمتك في عبادك
الصالحين وقال في ابراهيم وانه في الاخرة لمن الصالحين او في مدخل الصالحين وهي
الجنة وهذا نحو قوله ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم الاية ∴
ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا اوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب
الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم اوليس الله باعلم بما في صدور
العالمين هم ناس كانوا يومنون بالسنتهم فاذا مسهم اذى من الكفار وهو المراد
بفتنة الناس كان ذلك صارفا لهم عن الايمان كما ان عذاب الله صارف للمومنين
عن الكفر وكما يجب ان يكون عذاب الله صارفا واذا نصر الله المومنين وغنمهم
اعترضوهم وقالوا انا كنا معكم اي مشايعين لكم في دينكم ثابتين عليه ثباتكم ما قدرنا احد
ان يفتننا فاعطونا نصيبنا من المغنم ثم اخبر سبحانه انه اعلم بما في صدور العالمين
بما في صدورهم ومن ذلك ما تكن صدور هولاء من النفاق وهذا اطلاع منه
للمومنين على ما ابطنوه ثم وعد المومنين واوعد المنافقين فقال وليعلمن الله
الذين امنوا وليعلمن المنافقين وقرئ ليقولن بفتح اللام وقال الذين كفروا للذين
امنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم
لكاذبون امروهم باتباع سبيلهم وهي طريقتهم التي كانوا عليها في دينهم وامروا
انفسهم بحمل خطاياهم فعطف الامر على الامر وارادوا ليجتمع هذان الامران في الحصول
ان تتبعوا سبيلنا وان نحمل خطاياكم والمعنى تعليق الحمل بالاتباع وهذا قول صناديد
قريش كانوا يقولون لمن امن منهم لا نبعث نحن ولا انتم فان عسى كان ذلك فانا
نتحمل عنكم الاثم وترى في المتسمين بالاسلام من يستن باولئك فيقول لصاحبه
اذا اراد ان يشجعه على ارتكاب بعض العظائم افعل هذا واثمه في عنقي وكم من
مغرور بمثل هذا الضمان من ضعفة العامة وجهلتهم ومنه ما يحكى ان ابا جعفر
المنصور رفع اليه بعض اهل الحشو حوائجه فلما قضاها قال يا امير المومنين بقيت
الحاجة العظمى قال وما هي قال شفاعتك يوم القيمة فقال له عمرو بن عبيد
رحمه الله اياك وهولاء فانهم قطاع الطريق في المامن فان قلت كيف سماهم
كاذبين وانما ضمنوا شيئا علم الله انهم لا يقدرون على الوفاء به وضامن ما لا يعلم
اقتداره على الوفاء به لا يسمى كاذبا لا حين ضمن ولا حين عجز لانه في الحالين لا يدخل
تحت حد الكاذب وهو المخبر عن الشيء لا على ما هو عليه قلت شبه
الله حالهم حيث علم ان ما ضمنوه لا طريق لهم الى ان يفوا به فكان ضمانهم عنده
لا على ما عليه المضمون بالكاذبين الذين خبرهم لا على ما عليه المخبر عنه ويجوز
ان يريد انهم كاذبون لانهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالكاذبين الذين يعدون
الشيء وفي قلوبهم نية الخلف وليحملن اثقالهم اي اثقال انفسهم واثقالا مع اثقالهم
يعني اثقالا اخر غير الخطايا التي ضمنوا للمومنين حملها وهي اثقال الذين كانوا
سببا في ضلالهم وليسئلن يوم القيمة سوال تقريع عما كانوا يفترون اي
يختلقون من الاكاذيب والاباطيل وقرئ من خطاياهم ولقد ارسلنا نوحا
الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما كان عمر نوح عليه السلام
الفا وخمسين سنة بعث على راس اربعين ولبث في قومه تسعماية وخمسين وعاش
بعد الطوفان ستين وعن وهب انه عاش الفا واربعماية سنة فان قلت
هلا قيل تسعماية وخمسين سنة قلت ما اورده الله احكم لانه لو قيل
كما قلت لجاز ان يتوهم اطلاق هذا العدد على اكثره وهذا التوهم زائل
مع مجيئه كذلك وكانه قيل تسعماية وخمسين سنة كاملة وافية العدد الا

ان ذلك اخصر واعذب لفظا واملأ بالفايدة وفيه نكتة اخري وهي ان القصة
مسوقة لذكر ما ابتلي به نوح عليه السلام من امته وما كابده من طول المصابرة تسلية
لرسول الله وتثبيتا له فكان ذكر راس العدد الذي لا راس اكثر منه اوقع واوصل
الي الغرض من استطالة السامع مدة صبره فان قلت فلم جا المميز اولا بالسنة
وثانيا بالعام قلت لان تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب
في البلاغة الا اذا وقع ذلك لاجل غرض ينتحيه المتكلم من تفخيم او تهويل او تنويه
او نحو ذلك فاخذهم الطوفان وهم ظالمون والطوفان ما اطاف واحاط بكثرة
وغلبة من سيل وظلام ليل او نحوهما قال العجاج
وعم طوفان الظلام الاثابا فانجيناه واصحاب السفينة وجعلناها
اية للعالمين اصحاب السفينة كانوا ثمانية وسبعين نفسا نصفهم ذكور ونصفهم
اناث منهم اولاد نوح سام وحام ويافث ونساوهم وعن محمد بن اسحق كانوا
عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقد روي عن النبي صلي الله عليه وسلم كانوا
ثمانية نوح واهله وبنوه الثلاثة والضمير في وجعلناها للسفينة او للحادثة
والقصة وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه نصب ابراهيم باضمار اذكر
وابدل عنه اذ بدل الاشتمال لان الاحيان تشتمل علي ما فيها او هو معطوف علي نوحا
واذ ظرف لارسلنا يعني ارسلناه حين بلغ من السن والعلم مبلغا صلح فيه لان يعظ
قومه وينصحهم ويعرض عليهم الحق ويامرهم بالعبادة والتقوي ذلكم خير لكم ان
كنتم تعلمون يعني ان كان فيكم علم بما هو خير لكم مما هو شر لكم او ان نظرتم بعين الدراية
المبصرة دون عين الجهل العميا علمتم انه خير لكم انما تعبدون من دون الله اوثانا
وتخلقون افكا وقري تخلقون من خلق بمعني التكثير في خلق وتخلقون من تخلق
بمعني تكذب وتخرص وقري افكا وفيه وجهان ان يكون مصدرا نحو كذب
ولعب والافك مخفف منه كالكذب واللعب من اصلهما وان يكون صفة علي
فعل اي خلقا افكا ذا افك وباطل واختلاقهم الافك تسميتهم الاوثان الهة
وشركا لله او شفعا اليه او سمي الاصنام افكا وعملهم لها ونحتهم خلقا للافك
ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق
فان قلت لم نكر الرزق ثم عرفه قلت لانه اراد لا يستطيعون
ان يرزقوكم شيا من الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله فانه هو الرزاق
وحده لا يرزق غيره واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون وقري بفتح
التا فاستعدوا للقائه بعبادته والشكر له علي انعمه وان تكذبوا فقد كذب
امم من قبلكم وما علي الرسول الا البلاغ المبين وان تكذبوني فلا تضروني
بتكذيبكم فان الرسل قبلي قد كذبتهم اممهم وما ضروهم وانما ضروا انفسهم
حيث حل بهم ما حل بسبب تكذيبهم الرسل واما الرسول فقد تم امره حين بلغ
البلاغ المبين الذي زال معه الشك وهو اقترانه بايات الله ومعجزاته او وان
كنت مكذبا فيما بينكم فلي في سائر الانبياء اسوة وسلوة حيث كذبوا وعلي الرسول
ان يبلغ وما عليه ان يصدق ولا يكذب اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم
يعيده ان ذلك علي الله يسير وهذه الاية والايات التي بعدها الي قوله فما
كان جواب قومه محتملة ان تكون من جملة قول ابراهيم صلوات الله عليه لقومه
وان تكون ايات وقعت معترضة في شان رسول الله صلي الله عليه وسلم
وشان قريش بين اول قصة ابراهيم واخرها فان قلت اذا كانت من قول
ابراهيم فما المراد بالامم قبله قلت قوم شيث وادريس ونوح وغيرهم
وكفي بقوم نوح امة في معني امم جمة مكذبة ولقد عاش ادريس الف سنة

وله ان الرسل المستتبين قد مضي

٣ وقرأ ابراهيم النخعي وابو حنيفة رحمهما الله وابراهيم بالرفع علي معني ومن المرسلين ابراهيم صح

في قومه

في قومه الي ان دفع الي السما وامن به الف انسان منهم علي عدد سنيه واعقابهم
علي التكذيب فان قلت فما تصنع بقوله قل سيروا في الارض قلت
هي حكاية كلام الله حكاه ابراهيم عليه السلام لقومه كما يحكي رسولنا صلي الله
عليه وسلم كلام الله علي هذا المنهاج في اكثر القران فان قلت فاذا كانت خطابا
لقريش فما وجه توسطها بين طرفي قصة ابراهيم والجملة او الجمل الاعتراضية لا بد لها
من اتصال بما وقعت معترضة فيه الا تراك لا تقول مكة وزيد ابوه قايم خير بلاد الله
قلت ايراد قصة ابراهيم ليس الا ارادة للتنفيس عن رسول الله وان يكون
مسلاة له ومتفرجا بان اباه ابراهيم خليل الله كان ممنوا بنحو ما مني به من شرك
قومه وعبادتهم الاوثان فاعترض بقوله وان تكذبوا علي معني انكم يا معشر قريش
ان تكذبوا محمدا فقد كذب ابراهيم قومه وكل امة نبيها لان قوله فقد كذب امم من
قبلكم لا بد من تناوله لامة ابراهيم وهو كما تري اعتراض واقع متصل ثم ساير
الايات الواطئة عقبها من اذيالها وتوابعها لكونها ناطقة بالتوحيد ودلائله
وهدم الشرك وتوهين قواعده وصفة قدرة الله وسلطانه ووضوح
حجته وبرهانه قري تروا بالتا ويبدأ ويبدا وقوله ثم يعيده ليس
بمعطوف علي يبدئ وليست الرؤية واقعة عليه وانما هو اخبار علي حياله بالاعادة
بعد الموت كما وقع النظر في قوله فانظروا كيف بدا الخلق ثم الله ينشي النشاة
الاخرة علي البدء دون الانشا ونحوه قولك ما زلت اوثر فلانا واستخلفه علي
من اخلفه فان قلت هو معطوف بحرف العطف فلا بد له من معطوف
عليه فما هو قلت هو جملة قوله اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق وكذلك
واستخلفه معطوف علي جملة قوله ما زلت اوثر فلانا ذلك يرجع الي ما يرجع
اليه هو في قوله وهو اهون عليه من معني يعيد دل بقوله النشاة الاخرة
علي انهما نشاتان وان كل واحدة منهما انشا اي ابتدا واختراع واخراج من العدم
الي الوجود لا تفاوت بينهما الا ان الاخرة انشا بعد انشا مثله والاولي ليست
كذلك وقري النشاة والنشاءة كالرافة والرآفة فان قلت ما معني الافصاح
باسمه مع ايقاعه مبتدا في قوله كيف بدا الخلق فكان القياس ان يقال
كيف بدا الخلق ثم ينشي النشاة الاخرة قلت الكلام معهم كان واقعا
في الاعادة وفيها كانت تصطك الركب فلما قررهم في الابدا بانه من الله
احتج عليهم بان الاعادة انشا مثل الابدا فاذا كان الله الذي لا يعجزه شي هو
الذي لم يعجزه الابدا فهو الذي وجب ان لا تعجزه الاعادة فكانه قال ثم ذلك
الذي انشا النشاة الاولي هو الذي ينشي النشاة الاخرة فللدلالة والتنبيه علي هذا
المعني ابرز اسمه واوقعه مبتدا ان الله علي كل شي قدير يعذب من يشا
ويرحم من يشا يعذب من يشا تعذيبه ويرحم من يشا رحمته ومتعلق
المشيئتين مفسر مبين في مواضع من القران وهو من يستوجبهما من الكافر والفاسق
اذا لم يتوبا ومن المعصوم والتائب واليه تقلبون تردون وترجعون وما انتم
بمعجزين ربكم اي لا تفوتونه ان هربتم من حكمه وقضايه في الارض الفسيحة
ولا في السما التي هي افسح منها وابسط لو كنتم فيها كقوله تعالي ان استطعتم
ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا وقيل ولا من في
السما كما قال حسان
امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سوا
ويحتمل انه يريد لا تعجزونه كيف ما هبطتم في مهاوي الارض واعماقها او
علوتم في البروج والقلاع الذاهبة في السما كقوله ولو كنتم في بروج مشيدة

٧ طلباء

٣ ثم الله ينشئ النشأة الاخرة بعد اضماره في قوله صح

او لا تعجزون امره الجاري في السماء والارض ان يجري عليكم فيصيبكم ببلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير والذين كفروا بايات الله بدلايله على وحدانيته وكتبه ومعجزاته ولقايه والبعث اولئك يئسوا من رحمتي واولئك لهم عذاب اليم وعيد اي ييأسون يوم القيمة كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون او هو وصف لحالهم لان المومن انما يكون راجيا خاشيا فاما الكافر فلا يخطر بباله رجاء ولا خوف او شبه حالهم في انتفاء الرحمة عنهم بحال من يئس من الرحمة وعن قتادة ان الله ذم قوما هانوا عليه فقال اولئك يئسوا من رحمتي وقال انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فينبغي للمومن ان لا ييأس من روح الله ولا من رحمته وان لا يامن عذابه وعقابه فان صفة المومن ان يكون راجيا لله خايفا فما كان جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه فانجاه الله من النار ان في ذلك لايات لقوم يومنون قرئ جواب قومه بالنصب والرفع قالوا قال بعضهم لبعض او قاله واحد منهم وكان الباقون راضين فكانوا جميعا في حكم القايلين وروي انه لم ينتفع في ذلك اليوم بالنار يعني يوم القي ابراهيم في النار وذلك لذهاب حرها وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا قرئ على النصب بغير اضافة وباضافة وعلى الرفع كذلك فالنصب على وجهين على التعليل اي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها وائتلافكم كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تحابهم وتصادقهم وان يكون مفعولا ثانيا كقوله اتخذ الهه هويه اي اتخذتم الاوثان سبب المودة بينكم على تقدير حذف المضاف او اتخذتموها مودة بينكم كقوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله وفي الرفع وجهان ان يكون خبرا لان على ان ما موصولة وان يكون خبر مبتدا محذوف والمعنى ان الاوثان مودة بينكم اي مودودة او سبب مودة وعن عاصم مودة بينكم بفتح بينكم مع الاضافة كما قرئ لقد تقطع بينكم ففتح وهو فاعل وقرا ابن مسعود رضي الله عنه اوثانا انما مودة بينكم في الحياة الدنيا اي انما تتوادون عليها او تتودونها في الحيوة الدنيا ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وماواكم النار وما لكم من ناصرين ثم يوم القيمة يقوم بينكم التلاعن والتباغض والتعادي يتلاعن العبدة ويتلاعن العبدة والاصنام كقوله عز وجل ويكونون عليهم ضدا فامن له لوط كان لوط ابن اخت ابراهيم وهو اول من امن له حين راى النار لم تحرقه وقال يعني ابراهيم اني مهاجر من كوثى وهي من سواد الكوفة الى حران ثم منها الى فلسطين ومن ثم قالوا لكل نبي هجرة ولابراهيم هجرتان وكان معه في هجرته لوط وامراته سارة وهاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة الى ربي الى حيث امرني بالهجرة اليه انه هو العزيز الذي يمنعني من اعدائي الحكيم الذي لا يامرني الا بما هو مصلحتي ووهبنا له اسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب واتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين اجره الثناء الحسن والصلاة عليه اخر الدهر والذرية الطيبة والنبوة وان اهل الملل كلهم يتولونه فان قلت ما بال اسمعيل عليه السلام لم يذكر وذكر اسحق وعقبه قلت قد دل عليه في قوله وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وكفى الدليل لشهرة امره وعلو قدره فان قلت ما المراد بالكتاب قلت قصد به جنس الكتاب حتى دخل تحته ما نزل على ذريته من الكتب الاربعة التي هي التوراة والزبور والانجيل والقران ولوطا اذ قال لقومه اينكم لتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين اينكم لتاتون الرجال

يعني مودودة بينكم

وتقطعون

١٦٦

وتقطعون السبيل وتاتون في ناديكم المنكر ولوطا معطوف على ابراهيم او على ما عطف عليه والفاحشة الفعلة البالغة في القبح وما سبقكم بها من احد من العالمين جملة مستانفة مقررة لفاحشة تلك الفعلة كان قايلا قال لم كانت فاحشة فقيل لان احدا قبلهم لم يقدم عليها اشمئزازا منها طباعهم لافراط قبحها حتى اقدم عليها قوم لوط لخبث طينتهم وقذر طباعهم قالوا لم ينز ذكر على ذكر قبل قوم لوط قط وقرئ انكم بغير استفهام في الاول دون الثاني قال ابو عبيد وجدته في الامام بحرف واحد بغير ياء ورايت الثاني بحرفين الياء والنون وقطع السبيل عمل قطاع الطريق من قتل الانفس واخذ الاموال وقيل اعتراضهم السابلة بالفاحشة وعن الحسن قطع النسل باتيان ما ليس بحرث والمنكر عن ابن عباس هو الحذف بالحصى والرمي بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل الازار والسباب والفحش في المزاح وعن عايشة كانوا يتحابقون وقيل السخرية بمن يمر بهم وقيل المجاهرة في ناديهم بذلك العمل وكل معصية فاظهارها اقبح من سترها ولذلك جاء من خرق جلباب الحيا فلا غيبة له ولا يقال للمجلس نادي الا ما دام فيه اهله فاذا قاموا عنه لم يبق ناديا فما كان جواب قومه الا ان قالوا ايتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين فيما تعدناه من نزول العذاب قال رب انصرني على القوم المفسدين كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصي والفواحش طوعا وكرها ولانهم ابتدعوا الفاحشة وسنوها فيمن بعدهم وقال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فاراد لوط عليه السلام ان يشتد غضب الله عليهم فذكر لذلك صفة المفسدين في دعايه ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى هي البشارة بالولد والنافلة وهما اسحق ويعقوب قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية واضافة مهلكوا اضافة تخفيف لا تعريف والمعنى الاستقبال والقرية سدوم التي قيل فيها اجور من قاضي سدوم ان اهلها كانوا ظالمين معناه ان الظلم قد استمر منهم ايجاده في الايام السالفة وهم عليه مصرون وظلمهم كفرهم والوان معاصيهم قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها ان فيها لوطا ليس اخبارا لهم بكونه فيها وانما هو جدال في شانه لانهم لما عللوا اهلاك اهلها بظلمهم اعترض عليهم بان فيها من هو بريء من الظلم واراد بالجدال اظهار الشفقة عليه وما يجب للمومن من التحزن لاخيه والتشمر في نصرته وحياطته والخوف من ان يمسه اذى او يلحقه ضرر قال قتادة لا يرى المومن ان لا يحوط المومن الا ترى الى جوابهم بانهم اعلم منه بمن فيها يعنون نحن اعلم منك واخبر بحال لوط وحال قومه وامتيازه منهم الامتياز البين وانه لا يستاهل ما يستاهلون فخفض على نفسك وهون عليك الخطب وقرئ لننجينه بالتشديد والتخفيف وكذلك منجوك واهله الا امراته كانت من الغابرين ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ان صلة اكدت وجود الفعلين مترتبا احدهما على الاخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما كانهما وجدا في جزء واحد من الزمان كانه قيل كما احس بمجيئهم فاجاته المساءة من غير ريث خيفة عليهم من قومه وضاق بهم ذرعا وضاق بشانهم وبتدبير امرهم ذرعه اي طاقته وقد جعلت العرب ضيق الذراع والذرع عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا رحب الذراع بكذا اذا كان مطيقا له والاصل فيه ان الرجل اذا طالت ذراعه نال ما لا يناله القصير الذراع فضرب ذلك مثلا في العجز والقدرة وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك واهلك الا امراتك كانت من الغابرين انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا

مع

٧ السبب

يفسقون الرجز والرجس العذاب من قولهم ارتجز وارتجس اذا اضطرب لما يلحق
المعذب من القلق والاضطراب وقري منزلون مخففا ومشددا ولقد تركنا منها
القرية اية بينة هي اثار منازلهم الخربة وقيل بقية الحجارة وقيل الماء الاسود
علي وجه الارض وقيل الخبر عما صنع بهم لقوم يعقلون لقوم يتعلق بتركنا او ببينة
والي مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الاخر وارجوا
وافعلوا ما ترجون به العاقبة فاقيم المسبب مقام او امروا بالرجا والمراد اشتراط
ما يسوغه من الايمان كما يومر الكافر بالشرعيات علي ارادة الشرط وقيل هو من
الرجاء بمعني الخوف ولا تعثوا في الارض مفسدين فاخذتهم الرجفة والرجفة
الزلزلة الشديدة وعن الضحاك صيحة جبريل لان القلوب رجفت لها فاصبحوا
في دارهم في بلدهم وارضهم او في ديارهم فاكتفي بالواحد لانه لا يلبس
جاثمين باركين علي الركب ميتين وعادا وثمودا وقد تبين لكم من مساكنهم
وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين
وعادا منصوب باضمار اهلكنا لان قوله فاخذتهم الرجفة يدل عليه لانه في معني
الاهلاك وقد تبين لكم ذلك يعني ما وصفه من اهلاكهم من جهة مساكنهم
اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وكان اهل مكة يمرون عليها في اسفارهم فيبصرونها
وكانوا مستبصرين عقلاء متمكنين من النظر والافتكار ولكنهم لم يفعلوا او كانوا
متبينين ان العذاب نازل بهم لان الله تعالي قد بين لهم علي السنة الرسل
ولكنهم لجوا حتي هلكوا وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسي
بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين فاتين ادركهم امر
الله فلا يفوتونه فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم
من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا وما كان
الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون الحاصب لقوم لوط وهي ريح عاصف
فيها حصباء وقيل ملك كان يرميهم والصيحة لمدين وثمود والخسف
لقارون والغرق لقوم نوح وفرعون مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء
كمثل العنكبوت اتخذت بيتا الغرض تشبيه ما اتخذوه متكلا ومعتمدا
في دينهم وتولوه من دون الله بما هو مثل عند الناس في الوهن وضعف القوة
وهو نسج العنكبوت الا تري الي مقطع التشبيه وهو قوله وان اوهن البيوت
لبيت العنكبوت فان قلت ما معني قوله لو كانوا يعلمون وكل احد
يعلم وهن بيت العنكبوت قلت معناه لو كانوا يعلمون ان هذا مثلهم
وان امر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن ووجه اخر وهو انه اذا صح تشبيه
ما اعتمدوه في دينهم ببيت العنكبوت وقد صح ان اوهن البيوت بيت
العنكبوت فقد تبين ان دينهم اوهن الاديان لو كانوا يعلمون او اخرج
الكلام بعد تصحيح التشبيه مخرج المجاز فكانه قال وان اوهن ما يعتمد عليه
في الدين عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون ولقائل ان يقول مثل المشرك
الذي يعبد الوثن بالقياس الي المومن الذي يعبد الله مثل عنكبوت يتخذ
بيتا بالاضافة الي رجل يبني بيتا باجر وجص او ينحته من صخر وكما ان اوهن
البيوت اذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت كذلك اضعف الاديان
اذا استقريتها دينا دينا عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون ان الله يعلم
ما يدعون من دونه من شيء وقري تدعون بالتاء والياء وهذا توكيد
للمثل وزيادة عليه حيث لم يجعل ما يدعونه شيئا وهو العزيز الحكيم فيه
تجهيل لهم حيث عبدوا ما ليس بشيء لانه جماد ليس معه مصحح العلم والقدرة

دونه

اصلا

اصلا وتركوا عبادة القادر القاهر علي كل شيء الحكيم الذي لا يفعل شيئا الا
بحكمة وتدبير وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون كان
الجهلة والسفهاء من قريش يقولون ان رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت
ويضحكون من ذلك فلذلك قال وما يعقلها الا العالمون اي لا يعقل صحتها
وحسنها وفائدتها الا هم لان الامثال والتشبيهات انما هي الطرق الي المعاني المحتجبة
في الاستار حتي تبرزها وتكشف عنها وتصورها للافهام كما صور هذا التشبيه
الفرق بين حال المشرك وحال الموحد وعن النبي صلي الله عليه وسلم انه تلا هذه
الاية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه خلق الله
السموات والارض بالحق اي بالغرض الصحيح الذي هو حق لا باطل وهو ان تكونا
مساكن عباده وعبرة للمعتبرين منهم ودليلا علي عظم قدرته الا تري الي قوله
ان في ذلك لاية للمومنين ونحوه قوله تعالي وما خلقنا السماء والارض وما
بينهما باطلا ثم قال ذلك ظن الذين كفروا اتل ما اوحي اليك من الكتاب واقم الصلوة
ان الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر الصلوة تكون لطفا في ترك المعاصي
فكانها ناهية عنها فان قلت كم من مصل يرتكب ولا تنهاه صلوته
قلت الصلوة التي هي الصلوة عند الله المستحق بها الثواب ان يدخل فيها
مقدما للتوبة النصوح متقيا لقوله تعالي انما يتقبل الله من المتقين ويصليها
خاشعا بالقلب والجوارح فقد روي عن حاتم كان رجلي علي الصراط والجنة
عن يميني والنار عن يساري وملك الموت من فوقي واصلي بين الخوف والرجاء
ثم يحوطها بعد ان يصليها فلا يحبطها فهي الصلاة التي تنهي عن الفحشاء والمنكر
وعن ابن عباس رضي الله عنه من لم تامره صلوته بالمعروف وتنهه عن المنكر
لم يزدد بصلوته من الله الا بعدا وعن الحسن رحمه الله من لم تنهه صلوته عن
الفحشاء والمنكر فليست صلوته بصلوة وهي وبال عليه وقيل من كان
مراعيا للصلوة جره ذلك الي ان ينتهي عن السيات يوما ما فقد روي انه قيل
لرسول الله ان فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلاته لتردعه
وروي ان فتي من الانصار كان يصلي معه الصلوات ولا يدع شيئا من الفواحش
الا ركبه فوصف له فقال ان صلوته ستنهاه فلم يلبث ان تاب وعلي كل حال
فان المراعي للصلوة لا بد ان يكون ابعد عن الفحشاء والمنكر ممن لا يراعيها وايضا
فكم من مصلين تنهاهم الصلوة عن الفحشاء والمنكر واللفظ لا يقتضي ان لا يخرج
واحد من المصلين عن قضيتها كما تقول ان زيدا ينهي عن المنكر فليس غرضك انه
ينهي عن جميع المناكير وانما تريد ان هذه الخصلة موجودة فيه حاصلة منه
من غير اقتضاء للعموم ولذكر الله اكبر يريد وللصلوة اكبر من غيرها من
الطاعات وسماها بذكر الله كما قال فاسعوا الي ذكر الله وانما قال ولذكر الله
ليستقل بالتعليل كانه قال وللصلوة اكبر لانها ذكر الله او ولذكر الله عند
الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما اكبر فكان اولي بان ينهي من
اللطف الذي في الصلوة وعن ابن عباس ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم
اياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون من الخير والطاعة فيثيبكم احسن الثواب
ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن بالخصلة التي هي احسن وهي
مقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم والسورة بالاناة كما قال ادفع بالتي
هي احسن الا الذين ظلموا منهم فافرطوا في الاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصح
ولم ينفع فيهم الرفق فاستعملوا معهم الغلظة وقيل الا الذين اذوا رسول
الله وقيل الا الذين اثبتوا الولد والشريك وقالوا يد الله مغلولة وقيل

ودلائل

معناه ولا تجادلوا الداخلين في الذمة المؤدين للجزية الا بالتي هي احسن الا
الذين ظلموا فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية فان اولئك مجادلتهم بالسيف وعن
قتادة الاية منسوخة بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم
الاخر ولا مجادلة اشد من السيف وقوله وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل
اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون من جنس المجادلة بالتي هي احسن
وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما حدثكم اهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم
وقولوا امنا بالله وكتبه ورسله فان كان باطلا لم تصدقوهم وان كان حقا لم
تكذبوهم وكذلك انزلنا اليك الكتاب ومثل ذلك الانزال انزلنا اليك الكتاب
اي انزلناه مصدقا لسائر الكتب السماوية تحقيقا لقوله امنا بالذي انزل الينا
وانزل اليكم وقيل وكما انزلنا الكتب الى من قبلك انزلنا اليك الكتاب
يتلى عليهم فالذين اتيناهم الكتاب يومنون به هم عبد الله بن سلام ومن امن
معه ومن هولاء من اهل مكة من يومن به وقيل اراد بالذين اوتوا الكتاب
الذين تقدموا عهد رسول الله من اهل الكتاب ومن هولاء ممن في عهده منهم
وما يجحد باياتنا مع ظهورها وزوال الشبهة عنها الا الكافرون الا المتوغلون
في الكفر المصممون عليه وقيل هم كعب بن الاشرف واصحابه وما كنت
تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك وانت امي ما عرفك احد قط بتلاوة
كتاب ولا خط اذا لو كان شيء من ذلك اي من التلاوة والخط لارتاب
المبطلون من اهل الكتاب وقالوا الذي نجده في كتبنا امي لا يكتب ولا يقرا
وليس به اولارتاب مشركوا مكة وقالوا لعله تعلمه او كتبه بيده فان
قلت لم سماهم مبطلين ولو لم يكن اميا وقالوا ليس بالذي نجده في كتبنا
لكانوا صادقين محقين ولكان اهل مكة ايضا على حق في قولهم لعله تعلمه
او كتبه فانه رجل قارئ كاتب قلت سماهم مبطلين لانهم كفروا به وهو
امي بعيد من الريب فكانه قال هولاء المبطلون في كفرهم به لو لم يكن اميا
لارتابوا اشد الريب فحين ليس بقارئ كاتب فلا وجه لارتيابهم وشيء
اخر وهو ان سائر الانبياء لم يكونوا اميين ووجب الايمان بهم وبما جاوا به
لكونهم مصدقين من جهة الحكيم بالمعجزات فهب انه قارئ كاتب فما لهم لم
يومنوا به من الوجه الذي امنوا منه بموسى وعيسى على ان المنزلين ليسا
بمعجزين وهذا المنزل معجز فاذن هم مبطلون حيث لم يومنوا به وهو امي
ومبطلون لو لم يومنوا به وهو غير امي فان قلت ما فائدة قوله
بيمينك قلت ذكر اليمين وهي الجارحة التي يزاول بها الخط زيادة
تصوير لما نفي عنه من كونه كاتبا الا ترى انك اذا قلت في الاثبات رايت
الامير يخط هذا الكتاب بيمينه كان اشد لاثباتك انه تولى كتبته فكذلك
النفي بل هو بل القران ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم في صدور
العلماء به وحفاظه وهما من خصائص القران كون اياته بينات الاعجاز
وكونه محفوظا في الصدور يتلوه اكثر الامة ظاهرا بخلاف سائر الكتب فانها
لم تكن معجزات وما كانت تقرا الا في المصاحف ومنه ما جاء في صفة هذه
الامة صدورهم اناجيلهم وما يجحد باياتنا الا الظالمون وما يجحد بايات
الله الواضحة الا المتوغلون في الظلم المتكابرون وقالوا لولا انزل عليه ايات
من ربه قرئ اية وايات ارادوا هلا انزل عليه اية مثل ناقة صالح ومائدة عيسى
ونحو ذلك قل انما الايات عند الله ينزل ايها شاء ان ينزل ما يقترحونه
لفعل وانما انا نذير مبين كلفت الانذار وابانته بما اعطيت من الايات وليس لي

ولوشاء

ان

ان انتخب على الله اياته فاقول انزل على اية كذا دون اية كذا مع على ان الغرض
من الاية ثبوت الدلالة والايات كلها في حكم اية واحدة في ذلك ثم قال اولم
يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم اولم يكفهم اية مغنية عن سائر الايات
ان كانوا طالبين للحق غير متعنتين هذا القران الذي تدوم تلاوته عليهم
في كل مكان وزمان فلا يزال معهم اية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل اية
بعد كونها وتكون في مكان دون مكان ان في ذلك ان في مثل هذه الاية الموجودة
في كل مكان وزمان لرحمة لنعمة عظيمة لا تشكر وذكرى وتذكرة لقوم يومنون
وقيل اولم يكفهم يعني اليهود انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم بتحقيق
ما في ايديهم من نعتك ونعت دينك وقيل ان ناسا من المسلمين اتوا
رسول الله بكتف قد كتبوا فيها بعض ما تقول اليهود فلما ان نظر اليها القيها
وقال كفى بها حماقة قوم او ضلالة ان يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به
غير نبيهم فنزلت والوجه ما ذكرنا قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا اني قد
بلغتكم ما ارسلت به اليكم وانذرتكم وانكم قابلتموني بالجحد والتكذيب
يعلم ما في السموات والارض فهو مطلع على امري وامركم وعالم بحقي وباطلكم
والذين امنوا بالباطل منكم وهو ما يعبدون من دون الله وكفروا بالله واياته
اولئك هم الخاسرون المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان الا
ان الكلام ورد مورد الانصاف كقوله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال
مبين وكقول حسان ☙ فشركما لخيركما الفداء ☙ وروي ان كعب بن الاشرف
واصحابه قالوا يا محمد من يشهد لك انك رسول الله ويستعجلونك بالعذاب
كان استعجال العذاب استهزاء منهم وتكذيبا والنضر بن الحارث هو الذي قال
اللهم امطر علينا حجارة من السماء كما قال اصحاب الايكة فاسقط علينا كسفا من
السماء ولولا اجل مسمى ولولا اجل قد سماه الله وبينه في اللوح لعذابهم واوجبت
الحكمة تاخيره الى ذلك الاجل المسمى لجاءهم العذاب عاجلا وليأتينهم بغتة
وهم لا يشعرون والمراد بالاجل الاخرة لما روي ان الله عز وجل وعد رسول
الله ان لا يعذب قومه ولا يستاصلهم وان يوخر عذابهم الى يوم القيمة
وقيل يوم بدر وقيل وقت فنائهم باجالهم يستعجلونك
بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين لمحيطة اي ستحيط بهم يوم
يغشاهم العذاب او هي محيطة بهم في الدنيا لان المعاصي التي توجبها محيطة
بهم او لانها مالهم ومرجعهم لا محالة فكانها الساعة محيطة بهم ويوم يغشاهم
على هذا منصوب بمضمر اي يوم يغشاهم العذاب كان كيت وكيت ومن
فوقهم ومن تحت ارجلهم كقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم
ظلل ونقول قرئ بالنون والياء ذوقوا ما كنتم تعملون اي جزاءه يا عبادي
الذين امنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون معنى الاية ان المومن اذا لم
يتسهل له العبادة في بلد هو فيه ولم يتمش له امر دينه كما يجب فليهاجر عنه
الى بلد يقدر انه فيه اسلم قلبا واصح دينا واكثر عبادة واحسن خشوعا
ولعمري ان البقاع تتفاوت في ذلك التفاوت الكثير ولقد جربنا وجرب
اولونا فلم نجد فيما درنا ودار وا اعون على قهر النفس وعصيان الشهوة
واجمع للقلب المتقلب واضم للهم المنتشر واحث على القناعة واطرد للشيطان
وابعد من كثير من الفتن واضبط للامر الديني في الجملة من سكنى حرم الله
وجوار بيت الله فلله الحمد على ما سهل من ذلك وقرب ورزق من الصبر
واوزع من الشكر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من

نزلت

نوم

ارضي اي ارض وان كان شبرا من الارض استوجب الجنة وكان رفيق
ابراهيم ومحمد وقيل هي في المستضعفين بمكة الذين نزل فيهم الم تكن
ارض الله واسعة فتهاجروا فيها وانما كان ذلك لان امر دينهم ما كان يتسنى
لهم بين ظهراني الكفرة فاياي فاعبدون في المتكلم نحو اياه ضربته في الغايب
واياك عضتك في المخاطب والتقدير فاياي فاعبدوا فاعبدون فان
قلت ما معنى الفا في فاعبدون وتقديم المفعول قلت الفاء
جواب شرط محذوف لان المعنى ان ارضي واسعة فان لم تخلصوا العبادة
لي في ارض فاخلصوها لي في غيرها ثم حذف الشرط وعوض من حذفه
تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص لما امر
عباده بالحرص على العبادة وصدق الاهتمام بها حتى يتطلبوا لها اوفق البلاد
وان شسعت اتبعه قوله كل نفس ذايقة الموت اي واجدة مرارته وكربه
كما يجد الذايق طعم المذوق ومعناه انكم ميتون فواصلون الى الجزاء ومن
كانت هذه عاقبته لم يكن له بد من التزود لها والاستعداد بجهده ثم الينا
ترجعون والذين امنوا وعملوا الصالحات لنبوينهم لننزلنهم من الجنة
غرفا علالي وقري لنثوينهم من الثوا وهو النزول للاقامة يقال ثوي
في المنزل واثوي غيره وثوي غير متعد فاذا تعدي بزيادة همزة النقل
لم يتجاوز مفعولا واحدا نحو ذهب واذهبته والوجه تعديته الي ضمير
المومنين والي الغرف اما اجراوه مجري لننزلنهم ونبونهم او حذف الجار
وايصال الفعل او تشبيه الظرف الموقت بالمبهم تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها نعم اجر العاملين وقرا يحيى بن وثاب فنعم بزيادة الفاء الذين
صبروا على مفارقة الاوطان والهجرة لاجل الدين وعلى اذيا المشركين وعلى
المحن والمصايب وعلى الطاعات وعن المعاصي وعلى ربهم يتوكلون ولم
يتوكلوا في جميع ذلك الا على الله وكاين من دابة لما امرهم رسول الله من اسلم
بمكة بالهجرة خافوا الفقر والضيعة فكان يقول الرجل منهم كيف اقدم بلدة
ليست لي فيها معيشة فنزلت والدابة كل نفس دبت على وجه الارض
عقلت او لم تعقل لا تحمل رزقها لا تطيق ان تحمله لضعفها عن حمله
الله يرزقها واياكم اي لا يرزق تلك الدواب الضعاف الا الله ولا يرزقكم
ايضا ايها الاقوياء الا هو وان كنتم مطيقين لحمل ارزاقكم وكسبها لانه لو لم يقدركم
ولم يقدر لكم اسباب الكسب لكنتم اعجز من الدواب التي لا تحمل وعن الحسن
لا تحمل رزقها لا تدخره انما تصبح فيرزقها الله وعن ابن عيينة ليس شيء
يخبا الا الانسان والنملة والفارة وعن بعضهم رايت البلبل يحتكر
في حضنيه ويقال للعقعق مخابي الا انه ينساها وهو السميع العليم
لقولكم نخشى الفقر والضيعة العليم بما في ضمايركم ولين سالتهم من خلق
السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله الضمير في سالتهم
لاهل مكة فانى يوفكون فكيف يصرفون عن توحيد الله وان لا يشركوا
به مع اقرارهم بانه خالق السموات والارض الله يبسط الرزق لمن يشاء
من عباده ويقدر له قدر الرزق وقتره بمعنى اذا ضيقه فان قلت
الذي رجع اليه الضمير في قوله ويقدر له هو من يشاء فكان بسط الرزق
وقدره جعلا لواحد قلت يحتمل الوجهين جميعا ان يريد ويقدر
لمن يشاء فوضع الضمير موضع من يشاء لان من يشاء مبهم غير معين
فكان الضمير مبهما مثله وان يريد تعاقب الامرين على واحد على حسب

المصلحة

المصلحة ان الله بكل شيء عليم يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم ولين سالتهم
من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله
استحمد رسول الله على انه ممن اقر بنحو ما اقروا به ثم نفعه ذلك في توحيد الله
ونفي الانداد والشركا عنه ولم يكن اقرارا عاطلا كاقرار المشركين وعلى انهم اقروا بما
هو حجة عليهم حيث نسبوا النعمة الى الله وقد جعلوا العبادة للصنم ثم قال
بل اكثرهم لا يعقلون ما يقولون وما فيه من الدلالة على بطلان الشرك وصحة
التوحيد او لا يعقلون ما تريد بقولك الحمد لله ولا يفطنون لم حمدت الله عند
مقالتهم وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب هذه فيها ازدراء للدنيا وتصغير
لامرها وكيف لا يصغرها وهي لا تزن عنده جناح بعوضة يريد ما هي لسرعة زوالها
عن اهلها وموتهم عنها الا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون وان الدار الاخرة لهي الحيوان
اي ليس فيها الا حيوة مستمرة دايمة خالدة لا موت فيها فكانها في ذاتها حيوة والحيوان
مصدر حيي وقياسه حييان فقلبت اليا الثانية واوا كما قالوا حيوة في اسم
رجل وبه سمي ما فيه حيوة حيوانا قالوا اشتر من الموتان ولا تشتر من الحيوان
وفي بناء الحيوان زيادة معنى ليس في بناء الحيوة وهي ما في بناء فعلان من معنى
الحركة والاضطراب كالنزوان والنغضان واللهبان وما اشبه ذلك والحيوة حركة
كما ان الموت سكون فمجيئه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة في معنى الحيوة
ولذلك اختيرت على الحيوة في هذا الموضع المقتضي للمبالغة لو كانوا يعلمون
فلم يوثروا الحيوة الدنيا فان قلت بم اتصل قوله فاذا ركبوا في الفلك
قلت بمحذوف دل عليه ما وصفهم به وشرح من امرهم معناه هم على
ما وصفوا به من الشرك والعناد فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين
كاينين في صورة من يخلص الدين لله من المومنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون
معه الها اخر وفي تسميتهم مخلصين ضرب من التهكم فلما نجاهم الى البر وامنوا
اذا هم يشركون عادوا الى حال الشرك ليكفروا بما اتيناهم واللام في ليكفروا
محتملة ان تكون لام كي وكذلك في وليتمتعوا فيمن قراها بالكسر فسوف يعلمون والمعنى
انهم يعودون الى شركهم ليكونوا بالعود الى شركهم كافرين بنعمة النجاة قاصدين التمتع بها
والتلذذ لا غير على خلاف ما هو عادة المومنين المخلصين على الحقيقة اذا انجاهم الله
ان يشكروا نعمة الله في انجايهم ويجعلوا نعمة النجاة ذريعة الى ازدياد الطاعة لا الى
التمتع والتلذذ وان تكون لام الامر وقراة من قرا وليتمتعوا بالسكون تشهد له ونحو
قوله تعالى اعملوا ما شيتم انه بما تعملون بصير فان قلت كيف جاز ان يامر
الله تعالى بالكفر وبان يعمل العصاة ما شاوا وهو ناهيهم عن ذلك ومتوعد عليه
قلت هو مجاز عن الخذلان والتخلية وان ذلك الامر متسخط الى غاية ومثاله
ان ترى الرجل قد عزم على امر وعندك ان ذلك الامر خطا وانه يودي الى ضرر
عظيم فتبالغ في نصحه واستنزاله عن رايه فاذا لم تر منه الا الابا والتصميم
حردت عليه وقلت انت وشانك وافعل ما شيت فلا تريد بهذا حقيقة الامر
وكيف الامر بالشي مريد له وانت شديد الكراهة متحسر ولكنك كانك تقول له
فاذا قد ابيت قبول النصيحة فانت اهل ليقال لك افعل ما شيت وتبعث عليه
ليتبين لك اذا فعلت صحة راي الناصح وفساد رايك او لم يروا انا جعلنا حرما
امنا ويتخطف الناس من حولهم افبالباطل يومنون وبنعمة الله يكفرون
كانت العرب حول مكة يغزو بعضهم بعضا ويتغاورون ويتناهبون واهل
مكة قارون امنون فيها لا يغزون ولا يغار عليهم مع قلتهم وكثرة العرب فذكرهم
الله هذه النعمة الخاصة ووبخهم بانهم يومنون بالباطل الذي هم عليه ومثل
عليهم

هذه النعمة المكشوفة الظاهرة وغيرها من النعم التي لايقدر عليها الا الله وحده
مكفورة عندهم ومن اظلم ممن افتري علي الله كذبا او كذب بالحق لما جاءه
افتراوهم علي الله كذبا زعمهم ان لله شريكا وتكذيبهم بما جاءه من الحق كفرهم
بالرسول والكتاب وفي قوله لما جاءه تسفيه لهم يعني لم يتلعثموا في تكذيبه
وقت سمعوه ولم يفعلوا كما يفعل المراجيح العقول المتثبتون في الامور يستمعون
الخبر فيستعملون فيه الروية والفكر ويستانون الي ان يصح لهم صدقه او كذبه
اليس في جهنم مثوي للكافرين اليس تقرير لثوائهم في جهنم كقوله
الستم خير من ركب المطايا قال بعضهم ولو كان استفهاما ما
ما اعطاه الخليفة مائة من الابل وحقيقته ان الهمزة همزة الانكار دخلت علي النفي
فرجع الي معني التقرير فيها وجهان احدهما الا يثوون في جهنم والا يستوجبون
الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب علي الله وكذبوا بالحق هذا التكذيب
والثاني الم يصح عندهم ان في جهنم مثوي للكافرين حتي اجترؤا مثل هذه الجراءة
والذين جاهدوا فينا اطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول ليتناول كل ما يجب
مجاهدته من النفس الامارة بالسوء والشيطان واعداء الدين فينا في حقنا
ومن اجلنا ولوجهنا خالصا لنهدينهم سبلنا لنزيدهم هداية الي سبل الخير
وتوفيقا كقوله والذين اهتدوا زادهم هدي وعن ابي سليمان الداراني
الذين جاهدوا فينا علموا لنهدينهم الي ما لم يعلموا وعن بعضهم من عمل بما يعلم
وفق لما لا يعلم وقيل ان الذي نري من جهلنا بما لا نعلم انما هو من تقصيرنا فيما
نعلم وان الله لمع المحسنين لناصرهم ومعينهم قال رسول الله صلي الله عليه
وسلم من قرا سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المومنين
والمنافقين سورة الروم مكية الا قوله فسبحان الله وهي ستون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم غلبت الروم في ادني الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين
القراة المشهورة الكثيرة غلبت بضم الغين وسيغلبون بفتح الياء والارض ارض
العرب لان الارض المعهودة عند العرب ارضهم والمعني غلبوا في ادني ارض
العرب منهم وهي اطراف الشام او اراد ارضهم علي انابة اللام مناب المضاف اليه اي
في ادني ارضهم الي عدوهم قال مجاهد هي ارض الجزيرة وهي ادني ارض الروم
الي فارس وعن ابن عباس الاردن وفلسطين وقري في اداني الارض والبضع ما بين
الثلاث الي العشر عن الاصمعي وقيل احتربت الروم وفارس بين اذرعات
وبصري فغلبت فارس الروم فبلغ الخبر مكة فشق علي رسول الله والمسلمين
لان فارس مجوس لا كتاب لهم والروم اهل كتاب وفرح المشركون وشمتوا وقالوا
انتم والنصاري اهل كتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا علي اخوانكم
ولنظهرن نحن عليكم فنزلت فقال لهم ابو بكر رضي الله عنه لا يقرر الله اعينكم
فوالله لتظهرن الروم علي فارس بعد بضع سنين فقال له ابي بن خلف كذبت
يا ابا فصيل اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه والمناحبة المراهنة فناحبه علي
عشر قلايص من كل واحد منهما وجعلا الاجل ثلاث سنين فاخبر ابو بكر رضي الله عنه
رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلاث الي التسع فزايده في الخطر
وماده في الاجل فجعلاها مائة قلوص الي تسع سنين ومات ابي من جرح رسول
الله وظهرت الروم علي فارس يوم الحديبية وذلك عند راس سبع سنين
وقيل كان النصر يوم بدر للفريقين فاخذ ابو بكر الخطر من ذرية ابي وجاء
به الي رسول الله فقال تصدق به وهذه الاية من الايات البينة الشاهدة

علي صحة النبوة وان القران من عند الله لانها انباء عن علم الغيب الذي لا يعلمه
الا الله وقري غلبهم بسكون اللام والغلب والغلب مصدران كالجلب والجلب
والحلب وقري غلبت الروم بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه ان الروم غلبوا
علي ريف الشام وسيغلبهم المسلمون في بضع سنين وعند انقضاء هذه المدة
اخذ المسلمون في جهاد الروم واضافة غلبهم تختلف باختلاف القراتين فهي في احديهما
اضافة المصدر الي المفعول وفي الثانية اضافته الي الفاعل ومثالهما محرم عليكم
اخراجهم ولن يخلف الله وعده فان قلت كيف صحت المناحبة وانما هي
قمار قلت عن قتادة رحمه الله انه كان ذلك قبل تحريم القمار ومن
مذهب ابي حنيفة ومحمد رحمهما الله ان العقود الفاسدة من عقود الربا وغيرها
جائزة في دار الحرب بين المسلمين والكفار وقد احتجا علي صحة
ذلك بما عقده ابو بكر رضي الله عنه بينه وبين ابي بن خلف لله الامر من
قبل ومن بعد اي في اول الوقتين وفي اخرهما حين غلبوا وحين يغلبون
كانه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم
مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين يعني ان كونهم مغلوبين اولا وغالبين
اخرا ليس الا بامر الله وقضائه وتلك الايام نداولها بين الناس وقري من
قبل ومن بعد علي الجر من غير تقدير مضاف اليه واقتطاعه كانه قيل قبلا
وبعدا بمعني اولا واخرا ويومئذ ويوم تغلب الروم علي فارس ويحل ما وعدهم
الله من غلبتهم يفرح المومنون بنصر الله وتغليبه من له كتاب علي من لا كتاب
له وغيظ من شمت بهم من كفار مكة وقيل نصر الله هو اظهار صدق
المومنين فيما اخبروا به المشركين من غلبة الروم وقيل نصر الله انه ولي
بعض الظالمين بعضا وفرق بين كلمهم حتي تفانوا وتناقضوا وفل هولاء شوكة
هولاء وفي ذلك قوة للاسلام ينصر من يشاء وعن ابي سعيد الخدري رضي الله
عنه وافق ذلك يوم بدر وفي هذا اليوم نصر المومنون وهو العزيز الرحيم
ينصر عليكم تارة وينصركم اخري وعد الله مصدر موكد كقولك لك علي
الف درهم عرفا لان معناه اعترف لك بها اعترافا ووعد الله ذلك وعدا
لان ما سبقه في معني وعد لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون
يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون ذمهم الله عز
وجل بانهم عقلاء في امور الدنيا بله في امور الدين وذلك انهم كانوا اصحاب تجارات
ومكاسب وعن الحسن بلغ من حذق احدهم انه ياخذ الدرهم فينقره باصبعه فيعلم
اردي هو ام جيد وقوله يعلمون بدل من قولهم لا يعلمون وفي هذا الابدال
من النكتة انه ابدله منه وجعله بحيث يقوم مقامه ويسد مسده ليعلمك
انه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز
الدنيا وقوله ظاهرا من الحيوة الدنيا يفيد ان للدنيا ظاهرا وباطنا فظاهرها
ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم بملاذها وباطنها وحقيقتها انها
مجاز الي الاخرة يتزود منها اليها بالطاعة والاعمال الصالحة وفي تنكير الظاهر
انهم لا يعلمون الا ظاهرا واحدا من جملة ظواهرها وهم الثانية يجوز ان تكون مبتدا
وغافلون خبره والجملة خبرهم الاولي وان تكون تكريرا للاولي وغافلون
خبر الاولي واية كانت فذكرها مناد علي انهم معدن الغفلة عن الاخرة ومقرها
ومحلها وانها منهم تنبع واليهم ترجع اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله
السموات والارض وما بينهما في انفسهم يحتمل ان يكون ظرفا كانه قيل اولم
يحدثوا التفكر في انفسهم اي في قلوبهم الفارغة من الفكر والتفكر لا يكون

الا في القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين كقولك اعتقده في قلبك
واضمره في نفسك وان يكون صلة للتفكر كقولك تفكر في الامر واجال فيه فكره
وما خلق متعلق بالقول المحذوف معناه اولم يتفكروا فيقولوا هذا القول
وقيل معناه فيعلموا لان في الكلام دليلا عليه الا بالحق واجل مسمي اي
ما خلقها باطلا وعبثا بغير غرض صحيح وحكمة بالغة ولا لتبقي خالدة وانما
خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة وبتقدير اجل مسمي لا بد لها من ان
تنتهي اليه وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب الا تري
الي قوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون كيف سمي تركهم
غير راجعين اليه عبثا والباء في قوله الا بالحق مثلها في قولك دخلت عليه
بثياب السفر واشتري الفرس بسرجه ولجامه تريد اشتراه وهو ملتبس بالسرج
واللجام غير منفك عنهما فكذلك المعني ما خلقها الا وهي ملتبسة بالحق مقترنة
به فان قلت اذا جعلت في انفسهم صلة للتفكر فما معناه قلت
معناه اولم يتفكروا في انفسهم التي هي اقرب اليهم من غيرها من المخلوقات
وهم اعلم واخبر باحوالها منهم باحوال ما عداها فيتدبروا ما اودعها ظاهرا وباطنا
من غرايب الحكم الدالة علي التدبير دون الاهمال وانه لا بد من انتهايها الي وقت
يجازيها فيه الحكيم الذي دبرها علي الاحسان احسانا وعلي الاساءة مثلها
حتي يعلموا عند ذلك ان ساير الخلايق كذلك امرها جار علي الحكمة والتدبير
وانه لا بد لها من الانتهاء الي ذلك الوقت وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم
لكافرون والمراد بلقاء ربهم الاجل المسمي اولم يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم اولم يسيروا تقرير لسيرهم في البلاد ونظرهم
الي اثار المدمرين من عاد وثمود وغيرهم من الامم العاتية ثم اخذ يصف لهم
احوالهم وانهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وحرثوها قال الله تعالي
لا ذلول تثير الارض وقيل لبقر الحرث المثيرة وقالوا سمي ثورا لاثارته
الارض وبقرة لانها تبقرها اي تشقها وعمروها اي اولئك المدمرون اكثر
مما عمروها من عمارة اهل مكة واهل واد غير ذي زرع ما لهم اثارة ارض اصلا
ولا عمارة لها راسا فما هو الا تهكم بهم وبضعف حالهم في دنياهم لان معظم
ما يستظهر به اهل الدنيا ويتباهون به امر الدهقنة وهم ايضا ضعاف
القوي فقوله كانوا اشد منهم قوة اي من عاد وثمود واضرابهم من هذا القبيل
كقوله اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة ولكن هذا ابلغ لانه
خالق القوي والقدر وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم فما
كان تدميره اياهم ظلما لهم لان حاله منافية للظلم ولكن كانوا انفسهم يظلمون
ولكنهم ظلموا انفسهم حيث عملوا ما اوجب تدميرهم ثم كان عاقبة الذين
اساوا السواي وقري عاقبة بالنصب والرفع والسوءي تانيث الاسوا
وهو الاقبح كما ان الحسني تانيث الاحسن والمعني انهم عوقبوا في الدنيا
بالدمار ثم كانت عاقبتهم السوءي الا انه وضع المظهر موضع المضمر اي العقوبة
التي هي اسوء العقوبات في الاخرة وهي جهنم التي اعدت للكافرين وان
كذبوا بمعني لان كذبوا بايات الله وكانوا بها يستهزءون ويجوز ان يكون
ان بمعني اي لانه اذا كان تفسير الاساءة التكذيب والاستهزاء كانت
في معني القول نحو نادي وكتب وما اشبه ذلك ووجه اخر وهو ان
يكون اساوا السوءي بمعني اقترفوا الخطيئة التي هي اسوء الخطايا وان
كذبوا عطف بيان لها وخبر كان محذوف كما يحذف جواب لما ولو ارادة

الابهام

الابهام الله يبدا الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون اي الي ثوابه وعقابه
وقري بالياء والتاء ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون الابلاس ان يبقي
بائسا ساكتا متحيرا يقال ناظرته فابلس اذا لم ينبس ومن ان يحتج ومنه الناقة
المبلاس التي لا ترغوا وقري يبلس بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته ولم يكن
لهم من شركايهم من الذين عبدوهم من دون الله شفعاء وكانوا بشركايهم
كافرين اي يكفرون بالاهيتهم ويجحدونها او وكانوا في الدنيا كافرين
بسببهم وكتب شفعوا في المصحف بواو قبل الالف كما كتب علموا بني اسرايل
وكذلك كتبت السواي بالف قبل الياء اثباتا للهمزة علي صورة الحرف الذي
منه حركتها ويوم تقوم الساعة يوميذ يتفرقون الضمير في يتفرقون
للمسلمين والكافرين لدلالة ما بعده عليه وعن الحسن هو تفرق المسلمين
والكافرين هولاء في عليين وهولاء في اسفل سافلين وعن قتادة فرقة
لا اجتماع بعدها فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة
في بستان وهي الجنة والتنكير لابهام امرها وتفخيمه والروضة عند العرب
كل ارض ذات نبات وماء وفي امثالهم احسن من بيضة في روضة يريدون
بيضة النعامة يحبرون يسرون يقال حبره اذا سره سرورا تهلل له وجهه
وظهر فيه اثره ثم اختلفت فيه الاقاويل لاحتماله وجوه جميع المسار فعن
مجاهد يكرمون وعن قتادة ينعمون وعن ابن كيسان يحلون وعن ابي
بكر بن عياش التيجان علي روسهم وعن وكيع السماع في الجنة وعن النبي
صلي الله عليه وسلم انه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفي اخر القوم اعرابي فقال
يا رسول الله هل في الجنة من سماع قال نعم يا اعرابي ان في الجنة لنهرا حافتاه
الابكار من كل بيضاء خوصانية يتغنين باصوات لم تسمع الخلايق بمثلها
قط وذلك افضل نعيم الجنة قال الراوي فسالت ابا الدرداء بما يتغنين
قال بالتسبيح وروي ان في الجنة لاشجارا عليها اجراس من فضة فاذا اراد
اهل الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الاشجار فتحرك
تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا واما الذين كفروا وكذبوا
باياتنا ولقاء الاخرة فاولئك في العذاب محضرون لا يغيبون عنه
ولا يخفف عنهم كقوله وما هم بخارجين منها لا يفتر عنهم فسبحان الله
حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا
وحين تظهرون لما ذكر الوعد والوعيد اتبعه ذكر ما يوصل الي الوعد
وينجي من الوعيد والمراد بالتسبيح ظاهره الذي هو تنزيه الله من السوء
والثناء عليه بالخير في هذه الاوقات لما يتجدد فيها من نعمة الله الظاهرة
وقيل الصلاة وقيل لابن عباس هل تجد الصلوات الخمس
في القران قال نعم وتلا هذه الاية تمسون صلوتا المغرب والعشاء وتصبحون
صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر وتظهرون صلوة الظهر وقوله وعشيا
متصل بقوله حين تمسون وقوله وله الحمد في السموات والارض اعتراض
بينهما ومعناه ان علي المميزين كلهم من اهل السموات والارض ان يحمدوه
فان قلت لم ذهب الحسن الي ان الاية مدنية قلت لانه كان
يقول فرضت الصلوات الخمس بالمدينة وكان الواجب بمكة ركعتين
في غير وقت معلوم والقول الاكثر ان الخمس انما فرضت بمكة وعن
عايشة رضي الله عنها فرضت الصلوة ركعتين فلما قدم رسول الله
المدينة اقرت صلوة السفر وزيد في صلوة الحضر وعن رسول

ويئس

مكذا اهل

بهنه

الله صلي الله عليه وسلم من سره ان يكال بالقفيز الاوفي فليقل فسبحان
الله حين تمسون وحين تصبحون الاية وعنه عليه السلام من قال حين
يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الي قوله وكذلك تخرجون
ادرك ما فاته في يومه ومن قالها حين يمسي ادرك ما فاته في ليلته وفي
قراة عكرمة حينا تمسون وحينا تصبحون والمعني تمسون فيه كقوله يوما
لا تجزي نفس عن نفس شيا بمعني فيه يخرج الحي من الميت الطاير من البيضة
ويخرج الميت من الحي البيضة من الطاير ويحيي الارض بعد موتها واحياء
الارض اخراج النبات منها وكذلك تخرجون ومثل ذلك الاخراج تخرجون
من القبور وتبعثون والمعني ان الابداء والاعادة متساويان في قدرة
من هو قادر علي الطرد والعكس من اخراج الميت من الحي واخراج الحي من الميت
واحياء الميت واماتة الحي وقري الميت بالتشديد وتخرجون بفتح التاء
ومن اياته ان خلقكم من تراب لانه خلق اصلهم منه وقوله ثم اذا انتم بشر تنتشرون
اذا للمفاجاة وتقديره ثم فاجاتم وقت كونكم بشرا منتشرين في الارض كقوله
وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لان حوا
خلقت من ضلع ادم والنساء بعدها خلقن من اصلاب الرجال او من
شكل انفسكم وجنسها لا من جنس اخر وذلك لما بين الاثنين من جنس واحد
من الالف والسكون وما بين الجنسين المختلفين من التنافر لتسكنوا اليها
وجعل بينكم مودة ورحمة وجعل بينكم التواد والتراحم بعصمة الزواج
بعد ان لم تكن بينكم سابقة معرفة ولا لقاء ولا سبب يوجب التعاطف
من قرابة او رحم وعن الحسن المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال
ورحمة منا وقال ذكر رحمة ربك عبده ويقال سكن اليه اذا مال اليه كقولهم
انقطع اليه واطمان اليه ومنه السكن وهو الالف المسكون اليه فعل
بمعني مفعول وقيل ان المودة والرحمة من قبل الله وان الفرك من قبل
الشيطان ومن اياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم
ان في ذلك لايات للعالمين الالسنة اللغات او اجناس النطق واشكاله
خالف عز وعلا بين هذه الاشيا حتي لا تكاد تسمع منطقين متفقين
في همس واحد ولا جهارة ولا حدة ولا رخاوة ولا فصاحة ولا لكنة
ولا نظم ولا اسلوب ولا غير ذلك من صفات النطق واحواله وكذلك
الصور وتخطيطها والالوان وتنويعها ولاختلاف ذلك وقع التعارف
والا فلو اتفقت وتشاكلت وكانت ضربا واحدا لوقع التجاهل والالتباس
ولتعطلت مصالح كثيرة وربما رايت توامين يشتبهان في الحلية ويعرو الخطاء في التمييز
بينهما وتعرف حكمة الله في المخالفة بين الحلي وفي ذلك اية بينة حيث
ولدوا من اب واحد وفرعوا من اصل فذوهم علي الكثرة التي لا يعلمها الا
الله مختلفون متفاوتون وقري للعالمين بفتح اللام وكسرها ويشهد
للكسر قوله تعالي وما يعقلها الا العالمون ومن اياته منامكم بالليل والنهار
وابتغاؤكم من فضله ان في ذلك لايات لقوم يسمعون هذا من باب اللف
وترتيبه ومن اياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار الا انه فصل
بين القرينين الاولين بالقرينين الاخرين لانهما زمانان والزمان والواقع فيه
كشي واحد مع اعانة اللف علي الاتحاد ويجوز ان يراد منامكم في الزمانين
وابتغاؤكم فيهما والظاهر هو الاول لتكرره في القران واسد المعاني
ما دل عليه القران يسمعونه بالاذان الواعية ومن اياته يريكم

خلق لكم

يشتبهان في الحلية

البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها ان
في ذلك لايات لقوم يعقلون في يريكم وجهان اضمار ان وانزال الفعل منزلة
المصدر وبهما فسر المثل تسمع بالمعيدي خير من ان تراه وقول القايل ❊
❊ وقالوا ما تشا فقلت الهوا الي الاصباح آثر ذي اثير ❊
خوفا من الصاعقة او من الاخلاف وطمعا في الغيث وقيل خوفا
للمسافر وطمعا للحاضر وهما منصوبان علي المفعول له فان قلت من حق
المفعول له ان يكون فعلا لفاعل الفعل المعلل والخوف والطمع ليسا كذلك
قلت فيه وجهان احدهما ان المفعولين فاعلون في المعني لانهم راوون
فكانه قيل يجعلكم راين البرق خوفا وطمعا والثاني ان يكون علي تقدير حذف
المضاف اي ارادة خوف وارادة طمع فحذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه ويجوز ان يكونا حالين اي خايفين وطامعين وقري ينزل بالتشديد
ومن اياته ان تقوم السماء والارض بامره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض
اذا انتم تخرجون ومن اياته قيام السموات والارض واستمساكهما بغير عمد
بامره اي بقوله كونا قايمتين والمراد باقامته لهما ارادته لكونهما علي صفة
القيام دون الزوال وقوله اذا دعاكم بمنزلة قوله يريكم في ايقاع الجملة موقع
العزو علي معني كانه قال ومن اياته قيام السموات والارض ثم خروج الموتي
من القبور اذا دعاهم دعوة واحدة يا اهل القبور اخرجوا والمراد سرعة وجود
ذلك من غير توقف ولا تلبث كما يجيب الداعي المطاع مدعوه كما قال القايل ❊
❊ دعوت كليبا دعوة فكانما ❊ دعوت به ابن الطود او هو اسرع ❊
يريد بابن الطود الصدي والحجر اذا تدهدي وانما عطف هذا علي قيام
السموات والارض بثم بيانا لعظم ما يكون من ذلك الامر واقتداره علي مثله
وهو ان يقول يا اهل القبور قوموا فلا تبقي نسمة من الاولين والاخرين
الا قامت تنظر كما قال عز وعلا ثم نفخ فيه اخري فاذا هم قيام ينظرون كقولك
دعوته من مكان كذا كما يجوز ان يكون مكانك ويجوز ان يكون مكان صاحبك
تقول دعوت زيدا من اعلا الجبل فنزل علي ودعوته من اسفل الوادي فطلع
الي فان قلت بم تعلق من الارض ابالفعل ام بالمصدر قلت هيهات
اذا جاء نهر الله بطل نهر معقل فان قلت ما الفرق بين اذا واذا قلت
الاولي للشرط والثانية للمفاجات وهي تنوب مناب الفاء في جواب الشرط
وقري تخرجون بضم التاء وفتحها وله من في السموات والارض كل له قانتون
وهو الذي يبدوا الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه قانتون منقادون
لوجود افعاله فيهم لا يمتنعون عليه وهو اهون فيما يجب عندكم وينقاس
علي اصولكم ويقتضيه معقولكم لان من اعاد منكم صنعة شي كانت اسهل
عليه واهون من انشايها وتعتذرون للصانع اذا اخطي في بعض ما ينشيه
بقولكم اول الغزو اخرق وتسمون الماهر في صناعته معاودا تعنون
انه عاودها كرة بعد اخري حتي مرن عليها وهانت عليه فان قلت
لم ذكر الضمير في قوله وهو اهون عليه والمراد به الاعادة قلت معناه
وان يعيده اهون عليه فان قلت لم اخرت الصلة في قوله وهو اهون
عليه وقدمت في قوله هو علي هين قلت هنالك قصد الاختصاص
وهو محزه فقيل هو علي هين وان كان مستصعبا عندكم ان يولد بين هم
وعاقر واما هاهنا فلا معني للاختصاص كيف والامر مبني علي ما يعقلون
من ان الاعادة اسهل من الابتداء فلو قدمت الصلة لتغير المعني فان

قلت ما بال الاعادة استعظمت في قوله ثم اذا دعاكم حتى كانها فضلت
علي قيام السموات والارض بامره ثم هونت بعد ذلك قلت الاعادة
في نفسها عظيمة ولكنها هونت بالقياس الي الانشاء وقيل الضمير في عليه
للخلق ومعناه ان البعث اهون علي الخلق من الانشاء لان تكوينه في حد الاستحكام
والتمام اهون عليه واقل تعبا وكبدا من ان ينتقل في احوال ويتدرج فيها الي
ان يبلغ ذلك الحد وقيل الاهون بمعنى الهين ووجه اخر وهو ان الانشاء
من قبيل التفضل الذي يتخير فيه الفاعل بين ان يفعله وان لا يفعله
والاعادة من قبيل الواجب الذي لابد له من فعله لانها لجزاء الاعمال وجزاؤها
واجب والافعال اما محال والمحال ممتنع اصلا خارج عن المقدور واما ما يصرف
الحكيم عن فعله صارف وهو القبيح وهو رديف المحال لان الصارف يمنع
وجود الفعل كما تمنعه الاحالة واما تفضل والتفضل حالة بين بين للفاعل
ان يفعله وان لا يفعله واما واجب لابد من فعله ولا سبيل الى الاخلال
به فكان الواجب ابعد الافعال من الامتناع واقربها من الحصول فلما كانت
الاعادة من قبيل الواجب كانت ابعد الافعال من الامتناع واذا كانت ابعدها
من الامتناع كانت ادخلها في التاتي والتسهل اهون منها واذا كانت اهون منها ٧ فكانت
كانت اهون من الانشاء وله المثل الاعلى اي الوصف الاعلى الذي ليس لغيره
مثله قد عرف به ووصف في السموات والارض علي السنة الخلايق
والسنة الدلائل وهو انه القادر الذي لا يعجز عن شيء من انشاء واعادة
وغيرهما من المقدورات ويدل عليه قوله وهو العزيز الحكيم اي القاهر
لكل مقدور والحكيم الذي يجري كل فعل علي قضايا حكمته وعلمه وعن مجاهد
المثل الاعلى قوله لا اله الا الله ومعناه وله الوصف الاعلى الذي هو الوصف
بالوحدانية ويعضده قوله ضرب لكم مثلا من انفسكم وقال الزجاج وله
المثل الاعلى في السموات والارض اي قوله وهو اهون عليه قد ضربه لكم مثلا
فيما يصعب ويسهل يريد التفسير الاول هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء
فيما رزقناكم فانتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم انفسكم فان قلت
اي فرق بين من الاولى والثانية في قوله من انفسكم مما ملكت ايمانكم من والثالثة
شركاء قلت الاولى للابتداء كانه قال اخذ مثلا وانتزعه من اقرب
شيء منكم وهي انفسكم ولم يبعد والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة
لتاكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي ومعناه هل ترضون لانفسكم
وعبيدكم امثالكم بشر كبشر وعبيد كعبيد ان يشارككم بعضهم فيما رزقناكم
من الاموال وغيرها تكونون انتم وهم فيه علي السواء من غير تفصلة
بين حر وعبد تهابون ان تستبدوا بتصرف دونهم وان تفتاتوا بتدبير
عليهم كما يهاب بعضكم بعضا من الاحرار فاذا لم ترضوا بذلك لانفسكم
فكيف ترضون لرب الارباب ومالك الاحرار والعبيد ان تجعلوا بعض
عبيده له شركاء كذلك اي مثل هذا التفصيل نفصل الايات اي نبينها
لقوم يعقلون لان التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها لانه بمنزلة التصوير
والتشكيل لها الا ترى كيف صور الشرك بالصورة المشوهة بل اتبع الذين
ظلموا اي اشركوا كقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم اهواءهم بغير علم
اي اتبعوا اهواءهم جاهلين لان العالم اذا ركب هواه ربما ردعه
علمه وكفه واما الجاهل فيهيم علي وجهه كالبهيمة لا يكفه شيء فمن
يهدي من اضل الله من خذله ولم يلطف به لعلمه انه ممن لا لطف

له

له فمن يقدر على هداية مثله وقوله وما لهم من ناصرين دليل على ان
المراد بالاضلال الخذلان فاقم وجهك للدين فقوم وجهك له وعدله
غير ملتفت عنه يمينا ولا شمالا وهو تمثيل لاقباله علي الدين واستقامته
عليه وثباته واهتمامه باسبابه فان من اهتم بالشيء عقد عليه طرفه وسدد
اليه نظره وقوم له وجهه مقبلا به عليه وحنيفا حال من المامور او من الدين
فطرة الله الزموا فطرة الله او عليكم فطرة الله التي فطر الناس عليها وانما اضمرته اي
علي خطاب الجماعة لقوله منيبين اليه ومنيبين حال من الضمير في الزموا وقوله
واتقوه واقيموا ولا تكونوا معطوف علي هذا المضمر والفطرة الخلقة الا ترى
الي قوله لا تبديل لخلق الله والمعنى انه خلقهم قابلين للتوحيد ودين الاسلام
غير نائين عنه ولا منكرين له لكونه مجاوبا للعقل مساوقا للنظر الصحيح
حتى لو تركوا لما اختاروا عليه دينا اخر ومن غوى منهم فباغواء شياطين الانس
والجن ومنه قوله عليه السلام كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين
عن دينهم وامروهم ان يشركوا بي غيري وقوله كل مولود يولد علي الفطرة حتى
يكون ابواه هما اللذان يهودانه وينصرانه لا تبديل لخلق الله اي ما ينبغي
ان تبدل تلك الفطرة او تغير ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون
منيبين اليه واتقوه واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين فان
قلت لم وحد الخطاب اولا ثم جمع قلت خوطب رسول الله
صلى الله عليه وسلم اولا وخطاب الرسول خطاب لامته مع ما فيه من التعظيم
للامام ثم جمع بعد ذلك للبيان والتلخيص من الذين بدل من المشركين فارقوا
دينهم تركوا دين الاسلام وقرئ فرقوا دينهم اي جعلوه اديانا مختلفة لاختلاف
اهوائهم وكانوا شيعا فرقا كل واحدة تشايع امامها الذي اضلها كل حزب
بما لديهم فرحون كل حزب منهم فرح بمذهبه مسرور يحسب باطله حقا
ويجوز ان يكون من الذين منقطعا مما قبله ومعناه من المفارقين دينهم
كل حزب فرحين بما لديهم ولكنه رفع فرحون علي الوصف لكل كقوله ؛؛
وكل خليل غيرها ضم نفسه ؛؛ واذا مس الناس ضر ؛؛

تمامه
لوصل خليل صارم او معارز
وقيل
فبالصد والاعراض عنه جليد

دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا اذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون
الضر الشدة من هزال او مرض او قحط او غير ذلك والرحمة الخلاص من
الشدة واللام في ليكفروا بما اتيناهم مجاز مثلها في ليكون لهم عدوا
فتمتعوا نظير اعملوا ما شئتم فسوف تعلمون وبال تمتعكم وقرأ ابن
مسعود وليتمتعوا ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون
السلطان الحجة وتكلمه مجاز كما تقول كتابه ناطق بكذا وهذا مما نطق به
القران ومعناه الدلالة والشهادة كانه قال فهو يشهد بشركهم وبصحته
وما في بما كانوا مصدرية اي بكونهم بالله يشركون ويجوز ان تكون
موصولة ويرجع الضمير اليها ومعناه فهو يتكلم بالامر الذي بسببه
يشركون ويحتمل ان يكون المعنى ام انزلنا عليهم ذا سلطان اي ملكا معه
برهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذي بسببه يشركون واذا اذقنا
الناس رحمة واذا اذقناهم رحمة اي نعمة من مطر او سعة او صحة فرحوا
بها وان تصبهم سيئة اي بلاء من جدب او ضيق او مرض بما قدمت
ايديهم اذا هم يقنطون اي بسبب شؤم معاصيهم قنطوا من
الرحمة ثم انكر عليهم بانهم قد علموا انه هو الباسط القابض فما لهم يقنطون
من رحمته وما لهم لا يرجعون اليه تائبين من المعاصي التي عوقبوا

بالشدة من اجلها حتى يعيد اليهم رحمته فقال اولم يروا ان الله يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لايات لقوم يومنون فات ذا القربى حقه
والمسكين وابن السبيل حق ذي القربى صلة الرحم وحق المسكين وابن
السبيل نصيبهما من الصدقة المسماة لهما وقد احتج ابو حنيفة رحمة الله عليه
بهذه الاية في وجوب النفقة للمحارم اذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب
وعند الشافعي رحمة الله عليه لا نفقة بالقرابة الا على الولد والوالدين
قاس سائر القرابات على ابن العم لانه لا ولاد بينهم فان قلت
كيف تعلق قوله فات ذا القربى بما قبله حتى جيء بالفاء قلت لما ذكر
ان السيئة اصابتهم بما قدمت ايديهم اتبعه ذكر ما يجب ان يفعل وما
يجب ان يترك ذلك خير للذين يريدون وجه الله واولئك هم المفلحون
يحتمل ان يراد بوجهه ذاته او جهته وجانبه اي يقصدون بمعروفهم
اياه خالصا وحقه كقوله تعالى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى او يقصدون
جهة التقرب الى الله لا جهة اخرى والمعنيان متقاربان ولكن الطريقة
مختلفة وما اتيتم من ربا ليربو في اموال الناس فلا يربو عند الله وما اتيتم
من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون هذه الاية في معنى
قوله عز وجل يمحق الله الربا ويربي الصدقات سواء بسواء يريد وما اعطيتم
اكلة الربا من ربى ليربوا في اموالهم ليزيد ويزكوا في اموالهم فلا يزكوا عند
الله ولا يبارك فيه وما اتيتم من زكاة اي صدقة تبتغون به وجهه
خالصا لا تطلبون به مكافاة ولا رياء وسمعة فاولئك هم المضعفون
ذوو الاضعاف من الحسنات ونظير المضعف المقوي والموسر لذي
القوة واليسار وقرئ بفتح العين وقيل نزلت في ثقيف وكانوا يربون
وقيل المراد ان يهب الرجل للرجل ويهدي له ليعوضه اكثر مما وهب
او اهدى فليست تلك الزيادة بحرام ولكن المعوض لا يثاب على تلك الزيادة
وقالوا الربا ربوان فالحرام كل قرض يوخذ فيه اكثر منه او يجر منفعة والذي
ليس بحرام ان يستدعي بهبته او يهدي اكثر منها وفي الحديث المستغزر
يثاب من هبته وقرئ وما اتيتم من ربا بمعنى وما غشيتموه او رهقتموه
من عطاء ربا وقرئ لتربوا اي لتزيدوا في اموالهم كقوله ويربي الصدقات
اي يزيدها وقوله فاولئك هم المضعفون التفات حسن كانه قال لملائكته
وخواص خلقه فاولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون
فهو امدح لهم من ان يقول فانتم المضعفون والمعنى المضعفون به لانه
لا بد من ضمير يرجع الى ما ووجه اخر وهو ان يكون تقديره فموتوه اولئك
هم المضعفون والحذف لما في الكلام من الدليل عليه وهذا اسهل ماخذا
والاول املا بالفائدة الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم
هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون
الله مبتدا وخبره الذي خلقكم اي الله هو فاعل هذه الافعال الخاصة التي لا يقدر
على شيء منها احد غيره ثم قال هل من شركائكم الذين اتخذتموهم اندادا له
من الاصنام وغيرها من يفعل شيئا قط من تلك الافعال حتى يصح ما ذهبتم
اليه ثم استبعد حاله من حال شركائهم ويجوز ان يكون الذي خلقكم
صفة للمبتدا والخبر هل من شركائكم وقوله من ذلكم هو الذي ربط الجملة
بالمبتدا لان معناه من افعاله ومن الاولى والثانية والثالثة كل واحدة
منهن مستقلة بتاكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم ظهر

الفساد

الفساد في البر والبحر نحو الجدب والقحط وقلة الريع في الزراعات والربح
في التجارات ووقوع الموتان في الناس والدواب وكثرة الحرق والغرق واخفاق
الصيادين والغاصة ومحق البركات من كل شيء وقلة المنافع في الجملة وكثرة
المضار وعن ابن عباس اجدبت الارض وانقطعت مادة البحر وقالوا
اذا انقطع القطر عميت دواب البحر وعن الحسن ان المراد بالبحر مدن البحر
وقراه التي على شاطيه وعن عكرمة العرب تسمي الامصار البحار وقرئ في البر
والبحور بما كسبت ايدي الناس بسبب معاصيهم وذنوبهم كقوله تعالى
وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم وعن ابن عباس ظهر الفساد في البر
بقتل ابن ادم اخاه وفي البحر بان جلندي كان ياخذ كل سفينة غصبا وعن
قتادة كان ذلك قبل البعث فلما بعث رسول الله رجع راجعون عن الضلال
والظلم ويجوز ان يريد ظهور الشر والمعاصي بكسب الناس ذلك فان قلت
ما معنى قوله ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون قلت
اما على التفسير الاول فظاهر وهو ان الله قد افسد اسباب دنياهم
ومحقها ليذيقهم وبال بعض اعمالهم في الدنيا قبل ان يعاقبهم بجميعها في
الاخرة لعلهم يرجعون عما هم عليه واما على الثاني ~~ارادة~~ الرجوع فاللام مجاز
على معنى ان ظهور الشرور بسببهم مما استوجبوا به ان يذيقهم الله وبال اعمالهم
ارادة الرجوع فكانهم انما افسدوا وتسببوا لفشو المعاصي في الارض لاجل
ذلك وقرئ لنذيقهم بالنون ثم اكد تسبب المعاصي لغضب الله ونكاله
حيث امرهم بان يسيروا فينظروا كيف اهلك الله الامم واذاقهم سوء العاقبة
بمعاصيهم فقال قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبل ودل بقوله كان اكثرهم مشركين على ان الشرك وحده لم يكن سبب
تدميرهم وان ما دونه من المعاصي يكون سببا لذلك فاقم وجهك للدين
القيم البليغ الاستقامة الذي لا ياتي فيه عوج من قبل ان ياتي يوم لا مرد
له من الله من الله اما ان يتعلق بياتي فيكون المعنى من قبل ان ياتي
من الله يوم لا يرده احد كقوله فلا يستطيعون ردها او بمرد على معنى
لا يرده هو بعد ان يجيء به ولا رد من جهته والمرد مصدر بمعنى الرد يومئذ
يصدعون يتصدعون اي يتفرقون كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ
يتفرقون من كفر فعليه كفره كلمة جامعة لما لا غاية وراءه من المضار
لان كل من كان ضاره كفره فقد احاطت به كل مضرة ومن عمل صالحا فلانفسهم
يمهدون اي يسوون لانفسهم ما يسويه لنفسه الذي يمهد فراشه
ويوطيه لئلا يصيبه في مضجعه ما ينبيه عليه وينغص عليه مرقده
من نتوء وقضض او بعض ما يوذي الراقد ويجوز ان يريد فعلى انفسهم
يشفقون من قولهم للمشفق ام فرشت فانامت وتقديم الظرف
في الموضعين للدلالة على ان ضرر الكفر لا يعود الا على الكافر لا يتعداه
ومنفعة الايمان والعمل الصالح ترجع الى المومن لا يتجاوزه ليجزي متعلق
بيمهدون تعليل له الذين امنوا وعملوا الصالحات من فضله مما
يتفضل عليهم بعد توفية الواجب من الثواب وهذا يشبه الكناية لان
الفضل تبع للثواب فلا يكون الا بعد حصول ما هو تبع له او اراد
من عطايه وهو ثوابه لان الفضول والفواضل هي الاعطية عند العرب
وتكرير الذين امنوا وعملوا الصالحات وترك الضمير الى الصريح لتقرير
انه لا يفلح عنده الا المومن الصالح وقوله انه لا يحب الكافرين

في الارض

القيم

تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات
وليذيقكم من رحمته الرياح وهي الجنوب والشمال والصبا وهي رياح الرحمة
واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه السلام اللهم اجعلها رياحا ولا
تجعلها ريحا وقد عدد الاغراض في ارسالها وانه ارسلها للبشارة بالغيث
ولاذاقة الرحمة وهي نزول المطر وحصول الخصب الذي يتبعه والروح
الذي مع هبوب الريح وزكاء الارض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا كثرت المؤتفكات زكت الارض وازالة العفونة من الهوا وتذرية
الحبوب وغير ذلك ولتجري الفلك في البحر عند هبوبها وانما زاد بامره
لان الريح قد تهب ولا تكون مواتية فلا بد من ارساء السفن والاحتيال
لحبسها وربما عصفت فاغرقتها ولتبتغوا من فضله يريد تجارة البحر
ولعلكم تشكرون ولتشكروا نعمة الله فيها فان قلت بم يتعلق
وليذيقكم قلت فيه وجهان ان يكون معطوفا على مبشرات على
المعنى كانه قيل ليبشركم وليذيقكم وان يتعلق بمحذوف تقديره
وليذيقكم وليكون كذا وكذا ارسلناها ولقد ارسلنا من قبلك رسلا
الى قومهم فجاوهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا اختصر الطريق
الى الغرض بان ادرج تحت ذكر الانتصار والنصر ذكر الفريقين وقد
اخلى الكلام اولا عن ذكرهما وقوله وكان حقا علينا نصر المومنين تعظيم
للمومنين ورفع من شانهم وتاهيل للكرامة سنية واظهار لفضل سابقة
ومزية حيث جعلهم مستحقين على الله ان ينصرهم مستوجبين عليه ان
يظهرهم ويظفرهم وقد يوقف على حقا ومعناه وكان الانتقام منهم
حقا ثم يبتدا علينا نصر المومنين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه
نار جهنم يوم القيمة ثم تلا قوله وكان حقا علينا نصر المومنين الله
الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه متصلا تارة في السماء
كيف يشاء ويجعله كسفا اي قطعا تارة اخرى فترى الودق يخرج من خلاله
في التارتين جميعا فاذا اصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون
والمراد بالسماء سمت السماء وشقها كقوله وفرعها في السماء وباصابة العباد
اصابة بلادهم واراضيهم وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله
لمبلسين من قبله من باب التكرير والتوكيد كقوله تعالى فكان عاقبتهما
انهما في النار خالدين فيها ومعنى التوكيد فيه الدلالة على ان عهدهم بالمطر
قد تطاول وبعد فاستحكم ياسهم وتمادى ابلاسهم فكان الاستبشار
على قدر اغتمامهم بذلك فانظر الى اثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد
موتها قرئ اثر واثار على الواحدة والجمع وقراهما ابو حيوة وغيره كيف تحيي
اي الرحمة ان ذلك لمحيي الموتى يعني ان ذلك القادر الذي يحيي الارض
بعد موتها هو الذي يحيي الناس بعد موتهم وهو على كل شي قدير فاوهو
على كل شي من المقدورات قادر وهذا من جملة المقدورات بدليل الانشاء
ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون فراوه فراوا
اثر رحمة الله لان رحمة الله هي الغيث واثرها النبات ومن قرا بالجمع رجع
الضمير الى معناه لان معنى اثار الرحمة النبات واسم النبات يقع
على القليل والكثير لانه مصدر سمي به ما ينبت ولئن هي اللام الموطئة
للقسم دخلت على حرف الشرط ولظلوا جواب القسم سد مسد الجوابين

اعني

اعني جواب القسم وجواب الشرط ومعناه ليظلن ذمهم الله عز وجل بانه اذا حبس
عنهم القطر قنطوا من رحمته وضربوا اذقانهم على صدورهم مبلسين فاذا اصابهم
برحمته ورزقهم المطر استبشروا وابتهجوا فاذا ارسل ريحا فضرب زروعهم
بالصفار ضجوا وكفروا بنعمة الله فهم في جميع هذه الاحوال على الصفة المذمومة
كان عليهم ان يتوكلوا على الله وفضله فقنطوا وان يشكروا نعمته ويحمدوه عليها
فلم يزيدوا على الفرح والاستبشار وان يصبروا على بلائه فكفروا والريح التي
اصفر لها النبات يجوز ان تكون حرورا وحرجفا فكلتاهما مما يصوح له النبات
ويصبح هشيما وقال مصفرا لان تلك صفرة حادثة وقيل فراوا السحاب
مصفرا لانه اذا كان كذلك لم يمطر فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعا
اذا ولوا مدبرين وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يومن
باياتنا فهم مسلمون الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف
قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير قرئ
بفتح الضاد وضمها وهما لغتان والضم اقوى في القراءة لما روى ابن عمر قال قراتها
على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضَعف فاقراني ضُعف وقوله خلقكم من ضعف
كقوله خلق الانسان من عجل يعني ان اساس امركم وما عليه جبلتكم وبنيتكم الضعف
وخلق الانسان ضعيفا اي ابتداناكم من اول الامر ضعافا وذلك حال الطفولة
والنشو حتى بلغتم وقت الاحتلام والشبيبة وتلك حال القوة الى الاكتهال وبلوغ
الاشد ثم رددتم الى اصل حالكم وهو الضعف بالشيخوخة والهرم وقيل
من ضعف من النطفة كقوله من ماء مهين وهذا الترديد في الاحوال المختلفة
والتغيير من هيئة الى هيئة وصفة الى صفة اظهر دليل واعدل شاهد
على الصانع العليم القدير ويوم تقوم الساعة الساعة القيامة سميت بذلك
لانها تقوم في اخر ساعة من ساعات الدنيا او لانها تقع بغتة وبديهة كما تقول
في ساعة لمن تستعجله وجرت علما لها كالنجم للثريا والكوكب للزهرة يقسم المجرمون
ما لبثوا غير ساعة وارادوا لبثهم في الدنيا او في القبور او فيما بين فناء الدنيا
الى البعث وفي الحديث ما بين فناء الدنيا الى وقت البعث اربعون قالوا لا نعلم
اهي اربعون سنة ام اربعون الف سنة وذلك وقت يفنون فيه وينقطع
عذابهم وانما يقدرون وقت لبثهم بذلك على وجه استقصارهم له او ينسون
او يكذبون او يخمنون كذلك كانوا يوفكون اي مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون
عن الصدق والتحقيق في الدنيا وهكذا كانوا يبنون امرهم على خلاف الحق
او مثل الافك كانوا يوفكون في الاغترار بما تبين لهم الان انه ما كان الا ساعة
وقال الذين اوتوا العلم والايمان القائلون هم الملائكة والانبياء والمومنون
لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث في كتاب الله في اللوح او في علم الله
وقضائه او فيما كتبه اي اوجبه بحكمته ردوا ما قالوه وحلفوا عليه واطلعوهم
على الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على انكار البعث بقولهم فهذا
يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق لتفريطكم في طلب الحق واتباعه
فان قلت ما هذه الفاء وما حقيقتها قلت هي التي في قوله
فقد جئنا خراسانا وحقيقتها انها جواب شرط
يدل عليه الكلام كانه قال انه صح ما قلتم من ان خراسان اقصى ما يراد بنا
فقد جئنا خراسان وآن لنا ان نخلص وكذلك ان كنتم منكرين البعث فهذا
يوم البعث اي فقد تبين بطلان قولكم وقرا الحسن يوم البعث بالتحريك
فيومئذ لا ينفع قرئ بالتاء والياء الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون

القادر

لمن

من قولك استعتبني فلان فاعتبته اي استرضاني فارضيته وذلك اذا
كنت جانيا عليه وحقيقة اعتبته ازلت عتبه الا ترى الى قوله ؞
؞ غضبت تميم ان يقتل عامر ؞ يوم النسار فاعتبوا بالصيلم ؞
كيف جعلهم غضابا ثم قال فاعتبوا اي ازيل غضبهم والغضب في معنى العتب
والمعنى لا يقال لهم ارضوا ربكم بتوبة وطاعة ومثله قوله تعالى لا يخرجون
منها ولا هم يستعتبون فان قلت كيف جعلوا غير مستعتبين في بعض
الايات وغير معتبين في بعضها وهو قوله وان يستعتبوا فما هم من
المعتبين قلت اما كونهم غير مستعتبين فهذا معناه واما كونهم غير
معتبين فمعناه انهم غير راضين بما هم فيه فشبهت حالهم بحال قوم جنى عليهم
فهم عاتبون على الجاني غير راضين منه فان يستعتبوا الله اي يسالوه ازالة
ما هم فيه فما هم من المجابين الى ازالته ولقد ضربنا في هذا القران للناس
من كل مثل ولئن جئتهم باية ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون
ولقد وصفنا لهم كل صفة كانها مثل في غرابتها وقصصنا عليهم كل قصة
عجيبة الشان كصفة المبعوثين يوم القيمة وقصتهم وما يقولون وما يقال
لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعتابهم ولكنهم لقسوة قلوبهم
ومج اسماعهم حديث الاخرة اذا جئتهم باية من القران قالوا جئتنا بزور وباطل
ثم قال كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون اي مثل ذلك الطبع يطبع
الله على قلوب الجهلة ومعنى طبع الله منع الالطاف التي تنشرح لها الصدور
حتى تقبل الحق وانما يمنعها من علم انها لا تجدي عليه ولا تغني عنه كما يمنع الواعظ
الموعظة من تبين له ان الموعظة تلغو ولا تنجع فيه فوقع ذلك كناية عن
قسوة قلوبهم وركوب الصدا والرين اياها فكانه قال كذلك تقسو وتصدا
قلوب الجهلة حتى يسموا المحقين مبطلين وهم اعرق خلق الله في تلك الصفة
فاصبر على عداوتهم ان وعد الله بنصرك واظهار دينك على الدين كله حق
لا بد من انجازه والوفاء به ولا يستخفنك الذين لا يوقنون ولا يحملنك
على الخفة والقلق جزعا مما يقولون ويفعلون فانهم قوم شاكون ضالون
لا يستبدع منهم ذلك وقرئ بتخفيف النون وقرا ابن ابي اسحق ويعقوب
ولا يستحقنك اي لا يفتننك فيملكوك ويكونوا احق بك من المومنين قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الروم كان له من الاجر عشر
حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والارض وادرك ما ضيع في يومه وليلته
؞ ؞ ؞ سورة لقمان مكية وهي اربع وثلاثون اية ؞ ؞ ؞
؞ ؞ ؞ بسم الله الرحمن الرحيم ؞ ؞ ؞
الم تلك ايات الكتاب الحكيم ذي الحكمة او وصف بصفة الله عز وجل على
الاسناد المجازي ويجوز ان يكون الاصل الحكيم قايله فحذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد الجر استكن في الصفة المشبهة
هدى ورحمة للمحسنين الذين يقيمون الصلوة ويوتون الزكوة وبالاخرة
هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون هدى ورحمة
بالنصب على الحال عن الايات والعامل فيهما ما في تلك من معنى الاشارة
وبالرفع على انه خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف للمحسنين للذين
يعملون الحسنات وهي التي ذكرها من اقامة الصلوة وايتاء الزكاة والايقان
بالاخرة ونظيره قول اوس ؞ الالمعي الذي يظن بك الظن ؞ ؞
؞ كان قد راى وقد سمعا ؞ ؞ حكي عن الاصمعي

[illegible]

انه

انه سيل عن الالمعي فانشده ولم يزد او للذين يعملون جميع ما يحسن من الاعمال
ثم خص منهم القايمين بهذه الثلاثة لفضل اعتداده بها ومن الناس من
يشتري لهو الحديث اللهو كل باطل الهى عن الخير وعما يعني ولهو الحديث نحو
السمر بالاساطير والاحاديث التي لا اصل لها والتحدث بالخرافات والمضاحيك
وفضول الكلام وما لا ينبغي من كان وكان ونحو الغناء وتعلم الموسيقار
وما اشبه ذلك وقيل نزلت في النضر بن الحارث وكان
يتجر الى فارس فيشتري كتب الاعاجم فيحدث بها قريشا ويقول ان كان
محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم باحاديث رستم وبهرام والاكاسرة
وملوك الحيرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع القران وقيل
كان يشتري المغنيات فلا يظفر باحد يريد الاسلام الا انطلق به الى قينته
فيقول اطعميه واسقيه وغنيه ويقول هذا خير مما يدعوك اليه محمد
من الصلاة والصيام وان تقاتل بين يديه وفي حديث النبي عليه السلام
لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن ولا اثمانهن وعنه ما من
رجل يرفع صوته بالغناء الا بعث الله عليه شيطانين احدهما على هذا المنكب
والاخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربان بارجلهما حتى يكون هو الذي يسكت وقيل
الغناء منفدة للمال مسخطة للرب مفسدة للقلب فان قلت
ما معنى اضافة اللهو الى الحديث قلت معناها التبيين وهي
الاضافة بمعنى من وان يضاف الشي الى ما هو منه كقولك صفة خز وباب
ساج والمعنى من يشتري اللهو من الحديث لان اللهو يكون من الحديث ومن غيره فبين بالحديث والمراد
بالحديث الحديث المنكر كما جاء في الحديث الحديث في المسجد ياكل الحسنات
كما تاكل البهيمة الحشيش ويجوز ان تكون الاضافة بمعنى من التبعيضية
كانه قال ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو منه
وقوله يشتري اما من الشراء على ما روي عن النضر من شراء كتب
الاعاجم او من شراء القيان واما من قوله اشتروا الكفر بالايمان اي
استبدلوه منه واختاروه عليه وعن قتادة اشتراوه استحبابه يختار
حديث الباطل على حديث الحق ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها
هزوا اولئك لهم عذاب مهين وقرئ ليضل بضم الياء وفتحها وسبيل
الله دين الاسلام او القران فان قلت القراءة بالضم بينة لان
النضر كان غرضه باشتراء اللهو ان يصد الناس عن الدخول في الاسلام
واستماع القران ويضلهم عنه فما معنى القراءة بالفتح قلت فيه معنيان
احدهما ليثبت على ضلاله الذي كان عليه ولا يصدف عنه ويزيد فيه ويمده
فان المخذول كان شديد الشكيمة في عداوة الدين وصد الناس عنه والثاني
ان يوضع ليضل موضع ليضل من قبل ان من اضل كان ضالا لا محالة فدل
بالرديف على المردوف فان قلت ما معنى قوله بغير علم قلت
لما جعله مشتريا لهو الحديث بالقران قال يشتري بغير علم بالتجارة
وبغير بصيرة بها حيث يستبدل الضلال بالهدى والباطل بالحق ونحوه
قوله تعالى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين اي وما كانوا مهتدين
للتجارة بصراء بها وقرئ ويتخذها بالنصب والرفع عطف على يشتري
او ليضل والضمير للسبيل لانها مونثة كقوله تعالى وتصدون عن
سبيل من امن به وتبغونها عوجا واذا تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا زاما
لا يعبا بها ولا يرفع بها راسا كان لم يسمعها يشبه حاله في ذلك حال من لم

يسمعها وهو سامع كان في اذنيه وقرا اي ثقلا ولا وقر فيهما وقري بسكون
الذال فان قلت ما محل الجملتين المصدرتين بكان قلت
الاولي حال من مستكبرا والثانية من لم يسمعها ويجوز ان تكونا استينافيتين
والاصل في كان المخففة كانه والضمير ضمير الشان فبشره بعذاب اليم
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد
الله حقا وعد الله حقا مصدران موكدان الاول موكد لنفسه والثاني
موكد لغيره لان قوله لهم جنات النعيم في معني وعدهم الله جنات النعيم
فاكد معني الوعد بالوعد واما حقا فدال علي معني الثبات اكد به معني
الوعد ومؤكدها جميعا قوله لهم جنات النعيم وهو العزيز الذي
لا يغلبه شي ولا يعجزه يقدر علي الشي وعلي ضده فيعطي النعيم من يشاء
والبؤس من يشاء وهو الحكيم لا يشاء الا ما توجبه الحكمة والعدل خلق
السموات والارض بغير عمد ترونها الضمير فيه للسموات واستشهاد برويتهم
لها غير معمودة علي قوله بغير عمد كما تقول لصاحبك انا بلا سيف ولا
رمح تراني فان قلت ما محلها من الاعراب قلت لا محل لها
لانها مستانفة او هي في محل الجر صفة للعمد اي بغير عمد مرئية يعني
بعني انه عمدها بعمد لا تري وهي امساكها بقدرته والقي في الارض رواسي
ان تميد بكم وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل
زوج كريم هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون
في ضلال مبين هذا اشارة الي ما ذكر من مخلوقاته والخلق بمعني المخلوق
والذين من دونه الهتهم بكتهم بان هذه الاشياء العظيمة مما خلقه الله
وانشاه فاروني ما خلقته الهتكم حتي استوجبوا عندكم العبادة ثم اضرب
عن تبكيتهم الي التسجيل عليهم بالتورط في ضلال ليس بعده ضلال ولقد
اتينا لقمان الحكمة ان اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله
غني حميد هو لقمان بن باعورا ابن اخت ايوب او ابن خالته وقيل
كان من اولاد آزر وعاش الف سنة وادرك داود عليه السلام واخذ
منه العلم وكان يفتي قبل مبعث داود فلما بعث قطع الفتوي فقيل
له فقال الا اكتفي اذا كفيت وقيل كان قاضيا في بني اسرائيل واكثر
الاقاويل انه كان حكيما ولم يكن نبيا وعن ابن عباس رضي الله عنه لقمان
لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان راعيا اسود رزقه الله العتق ورضي قوله
ووصيته فقص امره في القران لتمسكوا بوصيته وقال عكرمة والشعبي
كان نبيا وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وعن ابن المسيب
كان اسود من سودان مصر خياطا وعن مجاهد كان عبدا اسود غليظ
الشفتين متشقق القدمين وقيل كان نجارا وقيل راعيا وقيل
كان يحتطب لمولاه كل يوم حزمة وعنه انه قال لرجل ينظر اليه ان كنت
تراني غليظ الشفتين فانه يخرج من بينهما كلام رقيق وان كنت تراني
اسود فقلبي ابيض وروي ان رجلا وقف عليه في مجلسه فقال الست
الذي ترعي معي في مكان كذا قال بلي قال ما بلغ بك ما اري قال صدق
الحديث والصمت عما لا يعنيني وروي انه دخل علي داود وهو يسرد
الدرع وقد لين الله له الحديد كالطين فاراد ان يساله فادركته الحكمة
فسكت فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكمة
وقليل فاعله فقال له داود بحق ما سميت حكيما وروي ان مولاه

امره

هو

امره ان يذبح شاة وبان يخرج منها اطيب مضغتين فاخرج اللسان والقلب
ثم امره بمثل ذلك بعد ايام وان يخرج اخبث مضغتين فاخرج اللسان
والقلب فساله عن ذلك فقال هما اطيب ما فيها اذا طابا واخبث ما فيها
اذا خبثا وعن سعيد بن المسيب انه قال لاسود لا تحزن فانه كان من خير
الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولي عمر ولقمان ان هي المفسرة لان
ايتاء الحكمة في معني القول وقد نبه الله سبحانه علي ان الحكمة الاصلية والعلم
الحقيقي هو العمل بهما وعبادة الله والشكر له حيث فسر ايتاء الحكمة بالبعث
علي الشكر غني غير محتاج الي الشكر حميد حقيق بان يحمد وان لم يحمده احد واذ
قال لقمان لابنه وهو يعظه قيل كان اسم ابنه انعم وقال الكلبي اشكم
وقيل كان ابنه وامراته كافرين فما زال بهما حتي اسلما يا بني لا تشرك بالله
ان الشرك لظلم عظيم لان التسوية بين من لا نعمة الا هي منه ومن لا نعمة
منه البتة ولا يتصور ان تكون منه ظلم لا يكتنه عظمه ووصينا الانسان
بوالديه حملته امه وهنا علي وهن كقولك رجع عودا علي بدء بمعني يعود
عودا علي بدء وهو في موضع الحال والمعني انها تضعف ضعفا فوق ضعف
اي يتزايد ضعفها ويتضاعف لان الحمل كلما ازداد وعظم ازدادت ثقلا
وضعفا وقري وهنا علي وهن بالتحريك عن ابي عمرو يقال وهن يوهن
ووهن يهن وفصاله في عامين وقري وفصله ان اشكر لي تفسير لوصينا
ولوالديك الي المصير وان جاهداك علي ان تشرك بي ما ليس لك به علم اراد
بنفي العلم به نفيه اي لا تشرك بي ما ليس بشي يريد الاصنام كقوله ما يدعون
من دونه من شي فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا معروفا صحابا او
مصاحبا معروفا حسنا بخلق جميل وحلم واحتمال وبر وصلة وما يقتضيه
الكرم والمروة واتبع سبيل من اناب الي يريد واتبع سبيل المومنين في دينك
ولا تتبع سبيلهما فيه وان كنت مامورا بحسن مصاحبتهما في الدنيا ثم الي مرجعكم
فانبيكم بما كنتم تعملون ثم الي مرجعك ومرجعهما فاجازيك علي ايمانك واجازيهما
علي كفرهما علم بذلك حكم الدنيا وما يجب علي الانسان في صحبتهما ومعاشرتهما
من مراعات حق الابوة وتعظيمه وما لهما من المواجب التي لا يسوغ الاخلال
بها ثم بين حكمهما وحالهما في الاخرة وروي انها نزلت في سعد بن ابي وقاص
وامه وفي القصة انها مكثت ثلاثا لا تطعم ولا تشرب حتي شجروا فاها
بعود وروي انه قال لو كانت لها سبعون نفسا فخرجت لما ارتددت
الي الكفر فان قلت هذا الكلام كيف وقع في اثناء وصية لقمان
قلت هو كلام اعترض به علي سبيل الاستطراد تاكيدا لما في وصية
لقمان من النهي عن الشرك فان قلت فقوله حملته امه وهنا علي وهن
وفصاله في عامين كيف اعترض به بين المفسر والمفسر قلت
لما وصي بالوالدين ذكر ما تكابده الام وتعانيه من المشاق والمتاعب
في حمله وفصاله هذه المدة المتطاولة ايجابا للتوصية بالوالدة خصوصا
وتذكيرا بحقها العظيم مفردا ومن ثم قال رسول الله صلي الله عليه وسلم
لمن قال له من ابر امك ثم امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك وعن بعض
العرب انه حمل امه الي الحج علي ظهره وهو يقول في حدايه بنفسه احمل امي وهي
الحمالة ترضعني الدرة والعلالة ولا يجازي والد فعاله فان قلت
ما معني توقيت الفصال بالعامين قلت المعني في توقيته
بهذه المدة انها الغاية التي لا تتجاوز والامر فيما دون العامين موكول

اي حملته تهن وهنا

الي اجتهاد الام ان علمت انه يقوي علي الفطام فلها ان تفطمه ويدل عليه
قوله عز وعلا والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم
الرضاعة وبه استشهد الشافعي رحمه الله علي ان مدة الرضاع سنتان لا تثبت
حرمة الرضاع بعد انقضائها وهو مذهب ابي يوسف ومحمد واما عند
ابي حنيفة رحمه الله فمدة الرضاع ثلاثون شهرا وعن ابي حنيفة ان فطمته
قبل العامين فاستغنى بالطعام ثم ارضعته لم يكن رضاعا وان اكل اكلا
ضعيفا لم يستغن به عن الرضاع ثم ارضعته فهو رضاع محرم يا بني انها ان
تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في السماء او في الارض يات
بها الله قرئ مثقال حبة بالنصب والرفع فمن نصب كان الضمير للهنة من
الاساءة او الاحسان اي ان كانت مثلا في الصغر والقماءة كحبة الخردل فكانت
مع صغرها في اخفى موضع واحرزه كجوف الصخرة او حيث كانت في العالم العلوي
او السفلي يات بها الله يوم القيمة فيحاسب بها عاملها ان الله لطيف يتوصل
علمه الي كل خفي خبير عالم بكنهه وعن قتادة لطيف باستخراجها خبير
بمستقرها ومن قرا بالرفع كان الضمير ضمير القصة وانما انث المثقال
لاضافته الي الحبة كما قال
كما شرقت صدر القناة من الدم وروي ان
ابن لقمان قال له ارايت الحبة تكون في مقل البحر اي في مغاصه يعلمها الله فقال
ان الله يعلم اصغر الاشياء في اخفى الامكنة لان الحبة في الصخرة اخفى منها في الماء
وقيل الصخرة هي التي تحت الارض وهي السجين يكتب فيها اعمال الكفار وقري
فتكن بكسر الكاف من وكن الطاير يكن اذا استقر في وكنته وهي مقره ليلا يا بني
اقم الصلوة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر علي ما اصابك يجوز
ان يكون عاما في كل ما يصيبه من المحن وان يكون خاصا بما يصيبه فيما امر
به من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من اذى من يبعثهم علي الخير وينكر
عليهم الشر ان ذلك لمن عزم الامور ان ذلك مما عزمه الله من الامور اي قطعه
قطع ايجاب والزام ومنه الحديث لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل
اي لم يقطعه بالنية الا ترى الي قوله لمن لم يبيت الصيام ومنه ان الله
يحب ان يوخذ برخصه كما يحب ان يوخذ بعزايمه وقولهم عزمة من
عزمات ربنا ومنه عزمات الملوك وذلك ان يقول الملك لبعض
من تحت يده عزمت عليك الا فعلت كذا اذا قال ذلك لم يكن للمعزوم
عليه بد من فعله ولا منه وحنث في تركه وحقيقته انه من تسمية المفعول
بالمصدر واصله من معزومات الامور اي مقطوعاتها ومفروضاتها
ويجوز ان يكون مصدرا في معنى الفاعل اصله من عازمات الامور
من قوله تعالي فاذا عزم الامر كقولك جد الامر وصدق القتال وناهيك
بهذه الاية موذنة بقدم هذه الطاعات وانها كانت ماموراً بها في ساير
الامم وان الصلوة لم تزل عظيمة الشان سابقة القدم علي ما سواها
موصي بها في الاديان كلها ولا تصاعر خدك للناس تصاعر وتصعر
بالتشديد والتخفيف يقال اصعر خده وصاعره كقولك اعلاه وعلاه
وعالاه بمعنى والصعر والصيد داء يصيب البعير يلوي منه عنقه
والمعنى اقبل علي الناس بوجهك تواضعا ولا تولهم شق وجهك وصفحته
كما يفعل المتكبرون ولا تمش في الارض مرحا اراد ولا تمش تمرح مرحا
او اوقع المصدر موقع الحال بمعنى مرحا ويجوز ان يريد لا تمش لاجل المرح

الصخرة هي

مهم

والاشر اي لا يكن غرضك في المشي البطالة والاشر كما يمشي كثير من الناس
لذلك لا لكفاية مهم ديني او دنيوي ونحوه قوله تعالي ولا تكونوا كالذين خرجوا
من ديارهم بطرا ورئاء الناس ان الله لا يحب كل مختال فخور والمختال
مقابل للماشي مرحا وكذلك الفخور للمصعر خده كبرا واقصد في مشيك واعدل
فيه حتى يكون مشيا بين مشيين لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب وثيب
الشطار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سرعة المشي تذهب بهاء المومن
واما قول عايشة في عمر رضي الله عنهما كان اذا مشى اسرع فانما ارادت السرعة
المرتفعة عن دبيب المتماوت وقري واقصد بقطع الهمزة اي سدد في مشيك
من اقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك وانقص منه
واقصر من قولك فلان يغض من فلان اذا قصر به ووضع منه ان انكر
الاصوات لصوت الحمير انكر الاصوات اوحشها من قولك شي نكر اذا انكرته
النفوس واستوحشت منه ونفرت والحمار مثل في الذم البليغ والشتيمة
وكذلك نهاقه ومن استفحاشهم لذكره مجردا وتفاديهم من اسمه انهم يكنون
عنه ويرغبون عن التصريح به فيقولون الطويل الاذنين كما يكنى عن الاشياء
المستقذرة وقد عد في مساوي الاداب ان يجري ذكر الحمار في مجلس قوم
من اولي المروة ومن العرب من لا يركب الحمار استنكافا وان بلغت منه الرجلة
فتشبيه الرافعين اصواتهم بالحمير وتمثيل اصواتهم بالنهاق ثم اخلاء الكلام
من لفظ التشبيه واخراجه مخرج الاستعارة وان جعلوا حميرا وصوتهم
نهاقا مبالغة شديدة في الذم والتهجين وافراط في التثبيط عن رفع الصوت
والترغيب عنه وتنبيه علي انه من كراهة الله بمكان فان قلت
لم وحد صوت الحمير ولم يجمع قلت ليس المراد ان يذكر صوت كل واحد
من احاد هذا الجنس حتى يجمع وانما المراد ان كل جنس من الحيوان الناطق له
صوت وانكر اصوات هذه الاجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيده
الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير
ذلك وما في الارض البحار والانهار والمعادن والدواب وما لا يحصى
واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة واسبغ قري بالسين والصاد وهكذا
كل سين اجتمع معه الغين والخاء والقاف تقول في سلخ صلخ وفي سقر صقر
وفي سالغ صالغ وقري نعمه ونعمة ونعمته فان قلت ما النعمة
قلت كل نفع قصد به الاحسان والله عز وعلا خلق العالم كله نعمة
لانه اما حيوان واما غير حيوان فما ليس بحيوان نعمة علي الحيوان والحيوان
نعمة من حيث ان ايجاده حيا نعمة عليه لانه لولا ايجاده حيا لما صح منه
الانتفاع وكل ما ادى الي الانتفاع وصححه فهو نعمة فان قلت لم كان
خلق العالم مقصودا به الاحسان قلت لانه لا يخلقه الا لغرض
والا كان عبثا والعبث لا يجوز عليه ولا يجوز ان يكون لغرض راجع اليه من
نفع لانه غني غير محتاج الي المنافع فلم يبق الا ان يكون لغرض يرجع الي الحيوان
وهو نفعه فان قلت فما معنى الظاهرة والباطنة قلت
الظاهرة كل ما يعلم بالمشاهدة والباطنة ما لا يعلم الا بدليل او لا يعلم اصلا
فكم في بدن الانسان من نعمة لا يعلمها ولا يهتدي الي العلم بها وقد اكثر وا
في ذلك فعن مجاهد ظهور الاسلام والنصرة علي الاعداء والباطنة الامداد
من الملايكة وعن الحسن الظاهرة الاسلام والباطنة الستر وعن الضحاك
حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الاعضاء والباطنة المعرفة

الظاهرة
الظاهرة

وقيل الظاهرة السمع والبصر واللسان وساير الجوارح الظاهرة والباطنة
القلب والعقل والفهم وما اشبه ذلك ويروي في دعاء موسي صلوات الله
عليه الهي دلني علي اخفي نعمتك علي عبادك فقال اخفي نعمتي عليهم النفس
ويروي ان ايسر ما يعذب به اهل النار الاخذ بالانفاس ومن الناس من يجادل
في الله بغير علم ولا هدي ولا كتاب منير واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله
قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا اولو كان الشيطان يدعوهم الي عذاب السعير
معناه ايتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم اي في حال دعاء الشيطان اباهم
الي العذاب ومن يسلم وجهه الي الله وهو محسن قرا علي بن ابي طالب رضي الله
عنه ومن يسلم بالتشديد يقال اسلم امرك وسلم امرك الي الله فان قلت
ما له عدي بالي وقد عدي باللام في قوله تعالي بلي من اسلم وجهه لله قلت
معناه مع اللام انه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالما له اي خالصا ومعناه
مع الي انه سلم اليه نفسه كما يسلم المتاع الي الرجل اذا دفع اليه والمراد التوكل عليه
والتفويض اليه فقد استمسك بالعروة الوثقي من باب التمثيل مثلت حال
المتوكل بحال من اراد ان يتدلي من شاهق فاحتاط لنفسه بان استمسك باوثق
عروة من حبل متين مامون انقطاعه والي الله عاقبة الامور اي هي صايرة
اليه ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبيهم بما عملوا ان الله عليم بذات
الصدور وقري يحزنك ويحزنك من حزن واحزن والذي عليه الاستعمال المستفيض
احزنه ويحزنه والمعني لا يهمنك كفر من كفر وكيده للاسلام فان الله عز وجل
دافع كيده في نحره ومنتقم منه ومعاقبه علي عمله ان الله يعلم ما في صدور عباده
فيفعل بهم علي حسبه نمتعهم زمانا قليلا بدنياهم ثم نضطرهم الي عذاب غليظ
شبه الزامهم التعذيب وارهاقهم اياه باضطرار المضطر الي الشي الذي لا يقدر
علي الانفكاك منه والغلظ مستعار من الاجرام الغليظة والمراد الشدة والثقل
علي المعذب ولين سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله
الزام لهم علي اقرارهم بان الذي خلق السموات والارض هو الله وحده وانه يجب
ان يكون له الحمد والشكر وان لا يعبد معه غيره ثم قال بل اكثرهم لا يعلمون
ان ذلك يلزمهم واذا نبهوا عليه لم ينتبهوا لله ما في السموات والارض ان
الله هو الغني الحميد ان الله هو الغني عن حمد الحامدين المستحق للحمد وان لم
يحمدوه قري ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة
ابحر ما نفدت كلمات الله قري والبحر بالنصب عطفا علي اسم ان وبالرفع عطفا
علي محل ان ومعمولها علي ولو ثبت كون الاشجار اقلاما وثبت البحر ممدودا
بسبعة ابحر او علي الابتداء والواو للحال علي معني ولو ان الاشجار اقلام في حال
كون البحر ممدودا وفي قراة ابن مسعود وبحر يمده علي التنكير ويجب ان
يحمل علي هذا الوجه الاول وقري يمده ويمده بالتاء والياء فان قلت
كان مقتضي الكلام ان يقال ولو ان الشجر اقلام والبحر مداد قلت اغني
عن ذكر المداد قوله يمده لانه من قولك مد الدواة وامدها جعل البحر الاعظم
بمنزلة الدواة وجعل الابحر السبعة مملوة مدادا فهي تصب فيه مدادها
ابدا صبا لا ينقطع والمعني ولو ان اشجار الارض اقلام والبحر ممدود بسبعة
ابحر وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله لما نفدت كلماته
ونفدت الاقلام والمداد كقوله عز وجل قل لو كان البحر مدادا لكلمات
ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي فان قلت زعمت ان
قوله والبحر يمده حال في احد وجهي الرفع وليس فيه ضمير راجع الي ذي الحال

قلت هو

قلت هو كقوله ... وقد اغتدي والطير في وكناتها ...
وجيت والجيش مصطف وما اشبه ذلك من الاحوال التي حكمها حكم الظروف
ويجوز ان يكون المعني وبحرها والضمير للارض فان قلت لم قيل
من شجرة علي التوحيد دون اسم الجنس الذي هو شجر قلت اريد تفصيل الشجر
وتقصيها شجرة شجرة حتي لا يبقي من جنس الشجر ولا واحدة الا قد بريت اقلاما
فان قلت الكلمات جمع قلة والموضع موضع التكثير لا التقليل فهلا قيل كلم
الله قلت معناه ان كلماته لا تفي بكتبتها البحار فكيف بكلمه وعن ابن عباس
انها نزلت جوابا لليهود لما قالوا قد اوتينا التورية وفيها كل الحكمة وقيل
ان المشركين قالوا ان هذا يعنون الوحي كلام سينفد فاعلم الله ان كلامه لا ينفد
وهذه الاية عند بعضهم مدنية وانها نزلت بعد الهجرة وقيل هي مكية وانما امر
اليهود وفد قريش ان يقولوا لرسول الله الست تتلوا فيما انزل عليك انا قد اوتينا
التوراة وفيها علم كل شي ان الله عزيز لا يعجزه شي حكيم لا يخرج من علمه وحكمته
شي ومثله لا تنفد كلماته وحكمه ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة الا كخلقها
وبعثها اي سواء في قدرته القليل والكثير والواحد والجميع لا يتفاوت وذلك
انه انما كانت تتفاوت النفس الواحدة والنفوس الكثيرة العدد ان لو شغله شان عن
شان وفعل عن فعل وقد تعالي عن ذلك علوا كبيرا ان الله سميع بصير يسمع
كل صوت ويبصر كل مبصر في حالة واحدة لا يشغله ادراك بعضها عن ادراك
بعض فكذلك الخلق والبعث الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل
وسخر الشمس والقمر كل يجري الي اجل مسمي اي كل واحد من الشمس والقمر يجري في فلكه
ويقطعه الي وقت معلوم الشمس الي اخر السنة والقمر الي اخر الشهر وعن الحسن الاجل
المسمي يوم القيمة لانه لا ينقطع جريها حينيذ دل ايضا بالليل والنهار وتعاقبهما
وزيادتهما ونقصانهما وجري النيرين في فلكيهما كل ذلك علي تقدير وحساب وباحاطته
بجميع اعمال الخلق علي عظم قدرته وحكمته ان الله بما تعملون خبير فان قلت
يجري لاجل مسمي ويجري الي اجل مسمي اهو من تعاقب الحرفين قلت كلا ولا يسلك
هذه الطريقة الا بليد الطبع ضيق العطن ولكن المعنيين اعني الانتهاء والاختصاص
كل واحد منهما ملايم لصحة الغرض لان قولك يجري الي اجل مسمي معناه يبلغه
وينتهي اليه وقولك يجري لاجل مسمي تريد يجري لادراك اجل مسمي تجعل الجري
مختصا بادراك اجل مسمي الا تري ان جري الشمس مختص باخر السنة وجري القمر مختص
باخر الشهر فكلا المعنيين غير ناب به موضعه ذلك الذي وصف من عجايب قدرته
وحكمته التي يعجز عنها الاحيا القادرون العالمون فكيف بالجماد الذي تدعونه
من دون الله انما هو بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه الباطل بسبب
انه هو الحق الثابت الالهية وان من دونه باطل الالهية وان الله هو العلي
الشان الكبير السلطان او ذلك الذي اوحي اليك من هذه الايات بسبب
بيان ان الله هو الحق وان الها غيره باطل وان الله هو العلي الكبير عن ان يشرك
به الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من اياته قري الفلك بضم اللام
وكل فعل يجوز فيه فعل كما يجوز في فعل فعل علي مذهب التعويض وبنعمات
الله بسكون العين وعين فعلات يجوز فيها الكسر والفتح والسكون بنعمة
الله باحسانه ورحمته ان في ذلك لايات لكل صبار شكور لنعمايه وهما صفتا
المومن فكانه قال ان في ذلك لايات لكل مومن واذا غشيهم موج كالظلل
يرتفع الموج ويتراكب فيعود مثل الظلل والظلة كل ما اظلك من جبل او سحاب
او غيرهما وقري كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال دعوا الله مخلصين له

كل

علي بلاية

الدين فلما نجاهم الي البر فمنهم مقتصد فمنهم مقتصد متوسط في الكفر والظلم
خفض من غلوآئه وانزجر بعض الانزجار ومقتصد في الاخلاص الذي كان عليه
في البر يعني ان ذلك الاخلاص الحادث عند الخوف لا يبقي لاحد قط والمقتصد
قليل نادر وقيل مومن قد ثبت علي ما عاهد الله عليه في البحر وما يجحد
باياتنا الا كل ختار كفور والختر اشد الغدر ومنه قولهم انك لا تمد لنا شبرا من
غدر الا مددنا لك باعا من ختر قال ؞ ؞
؞ وانك لو رايت ابا عمير ؞ ملات يديك من غدر وختر ؞
يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز
عن والده شيا ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور
لا يجزي لا يقضي عنه شيا ومنه قيل للمتقاضي المتجازي وفي الحديث في جذعة بن
نيار تجزي عنك ولا تجزي عن احد بعدك وقري لا يجزي لا يغني يقال اجزأت
عنك مجزأ فلان والمعني لا يجزي فيه فحذف والغرور الشيطان وقيل
الدنيا وقيل تمنيكم في المعصية المغفرة وعن سعيد بن جبير الغرة بالله
ان يتمادي الرجل في المعصية ويتمني علي الله وقيل ذكرك لحسناتك ونسيانك المغفرة
لسياتك غرة وقري بضم الغين وهو مصدر غره غرورا وجعل الغرور غارا كما
قيل جد جده او اريد زينة الدنيا لانها غرور فان قلت قوله
ولا مولود هو جاز عن والده شيا وارد علي طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو
معطوف عليه قلت الامر كذلك لان الجملة الاسمية آكد من الفعلية وقد
انضم الي ذلك قوله هو وقوله مولود والسبب في مجيئه علي هذا السنن ان
الخطاب للمومنين وعليتهم قبض اباؤهم علي الكفر وعلي الدين الجاهلي فاريد
حسم اطماعهم واطماع الناس فيهم ان ينفعوا اباءهم في الاخرة وان يشفعوا لهم
وان يغنوا عنهم من الله شيا فلذلك جي به علي الطريق الاكد ومعني التوكيد في لفظ
المولود ان الواحد منهم لو شفع للاب الادني الذي ولد منه لم تقبل شفاعته فضلا
ان يشفع لمن فوقه من اجداده لان الولد يقع علي الولد وولد الولد بخلاف
المولود فانه لمن ولد منك ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في
الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت ان
الله عليم خبير روي ان رجلا من محارب وهو الحرث بن عمرو ابن حارثة اتي
رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اخبرني عن الساعة متي قيامها
واني قد القيت حباتي في الارض وقد ابطات عنا السما فمتي تمطر واخبرني
عن امراتي فقد اشتملت ما في بطنها اذكر ام انثي واني علمت ما عملت امس
فما اعمل غدا وهذا مولدي قد عرفته فاين اموت فنزلت وعن النبي صلي
الله عليه وسلم مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الاية وعن ابن عباس من ادعي علم
هذه الخمسة فقد كذب اياكم والكهانة فان الكهانة تدعو الي الشرك والشرك
واهله في النار وعن المنصور انه اهمه معرفة مدة عمره فراي في منامه
كان خيالا اخرج يده من البحر واشار اليه بالاصابع الخمس فاستفتي العلماء في
ذلك فتاولوها بخمس سنين وبخمسة اشهر وبغير ذلك حتي قال ابو حنيفة
رحمه الله تاويلها ان مفاتح الغيب خمس لا يعلمها الا الله وان ما طلبت معرفته
لا سبيل لك اليه عنده علم الساعة اي زمان مرسيها وينزل الغيث في ابانه
من غير تقديم ولا تاخير وفي بلد لا يتجاوزه به ويعلم ما في الارحام اذكر ام انثي
اتام ام ناقص وكذلك ما سوي ذلك من الاحوال وما تدري نفس برة
او فاجرة ماذا تكسب غدا من خير او شر وربما كانت عازمة علي خير فعملت

شرا وعازمة علي شر فعملت خيرا وما تدري نفس باي ارض تموت وربما اقامت
بارض وضربت اوتادها وقالت لا ابرحها واقبر فيها فترمي بها مرامي
القدر حتي تموت بمكان لم يخطر ببالها ولا حدثتها به ظنونها وروي ان
ملك الموت مر علي سليمان فجعل ينظر الي رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال
الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كانه يريدني وسال سليمان ان يحمله علي الريح
ويلقيه ببلاد الهند ففعل ثم قال ملك الموت لسليمان كان دوام نظري اليه
تعجبا منه لاني امرت ان اقبض روحه بالهند وهو عندك وجعل العلم لله والدراية
للعبد لما في معني الدراية من الختل والحيلة والمعني انها لا تعرف وان اعملت
حيلها ما يلصق بها ويختص ولا يتخطاها ولا شي اخص بالانسان من كسبه
وعاقبته فاذا لم يكن له طريق الي معرفتهما كان من معرفة ما عداهما ابعد
وقري باية ارض وشبه سيبويه تانيث اي بتانيث كل في قولهم كلتهن
قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من قرا سورة لقمان كان له لقمان رفيقا
يوم القيمة واعطي من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهي عن المنكر

؞ سورة السجدة مكية وهي ثلاثون اية وقيل تسع وعشرون ؞

؞ بسم الله الرحمن الرحيم ؞

الم علي انها اسم السورة مبتدا خبره تنزيل الكتاب وان جعلتها تعديدا
للحروف ارتفع تنزيل الكتاب بانه خبر مبتدا محذوف او هو مبتدا خبره لا ريب
فيه والوجه ان يرتفع بالابتدا وخبره من رب العالمين ولا ريب فيه اعتراض
لا محل له والضمير في فيه راجع الي مضمون الجملة كانه قيل لا ريب في ذلك
اي في كونه منزلا من رب العالمين ويشهد لوجاهته قوله تعالي ام يقولون
افتريه لان قولهم هذا مفتري انكار لان يكون من رب العالمين وكذلك
قوله بل هو الحق من ربك وما فيه من تقرير انه من الله وهذا اسلوب صحيح
محكم اثبت اولا ان تنزيله من رب العالمين وان ذلك مما لا ريب فيه ثم اضرب
عن ذلك الي قوله ام يقولون افتراه لان ام هي المنقطعة الكاينة بمعني بل والهمزة
انكارا لقولهم وتعجيبا منه لظهور امره في عجز بلغايهم عن مثل ثلاث ايات
منه ثم اضرب عن الانكار الي اثبات انه الحق من ربك ونظيره ان يعلل العالم في المسئلة
بعلة صحيحة جامعة قد احترز فيها انواع الاحتراز كقول المتكلمين النظر اول
الافعال الواجبة علي الاطلاق التي لا يعري من وجوبها مكلف ثم يعترض عليه
فيها ببعض ما وقع احترازه منه فيرده بتلخيص انه احترز من ذلك ثم يعود
الي تقرير كلامه وتمشيته فان قلت كيف نفي ان يرتاب في انه من الله
وقد اثبت ما هو اطم من الريب وهو قولهم افتراه قلت معني
لا ريب فيه ان لا مدخل للريب في انه تنزيل الله لان نافي الريب ومميطه
معه لا ينفك عنه وهو كونه معجزا للبشر ومثله ابعد شي من الريب واما
قولهم افتراه فاما قول متعنت مع علمه انه من الله لظهور الاعجاز له
او جاهل يقوله قبل التامل والنظر لانه سمع الناس يقولونه لتنذر قوما
ما اتاهم من نذير من قبلك كقوله ما انذر اباوهم وذلك ان قريشا لم يبعث
الله اليهم رسولا قبل محمد صلي الله عليه وسلم فاذا قلت فاذا لم ياتهم
نذير لم تقم عليهم حجة قلت اما قيام الحجة بالشرايع التي لا يدرك علمها
الا بالرسل فلا واما قيامها بمعرفة الله وتوحيده وحكمته فنعم لان ادلة العقل
الموصلة الي ذلك معهم في كل زمان لعلهم يهتدون فيه ان يكون علي الترجي
من رسول الله كما كان لعله يتذكر علي الترجي من موسي وهارون وان

يستعار لفظ الترجي للارادة الله الذي خلق السموات والارض وما
بينهما في ستة ايام ثم استوي علي العرش مالكم من دونه من ولي ولا شفيع
افلا تتذكرون فان قلت ما معني قوله مالكم من دونه من ولي ولا شفيع
قلت هو علي معنيين احدهما انكم اذا جاوزتم رضاه لم تجدوا لانفسكم وليا
اي ناصرا ينصركم ولا شفيعا يشفع لكم والثاني ان الله وليكم الذي يتولي مصالحكم
وشفيعكم اي ناصركم علي سبيل المجاز لان الشفيع ينصر المشفوع له فهو كقوله
ومالكم من دون الله من ولي ولا نصير فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا نصير يدبر
الامر المامور به من الطاعات والاعمال الصالحة ينزله مدبرا من السما الي الارض
ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون ثم لا يعمل به ولا يصعد
اليه ذلك المامور به خالصا كما يريده ويرتضيه الا في مدة متطاولة لقلة عمال
الله والمخلصين من عباده وقلة الاعمال الصاعدة لانه لا يوصف بالصعود الا
الخالص ودل عليه قوله علي اثره قليلا ما تشكرون او يدبر امر الدنيا كلها من
السما الي الارض لكل يوم من ايام الله وهو الف سنة كما قال وان يوما عند ربك
كالف سنة مما تعدون ثم يعرج اليه اي يصير اليه ويثبت عنده ويكتب في صحف
ملايكته كل وقت من اوقات هذه المدة ما يرتفع من ذلك الامر ويدخل تحت
الوجود الي ان تبلغ المدة اخرها ثم يدبر ايضا ليوم اخر وهلم جرا الي ان تقوم
الساعة وقيل ينزل الوحي مع جبريل من السما الي الارض ثم يرجع اليه ما كان
من قبول الوحي ورده مع جبريل وذلك في وقت هو في الحقيقة الف سنة
لان المسافة مسيرة الف سنة في الهبوط والصعود لان ما بين السما والارض
مسيرة خمسماية سنة وهو يوم من ايامكم لسرعة جبريل لانه يقطع مسيرة
الف سنة في يوم واحد وقيل يدبر امر الدنيا من السما الي الارض
الي ان تقوم الساعة ثم يعرج اليه ذلك الامر كله اي يصير اليه ليحكم فيه
في يوم كان مقداره الف سنة وهو يوم القيمة وقرا ابن ابي عبلة يعرج
علي البنا للمفعول وقري تعدون بالتا واليا ذلك عالم الغيب والشهادة
العزيز الرحيم الذي احسن كل شي خلقه احسن كل شي حسنه لانه ما من شي خلقه
الا وهو مرتب علي ما اقتضته الحكمة واوجبته المصلحة فجميع المخلوقات
حسنة وان تفاوتت الي حسن واحسن كما قال لقد خلقنا الانسان في احسن
تقويم وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة كل امرء ما يحسن وحقيقته
يحسن معرفته اي يعرفه معرفة حسنة بتحقيق واتقان وقري خلقه
علي البدل اي احسن خلق كل شي وخلقه علي الوصف اي كل شي خلقه
فقد احسنه وبدا خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء
مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافيدة
قليلا ما تشكرون سميت الذرية نسلا لانها تنسل منه اي تنفصل منه وتخرج
من صلبه ونحوه قولهم للولد سليل ونجل وسواه قومه كقوله في احسن تقويم
ودل باضافة الروح الي ذاته علي انه خلق عجيب لا يعلم كنهه الا هو كقوله
ويسيلونك عن الروح الاية كانه قال ونفخ فيه من الشي الذي اختص هو به
وبمعرفته وقالوا ايذا ضللنا في الارض قيل القايل ابي بن خلف ولرضاهم
بقوله اسند اليهم جميعا وقري اينا وانا علي الاستفهام وتركه وضللنا صرنا
ترابا وذهبنا مختلطين بتراب الارض لا نتميز منه كما يضل الماء في اللبن
او غبنا في الارض بالدفن فيها من قوله
واب مضلوه بعين جلية وقرا علي وابن عباس

ضللنا

كل امرء

ضللنا بكسر اللام يقال ضل يضل وضل يضل وقرا الحسن صللنا من صل
اللحم واصل اذا انتن وقيل صرنا من جنس الصلة وهي الارض فان
قلت بم انتصب الظرف في ايذا ضللنا قلت بما يدل عليه انا لفي
خلق جديد وهو نبعث او يجدد خلقنا بل هم بلقاء ربهم كافرون قل
يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الي ربكم ترجعون لقاء ربهم هو الوصول
الي العاقبة من تلقي ملك الموت وما وراه فلما ذكر كفرهم بالانشاء اضرب عنه
الي ما هو ابلغ في الكفر وهو انهم كافرون بجميع ما يكون في العاقبة لا بالانشاء
وحده الا تري كيف خوطبوا بتوفي ملك الموت وبالرجوع الي ربهم بعد ذلك
مبعوثين للحساب وهذا معني لقاء الله علي ما ذكرنا والتوفي استيفاء النفس
وهو الروح قال الله تعالي يتوفي الانفس حين موتها وقال اخرجوا انفسكم
وهو ان يقبض كلها لا يترك منها شي من قولك توفيت حقي من فلان واستوفيته
اذا اخذته وافيا كاملا من غير نقصان والتفعل والاستفعال يلتقيان في مواضع
منها تقصيته واستقصيته وتعجلته واستعجلته وعن مجاهد حويت
لملك الموت الارض وجعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وعن
قتادة يتوفاهم ومعه اعوان من الملايكة وقيل ملك الموت يدعو الارواح
فتجيبه ثم يامر اعوانه بقبضها ولو تري اذ المجرمون ناكسوا روسهم عند ربهم
ربنا ابصرنا وسمعنا ولو تري يجوز ان يكون خطابا لرسول الله وفيه وجهان
ان يراد به التمني كانه قال وليتك تري كقوله عليه السلام للمغيرة لو
نظرت اليها والتمني لرسول الله صلي الله عليه وسلم كما كان الترجي في لعلهم
يهتدون لانه تجرع منهم الغصص ومن عداوتهم وضرارهم فجعل الله تمني ان
يراهم علي تلك الصفة الفظيعة من الحيا والخزي والغم ليشمت بهم وان
تكون لو الامتناعية قد حذف جوابها وهو لرايت امرا فظيعا ولرايت اسوء
حال تري ويجوز ان يخاطب به كل احد كما تقول فلان لئيم ان اكرمته اهانك
وان احسنت اليه اساء اليك فلا تريد به مخاطبا بعينه فكانك قلت
ان اكرم وان احسن واذ ولو كلاهما للمضي وانما جاز ذلك لان المترقب
من الله بمنزلة الموجود المقطوع به في تحققه ولا يقدر لتري ما يتناوله
كانه قيل ولو تكون منك الروية واذ ظرف له يستغيثون بقولهم ربنا ابصرنا
وسمعنا فلا يغاثون يعني ابصرنا صدق وعدك ووعيدك وسمعنا منك
تصديق رسلك او كنا عميا وصما فابصرنا وسمعنا فارجعنا هي الرجعة الي
الدنيا نعمل صالحا انا موقنون ولو شينا لاتينا كل نفس هديها علي طريق
الالجاء والقسر ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين
ولكنا بنينا الامر علي الاختيار دون الاضطرار فاستحبوا العمي علي الهدي
فحقت كلمة العذاب علي اهل العمي دون البصرا الا تري الي ما عقبه به
من قوله فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم فجعل ذوق العذاب
نتيجة فعلهم من نسيان العاقبة وقلة الفكر فيها وترك الاستعداد
لها والمراد بالنسيان خلاف التذكر يعني ان الانهماك في الشهوات اذهلكم
والهاكم عن تذكر العاقبة وسلط عليكم نسيانها ثم قال انا نسيناكم علي
المقابلة اي جازيناكم جزاء نسيانكم وقيل هو بمعني الترك اي تركتم
الفكر في العاقبة فتركناكم من الرحمة وفي استينافه قوله انا نسيناكم وبناء
الفعل علي ان واسمها تشديد في الانتقام منهم والمعني فذوقوا هذا
اي ما انتم فيه من نكس الروس والخزي والغم بسبب نسيان اللقاء

الله

وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون وذوقوا عذاب المخلد في جهنم بسبب
ما علمتم من المعاصي والكباير الموبقة انما يومن باياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا
سجدا اي وعظوا سجدوا تواضعا لله وخشوعا وشكرا على ما رزقهم من الاسلام
وسبحوا بحمد ربهم ونزهوا الله من نسبة القبايح اليه واثنوا عليه حامدين له
وهم لا يستكبرون كما يفعل من يصر مستكبرا كان لم يسمعها ومثله قوله ان
الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان
ربنا تتجافى ترتفع وتتنحى جنوبهم عن المضاجع عن الفرش ومواضع النوم
يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون داعين ربهم عابدين له لاجل
خوفهم من سخطه وطمعهم في رحمته وهم المتهجدون وعن رسول الله صلى الله عليه
وسلم في تفسيرها قيام العبد من الليل وعن الحسن انه التهجد وعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والاخرين يوم القيمة جا مناد ينادي
بصوت يسمع الخلايق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي
ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع
فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في الباساء والضراء فيقومون وهم قليل
فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب ساير الناس وعن انس بن مالك كان اناس
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون من صلوة المغرب الى صلوة
العشاء الاخرة فنزلت فيهم وقيل هم الذين يصلون صلوة العتمة لا ينامون
عنها فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين ما اخفي لهم على البناء للمفعول وما
اخفي لهم على البناء للفاعل وهو الله سبحانه ما اخفي لهم وما نخفي لهم وما اخفيت لهم
الثلاثة للمتكلم وهو الله سبحانه وما بمعنى الذي او بمعنى اي وقري من قرات
اعين ومن قرات اعين والمعنى لا تعلم النفوس كلهن ولا نفس واحدة منهن
لا ملك مقرب ولا نبي مرسل اي نوع عظيم من الثواب ادخر الله لاوليك واخفاه
من جميع خلايقه لا يعلمه الا هو مما تقر به عيونهم ولا مزيد على هذه العدة
ولا مطمح وراءها ثم قال جزاء بما كانوا يعملون فحسم اطماع المتمنين وعن النبي
صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه اقروا ان شيتم
فلا تعلم ما اخفي لهم من قرة اعين وعن الحسن اخفى القوم اعمالا في الدنيا فاخفى
الله لهم ما لا عين رات ولا اذن سمعت افمن كان مومنا كمن كان فاسقا ولا
يستوون كان مومنا وكان فاسقا محمولان على لفظ من ولا يستوون محمول على
المعنى بدليل قوله فاما الذين امنوا واما الذين فسقوا ونحوه قوله تعالى
ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك اما الذين امنوا وعملوا الصالحات
فلهم جنات الماوى نزلا بما كانوا يعملون وجنات الماوى نوع من الجنات
قال عز وجل ولقد راه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة الماوى
سميت بذلك لما روي عن ابن عباس قال تاوي اليها ارواح الشهداء
وقيل هي عن يمين العرش وقري جنة الماوى على التوحيد نزلا عطاء
باعمالهم والنزل عطاء النازل ثم صار عاما واما الذين فسقوا فماواهم النار
اي ملجاوهم ومنزلهم ويجوز ان يراد فجنة ماويهم النار اي النار لهم مكان
جنة الماوى للمومنين كقوله فبشرهم بعذاب اليم كلما ارادوا ان يخرجوا
منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ولنذيقنهم
من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر العذاب الادنى عذاب الدنيا من
القتل والاسر وما محنوا به من السنة سبع سنين وعن مجاهد عذاب القبر

والعذاب

نفس

والعذاب الاكبر عذاب الاخرة اي نذيقهم عذاب الدنيا قبل ان يصلوا الى الاخرة
لعلهم يرجعون اي يتوبون عن الكفر او لعلهم يريدون الرجوع ويطلبونه
كقوله فارجعنا نعمل صالحا وسميت ارادة الرجوع رجوعا كما سميت ارادة القيام
قياما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة وتدل عليه قراة من قرا يرجعون
على البناء للمفعول فان قلت من اين صح تفسير الرجوع بالتوبة ولعل من الله
ارادة فاذا اراد الله شيا كان ولم يمتنع وتوبتهم مما لا يكون الا ترى انها لو كانت
مما يكون لم يكونوا اذا يقين العذاب الاكبر قلت ارادة الله تعالى تتعلق
بافعاله وافعال عباده فاذا اراد الله شيا من افعاله كان ولم يمتنع للاقتدار
وخلوص الداعي واما افعال عباده فاما ان يريدها وهم مختارون لها او
مضطرون اليها بقسره والجائه فان ارادها وقد قسرهم عليها فحكمها حكم افعاله
وان ارادها على ان يختاروها وهو عالم انهم لا يختارونها لم يقدح ذلك
في اقتداره كما لا يقدح في اقتدارك ارادتك ان يختار عبدك طاعتك وهو لا يختارها
لان اختياره لا يتعلق بقدرتك واذا لم يتعلق بقدرتك لم يكن فقده دالا على
عجزك وروي في نزولها انه شجر بين علي بن ابي طالب والوليد بن عقبة بن ابي
معيط يوم بدر كلام فقال له الوليد اسكت فانك صبي انا اشب منك شبابا
واجلد منك جلدا واذرب منك لسانا واحد منك سنانا واشجع منك جنانا
واملأ منك حشوا في الكتيبة فقال له اسكت فانك فاسق فنزلت عامة
للمومنين والفاسقين فتناولتهما وكل من في مثل حالهما وعن الحسن بن علي انه
قال للوليد كيف تشتم عليا وقد سماه الله مومنا في عشر ايات وسماك فاسقا
ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها انا من المجرمين منتقمون ثم في قوله
ثم اعرض عنها للاستبعاد والمعنى ان الاعراض عن مثل هذه الايات في وضوحها
وانارتها وارشادها الى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير
بها مستبعد في العقل والعدل كما تقول لصاحبك وجدت مثل تلك الفرصة
ثم لم تنتهزها استبعادا لتركه الانتهاز ومنه ثم في بيت الحماسة
⁂ لا يكشف الغماء الا ابن حرة ⁂ يرى غمرات الموت ثم يزورها ⁂
استبعد ان يزور غمرات الموت بعد ان راها واستيقنها واطلع على شدتها
فان قلت هلا قيل انا منه منتقمون قلت لما جعله اظلم كل ظالم
ثم توعد المجرمين عامة بالانتقام منهم فقد دل على اصابة الاظلم النصيب
الاوفر من الانتقام ولو قاله بالضمير لم يفد هذه الفايدة ولقد اتينا
موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقايه الكتاب للجنس والضمير في لقايه
له ومعناه انا اتينا موسى مثل ما اتيناك من الكتاب ولقيناه مثل ما لقيناك
من الوحي فلا تك في شك من انك لقيت مثله ولقيت نظيره كقوله فان
كنت في شك مما انزلنا اليك فسيل الذين يقرون الكتاب من قبلك ونحو
قوله من لقايه قوله وانك لتلقى القران من لدن حكيم عليم وقوله ونخرج
له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا وجعلناه هدى لبني اسرايل وجعلنا
منهم ايمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا باياتنا يوقنون وجعلنا
الكتاب المنزل على موسى هدى لقومه وجعلنا منهم ايمة يهدون الناس
ويدعونهم الى ما في التوراة من دين الله وشرايعه لصبرهم وايقانهم
بالايات وكذلك لنجعلن الكتاب المنزل اليك هدى ونورا ولنجعلن
من امتك ايمة يهدون مثل تلك الهداية لما صبروا عليه من نصرة الدين
وثبتوا عليه من اليقين وقيل من لقايك موسى ليلة الاسرا او يوم القيمة

الله

وقيل من لقاء موسى الكتاب اي من تلقيه له بالرضا والقبول وقري
لما صبروا ولما صبروا اي لصبرهم وعن الحسن صبروا عن الدنيا وقيل
انما جعل التوراة هدي لبني اسرايل خاصة ولم يتعبدكم فيها ولد اسمعيل ان
ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون يقضي فيميز
المحق في دينه من المبطل اولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم من القرون الواو في اولم
يهد للعطف على معطوف عليه منوي من جنس المعطوف والضمير في لهم لاهل
مكة وقري بالنون والياء والفاعل ما دل عليه كم اهلكنا لان كم لا تقع فاعلة لا يقال
جاني كم رجل تقديره اولم يهد لهم كثرة اهلاكنا القرون او هذا الكلام كما هو بمضمونه
ومعناه كقولك تعصم لا اله الا الله الدماء والاموال ويجوز ان يكون فيه ضمير
الله بدليل القراة بالنون والقرون عاد وثمود وقوم لوط يمشون في مساكنهم
ان في ذلك لايات افلا يسمعون يعني اهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم
وبلادهم وقري يمشون بالتشديد اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز
الجرز الارض التي جرز نباتها اي قطع اما لعدم الماء واما لانه رعي وازيل ولا
يقال للتي لا تنبت كالسباخ جرز ويدل عليه قوله فنخرج به زرعا وعن
ابن عباس انها ارض اليمن وعن مجاهد هي ابين به بالماء تاكل منه تاكل من الزرع
انعامهم من عصفه وانفسهم من حبه وقري ياكل بالياء افلا يبصرون ويـ
ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا
ايمانهم ولا هم ينظرون الفتح النصر او الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح
بيننا وكان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين او يفتح بيننا
وبينهم فاذا سمع المشركون قالوا متى هذا الفتح اي في اي وقت يكون ان
كنتم صادقين في انه كاين ويوم الفتح يوم القيمة وهو يوم الفصل بين
المومنين واعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر وعن
مجاهد والحسن يوم فتح مكة فان قلت قد سالوا عن وقت الفتح فكيف
ينطبق هذا الكلام جوابا على سوالهم قلت كان غرضهم في السوال
عن وقت الفتح استعجالا منهم على وجه التكذيب والاستهزاء فاجيبوا على
حسب ما عرف من غرضهم في سوالهم فقيل لا تستعجلوا به ولا تستهزوا
فكاني بكم وقد حصلتم في ذلك اليوم وامنتم فلم ينفعكم الايمان واستنظرتم
في انظار العذاب فلم تنظروا فان قلت فمن فسره بيوم الفتح او بيوم بدر
كيف يستقيم على تفسيره ان لا ينفعهم الايمان وقد نفع الطلقاء يوم فتح
مكة وناسا يوم بدر قلت المراد ان المقتولين منهم لا ينفعهم ايمانهم
في حال القتل كما لم ينفع فرعون ايمانه عند ادراك الغرق فاعرض عنهم وانتظر
النصرة عليهم وهلاكهم انهم منتظرون الغلبة عليكم وهلاككم كقوله فتربصوا
انا معكم متربصون وقرا ابن السميفع منتظرون بفتح الظاء ومعناه وانتظر
هلاكهم فانهم احقاء بان ينتظر هلاكهم يعني انهم هالكون لا محالة او وانتظر
ذلك فان الملايكة في السماء ينتظرونه قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرا الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك اعطي من الاجر كانما احيا ليلة
القدر وقال من قرا الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة ايام

سورة الاحزاب مدنية وهي ثلاث وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

عن زر قال قال لي ابي بن كعب كم تعدون سورة الاحزاب قلت ثلاثا
وسبعين اية قال فوالذي يحلف به ابي بن كعب ان كانت لتعدل سورة

الله

البقرة

البقرة او اطول ولقد قرانا منها اية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما
البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم اراد ابي رضي الله عنه ان ذلك من جملة
ما نسخ من القران واما ما يحكى ان تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عايشة
فاكلتها الداجن فمن تاليفات الملاحدة والروافض يا ايها النبي اتق الله جعل
نداءه بالنبي والرسول في قوله يا ايها النبي لم تحرم يا ايها الرسول بلغ ما انزل
اليك وترك نداءه باسمه كما قال يا ادم يا عيسى يا موسى يا داود كرامة له
وتشريفا ورباء بمحله وتنويها بفضله فان قلت ان لم يوقع اسمه في الندا
فقد اوقعه في الاخبار في قوله محمد رسول الله وما محمد الا رسول قلت
ذلك لتعليم الناس بانه رسول الله وتلقين لهم ان يسموه بذلك ويدعوه
به فلا تفاوت بين الندا والاخبار الا ترى الى ما لم يقصد به التعليم والتلقين
من الاخبار كيف ذكره بنحو ما ذكره في الندا لقد جاءكم رسول من انفسكم وقال
الرسول بادب لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة والله ورسوله احق
ان يرضوه النبي اولى بالمومنين من انفسهم ان الله وملايكته يصلون على
النبي ولو كانوا يومنون بالله والنبي اتق الله واظب على ما انت عليه من
التقوى واثبت عليه وازدد منه وذلك لان التقوى باب لا يبلغ اخره ولا
تطع الكافرين والمنافقين لا تساعدهم على شي ولا تقبل لهم رايا ولا مشورة
وجانبهم واحترس منهم فانهم اعداء الله واعداء المومنين لا يريدون الا المغازة
والمضادة وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة وكان
يحب اسلام اليهود قريظة والنضير وبني قينقاع وقد تابعه ناس منهم
على النفاق وكان يحب اسلام اليهود يلين لهم جانبه ويكرم صغيرهم وكبيرهم
واذا اتى منهم قبيح تجاوز عنه وكان يسمع منهم فنزلت وروي ان ابا سفيان
ابن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا عليه في الموادعة
التي كانت بينه وبينهم وقام معهم عبد الله بن ابي ومعتب بن قشير
والجد بن قيس فقالوا يا رسول الله ارفض ذكر الهتنا وقل انها تشفع وتنفع
وندعك وربك فشق ذلك على رسول الله وعلى المومنين وهموا بقتلهم
فنزلت اي اتق الله في نقض العهد ونبذ الموادعة ولا تطع الكافرين
من اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة فيما طلبوا اليك وروي ان
اهل مكة دعوا رسول الله الى ان يرجع عن دينه ويعطوه شطر اموالهم
وان يزوجه شيبة بن ربيعة بنته وخوفه منافقو المدينة انهم يقتلونه
ان لم يرجع فنزلت ان الله كان عليما بالصواب من الخطا والمصلحة من المفسدة
حكيما لا يفعل شيا ولا يامر به الا بداعي الحكمة واتبع ما يوحى اليك من ربك
في ترك طاعة الكافرين والمنافقين وغير ذلك ان الله كان بما تعملون خبيرا
ان الله الذي يوحي اليك خبير بما تعملون فموح اليك ما يصلح به اعمالكم
فلا حاجة بكم الى الاستماع من الكفرة وقري يعملون بالياء اي بما يعمل المنافقون
من كيدهم لكم ومكرهم بكم وتوكل على الله واسند امرك وكله الى تدبيره
وكفى بالله وكيلا حافظا موكولا اليه كل امر ما جعل الله لرجل من قلبين
في جوفه وما جعل ازواجكم اللاي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل
ادعياءكم ابناءكم ما جمع الله قلبين في جوف ولا زوجية وامومة في امراة
ولا بنوة ودعوة في رجل والمعنى ان الله سبحانه كما لم ير في حكمته ان
يجعل للانسان قلبين لانه لا يخلو اما ان يفعل باحدهما مثل ما يفعل
بالاخر من افعال القلوب فاحدهما فضلة غير محتاج اليها واما ان

للنبي صلى الله عليه وسلم

يفعل هذا غير ما يفعل بذاك فذلك يودي الي انتصاف الجملة بكونه مريدا كارها
عالما ظانا موقنا شاكا في حالة واحدة ولم ير ايضا ان تكون المراة الواحدة امًّا
لرجل زوجا له لان الام مخدومة مخفوض لها جناح الذل والزوجة مستخدمة
متصرف فيها بالاستفراش وغيره كالمملوكة وهما حالتان متنافيتان وان
يكون الرجل الواحد دعيا لرجل وابنا له لان البنوة اصالة في النسب وعراقة
فيه والدعوة الصاق عارض بالتسمية لا غير ولا يجتمع في الشي الواحد ان يكون
اصيلا غير اصيل وهذا مثل ضربه الله تعالي في زيد بن حارثة وهو رجل
من بني كلب سبي صغيرا وكانت العرب في الجاهلية يتغاورون ويتسابون
فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة فلما تزوجها رسول الله وهبته له
وطلبه ابوه وعمه فخير فاختار رسول الله فاعتقه وكانوا يقولون زيد بن
محمد فانزل الله عز وجل هذه الاية وقوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقيل
كان ابو معمر رجلا من احفظ العرب وادواهم فقيل له ذو القلبين وقيل
هو جميل بن اسد الفهري وكان يقول ان لي قلبين افهم باحدهما اكثر مما يفهم
محمد فروي انه انهزم يوم بدر فمر بابي سفيان وهو معلق احدي نعليه
بيده والاخري في رجله فقال له ما فعل الناس فقال هم ما بين مقتول
وهارب فقال له ما بال احدي نعليك في رجلك والاخري في يدك فقال
ما ظننت الا انهما في رجلي فاكذب الله قوله وقولهم وضربه مثلا في الظهار
والتبني وعن ابن عباس كان المنافقون يقولون لمحمد قلبان فاكذبهم الله
وقيل سهي في صلوته فقالت اليهود له قلبان قلب مع اصحابه وقلب معكم
وعن الحسن نزلت في ان الواحد يقول نفس تامرني ونفس تنهاني والتنكير
في رجل وادخال من الاستغراقية علي قلبين تاكيدان لما قصد من المعني كانه
قال ما جعل الله لامة الرجال ولا لواحد منهم قلبين البتة في جوفه فان
قلت اي فائدة في ذكر الجوف قلت الفائدة فيه كالفائدة في قوله
القلوب التي في الصدور وذلك ما يحصل للسامع من زيادة التصور والتجلي
للمدلول عليه لانه اذا سمع به صور لنفسه جوفا يشتمل علي قلبين فكان اسرع
الي الانكار وقري اللاي بياء وهمزة مكسورتين واللاي بياء ساكنة بعد
الهمزة وتظاهرون من ظاهر وتظاهرون من اظاهر بمعني تظاهر وتظهرون
من اظهر بمعني تظهر وتظهرون من ظهر بمعني ظاهر كعقد بمعني عاقد
وتظهرون من ظهر بلفظ فعل من الظهور ومعني ظاهر من امراته قال لها
انت علي كظهر امي ونحوه في العبارة عن اللفظ لبي المحرم اذا قال لبيك وافف
الرجل اذا قال اف واخوات لهن فان قلت فما وجه تعديته باخواته بمن
قلت كان الظهار طلاقا عند اهل الجاهلية فكانوا يتجنبون
المراة المظاهر منها كما يتجنبون المطلقة فكان قولهم تظاهر منها تباعد
بجهة الظهار وتظهر منها تحرز منها وظاهر منها حاذر وظهر منها وحش
اي بعد منها وظهر منها خلص منها ونظيره الي من امراته لما ضمن معني
التباعد عدي بمن والا فالي في اصله الذي هو معني حلف واقسم ليس
هذا بحكمه فان قلت ما معني انت علي كظهر امي قلت ارادوا
ان يقولوا انت علي حرام كبطن امي فكنوا عن البطن بالظهر لان لا يذكروا
البطن الذي ذكره يقارب ذكر الفرج وانما جعلوا الكناية عن البطن بالظهر
لانه عمود البطن ومنه حديث عمر يجي به احدهم علي عمود بطنه
اراد علي ظهره ووجه اخر وهو ان اتيان المراة وظهرها الي السماء كان

محرما

محرما عندهم محظورا وكان اهل المدينة يقولون اذا اتيت المراة ووجهها الي
الارض جاء الولد احول فليقصد المطلق منهم الي التغليظ في تحريم امراته عليه
شبهها بالظهر ثم لم يقنع بذلك حتي جعله ظهر امه فلم يترك فان قلت
الدعي فعيل بمعني مفعول وهو الذي يدعي ولدا فما له جمع علي افعلاء وبابه
ما كان منه بمعني فاعل كتقي واتقياء وشقي واشقياء ولا يكون ذلك في نحو
رمي وسمي قلت ان شذوذه عن القياس كشذوذ قتلاء واسراء والطريق
في مثل ذلك التشبيه اللفظي ذلكم النسب هو قولكم بافواهكم هذا ابني لا غير
من غير ان يواطيه اعتقاد لصحته وكونه حقا والله يقول الحق وهو يهدي
السبيل والله عز وجل لا يقول الا ما هو حق ظاهره وباطنه ولا يهدي الا سبيل
الحق ثم قال لهما هو الحق وهدي الي ما هو سبيل الحق وهو قوله ادعوهم لابائهم
وبين ان دعاءهم لابائهم هو اقسط عند الله هو ادخل الامرين في القسط
والعدل وفي فصل هذه الجمل ووصلها من الحسن والفصاحة ما لا يغبي
علي عالم بطرق النظم وقرا قتادة وهو الذي يهدي السبيل وقيل كان
الرجل في الجاهلية اذا اعجبه جلد الرجل وظرفه ضمه الي نفسه وجعل له مثل
نصيب الذكر من اولاده من ميراثه وكان ينسب اليه فيقال فلان بن فلان
فان لم تعلموا اباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم فان لم تعلموا لهم اباء
تنسبونهم اليهم فهم اخوانكم في الدين واولياؤكم في الدين فقولوا هذا اخي وهذا
مولاي ويا اخي ويا مولاي يريد الاخوة في الدين والولاية فيه وليس عليكم
جناح فيما اخطاتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم ما تعمدت في محل الجر عطف
علي ما اخطاتم ويجوز ان يكون مرتفعا علي الابتداء والخبر محذوف تقديره
ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح والمعني لا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك
مخطئين جاهلين قبل ورود النهي ولكن الاثم فيما تعمدتموه بعد النهي او لا اثم
عليكم اذا قلتم لولد غيركم يا بني علي سبيل الخطا وسبق اللسان ولكن اذا
قلتموه متعمدين ويجوز ان يراد العفو عن الخطا دون العمد علي طريق
العموم كقوله عليه السلام ما اخشي عليكم الخطاء ولكن اخشي عليكم العمد وقوله
وضع عن امتي الخطا والنسيان وما اكرهوا عليه ثم يتناول لعمومه خطا التبني
وعمده فان قلت فاذا وجد التبني فما حكمه قلت اذا كان المتبني
مجهول النسب واصغر سنا من المتبني ثبت نسبه منه وان كان عبدا له
عتق مع ثبوت النسب وان كان لا يولد مثله لمثله لم يثبت النسب ولكنه
يعتق عند ابي حنيفة وعند صاحبيه لا يعتق واما المعروف النسب فلا
يثبت نسبه بالتبني وان كان عبدا اعتق وكان الله غفورا رحيما العفو عن
الخطا وعن العمد اذا تاب العامد النبي اولي بالمومنين من انفسهم النبي اولي
بالمومنين في كل شي من امور الدين والدنيا من انفسهم ولهذا اطلق ولم يقيد
فيجب عليهم ان يكون احب اليهم من انفسهم وحكمه انفذ عليهم من حكمها
وحقه اثر عليهم من حقوقها وشفقتهم عليه اقدم من شفقتهم عليها وان
يبذلوها دونه ويجعلوها فداءه اذا اعضل خطب ووقاءه اذا لقحت
حرب وان لا يتبعوا ما تدعوهم اليه نفوسهم ولا ما تصرفهم عنه ويتبعوا
كلما دعاهم اليه رسول الله وصرفهم عنه لان كلما دعا اليه فهو ارشاد لهم
الي نيل النجاة والظفر بسعادة الدارين وما صرفهم عنه فاخذ بحجزهم
لئلا يتهافتوا فيما يرمي بهم الي الشقاوة وعذاب النار او هو اولي بهم علي معني
انه اراف بهم واعطف عليهم وانفع لهم كقوله تعالي بالمومنين رؤف رحيم

وعن النبي صلي الله عليه وسلم ما من مومن الا انا اولي به في الدنيا والاخرة
اقرؤا ان شيتم النبي اولي بالمومنين من انفسهم فايما مومن هلك وترك مالا
فليرثه عصبته من كانوا وان ترك دينا او ضيا عا فالي وفي قراة ابن مسعود النبي
اولي بالمومنين من انفسهم وهو اب لهم وقال مجاهد كل نبي فهو ابو امته ولذلك
صار المومنون اخوة لان النبي صلي الله عليه وسلم ابوهم في الدين وازواجه
امهاتهم تشبيه لهن بالامهات في بعض الاحكام وهو وجوب تعظيمهن واحترامهن
وتحريم نكاحهن قال الله تعالي ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا وهن فيما
وراء ذلك بمنزلة الاجنبيات ولذلك قالت عايشة رضي الله عنها لسنا
امهات النساء تعني انهن انما كن امهات الرجال لكونهن محرمات عليهم كتحريم امهاتهم
والدليل علي ذلك ان هذا التحريم لم يتعد الي بناتهن وكذلك لم يثبت لهن سائر
الاحكام الامهات واولوا الارحام بعضهم اولي ببعض كان المسلمون في صدر
الاسلام يتوارثون بالولاية في الدين وبالهجرة لا بالقرابة كما كانت تتالف
قلوب قوم باسهام لهم في الصدقات ثم نسخ ذلك لما دجا الاسلام وعز اهله
وجعل التوارث بحق القرابة في كتاب الله في اللوح او فيما اوحي الله الي نبيه وهو
هذه الاية او في اية المواريث او فيما فرض الله كقوله كتاب الله عليكم من المومنين
والمهاجرين يجوز ان يكون بيانا لاولي الارحام اي الاقرباء من هولاء بعضهم
اولي بان يرث بعضا من الاجانب ويجوز ان يكون لابتداء الغاية اي اولوا
الارحام بحق القرابة اولي بالميراث من المومنين بحق الولاية في الدين ومن
المهاجرين بحق الهجرة الا ان تفعلوا الي اوليايكم معروفا فان قلت مم استثني
ان تفعلوا قلت من اعم العام في معني النفع والاحسان كما تقول القريب
اولي من الاجنبي الا في الوصية تريد انه احق منه في كل نفع من ميراث وهبة
وهدية وصدقة وغير ذلك الا في الوصية والمراد بفعل المعروف التوصية
لانه لا وصية لوارث وعدي تفعلوا بالي لانه في معني تسدوا وتزلوا والمراد
بالاوليا المومنون والمهاجرون للولاية في الدين كان ذلك في الكتاب مسطورا
ذلك اشارة الي ما ذكر في الايتين جميعا وتفسير الكتاب ما مر انفا والجملة مستانفة
كالخاتمة لما ذكر من الاحكام واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم واذكر حين اخذنا
من النبيين جميعا ميثاقهم بتبليغ الرسالة والدعاء الي الدين القيم ومنك خصوصا
ومن نوح وابراهيم وموسي وعيسي ابن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا وانما
فعلنا ذلك ليسال الله يوم القيمة عند تواقف الاشهاد الصادقين المومنين
الذين صدقوا عهدهم ووفوا به من جملة من اشهدهم علي انفسهم الست
بربكم قالوا عن صدقهم عهدهم وشهادتهم فيشهد الانبياء بانهم صدقوا
عهدهم وشهادتهم وكانوا مومنين او ليسال المصدقين للانبياء عن تصديقهم
لان من قال للصادق صدقت كان صادقا في قوله او ليسال الانبياء ما الذي
اجابتهم به اممهم وتاويل مسيلة الرسل تبكيت الكافرين بهم كقوله اانت
قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فان قلت لم قدم رسول
الله علي نوح فمن بعده قلت هذا العطف لبيان فضيلة الانبياء الذين هم
مشاهيرهم وذراريهم فلما كان محمد صلي الله عليه وسلم افضل هولاء المفضلين
قدم عليهم لبيان انه افضلهم ولولا ذلك لقدم من قدمه زمانه فان قلت
فقد قدم نوح في الاية التي هي اخت هذه الاية وهي قوله شرع لكم من الدين
ما وصي به نوحا والذي اوحينا اليك ثم قدم علي غيره قلت مورد هذه
الاية علي طريقة خلاف طريقة تلك وذلك ان الله عز وجل انما اوردها

لوصف

لوصف دين الاسلام بالاصالة والاستقامة فكانه قال شرع لكم من الدين
الاصيل الذي بعث عليه نوح في العهد القديم وبعث عليه محمد خاتم الانبياء
في العهد الحديث وبعث عليه من توسط بينهما من الانبياء المشاهير فان
قلت فما المراد بالميثاق الغليظ قلت اراد به ذلك الميثاق بعينه
معناه واخذنا منهم بذلك الميثاق ميثاقا غليظا والغلظ استعارة من
وصف الاجرام والمراد عظم الميثاق وجلالة شانه في بابه وقيل
الميثاق الغليظ اليمين بالله علي الوفاء بما حملوا فان قلت علام عطف
قوله واعد للكافرين عذابا اليما قلت علي اخذنا من النبيين
لان المعني ان الله اكد علي الانبياء الدعوة الي دينه لاجل اثابة المومنين
واعد للكافرين عذابا اليما او علي ما دل عليه ليسال الصادقين كانه قال فاثاب
المومنين واعد للكافرين يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذكروا
ما انعم الله به عليكم يوم الاحزاب وهو يوم الخندق اذ جاتكم جنود وهم
الاحزاب فارسلنا عليهم ريحا فارسل الله عليهم ريح الصبا قال رسول الله
صلي الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وجنودا لم تروها
وهم الملايكة وكانوا الفا بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فاحصرتهم
وسفت التراب في وجوههم وامر الملايكة فقلعت الاوتاد وقطعت
الاطناب واطفات النيران واكفات القدور وماجت الخيل بعضها
في بعض وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت الملايكة في جوانب عسكرهم
فقال طليحة بن خويلد الاسدي اما محمد فقد بداكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا
من غير قتال وحين سمع رسول الله صلي الله عليه وسلم باقبالهم ضرب
الخندق علي المدينة اشار عليه بذلك سلمان الفارسي رضي الله عنه ثم
خرج في ثلاثة الاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم
وامر بالذراري والنساء فرفعوا في الاطام واشتد الخوف وظن المومنون
كل ظن ونجم النفاق من المنافقين حتي قال معتب بن قشير كان محمد
يعدنا كنوز كسري وقيصر لا نقدر ان نذهب الي الغايط وكانت قريش
قد اقبلت في عشرة الف من الاحابيش وبني كنانة واهل تهامة وقايدهم
ابو سفيان وخرج غطفان في الف ومن تابعهم من اهل نجد وقايدهم عيينة
بن حصن وعامر بن الطفيل في هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير
ومضي علي الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة
حتي انزل الله النصر وكان الله بما تعملون بصيرا تعملون قري بالياء والتاء
اذ جاوكم من فوقكم من فوقكم من اعلي الوادي من قبل المشرق بنو غطفان
ومن اسفل منكم من اسفل الوادي من قبل المغرب قريش تحزبوا وقالوا
سنكون جملة واحدة حتي نستاصل محمدا واذ زاغت الابصار مالت عن
سننها ومستوي نظرها حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شي فلم تلتفت
الا الي عدوها لشدة الروع وبلغت القلوب الحناجر الحنجرة راس الغلصمة
وهي منتهي الحلقوم والحلقوم مدخل الطعام والشراب قالوا اذا انتفخت
الرية من شدة الفزع او الغضب او الغم الشديد ربت وارتفع القلب
بارتفاعها الي الحنجرة ومن ثم قيل للجبان انتفخ سحره ويجوز ان يكون ذلك
مثلا في اضطراب القلوب ووجيبها وان لم تبلغ الحناجر حقيقة وتظنون
بالله الظنونا خطاب للذين امنوا ومنهم الثبت القلوب والاقدام
والضعاف القلوب الذين هم علي حرف والمنافقون الذين لم يوجد

راس

منهم الايمان الا بالسنتهم فظن الاولون بالله انه يبتليهم ويفتنهم فخافوا
الزلل وضعف الاحتمال واما الاخرون فظنوا بالله على ما حكي عنهم هنالك
ابتلي المومنون وزلزلوا زلزالا شديدا واذ يقول المنافقون والذين
في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وعن الحسن ظنوا ظنونا مختلفة
ظن المنافقون ان المومنين يستاصلون وظن المومنون انهم يبتلون وقري
الظنون بغير الف في الوصل والوقف وهو القياس وبزيادة الف في الوقف
زادها في الفاصلة كما زادها في القافية من قال ۞ ۞ ۞ ۞
۞ اقلي اللوم عاذل والعتابا ۞ وكذلك الرسولا والسبيلا ۞ ۞
وقري بزيادتها في الوصل ايضا اجراء له مجري الوقف قال ابو عبيد وهن كلهن
في الامام بالف وعن ابي عمرو الاشمام زاي زلزلوا وقري زلزالا بالفتح والمعنى
ان الخوف ازعجهم اشد الازعاج الا غرورا قيل قائله معتب حين راي
الاحزاب قال يعد محمد فتح فارس والروم واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا
الا وعد غرور واذ قالت طايفة منهم طايفة منهم هم اوس بن قيظي ومن
وافقه على رايه وعن السدي عبد الله بن ابي واصحابه يا اهل يثرب ويثرب
اسم المدينة وقيل ارض وقعت المدينة في ناحية منها لا مقام لكم
قري بضم الميم وفتحها اي لا قرار لكم هاهنا ولا مكان تقومون فيه او تقيمون
فارجعوا الي المدينة امروهم بالهرب من عسكر رسول الله وقيل قالوا لهم
ارجعوا كفارا واسلموا محمدا والا فليست يثرب لكم بمكان ويستاذن
فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة قري عورة بسكون الواو وكسرها
فالعورة الخلل والعورة ذات العورة يقال عور المكان عورا اذا بدا فيه خلل
يخاف منه العدو والسارق ويجوز ان تكون عورة تخفيف عورة اعتذروا
ان بيوتهم معرضة للعدو ممكنة للسراق لانها غير محرزة ولا محصنة فاستاذنوه
ليحصنوها ثم يرجعوا اليه فاكذبهم الله بقوله وما هي بعورة ان يريدون
الا فرارا اي انهم لا يخافون ذلك وانما يريدون الفرار ولو دخلت عليهم
المدينة وقيل بيوتهم من قولك دخلت على فلان داره من اقطارها
من جوانبها يريد ولو دخلت هذه العساكر المتحزبة التي يفرون خوفا
منها مدينتهم وبيوتهم من نواحيها كلها وانثالت على اهاليهم واولادهم ناهبين
سابين ثم سئلوا عند ذلك الفزع وتلك الرجفة الفتنة اي الردة والرجعة
الي الكفر ومقاتلة المسلمين لاتوها لجاوها وفعلوها وقري لاتوها
لاعطوها وما تلبثوا بها وما البثوا اعطاءها الا يسيرا ريثما يكون السوال
والجواب من غير توقف او ما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم الا يسيرا فان
الله يهلكهم والمعنى انهم يتعللون ليفروا عن نصرة رسول الله والمومنين
وعن مصافة الاحزاب الذين ملاوهم هولا ورعبا وهولاء الاحزاب
كما هم لو كبسوا عليهم ارضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر وقيل لهم كونوا على
المسلمين لسارعوا اليه وما تعللوا بشي وما ذاك الا لمقتهم الاسلام وشدة
بغضهم لاهله وحبهم الكفر وتهالكهم على حزبه ولقد كانوا عاهدوا
الله من قبل لا يولون الادبار عن ابن عباس عاهدوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ليلة العقبة ان يمنعوه مما يمنعون منه انفسهم وقيل
هم قوم غابوا عن بدر فقالوا لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن وعن محمد
بن اسحق عاهدوا يوم احد ان لا يفروا بعد ما نزل فيهم ما نزل وكان عهد
الله مسولا مطلوبا مقتضي حتى يوفى به قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم

في المسلمين

باعوار بيوتهم ويتحلون به

من



من الموت او القتل واذا لا تمتعون الا قليلا اي لن ينفعكم الفرار مما لا بد
من نزوله بكم من حتف انف او قتل وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتاخير لم يكن
ذلك التمتيع الا زمانا قليلا وعن بعض المروانية انه مر بحايط مايل فاسرع
فتليت له هذه الاية فقال ذلك القليل نطلب قل من ذا الذي يعصمكم من
الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا
ولا نصيرا فان قلت كيف جعلت الرحمة قرينة السوء في العصمة ولا عصمة
الا من السوء قلت معناه او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر
الكلام واجري مجري قوله متقلدا سيفا ورمحا او حمل الثاني على الاول لما في العصمة
من معنى المنع قد يعلم الله المعوقين منكم والقايلين لاخوانهم هلم الينا المعوقين
المثبطين عن رسول الله وهم المنافقون كانوا يقولون لاخوانهم من ساكني
المدينة من انصار رسول الله ما محمد واصحابه الا اكلة راس ولو كانوا لحما
لالتهمهم ابو سفيان واصحابه فخلوهم وهلم الينا اي قربوا انفسكم الينا
وهي لغة اهل الحجاز يسوون فيه بين الواحد والجماعة واما تميم فيقولون هلم
يا رجل وهلموا يا رجال وهو صوت سمي به فعل متعد مثل احضر وقرب قل
هلم شهداءكم ولا ياتون الباس الا قليلا الا قليلا الا اتيانا قليلا يخرجون
مع المومنين يوهمونهم انهم معهم ولا تراهم يبارزون ويقاتلون الا شيا قليلا
اذا اضطروا اليه كقوله ما قاتلوا الا قليلا اشحة عليكم في وقت الحرب اضناء
بكم يترفرفون عليكم كما يفعل الرجل بالذاب عنه المناضل دونه الخوف فاذا
جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشي عليه من الموت
ينظرون اليك في تلك الحالة كما ينظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت
حذرا وخورا ولواذا بك فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد اشحة
على الخير فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنايم ووقعت القسمة نقلوا ذلك الشح
وتلك الضنة والرفرفة عليكم الي الخير وهو المال والغنيمة ونسوا تلك الحالة
الاولي واجترءوا عليكم وضربوكم بالسنتهم وقالوا وفروا قسمتنا فانا قد
شهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليه ونصب
اشحة على الحال او على الذم وقري اشحة بالرفع وصلقوكم بالصاد اوليك
لم يومنوا فاحبط الله اعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا فان قلت
هل يثبت للمنافق عمل حتى يرد عليه الاحباط قلت لا ولكنه تعليم لمن عسي
يظن ان الايمان باللسان ايمان وان لم يواطيه القلب وان ما يعمل المنافق من
الاعمال يجدي عليه فبين ان ايمانه ليس بايمان وان كل عمل يوجد منه باطل
وفيه بعث على اتقان المكلف اساس امره وهو الايمان الصحيح وتنبيه
على ان الاعمال الكثيرة من غير تصحيح المعرفة كالبناء على غير اساس وانها مما
يذهب عند الله هباء منثورا فان قلت ما معنى قوله وكان ذلك على الله
يسيرا وكل شي عليه يسير قلت معناه ان اعمالهم حقيقة بالاحباط
تدعو اليه الدواعي ولا يصرف عنه صارف يحسبون الاحزاب لم يذهبوا
يحسبون ان الاحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا فانصرفوا عن الخندق الي المدينة
راجعين لما نزل بهم من الخوف الشديد ودخلهم من الجبن المفرط وان يات
الاحزاب كرة يودوا لو انهم بادون في الاعراب ثانية تمنوا لخوفهم مما منوا به
هذه الكرة انهم خارجون الي البدو وحاصلون بين الاعراب يسالون كل قادم
منهم من جانب المدينة عن انبايكم عن اخباركم وعما جري عليكم ولو كانوا فيكم
ولم يرجعوا الي المدينة وكان قتال ما قاتلوا الا قليلا لم يقاتلوا الا تعللا

انف

رباء وسمعة وقرئ بُدًّى على فعل جمع باد كغاز وغُزًّى وفي رواية صاحب
الاقليد بدى بوزن عدي ويتساءلون اي يتساءلون ومعناه يقول بعضهم
لبعض ماذا سمعت ماذا بلغك او يتساءلون الاعراب كما تقول رايت الهلال وتراءيناه
لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة كان عليكم ان تواسوا رسول الله بانفسكم
فتوازروه وتثبتوا معه كما اساكم بنفسه في الصبر على الجهاد والثبات في مرحى
الحرب حتى كسرت رباعيته يوم احد وشج وجهه فان قلت فما حقيقة
قوله لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وقرئ اسوة بالضم قلت
فيه وجهان احدهما انه في نفسه اسوة حسنة اي قدوة وهو المؤتسى اي
المقتدى به كما تقول في البيضة عشرون منا حديدا اي هي في نفسها هذا
المبلغ من الحديد والثاني ان فيه خصلة من حقها ان يؤتسى بها وتتبع وهي
المواساة بنفسه لمن كان يرجوا الله بدل من لكم كقوله للذين استضعفوا
لمن امن منهم يرجوا الله واليوم الاخر من قولك رجوت زيدا وفضله اى
فضل زيدا ويرجوا ايام الله واليوم الاخر خصوصا والرجا بمعنى الامل والخوف
وذكر الله كثيرا وقرن الرجاء بالطاعات الكثيرة والتوفر على الاعمال الصالحة
والمؤتسى برسول الله من كان كذلك ولما راى المومنون الاحزاب قالوا هذا
ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما
وعدهم الله ان يزلزلوا حتى يستغيثوه ويستنصروه في قوله ام حسبتم
ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم فلما جاء الاحزاب وشخص
بهم واضطربوا ورعبوا الرعب الشديد قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله
وايقنوا بالجنة والنصر وعن ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه
ان الاحزاب سائرون اليكم تسعا او عشرا اي في اخر تسع ليال او عشر فلما
راوهم قد اقبلوا للميعاد قالوا ذلك وهذا اشارة الى الخطب او البلاء
ايمانا بالله وبمواعيده وتسليما لقضاياه واقداره نذر رجال من الصحابة انهم
اذا لقوا حربا مع رسول الله ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن
عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب
بن عمير وغيرهم فمنهم من قضى نحبه يعني حمزة ومصعبا ومنهم من ينتظر
يعني عثمان وطلحة وفي الحديث من احب ان ينظر الى شهيد يمشي على وجه
الارض فلينظر الى طلحة فان قلت ما قضاء النحب قلت وقع عبارة
عن الموت لان كل حي لا بد له من ان يموت فكانه نذر لازم في رقبته فاذا
مات فقد قضى نحبه اي نذره وقوله فمنهم من قضى نحبه يحتمل موته
شهيدا ويحتمل وفاءه بنذره من الثبات مع رسول الله فان قلت
فما حقيقة قوله صدقوا ما عاهدوا الله عليه قلت يقال صدقني
اخوك وكذبني اذا قال لك الصدق والكذب واما المثل صدقني سن بكره
فمعناه صدقني في سن بكره بطرح الجار وايصال الفعل ولا يخلو ما عاهدوا
الله عليه اما ان يكون بمنزلة السن في طرح الجار واما ان يجعل المعاهد عليه
مصدوقا على المجاز كانهم قالوا للمعاهد عليه سنفي بك وهم وافون به
فقد صدقوه ولو كانوا ناكثين لكذبوه ولكان مكذوبا وما بدلوا تبديلا وما
بدلوا العهد ولا غيروه لا المستشهد ولا من ينتظر الشهادة ولقد ثبت
طلحة يوم احد مع رسول الله حتى اصيبت يده فقال رسول الله اوجب
طلحة وفيه تعريض بمن بدلوا من اهل النفاق ومرض القلوب ليجزي الله
الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم ان

من المؤمنين رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه

الله

الله كان غفورا رحيما جعل المنافقون كانهم قصدوا عاقبة السوء واراد وها
بتبديلهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم لان كلا الفريقين مسوق
الى عاقبته من الثواب والعقاب فكانهما استويا في طلبها والسعي لتحصيلها
ويعذبهم ان شاء اذا لم يتوبوا او يتوب عليهم اذا تابوا ورد الله الذين كفروا
الاحزاب بغيظهم مغيظين كقوله تنبت بالدهن لم ينالوا خيرا غير ظافرين
وهما حالان بتداخل او تعاقب ويجوز ان تكون الثانية بيانا للاولى او استئنافا
وكفى الله المومنين القتال بالريح والملائكة وكان الله قويا عزيزا وانزل الذين
ظاهروهم وانزل الذين ظاهروا الاحزاب من اهل الكتاب من صياصيهم من
حصونهم والصيصية ما تحصن به يقال لقرن الثور والظبي صيصية ولشوكة
الديك وهي مخلبه التي في ساقه لانه يتحصن بها روي ان جبريل عليه السلام
اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب
ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا سلاحهم على فرسه الحيزوم والغبار
على وجه الفرس وعلى السرج فقال ما هذا يا جبريل قال من متابعة قريش
فجعل رسول الله يمسح الغبار عن وجه الفرس وعن سرجه فقال يا رسول
الله ان الملائكة لم تضع السلاح ان الله يامرك بالمسير الى بني قريظة وانا عامد
اليهم فان الله داقهم دق البيض على الصفا وانهم لكم طعمة فاذن في الناس
من كان سامعا مطيعا فلا يصل العصر الا في بني قريظة فما صلى كثير من الناس
العصر الا بعد العشاء الاخرة لقول رسول الله فحاصرهم خمسا وعشرين
ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم رسول الله تنزلون على حكمي فابوا
فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم ان تقتل
مقاتلهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم
وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة ثم استنزلهم وخندق
في سوق المدينة خندقا وقدمهم فضرب اعناقهم وهم من ثمان مائة الى
تسع مائة وقيل كانوا ستمائة مقاتل وسبع مائة اسير وقذف في قلوبهم
الرعب فريقا تقتلون وتاسرون فريقا واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم
وقرئ الرعب بسكون العين وضمها وتاسرون بضم السين وروي ان رسول
الله جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار في ذلك فقال
انكم في منازلكم وقال عمر اما تخمس كما خمست يوم بدر قال لا انما جعلت هذه
لي طعمة دون الناس قال رضينا بما صنع الله ورسوله وارضا لم تطؤها
عن الحسن فارس والروم وعن قتادة كنا نحدث انها مكة وعن مقاتل هي
خيبر وعن عكرمة كل ارض تفتح الى يوم القيمة ومن بدع التفاسير انه
اراد نساءهم وكان الله على كل شيء قديرا يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن
تردن الحيوة الدنيا وزينتها اردن شيئا من الدنيا من ثياب وزيادة
نفقة وتغايرن فغم ذلك رسول الله فنزلت فبدا بعايشة وكانت
احبهن اليه فخيرها وقرا عليها القران فاختارت الله ورسوله والدار
الاخرة فروي الفرح في وجه رسول الله ثم اختارت جميعهن اختيارها
فشكر الله لهن ذلك فانزل لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن
من ازواج وروي انه قال لعايشة اني ذاكر لك امرا ولا عليك ان تعجلي
فيه حتى تستامري ابويك ثم قرا عليها القران فقالت افي هذا استامر ابوي
فاني اريد الله ورسوله والدار الاخرة وروي انها قالت لا تخبر ازواجك
اني اخترتك فقال انما بعثني الله مبلغا ولم يبعثني متعنتا فان قلت

ما حكم التخيير في الطلاق قلت اذا قال لها اختاري فقالت اخترت
نفسي او قال اختاري نفسك فقالت اخترت لابد من ذكر النفس في قول
المخير او المخيرة وقعت طلقة بائنة عند ابي حنيفة واصحابه واعتبروا
ان يكون ذلك في المجلس قبل القيام او الاشتغال بما يدل على الاعراض واعتبر
الشافعي رحمه الله اختيارها على الفور وهي عنده طلقة رجعية وهو مذهب
عمر وابن مسعود وعن الحسن وقتادة والزهري امرها بيدها في ذلك المجلس
وفي غيره واذا اختارت زوجها لم يقع شي باجماع فقهاء الامصار وعن عائشة
رضي الله عنها خيرنا رسول الله فاخترناه ولم يعده طلاقا وروي افكان
طلاقا وعن علي رضي الله عنه اذا اختارت زوجها فواحدة رجعية وان
اختارت نفسها فواحدة بائنة وروي ايضا انها ان اختارت زوجها
فليس بشي فتعالين اصل تعال ان يقوله من في المكان المرتفع لمن في المكان
المستوطي ثم كثر حتى استوت في استعماله الامكنة ومعنى تعالين اقبلن باراد
تكن واختياركن لاحد امرين ولم يرد نهوضهن اليه بانفسهن اقبل يخاصمني
وذهب يكلمني وقام يهددني امتعكن اعطكن متعة الطلاق واسرحكن
سراحا جميلا فان قلت المتعة في الطلاق واجبة ام لا قلت
المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها في العقد متعتها واجبة عند ابي حنيفة
واصحابه واما سائر المطلقات فمتعتهن مستحبة وعن الزهري متعتان
احديهما يقضي بها السلطان من طلق قبل ان يفرض ويدخل بها والثانية
حق على المتقين من طلق بعد ما يفرض ويدخل وخاصمت امراة الى شريح في المتعة
فقال متعها ان كنت من المتقين ولم يجبره وعن سعيد بن جبير المتعة حق
مفروض وعن الحسن لكل مطلقة متعة الا المختلعة والملاعنة والمتعة
درع وخمار وملحفة على حسب السعة والاقتار الا ان يكون نصف مهرها
اقل من ذلك فيجب لها الاقل منهما ولا ينقص من خمسة دراهم لان اقل المهر
عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها فان قلت ما وجه قراة من قرا امتعكن
واسرحكن بالرفع قلت وجهه الاستيناف سراحا جميلا من غير ضرار طلاقا
بالسنة وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة فان الله اعد للمحسنات
منكن اجرا عظيما يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضعف لها
العذاب ضعفين منكن للبيان لا للتبعيض الفاحشة السيئة البليغة في القبح
وهي الكبيرة والمبينة الظاهر فحشها والمراد كل ما اقترفن من الكباير وقيل
هي عصيانهن رسول الله ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق عليه او ما يضيق
به ذرعه ويغتم لاجله وقيل الزنا والله عاصم رسوله من ذلك كما مر
في حديث الافك وانما ضوعف عذابهن لان ما قبح من ساير النساء كان اقبح
منهن واقبح لان زيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل والمرتبة وزيادة
النعمة على العاصي من المعصي وليس لاحد من النساء مثل فضل نساء النبي
ولا على احد منهن مثل ما لله عليهن من النعمة والجزاء يتبع الفعل وكون الجزاء
عقابا يتبع كون الفعل قبيحا فمتى ازداد قبحا ازداد عقابه شدة ولذلك
كان ذم العقلاء للعاصي العالم اشد منه للعاصي الجاهل لان المعصية
من العالم اقبح ولذلك فضل حد الاحرار على حد العبيد حتى ان ابا حنيفة
واصحابه لا يرون الرجم على الكافر وكان ذلك على الله يسيرا ايذان بان
كونهن نساء النبي ليس بمغني عنهن شيا وكيف يغني عنهن وهو سبب
مضاعفة العذاب وكان داعيا الى تشديد الامر عليهن غير صارف عنه

وقري

وقري ياتي بالتاء والياء مبينة بفتح الياء وكسرها من بين بمعنى تبين
يضاعف ويضعف على البناء للمفعول ويضاعف ويضعف بالياء والنون
ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نوتها اجرها مرتين
واعتدنا لها رزقا كريما وقري يقنت وتعمل بالتاء والياء ويوتها بالياء
والنون والقنوت الطاعة وانما ضوعف اجرهن لطلبهن رضا الله بحسن
الخلق وطيب المعاشرة والقناعة وتوفرهن على طاعة الله والتقوى يا نساء
النبي لستن كاحد من النساء احد في الاصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع
في النفي العام مستويا فيه المذكر والمونث والواحد وما وراءه ومعنى
قوله لستن كاحد من النساء لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء
اي اذا تقصيت امة النساء جماعة جماعة لم توجد منهن جماعة تساويكن
في الفضل والسابقة ومثله قوله عز وجل والذين امنوا بالله ورسله
ولم يفرقوا بين احد منهم يريد بين جماعة واحدة منهم تسوية بين جميعهم
في انهم على الحق المبين ان اتقيتن ان اردتن التقوى وان كنتن متقيات
فلا تخضعن بالقول فلا تجبن بقولكن خاضعا اي لينا خنثا مثل كلام
المريبات والمومسات فيطمع الذي في قلبه مرض اي ريبة وفجور وقري
بالجزم عطفا على محل فعل النهي على انه نهين عن الخضوع بالقول ونهي المريض
القلب عن الطمع كانه قال لا تخضعن فلا يطمع وعن ابن محيصن انه قرا
بكسر الميم وسبيله ضم الياء مع كسرها واسناد الفعل الى ضمير القول اي فيطمع
القول المريب وقلن قولا معروفا بعيدا من طمع المريب بجد وخشونة من
غير تخنيث او قولا حسنا مع كونه خشنا وقرن في بيوتكن وقرن
بكسر القاف من وقر يقر وقارا او من قر يقر حذفت الاولى من راءي
اقررن ونقلت كسرتها الى القاف كما تقول ظلن وقرن بفتحها واصله
اقررن نحذفت الراء والقيت فتحتها على ما قبلها كقولك ظلن وذكر
ابو الفتح الهمداني في كتاب التبيان وجها اخر قال قاد يقاد اذا اجتمع
ومنه القادة لاجتماعها الا ترى الى قول عضل والديش اجتمعوا فكونوا
قارة ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى والجاهلية الاولى وهي القديمة
التي يقال لها الجاهلية الجهلاء وهو الزمن الذي ولد فيه ابراهيم كانت
المراة تلبس الدرع من اللولو فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال
وقيل ما بين ادم ونوح وقيل بين ادريس ونوح وقيل
زمن داود وسليمان والجاهلية الاخرى بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما
ويجوز ان تكون الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى
جاهلية الفسوق والفجور في الاسلام فكان المعنى ولا تحدثن بالتبرج
جاهلية في الاسلام تتشبهن بها باهل جاهلية الكفر ويعضده ما روي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي الدرداء ان فيك جاهلية
قال جاهلية كفر ام اسلام قال بل جاهلية كفر واقمن الصلاة واتين
الزكاة واطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل
البيت ويطهركم تطهيرا امرهن امرا خاصا بالصلوة والزكوة ثم جاء به
عاما في جميع الطاعات لان هاتين الطاعتين البدنية والمالية هما اصل
ساير الطاعات من اعتنى بهما حق اعتنايه جرتاه الى ما وراءهما ثم بين
انه انما نهاهن وامرهن ووعظهن لئلا يقارف اهل بيت رسول الله
الماثم وليتصونوا عنها بالتقوى واستعار للذنوب الرجس وللتقوى

رسول
في عبادة
واحدة

الطهر لان عرض المقترف للمقبحات يتلوث بها ويتدنس كما يتلوث بدنه
بالارجاس واما المحسنات فالعرض منها نقي مصون كالثوب الطاهر وفي هذه
الاستعارة ما ينفر اولي الالباب عما كرهه الله لعباده ونهاهم عنه ويرغبهم
فيما رضيه لهم وامرهم به واهل البيت نصب علي النداء او علي المدح وفي هذا
دليل بين علي ان نساء النبي من اهل بيته ثم ذكرهن ان بيوتهن مهابط الوحي
وامرهن ان لا ينسين ما يتلي فيها من الكتاب الجامع بين امرين هو ايات بينات
تدل علي صدق النبوة لانه معجزة بنظمه وهو حكمة وعلوم وشرايع فقال
واذكرن ما يتلي في بيوتكن من ايات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا
حين علم ما ينفعكم ويصلحكم في دينكم فانزله عليكم او علم من يصلح لنبوته
ومن يصلح لان يكونوا اهل بيته او حيث جعل الكلام الواحد جامعا بين الغرضين
ان المسلمين والمسلمات والمومنين والمومنات والقانتين والقانتات
والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات
والمتصدقين والمتصدقات والصايمين والصايمات والحافظين فروجهم
والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا
عظيما روي ان ازواج النبي صلي الله عليه وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال
في القران بخير افما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا يقبل منا طاعة وقيل
السايلة ام سلمة وروي انه لما نزل في نساء النبي صلي الله عليه وسلم
ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شي فنزلت والمسلم الداخل في السلم
بعد الحرب المنقاد الذي لا يعاند او المفوض امره الي الله المتوكل عليه من اسلم
وجهه الي الله والمومن المصدق بالله ورسوله وبما يجب ان يصدق
به والقانت القايم بالطاعة الدايم عليها والصادق الذي يصدق في نيته
وقوله وعمله والصابر الذي يصبر علي الطاعات وعن المعاصي والخاشع
المتواضع لله بقلبه وجوارحه وقيل الذي اذا صلي لم يعرف من عن
يمينه وشماله والمتصدق الذي يزكي ماله ولا يخل بالنوافل وقيل
من تصدق في اسبوع بدرهم فهو من المتصدقين ومن صام البيض
من كل شهر فهو من الصايمين والذاكر الله كثيرا من لا يكاد يخلو من ذكر
الله بقلبه او لسانه او بهما وقراءة القران والاشتغال بالعلم من الذكر وقال
رسول الله صلي الله عليه وسلم من استيقظ من نومه وايقظ امراته فصليا
جميعا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات والمعني والحافظاتها
والذاكراته فحذف لان الظاهر يدل عليه فان قلت اي فرق بين
العطفين اعني عطف الاناث علي الذكور وعطف الزوجين علي الزوجين
قلت العطف الاول نحو قوله ثيبات وابكارا في انهما جنسان مختلفان
اذا اشتركا في حكم لم يكن بد من توسيط العاطف بينهما واما العطف
الثاني فمن عطف الصفة علي الصفة بحرف الجمع فكان معناه ان الجامعين
والجامعات لهذه الطاعات اعد الله لهم وما كان لمومن ولا مومنة اذا
قضي الله ورسوله امرا ان تكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله
فقد ضل ضلالا مبينا خطب رسول الله زينب بنت جحش بنت عمته اميمة
بنت عبد المطلب علي مولاه زيد بن حارثة فابت وابي اخوها عبد الله
فنزلت فقالا رضينا يا رسول الله فانكحها اياه وساق عنه اليها مهرها
ستين درهما وخمارا وملحفة ودرعا وازارا وخمسين مدا من طعام وثلاثين
صاعا من تمر وقيل هي ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وهي اول

من هاجر

من هاجر من النساء وهبت نفسها للنبي فقال قد قبلت وزوجها زيدا فسخطت
هي واخوها وقالا انما اردنا رسول الله فزوجنا عبده والمعني وما صح لرجل
ولا امراة من المومنين اذا قضي الله ورسوله اي رسول الله او لان قضاء رسول
الله هو قضاء الله امرا من الامور ان يختاروا من امرهم ما شاوا بل حقهم ان
يجعلوا رايهم تبعا لرايه واختيارهم تلوا لاختياره فان قلت كان من
حق الضمير ان يوحد كما تقول ما جاني من رجل ولا امراة الا كان من شانه كذا
قلت نعم ولكنهما وقعا تحت النفي فعما كل مومن ومومنة فرجع الضمير علي
المعني لا علي اللفظ وقري تكون بالتاء والياء والخيرة ما يتخير واذ تقول للذي
انعم الله عليه بالاسلام الذي هو اجل النعم وبتوفيقك لعتقه ومحبته
واختصاصه وانعمت عليه بما وفقك الله فيه فهو متقلب في نعمة الله ونعمة
رسوله وهو زيد بن حارثة امسك عليك زوجك يعني زينب بنت جحش
وذلك ان رسول الله ابصرها بعدما انكحها اياه فوقعت في نفسه فقال
سبحان الله مقلب القلوب وذلك ان نفسه كانت تجفو عنها قبل ذلك لا تريدها
ولو ارادها لاختطبها وسمعت زينب التسبيحة فذكرتها لزيد ففطن والقي
الله في نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله فقال لرسول الله اني اريد ان افارق
صاحبتي فقال ما لك ارابك منها شي قال لا والله ما رايت منها الا خيرا ولكنها
تتعظم علي لشرفها وتوذيني فقال له امسك عليك زوجك واتق الله ثم طلقها
بعد فلما اعتدت قال رسول الله ما اجد احدا اوثق في نفسي منك اخطب
علي زينب قال زيد فانطلقت فاذا هي تخمر عجينها فلما رايتها عظمت في صدري
حتي ما استطيع ان انظر اليها حين علمت ان رسول الله ذكرها فوليتها ظهري
وقلت يا زينب ابشري ان رسول الله يخطبك ففرحت به وقالت ما انا بصانعة
شيا حتي اوامر ربي فقامت الي مسجدها ونزل القران زوجناكها فتزوجها
رسول الله ودخل بها وما اولم علي امراة من نسايه ما اولم عليها ذبح شاة
واطعم الناس الخبز واللحم حتي امتد النهار فان قلت ما اراد بقوله
واتق الله قلت اراد واتق الله فلا تطلقها وقصد نهي تنزيه لا تحريم
لان الاولي ان لا يطلق وقيل اراد واتق الله فلا تذمها بالنسبة الي
الكبر واذي الزوج وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشي الناس والله احق
ان تخشاه فلما قضي زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون علي المومنين
حرج في ازواج ادعيايهم اذا قضوا منهن وطرا وكان امر الله مفعولا فان قلت
قلت ما الذي اخفي في نفسه قلت تعلق قلبه بها وقيل مودة
مفارقة زيد اياها وقيل علمه بان زيدا سيطلقها وينكحها لان الله قد
اعلمه بذلك وعن عايشة رضي الله عنها لو كتم رسول الله شيا مما اوحي اليه
لكتم هذه الاية فان قلت فما ذا اراد الله منه ان يقوله حين قال له
زيد اريد مفارقتها وكان من الهجنة ان يقول له افعل فاني اريد نكاحها
قلت كان الذي اراد منه عز وجل ان يصمت عند ذلك او يقول له
انت اعلم بشانك حتي لا يخالف سره في ذلك علانيته لان الله يريد من
الانبياء تساوي الظاهر والباطن والتصلب في الامور والتجاوب في الاحوال
والاستمرار علي طريقة مستتبة كما جا في حديث ارادة رسول الله قتل عبد
الله بن ابي سرح واعتراض عثمان رضي الله عنه بشفاعته له ان عمر رضي الله عنه
قال له لقد كان عيني الي عينك هل تشير الي فاقتله فقال ان الانبيا لا تومض
ظاهرهم وباطنهم واحد فان قلت كيف عاتبه الله في ستر ما استهجن

نقال

التصريح به ولا يستهجن النبي التصريح بشيء الا والشيء في نفسه مستهجن
وقالة الناس لا تتعلق الا بما يستقبح في العقول والعادات وما له لم يعاتبه
في نفس الامر ولم يامره بقمع الشهوة وكف النفس ان تنازع الى زينب وتتبعها
ولم يعصمه تنبيهه عن تعلق الهجنة به وما يعرضه للقالة قلت كم من شيء
يتحفظ منه الانسان ويستحيي من اطلاع الناس عليه وهو في نفسه مباح
متسع وحلال مطلق لا مقال فيه ولا عيب عند الله وانما كان الدخول في ذلك المباح
سلما الى حصول واجبات يعظم اثرها في الدين ويجل ثوابها ولو لم يتحفظ منه
لاطلق كثير من الناس فيه السنتهم الا من اوتي فضلا وعلما ودينا ونظرا في
حقائق الامور ولبوبها دون قشورها الا ترى انهم كانوا اذا طعموا في بيوت
رسول الله بقوا مرتكزين في مجالسهم لا يريمون مستانسين بالحديث وكان
رسول الله يؤذيه قعودهم ويضيق صدره حديثهم والحياء يصده ان يامرهم
بالانتشار حتى نزلت ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي
من الحق ولو ابرز رسول الله مكنون ضميره وامرهم ان ينتشروا لشق عليهم
ولكان لبعض المقالة فهذا من ذلك القبيل لان طموح قلب الانسان الى بعض
مشتهياته من امراة او غيرها غير موصوف بالقبح في العقل ولا في الشرع لانه
ليس بفعل الانسان ولا وجوده باختياره وتناول المباح بالطريق الشرعي ليس
بقبيح ايضا وهو خطبة زينب من غير استنزال زيد عنها ولا طلب اليه وهو
اقرب اليه من زر قميصه ان يواسيه بمفارقتها مع قوة العلم بان نفس زيد
لم تكن من التعلق بها في شيء بل كانت تجفو عنها ونفس رسول الله متعلقة بها
ولم يكن مستنكرا عندهم ان ينزل الرجل عن امراته لصديقه ولا مستهجنا اذا
نزل عنها ان ينكحها الاخر فان المهاجرين حين دخلوا المدينة استهم الانصار
بكل شيء حتى ان الرجل منهم اذا كانت له امراتان نزل عن احديهما وانكحها المهاجر
واذا كان الامر مباحا من جميع جهاته ولم يكن فيه وجه من وجوه القبح ولا مفسدة
ولا مضرة بزيد ولا باحد بل كان مستجرا مصالح ناهيك بواحدة منها ان
بنت عمة رسول الله امنت الايمة والضيعة ونالت الشرف وعادت اما من
امهات المومنين الى ما ذكر الله من المصلحة العامة في قوله لكيلا يكون على
المومنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا فبالحري ان يعاتب
الله رسوله حين كتمه وبالغ في كتمه بقوله امسك عليك زوجك واتق الله
وان لا يرضى له الا اتحاد الضمير والظاهر والثبات في مواطن الحق حتى يقتدي
به المومنون فلا يستحيوا من المكافحة بالحق وان كان مرا فان قلت
الواو في وتخفي في نفسك وتخشى الناس والله احق ما هي قلت واو الحال
اي تقول لزيد امسك عليك زوجك مخفيا في نفسك ارادة ان لا يمسكها
وتخفي خاشيا قالة الناس وتخشى الناس حقيقا في ذلك بان تخشى الله او واو
العطف كانه قيل واذ تجمع بين قولك امسك واخفاء خلافه وخشية الناس
والله احق ان تخشاه حتى لا تفعل مثل ذلك اذا بلغ البالغ حاجته من اختفا
شيء له فيه حاجة قيل قضى منه وطره والمعنى فلما لم يبق لزيد فيها حاجة
وتقاصرت عنها همته وطابت عنها نفسه وطلقها وانقضت عدتها
زوجناكها وقراءة اهل البيت زوجتكها وقيل لجعفر بن محمد اليس تقرا على
غير ذلك قال لا والذي لا اله الا هو ما قراتها على ابي الا كذلك ولا قراها الحسين
بن علي على ابيه الا كذلك ولا قراها علي بن ابي طالب رضي الله عنه على
النبي صلى الله عليه وسلم الا كذلك وكان امر الله مفعولا جملة اعتراضية

مطلق
الحق
نكاحها
منه

يعني وكان امر الله الذي يريده ان يكونه مفعولا مكونا لا محالة وهو مثل
لما اراد كونه من تزويج رسول الله زينب ومن نفي الحرج عن المومنين
في اجراء ازواج المتبنين مجرى ازواج البنين في تحريمهن عليهم بعد انقطاع
علائق الزواج بينهم وبينهن ويجوز ان يراد بامر الله المكون لانه مفعول
بكن وهو امر الله ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له قسم له واوجب من قولهم
فرض لفلان في الديوان كذا ومنه فروض العسكر لرزقاتهم سنة الله اسم
موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا مؤكد لقوله ما كان على النبي من حرج كانه
قيل سن الله ذلك سنة في الانبياء الماضين وهو ان لا يحرج عليهم في الاقدام
على ما اباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره وقد كانت تحتهم المهاير
والسراري وكانت لداود مائة امراة وثلثمائة سرية ولسليمان ثلثمائة وسبعمائة
في الذين خلوا من قبل في الانبياء الذين مضوا من قبل وكان امر الله قدرا مقدورا
الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله وكفى
بالله حسيبا الذين يبلغون يحتمل وجوه الاعراب الجر على الوصف للانبياء
والرفع والنصب على المدح على هم الذين يبلغون او على اعني الذين يبلغون وقرى
رسالة الله قدرا مقدورا قضاء مقضيا وحكما مبتوتا ووصف الانبياء بانهم
لا يخشون احدا الا الله تعريض بعد التصريح في قوله وتخشى الناس والله احق
ان تخشاه حسيبا كافيا للمخاوف او محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب
ان يكون حق الخشية من مثله ما كان محمد ابا احد من رجالكم اي لم يكن ابا رجل
منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الاب وولده من حرمة
الصهر والنكاح ولكن رسول الله وكل رسول ابو امته فيما يرجع الى وجوب
التوقير والتعظيم له عليهم ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه لا في سائر
الاحكام الثابتة بين الاباء والابناء وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا باولاده
حقيقة فكان حكمه حكمكم والادعاء والتبني من باب الاختصاص والتقريب
لا غير وكان خاتم النبيين يعني انه لو كان له ولد بالغ مبلغ الرجال لكان نبيا
ولم يكن هو خاتم الانبياء كما روي انه قال في ابراهيم حين توفي لو عاش لكان
نبيا فان قلت اما كان ابا للطاهر والطيب والقاسم وابراهيم قلت
قد اخرجوا من حكم النفي بقوله من رجالكم من وجهين احدهما ان هولاء لم يبلغوا
مبلغ الرجال والثاني انه قد اضاف الرجال اليهم وهولاء رجاله لا رجالهم
فان قلت اما كان ابا للحسن والحسين قلت بلى ولكنهما لم يكونا رجلين
حينئذ وهما ايضا من رجاله لا من رجالهم وشيء اخر وهو انه انما قصد ولده
خاصة لا ولد ولده لقوله وخاتم النبيين الا ترى ان الحسن والحسين قد
عاشا الى ان نيف احدهما على الاربعين والاخر على الخمسين قرئ ولكن
رسول الله بالنصب عطفا على ابا احد وبالرفع على ولكن هو رسول الله
ولكن بالتشديد على حذف الخبر تقديره ولكن رسول الله من عرفتموه اي
لم يعش له ولد ذكر وخاتم بفتح التاء بمعنى الطابع وبكسرها بمعنى الطابع
وفاعل الختم وتقويه قراءة ابن مسعود ولكن نبيا ختم النبيين فان قلت
كيف كان اخر الانبياء وعيسى ينزل في اخر الزمان قلت معنى كونه
اخر الانبياء انه لا ينبأ احد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل ينزل عاملا
على شريعة محمد مصليا الى قبلته كانه بعض امته وكان الله بكل شيء عليما
يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا اذكروا
الله اثنوا عليه بضروب الثناء من التقديس والتحميد والتهليل والتكبير

نقولهم
في
ولكن كان رسول الله
ينزل

الاوقات

وما هو اهله واكثروا ذلك بكرة واصيلا اي في كافة الاوقات قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذكر الله على فم كل مسلم وروي في قلب كل مسلم وعن قتادة
قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله
وعن مجاهد هذه كلمات يقولها الطاهر والجنب والغسلان اعني اذكروا
وسبحوه موجهان الى البكرة والاصيل كقولك صم وصل يوم الجمعة والتسبيح
من جملة الذكر وانما اختصه من بين انواعه اختصاص جبريل وميكائيل من بين
الملائكة ليبين فضله على سائر الاذكار لان معناه تنزيه ذاته عما لا يجوز
عليه من الصفات والافعال وتبرئته من القبائح ومثال فضله على غيره من
الاذكار فضل وصف العبد بالنزاهة من ادناس المعاصي والطهر من
ارجاس المآثم على سائر اوصافه من كثرة الصلاة والصيام والتوفر
على الطاعات كلها والاشتمال على العلوم والاشتهار بالفضائل ويجوز ان
يريد بالذكر واكثاره تكثير الطاعات والاقبال على العبادات فان كل
طاعة وكل خير من جملة الذكر ثم خص من ذلك التسبيح بكرة واصيلا وهي
الصلاة في جميع اوقاتها لفضل الصلاة على غيرها او صلاة الفجر والعشائين
لان اداءها اشق ومراعاتها اشد هو الذي يصلي عليكم وملائكته لما كان
من شان المصلي ان ينعطف في ركوعه وسجوده استعير لمن ينعطف
على غيره حنوا عليه وترؤفا كعائد المريض في انعطافه عليه والمراة في حنوها
على ولدها ثم كثر حتى استعمل في الرحمة والترؤف ومنه قولهم صلى الله عليك
اي ترحم عليك وترأف فان قلت قوله هو الذي يصلي عليكم ان فسرته
بيترحم عليكم ويترأف فما تصنع بقوله وملائكته وما معنى صلاتهم
قلت هي قولهم اللهم صل على المومنين جعلوا لكونهم مستجابي الدعوة
كانهم فاعلون الرحمة والرافة ونظيره قولك حياك الله اي احياك
وابقاك وحييتك اي دعوت لك بان يحييك الله لانك لاتكالك
على اجابة دعوتك كانك تبقيه على الحقيقة وكذلك عمرك الله وسقاك الله
وسقيتك وعليه قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها
الذين امنوا صلوا عليه اي ادعوا الله بان يصلي عليه والمعنى هو الذي
يترحم عليكم ويترأف حيث يدعوكم الى الخير ويامركم باكثار الذكر والتوفر
على الصلاة والطاعة ليخرجكم من الظلمات الى النور ليخرجكم من ظلمات
المعصية الى نور الطاعة وكان بالمومنين رحيما دليل على ان المراد بالصلاة
الرحمة ويروى انه لما نزل قوله ان الله وملائكته يصلون على النبي قال
ابو بكر ما خصك الله يا رسول الله بشرف الا وقد اشركنا فيه فانزلت
تحيتهم يوم يلقونه سلام واعد لهم اجرا كريما تحيتهم من اضافة المصدر
الى المفعول اي يحيون يوم لقائه بسلام فيجوز ان يعظمهم الله تعالى
بسلامه عليهم كما يفعل بهم سائر انواع التعظيم وان يكون مثلا كاللقاء
على ما فسرنا وقيل هو سلام ملك الموت والملائكة معه عليهم وبشارتهم
بالجنة وقيل سلام الملائكة عند الخروج من القبور وقيل عند دخول
الجنة كما قال والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم والاجر الكريم
الجنة يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله
باذنه وسراجا منيرا وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا شاهدا
على من بعثت اليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم اي مقبولا قولك عند الله
لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل في الحكم فان قلت

وعمرتك

فكيف

فكيف كان شاهدا وقت الارسال وانما يكون شاهدا عند تحمل الشهادة
او عند ادائها قلت هي حال مقدرة كمسالة الكتاب مررت برجل معه صقر
صائدا به غدا اي مقدرا به الصيد غدا فان قلت قد فهم من قوله انا
ارسلناك داعيا انه ماذون له في الدعاء فما فائدة قوله باذنه قلت
لم يرد به حقيقة الاذن وانما جعل الاذن مستعارا للتسهيل والتيسير لان
الدخول في حق المالك متعذر فاذا صودف الاذن تسهل وتيسر فلما كان
الاذن تسهيلا لما تعذر من ذلك وضع موضعه وذلك ان دعاء اهل الشرك
والجاهلية الى التوحيد امر في غاية الصعوبة والتعذر فقيل باذنه للايذان
بان الامر صعب لا يتاتى ولا يستطاع الا اذا سهله الله ويسره ومنه قولهم
في الشحيح انه غير ماذون له في الانفاق اي غير مسهل له الانفاق لكونه شاقا
عليه داخلا في حد التعذر جلى به الله ظلمات الشرك واهتدى به الضالون
كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به او امد الله بنور نبوته البصائر
كما يمد بنور السراج الابصار ووصفه بالانارة لان من السراج ما لا يضيء اذا قل
سليطه ودقت فتيلته وفي كلام بعضهم ثلاثة تضني رسول بطيء وسراج
لا يضيء ومائدة ينتظر لها من يجيء وسئل بعضهم عن الموحشين فقال ظلام
ساتر وسراج فاتر وقيل وذا سراجا منيرا او وتاليا سراجا منيرا ويجوز
على هذا التفسير ان يعطف على كاف ارسلناك الفضل ما يتفضل به زيادة
على الثواب واذا ذكر المتفضل به وكبره فما ظنك بالثواب ويجوز ان يريد بالفضل
الثواب من قولهم للعطايا فضول وفواضل وان يريد ان لهم فضلا كبيرا
على سائر الامم وذلك الفضل من جهة الله وانه اتاهم ما فضلوهم به ولا تطع
الكافرين والمنافقين معناه الدوام والثبات على ما كان عليه او التهييج ودع
اذاهم يحتمل اضافته الى الفاعل والمفعول يعني ودع ان تؤذيهم بضرب
او قتل وخذ بظاهرهم وحسابهم على الله في باطنهم او ودع ما يؤذونك
به ولا تجازهم عليه حتى تؤمر وعن ابن عباس هي منسوخة باية السيف وتوكل
على الله فانه يكفيهم وكفى بالله وكيلا وكفى به مفوضا اليه وقيل انه لما وصفه
بخمسة اوصاف قابل كلا منها بخطاب مناسب له قابل الشاهد بقوله
وبشر المومنين لانه يكون شاهدا على امته وهم يكونون شهداء على سائر
الامم وهو الفضل الكبير والمبشر بالاعراض عن الكافرين والمنافقين
لانه اذا اعرض عنهم اقبل جميع اقباله على المومنين وهو مناسب للبشارة
والنذير بدع اذاهم لانه اذا ترك اذاهم في الحاضر والاذى لا بد له من عقاب
عاجل او اجل كانوا منذرين به في المستقبل والداعي الى الله بتيسيره
لقوله وتوكل على الله لان من توكل على الله يسر عليه كل عسير والسراج
المنير بالاكتفاء به وكيلا لان من اناره الله برهانا على جميع خلقه كان جديرا
بان يكتفي به عن جميع خلقه يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المومنات النكاح
الوطء وتسميته للعقد نكاحا لملابسته له من حيث انه طريق اليه ونظيره
تسميتهم الخمر اثما لانها سبب في اقتراف الاثم ونحوه في علم البيان قول الراجز
اسنمة الابال في سحابه ... الا ان
لا ... ولم يرد لفظ النكاح في كتاب
الله الا في معنى العقد لانه في معنى الوطء من باب التصريح به ومن اداب
القران الكناية عنه بلفظ الملامسة والمماسة والقربان والتغشي والاتيان
فان قلت لم خص المومنات والحكم الذي نطقت به الاية يستوي

والشرائع

السراج نور

عليهم

فيه المومنات والكتابيات قلت في اختصاصهن تنبيه على ان اصل
امر المومن والاولى به ان يتخير لنطفته وان لا ينكح الا مومنة عفيفة ويتنزه
عن مزاوجة الفواسق فما بال الكوافر ويستنكف ان يدخل تحت لحاف واحد
عدوة الله ووليه فالتي في سورة المايدة تعليم ما هو جايز غير محرم من
نكاح المحصنات من الذين اوتوا الكتاب وهذه فيها تعليم ما هو الاولى
بالمومن من نكاح المومنات فان قلت ما فايدة ثم في قوله ثم طلقتموهن
من قبل ان تمسوهن قلت فايدته نفي التوهم عمن عسى يتوهم تفاوت
الحكم بين ان يطلقها وهي قريبة العهد من النكاح وبين ان يبعد عهدها
بالنكاح وتتراخى بها المدة في حبالة الزوج ثم يطلقها فان قلت اذا
خلا بها خلوة يمكنه معها المساس هل يقوم ذلك مقام المساس قلت
نعم عند ابي حنيفة واصحابه حكم الخلوة الصحيحة حكم المساس وقوله
فما لكم عليهن من عدة تعتدونها دليل على ان العدة حق واجب على النساء
للرجال تعتدونها تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها
كقولك كلته فاكتاله ووزنته فاتزنه وقرئ تعتدونها مخففا اي
تعتدون فيها كقوله ويوم شهدناه ... والمراد بالاعتداء
ما في قوله ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا فمتعوهن فان قلت ما هذا
التمتيع اواجب ام مندوب اليه قلت ان كانت غير مفروض لها كانت
المتعة واجبة ولا تجب المتعة عند ابي حنيفة رحمه الله الا لها وحدها
دون ساير المطلقات وان كانت مفروضا لها فالمتعة مختلف فيها فبعض
على الندب والاستحباب ومنهم ابو حنيفة وبعض على الوجوب وسرحوهن
سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع واجب يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك
اللاتي اتيت اجورهن وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك وبنات عمك
وبنات خالك اللاتي هاجرن معك اجورهن مهورهن لان المهر اجر على
البضع وايتاوها اعطاوها عاجلا او اما فرضها وتسميتها في العقد فان
قلت لم قال اللاتي اتيت اجورهن ومما افاء الله عليك واللاتي
هاجرن معك وما فايدة هذه التخصيصات قلت قد اختار الله
لرسوله الافضل الاولى واستحبه بالاطيب الازكى كما اختصه بغيرها
من الخصايص واثره بما سواها من الاثرة وذلك ان تسمية المهر في العقد
اولى وافضل من ترك التسمية وان وقع العقد جايزا وله ان يماسها
وعليه مهر المثل ان دخل بها والمتعة ان لم يدخل بها وسوق المهر اليها
عاجلا افضل من ان يسميه ويوجله وكان التعجيل ديدن السلف وسنتهم
وما لا يعرف بينهم غيره وكذلك الجارية اذا كانت سبية مالكها وخطبة
سيفه ورمحه ومما غنمه الله من دار الحرب احل واطيب مما يشترى
من شق الجلب والسبي على ضربين سبي طيبة وسبي خبيثة فسبي
الطيبة ما سبي من اهل الحرب واما من كان له عهد فالمسبي منهم سبي
خبيثة ويدل عليه قوله تعالى مما افاء الله عليك لان فيء الله لا يطلق
الا على الطيب دون الخبيث كما ان رزق الله يجب اطلاقه على الحلال
دون الحرام وكذلك اللاتي هاجرن مع رسول الله من قرايبه غير
المحارم افضل من غير المهاجرات معه وعن ام هاني بنت ابي طالب
خطبني رسول الله فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله هذه الاية
فلم احل له لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء وامراة مومنة ان وهبت

نفسها

نفسها للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها اي واحللنا لك من وقع لها ان تهب
لك نفسها ولا تطلب مهرا من النساء المومنات ان اتفق ذلك ولذلك نكرها
واختلف في اتفاق ذلك فعن ابن عباس لم يكن عند رسول الله احد منهن
بالهبة وقيل الموهوبات اربع ميمونة بنت الحرث وزينب بنت خزيمة
ام المساكين الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وقرئ ان
وهبت على الشرط وقرا الحسن ان بالفتح على التعليل بتقدير حذف اللام ويجوز
ان يكون مصدرا محذوفا معه الزمان كقولك اجلس ما دام زيد جالسا بمعنى
وقت دوامه جالسا ووقت هبتها نفسها وقرا ابن مسعود بغير ان
فان قلت ما معنى الشرط الثاني مع الاول قلت هو تقييد له شرط
في الاحلال هبتها نفسها وفي الهبة ارادة استنكاح رسول الله فانه قال احللنا
لك ان وهبت لك نفسها وانت تريد ان تستنكحها لان ارادته هي قبول الهبة
وما به تتم فان قلت لم عدل عن الخطاب الى الغيبة في قوله نفسها للنبي
ان اراد النبي ثم رجع الى الخطاب قلت للايذان بانه مما خص به واوثر
ومجيئه على لفظ النبي للدلالة على ان الاختصاص تكرمة لاجل النبوة وتكريره
تفخيم له وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوته واستنكاحها طلب نكاحها والرغبة
فيه وقد استشهد به ابو حنيفة رحمه الله على جواز عقد النكاح بلفظ الهبة
لان رسول الله وامته سواء في الاحكام الا فيما خصه الدليل وقال الشافعي
لا يصح وقد خص رسول الله بمعنى الهبة ولفظها جميعا لان اللفظ تابع
للمعنى والمدعي للاشتراك في اللفظ يحتاج الى دليل وقال ابو الحسن الكرخي
ان عقد النكاح بلفظ الاجارة جايز لقوله اللاتي اتيت اجورهن وقال ابو
بكر الرازي لا يصح لان الاجارة عقد موقت وعقد النكاح مويد فهما متنافيان
خالصة لك من دون المومنين خالصة مصدر موكد كوعد الله وصبغة
الله اي خلص لك احلال ما احللنا لك خالصة بمعنى خلوصا والفاعل والفاعلة
في المصادر غير عزيزين كالخارج والقاعد والعافية والكاذبة والدليل
على انها وردت في اثر الاحلالات الاربع مخصوصة برسول الله على سبيل
التوكيد لها قوله قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم وما ملكت ايمانهم بعد
قوله من دون المومنين وهي جملة اعتراضية وقوله لكيلا يكون عليك حرج
٣ ان الله — متصل بخالصة لك من دون المومنين ومعنى هذه الجملة الاعتراضية قد علم
ما يجب فرضه على المومنين في الازواج والاماء وعلى اي حد وصفة يجب
ان يفرض عليهم ففرضه وعلم المصلحة في اختصاص رسول الله بما اختصه
به ففعل ومعنى لكيلا يكون عليك حرج لئلا يكون عليك ضيق في دينك
حيث اختصصناك بالتنزيه واختيار ما هو اولى وافضل وفي دنياك حيث
احللنا لك اجناس المنكوحات وزدنا لك الواهبة نفسها وقرئ خالصة بالرفع
اي ذاك خلوص لك وخصوص من دون المومنين ومن جعل خالصة نعت
للمراة فعلى مذهبه هذه المراة خالصة لك من دونهم وكان الله غفورا للواقع
في الحرج اذا تاب رحيما بالتوسعة على عباده روي ان امهات المومنين حين
تغايرن وابتغين زيادة النفقة وغظن رسول الله هجرهن شهرا ونزل
التخيير فاشفقن ان يطلقهن فقلن يا رسول الله افرض لنا من نفسك ومالك
يا رسول الله — ما شيت وروي ان عايشة قالت اني ارى ربك يسارع في هواك ترجي من
تشاء منهن وتووي اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك
ترجي بهمز وغير همز تؤخر وتووي تضم يعني تترك مضاجعة من تشاء

منهن وتضاجع من تشاء او تطلق من تشاء وتمسك من تشاء او لا تقسم لايتهن
شيت وتقسم لمن شيت او تترك تزوج من شيت من نساء امتك وتتزوج
من شيت وعن الحسن كان النبي صلي الله عليه وسلم اذا خطب امراة لم يكن لاحد
ان يخطبها حتي يدعها وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لانه اما ان يطلق واما
ان يمسك فاذا امسك ضاجع او ترك وقسم او لم يقسم واذا طلق وعزل فاما
ان يخلي المعزولة لا يبتغيها او يبتغيها روي انه ارجي منهن سودة وجويرة
وصفية وميمونة وام حبيبة فكان يقسم لهن ما شاء وكانت ممن اوي اليه
عايشة وحفصة وام سلمة وزينب ارجي خمسا واوي اربعا وروي
انه كان يسوي مع ما اطلق له وخير فيه الا سودة فانها وهبت ليلتها لعايشة
وقالت لا تطلقني حتي احشر في زمرة نسايك ذلك التفويض الي مشيتك
ادني ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما اتيتهن كلهن ادني الي قرة عيونهن
وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لانه اذا سوي بينهن في الايواء والارجاء
والعزل والابتغاء وارتفع التفاضل ولم يكن لاحديهن مما تريد ومما لا تريد
الا مثل ما للاخري وعلمن ان هذا التفويض من عند الله وبوحيه اطمانت نفوسهن
وذهب التنافس والتغاير وحصل الرضا وقرت العيون وسلت القلوب
والله يعلم ما في قلوبكم فيه وعيد لمن لم ترض منهن بما دبر الله من ذلك وفوض
الي مشية رسوله وبعث علي تواطي قلوبهن والتصافي بينهن والتوافق
علي طلب رضاء رسول الله وما فيه طيب نفسه وقري تقر اعينهن بضم
التاء ونصب الاعين وتقر اعينهن علي البناء للمفعول وكان الله عليما بذات
الصدور حليما لا يعاجل بالعقاب فهو حقيق بان يتقي ويحذر كلهن تاكيد
لنون يرضين وقرا ابن مسعود ويرضين كلهن بما اتيتهن علي التقديم وقري
كلهن تاكيد لهن في اتيتهن لا تحل وقري بالتذكير لان تانيث الجمع غير حقيقي
واذا جاز بغير فصل في قوله وقال نسوة كان مع الفصل اجوز لك النساء من
بعد من بعد التسع لان التسع نصاب رسول الله من الازواج كما ان الاربع نصاب
امته منهن فلا يحل له ان يتجاوز النصاب ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك
حسنهن الا ما ملكت يمينك ولا ان تستبدل بهولاء التسع ازواجا اخر بكلهن
او بعضهن اراد الله لهن كرامة وجزاء علي ما اخترن ورضين فقصر رسول
الله عليهن وهي التسع اللاتي مات عنهن عايشة بنت ابي بكر حفصة
بنت عمر ام حبيبة بنت ابي سفيان سودة بنت زمعة ام سلمة بنت
ابي امية صفية بنت حيي الخيبرية ميمونة بنت الحرث الهلالية زينب
بنت جحش الاسدية جويرية بنت الحرث المصطلقية ومن في من ازواج
لتاكيد النفي وفايدته استغراق جنس الازواج بالتحريم وقيل معناه
لا تحل لك النساء من بعد النساء اللاتي نص احلالهن لك من الاجناس الاربعة
من الاعرابيات والغرايب او من الكتابيات او من الاماء بالنكاح وقيل
في تحريم التبدل هو من البدل الذي كان في الجاهلية كان يقول الرجل للرجل
بادلني بامراتك وابادلك بامراتي فينزل كل واحد منهما عن امراته لصاحبه
ويحكي ان عيينة بن حصن دخل علي النبي صلي الله عليه وسلم وعنده عايشة
من غير استيذان فقال رسول الله يا عيينة اين الاستيذان فقال يا رسول
الله ما استاذنت علي رجل قط ممن مضي منذ ادركت ثم قال من هذه الجميلة
الي جنبك فقال عليه السلام هذه عايشة ام المومنين قال عيينة افلا
انزل لك عن احسن الخلق فقال صلي الله عليه وسلم ان الله تعالي قد حرم

ذلك

ذلك فلما خرج قالت عايشة من هذا يا رسول الله قال احمق مطاع وانه
علي ما ترين لسيد قومه وعن عايشة رضي الله عنها ما مات رسول الله حتي
احل له النساء تعني ان الاية قد نسخت ولا يخلو نسخها اما ان يكون بالسنة
واما بقوله انا احللنا لك ازواجك وترتيب النزول ليس علي ترتيب المصحف
ولو اعجبك في موضع الحال من الفاعل وهو الضمير في تبدل لا من المفعول
الذي هو من ازواج لانه موغل في التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن
وقيل انها بنت عميس الخثعمية امراة جعفر بن ابي طالب والمراد انها ممن
اعجبه حسنهن واستثني ممن حرم عليه الاماء وكان الله علي كل شي رقيبا
حافظا مهيمنا وهو تحذير عن مجاوزة حدوده وتخطي حلاله الي حرامه
يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يوذن لكم ان يوذن لكم في معني
الظرف تقديره في وقت ان يوذن لكم الي طعام غير ناظرين اناه حال من لا
تدخلوا وقع الاستثناء علي الوقت والحال معا كانه قيل لا تدخلوا بيوت
النبي الا وقت الاذن ولا تدخلوها الا غير ناظرين وهولاء قوم كانوا يتحينون
طعام رسول الله فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه ومعناه لا تدخلوا
يا هولاء المتحينون للطعام الا ان يوذن لكم الي طعام غير ناظرين اناه والا
فلو لم يكن لهولاء خصوصا لما جاز لاحد ان يدخل بيوت النبي الا ان يوذن
له اذنا خاصا وهو الاذن الي الطعام فحسب وعن ابن ابي عبلة انه قرا
غير ناظرين مجرورا صفة لطعام وليس بالوجه لانه جري علي غير ما هو له
فمن حق ضمير ما هو له ان يبرز الي اللفظ فيقال غير ناظرين اناه انتم كقوله
هند زيد ضاربته هي والي الطعام ادراكه يقال اني الطعام اني كقولك
قلاه قلي ومنه قوله وبين حميم ان بالغ اناه وقيل اناه وقته اي غير
ناظرين وقت الطعام وساعة اكله ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم
فانتشروا وروي ان رسول الله اولم علي زينب بتمر وسويق وشاة
وامر انسا ان يدعو بالناس فترادفوا افواجا ياكل فوج فيخرج ثم يدخل فوج
الي ان قال يا رسول الله دعوت حتي ما اجد احدا ادعوه فقال ارفعوا طعامكم
وتفرق الناس وبقي ثلاثة نفر يتحدثون فاطالوا فقام رسول الله ليخرجوا
فانطلق الي حجرة عايشة فقال السلام عليكم اهل البيت فقالوا وعليك السلام
يا رسول الله كيف وجدت اهلك وطاف بالحجرات فسلم عليهن ودعون
له ورجع فاذا الثلاثة جلوس وكان رسول الله شديد الحياء فتولي فلما
راوه متوليا خرجوا فرجع ونزلت ولا مستانسين لحديث نهوا ان يطيلوا
الجلوس يستانس بعضهم ببعض لاجل حديث يحدثه به او عن ان يستانسوا
حديث اهل البيت واستيناسه تسمعه وتوجسه وهو مجرور معطوف
علي ناظرين وقيل هو منصوب علي ولا تدخلوها مستانسين لا بد في قوله
فيستحيي منكم من تقدير المضاف اي من اخراجكم بدليل قوله والله لا يستحيي
من الحق يعني ان اخراجكم حق ما ينبغي ان يستحيي منه ولما كان الحياء مما
يمنع الحيي من بعض الافعال قيل له لا يستحيي من الحق بمعني لا يمتنع منه
ولا يتركه ترك الحيي منكم وهذا ادب ادب الله به الثقلاء وعن عايشة رضي
الله عنها حسبك في الثقلاء ان الله تعالي لم يحتملهم وقال فاذا طعمتم فانتشروا
وقري لا يستحي بياء واحدة الضمير في واذا سالتموهن لنساء النبي صلي
الله عليه وسلم ولم يذكرن لان الحال ناطقة بذكرهن متاعا حاجة فاسالوهن
المتاع من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن قيل ان عمر رضي الله عنه

يتحدثون

ان ذلكم كان يوذي النبي فيستحيي
منكم والله لا يستحيي من الحق

كان يحب ضرب الحجاب عليهن محبة شديدة وكان يذكره كثيرا ويود ان ينزل
فيه وكان يقول لو اطاع فيكن ما رأتكن عين وقال يا رسول الله يدخل عليك
البر والفاجر فلو امرت امهات المومنين بالحجاب فنزلت وروي انه مر عليهن
وهن مع النساء في المسجد فقال لئن احتجبتن فان لكن على النساء فضلا كما ان
لزوجكن على الرجال الفضل فقالت زينب يا ابن الخطاب انك لتغار علينا
والوحي ينزل في بيوتنا فلم يلبثوا الا يسيرا حتى نزلت وقيل ان رسول الله
كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل منهم يد عايشة فكره النبي
عليه السلام ذلك فنزلت اية الحجاب وذكر ان بعضهم قال انُنهى ان نكلم
بنات عمنا الا من وراء حجاب لئن مات محمد لاتزوجن فلانة فاعلم الله ان
ذلك محرم وما كان لكم ان توذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده
ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما وما كان لكم وما صح لكم ايذاء رسول الله
ولا نكاح ازواجه من بعده وسمى نكاحهن بعده عظيما عنده وهو من اعلام
تعظيم الله لرسوله وايجاب حرمته حيا وميتا واعلامه بذلك مما طيب به
نفسه وسر قلبه واستغزر شكره فان نحو هذا مما يحدث به الرجل نفسه
ولا يخلي منه فكره ومن الناس من تفرط غيرته على حرمته حتى يتمنى لها الموت
لئلا تنكح من بعده وعن بعض الفتيان انه كانت له جارية لا يرى الدنيا
بها شغفا واستهتارا فنظر اليها ذات يوم فتنفس الصعداء وانتحب
فعلا نحيبه مما ذهب به فكره هذا المذهب فلم يزل به ذلك حتى قتلها
تصورا لما عسى يتفق من بقائها بعده وحصولها تحت يد غيره وعن بعض
الفقهاء ان الزوج الثاني في هدم الثلاث يجري مجرى العقوبة فصين رسول
الله عما يلاحظ ذلك ان تبدوا شيئا من نكاحهن على السنتكم او تخفوه
في صدوركم فان الله كان بكل شيء عليما فان الله يعلم ذلك فيعاقبكم به وانما
جاء به على اثر ذلك عاما لكل باد وخاف ليدخل تحته نكاحهن وغيره ولانه على
هذه الطريقة اهول واجزل لا جناح عليهن في ابائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن
ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت ايمانهن روي
انه لما نزلت اية الحجاب قال الاباء والابناء والاقارب يا رسول الله او
نحن ايضا نكلمهن من وراء حجاب فنزلت لا جناح عليهن اي لا اثم عليهن
في ان لا يحتجبن من هولاء ولم يذكر العم والخال لانهما يجريان مجرى الوالدين
وقد جاءت تسمية العم ابا قال الله تعالى واله ابائك ابراهيم واسمعيل
واسحق واسمعيل عم يعقوب وقيل كره ترك الاحتجاب عنهما لانهما
يصفانها لابنائهما وابناؤهما غير محارم ثم نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب
وفي هذا النقل ما يدل على فضل تشديد فقيل واتقين الله فيما امرتن
به من الاحتجاب وانزل فيه الوحي من الاستتار واحتفظن فيه وفيما استثنى
منه ما قدرتن واحفظن حدودها واسلكن طريقة التقوى في حفظهما
وليكن عملكن في الحجب احسن مما كان وانتن غير محجبات ليفضل سركن علنكن
ان الله كان على كل شيء من السر والعلن وظاهر الحجاب وباطنه شهيدا
لا يتفاوت في علمه الاحوال ان الله وملايكته يصلون على النبي قرئ وملايكته
بالرفع عطفا على محل ان واسمها وهو ظاهر على مذهب الكوفيين ووجهه
عند البصريين ان يحذف الخبر لدلالة يصلون عليه يا ايها الذين امنوا
صلوا عليه وسلموا تسليما اي قولوا الصلاة على الرسول والسلام ومعناه
الدعاء بان يترحم عليه الله ويسلم فان قلت الصلاة على رسول

تحته

الله واجبة ام مندوب اليها قلت بل واجبة وقد اختلفوا في حال
وجوبها فمنهم من اوجبها كلما جرى ذكره وفي الحديث من ذكرت عنده فلم
يصل علي فابعده الله ويروى انه قيل يا رسول الله ارايت قول الله تعالى
ان الله وملايكته يصلون على النبي فقال عليه السلام هذا من العلم المكنون
ولولا انكم سالتموني عنه ما اخبرتكم به ان الله وكل بي ملكين فلا اذكر عند
عبد مسلم فيصلي الا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله وملايكته
جوابا لذينك الملكين امين ولا اذكر عند عبد مسلم فلا يصلي علي الا قال ذانك
الملكان لا غفر الله لك وقال الله وملايكته لذينك الملكين امين ومنهم
من قال تجب في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره كما قيل في اية السجدة وتشميت
العاطس وكذلك في كل دعاء في اوله واخره ومنهم من اوجبها في العمر مرة وكذلك
قال في اظهار الشهادتين والذي يقتضيه الاحتياط الصلاة عليه عند
كل ذكر لما ورد من الاخبار فان قلت فالصلاة عليه في الصلاة اهي شرط
في جوازها ام لا قلت ابو حنيفة رحمه الله واصحابه لا يرونها شرطا وعن
ابراهيم النخعي كانوا يكتفون عن ذلك يعني الصحابة بالتشهد وهو السلام
عليك ايها النبي واما الشافعي رحمه الله فقد جعلها شرطا فان قلت
فما تقول في الصلاة على غيره قلت القياس جواز الصلاة على كل مومن
لقوله هو الذي يصلي عليكم وقوله وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم
وقوله عليه السلام اللهم صل على ال ابي اوفى ولكن للعلماء تفصيلا في ذلك
وهو انها ان كانت على سبيل التبع كقولك صلى الله على النبي واله فلا كلام
فيها واما اذا افرد غيره من اهل البيت بالصلاة كما يفرد هو فمكروه لان
ذلك صار شعارا لذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولانه يودي الى الاتهام
بالرفض وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يومن بالله واليوم الاخر
فلا يقفن مواقف التهم ان الذين يوذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا
والاخرة واعد لهم عذابا مهينا يوذون الله ورسوله فيه وجهان احدهما
ان يعبر بايذائهما عن فعل ما يكرهانه ولا يرضيانه من الكفر والمعاصي
وانكار النبوة ومخالفة الشريعة وما كانوا يصيبون به رسول الله من
انواع المكروه على سبيل المجاز وانما جعلته مجازا فيهما جميعا وحقيقة
الايذاء صحيحة في رسول الله لئلا اجعل العبارة الواحدة معطية معنى
المجاز والحقيقة والثاني ان يراد يوذون رسول الله وقيل في اذى
الله هو قول اليهود والنصارى والمشركين يد الله مغلولة وثالث ثلاثة
والمسيح ابن الله والملايكة بنات الله والاصنام شركاوه وقيل قول
الذين يلحدون في اسمايه وصفاته وعن رسول الله فيما حكى عن ربه
شتمني ابن ادم ولم ينبغ له ان يشتمني واذاني ولم ينبغ له ان يوذيني فاما
شتمه اياي فقوله اني اتخذت ولدا واما اذاه فقوله ان الله لا يعيدني
بعد ان بداني وعن عكرمة فعل اصحاب التصاوير الذين يرومون تكوين
خلق مثل خلق الله وقيل في اذى رسول الله قولهم ساحر شاعر
كاهن مجنون وقيل كسر رباعيته وشج وجهه يوم احد وقيل
طعنهم عليه في نكاح صفية بنت حيي والذين يوذون المومنين
والمومنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا واطلق ايذاء
الله ورسوله وقيد ايذاء المومنين والمومنات لان اذى الله ورسوله
لا يكون الا غير حق ابدا واما اذى المومنين والمومنات فمنه ومنه ومعنى

لعنهم الله

بغير ما اكتسبوا بغير جناية واستحقاق للاذى وقيل نزلت في ناس
من المنافقين يؤذون عليا رضي الله عنه ويسمعونه وقيل في الذين
افكوا على عايشة وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات وعن
الفضيل لا يحل لك ان تؤذي كلبا او خنزيرا بغير حق فكيف وكان ابن عون
لا يكري الحوانيت الا من اهل الذمة لما فيه من الروعة عند كر الحول
يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المومنين يدنين عليهن من
جلابيبهن الجلباب ثوب واسع اوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المراة على
راسها وتبقي منه ما ترسله على صدرها وعن ابن عباس الرداء الذي يستر
من فوق الى اسفل وقيل الملحفة وكل ما يتستر به من كساء او غيره قال
ابو زبيد ... مجلبب من سواد الليل جلبابا ... ومعنى يدنين
عليهن من جلابيبهن يرخينها عليهن ويغطين بها وجوههن واعطافهن يقال
اذا زل الثوب عن وجه المراة ادني ثوبك على وجهك وذلك ان النساء كن
في اول الاسلام على هجيراهن في الجاهلية متبذلات تبرز المراة في درع وخمار
لا فصل بين الحرة والامة وكان الفتيان واهل الشطارة يتعرضون اذا خرجن
بالليل الى مقاضي حوايجهن في النخيل والغيطان للاماء وربما تعرضوا للحرة بعلة
الامة يقولون حسبناها امة فامرن ان يخالفن بزيهن عن زي الاماء بلبس
الاردية والملاحف وستر الرؤس والوجوه ليحتشمن ويهبن فلا يطمع
فيهن طامع وذلك قوله ذلك ادنى ان يعرفن اي اولى واجدر بان يعرفن
فلا يوذين فلا يتعرض لهن ولا يلقين ما يكرهن فان قلت ما معنى
من في من جلابيبهن قلت هو للتبعيض الا ان معنى التبعيض محتمل وجهين
احدهما ان يتجلببن ببعض ما لهن والمراد ان لا تكون المراة متبذلة في درع من الجلابيب
وخمار كالامة والماهنة ولها جلبابان فصاعدا في بيتها والثاني ان
ترخي المراة بعض جلبابها وفضله على وجهها تتقنع حتى تتميز من الامة
وعن ابن سيرين سالت عبيدة السلماني عن ذلك فقال ان تضع رداءها
فوق الحاجب ثم تديره حتى تضعه على انفها وعن السدي ان تغطي احدى
عينيها ووجهها والشق الاخر الا العين وعن الكسائي يتقنعن بملاحفهن جبهتها
منضمة عليهن اراد بالانضمام معنى الادناء وكان الله غفورا لما سلف
منهن من التفريط مع التوبة لان هذا مما يمكن معرفته بالعقل رحيما لين لم
ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك
بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا الذين في قلوبهم مرض قوم كان فيهم
ضعف ايمان وقلة ثبات عليه وقيل هم الزناة واهل الفجور من قوله
تعالى فيطمع الذي في قلبه مرض والمرجفون ناس كانوا يرجفون باخبار السوء
عن سرايا رسول الله فيقولون هزموا وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت
فيكسرون بذلك قلوب المومنين يقال ارجف بكذا اذا اخبر به على غير حقيقة
لكونه خبرا متزلزلا غير ثابت من الرجفة وهي الزلزلة والمعنى لين لم ينته
المنافقون عن عداوتهم وكيدهم والفسقة عن فجورهم والمرجفون عما يولفون
من اخبار السوء لنامرنك بان تفعل بهم الافاعيل التي تسوؤهم وتنوءهم ثم بان
تضطرهم الى طلب الجلاء عن المدينة وان لا يساكنوك فيها الا زمنا قليلا
ريثما يرتحلون ويتلقطون انفسهم وعيالاتهم فسمي ذلك اغراء وهو
التحريش على سبيل المجاز ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا ملعونين
نصب على الشتم او الحال اي لا يجاورونك الا ملعونين دخل حرف الاستثناء

علي

على الظرف والحال معا كما مر في قوله الا ان يوذن لكم غير ناظرين ولا يصح
ان ينتصب عن اخذوا لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها وقيل في قليلا
هو منصوب على الحال ايضا ومعناه لا يجاورونك الا اقلاء اذلاء ملعونين
فان قلت ما موقع لا يجاورونك قلت لا يجاورونك عطف على
لنغرينك لانه يجوز ان يجاب به القسم الا ترى الى صحة قولك لين لم ينتهوا لا
يجاورونك فان قلت اما كان من حق لا يجاورونك ان يعطف بالفاء وان
يقال لنغرينك بهم فلا يجاورونك قلت لو جعل الثاني مسببا عن الاول
لكان الامر كما قلت ولكنه جعل جوابا اخر للقسم معطوفا على الاول وانما عطف
بثم لان الجلاء عن الاوطان كان اعظم عليهم واعظم من جميع ما اصيبوا به فتراخت
حاله عن حال المعطوف عليه سنة الله في موضع مصدر موكد اي سن
الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا في الذين ينافقون
الانبياء ان يقتلوا حيثما ثقفوا وعن مقاتل يعني كما قتل اهل بدر واسروا
يسالك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة
تكون قريبا كان المشركون يسالون رسول الله عن وقت قيام الساعة استعجالا
على سبيل الهزء واليهود يسالونه امتحانا لان الله تعالى عمى وقتها في التوراة
وفي كل كتاب فامر رسول الله ان يجيبهم بانه علم قد استاثر الله به ولم يطلع
عليه ملكا ولا نبيا ثم بين لرسوله انها قريبة الوقوع تهديدا للمستعجلين واسكاتا
للممتحنين قريبا شيئا قريبا او لان الساعة في معنى اليوم او في زمان قريب
ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا
ولا نصيرا يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا
الرسولا وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا
السعير النار المسعورة الشديدة الاتقاد وقرئ تقلب على البناء للمفعول
وتقلب بمعنى تتقلب ونقلب اي نقلب نحن وتقلب على ان الفعل للسعير
ومعنى تقليبها تصريفها في الجهات كما ترى البضعة تدور في القدر اذا
غلت فترامى بها الغليان من جهة الى جهة او تغييرها عن احوالها وتحويلها
عن هيئاتها او طرحها في النار مقلوبين منكوسين وخصت الوجوه بالذكر لان
الوجه اكرم موضع على الانسان من جسده ويجوز ان يكون الوجه عبارة
عن الجملة وناصب الظرف يقولون او محذوف وهو اذكر واذا نصب
بالمحذوف كان يقولون حالا وقرئ سادتنا وساداتنا وهم رؤساء
الكفر الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم يقال ضل السبيل واضله اياه
وزيادة الالف لاطلاق الصوت جعلت فواصل الاي كقوافي الشعر وفايدتها
الوقف والدلالة على ان الكلام قد انقطع وان ما بعده مستانف ربنا اتهم ضعفين
من العذاب والعنهم لعنا كبيرا وقرئ كثيرا تكثيرا لاعداد اللعائن وكبيرا
ليدل على اشد اللعن واعظمه ضعفين ضعفا لضلالهم وضعفا لاضلالهم
يعترفون ويستغيثون ويتمنون ولا ينفعهم شيء من ذلك يا ايها الذين
امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى قيل نزلت في شان زيد وزينب
وما سمع فيه من قالة بعض الناس وقيل في اذى موسى عليه السلام
هو حديث المومسة التي ارادها قارون على قذفه بنفسها وقيل
اتهامهم اياه بقتل هارون وكان قد خرج معه الى الجبل فمات هناك
فحملته الملايكة ومروا به عليهم ميتا فابصروه حتى عرفوا انه غير مقتول
وقيل احياه الله فاخبرهم ببراءة موسى وقيل قرفوه بعيب

في جسده من برص او ادرة فاطلعهم الله على انه بري منه فبراه الله
مما قالوا وكان عند الله وجيها ذا جاه ومنزلة عنده فلذلك كان يميط عنه
التهم ويدفع الاذي عنه ويحافظ عليه لئلا يلحقه وصم ولا يوصف بنقيصة
كما يفعل الملك بمن له عنده قربة ووجاهة وقرا ابن مسعود والاعمش وابو
حيوة وكان عبد الله وجيها قال ابن خالويه صليت خلف ابن شنبوذ في شهر
رمضان فسمعته يقراها وقراءة العامة اوجه لانها مفصحة عن وجاهته
عند الله كقوله تعالى عند ذي العرش مكين وهذه ليست كذلك فان قلت
مما قالوا من قولهم او من مقولهم لان ما اما مصدرية او موصولة وايهما كان معناه
فكيف تصح البراءة منه قلت المراد بالقول او المقول مؤداه ومضمونه
وهو الامر المعيب الا ترى انهم سموا السبة بالقالة والقالة بمعنى القول
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا قاصدا الى الحق والسداد القصد
الى الحق والقول بالعدل يقال سدد السهم نحو الرمية اذا لم يعدل به عن
سمتها كما قالوا سهم قاصد والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب
من غير قصد وعدل في القول والبعث على ان يسدد قولهم في كل باب لان
حفظ اللسان وسداد القول راس الخير كله يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم
ذنوبكم والمعنى راقبوا الله في حفظ السنتكم وتسديد قولكم فانكم ان فعلتم
ذلك اعطاكم الله ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والاثابة عليها ومن
مغفرة سياتكم وتكفيرها وقيل اصلاح الاعمال التوفيق في المجيء بها
صالحة مرضية وهذه الاية مقررة للتي قبلها بنيت تلك على النهي عما يؤذي
رسول الله وهذه على الامر باتقاء الله في حفظ اللسان ليترادف عليهم
الامر والنهي مع اتباع النهي ما يتضمن الوعيد من قصة موسى واتباع الامر الوعد
البليغ فيقوى الصارف عن الاذى والداعي الى تركه لما قال ومن يطع الله
ورسوله فقد فاز فوزا عظيما وعلق بالطاعة الفوز العظيم اتبعه قوله
انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن
منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا وهو يريد بالامانة الطاعة.
فعظم امرها وفخم شانها وفيه وجهان احدهما ان هذه الاجرام العظام من
السموات والارض والجبال قد انقادت لامر الله عز وعلا انقياد مثلها
وهو ما يتاتى من الجمادات واطاعت له الطاعة التي تصح منها وتليق
بها حيث لم تمتنع على مشيئته وارادته ايجادا وتكوينا وتسوية على هيئات
مختلفة واشكال متنوعة كما قال قالتا اتينا طائعين واما الانسان
فلم يكن حاله فيما يصح منه من الطاعة ويليق به من الانقياد لاوامر الله ونواهيه
وهو حيوان عاقل صالح للتكليف مثل حال تلك الجمادات فيما يصح منها ويليق
بها من الانقياد وعدم الامتناع والمراد بالامانة الطاعة لانها لازمة
الوجود كما ان الامانة لازمة الاداء وعرضها على الجمادات واباؤها
واشفاقها مجاز واما حمل الامانة فمن قولك فلان حامل للامانة ومحتمل
لها تريد انه لا يؤديها الى صاحبها حتى تزول عن ذمته ويخرج عن عهدتها لان
الامانة كانها راكبة للمؤتمن عليها وهو حاملها الا تراهم يقولون ركبته
الديون ولي عليه حق فاذا اداها لم تبق راكبة له ولا هو حاملا لها ونحوه
قولهم لا يملك مولى لمولى نصرا يريدون انه يبذل له النصرة ويسامحه
بها ولا يمسكها كما يمسكها الخاذل ومنه قول القائل
اخوك الذي لا تملك الحس نفسه ... وترفض عند المحفظات الكتائف

اي

اي لا يمسك الرقة والعطف امساك المالك الضنين ما في يده بل يبذل ذلك
ويسمح به ومنه قولهم ابغض حق اخيك لانه اذا احبه لم يخرجه الى اخيه ولم
يؤده واذا ابغضه اخرجه واداه فمعنى فابين ان يحملنها وحملها الانسان
فابين الا ان يؤدينها وابى الانسان الا ان يكون محتملا لها لا يؤديها ثم وصفه
بالظلم لكونه تاركا لاداء الامانة وبالجهل لاخطائه ما يسعده مع تمكنه
منه وهو اداؤها والثاني ان ما كلفه الانسان بلغ من عظمه وثقل محمله انه
عرض على اعظم ما خلق الله من الاجرام واقواه واشده ان يتحمله ويستقل به
فابى حمله والاستقلال به واشفق منه وحمله الانسان على ضعفه ورخاوة
قوته انه كان ظلوما جهولا حيث حمل الامانة ثم لم يف بها وضمنها ثم خاس
بضمانه فيها ونحو هذا من الكلام كثير في لسان العرب وما جاء القران الا
على طرقهم واساليبهم من ذلك قولهم لو قيل للشحم اين تذهب لقال اسوي
العوج وكم لهم من امثال على السنة البهائم والجمادات وتصور مقالة
الشحم محال ولكن الغرض ان السمن في الحيوان مما يحسن قبيحه كما ان العجف
مما يقبح حسنه فصوروا اثر السمن فيه تصويرا هو اوقع في نفس السامع
وهي به انس وله اقبل وعلى حقيقته اوقف وكذلك تصوير عظم الامانة
وصعوبة امرها وثقل محملها والوفاء بها فان قلت قد علم وجه
التمثيل في قولهم للذي لا يثبت على راي واحد اراك تقدم رجلا وتؤخر
اخرى لانه مثلت حاله في تميله وترجحه بين الرايين وتركه المضي على
احدهما بحال من يتردد في ذهابه فلا يجمع رجليه للمضي في وجهه وكل
واحد من الممثل والممثل به شيء مستقيم داخل تحت الصحة والمعرفة وليس
كذلك في الاية فان عرض الامانة على الجماد واباءه واشفاقه محال في نفسه
غير مستقيم فكيف صح بناء التمثيل على المحال وما مثال هذا الا ان تشبه
شيئا والمشبه به غير معقول قلت الممثل به في الاية وفي قولهم لو
قيل للشحم اين تذهب وفي نظائره مفروض والمفروضات تتخيل في الذهن
كما المحققات مثلت حال التكليف في صعوبته وثقل محمله بحاله المفروضة
لو عرضت على السموات والارض لابين ان يحملنها واشفقن منها ليعذب والجبال
الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على
المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما واللام في ليعذب لام
التعليل على طريق المجاز لان التعذيب نتيجة حمل الامانة كما ان التاديب
في ضربته للتاديب نتيجة الضرب وقرا الاعمش ويتوب ليجعل العلة
قاصرة على فعل الحامل ويبتدئ ويتوب الله ومعنى قراءة العامة ليعذب
الله حامل الامانة ويتوب على غيره ممن لم يحملها لانه اذا تيب على الوافي
كان ذلك نوعا من عذاب الغادر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قرا سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر والله اعلم

الا ....
العلامة الشيخ يوسف المغزلي نفعنا الله تعالى
بحياته ولاحرمنا حسن رضاته
كتبه الفقير محمد الحكيم غفر
الله له ولوالديه
....